

ابن رشيق القيرواني

الحكمة

حقفه وعلق حواشيه

محمد محي الدين عبد الحميد

المدرس في كلية اللغة العربية
بالمساجيد الأزهرية

كتب
(١٠)

رقم التسلسل

الجزء الأول

طبعة في المكتبة العامة الكبرى بأول شارع محمد علي
بإسطنبول - مصطفى محمد

مطبعة مجازي بالقاهرة
تلفون ٥٥٤٨٠

العمدة : في محاسن الشعر وآدابه

تصنيف : أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني

المتوفى في سنة ٤٦٣ ، وقيل : في سنة ٤٥٦ من الهجرة

الطبعة الأولى

سنة ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي دل على وجوده بجموده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
منار الحق وعموده ، وعلى آله وصحبه القائمين بالحق من بعده

أما بعد ، فهذا كتاب « العمدة ، في محاسن الشعر وآدابه » تصنيف أبي
علي الحسن بن رشيق ، الأزدي : المولود في عام ٣٨٥ من الهجرة (٩٩٥ م)
والمات في ليلة السبت غرة ذي القعدة من عام ٤٥٦ من الهجرة (١٠٦٤ م)
وهو الكتاب الذي « جمع أحسن ما قاله كل واحد من صنف في
معاني الشعر ومحاسنه وآدابه ، وعول مؤلفه فيه على قريحة نفسه ، ونتيجة
خاطره ؛ خوف التكرار ، ورجاء الاختصار ، إلا ما تعلق بالخبر ، وضبطه
الرواية ، فانه لم يغير شيئاً من لفظه ولا معناه ؛ ليؤتي بالأمر على وجهه » (١)
وقد صنفه كمادة أكثر العلماء لأبي الحسن علي بن أبي الرجال الكاتب
« زعيم الكرم ، وواحد الفهم ، الذي نال الرياسة ، وحاز السياسة ، وانفرد
بالبسط والقبض ، واتحد في الأبرام والنقض ... الخ » (١) وأبو الحسن هذا
رجل في نظر ابن رشيق قد جمع هذه الخلال ، وزاد عليها « سلامة طبع واندفاعه
وقرب لفظ واتساعه ، وورقة معان وإرهاقها ، وظهورها مع ذلك وامتكشافها ،
مع لطف مواقعها من القلوب ، وسرعة تأثيرها في النفوس » (٢) فهو أديب
وشاعر عظيم ، وابن رشيق مقتنون به وبآدبه ، وقلبا خلايا من أبواب كتابه
من غير أن يختار من شعره ما يناسب هذا الباب (انظر لذلك ص ١١٢ و ١١٣)

(١) انظر (ص ٤) من الجزء الأول من هذا الكتاب

(٢) انظر (ص ٢٢٨ ج ٢) من هذا الكتاب

من الجزء الأول . وص ١٠٦ و ١٠٧ من الجزء الثاني)

والذى يظهر أن هذا الكتاب لقي منذ ظهر للناس بعضه إقبالا وذيوعا جعل بعض خصوم المؤلف يخقدون عليه وينقصون من قيمته : تارة بالتخطئة ، وأخرى بادعاء الانتحال والسرقة ، حتى اضطر المؤلف إلى أن يهتهم ، ويزرى عليهم ، وينال من أعراضهم ، ويدعوهم إلى الاتيان بمثله ، أو يعضه ، فهو يقول (١) « وكم فى بلدنا هذا من الحفّات قد صاروا ثعابين ، ومن البغات قد صاروا شواهين ، إن البغات فى أرضنا يستنسر ، ولولا أن يعرفوا بعد اليوم بتخليد ذكرهم فى هذا الكتاب ، ويدخلوا فى جملة من يعد خطله ، ويحصى زلله ؛ لذكرت من لحن كل واحد منهم ، وتصحيفه ، وفساد معانيه ، وركاكة لفظه ؛ ما يهلك على مرتبته من هذه الصناعة التى ادعوا باطلا ، وانتسبوا إليها انتحالا . وقد بلغنى أن بعض من لا يتورع (٢) عن كذب ، ولا يستحي من فضيحة ، زعم أنى أخذت عنه مسائل من هذا الكتاب لو سئل عنها الآن ما عليها ، والامتحان يقطع الدعوى ، كما قال بعض الشعراء : —

من تحلى بغير ما هو فيه فضح الامتحان ما يدعيه

وكت غيا عن تهجين هذا الكتاب بالاشارة إلى من أشرت إليه أنفا من ذكره ، وعزوفاً بهمتى عن الانحطاط إلى مساواته ، ولكنى رأيت السكوت عنه عجزاً وتقصيراً »

وأنت إذا قرأت هذا الكتاب استدلت على فضل الرجل ، وسعة اطلاعه ، وحسن تخرجه ، وإن كان يتقيد برأى قدامى العلماء : لا يخرج عنهم ، ولا يرضى بتقدم وإن ظهر له وجه النقد ، فهو يجرى فى بحثه على قاعدة « كلام العقلاء مصون عن الخطأ » وهو - فى هذا الكتاب - رجل مهادى النفس ، وادع

(١) انظر (ص ٢٢٨ ج ٢) من هذا الكتاب

(٢) لعله يريد ابن شرف القيروانى فهو قريمه ، وكانت بينهما ملاحاة على ما ستعرف فى ترجمته

الخلق ، طويل الأناة : يعرض له الرأي يخالف فيه رأى المتقدمين بتخطئة ماصوبوا أو تصويب ماخطأوا أو بيان وجه من التأويل فيه غاب عن أذهانهم فيجلوه لك في أسلوب لا تكاد تقرأه حتى تلبس رزائته وهدوء طبعه ، وهو - بعد ذلك كله - صاحب آراء لو شاء أن يدعى أنه منشئها وأبو عذرتها ، ثم يياهم بأقلها شأنًا وأهونها خطر آ كدأب أكثر الأدباء في عصرنا ودأب كثير من أدباء عصره ؛ لما أعوزته الحجة ، ولا غاب عنه البرهان . انظر إليه وهو يقول (١) : « وقد نص ابن الرومي في بعض تسطيراته على محمد بن أبي حكيم الشاعر حين عاب عليه قوله في الفرس من قصيدة رثى بها عبد الله بن طاهر * فله شهامة البيت * وذكر قول حبيب (أبي تمام)

يحوّأفره حفره وُصلبٍ مُصلبٍ

نخل به ، واعتذر له ، وخرج التخاريج الحسان ، وذكر أن الحافر الوأب والحافر المقعب ونحوهما أشرف في اللفظ من الحافر الأحفر ، إلا أن الطائي عنده كان يطلب المعنى ولا يبالى باللفظ ، حتى لو تم له المعنى بلفظة بطيئة لأقْبى بها ، والذي أراه أن ابن الرومي أبصر بحبيب وغيره منا ، وأن التسليم له والرجوع إليه أحزم ؛ غير أنني لو شئت أن أقول - ولست راداً عليه ، ولا معترضاً بين يديه - إن المعنى الذي أراده وأشار إليه من جهة الطائي إنما هو معنى الصنعة كالتطبيق والتجنيس وما أشبههما ، لا معنى الكلام الذي هو روحه ، وإن اللفظ الذي ذكر أنه لا يبالى به إنما هو فصيح الكلام ومستعمله ، وبذلك على صحة مادعيته على ابن الرومي قوله : إن الحافر الوأب والمقعب أشرف في اللفظ من الحافر الأحفر ؛ فكلامه راجع إلى ماقلته في الطائي غير مخالف له ، وإن كان في الظاهر على خلافه ؛ لينسأغ ذلك ، إلا أن أكثر الناس على ماقال ، وإنما هذا معرض للكلام لا مخالفة « اه ومثل ذلك في أضعاف

الكتاب كثير لا أحب أن أقفك على جميعه ، ولكنى أنبهك في هذه الكلمة إلى قوله « ولست راداً عليه ، ولا معترضاً بين يديه » وقوله في آخرها « وإيما هذا معرض للكلام لا مخالفة » بعد قوله « إلا أن أكثر الناس على مقال » ثم أدعك بعد ذلك تستبسط من هذا الكلام ما تشاء .

ولقد طبع كتابه هذا كاملاً مرتين في مصر ، وطبع نصفه في تونس ، وكل هذه الطبعات قليل الغناء عديم الجدوى : فإن التصحيف والتحريف ليفشوان فيها ، وإن نظام وضعها وتلاحق مباحث الكتاب مع تشعبها وكثرة فنونها ليأعدينيك وبين الاستفادة منه ، وهذه العيوب فاشية في مطبوعاتنا العربية ، وقلبا يخلو منها — مع الأسف الذى يقطع نياط قلوبنا — كتاب من كتب هذه اللغة المسكينة ، وبخاصة كتب أسلافنا المتقدمين ، وليس من علة لانصراف الناشئة العربية — فيما نعتقد — عن هذا التراث الثمين إلا هذا التشويه الغريب الذى يظهر الناشرون عليه كتب آبائنا الذين لم يقصروا في توريثنا أعظم تراث على ، ولم يألوا جهداً في تبرئة أنفسهم مما جعل الله في أعناقهم من ميثاق العلم أن يبينوه للناس ولا يكتُموه ، ونحن نعتقد عقيدة لاتدخلنا فيها خليجة شك أن الحرف الصغير والورق الأصفر وحرص انتجار على ظهور الكتاب في أقرب وقت وفى أقل ما يمكن من عدد الصفحات ، كل أولئك أكبر الفوارق بين الكتب العصرية الشيقة الأسلوب المتسائلة على قلوب النشء ، وبين كتب العصر القديم ، والآيات على ذلك كثيرة ، والشواهد أكثر من أن يحيط بها العد

وقد خلق الله في نفسى حب السلف ، والتفانى في الدفاع عن علومهم وأفكارهم والحرص على إذاعة فضلهم وعظيم متهم علينا وعلى من يأتي بعدنا من الأجيال المتلاحقة ، ولست أدري سر ذلك كله ، غير أنى لا أشك في أن بين يدينا رروة يحسبها المستشرقون أكثر مما نحسبها نحن أبناء هؤلاء المورثين ، وأنا نضع هذه الثروة بأحديسين لاثالث لهما : أولهما : الانصراف عنها إلى الاقتان

بالغرب وعلوم الغرب ، ورد كل نبوغ وفوق إلى نبوغ الغرب وفوقه ،
وثانيهما : الاقتناع من باعة الكتب بأن يظهروا لنا كتب أسلافنا على صور
مشوهة مسوخة لا تسد نهمة ولا تبل أواما ، ولو أننا أرغناهم على أن
يظهروها مواقة لروح العصر الحديث لاستطعنا أن نستفيد ، وأن نجد في
ميراثنا النفع والغناء

لهذا كله حرصت كل الحرص على مراجعة هذا الكتاب على أصوله التي
أمكن الوقوف عليها ، ثم معاودة هذه المراجعة ، حتى أخرجته لك من بين
فرث ودم لبنا خالصا سائفا للشاربين

في دار الكتب المصرية بالقاهرة نسختان خطيتان كاملتان من الكتاب
إحداهما مكتوبة بقلم النسخ ، كتبها محمد أحمد الخوجه ، فرغ من كتابتها في
عصر يوم الأحد الثاني عشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٩٨ من الهجرة ،
والثانية : مخطوطة بقلم معتمد بخط السيد أحمد بن محمد بن عبده ... الديروطي
فرغ منها كتابة ومقابلة في يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر ذى القعدة سنة
١٢٩٨ من الهجرة ، وهذه النسخة الثانية مكتوبة ومقابلة على النسخة الأولى
ولم يصلح كتابها ومقابلها أغلوطة واحدة من الأغاليط الكثيرة في سابقتها .
وفي الخزانة التيمورية نسخة خطية كاملة أقدم من هاتين عهدا ، وأسبق منهما
تاريخا ، كتبت بخط معتمد ، فرغ من كتابتها في يوم الأربعاء الخامس والعشرين
من شهر ربيع الأول سنة ٩٩٣ من الهجرة ، وهي أقل من نسختي الدارخطا ، فلم
يكن لي بد من مراجعة هذه المطبوعة على هذه النسخ الثلاث وعلى النسختين
المطبوعتين بمصر ، ومراجعة النصف الأول - مع ذلك - على مطبوعة تونس
وكم وجدت في هذه النسخ جميعها من أغاليط كانت تنظرني في أكثر
الاحايين إلى مراجعة الأمهات والأصول التي نقل عنها المؤلف وإلى مراجعة
دواوين الشعراء الكثيرة بنوع خاص ، ولو أتى أردت أن أحدثك عن
المراجع التي استخلصت لك الصواب من بينها لما لك الأمر ، وخرج الحال
في نظرك عن حد المستساغ المقبول ، ولكنها على أية حال الحقيقة التي لا غلو

فيها ولا إغراق ، وستقف بنفسك حين تقرأ في الكتاب بعد هذا آثار ما كابدت من العناء والمشقة ، وكم كنت أحب أن أذكر لك عند كل تصويية أصلا في خطأ أصول الكتاب وكيف أصلحت ومصدر إصلاحها ، ولكنني اكتفيت بالتنبيه على بعض ذلك وتركت بعضه لعلني أن ذلك لا يعني به غير نفر قليل من القراء ، وهؤلاء يكتفون باللمعة ، ويمتثلون بالخبر وكان لابد أن أجد في بعض النسخ زيادة عما في بعضها الآخر ، أو أعثر على سقطه في كلام نقله المؤلف عن كتاب آخر بعد مراجعة هذا النقل ؛ فاهتممت لذلك ، ووضعت الزائد بين قوسين على هذه الصورة [] ثم قد أنه على موطن الزيادة ، وقد أترك التنبيه مكتفيا بعلم القارئ ذلك من .
سياقة الكلام

ولست أدعي مع هذا كله العصمة من كل خطأ ، والبراءة من كل زلل ، فافقه وحده الذي تفرد بالكمال ، ولو لم يكن في عملي إلا أنني أصلحت أكثر من أربعمئة أغلوطة وقمت في الطبعتين السابقتين لهذا الكتاب لكان ذلك عملا جديرا بأن أغر به
والله المسئول أن يثني عليه ، ويغفر لي ولوالدي وللؤمنين يوم يقوم الحساب ؟

كتبه

محمد محي الدين عبدالحميد
المدرس في كلية اللغة العربية

ربيع الثاني ١٣٥٣

أغسطس ١٩٣٤

ترجمة المؤلف

قال صاحب الحلال السندسية في كلامه على القيروان : —
 ومن بلغاه القيروان وأبنائها الحسن بن رشيق ، أحد البلغاء الأفاضل ،
 الشعراء ، ولد بالمسيلة ، وتأدب بها قليلا ، ثم ارتحل إلى القيروان سنة ست
 وأربعمائة . كذا قال ابن بسام ، وقال غيره : ولد بالمحمدية سنة تسعين
 وثلاثمائة ، وأبوه مملوك رومي من موالى الأزدي ، وتوفي سنة ثلاث وستين
 وأربعمائة ، وكانت صنعة أبيه في بلده المحمدية الصياغة ، فعليه أبوه صنعة
 وقرأ الأدب بالمحمدية ، وقال الشعر ، وتآقت نفسه إلى التزيد منه وملافة أهل
 الأدب ، فرحل إلى القيروان ، واشتهر بها ، ومدح صاحبها [المعز الفاطمي] ولم
 يزل بها إلى أن هجم العرب عليها وقتلوا أهلها وخربوها ، فانتقل إلى صقلية
 وأقام بمازر إلى أن مات ، وهي قرية بجزيرة صقلية منها المازري رحمه الله ،
 واختلف في تاريخ وفاته . قال ابن خلكان : رأيت بخط بعض الفضلاء
 أنه توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، قال : وقيل : إنه توفي ليلة السبت غرة
 ذي القعدة سنة ست وخمسين . ومن شعره : —

يا رب لا أقوى على دفع الأذى وبك استغنت على الضعيف المودى
 مالى بشت إلى ألف بعوضة وبشت واحدة إلى نمروذ
 وكان بينه وبين عبد الله بن أبي سعيد بن أحمد المعروف ببلين شرف
 القيرواني مناقضات ومهاجاة ، وصنف عدة رسائل في الرد عليه ، منها :
 رسالة سماها ساجور الكلب ، ورسالة نصح الطلب ، ورسالة قطع الأنفاس ،
 ورسالة نقض الرسالة الشعوزية ، والقصيدة الدعية ، والرسالة المنقوضة ،
 ورسالة رفع الأشكال ودفع المحال ، وله كتاب أنموذج الشعراء شعراء
 القيروان ، ورسالة قراضة الذهب ، والعمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده
 وعيوبه ، وهو كتاب جيد ، وغير ذلك .

وقال صاحب الروافى فى الجزء الثالث والعشرين منه ما نصه : وقد وقفت على هذه المصنفات والرسائل المذكورة جميعها ، فوجدتها تدل على تبحره فى الأدب ، وإطلاعه على كلام الناس ، ونقله لمواد هذا الفن ، وتبحره فى النقد ، وله كتاب فى شذوذ اللغة ، يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة فى بابها . ومن شعره : —

أحب أخى وإن أعرضت عنه وقل على مسامعه كلامى
ولى فى وجهه تقطيب راض كما قطبت فى وجه المدام
ورب تقطب من غير بغض وبغض كامن تحت ابتسام
ومنه : —

إذا ما خففت لعهد الصبا أبت ذلك الخنس والأربعونا
وما ثقلت كبراً وطأنى ولكن أجرى ورأى السنين
ومنه : —

وقائلة ماذا الشحوب وذو الضنا؟ فقلت لها قول المشوق المقيم :
هواك أتانى ، وهو ضيف أعزه ، فأطعمته لحمى وأسقيته دمي
ومنه : —

ذمت لعينك أعين الغزلان قر أقر لحسنه القمران
ومشت فلا والله ما حقف النقا مما أرتك ولا قضيب البان
وثنى الملاحه غير أن دياتى تأبى على عبادة الأوثان
ومنه فى المدح : —

يا بن الأعزة من أكابر حمير وسلالة الأملاك من قحطان
من كل أبلج أمر بلسانه يضع السيوف مواضع التيجان
ومنه : —

فى الناس من لا يرجى نفعه إلا إذا مس باضرار
كالعود لا يطمع فى طيه إلا إذا أحرق بالنار

ومنه : —

أقول كالمأسور في ليلة ألفت على الأفاق كلكالها :
باليلة الهجر التي ليلا قطع سيف الهجر أوصالها
ما أحسنت هند ولا أجملت جمل وليس الحسن إلا لها

ومنه : —

ومن حسنات الدهر عندى ليلة من العمر لم تترك لأيامها ذنبا
خلونا بها تنفي القذى عن عيوننا بلؤلؤة مملوءة ذهباً سكباً
وملنا لتقيل الثغور ولثها كتل جنوح الطير يلتقط الحبا
• قال الأبيوردى : وما هذا بأحسن من قول ابن المعتز : —

كم من عناق لنا ومن قبل مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهى غائفة من النواطير يانع الرطب
قال فى الوافى : قلت : مقام ابن المعتز غير مقام ابن رشيق ؛ لأن ابن
رشيق ذكر أنه فى ليلة أمن ، وهى عنده من حسنات الدهر ، فلهذا حسن
تشبيه التقيل مع الأمن بالتقاط الطير الحب ؛ لأنه يتوالى دفعة بعد دفعة ،
وأما ابن المعتز فانه كان غائفاً مختلس التقيل ويسرقه ، كما يفعل العصفور فى
نقر الرطب اليانع ؛ لأنه يقدم جازعاً غائفاً من الناطور ، فلا يطمئن فيما
يلتمسه ، ألا ترى الآخر كيف قال فأحسن : —

أقبله على جزعى كشرب الطائر الفزع •
رأى ماء فواقعه وخاف عواقب الطمع

ومن شعر ابن رشيق : —

قد أحكت منى التجا رب كل شىء غير جودى
أبدأ أقول لئن كسبت لأقبض يدى شديد
حتى إذا أثريت عدت إلى السباحة من جديد
إن المقام بمثل حالى لا يتم مع القعود

لا بد لي من رحلة تدني من الأمل البعيد

ومنه :-

معتقة يعلو الحجاب متونها فتحسبه فيها تثير جان

رأت من لجين راحة لمديرها فطافت لمن عسجد بينان

وترى كثيراً من شعر ابن رشيق في تضاعيف هذا الكتاب ، وفي عامة

فنون القول ، نرشدك من ذلك إلى (ج ٢ ص ١٥٤ و ١٥٢)

وله سوى ما ذكر هؤلاء المترجمون له من الكتب كتاب نادر في باب

يصفه لنا في كتاب العمدة (ج ٢ ص ٢٢٩) فيقول : « على أن المحدثين قد

شاركوا القدماء في كل ما ذكرته أيضاً ، إلا أن أولئك أولى به ، وأحق بالتقدمة

فيه ، كما خالطوهم في صفات النجوم ومواقعها ، والسحب وما فيها من البروق

والرعود ، والنيث وما ينبت عنه ، وبكاء الحمام ، وكثير مما لا يتسع له هذا

الباب ، ولكنني أفرد له كتاباً قائماً بنفسه ، أذكر فيه ما انفرد به المحدثون ،

وما شاركهم فيه المتقدمون » ويذكره مرة أخرى فيقول (ج ٢ ص ٢٣٢)

« وأنا أقول : إن أكثر الشعراء اختراعاً ابن الرومي ، وسيأتي برهان ذلك

في الكتاب الذي شرطت تأليفه ، إن شاء الله تعالى » فهل عاقته الصروف

عن تأليفه ؟ أو ألفه كما شرط ولكنه ضاع فيما ضاع من كتب المتقدمين ؟

علم ذلك عند الله تعالى

وأخذ ابن رشيق الأدب عن أبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيرواني

النحوي من أهل القيروان ، وعن الأديب أبي محمد عبد الكريم بن إبراهيم

النهشلي ، وله في كتاب العمدة نقول كثيرة عنه وعن غيرهما من أدباء عصره

وعلمائه رحمهم الله تعالى .

فهرس الجزء الأول من كتاب العمدة

ص	رقم الباب	
٣		خطبة الكتاب ، وإهداؤه لعلى بن أبى الرجال الكاتب
١ ٧		(باب فى فضل الشعر)
٨		مطلب من احتج للنثر على الشعر بأن القرآن كلام منشور
١٠		مطلب من فضل الشعر أن الكذب المجمع على قبحه حسن فيه
—		مطلب وفود كعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم مستأماً وإنشاده
٩١		مطلب توقف عمر بن عبد العزيز فى إعطاء الشعراء وذكر الأحوص
		له عطية رسول الله صلى الله عليه وسلم كعباً
١٢		مطلب اعتذار حسان لعائشة رضى الله عنهما من قوله فى الألفك
—		مطلب إن لشعراء العرب ذكرآ فى التوراة
١٣		مطلب من فضائل الشعر عند اليونانيين
٢ ١٤		(باب فى الرد على من يكره الشعر)
—		مطلب ما روى من ذلك من الحديث والآثار الدالة على استحسانه
١٥		مطلب انشاد حسان الشعر فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
—		كلام لمعاوية فى الشعر وثباته يوم صفين بسبب آيات لابن الاطنابة
١٦		مطلب انكار سعيد بن المسيب وابن سيرين على من يكره الشعر
١٨		مطلب فى قوله تعالى : والشعراء يتبعهم الغاؤون
٣ ١٩		(باب فى أشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء)
—		مطلب فيما يروى لآبى بكر من الشعر
٢٠		مطلب فيما يروى لعمر بن الخطاب رضى الله عنه من الشعر
٢١		مطلب فيما يروى لعثمان وعلى رضى الله عنهما من الشعر
—		مطلب فيما يروى للحسن بن على ومعاوية رضى الله عنهما

ص	رقم الباب
٢١	مطلب فيما يروى للحسين بن علي رضي الله عنهما
٢٣	مطلب فيما يروى لحزمة والعباس عمي رسول الله صلى الله عليه وسلم
—	مطلب ومن شعر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
—	مطلب ومن شعر جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه
—	مطلب فيما يروى لعبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٤	مطلب فيما يروى لعمر بن عبد العزيز رحمه الله
٢٥	مطلب وحسبك من القضاة شرح بن الحارث قاضي عمر بن الخطاب
—	مطلب ومن الفقهاء عبيد الله بن عتبة بن مسعود
٢٦	مطلب ومن الفقهاء محمد بن إدريس الشافعي صاحب المذهب
—	٤ (باب من رفعه الشعر ومن وضعه)
٢٧	مطلب خبر عرابة الأوسى واشتاره بشعر الشماخ
—	مطلب فيمن صنع الشعر فصاحة لا لرغبة
٢٩	مطلب ومن رفعه الشعر الحارث بن حنظلة
٣٠	مطلب خبر الاختلال وتطاوله لسكاته شعره عند عبد الملك بن مروان
٣١	مطلب ومن رفعه الشعر أبو الطيب المتنبي
٣٢	مطلب في ذكر طائفة نطقوا في الشعر بكلمات صارت لهم شهرة
٣٤	مطلب خبر المحلق واشتاره بشعر الأعشى
٣٥	مطلب خبر بني أقف الناقة واشتارهم بشعر الخطيئة
٣٦	مطلب ومن وضعه الشعر بنو نمير بكلمة جرير
٣٧	مطلب ومنهم الربيع بن زياد بكلمة ليلى بحضرة النعمان
—	مطلب ومنهم بنو العجلان بكلمة النجاشي
٣٨	٥ (باب من قضى له الشعر ومن قضى عليه)

ص رقم باب

- ٣٩ — مطلب خبر النابغة الجعدي وقضاء النبي صلى الله عليه وسلم له بالجنة
- ٣٩ — مطلب خبر حسان بن ثابت وقضاء النبي صلى الله عليه وسلم له بالجنة
- مطلب خبر تنافر عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة والنفر لعامر
- بشعر الاعشى
- ٤٠ — مطلب إجازة القاضي بن أبي ليلى شهادة أبي دلالة لشعره
- مطلب خبر محاكمة جرير والحمانى الشاعر
- مطلب فتوى الحسن البصرى بشعر الفرزدق
- ٤١ * — مطلب تسمية زهير بقاضى الشعر بيت له من الشعر
- ٦ — (باب شفاعات الشعراء وتحريضهم)
- مطلب خبر قتيلة بنت النضر وإنشادها النبي صلى الله عليه وسلم رباه أيها
- ٤٢ — مطلب شفاعاة علقمة بن عبدة في أخيه عند الحارث بن أبي شمر الغساني
- ٤٣ — مطلب خبر أمية بن حرثان مع عمر بن الخطاب بشأن ولده كلاب
- خبر العمانى الشاعر والرشد وسؤاله ولاية العهد لولده القاسم
- ٤٤ — شفاعاة الطائى للوائق عند أبيه المعتصم أن يوليه العهد
- استعطافه ملك بن طوق لقومه بنى تغلب
- ٤٥ — خبر أبي قابوس الشاعر مع الرشيد وشفاعته عنده للفضل بن يحيى
- خبر استعطاف المتنبى سيف الدولة لبني كلاب
- ٤٦ — خبر استنفار أبي عزة المشركين لقتال النبي صلى الله عليه وسلم
- خبر إغراء أوس بن حجر النعمان بن المنذر بنى حنيفة
- ٤٧ — خبر إغراء سديف بن ميمون السفاح العباسى بسليمان بن هشام الاموى
- قتل عبد الله بن على رجالا من بنى أمية بشعر لشبل بن عبد الله
- ٤٨ — تحامل ابن حزم على الاحوص وإسقاط الوليد لآل حزم بشعر الاحوص
- ٤٩ — خبر ابراهيم بن المهدي وعبد الملك الزيات

ص رقم الباب

- ٤٩ ٧ (باب احتماء القبائل بشعرأنها)
- — فممن حمى قبيلته زياد الأعجم وخبره مع الفرزدق
- ٥٠ — ومنهم الزبير بن عبد المطلب وخبره مع ابن الزبير
- — ومنهم الفرزدق وخبره مع رجل من بني حرام
- — خبر نحاسي الشعراء مهاجرة الأحوص
- ٥٢ ٨ (باب من قال الشعر وطيرته)
- — تفاؤل حسان للنبي صلى الله عليه وسلم بفتح مكة
- — تفاؤل أبي الشمقم لخالد بن يزيد
- ٥٣ — تطير أبي المول على جعفر البرمكي
- — تطير ابن الرومي
- ٥٤ ٩ (باب في منافع الشعر ومضاره)
- — خبر طفيل الغنوي مع يزيد
- ٥٥ — خبر أبي الشمقم مع جميل بن عفووظ وأبي دهمان
- — خبر مصعب بن الزبير مع أسير من أصحاب المختار
- ٥٥ — خبر ابن شهاب الزهري مع يزيد بن عبد الملك
- ٥٦ — ومن ضره الشعر ابن الرومي
- — ومنهم دعلج بن علي الخزاعي
- ٥٧ — ومنهم والبة بن الحباب
- — ومنهم يزيد بن أم الحكم الثقفي
- ٥٨ — ومنهم الفرزدق عند سليمان بن عبد الملك
- — ومنهم سديف عند المنصور
- ٥٩ ١٠ (باب تعرض الشعراء)
- ٦٠ — استشارة عمر بن الخطاب حسان بن ثابت في أمر النجاشي حين هجارهط ابن مقبل

ص رقم الباب

- استشارته إياه أيضاً في هجاء الخطبة الزبرقان بن بدر
- خبر معاوية مع الاحنف بن قيس
- ٦٢ خبر الفرزدق مع نسوة مر بهن
- خبر الفرزدق مع مضر بن القعقي
- ٦٣ ١١ (باب التكسب بالشعر والأثقة منه)
- ٦٤ — مطلب في أن الشاعر كان أرفع منزلة من الخطيب حتى تكسب الشعراء بالشعر
- ٦٦ • خبر ابن ميادة مع أبي جعفر المنصور
- ٦٩ ١٢ (باب تنقل الشعر في القبائل)
- ٧٣ ١٣ (باب في القدماء والمحدثين)
- ٧٥ فصل لعبد الكريم في أن الشعر قد يحسن عند قوم دون قوم وفي زمان دون آخر
- ٧٦ ١٤ (باب المشاهير من الشعراء)
- ٨٤ ١٥ (باب المقلين من الشعراء والمقلين)
- — فن المقلين طرفة ، وعيد بن الأبرص
- ٨٥ لعلقة الفحل ثلاث قصائد
- ٨٦ — ومنهم سلامة بن جندل ، وحسين بن الحمام ، والمتبس ، والمسيب ابن علس
- ٨٧ وأما المغليون فمنهم نابعة بنى جمدة
- ٨٨ ومنهم الزبرقان بن بدر ، والبعيث
- ٨٩ ومنهم تميم بن أبي بن مقبل
- ومن مغلي المولدين على جلالة بشار ، وعلى بن الجهم ، وحبيب أبو تمام
- ٩٠ ١٦ (باب من رغب من الشعراء عن ملاحاة غير الآكفاء)

ص رقم الباب

- ٩٠ — منهم الزبرقان بن بدر مع الخبل السعدى
 — — ومنهم الفرزدق مع عمر بن لجا
 ٩١ — ومنهم جرير مع بشار بن برد
 — — ومنهم بشار بن برد مع حماد عجرد
 — — ومنهم البحتري مع ابن الرومى
 — — ومنهم أبو تمام مع منخلد بن بكار الموصلى
 ٩٢ — من يحسن المديح لا يلزم أن يحسن الهجاء
 ٩٣ ١٧ (باب فى الشعراء والشعر)
 — — طبقات الشعراء أربعة
 ٩٤ بحث فى بيان معنى المخضرم
 ٩٥ طبقات الشعراء فى الاجادة ، وأقوال العلماء فى ذلك
 ٩٩ ١٨ (باب حد الشعر وبنته)
 ١٠١ الشعر مدح أو هجاء
 ١٠٢ أسباب قول الشعر
 ١٠٣ ١٩ (باب فى حد اللفظ والمعنى)
 ١٠٤ من الناس من يؤثر اللفظ على المعنى
 ١٠٦ ومنهم من يؤثر المعنى
 ١٠٨ ٢٠ (باب فى المطبوع والمصنوع)
 ١١٣ ٢١ (باب فى الأوزان)
 ١١٤ — مطلب أول من ألف الأوزان وجمع الاعاريض
 — — مطلب اختلاف الناس فى ألقاب الشعر
 ١١٦ مطلب فى الاجزاء التى يتألف الشعر منها
 ١١٧ مطلب فى الزحاف والعلل والعيوب
 ١١٩ مطلب فى أن الخزم ليس عندهم بعيب ، وأمثلة ذلك

ص	رقم الباب	
١٢٢		مطلب ومن التزجيف في الأوساط الاتحاد
		مطلب ومن مهمات الزحاف أربعة أشياء : ابتداء ، وفصل ، واعتماد ، وغاية
١٢٧		أهم زحاف الحشو المعاقبة والمراقبة
١٢٩	٢٢	(باب القوافي)
—		مطلب اختلاف الناس في القافية ماهي
١٣٢		مطلب فيما يلزم القافية من الحروف والحركات ، وتفصيل ذلك
١٤٩	٢٣	(باب التقفية والتصريع)
١٥٠		اشتقاق التصريع
١٥٢		عيوب التصريع
١٥٤		مطلب ومن الشعر نوع غريب يسمونه القواديسي
—		مطلب ومن الشعر نوع غريب يسمونه المسقط
١٥٨	٢٤	(باب في الرجز والقصيد)
١٦١	٢٥	(باب في القطع والطوال)
		للطوال مواضع وللقطع مواضع أخرى
١٦٣		مطلب في ذكر المشهورين بجودة القطع من المولدين
١٦٤		مطلب في أول من قصد الشعر وطول الرجز
—	٢٦	(باب في البدية والارتجال)
١٦٥		مطلب في الارتجال ، وتنف من الاخبار فيه
١٦٧		مطلب في البدية وطرف من ذلك
١٦٨		مطلب فيمن وجد نفسه عند إحاطة الموت به فأجاد
١٧١	٢٧	(باب في آداب الشاعر)
١٧٤		مطلب في أول شعر اختير لامرى القيس
١٧٦		مطلب في مائة امرى القيس التوم الشكري ، وطرف في الباب

ص رقم الباب

من هذا النوع

- ١٧٨ ٢٨ (باب عمل الشعر وشخذ القرينة له)
 ١٧٩ مطلب إن الناس ضروباً مختلفة يستدعون بها الشعر وأخبارهم
 في ذلك
 — مطلب في الأوقات التي يحسن للشاعر أن يصنع فيها الشعر
 — مطلب اختلاف عادات الشعراء في صناعة الشعر
 ١٨٨ ٢٩ (باب في المقاطع والمطالع)
 ١٩١ ٣٠ (باب المبدأ والخروج والنهاية)
 — — مطلب في ابتداءات مختارة أو ردها تمثيلاً
 ١٩٣ مطلب في ذكر من سقطت قصيدته لسوء المبدأ ، وطرف من هذا الباب
 ١٩٧ مطلب في مذاهب الشعراء في الافتتاح واختلافهم باختلاف
 الطباع وما يالفون
 ٢٠٥ مطلب في ابتداءات مختارة لأبي تمام
 ٢٠٦ مطلب في الخروج ومذاهب الشعراء فيه
 — مطلب فيما عيب فيه أبو الطيب من الاستطراد إلى الخروج
 ٢٠٨ مطلب في التخلص من معنى إلى معنى وأمثلة في الباب
 ٢١١ مطلب في الانتهاء ، وتعريفه ، وعاداتهم في ذلك
 ٢١٣ ٣١ (باب البلاغة)
 ٢٢١ ٣٢ (باب الإيجاز)
 ٢٢٥ ٣٣ (باب البيان)
 ٢٢٨ ٣٤ (باب النظم)
 ٢٣٢ ٣٥ (باب المخترع والبديع)
 ٢٣٥ الفرق بين الاختراع والابداع ، اشتقاق الاختراع

حس رقم الباب

- ٢٣٥ — مطلب أول من جمع البديع وألف فيه ابن المعتز
 ٣٦ ٢٣٦ (باب المجاز)
 ٣٧ ٢٣٩ (باب الاستعارة)
 ٣٨ ٢٤٧ (باب التمثيل)
 ٣٩ ٢٥٠ (باب المثل السائر)
 ٤٠ ٢٥٦ (باب التشبيه)
 ٤١ ٢٧١ (باب الإشارة)
 ٢٧٣ — مطلب ومن أنواع الإشارة التفخيم والإيحاء
 — — مطلب ومن أنواعها التعريض
 ٢٧٤ — مطلب ومن أنواع الاشارات الكناية ، والتمثيل
 — — مطلب ومن أنواعها الرمز
 ٢٧٦ مطلب ومن أخفى الاشارات اللفز ، ومنها اللحن ويسمى المحاجة
 ٢٧٨ مطلب في أن مبلغ الاشارات أبلغ من مبلغ الصوت
 ٢٧٩ مطلب ومن الاشارات الحذف
 ٢٨٠ مطلب التورية في أشعار العرب
 ٢٨٢ مطلب ومن الكناية اشتقاق الكنية
 — ٤٢ (باب التيسيع)
 ٤٣ ٢٨٩ (باب التجنيس)
 ٤٤ ٣٠٠ (باب التردد)
 — — تعريفه ، وأمثلة منه متفاته لجودتها
 ٣٠٣ — الفرق بين التردد والتكرار

تحقيقات (١)

الجزء الاول

- (١) ص ٣٩ من ١٠ و ٩ — عند هرم بن قطبة بن سيار الخ : اكتب هذه الحاشية : كذا في عامة الأصول ، والذي في الاصابة لابن حجر ، وشرح العيون لابن نباتة : « هرم بن قطبة — ويقال قطنة — بن سنان »
- (٢) ص ١٢٥ من ١ — أضف الى الحاشية المكتوبة على البيت العبارة الآتية :

وقال ابن سيده : يجوز أن يكون « صات » فاعلا ذهبت عينه ، وأن يكون فعلا — بكسر العين — قلبت عينه ألفاً وقال الجوهري : « وهذا كقولهم رجل مال ، ورجل نال ، ورجل خاف ، وكبش صاف ، ويوم ضان ، وبر مائة ، ورجل هاع لاع ، وأصل هذه الأوصاف كلها فعل بكسر العين » وينسب البيت للنظار الفقعي — في الجزء الثاني : —

- (١) ص ٢٤ من ١٠ و ٩ — ومن ملحق التقسيم قول داود بن مسلم — اكتب هذه الحاشية : هكذا ورد هذا العلم في كافة النسخ ، وفي النفس من ضبطه شيء ، وقد ورد هذا الاسم كذلك في (ص ١٣١) من هذا الجزء
- (٢) ص ٢٢ من ٨ — وقال حريث بن محسن -- اكتب هذه الحاشية : كذا في الأصول ، والذي في الاصابة نقلا عن الشاطبي « بن محفض » بخاء مهملة فاء فضاء معجمة
- (٣) ص ٦٧ من ١٦ — بيت الأختل — صواب إنشاده هكذا : — فأقسم المجد حقاً لا يحالفهم حتى يحالف بطن الراحة الشعر
- (٤) ص ٧٢ من ١٨ — لقول ذي الرمة يهجو المرى - اكتب هذه الهامشة كذا في الأصول والصواب « المرقى » نسبة إلى امرئ القيس بن سعد مائة وقد نبهنا على ذلك في الحواشي وأواخر هذا الجزء

(١) ثبت ههنا ما فاتنا استدراكه والتعليق عليه أثناء الطبع

(٥) ص ١٢٦ س ١٣ - ومدح أبو العتاهية عمرو بن العلاء - هكذا في الأصول ، والصواب « عمر بن العلاء » بدون واو ، وقد نهناك على ذلك في حواشي (ص ١٥٢) من هذا الجزء .

(٦) ص ١٣١ س ١١ - وكذلك قول الجرمي الكنانى - اكتب هذه الحاشية : كذا ورد في أصول الكتاب ، وصوابه « الحزين الكنانى »

(٧) ص ١٤٣ س ١١ - وخلف بن حارة الأحمر - اكتب هذه الحاشية : هو خلف بن حيان ، وما فى الأصول تصحيف

(٨) ص ١٩٣ س ١٤ و ١٥ - ويثربى بن عدى - اكتب هذه الحاشية . هو يثربى بن عدس ، وفى الأصول تصحيف

(٩) ص ١٩٧ س ١١ - حتى أخذوا دية عبد العزى يوم جدار - اكتب هذه الحاشية : كذا فى عامة الأصول والصواب « حتى أخذوا دية عبد العزى بن حذار »

(١٠) ص ٢١٨ س ١٨ - وقيل : بل هو من أشلاق - اكتب هذه الحاشية : كذا ، وصوابه « من أشلاء » جمع شلو

(١١) ص ٢٢٤ س ٥ ، ٦ - « الفراب » صوابه « المزاب » بتقديم العين المهملة

(١٢) ص ٢٥٥ س ١ - من نسج داود آتى سلكان - اكتب هذه الحاشية : هكذا وقع فى أصول الكتاب ، وصوابه : إنشاد الشاهد * من نسج داود أبى سلام * وهذا عجز بيت من الكامل للأشود بن يعفر ، وصدره * ودعا بمحكمة أمير سكتها * ومثل هذا الشاهد قول الخطيب :

فيه الرماح وفيه كل سابقة جدلاء محكمة من نسج سلام
قال ابن برى : وقالوا فى سليمان اسم النبى صلى الله عليه وسلم : سليم ، وسلام ، فغيروه ضرورة ، وأنشد بيت النابغة الذى ذكره المؤلف قبل هذا الشاهد ، وأنشد لآخر :-

مُضَاعَفَةٌ تَخَيَّرَهَا سَلِيمٌ كَأَنَّ قَتِيرَهَا حَدَقُ الْجُرَادِ

أَبْنُ نَيْسَابُورٍ

الْعَمَلُ

حققه ، وعلق حواشيه

محمد محي الدين علي الحنفي

المدرس في كلية اللغة العربية
بالمناجيع الأزهرية

الجزء الأول

طبعة محمد علي
تفرون ١٩٥٠

العمدة : في محاسن الشعر وآدابه

تصنيف : أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني
المتوفى في سنة ٤٦٣ من الهجرة

الطبعة الأولى

سنة ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م

جميع حقوق الطبع محفوظة لشارحه

مكتبة دار الكتب والوثائق
بجامعة القاهرة
مكتبة دار الكتب والوثائق
بجامعة القاهرة

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم
الحمد لله أهل الحمد ومستحقه ، وصلاته على صفوته من خلقه : محمد خيرته ،
وعلى أبرار عترته ، وسلم تسليماً .

أما بعد ، فإن أحقَّ من جنى ثمر الآداب ، واقتطف زهر الآداب ، منزهاً
في عقول الحكماء ، متفكهاً في أقاويل العلماء ، بالغاً بهمة أعلى المراتب ، خاطباً
لنفسه أسنى المطالب ، مستقراً في أرفع درجوة ، متمسكاً بأوثق عروة ؛
من عرف للعلم حقه وفضله ، وسلك به طريقه وسيله ، وأكرم في الله مثواه
ونزله ، وخصص بالقرب ذويه وأهله ؛ فاستوجب من جميل الذكر ، وجزيل
الذكر ، ما هو أزين في الدنيا ، وأبقى في الآخرة : كالسيد الامجد ، والفذة
الواحد ، حسنة الدنيا ، وعلم العليا ، وباني المكارم ، وآبي المظالم (١) ،
رجل الخطب ، وفارس الكتب : أبي الحسن علي بن أبي الرجال الكاتب ،
زعيم الكرم ، وواحد الفهم ، الذي نال الرياسة ، وحاز السياسة ، وانفرد
بالبسط والقبض ، واتحد في الأبرام والنقض ، عن سعي مشكور ، وفضل
مشهور ، وعلم بالموارد والمصادر ، ونظر في الأوائل والأواخر ، وتبع
لآثار من سلف ، من أهل القدر (٢) والشرف ؛ وتقلب في مجالس الحكم ، بين
ذوى الأقدار والمدم ؛ إلى أن صار نسيج وحده ، وقريع دهره ؛ وغير
مدافع عن ذلك ، ولا منازع فيه .

فالحمد لله الذي اختصه بالجلالة ، واستخلصه لشرف الحالة ، وقدمه على

(١) آبي المظالم أي : الممتنع عن قبولها ، وفي نسخة « وداري المظالم » أي : دافعيها

(٢) في نسخة « الاخطار » وهو جمع خطر بفتحتين

المتقدمين في الرتب ، وأقام به سوق العلم والآداب ، وجعل ذكره باقياً ،
وَجَدَهُ سامياً ، وأيده من النصر والتوفيق ، بما فيه رضا الخالق والمخلوق ،
فضلاً من الله ونعمة واه عليم حكيم .

وأنا - أطال الله بقاء السيد محروس النعمة ، مَرْهُوبَ النعمة ، مَوْقِي
في دنياه ودينه ، متفعلاً بظنه وبقينه ، قليل الانداد ، كثير الحسّاد - وإن لم
أعلق من العلم إلا بحاشية ، ولا أخذت منه إلا في ناحية ؛ لسوء المكان ،
وقلة الامكان ، وَزَمَانَةِ الزمان ، وحدث الحدّثان ، قبل أن أعلق بجمل
عنايته ، وأحفظ وأصير في حرم حمايته ، فقد وجدت الشعر أكبر علوم
العرب ، وأوفر حظوظ الأدب ، وأحرى أن تقبل شهادته ، وتمثل إرادته ،
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من الشعر ^(١) الحُكْمَا » وروى
« للحكمة » وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « نعم ما تعلّبه العرب الآياتُ
من الشعر يُقدِّمُها الرجل أمام حاجته : فيستنزل بها الكريم ، ويستعطف بها
الثّيم ^(٢) » . مع ما للشعر من عظم المزية ، وشرف الآية ، وعز الآفة ،
وسلطان القدرة . ووجدت الناس مختلفين فيه ، متخلفين عن كثير منه :
يقدّمون ويؤخرون ، ويقولون ويكثرون ، قد يوبوه أبواباً مبهمه ، ولقبوه
ألقاباً متهمه ، وكل واحد منهم قد ضرب في جهة ، واتحل مذهباً فيه إمام
نفسه ، وشاهد دعواه ، لجمعت أحسن ما قاله كل واحد منهم في كتابه ؛ ليكون
(العمدة في محاسن الشعر وآدابه) ، إن شاء الله تعالى . وعولت في أكثره على
قرينة نفسي ، ونتيجة خاطري ؛ خوفاً التكرار ، ورجاء الاختصار ، إلا
ما تعلّق بالخبر ، وصَبَّغْتُهُ الرواية ، فانه لا سبيل إلى تغيير شيء من لفظه ولا

(١) قال ابن الأثير : « أي : إن من الشعر كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه
وينهى عنهما » قيل : أراد بها المواضع والأمثال التي ينتفع بها الناس ، والحكم :
العلم ، والقبه ، والقضاء بالعدل ، وهو مصدر حكم يحكم ، ويروي : إن من الشعر
الحكمة ، وهي بمعنى الحكم » اهـ

(٢) في التونسية « فيستنزل بها الثّيم ، ويستعطف بها الكريم »

معناه ، ليؤتى بالامر على وجهه ، فكل مالم أسندهُ إلى رجل معروف باسمه ، ولا أحلت فيه على كتاب بعينه ، فهو من ذلك ، إلا أن يكون متداولاً بين العلماء ، لا يختص به واحد منهم دون الآخر ، وربما نخلته أحد العرب ، وبعض أهل الأدب ، تسترأ بينهم ، ووقوعادونهم ، بعد أن قرنت كل شكل بشكله ، ورددت كل فرع إلى أصله ، وينت للناشيء المبتدىء وجه الصواب فيه ، وكشفت عنه لبس الارتياب به ، حتى أعترف باطله من حقه ، وأميز كذبه من صدقه ، ولم أيمم كتابي هذا باسم السيد - زاده الله تعالى سموأ - لا كون كجالب التمر إلى هجر^(١) ، ومهدى الوشئ إلى عدن^(٢) . لكن تزيئاً باسمه الشريف ، وذكره الطيب ، واستسلاماً بين يدي عليه الطائل ، وأدبه الكامل :

إِنْ قَصَرْتُ عَنْ غَرَضٍ رَمِيَّةٍ أَوْ زَلَّ فِكْرٌ أَوْ نَبَأٌ خَاطِرُ
لَا تُنْفِي فِيهِ عَلَى نِيَّةٍ يَغْيِرُ عَنْ بَاطِنِهَا الظَّاهِرُ
ولما عدلت في الحال عن حضور مجلسه الباهر ، ومنعني الإجلال من مناسمة خلقه الزاهر ، وطال اشتياقي إلى تلك الطلعة الكريمة ، واشتد حرصي على تلك المشاهد العظيمة ، وعلمت أن لا بد لي منه ، ولا غنى لي عنه ، إلا ما

(١) هجر - بفتح الهاء والجيم جيما - بلدة باليمن ، ولقطة مذكر مصروف ، وقد يؤنث ويمنع ، وقد يطلق هذا الاسم على جميع أرض البحرين ، وقال ابن الأثير : بلد معروف بالبحرين ، وقال غيره : هي قصة بلاد البحرين ، والمثل التي ذكره المؤلف مشهور ، وقد ذكره الجوهري بلفظ « كبضع التمر إلى هجر » ونحوه في المعنى قولهم « كجالب الدر إلى البحر »

(٢) عدن : مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، وهي بلدة تجارية ، وهي مرفأً مراكب الهند ، وهي أقدم أسواق العرب ، وإلى اليمن طعة تنسب برود وجبر وأنواع من الوشئ

حجز دونه أنفأ من خدمة مولانا - خلدا الله ملكه - لما غمرني من فضله ،
وقيدني من أحسانه :

وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقِيدًا (١)

نفضت جراب صدى ، وانتقدت كنز معرقى ، وأيقنت أن صورة
الانسان ، فضلة عن القلب واللسان (٢) ، وأن استحقاقه للفضل ، إنما هو من
جهة النطق والعقل ، فثقلت له نفسي ، وأهديتها إليه ، ومثلت بها حقيقة بين
يديه ، إذ كانت الألفاس منوطة بالأنفس ، والمرء لولاها مواتٌ مُلقًى لا
خير فيه ، ولا نفع عنده ، وأيضاً فإن النفس تقوت الحس ، وإنما تُدزله
بالبصائر لا بالأبصار ، والسيد - أدام الله عزه - أعلم بمعذرتي ، وأقومُ
بمجتي ، من أن أعرض خزني على جوهره ، أو أقيسَ وشلي بأبحره ، بل
أستقبله وأسترشه ، وأستغفیه وأستجده ، ثم إنى لا أظهر حرقاً من كتابي
هذا إلا عن أمره وبعد إذنه ؛ لا كون به أقوى ثقة ، وله أشد مقة ، فإن
وقع منه بموقع ، وحل من قبوله في موضع ؛ بلغت الارادات ، ورجوت
الزيادات :

وَأَزْدُقُ الْقَجْرَ يَبْدُو قَبْلَ أَيَّامِهِ وَأَوَّلُ الْفَيْثِ قَطْرٌ ثُمَّ يَنْسَكِبُ
وَالْإِسْتِرْتِ سَتَرُ الْعُورَةِ ، وطرحته طرح القلامة ، لعل الله يحدث بعد
ذلك أمراً ، أسأله حسن التوفيق والهداية ، وأرغب إليه في العصمة والكفاية ،
بمنه وقدرته ، ولطفه ورحمته

(١) هذا عجز بيت لابن الطيب المتنبي ، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة
ابن حمدان ، وصدره :-

وَقِيدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ حَبْسَةً

(٢) يشير بهذه العبارة إلى قول الشاعر :-

لَيْسَانُ الْفَتَى يَصِفُ وَيَصِفُ فَوَادُهُ قَلَمٌ يَبْقَى إِلَّا صُورَةُ الْقَلَمِ وَالدَّمْ

(١) - باب في فضل الشعر

العرب أفضل الأمم ، وحكمتها أشرف الحكم ، لفضل اللسان على اليد ، والبعد عن امتنان الجسد ؛ إذ خروج الحكمة عن الذات ، بمشاركة الآلات ؛ إذ لا بد للإنسان من أن يكون تولى ذلك بنفسه ، أو احتاج فيه إلى آلة أو معين من جنسه .

وكلام العرب نوعان : منظوم ، ومثور . لكل منهما ثلاث طبقات : جيدة ، ومتوسطة ، وردية ، فاذا اتفق الطبقان في القدر وتساوتا في القيمة ولم يكن لاحدهما فضل على الأخرى كان الحكم للشعر ظاهراً في التسمية ؛ لأن كل منظوم أحسن من كل مثور من جنسه في معترف العادة ، ألا ترى أن الدر - وهو أخو اللفظ ونسيه ، وإليه يقاس ، وبه يشبه - إذا كان مثوراً لم يؤمن عليه ، ولم يتفجع به في الباب الذي له كسب ، ومن أجله انتخب ؛ وإن كان أعلى قدراً وأعلى ثمناً ، فاذا نظم كان أصون له من الابتذال ، وأظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال ، وكذلك اللفظ إذا كان مثوراً تبدد في الأسماع ، وتدرج عن الطباع ، ولم تستقر منه إلا المفرطة في اللفظ وإن كانت أجمل ، والواحدة من الألف ، وعسى أن لا تكون أفضله ، فإن كانت هي القيمة المعروفة ، والفريدة الموصوفة ؛ فكم في سقط الشعر من أمثالها ونظرائها ، لا يعبأ به ، ولا ينظر إليه ، فاذا أخذ منه سلك الوزن ، وعقد القافية ؛ تألفت أشناته ، وازدوجت فرائده وبناته ، واتخذ اللابس جمالاً ، والمدخر مالا ، فصار قرطة الأذان ، وقلاند الأعناق ، وأمانى النفوس ، وأكاليب الروس ، يقلب بالأسن ، ويخبأ في القلوب ، مصوناً باللب ، ممنوعاً من السرقة والغصب

وقد اجتمع الناس على أن المثور في كلامهم أكثر ، وأقل جيداً محفوظاً ، وأن الشعر أقل ، وأكثر جيداً محفوظاً ؛ لأن في أدناه من زينة الوزن والقافية ما يقارب به جيد المثور

وكان الكلام كله مثوراً فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها ، وطيب

أعراقها ، وذكر أيامها الصالحة ، وأوطانها النازحة ، وفرسانها الآتجة ،
وسمحاتها الأجواد ؛ لتهز أنفسهم إلى الكرم ، وتدل أبنائها على حسن الشيم
فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام ، فلما تم لهم وزنه سموه شعراً ؛
لأنهم شعروا به ، أى : فطنوا .

وقيل : ما تكلمت به العرب من جيد المنشور أكثر مما تكلمت به من
جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنشور عشرة ، ولا ضاع من الموزون عشرة .
ولعل بعض الكتاب المتصرين للنثر ، الطاعنين على الشعر ، يحتاج بأن
القرآن كلام الله تعالى منشور ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم غير شاعر ، لقول الله
تعالى : (وما علنناه الشعر ، وما ينبغي له) ويرى أنه قد أبلغ في الحجة ، وبلغ
في الحاجة ، والذي عليه في ذلك أكثر مما له ؛ لأن الله تعالى إنما بعث رسوله
أماً غير شاعر إلى قوم يعلمون منه حقيقة ذلك ، حين استوت الفصاحة ،
واشهرت البلاغة ، آية للنبوة ، وحجة على الخلق ، وإعجازاً للتعاطين ،
وجمله منشوراً ليكون أظهر برهاناً لفضله على الشعر الذى من عادة صاحبه
أن يكون قادراً على ما يحبه من الكلام ، وتحدى جميع الناس من شاعر وغيره
بعمل مثله فأعجزهم ذلك ، كما قال الله تعالى : (قل لئن اجتمعت الانس والجن
على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)
فكأن القرآن أعجز الشعراء وليس بشعر ، كذلك أعجز الخطباء وليس
بخطبة ، والمترسلين وليس بترسل ، وإعجازه الشعراء أشد برهاناً ، ألا ترى
كيف نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشعر لما غلبوا وتبين عجزهم ؟ فقالوا
هو شاعر ، لما في قلوبهم من هبة الشعر ونغمته ، وأنه يقع منه مالا يُلحَقُ
والمنشور ليس كذلك ، فن هنا قال الله تبارك وتعالى : (وما علنناه الشعر
وما ينبغي له) أى : لتقوم عليكم الحجة ، ويصح قبلكم الدليل ، ويشهد
لذلك رواية يونس عن الزهري أنه قال : معناه ما الذى علنناه شعراً وما ينبغي
له أن يبلغ عناشراً . وقال غيره : أراد وما ينبغي له أن يبلغ عنا ما لم نعلمه ،

أبي : ليس هو ممن يفعل ذلك ؛ لأماته ومشهور صدقه . ولو أن كون النبي صلى الله عليه وسلم غير شاعر غرض من الشعر لكانت أميته غرضاً من الكتابة ، وهذا أظهر من أن يخفى على أحد .

واحتج بعضهم بأن الشعراء أبداً يخدمون الكتاب ، ولا تجد (١) كاتباً يخدم شاعراً ، وقد عمت عليهم الأنباء ، وإنما ذلك لأن الشاعر واثق بنفسه ، مُدِلٌّ بما عنده على الكاتب والملك ، فهو يطلب ما في أيديها ويأخذه ، والكاتب بأى آية يفضل (٢) الشاعر فيرجو ما في يده ؟ وإنما صناعته فضلة عن صناعته على أن يكون كاتب بلاغة ، فأما كاتب الخدمة في القانون وما شاكله فصانع مستأجر ، مع أنه قد كان لا في تمام والبحترى قهارمة (٣) وكتاب ، وكان من عيان الشعراء كتاب أزمة كبشار (٤) وأبي علي البصير ، وكان ابن الرومي من أكبر كتاب الدواوين فغلب عليه الشعر ؛ لانه غلب . وكما تجد من يمدح السوق في الشعراء فكذلك تجد للسوق كتاباً ، وللتجار الباعة في زماننا هذا وقبله .

ولم أجهم بهذا الرد ، وأورد هذه الحجة ، لولا أن السيد - أبقاه الله - قد جمع النوعين ، وحاز الفضيلتين ، فهما نقطتان من بحره ، وثنوأتان (٥) من زهره ، وسيرد في أضفاف هذا الكتاب من أشعاره ما يكون دليلاً على صدق ما قلته ، إن شاء الله تعالى .

(١) في نسخة « يخدمون »

(٢) في نسخة « يقصد »

(٣) قهارمة : جمع قهرمان - بفتح القاف وسكون الهاء وفتح الراء - قال في اللسان : هو كالحازن والوكيل الحافظ لما تحت يده والقائم بأمر الرجل . بلغه القهرس (٤) قال الجاحظ : « كان بشار خطيباً صاحب منشور ، ومزدوج ، وسجع ، ورسائل ، وهو من المطبوعين ، أصحاب الإبداع والاختراع ، المتقنين في الشعر ، للثائلين في أكثر أجناسه وضرويه » له

(٥) واحدهما نوادة - بضم النون ، وتشديد الواو - والجمع نوار مثل رمان

ومن فضل الشعر أن الشاعر يخاطب الملك باسمه ، وينسبه إلى أمه ، ويخاطبه بالكاف كما يخاطب أقلّ السوق ، فلا ينكر ذلك عليه ، بل يراه أوكد في المدح وأعظم اشتهاً للمدح ، كل ذلك حرص على الشعر ، ورغبة فيه ، وليقائه على مر الدهور واختلاف العصور ، والكاتب لا يفعل ذلك إلا أن يفعله منظوماً غير مشور ، وهذه مزية ظاهرة وفضل بين

ومن فضائله أن الكذب الذي اجتمع الناس على قبحه - حَسَنٌ فيه ، وحسبك ما حسن الكذب ، واغفر له قبحه ، فقد أوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير لما أرسل إلى أخيه بُجَيْرٍ ينهيه عن الإسلام ، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم بما أحفظه ، فأرسل إليه أحموه : ويحك ، إن النبي صلى الله عليه وسلم أوعدك لما بلغه عنك ، وقد كان أوعد رجلاً بمكة ممن كان يهجو ويؤذيه قتلهم - يعني ابن خطل (١) وابن حباب (٢) - وإن من بقي من شعراء قریش كابن الزُبَيْرِ وهيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه ، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر (٣) إلى

(١) ابن خطل - بفتح كل من الخاء والطاء - قيل : اسمه عبد الله بن خطل ، وقال القاسم بن سلام : هو هلال بن خطل الأدرمي ، وعبد الله اسم أبيه خطل وقال الزبير بن بكار : اسمه آدم القرشي الأدرمي ، وهو من ولد تميم بن غالب ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أهدر دمه لارتداده مشركاً ولأنه كان يأمر قبيلتين له بأن تغنيا بهجاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد قتل أبو هريرة الأسلمي يوم الفتح وهو متعلق بأستار الكعبة

(٢) ابن حباب - بضم الخاء المهملة - وكان في الأصول بضاد معجمة ، وفي سيرة ابن هشام بضاد مهملة ، والصواب ما أثبتناه ، وهو مقيس - بضم منبر - أحد بني كلب بن عوف من الدليل ، وقد قتل نيلة بن عبد الله ، وهو رجل من قومه ، يوم فتح مكة ؛ لأنه كان قد قتل رجلاً من المسلمين ثم ارتد مشركاً ، فأهدر النبي دمه (٣) في نسخة وفصر ، وهي رواية شرح قصيدة كعب لابن هشام ، ورواية

السيرة كما أثبتنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لا يقتل من جاء تائباً، وإلا فأنج إلى نجاتك؛ فإنه والله قاتلك، فضاعت به الأرض، فأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منكراً، فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر وضع كعب يده في يده صلى الله عليه وسلم ثم قال: يا رسول الله، إن كعب بن زهير قد أتى مستأمناً تائباً، أفتؤمنه فأتيك به؟ قال: هو آمن، لحصر كعب عن وجهه وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله [هذا] مكان العائد بك، أنا كعب بن زهير، فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنشد كعب قصيدته التي أولها: —

بَانتْ سَعَادُ فَقُلِّي الْيَوْمَ مَتَّبُولُ مُسَيِّمٌ لِمَرْهَا لَمْ يَفِدْ مَكْبُولُ
يقول فيها بعد تغزله وذكر شدة خوفه ووجله: —

أَنْبِئْتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
مَهْلًا هَذَا الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْقُرْآنِ فِيهِ مَوَاعِظٌ وَتَفْصِيلُ
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوَشَاةِ فَلَمْ أَذَنْبُ، وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقْوَالِ
فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم قوله، وما كان ليوعده على باطل، بل تجاوز عنه ووهب له بُرْدَتَهُ، فاشتراها منه معاوية بثلاثين ألف درهم، وقال العتيبي^(١) بعشرين ألفاً، وهي التي يتوارثها الخلفاء يلبسونها في الجمع والاعياد تبركاً بها.

وذكر جماعة — منهم عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي الشاعر — أنه أعطاه مع البردة مائة من الابل، قال: وقال الأصوصي يَدُ كَرِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ
عطية رسول صلى الله عليه وسلم كعباً، وقد توقف في عطائه الشعراء: —
وقبلك ما أُعْطِيَ هَنِيْدَةٌ^(٢) جِلَّةٌ عَلَى الشَّعْرِ كَعْباً مِنْ سَدِيسٍ وَبَازِلِ
رسولُ الْآلَةِ الْمُسْتَضَاءِ بِنُورِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالضَّحَى وَالْأَصَائِلِ

(١) في نسخة «العتيبي» (٢) هنيْدَةٌ: اسم للمائة من الابل، ويقال «سدیس»

للناقة إذا كانت في السنة الثامنة، والبازل: فوق السديس

واعتمر حسان بن ثابت من قوله في الإفك بقوله لعائشة رضى الله عنها
في آيات مدحها بها : —

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيَّةٍ وَتُصْبِحُ غَرْقَى مِنْ لَحُومِ الْغَوَافِلِ
يقول فيها : —

فان كنت قد قلت الذى قدز عتم فلا رفعت سوطى إلى أنامل
ثم يقول : —

فان الذى قد قيل ليس بلائط^(١) ولكنه قول امرئى بن ماحل
فاعتمر كما تراه مغالطاً فى شئ. نفذ فيه حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالحد، وزعم أن ذلك قول امرئى ماحل، أى : مكاييد، فلم يعاقب لما يرون
من استخفاف كذب الشاعر، وأنه يحتج به ، ولا يحتج عليه.
وسئل أحد المتقدمين عن الشعراء فقال : ما ظنك بقوم الاقتصاد محمود
إلا منهم ، والكذب مفعوم إلا فيهم .

حكى أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين النيسابورى أن كعب الأبحار قال له
عمر بن الخطاب وقد ذكر الشعر : يا كعب ، هل تجد للشعراء ذكراً فى التوراة ؟
فقال كعب : أجد فى التوراة قوماً من ولد إسماعيل ، أناجيلهم فى صدورهم
ينطقون بالحكمة ، ويضربون الأمثال ، لا نعلمهم إلا العرب .

وقيل : ليس لأحد من الناس أن يطرى نفسه ويمدحها ، فى غير منافرة ،
إلا أن يكون شاعراً ، فان ذلك جائز له فى الشعر ، غير معيب عليه

لبر وقال بعضهم — وأظنه أبا العباس الناشئ — العلم عند الفلاسفة ثلاث
طبقات : أعلى ، وهو علم ما غاب عن الحواس فأدرك بالعقل أو القياس ،
وأوسط ، وهو علم الآداب النفيسة التى أظهرها العقل من الأشياء الطبيعية

(١) فى نسخة : ليس بمقول ، وما أثبتناه هو رواية الديوان ، وقوله « ليس بلائط »
معناه : ليس بلازم ولا لائق ، وتقول : هذا المقال لا يلوط بفلان ، بمعنى لا يابصق
به ، والملاحل : الذى يعنى بالنسيمة ويسمى إلى السلطان ، وتفسير المؤلف لمقرئ من هذا

كالأعداد والمساحات وصناعة التنجيم وصناعة اللحن ، وأسفل ، وهو العلم بالاشياء الجزئية والأشخاص الجسمية ، فوجب — إذا كانت العلوم أفضلها مالم تشارك فيه الجسم — أن يكون أفضل الصناعات مالم تشارك فيه الآلات ، وإذا كانت اللحن عند الفلاسفة أعظم أركان العمل الذي هو أحد قسمي الفلسفة وجدنا الشعر أقدم من لحنه لاحتالة ، فكان أعظم من الذي هو أعظم أركان الفلسفة ، والفلسفة عندهم علم وعمل . هذا معنى الكلام المتقول عنه مختصراً وليس نصاً .

فان قيل في الشعر : إنه سبب التكشف ، وأخذ الأعراض : وما شبه ذلك ؛ لم يلحقه من ذلك إلا ما يلحق المشور

ومن فضائله أن اليونانيين إنما كانت أشعارهم تقيد العلوم والاشياء النفيسة والطبيعة التي يخشى فهاها ، فكيف ظنك بالعرب الذي هو غررها العظيم وقسطاسها المستقيم ؟

وزعم صاحب الموسيقى أن الذم الملائكها اللحن ، ونحن نعلم أن الأوزان قواعد الألحان ، والأشعار معايير الأوتار لا محالة ، مع أن صنعة صاحب الألحان واضحة من قدره ، مستخدمة له ، نازلة به ، مسقطه لمروته . ورتبة الشاعر لا مهانة فيها عليه ، بل تكسبه مهابة العلم ، وتكسوه جلالة الحكمة فأما قيامه ^(١) وجلس صاحب اللحن فلأن هذا متشوف إليه يجب إسماع من بحضرته أجمعين ، بغير آلة ولا معين ، ولا يمكنه ذلك إلا قائماً أو مشرفاً ، وليلد على نفسه ، ويعلم أنه المتكلم دون غيره ، وكذلك الخطيب . وصاحب اللحن لا يمكنه القيام لما في حجره كرامة منه ^(٢) على القوم ، على أن منهم من كان يقوم بالدف والمزهر .

(١) يريد أن الشاعر ينشد شعره وهو قائم ، وصاحب الألحان يطرب وهو جالس

(٢) هكذا في الأصول كلها ، ونعتقد أن الصواب « لا كرامة به على القوم »

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكماً » ، وقيل « لحكمة » : فقرن البيان بالسحر فصاحة منه صلى الله عليه وسلم ، وجعل من الشعر حُكماً ؛ لأن السحر يُخيل للإنسان ما لم يكن للواقع وحيلة صاحبه ، وكذلك البيان يتصور فيه الحق بصورة الباطل ، والباطل بصورة الحق ؛ لرفعة معناه ، ولطف موقعه ، وأبلغ البياتين عند العلماء الشعر بلا مدافعة ، وقال ^(١) رؤبة : —

لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ سَاحِرًا رَاوِيَةً مَرًّا وَمَرًّا شَاعِرًا
فقرن الشعر أيضاً بالسحر لتلك العلة ، ويروى أيضاً * لقد حَسُنَتْ *
بسين مضمومة غير معجمة ، ونون ، والتاء مفتوحة . .

(٢) — باب في الرد على من يكره الشعر

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه ^(٢) فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه » وقد قال عليه الصلاة والسلام : « إنما الشعر كلام ، فمن الكلام خبيث وطيب » . وقالت عائشة رضي الله عنها : الشعر فيه كلام حسن وقبيح ، فخذ الحسن واترك القبيح . ويروى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى لحسان بن ثابت في المسجد منبراً يشد عليه الشعر . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الشعر ميزان القول ، ورواه بعضهم : الشعر ميزان القوم

وروى ابن عائشة يرفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشعر

(١) في ديوان أراجيز رؤبة أرجوزة طويلة على هذه القافية ليس فيها

هذا البيت

(٢) في المصرتين « عنه » وليس بشيء .

كلام من كلام العرب جَزَلٌ ، تتكلم به في بواديها ، وتسل به الضغائن من بينها ، « وأنشد ابن عائشة قول أعشى بنى قيس بن ثعلبة : —

قَلْدَتْكَ الشَّعْرَ يَا سَلَامَةً ذَا فَايِسَ وَالشَّيْءُ حَيْثُ مَا جَبَلًا ^(١)
وَالشَّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الْكَرِيمَ كَمَا يَنْزِلُ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّبَلَا

ويروى عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما قالت : مر الزبير بن العوام رضى الله عنه بمجلس لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وحسان يشددهم ، وهم غير آذنين لما يسمعون من شعره ، فقال : ما لي أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريجة ؟ لقد كان يشد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحسن استماعه ، ويجزل عليه ثوابه ، ولا يشتغل عنه إذا أنشده

ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بحسان وهو يشد الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أرغاء كرهاء البكر ؟ فقال حسان : دعني عنك يا عمر ، فوالله إنك لتعلم لقد كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك فما يغير عليّ ذلك ، فقال عمر : صدقت

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبي موسى الأشعري : « مر من قبلك بتعلم الشعر ، فإنه يدل على معالي الأخلاق ، وصواب الرأي ، ومعرفة الأنساب .

وقال معاوية رحمه الله : يجب على الرجل تأديب ولده ، والشعر أعلى مراتب الأدب .

وقال : اجعلوا الشعر أكبر همكم ، وأكثر دأبكم ، فلقد رأيت ليلة الحرير بصفين — وقد أتيت بفرس أغر محجل بعيد البطن من الأرض ، وأنا

(١) البيتان في ديوان الأعشى (ص ١٧٥) ويروى في البيت الأول « يا سلامة ذا الفضل » ويروى « يا سلامة ذا التقصار » وهي القلائد ، ويروى في الثاني « كما استنزل رعد » والسبل — بفتحين — المطربين السحاب والأرض

أريد الحرب لئدة البلوى — فما حملني على الإقامة إلا آيات عمرو بن
الإطابة : —

أَبَتْ لِي مِمْتِي وَأَبَى بِلَائِي وَأَخَذَنِي الْحَدَّ بِالْفَرْجِ الرِّيحِ
وَأَقَامَنِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرَبَنِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمُشِيجِ
وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأْتُ وَجَاشَتْ : مَكَانَكَ تُحَمِّدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي
لَأَدْفَعَنَّ عَنْ مَا تَرْتِ صَلَاحَاتِي وَأُحَمِّي بَعْدَ عَنِ عَرَضٍ صَحِيحِ
وَيُرَوَّى أَنَّ أَعْرَابِيًّا وَقَفَ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ :
إِنِّي لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ رَفَعْتَهَا إِلَى اللَّهِ قَبْلَ أَنْ أَرْفَعَهَا إِلَيْكَ ، فَإِنْ أَنْتَ قَضَيْتَهَا
حَمَدَتُ اللَّهَ تَعَالَى وَشَكَرْتُكَ ، وَإِنْ لَمْ تَقْضِهَا حَمَدْتُ اللَّهَ تَعَالَى وَعَذَرْتُكَ ، فَقَالَ
لَهُ عَلِيٌّ : خَطُّ حَاجَتِكَ فِي الْأَرْضِ ، فَأَنَّى أَرَى الضَّرْعَ عَلَيْكَ ، فَكَتَبَ الْأَعْرَابِيُّ
عَلَى الْأَرْضِ « إِنِّي فَقِيرٌ » فَقَالَ عَلِيٌّ : يَا قَبْرِ ، ادْفَعْ إِلَيْهِ حَتَّى الْفَلَانِيَّةِ ، فَلَمَّا
أَخَذَهَا مَثَلَّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ : —

كسوتني حُلَّةٌ تَبْلَى عَاسُهَا فَسَوْفَ أَكُودُكَ مِنْ حَسَنِ الثَّاحِلَاتِ
إِنْ الثَّنَاءُ لِيَحْيِي ذَكَرَ صَاحِبِهِ كَالْفَيْثِ يُحْيِي نَدَاهُ السَّهْلَ وَالْجَبَلَ
لَا تَزْهَدْ الدَّمْرَ فِي عُرْفٍ بَدَأَتْ بِهِ فَكُلُّ عَبْدٍ سَيُجْزَى بِالَّذِي فَعَلَ
فَقَالَ عَلِيٌّ : يَا قَبْرِ ، أَعْطَهُ خَمْسِينَ دِينَارًا ، أَمَا الْحَلَّةُ فَلَسَأَلْتُكَ ، وَأَمَا الدَّنَائِيرُ
فَلَأَدْبَكَ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ »
وَقِيلَ لِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ : إِنَّ قَوْمًا بِالْمَرَاكِ يَكْرَهُونَ الشَّعْرَ ، فَقَالَ :
نَسَكُوا نَسَكًا أَعْجَبِيَا .

وقال ابن سيرين : الشعر كلام عقد بالقوافي ، فما حسن في الكلام حسن
في الشعر ، وكذلك ما قبح منه .

وسئل في المسجد عن زواية الشعر في شهر رمضان . — وقد قال قوم : إنها
تنقض الوضوء — فقال : —

نُبِّئْتُ أَنَّ قَتَاةَ كُنْتُ أُخْطِبُهَا عُرْفُو بِهَا مِثْلُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي الطَّوْلِ

ثُمَّ قَامَ فَأَمَّ النَّاسَ ، وَقِيلَ : بَلْ أَتَشُدُّ :

لَقَدْ أَصْبَحَتْ عَرَسٌ^(١) الْفَرَزْدَقُ نَاشِراً

وَلَوْ رَضِيَتْ رُمُحَ آسَتِهِ لَا سَقَرَتْ

وقال الزبير بن بكار : سمعت العمري يقول : رَوُّوا أولادكم الشعر ؛ فانه

يَحُلُّ عُقْدَةَ اللِّسَانِ ، وَيَشْجَعُ قَلْبَ الْجَبَانِ ، وَيَطْلُقُ يَدَ الْبَخِيلِ ، وَيَحْضُ عَلَى الْخَلْقِ الْجَلِيلِ .

وهل ابن عباس : هل الشعر من رفث القول ؟ فأشدد : —

وَهَنْ يَمْشِينَ بَنَاهُمِيسَا إِنْ تَصَدَّقِي الطَّيْرُ نَبْلِكَ لَيْسَا

وقال : إنما الرفث عند النساء ، ثم أحرم للصلاة .

وكان ابن عباس يقول : إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب ؛ فان الشعر ديوان العرب . وكان إذا سئل عن شيء من القرآن أشدد فيه شعراً .

وكانت عائشة رضي الله عنها كثيرة الرواية للشعر ، يقال : إنها كانت تروى جميع شعر لبيد .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تدع العرب الشعر حتى تدع الأبل الحنين » .

وكان أبو السائب المخزومي - على شرفه ، وجلالته ، وفضله في الدين والعلم - يقول : أما والله لو كان الشعر محرماً لوردنا الرحبة كل يوم مراراً . والرحبة : الموضع الذي تقام فيه الحدود ، يريد أنه لا يستطيع الصبر عنه فيُحْدِثُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَاراً وَلَا يَتْرُكُهُ .

(١) عرس الرجل - بكسر السين وسكون الراء - نوجه

(٢) - المصنف - ج (١)

فأما احتياج مَنْ لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى : (والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون) فهو غلط ، وسوء تأول ؛ لأن المقصودين بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ، وسوء بالأذى ، فأما مَنْ سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك ، ألا تسمع كيف استثناهم الله عز وجل ونبه عليهم فقال : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً واتصروا من بعد ما ظلموا) يريد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم الذين يتصرون له ، ويحييون المشركين عنه ، لحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة . وقد قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم : « هؤلاء النفر أشد على قريش من نضج (١) النبل » ، وقال لحسان بن ثابت « اهجم - يعني قريشا - فوالله لهماؤك عليهم أشد من وقع السهام ، في غلس الظلام ، اهجم ومعلك جبريل روح القدس ، والقي أبابكر يعلمك تلك الهنات » . فلو أن الشعر حرام أو مكروه ما اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم شعراء يثيهم على الشعر ، ويأمرهم بعمله ، ويسمعه منهم .

وأما قوله عليه الصلاة والسلام : « لأن يمتلي جوف أحدكم قينحاً (٢) حتى يريه خير له من أن يمتلي شعراً » فانما هو من غلب الشعر على قلبه ، وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فروضه ، ومنعه من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ، والشعر وغيره - مما جرى هذه المجزى من شطرنج وغيره - سواء . وأما غير ذلك ممن يتخذ الشعر أدبا وفكاهة وإقامة مروءة فلا جناح عليه ، وقد قال الشعر كثير من الخلفاء الزائدين . والجللة من الصحابة والتابعين ،

(١) نضج النبل : الرى بها .

(٢) القينح : المدة ، وقد طاحت القرحة ، وقيحت . وقال الجوهري : وري

القينح جوفه يريه : أكله ، وقال قوم : معناه أصاب رثته ، وأنكره آخرون ، لأن الرثة مهموزة فإذا يليت منها فملاقت : رآه .

والفقهاء المشهورين ، وسأذكر من ذلك طرفاً يقتدى به في هذا الباب ، إن شاء الله تعالى

(٣) - باب في أشعار الخلفاء ، والقضاة ، والفقهاء

من ذلك قول أبي بكر الصديق ^(١) رضي الله عنه - قالوا : واسمه عبد الله ابن عثمان ، ويقال : عتيق لقب له - قال في غزوة عبيدة بن الحارث : رواه ابن اسحاق وغيره :-

أمن طيف سلى بالبطاح الدماث
ترى من لؤى فرقة لا يصدُّها
أرقت ، أو أمر في العشرة حادث ؟؟
عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
رسول أتاهم صادق فتكذبوا
عليه ، وقالوا : لست فينا بما كذب
إذا مادعونا هم إلى الحق أدبروا
وهروا هزواً لمجترات ^(٢) اللواث
فكم قد متكتنا ^(٣) فيهم بقراءة
وترك التقي شئ لهم غير كارث
فان يرجعوا عن كفرهم وعقوقهم
فاطيات الحل مثل الجاثث
وإن يركبوا طغيانهم وضلالهم
فليس عذاب الله عنهم بلائث
ونحن أناس من قذابة غالب
لنا العز منها في الفروع الأثاث ^(٤)

(١) قال ابن هشام : « وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لأبي بكر رضي الله عنه » أ ه وقال السهيلي : « ويشهد لصحة من أنكروا أن تكون له ماروي عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : كذب من أخبركم أن أبا بكر قال بيت شعر في الإسلام » أ ه

(٢) كان في الأصول المطبوعة « المجترات » بتقديم الهمزة ، والتصويب عن سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ٣ بولاق) وعن الروض الأنف (ج ٢ ص ٥٥)

(٣) في المطبوعتين « ملنا » وهو خطأ ، والتصويب عن السيرة في المكنز السابق

(٤) في المطبوعتين « الأثاث » وهو خطأ

فأولى رب الرافعات عثية حراجيج تخذى في السرج الرائث
كأدم ظباء حول مكة عكف يردن حياض البئر ذات النبائث
لن لم يفيقوا عاجلاً من ضلالهم ولست إذا آليت قولا بمحاث
لتبتدريهم غارة ذات مصدق تحرم أطهار النساء الطوامث
تغادر قتلى تعصب الطير حولهم ولا يرأف الكفار رأف ابن حارث
فأبلغ بنى سهم لديك رسالة وكل كفور يتغنى الشر باحث^(١)
فان تشموا عرضي على سوء رأيهم فاني من أعراضهم غير شاعث^(٢)
ومن شعر عمر بن الخطاب رضى الله عنه - وكان من أقصد أهل زمانه
للشعر وأقنهم فيه معرفة - وروى للأعور الشقي : -

هوّن عليك فان الأمور بكف الآله مقاديرها

فليس بأتيك منيها ولا قاصر عنك مأمورها

ومن شعره أيضاً - وقد لبس برداً جديداً فنظر الناس إليه - وقد روى

لورثة بن نوفل في أبيات : -

لا شيء مما ترى تبقى بشاشتى يبقى الآله ويفنى المال والولد

لم تشن عن هزم يوماً خزائنه والخلد قد حاولت عاد فاخلدوا

ولا سليمان إذ تجرى الرياح له والجن والانس فيما بينها ترد

حوض هنالك مورود بلا كذب لا بد من ورده يوماً كما وردوا

ومن شعره أيضاً رضى الله عنه : -

توعدنى كعب ثلاثا يصدّها ولا شك أن القول به اقل إلى كعب

وما بي خوف الموت إني لميت ولكن خوف الذنب يقبه الذنب

(١) في المطبوعتين « ملجث »

(٢) رواية هذا البيت في السيرة :

فان تشموا عرضي على سوء رأيكم فاني من أعراضكم غير شاعث

ومن شعر عثمان بن عفان رضي الله عنه : —
 غنى النفس يغنى النفس حتى يكفها وإن عَضَّها حتى يضرَّ بها الفقرُ
 وما عُسرة — فاصبر لها إن لقيتها — بكائنة إلاَّ سيَتْبُعها يُسرُ
 ومن شعر علي بن أبي طالب رضي الله عنه — وكان مجوداً — ما قاله
 يوم صفين يذكر ممدان ونصرهم إياه : —

ولما رأيتُ الخَلَّ تَرجُمُ بالقنا نواصيها حمرُ النحور دَوامي
 وأعرضَ نَقْعُ في السماء كأنه عجاجةُ دَجَنٍ ملْبَسٍ بقتام
 ونادى ابنُ هند في الكلاع وحير وكيدة في الحَمِّ وحى جذام
 تيممت ممدان الذين همُّهم إذا ناب دهرٌ — جُتَّى وسهامي
 فجأوني من خيل ممدان عصبة فوارسُ من ممدان غيرُ لثام
 فغاضوا لظاهها واستطاروا شرارها وكانوا لدى الهيجا كشرِّبِ مدام
 فلو كنت بواباً على باب جنة لقلتُ لممدان : ادخلوا بسلام
 وهو القائل بصفين أيضاً : —

لمن راية حمراءُ ^(١) يخفق ظلُّها إذا قلتُ قدَّهها حُصَيْنُ تقدما
 فيوردها في الصف حتى يردَّ بها حياضُ المنايا تقطرُ الموت والدما
 هؤلاء الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم : ما منهم إلا من قال الشعر ،
 وخاسمهم الحسن بن علي رحمه الله ، وهو القائل — وقد خرج على أصحابه
 محتضبا — رواه المبرد : —

نسودُّ أعلاها ، وتأتي أصولها ، فليت الذي يسودُّ منها هو الأصل ^(٢)
 ومن شعر معاوية بن أبي سفيان رحمه الله عليه ما رواه ابن الكلبي عن

(١) في نسخة : سوداء

(٢) يريد أنه يسود أطراف شعره والظاهر منه بالخضب ، ولكن جنود

الشعر تأتي إلا البقاء على الشيب ١١

عبد الرحمن المدني ، قال : لما حضرت معاوية الوفاة جعل يقول : —

إِنْ تَنَاقَشْ يَكُنْ يَنَاقُشُكَ يَارَبُّ عَذَابًا ، لَا طَوْقَ لِي بِالْعَذَابِ
أَوْ تَجَاوِزْ فَأَنْتَ رَبُّ رَهَوفٍ عَنْ مَسْئَةِ ذُنُوبِهِ كَالْثَرَاتِ
وروى في غير موضع واحد : —

قَدَدْتُ سَفَاهَتِي ، وَأَزَحْتُ غَيِّي وَفِيَّ عَلَى تَحَلِّيِّ اعْتِرَاضُ
عَلَى أَنِّي أَجِيبُ إِذَا دَعَتْنِي إِلَى حَاجَاتِهَا الْحَقُّ الْمَرِاضُ
ومن قوله أيضاً ، وهو لا تق به ، دال على صحة ناقله : —

إِذَا لَمْ أَجِدْ بِالْحِلْمِ مِنْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي بَعْدِي يُؤْمَلُ لِلْحِلْمِ ؟
خَذِيهَا هَنِيئًا وَإِذَا كَرِيًّا فَعَلَّ مَا جِدَّ حَبَاكَ عَلَى حَرْبِ الْعِدَاوَةِ بِالسَّلَامِ
وأما يزيد بن معاوية فَمَنْ بَعْدَهُ فَكثير شعرهم مشهور . ومن شعر
الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وقد عاتبه أخوه الحسن رحمه الله في
امرأته : —

لِعَمْرِكَ إِنِّي لِأَحِبُّ دَارًا تَحْمِلُ بِهَا سُكِينَةَ وَالرَّبَابِ
أَحَبُّمَا وَأَبْذَلُ جُلٍّ مَالٍ وَلَيْسَ لِلْأَمْنِيِّ عِنْدِي عِتَابُ

وليس من بني عبد المطلب رجالاً ونساءً من لم يقل الشعر ، حاشا النبي
صلى الله عليه وسلم : فمن ذلك قول حمزة بن عبد المطلب رحمه الله يذكر لقاءه
أباجهلاً وأصحابه في قصيدة تركت أكثرها اختصاراً : —

عَشِيَّةً صَارُوا حَاشِدِينَ وَكُنَّا مَرَاجِلَهُ مِنْ غِيظِ أَصْحَابِهِ تَغْلِي
فَلَمَّا تَرَاءَيْنَا أَنَاخُوا فَفَقَلُّوا مَطَايَا وَعَقَلْنَا مَدَى غَرَضِ النَّبْلِ
وَقَلْنَا لَهُمْ : حَبْلُ الْإِلَهِ نَصِيرُنَا وَمَا لَكُمْ إِلَّا الضَّلَالَةُ مِنْ حَبْلِ
قَتَارِ أَبُو جَهْلٍ هُنَالِكَ بَاغِيَا فَخَابَ وَرَدَّ اللَّهُ كَيْدَ أَبِي جَهْلٍ
وَمَا نَحْنُ إِلَّا فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبًا وَهُمْ مَائَتَانِ بَعْدَ وَاحِدَةٍ فَضَلَّ

وأما العباس فكان شاعراً مقلداً حسن التهدي : من ذلك قوله رحمه الله
يوم حنينٍ يفخر بثبوته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم :-
ألا هل أتى عيسى مكرى وموقى بوادي حنين والاسنة تشرع
وقولي إذا ما النفس جاشت لها قدى وهام تدهدى والسواعد تقطع
وكيف رددت الخيل وهي مغيرة بزوراء تعطى باليدين وتمنع
فصرنا رسول الله في الحرب سبعة (١) وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا
ومن شعر عبد الله بن عباس رضي الله عنه :-

إذا طارقات الهم ضاجعت الفتى وأعمل فكر الليل والليل عاكر
وباكرني في حاجة لم يجد بها سواي ولا من نكبة الدهر ناصر
فرجت بمالي همه من مقامه وزايله هم طروق مسامر
وكان له فضل على بظنه في الخير ، إلى الذي ظن شاكر
ومن شعر جعفر بن أبي طالب ذي الجناحين رضي الله عنه قوله يوم مؤنة
وفيه قتل رحمة الله عليه :-

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها على إذ لاقيتها ضرابها
وشعر أبي سفيان بن الحارث مشهور في الجاهلية والإسلام . فأما أبو طالب
ومن شاكره فلم أذكر لهم شيئاً ، خلا بيتين لعبد الله بن عبد المطلب أنشدهما
القاضي أبو الفضل ، وهما :-
وأحور مخضوب البنان محجب دعاني فلم أعرف إلى مادعا وجها

(١) أثبت التاريخ أن المسلمين في غزوة حنين لما انهزموا أمام هوازن وتقيف
ومن لف لقمهم من الأعراب ، بقي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمانية
رجال ، هم : أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، والعباس ، والقاضي بن العباس ، وأبو سفيان
ابن الحارث ، وأخوه ربيعة بن الحارث ، ومعتب بن أبي لهب . وكان رسول الله
راكبا بغلته ، والعباس أخذ بلجامها ، وأبو سفيان أخذ بالركاب

بخلت بنفسى عن مقام يشينها فليست مريداً ذاك طوعاً ولا كرهاً
وكانت فاطمة رضى الله عنها تقول الشعر ، رويت لها أشياء كثيرة . ثم
ترجع إلى الخلفاء المرضيين : قال عمر بن عبد العزيز ، رواه الأوزاعي عن
محمد بن كعب : -

أيقظان أنت اليوم أم أنت حالم ؟ وكيف يطيق النوم حيران هائم
فلو كنت يقظان الغداة لحرقت نهارك يامرور سهو وغفلة
وتشغل فيما سوف تذكره غيبة وكذلك في الدنيا تعيش البهائم
وبما أثبتته حماد الراوية من شعره :-

إنه القواد عن الصبا وعن انقيادك للهوى (١)
فلعمرك ربك إن في شيب المفارق والجللا
لك واعظاً لو كنت ته مظل اتعاط ذوى النهى
حتى متى لا ترعوى وإلى متى وإلى متى ؟
بلى الشباب وأنت إن عمرت رهن البلى
وكفى بذلك زاجراً للره عن غمر كفى

ومن شعره أيضاً أنشده ابن داود القياسى في كتابه :-

ولولا النهى ثم التقي خشية الردى لما صيت في حب الصبا كل زاجر
صبا ما صابا فيما مضى ثم لا ترى له صبوة أخرى الليالى الغوارب
ومن قول عبد الله بن الزبير قوله - وقد ولى الحرمين مدة ، ودعى بأمر
المؤمنين ماشاء الله حتى قتل ، رحمة الله عليه - وقد روى لعبد الله بن الزبير -
بفتح الزاى وكسر الباء :-

(١) فى المطبوعتين « وعن انقياده » ويلزمه سكون الهاء - وهى ضمير

الغائب - فى غير وقف ، وليس بشئ ، والأفضل ما أثبتناه

لأحسبُ الشرَّ جاراً لا يفارقي ولا أحزُّ على ما فاتني الودَّ جاً
وما لقيتُ من المكروهِ منزلةً إلا وَفَّيْتُ بأنَّ ألقى لها فرجاً
ومن قوله المشهور عنه :-

وكم من عدوٍّ قد أرادَ مساءًتي بغيبي ولو لاقيته لتندما
كثير الخنا حتى إذا مالقيته أصرَّ على إثم وإن كان أقبما
وحسبك من القضاة شرحُ بن الحارث : كان شاعراً مجوداً ، وقد
استقضاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كتب إلى مؤدب ولده - وقد
وجده وقت الصلاة يلعب بجرى كلب ، وأودع الآياتِ رقعةً وأنفذها
مع ولده محتومة إلى المؤدب :-

ترك الصلاة لأكلٍ يسى بها . طلبَ المِرَاش مع الفؤادِ الرُّجسِ
فليأتينكَ غدوةٌ بصحيفةٍ كتبتُ له كصحيفةِ المتلمسِ
فاذا هممت بضربه قِـدْرَةٌ وإذا بلغت به ثلاثاً فاحبسِ
واعلم بأنك ما آتيتَ نفسه مع ما يجزُّ عني أعزُّ الانفسِ
فهذا شريح ، وهلم جرا إلى حيث شئت . ومن الفقهاء عبيد الله بن عبيد الله
ابن عتبة بن مسعود ، قال في امرأة من هذيل قدمت المدينة ففتن بها الناس
ورغبوا فيها خاطبين :-

أجلكِ جأ لو علتِ يعضه لجدتِ ولم يصعب عليكِ شديدُ
وحبكِ يأمُ الوليد مولى شيدى أبوبكر فقم شديدُ
ويعلم وجدى قاسم بن محمد وعروة ما أخفى بكم وسعيد
ويعلم ما ألقى سليمان عليه وخارجةٌ يدى بنا ويعيد
مضى تسألنى عما أقول تخبرى فقه عندى طارفٌ وتليد

هؤلاء الستة الذين ذكرهم : أبوبكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ،
وقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وعروة بن الزبير بن العوام ، وسعيد

ابن المسيب ، وسليمان بن يسار ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وعبيد الله صاحب هذا الشعر هو سابعهم ، وهم فقهاء المدينة ، وأصحاب الرأي الذين هم عليهم المدار .

وقد كان جماعة من أصحاب مالك بن أنس يرون الغناء بغير آلة جائزاً ، وهو مذهب جماعة من أهل مكة والمدينة ، والغناء حلة الشعر إن لم يلبسها طويت ، ومحال أن يحرم الشعر من يحل الغناء به .

وأما محمد بن إدريس الشافعي فكان من أحسن الناس اختتاماً في الشعر ، وهو القائل : -

ومتعب العيس مرتاحاً إلى بلدي والموت يطلبه في ذلك البلد •
وحاحك المنايا فوق مفرقه لو كان يعلم غيماً مات من كد
من كان لم يؤت علماً في بقاء غدٍ ماذا تفكره في رزقٍ بعد غد
ومن قوله أيضاً في غير هذا المعنى : -

الجد يدني كل شيء شاسع والجد يفتح كل باب مغلق
فاذا سمعت بأن مجدوداً حوى عوداً فأروق في يديه تصدق
وإذا سمعت بأن محروماً أتى ماء ليشربه فجفت لحقق
وأحق خلق الله بالهم امرؤ ذو همه يُبلى برزقٍ ضيق
ولربما عرضت لنفسي فكرة فأودت منها أنني لم أخلق
وهذا باب لو تقيصته لاحتمل كتاباً مفرداً ، ولكني طُبقت المفصل ،
وذكرت بعض المشاهير من الناس

(٤) — باب من رفعه الشعر ، ومن وضعه

إنما قيل في الشعر « إنه يرفع من قدر الوضع الجاهل ، مثل ما يضع من قدر الشريف الكامل ، وإنه أسنى مروءة الدني ، وأدنى مروءة السرى » لأمر ظاهر غاب عن بعض الناس فتأوله أشد التأويل ، وظنه مثلبة وهو منقبة ،

وذلك أن الشعر لجلالته يرفع من قدر الحامل إذا مدح به ، مثل ما يضع من قدر الشريف إذا اتخذ مكسباً ، كالذى يؤثر من سقوط النابغة الذبياني بامتداحه النعمان بن المنذر ، وتكسبه عنده بالشعر ، وقد كان أشرف بني ذبيان ، هذا ، وإنما امتدح قاهر العرب ، وصاحب البؤس والنعيم ^(١) .. وكأشهار عرابة الأوسى بشعر الشماخ بن ضرار ، وقد بذل له في سنة شديدة وسقى بعير تمرأ ، فقال : —

رأيت عرابة الأوسى يسمو إلى الخيرات منقطع القرن
إذا ماراة رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

حتى صار ذلك مثلاً سائراً ، وأثراً باقياً ، لا تبلى جدته ، ولا تتغير بهجته ، وقدح ذلك في مروءة الشماخ ، وحط من قدره ؛ لسقوط همته عن درجة مثله من أهل البيوتات وذوى الأقدار .

فأما من صنع الشعر فصاحةً ولسناً ، واقتضاراً بنفسه وحسبه ، وتخليداً لمآثر قومه ، ولم يصنعه رغبة ولا رهبة ، ولا مدحاً ولا هجاءً ، كما قال

واحد دهرنا وسيد كتاب عصرنا أبو الحسن أحسن الله إليه وإلنافية : —
وجدت طريق البأس أسهل مسلكا وأحرى بنجح من طريق المطامع
فلست بمطير ما حيت أها ندى ولا أنا في عرض البخيل بواقع
فلا نقص عليه في ذلك ، بل هو زائد في أدبه ، وشهادة بفضله ، كما أنه نباهة في ذكر الحامل ، ورفع لقدر الساقط ، وإنما فضل امرؤ القيس - وهو من هو - لما صنع بطبعه ، وعلا بسجيته ، عن غير طمع ولا جزع .
حكى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : لو أن الشعراء

(١) في ظاهر العبارة أن المؤلف يعتبر ممدوح النابغة صاحب يومى البؤس والنعيم ، وهذا باطل ؛ لأن ممدوح النابغة هو النعمان بن المنذر ، وصاحب اليومين هو المنذر بن ماء السماء

المقدمين ضمهم زمان واحد ونصبت لهم راية لجروا معاً علينا من السابق منهم ، وإذا لم يكن فالذي لم يقل لرغبة ولا لرغبة ، فقيل : ومن هو ؟ فقال : الكندي ، قيل : ولم ؟ قال : لأن رأيت أحسنهم نادرة ، وأسبغهم بادرة . وقال علي بن الجهم في مدح المتوكل : —

وما الشعرُ مما أستظلُّ بظله ولا زادني قدراً ، ولا حطَّ من قدرى ثم قال : —

ولكنَّ إحسانَ الخليفة جعفرٍ دعاني إلى ما قلتُ فيه من الشعر فذكر أنه لا يستظل بظل الشعر ، أى : لا يتكسب به ، وأنه لم يزد قدره قدراً لأنه كان نابه الذكر قبل عمل الشعر ، ثم قال * ولا حط من قدرى * فأحسن الاعتدال لنفسه وللشعر ، يقول : ليس الشعر ضعة في نفسه ، ولا صنعته فيمن دون الخليفة ، وما كفاه ذلك حتى جعل نفسه بازاء الخليفة ، بل مكافأ له بشعره على إحسان بدأه الخليفة به ، ولم يرض أن يجعل نفسه راغباً ولا مجتدياً .

وقال الطائي (١) في هذا المعنى لمحمد بن عبد الملك الزيات ، على ما كان فيه من الكبر والاعجاب ، وهو حيثئذ الوزير الأكبر : —

لقد زدت أوضاحي امتداداً ولم أكن بهيماً ولا أرضى من الأرض مجحلاً ولكن أباد صادقتي جسامها أغرَّ فَوَاقَتْني (٢) أغرَّ مجحلاً فطمع بنفسه إلى حيث ترى ، وجعل الغرة من كسبه - وهى في الوجه مشهورة - والتججيل من زيادات الممدوح ، وهو في القوائم .

وقد سبق إلى هذا المعنى أبو نخيلة السعدي فقال يمدح مسلمة بن عبد الملك : —

(١) هو أبو تمام حبيب بن أوس وانظر ديوانه (ص ٢٥٢)

(٢) في الأصل « فوفقتى » وهو خطأ ، وفي الديوان « فوالتت بنى »

وأحييت من ذكرى ، وما كان عاملاً ، ولكن بعض الذكر أنبه من بعض وقد حكى أن امرأ القيس نفاه أبوه لما قال الشعر ، وغفل أكثر الناس عن السبب ، وذلك أنه كان خليعاً ، مهتكا ، شيب بفساء أبيه ، وبدأ بهذا الشر العظيم ، واشتغل بالخمر والزنا عن الملك والرياسة ، فكان إليه من أبيه ما كان ليس من جهة الشعر ، لكن من جهة الفنى والبطالة . فهذه العلة ، وقد جازت كثيراً من الناس ومرت عليهم صفحاً ^(١)

وأما تفسير القول الآخر فى السرى والدفى ، فإنه إذا بلغت بالدفى نفسه ، وطمحت به همة إلى أن يصنع الشعر - الذى هو أخو الأدب ، وتجارة العرب ، تكافأ به الأيادى ، ويحل به صدر النادى ، ويرفع صوته على من فوقه ، ويزيده فى القدر على ما استحقه - فقد صار سرياً ، على أنه القاتل ، فإن كان المقول له فذلك أعظم مزية ، وأشرف خطة ومنزلة . وإذا انحطت بالسرى همة ، وقصرت مروءته ، إلى أن يصنع الشعر ليتكسب به المال ، ويكافئ به الأيادى دون غيره - وهو يعلم أنه أتقى من المال ، وأنفس ذخائر الرجال ، وأنه إن خاطب به من فوقه فقد رضى بالضراعة ، وإن خاطب به كفاً ونظيره فقد زل عن المساواة ، وإن خاطب به من دونه سقط جملة - ذلك على أن يكون شعره مزحاً أو عتاباً ، وأما أن يكون هجاءً فأبقى لحزبه ، وأضل لسعيه

وسأذكر من رفعه أو ممن وضعه ما قال أو قيل فيه من الشعر بعض من ذكر الناس ؛ لئلا أخلى الكتاب من ذلك ، وإن كنت حريصاً على الإيجاز والاختصار .

فمن رفعه ما قال من القدماء الحارث بن حازمة اليشكرى ، وكان أبرص ، فأنشد الملك عمرو بن هند قصيدته

• أَدْنَقْنَا بِبَيْتِهَا أَتَمَّهَا •

وبيته وبينه سبعة حُجُب ، فأزال يرفعها حجاباً حجاباً لحسن ما يسمع من شعره حتى لم يبق بينهما حجاب ، ثم أذناه وقربه ، وأمثاله كثير . .
ومن المخضرمين حسان بن ثابت رحمه الله ، لم تكن له مائة ولا سابقة في الجاهلية والاسلام إلا شعره ، وقد بلغ من رضا الله عز وجل ورضانيه عليه الصلاة والسلام ما أورثه الجنة . .

ومن الفحول المتأخرين الأخطل - واسمه غياث بن غوث ، وكان نصرانياً من تغلب - بلغت به الحال في الشعر إلى أن نادى عبد الملك ابن مروان ، وأركبه ظهر جرير بن عطية بن الخطفي ، وهو تقي مسلم ، وقيل : أمره بذلك بسبب شعره فاخره ^(٢) فيه بين يديه وطول لسانه ، حتى قال مجاهراً ^(٣) : لعنة الله عليه ، لا يستر في الطعن على الدين والاستخفاف بالمسلمين : -

ولست يصائم رمضان طوعاً ولست بأكل لحم الأضاحي
ولست بزاجر عساً بكوراً إلى بطحاء مكة للنجاح
ولست منادياً أبداً بليس كمثل القير حى على الفلاح
ولكني سأشرها شعولاً وأسجد قبل منبج الصباح

وهذه غاية عظيمة ومنزلة غريبة حملت من المساحة في الدين على مثل ما نسمع والملوك ملوك بزعمهم . وهجا الانتصار ليزيد بن معاوية ، لما شَبَّ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بعته فاطمة بنت أبي سفيان - قيل : بل بأخته هند بنت معاوية - قيل : ولو لا شعره لقتل دون أقل من ذلك . . وقد رد على جرير أقبح رد ، وتناول من أعراض المسلمين وأشرفهم ، ما لا ينجو مع مثله علوي ، فضلاً عن نصراني . .

ومن المحدثين أبو نواس ، كان نديماً للأمين محمد بن زبيدة طول خلافته . .

(١) في المطبوعتين «خاره» وهو غير مؤد إلى معنى

(٢) في نسخة «مجاهد»

ومسلم بن الوليد صريح الغواني ، اتصل بذى الرياستين ^(١) ومات على جرجان وكان تولاها على يديه . . . والبحري ، كان نديما للمتوكل لا يكاد يفارقه ، وبمحضره قتل المتوكل . وكثير من أكتفى بهؤلاء عن ذكره . .

وقد خطب أبو الطيب هذه الرتبة إلى كافر الاخشيدى ، فوعده بها وأجابه إليها ، ثم خافه لما رأى من تحامله وكبره ، واقتضاه أبو الطيب مراراً وعاتبه فما وجد عنده راحة . . فن ذلك قوله ^(٢) يقتضيه : —

وهبت على مقدار كفى زماننا ونفس على مقدار كفىك تطلب
إذا لم تنط بي ضيعة أو ولاية فجودك يكسوني وشكك بسلب
وقوله ^(٣) يقتضيه أيضا ويعاتبه من قصيدة مشهورة : —

لنا عند هذا الدرر حق يلطه وفدقل إعتاب وطال عتاب ^(٤)
ثم قال بعد أبيات : —

أرى لى بقرى منك عينا قرية وإن كان قربا بالبعد يُشاب
وهل ناضى أن تُرفع المحجب بيننا ودون الذى أمأت منك حجاب
أقل سلامى حب ماخف عنكم وأسكت كما لا يكون جواب
وفى النفس حاجات وفك فطانة سكوتى يان عندها وخطاب
وما أنا بالباغى على الحب رشوة ضعيف هوئى يُبقى عليه ثواب

(١) هو الفضل بن سهل ، وكان السبب فى توليته أن مسلما دخل على الفضل ينشده شعرا ، فقال له : أيها السكهل إني أجلك عن الشعر فسل حاجتك ، فقال : بل تستم اليد عندي بأن تسمع . . . ثم أنشده . فقال له الفضل : إني أجلك عن الشعر ، قال : فأغنى بما أحببت من عملك ، فولاه البريد بجرجان

(٢) انظر الديوان (ج ١ ص ٦٢٧)

(٣) انظر الديوان (ج ١ ص ١٣٧)

(٤) يلطه : يمحده ، ويكرهه ، ويعمله ، وقوله فدل إعتاب معناه أنه لم يرضنا مع كثرة عتبنا

وما شئتُ إلا أن أدلَّ عواذلي على أن رأيتُ في هواك صوابُ
وأعلمُ قوما خالفوني فشرُّ قوما وغرَّبتُ أني قد ظفرتُ وخابوا
فهؤلاء رفعمهم ما قالوه من الشعر فتالوا الرتب واتصلوا بالملوك ، وليس
بالذلك يدع للشاعر ولا عجيب منه . وقد كنت صنعت بين يدي سيدنا عن .
أمره العالی زاده الله علواً : —

الشعر شيء حسن	ليس به من حرج
أقل ما فيه ذمها	بألم عن نفس الشجي
يُحكِّم في لطافة	حل عقود المريج
كم نظرة حشنها	في وجه عذر سمج
وحرقة بردها	عن قلب صب منضج
ورحة أوقعها	في قلب قاس حرج
وحاجة يسرها	عند غزال غنج
وشاعر مطرح	مفلق باب الفرج
قرَّبه لسانه	من ملك متوج
فعلّموا أولادكم	عقار طب المريج

وطائفة أخرى نطقوا في الشعر بألفاظ صارت لهم شهرة يابسونها ،
والقبا يُدْعَوْنَ بها فلا ينكرونها : (١) منهم عائد الكلب ، واسمه عبدالله
ابن مصعب ، كان والياً على المدينة للرشد ، لقب بذلك لقوله : —
مالى مرضتُ فلم يَعدنى عائدُ منكم ، ويمرضُ كلبكم فأعود
والمزق ، واسمه شاس بن نهار ، لقب بقوله لعمر بن هند : —

(١) ومنهم الأسمر بن أبي حمران الجعفي ، وسيتمرض له المؤلف في باب
« اللقلين من الشعراء » وسنبين لك هناك اسمه والضم الذي من أجله جرى عليه
لقب الأسمر

فان كنت مأكولا فكن أنت أكلى وإلا فأدركنى ولما أمزق
وقد تمثل بهذا البيت عثمان بن عفان رضى الله عنه فى رسالة كتب بها
إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه .

ولقب مسكين الدارمى - واسمه ربيعة ، من ولد عمرو بن (١) عمرو بن
عديس بن زيد بن عبد الله بن دارم - بقوله : -

أنا مسكين لمن أبصرنى ولئن حاورنى (٢) جد نطق
فلما سمى مسكينا قال : -

وسميت مسكينا وكانت لى حاجة وإنى لمسكين إلى الله راغب
• وإنى امرؤ لا أسأل الناس ما لهم بشعرى ، ولا تمنى على المكاسب
وإنما هذا المكان الشعر من قلوب العرب ، وسرعة ولوجه فى آفانهم ،
وتعلقه بأنفسهم .

ومنه من سمى بلفظة من شعره لشناعتها ، مثل النابغة الذبياني - واسمه
زيد بن عمره - وسمى نابغة لقوله : -

* فَقَدْ نَبَّغَتْ لَنَا مِنْهُمْ شُؤْنُ *

وأما الجعدى - واسمه قيس بن عبد الله - فأنما نبغ بالشعر بعد أربعين
سنة فسمى نابغة لذلك .

وجرّان العود سمى بذلك لقوله : -

عمدت لعود فالتحيت جرّانه وَلَسْكَيْنُ خَيْرٌ فى الأمور وأنجح

(١) فى جميع الأصول « من ولد عمر بن عمر » بدون واو ، والتصويب عن
الأغاني ، ويدل لصحته قول مسكين يخاطب الفرزدق : -

جئتنى بعم مثل عمى أو أب كمثل أبى ، أو خال صدق كخاليا
كمعرو بن عمرو أو زرارقة ذى الندى أو البشر ، من كل فرعت الروايا
(٢) يروى « ولئن يعرفنى جد نطق » وبعد هذا البيت قوله : -

لا أبيع الناس عرضى إني لو أبيع الناس عرضى لنفق

خُذَا حَذْرًا يَا خُلُقَى (١) فأتى رأيت جران العود قد كاذ يصلح
يخاطب امرأته ، وقد تركناه ونشترنا عليه ، فلهزمه ذا الاسم وذهب
اسمه كرها .

وكذلك أبو العيال ، لا يعرف له اسم غير هذا ؛ لقوله : —
ومن يك مثلي ذا عيال ومقتراً — من المال ، يطرح نفسه كل مطرح
يلبغ عندا أو يصيب رغبة — ومبلغ نفس عذرهما مثل منجج
وأمنالهم عن ذكره المؤلفون لا يحصون كثرة ، وليسوا من هذا الباب
في شيء ؛ لأن غلبة هذه الأسماء عليهم ليست شرفاً لهم ولا ضعة ، وإنما هي
من جهة الشناعة فقط ، ولكن الكلام [ذو] شجون .

ومن ههنا عظم الشعر ، وتهيب أهله ، خوفاً من بيت سائر تحدثى به
الابل ، أو لفظة شاردة يضرب بها المثل ، ورجاني مثل ذلك ، فقد رفع كثيراً
من الناس ما قيل فيهم من الشعر بعد الخول والاطراح ، حتى افتخروا بما
كانوا يعيرون به ، ووضع جماعة من أهل السوابق والأقدار الشريعة حتى
عيروا بما كانوا يفتخرون به : فمن رفعه ما قيل فيه من الشعر بعد الخول
المحلق ، وذلك أن الأعشى قدم مكة وتسامع الناس به ، وكانت للمحلق امرأة
عاقلة - وقيل : بل أم - فقالت له : إن الأعشى قدم ، وهو رجل مفوه ،
مجدود في الشعر ، ما مدح أحداً إلا رفعه ، ولا هجا أحداً إلا وضعه ،
وأنت رجل كالعيت فقير خامل الذكرو بنات ، وعندنا لقحة نعيش بها ،
فلوسبقت الناس إليه فدعوته إلى الضيافة ، ونحرت له ، واحتلت لك فيما تشتري
به شراباً يتعاطاه ؛ لرجوت لك حسن العاقبة ، فسبق إليه المحلق فأنزله ونحمر
له ووجد المرأة قد خبزت خبزاً وأخرجت نخباً فيه سمى وجاءت بوطب
لبن ، فلما أكل الأعشى وأصحابه ، وكان في عصاة قيسية ، قدم إليه الشراب

واشتوى له من كبد الناقة ، وأطعمه من أطايبها ، فلما جرى فيه الشراب وأخذت منه الكأس سأله عن حاله وعياله فعرف البؤس في كلامه ، وذكر البنات ، فقال الأعشى : كفيت أمرهن ، وأصبح بعكاظ ينشد قصيدته : أرقْتُ وما هذا السهاد المورِّقُ وما بي^(١) من سُقم وما بي مَعْشَقُ ورأى المحلق اجتماع الناس فوقف يستمع ، وهو لا يدرى أين يريد الأعشى بقوله ، إلى أن سمع : —

نفي الذم عن آل المحلق جَفَنَةً كجاية الشيخ العراقي تفهقُ
تري القوم فيها شارعين ، وينهم مع القوم ولدان من النسل دَرَدَقُ
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نارٍ باليفاع تحرقُ
تُشبُّ لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق
رضيى لبان ندى أم تحالفا بأسم داج عَوْضُ لا تغرقُ
تري الجود يجرى ظاهراً فوق وجهه كما زان متن الهندواني رَوَقُ
فأتم القصيدة إلاً والناس ينسلون إلى المحلق يهثونه ، والأشراف من كل قبيلة يتسابقون إليه جرياً يخطبون بناته ، لمكان شعر الأعشى ، فلم تمس منهن واحدة إلا في عصمة رجل أفضل من أيها ألف ضعف .

وكذلك بنو أنف الناقة ، كانوا يفرقون من هذا الاسم حتى إن الرجل منهم يسأل : من هو؟ فيقول : من بني قريع ، فيتجاوز جعفر أنف الناقة بن قريع بن عوف بن مالك ويلقى ذكره فراراً من هذا اللقب ، إلى أن نقل الحطيئة - واسمه جرول بن أوس - أحدهم وهو بغيض بن عامر بن لؤي ابن شماس بن جعفر أنف الناقة من ضيافة الزرقان بن بدر إلى ضيافته وأحسن إليه فقال : —

سيري أماناً فإن إلاً كثيرين حصاً والأكرمين إذا ما يُنسَبون أبا

(١) يروي «أرقت» على الخطأ ، «وما بك» في اللومعين ، وما أثبتناه رواية الديوان

قومهم الانت والاذناب غيرهم ومن يساوى بأف الناقة الدنيا
فصاروا يتناولون بهذا النسب ويمدون به أصواتهم في جهازة .. وإيما
سمى جعفر أنف الناقة لأن أباه قسم ناقة جزوراً ونسبه فبعثته أمه ولم يبق إلا
رأس الناقة فقال له أبوه : شأنك بهذا ، فأدخل أصابعه في أنف الناقة وأقبل
يحمه فسمى بذلك .. ومثل هاتين القصتين قصة عرابة الأوسى مع الشباخ
وقد تقدم ذكرها .

ومن وضعه ما قيل فيه من الشعر حتى انكسر نسبه وسقط عن رتبته
وعيب بفضيله بنو نمير ، وكانوا جرة من جمرات العرب ، إذا سئل أحدهم :
من الرجل ؟ غم لفظه ومد صوته وقال : من بنى نمير ، إلى أن صنع جرير
قصيدته التي هجا بها عبيد بن حصين الراعى فسهر لها وطالت ليلته إلى
أن قال : —

ففض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
فأطفاً سراجهم ونام وقال : قد والله أخزيتهم آخر الدهر ، فلم يرفعوا
رأساً بعدها إلا نكس بهذا البيت ، حتى إن مولى لباهلة كان يرد سوق
البصرة متاراً فيصيح به بنو نمير : يا جوداب باهلة ققص الخبر على مواله
وقد ضجر من ذلك ، فقالوا له : إذا نبزوك ققل لهم :

ففض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
ومر بهم بعد ذلك فنبزوه ، وأراد البيت نفسه ، فقال : غعض وإلا
جاءك ما تكره ، فكفوا عنه ولم يعرضوا له بعدها . ومرت امرأة يعض
مجالس بنى نمير فأداموا النظر إليها ، فقالت : قبحكم الله يابنى نمير : ما قبتم
قول الله عز وجل : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) ولا قول الشاعر :

ففض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
وهذه القصيدة تسمى العرب الفاضحة ، وقيل : سهاها جرير الدماغة ،

تركت بنى نمير ينتسبون بالبصرة إلى عامر بن صعصعة ويتجاوزون أباهم نميراً إلى أبيه هرباً من ذكر نمير وفراراً عما وسم به من الفضيحة والوصمة والريع بن زياد ، كان من ندهاء النعمان بن المنذر ، وكان لحاشاً عياباً بذياً سباباً لا يسلم منه أحدٌ ممن يفد على النعمان ، فرُمي بلييد وهو غلام مراقق فنافسه وقد وضع الطعام بين يدي النعمان ، وتقدم الريع وحده ليا كل معه على عادته ، فقام لييد فقال مرتجلاً : —

يَارُبُّ هَيْجَا هِي خَيْرٌ مِنْ دَعَا نَحْنُ بَنَى أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَةِ
وَنَحْنُ خَيْرٌ عَامِرُ بْنُ صَعْصَعَةَ الْمُطْعَمُونَ الْجَفْنَةُ الْمُدْعَاةُ
وَالضَّارِبُونَ الْحَامَ تَحْتَ الْخَيْضَةِ مَهْلَا أَيْتِ اللَّعْنُ لَا تَأْكُلْ مَعَهُ
فَقَالَ النُّعْمَانُ : وَلَهُ ؟ فَقَالَ :

• إِنَّ أَسْتَمَنْ بَرَصٌ مُلَمَّةٌ •

فَقَالَ النُّعْمَانُ : وَمَا عَلَيْنَا مِنْ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ :

• وَإِنَّهُ يُولِجُ فِيهَا إَصْبَعُهُ •

يُولِجُهَا حَتَّى يَوَارِيَ أَشْجَمَهُ كَأَنَّمَا يَطْلُبُ شَيْئًا أَوْدَعَهُ

وَيُرْوَى «أَطْلَعَهُ»^(١) فَرَفَعَ النُّعْمَانُ يَدَهُ عَنِ الطَّعَامِ ، وَقَالَ : مَا تَقُولُ يَا رِيْعُ ؟
فَقَالَ : أَيْتِ اللَّعْنُ كَذَبُ الْغُلَامِ ، فَقَالَ لِيَيْدُ : مَرَّةً فَلْيَجِبْ ، فَقَالَ النُّعْمَانُ :
أَجِبْهُ يَا رِيْعُ ، فَقَالَ : وَاقِلْهُ لِمَا تَسْمُونِي أَنْتَ مِنَ الْخُسْفِ أَشَدُّ عَلَىَّ بِمَا
عَضَيْتُ بِهِ الْغُلَامَ ، فَحُجِبَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَسَقَطَتْ مَنْزِلَتُهُ ، وَأَرَادَ الْإِعْتِزَارَ
فَقَالَ النُّعْمَانُ : —

قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ إِنْ حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا قَفَا عِزَارَكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلَا ؟؟
وَبَنُو الْعَجْلَانِ ، كَانُوا يَفْخَرُونَ بِهَذَا الْإِسْمِ لِقِصَّةِ كَانَتْ لِصَاحِبِهِ فِي
تَعْجِيلِ قَرْيَةِ الْأَضْيَافِ ، إِلَى أَنْ هَجَّاهُمْ بِهِ التَّجَاشِيُّ فَضَحَرُوا مِنْهُ ، وَثَبُّوا
بِهِ ، وَاسْتَعْدَوْا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

هجانا ، فقال : وما قال ؟ فأنشدوه :-

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة فمادى بنى عجلان رطع ابن مقبل
فقال عمر بن الخطاب : إنما دعا عليكم ولعله لا يحجب ، فقالوا : إنه قال :-
”قَبِيلُهُ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ وَلَا يَظْلُمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ“
فقال عمر رضى الله عنه : ليتنى من هؤلاء ، أو قال : ليت آل الخطاب
كذلك ، أو كلاماً يشبه هذا ، قالوا : فانه قال :-

وَلَا يَرِدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً إِذَا صَدَرَ الْوُرَادُ عَنْ كُلِّ مَنَهْلٍ
فقال عمر : ذلك أقل للسكاك ، يعنى الزحام ، قالوا : فانه قال :-
”تَعَافُ الْكِلَابُ لِلضَّارِيَاتِ لِحَوْهِنَّ“ وتأكل من كعب بن عوف ونهشل
فقال عمر : كفى ضياعاً مَنْ تأكل الكلاب لحمه ، قالوا : فانه قال :-

وما سمي العجلان إلا لقولهم خذ القعب واحلب أيها العبدوا عجل
فقال عمر : كتابعيد ، وخير القوم خادمهم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين هجانا ،
فقال : ما أسمع ذلك ، فقالوا : فاسأل حسان بن ثابت ، فسأله فقال : ما هاجهم
ولكن سلح عليهم ، وكان عمر رضى الله عنه أبصر الناس بما قال النجاشي ،
ولكن أزد أن يذرا الحد بالشبهات ، فلما قال حسان ما قال سجن النجاشي ،
وقيل : إنه حده .. وهذه جملة كافية ، ونبذة مقنعة ، فيما قصدت إليه من
هذا الباب

(٥) - باب من قضى له الشعر ومن قضى عليه

أنشد السابقة الجعدى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدة
يقول فيها :-

عَلَوْنَا السَّمَاءَ عِقَّةً وَتَكْرَمًا (١) وَإِنَّا لَنَبْنِي فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا
فغضب النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : أين المظهر يا أبا ليلى ؟ فقال :

الجنة بك يا رسول الله ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أجل إن شاء الله ، فقضت له دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وسبب ذلك شعره .

وأشده حسان بن ثابت حين جاب عنه أبا سفيان بن الحارث بقوله :-

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

فقال له : جزاؤك عند الله الجنة يا حسان ، فلما قال :-

فان أبى ووالده وعرضى لعرض محمد منكم وقاه

قال له : وراك الله حر النار ، فقضى له الجنة مرتين في ساعة واحدة ،

وسبب ذلك شعره .

ولما تنافر عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة أقاما عند هرم بن قحطبة بن

سيار سنة لا يقضى لأحدهما على الآخر ، إلى أن قدم الأعشى - وكانت

لعامر عنده يد - فقال :-

علقم ماأنت إلى عامر الناقض الأوتار والوتر

إن تسد الحوص لم تمدهم وعامر ساد بني عامر

حكمتوه فقضى بينكم أزهرو مثل القمر الباهر

لا يقبل الرشوة في حكمه ولا يبالى غيب الخاسر^(١)

فرواه الناس ، واقرقوا وقد نفر عامر على علقمة بحكم الأعشى في شعره ،

وكان في رأى هرم على قول أكثر الناس خلاف ذلك .

وإلى هذا وأشباهه أشار أبو تمام الطائي بقوله في صفه الشعر :-

يرى حكمة مافية وهو فكاهة ويقضى بما يقضى به وهو ظالم

وكانت لرجل شهادة عند أبي دلامة فدعاه إلى تبليغها عند القاضي ابن أبي

(١) يروى في البيت الاول * علقم لالست إلى عامر * ويروى في البيت

الثاني * سدت بني الأحوص لم تمدم * ويروى في البيت الثالث * حكمتوني

فقضى بينكم .. أبلغ * ويروى في البيت الرابع * لا يأخذ .. الخ *

لبي ، فقال له : إن شهادتي لا تنفعك عنده ، فقال الرجل : لا بد من شهادتك ، فشهد عند القاضي وانصرف وهو يقول :-

إذا الناس غطوني تغطيت دونهم وإن يحشوا عني قبيهم مباحث
فقطع القاضي على الخصم بشهادة أبي دلالة ، وقبض المشهود له المال ،
وغيره القاضي للشهود عليه تحرجاً من ظله ، ويقال : إنما شهد لطبيب عالج
ولده من علة به ، وأمره أن يدعى على من شاء بألف درهم ، ففعل الطبيب
وشهد أبو دلالة ، وهذا أشبه بمجونه من الأول .

وذكر العتي أن رجلاً من أهل المدينة ادعى حقاً على رجل فدعاه إلى
ابن حنطب قاضي المدينة ، فقال : من يشهد بما تقول ؟ فقال : زنقطة ، فلما
ولى قال القاضي : ماشهاته له إلا كشهادته عليه ، فلما جاء زنقطة القاضي
قال له : فذاك أبي وأمي ، أحسن والله الشاعر حيث يقول :-

من الخنطيين الذين وجوههم دنائير مما سيب في أرض قيصرا
فأقبل القاضي على الكاتب فقال : كبير ورب السماء ، ما أحسبه شهد إلا
بالحق ، فأجز شهادته .

وخاصم جرير بن الخطفي الحماني الشاعر إلى قاضي اليمامة فقال في أبيات
رجز بها :-

أعوذ بالله الملى القهار من ظلم حمان وتحويل الدار
فقال الحماني مجيباً له :-

مَا لِكَلْبَيْبٍ مِنْ جَمِيٍّ وَلادَارَ غَيْرُ مَقَامِ أَتْنِي وَأَهْيَارَ
• قُبُّ البَطُورِ دَامِيَاتِ الْأَظْفَارِ •

ويروى • قس الظهور داميات الأظفار • فقال جرير : مقام أتني
وأعياري لأريد غيره وقد اعترف به ، فقال القاضي : هي لجرير ، وقصى
على الحماني بضمه الذي قال ..

وكان الفرزدق يجلس إلى الحسن البصري ، فلما به رجل فقال : يا أبا سعيد
إننا نكون في هذه البعوث والسرايا فنصيب المرأة من العدو وهي ذات زوج

أفتحل لنا من قبل أن يطلقها زوجها ؟ فقال الفرزدق : قد قلت أنا مثل هذا في شعري ، فقال الحسن : وما قلت ؟ قال : قلت :-

وذات حليل أنكحتنا رماحنا حلالاً لمن يبنى بها لم تطلق
فقال الحسن : صدق ، لحكم بظاهر قوله ، وما أظن الفرزدق - والله أعلم -
أراد الجهاد في العدو المخالف للشريعة ، لكن أراد مذهب الجاهلية في السبايا .
كأنه يشير إلى العزة وشدة البأس .

وقيل : إن عمر بن الخطاب كان يتعجب من قول زهير :-

فإن الحقَّ مَقْطَعُهُ ثلاثُ أداء أو نفار أو جلاء
وسمى زهير قاضي الشعراء بهذا البيت ، يقول : لا يقطع الحق إلا الأداء ،
أو النفار - وهو الحكومة - أو الجلاء - وهو العذر الواضح - ويروى *
يمين أو نفار * وهذه الثلاث على الحقيقة هي مقاطع الحق كما قال ، على أنه
جاهلي ، وقد وكدها الاسلام

(٦) - باب شفاعات الشعراء وتحريضهم

قال عبد الكريم : عرضت قتيلة بنت النضر بن الحارث للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف فاستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه ،
وقد كان قتل أباه ، فأنشدته :-

يارا كبا أن الأثيلَ مَظِنَّةٌ من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ به ميتاً بأن قصيدة ما إن تزال بها الركائب تخفق^(١)
مني إليه وعبرة مسفوحة جادت لما نحا وأخرى تخفق^(٢)
فليسمن النضر إن ناديته أم كيف يسمع ميت لا ينطق^(٣)

(١) يروى * بأن نحمة النجائب ...

(٢) يروى * جادت بلدتها (٣) البيت يروى هكذا :-

هل يسمع النضر إن ناديته إن كان يسمع ميت لا ينطق

ظلت سيف بن أبيه تنوشه في أرحامٍ هناك تُشَقُّ

قراً يقاد إلى الجنة متعباً رَسَفَ المقيد وهو عان مؤثق^(١)

أحمد ما أنت نجل نجية من قومها والفحل فحلٌ معرق^(٢)

ما كان ضرك لو منعت وربما من الفقى وهو المغيظ المحق

والنضر أقرب من قتلتي وسيلة وأحقهم إن كان عتق يعق^(٣)

قال النبي صلى الله عليه : لو كنت سمعت شعراً هذا ما قتلته .

ولما قتل الحارث بن أبي شمر الفسافي المنذر بن ماء السماء - وهو المنذر

الأكبر ، وماء السماء أمه - أسر جماعة من أصحابه وكان فيمن أسر شاس بن

عبدة في تسعين رجلاً من بني تميم وبلغ ذلك أخاه علقمة بن عبدة الشاعر

صاحب امرئ القيس وهو معروف بعلقمة الفحل فقصد الحارث متدحاً

بفضيلته المشهورة التي أولها : -

طحا بك قلب بالحسان^(٤) طروب بُعِثَ الشباب عصر حان بمشيب

فأنشده إياها حتى إذا بلغ إلى قوله : -

إلى الحارث الوهاب أعلت ناقي لكلكما والقصرين وجيب

إليك - أبيت اللعن - كان وجيفها^(٥) بمشيبات هوطن مريب

هداني إليك الفرقدان ولا حب له فوق أعلام^(٦) المنان علوب

فلا تجرمني نائلاً عن جناية فاني امرؤ وسط القباب غريب

(١) يروي * صبرا يقاد . . . *

(٢) يروي * ولأنت ضنء نجية . . في قومها

(٣) يروي * والنضر أقرب من أخذت بركة

(٤) في الديوان * في الحسان *

(٥) هذه رواية الديوان وكان في الأصول * وجيفها *

(٦) في الديوان * أسوؤه المنان * . وتزيف هذه الآيات على ما هنا بخالف

لموقعها من التمهيد مع أن المؤلف ترك كثيراً من الأبيات بين بعضها وبعض

وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحقّ لشاس من نذاك ذنوب^١
 فقال الحارث : نعم وأذنبه ، وأطلق له شاساً أخاه ، وجاءت أسرى بني
 عميم ، ومن سأل فيه أو عرفه من غيرهم .
 وكان لامية بن حرثان^(١) ولد اسمه كلاب ، هاجر إلى البصرة في خلافة عمر
 رضي الله عنه ، فقال أمية : —

سأستعدي على الفاروق رباً له عمد الحجيح إلى بساق^(٢)
 إن الفاروق لم يردد كلاباً على شيخين هامها زواق
 فكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري بإشخاص كلاب ، فاشعر أمية إلا
 به يقرع الباب .

وما زالت الشعراء قديماً تشفع عند الملوك والأمراء لأبنائهم وذوي
 قراباتهم ، فيشفعون بشفاعاتهم ، وينالون الرتب بهم .
 ودخل العمانى الشاعر - وهو أبو العباس محمد بن ذؤيب الفقيمي - على
 الرشيد ، فأثبده أرجوزة يقول فيها : —

قل للامام المقتدى بأمة ما قاسم^٣ دون مدى ابن أمه
 * فقد رضيناك فقم قسمه *

فقال الرشيد : ما رضيت أن أسميه وأنا قاعد حتى أقوم على رجلى ، فقال له :
 يا أمير المؤمنين ، ما أردت قيام جسم لكن قيام عزم ، فأمر الرشيد بإحضار القاسم

(١) أمية بن حريث بن الأسكر الليثي ، من ليث بن بكر بن عبد مناة بن
 كنانة : شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان من سادات قومه وفرسانهم
 وابنه كلاب أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم مع أبيه . . وكان ابنه قد سأل
 عمر رضي الله عنه أن يمزيه فأغراه في جيش وكان أبومقد كبر وضعف ، فلعلطات
 عليه غيبة ابنه قال هذا الشعر

(٢) في المطبوعتين « بساق » بتقديم السين ، وبساق - بزنة غراب - جبل
 بمرقات وبلد بالحجاز

ولده ، وسمّاه الممان في إنباده يهدّر فلما فرغ قال الرشيد للقاسم : أما جائزة هذا الشيخ فعليك ، وقد سألتنا أن نوليكَ العهد فأجبتنا .

وشفع الطائي للرواق عند أبيه المعتصم في أن يوليه العهد فقال : —

فأشدُّ بهارونَ الخلافة ؛ إنه سَكَنَ لوحشها ودارُ قرار

بقي بنى العباس والقمر الذي حَفَّتْهُ أَهْجُمُ يَرْوِي وَزَارِ

كرمَ العمومة والحقولة معه سلفا قریش فيه والآنصار

هو نود يمن منكم وسعادة وسراج ليل فيكم ونهار

فأقع شياطين النفاق بمهتد ترضى البرية هديه والباري

ليسير في الأفاق سيرة راحة ويسوسها بسكينة ووقار

فالصين منظوم بأندلس إلى جيطان رومية فلك فمار

ولقد علمت بأن ذلك معصم ما كنت تتركه بغير سوار

واستعطف مالك بن طوق لقومه بني تغلب - وكانوا أفسدوا في عمله

الطُّرُق ، مخافوه واستشفعوا بأبي تمام - فقال في قصيدة مشهورة يخاطب

بها مالكا :-

ورأيت قومك والاساءة منهم جرحى بظفر للزمان وناب

هم صبروا تلك البروق صواعقا فيهم وذاك العفو سوط عذاب

فأقل أسامة جرحها ، وأصقح لها عنه ، وهب ما كان للوهاب

رقدوك في يوم الكلاب ، وشققوا فيه المزداد بمخفل كلاب

وهم بعين أباغ راشوا للوغى سهمك عند الحارث الحراب

وليالى الثرثار والحشاك قد جلبوا الجياد لواحق الأقرب

فضت كهلهم ، ودبر أمرهم أحداثهم تدير غير صواب

لأرة الحضر اللطيف غنهم وتواعدوا عن فطنة الأعراب

فاذا كشفهم وجدت لديهم كرم النفوس وقلة الآداب

لك في رسول الله أعظم أسوة وأجلها في سنة وكتاب
أعلى المؤلفة القلوب رضام كرمًا، ورد أخاند الأحزاب
فذكر أصحاب الأخبار أن هذه القصيدة وقعت من مالك أجل موقع،
فأجزل ثوابه عليها، وقبل شفاعته، ورد القوم إلى رببتهم ومنزلتهم، من بعد
اليأس المستحكم، والعداوة الشديدة.

وكان أبو قابوس الشاعر رجلاً نصرانياً من أهل الحيرة منقطعاً إلى
البرامكة، فلما أوقع الرشيد بجعفر صنع أبو قابوس أياتاً وأشهدا الرشيد
يشفع عنده للفضل بن يحيى : —

أمين الله هب فضل بن يحيى	لنفسك ، أيها الملك الهام
وما طلبي إليك العفو عنه	وقد قصد الوشاة به وقاموا
أرى سبب الرضا عنه قوياً	على الله الزيادة والتمام
نذرت على فيه صيام شهر	فإن تم الرضا وجب الصيام
وهذا جعفر بالجسر تمحو	محاسن وجهه ريح قتام
أما والله لولا خوف واش	وعين الخليفة لا تنام
لطفنا حول جدك واستلنا	كما للناس بالحجر استلام
وما أبصرت قبلك يا ابن يحيى	حساماً قداه السيف الحسام
عقاب خليفة الرحمن نحر	لمن بالسيف عاقبه الحمام

وقد اختلط هذا الشعر بشعرين في وزنه ورويه ومعناه : أحدهما
لاشجع السلي ، والآخر لسليمان أخى صريع ، فالناس فيه مختلفون وهذه
صحته . فانظر إلى تجاسره على مثل هذا الأمر العظيم من الشفاعة والثناء .

واستعطف أبو الطيب سيف الدولة لبني كلاب - وقد أغار عليهم فقتل
الأموال وسبي الحرير ، فأتى بعضهم أبا الطيب يسأله أن يذكهم له في
شعره ، ويشفع فيهم - فقال في قصيدة له مشهورة يخاطبه : —

ترفق أيها المولى عليهم فان الرقيق بالجاني عتاب
فانهم عبيدك حيث كانوا إذا تدعو لثابتة أجابوا
وعين المخطئين هم، وليسوا بأول معشر خطئوا فتابوا
وأنت حياتهم غضبت عليهم وهجر حياتهم لهم عقاب
وما جعلت أياديك البوادي ولكن ربما خفي الصواب
وكم ذنب مؤلده دلال وكم بعيد مولده اقتراب
وجرم جرته سفهاء قوم وحل بغير جرمه العذاب

وهذا من أفعال الشعراء قديم مشهور . وقد افتخر به البحترى فقال في

قصيدة له طويلة : —

إن أبق أو أهلك فقد نلت التي ملأت صدور أقاربي وعدائي
وغيت ندمان الخلائف : نايها ذكرى ، وناعمة بهم نشواني
وشفعت في الأمر الجليل إلههم بعد الجليل فأنجحوا طلباتي
وصنعت في العرب الصنائع عندهم من رقد طلاب وفك مخناقي

وكان أبو عزة كثيراً ما يستنفر المشركين ويحرض قريشاً على قتال النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسر يوم بدر ، وجيء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا إليه الفقر والعيال ، فرق له ، وخلق سبيله بعد أن عاهده ألا يعين عليه بشعر ، فأمنك عنه مدة ، ثم عاد إلى حاله الأولى ، فأسر يوم أحد فخطب النبي صلى الله عليه وسلم بمثل خطابه الأول ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمداً مرتين » ثم قتله صبراً ، وقال : « لا يلسع المؤمن من حجر مرتين » .

وقال أوس بن حجر يفرى النعمان بن المنذر بنى حنيفة ؛ لأن شمر بن عمرو انسحى قتل المنذر ، وهو حينئذ مع الحارث بن أبي شمر الفسافي ، وقال ابن جني : إنما قتل ابن النعمان : —

نُبِّئْتُ أَنَّ بَنِي حَنِيفَةَ أَدْخَلُوا آيَاتِهِمْ تَامُورَ قَلْبِ الْمُنْدَرِ
وَيُرَوَّى « أَنَّ بَنِي سَحِيمَ » فَفَزَاهُمُ النِّعْمَانُ ، وَقُتِلَ فِيهِمْ وَسْبِي وَأُحْرِقَ
نَحْلُهُمْ ، وَيَقَالُ : إِنَّمَا أُغْرِيَ بِهِمْ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ .
وَدَخَلَ سَدِيفُ بْنُ مَيْمُونٍ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ ، وَعِنْدَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ
هَشَامٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَابْنَاهُ ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى سُلَيْمَانُ بْنُ مَرْوَانَ وَوَلَدَانِ
لَهُ ، وَفِي رِوَايَةٍ ثَلَاثَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَتَتْهُ سَدِيفٌ : —
لَا يَغُرُّنَكَ مَا تَرَى مِنْ أَنَاسٍ إِنْ بَيْنَ الصُّلُوعِ دَاءٌ دَوِيًّا
فَضَعَ السَّيْفَ وَارْفَعَ السُّوْطَ حَتَّى لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أَمْوِيًّا
• فَقَالَ سُلَيْمَانُ : قَتَلْتَنِي يَا شَيْخَ قَاتِلِكَ اللَّهُ . وَنَهَضَ أَبُو الْعَبَّاسِ فَوَضَعَ
الْمَنْدِيلَ فِي عُنُقِ سُلَيْمَانَ ، وَقَتَلَ مِنْ سَاعَتِهِ .

وَدَخَلَ شَيْبِلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ وَأَشْدَهُ قَصِيدَةً لَهُ يَقُولُ فِيهَا
مُحَرِّضًا عَلَى بَنِي أُمِيَّةٍ ، وَعِنْدَهُ مِنْهُمْ ثَمَانُونَ رَجُلًا : —

أَقْصِمُ أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ وَأَقْطَعُ عَنْكَ بِالسَّيْفِ شَأْفَةَ الْإِرْجَاسِ
ذُلًّا أَظْهَرَ التَّوَدَّدَ مِنْهَا وَلَهَا مِنْكُمْ كَحَزَّ الْمَوَاسِي
وَلَقَدْ غَاطَتْنِي وَغَاطَتْ سِوَانِي قُرْبُهَا مِنْ نِمَارِقٍ وَكَرَاسِي
أَنْزَلُوهَا بِحَيْثُ أَنْزَلَهَا اللَّهُ بَدَارَ الْهَوَانِ وَالْإِتْعَاسِ
وَإِذَا كَرُوا مَصْرَعَ الْحُسَيْنِ وَزَيْدٍ وَقَتِيلًا بِجَانِبِ الْمَهْرَاسِ
وَالْقَتِيلَ الَّذِي بِحَرَّانَ أَمْسَى ثَاوِيًّا بَيْنَ غَرْبَةٍ وَتَنَاسَى
فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ تَنَكَّرَ وَأَمَرَ بِهِمْ فَقَتَلُوا ، وَأَلْقَى عَلَيْهِمُ الْبَسَاطَ وَجَلَسَ لِلْعَدَاءِ
وَإِنْ بَعْضُهُمْ يَسْمَعُ أَنَّهُ لَمْ يَمُتْ بَعْدَ : حَكَى ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُؤَلِّفِينَ ، وَاخْتَلَفُوا
فِي رِوَايَةِ الشَّعْرِ وَحْدَهُ : فَأَكْثَرُ الرِّوَايَاتِ مَوْضِعَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ :

لَا تُقِيلَنَّ عَبْدَ قَحْصٍ عَشَارًا وَأَقْطَعَنَّ كُلَّ رَقْلَةٍ وَأَوَاسٍ
وَيُرَوَّى « وَغَرَّاسٌ » وَبَعْضُهَا عَلَى مَا فِي النُّسخَةِ ، وَلَا أُدْرِي كَيْفَ ضَحَّةٌ

ذلك ، وعبد الله لم يكن يدعى بالخلافة ، اللهم إلا أن يكون ذلك حين أراد خلع المنصور . واكثر الناس يروى هذه الآيات لسديف بن ميمون يخاطب أبا العباس السفاح ، غير أن في الرواية الأولى : —

نعم شبل المهراس مولاك شبل لو نجنا من حبات الافلاس
وهو يشهد لما روى [أولاً] ..

وحكى غيرهم قال : دخل العبدى الشاعر على عبد الله بن علي فلسطين ، وقد دعى به ، وعنده من بنى أمية اثنان وثمانون رجلا ، والغمري بن يزيد بن عبد الملك جالس معه على مصلاه ، قال العبدى : فاستشدنى عبد الله بن علي فأنشدته قولى : —

• وَقَفَ الْمُتَمِّمُ فِي رُسُومِ دَيْرٍ •

وهو مصغى مطروق حتى انتهت إلى قولى : —

أما الدُّعَاةُ إِلَى الْجَنَانِ فَهَاشِمٌ وَبَنُو أُمِيَّةٍ مِنْ دُعَاةِ النَّارِ
وَبَنُو أُمِيَّةٍ دُوحَةٌ ^(١) مَلْعُونَةٌ وَلَهَاشِمٌ فِي النَّاسِ عَوْدُنْضَارِ

أُمِيٌّ مَالِكٌ مِنْ قَرَارٍ فَالْحَقِ بِالْجَنِّ صَاغِرَةٌ بَارِضٌ وَبَارِ
وَلْتَنْزَحِلْ لَتَرْحَلْنَ ذَمِيمَةٌ وَكُنَّا الْمَقَامَ بِذِلَّةٍ وَصَغَارِ

قال : فرفع الغمر رأسه إلى ، وقال : يا بن الزانية مادعاك إلى هذا ؟ وضرب عبد الله بقلنسوة كانت على رأسه الأرض ، وكانت العلامة بينه وبين أهل خراسان ، فوضعوا عليهم العمد حتى ماتوا ، وأمر بالغمري فضربت عنقه صبورا . وكان ابن حزم أميراً على المدينة ، فتحامل على الأحوص الشاعر تحاملاً شديداً فنشخص إلى الوليد بن عبد الملك فأنشده قصيدة يمتدحه فيها ، فلما بلغ إلى قوله كالذى يشتكى ابن حزم وظلّه :

لَا تَرْتِمْنِ الْحَزْمِيَّ ظَفَرَتْ بِهِ يَوْمًا وَلَوْ أَلْقَى الْحَزْمِيُّ فِي النَّارِ
التَّائِخِينَ لِمُرْوَانَ بَذَى خَشِيبٌ وَالدَّاخِلِينَ عَلَى عُثْمَانَ فِي الدَّارِ

فقال له الوليد : صدقت والله ، لقد غفلنا ^(٢) عن حزم وآل حزم ، ثم

كتب عهداً لعثمان بن حيان المرتضى على المدينة ، وعزل ابن حزم ، وأمر باستئصال أموالهم ، وإسقاطهم جميعاً من الديوان .

ولما وثب إبراهيم بن المهدي على المأمون اقترض من التجار مالا كثيراً ، فكان فيه لعبد الملك الزيات عشرة آلاف دينار ، فلما لم يتم أمره لوى التجار أموالهم ، فصنع محمد بن عبد الملك قصيدة يخاطب فيها المأمون ، منها قوله :-

تذكرُ أميرَ المؤمنين قيامه بإيمانه في الهزل منه وفي الجدد
إذا هزَّ أعوادُ المنابرِ باسته تنقئ بلبلى أو بمئة أو هند
ووالله ما من توبة نزعت به إليك ، ولا ميل إليك ، ولا وُد
وكيف بمن قد بايع الناس ، والتقت بيعته الركبان غوراً إلى مجد ؟
ومن صكَّ تسليمَ الخلافة سمعه ينادى بها بين السماطين عن بعد
وأى امرئ سُمي بها قط نفسه فقارقها حتى يغيب في اللحد ؟

وعرضها على إبراهيم - وهو حينئذ حامل الذكر لم يتعلق بعد بالخدمة تعلقاً ينفع - فسأله [إبراهيم] كتبها ، واستحلفه على ذلك ، وأدّى مال أبيه دون سائر التجار ومثل ذلك كثير لو تقصى لطلال به الكتاب .

(٧) — باب احتفاء القبائل بشعرائها

كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها ، وصنعت الأاطعمة ، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر ، كما يصنعون في الأعراس ، ويتباشر الرجال والولدان ، لأنه حماية لأعراضهم ، ونبذ عن أحسابهم ، وتخليد لما ترميهم ، وإشادة بكرمهم . وكانوا لا يهتثون إلا بغلام يولد ، أو شاعر ينبغ فيهم ، أو فرس تنتج : فمن حى قبيلته زياد الأعجم ، وذلك أن الفرزدق همَّ بهجاء عبد القيس ، فبلغ ذلك زياداً وهو منهم ، فبعث إليه : لا تبجل وأنا مهد إليك هدية ، فانتظر الفرزدق الهدية فجاءه من عنده :-

فأترك الهاجون لي إن هجوته ممصحاً أراه في أديم الفرزدق

(م - ٤ المدة ج ١)

ولا تركوا عظماً يرى تحت لحمه لكاسره أبقوه للبترق
 ساكس ما أبقوا له من عظامه وأنكت مخ الساق منه وأتقى
 فاقنا وما مهدى لنا إن هجوتنا لكالبحر مهما يلق في البحر يفرق
 فلما بلغت الآيات كف عما أراد ، وقال : لا سبيل إلى هجاء هؤلاء ما عاش
 هذا العبد فيهم .

وهجاء عبد الله بن الزبير السهمي بنى قصي ، فرفضه برمته إلى عتبة بن ربيعة
 خوفاً من هجاء الزبير بن عبد المطلب ، وكان شاعراً مقلداً شديد العارضة قنع
 الهجاء ، فلما وصل عبد الله إليهم أطلقه حمزة بن عبد المطلب وكساه ، فقال : -
 لعمرك ما جاءت بنكر عشيرتي وإن صالحت إخوانها لألومها
 فردَّ جنة الشر أن سيوفنا بأيماننا مسلولة لا نشيما
 فان قصياً أهل مجد وعزة وأهل فعال لا يرام قديمها
 هم ممنوعوا يوم عكاظ نساءنا كما منع الشول الهجان قرومها
 وكان الزبير غائباً بالطائف ، فلما وصل إلى مكة وبلغه الخبر قال :

فلولا نحن لم يلبس رجال ثياب أعزة حتى يموتوا
 ثيابهم ممالة أو طار بها ودك كما دسم الحميت
 ولكننا خلقنا إذ خلقنا لنا الخبرات والمسك الفتيت

وهجاء رجل من بني حرام الفرزدق ، فجاء به قومه يقودونه إليه ، فقال
 الفرزدق : -

ومن يك خائفاً لأداة شعري فقد أمن الهجاء بنو حرام
 هم قادة السفهيم ، وخافوا قلائد مثل أطواق الحمام

وهجاء الأحموس بن محمد الأنصاري رجلاً من الأنصار يقال له ابن بشير - وكان
 مكثراً - فاشترى هدية ، ووفدها على الفرزدق مستجيراً به ، فأجابه ، ثم قال :
 أين أنت من الأحموس بن محمد فقال : هو الذي أشكو ، فأطرق الفرزدق

ساعة ثم قال : أليس الذى يقول :-
 ألا قبّ برسم الدار فاستنطق الرسماً
 قال : بلى ، قال : والله لا أهجو شاعراً هذا شعره ، فاشتري ابن بشير أنفـس من
 الهدية الأولى وقدم بها على جرير فاستجاره فأجاره ، ثم قال له : ما فعل
 ابن عمك الأحوص بن محمد ؟ قال : هو صاحبي الذى هجاني ، قال : أليس
 القائل :-

تمشى بشتى فى أكاريس مالك يشيده كالكلب إذ ينبع النجا
 قال : بلى ، قال : والله لا أهجو شاعراً هذا شعره ، فاشتري أكثر من الهديتين
 وأهداهما إلى الأحوص وصالحه .

ولهذا وأمثاله قال جرير لقومه يعاتبهم فى قصيدة خاطب فيها أباه وجده
 الخطيئى ممتأ عليهم بنفسه :-

بأى نجادٍ تحمل السيف بعد ما قطعت القوى من محل كان باقيا ؟
 بأى سنان تطنن القرن بعدما نزعـت سناناً من قناتك ماضيا ؟
 ألا لا تخافا نَبَوتى فى ملئة وعافا المنايا أن تَفُوتَكُمَا يا
 فقد كنت نارا يصطليها عدوكم وحرزاً لما الجأئـم من ورائيا
 وباسط خير فيكم يمينه وقابض شر عنكما بشماليا
 وإني لعفُّ الفقـرِ مشتركُ الغنى سريعٌ - إذ ألم أرض جارى - اتقاليا
 جرى الجنان لأهاب من الردى إذا ماجعلت السيف من عن شماليا
 وليست لسنى فى العظام بقية ولا السيفُ أشوى وقعة من لسانيا
 وهذا الباب أكثر من أن يستقصى ، ورغبى فى الاختصار ، وإنما جئت
 منه ومن سواه بلمحة تدل على المراد ، وتبلغ فى ذلك حد الاجتماع

(٨) - باب من فآل الشعر وطيرته

تفادل حسان بن ثابت النبي صلى الله عليه وسلم بفتح مكة فقال في كلمته المشهورة يخاطب بذلك مشركي أهل مكة : يتوعدهم :-

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تَثِيرُ النَّعَمَ مَوْعِدَهَا كِدَا.

يَارِينِ الْأَعْنَةَ مَصْنِيَاتٍ عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسْلَاطِمَا.

تَظَلُّ جِيَادُنَا مَتَمَطَّرَاتٍ يَلْطَمُنُ بِالْخَرِّ النِّسَا.

[ورأيت من يستحسن « يلطمن » من لطمت الخبزة إذا فغضت عنها الرماد] ، فلما كان يوم الفتح أقبل النساء بمسحن وجوه الخيل ، وينفضن الغبار عنها بخمرهن ، فقال قائل : لله در حسان إذ يقول ، وأنشد الآيات ، وروى قوم أن الناس أمروا بالمسير إلى كداء تفاؤلا بهذا البيت ليصح فكان الأمر كما قال .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفادل ، ولا يتطير ، ويجب الاسم الحسن ، وقال : « ثلاثة لا يسلم منهم أحد : الطيرة ، والظن ، والحسد » قيل له : فما المخرج منهم يا رسول الله ؟ قال : « إذا تطيرت فلا ترجع ، وإذا ظننت فلا تحقق ، وإذا حسدت فلا تبغ » .

ومن مליح ما وقع في التفاؤل ما حكى محمد بن الجراح ، وذلك أن أبا الشممق شخص مع خالد بن يزيد بن مزيد ، وقد تقلد الموصل ، فلما مر ببعض الدروب اندق اللواء فاعتم خالد لذلك وتطير منه ، فقال أبو الشممق :-

مَا كَانَ مَسْدُقُ اللَّوَاءِ لَطِيرَةً تَخْشَى ، وَلَا سَوْءُ يَكُونُ مَعْجَلَا

لَكِنْ هَذَا الْعُودُ أَضْعَفُ مِنْهُ صَرَفَ الْوَلَايَةِ فَاسْتَقَلَّ الْمَوْصِلَا

فُرمي عن خالد ، وكتب صاحب البريد بخبر ذلك إلى الأمون فزاده دينار ربيعة ، وأعطى خالد أبا الشممق عشرة آلاف درهم .

وبنى جماعة من الكتاب على موسى بن عبد الملك فأمر المتوكل بحبسهم ،
قال : فرأيت في النوم قائلاً يقول :-

أبشر فقد جاءت السعود أباد أعداءك الميبدُ
لم يظفروا بالذي أرادوا بل يفعل الله ما يريد
ووقف المتوكل منهم على أمر أوجب إيقاعه بهم ، وأمر باطلاق وإعادتي
إلى أشرف رتبة

ولابد من ذكر ما يطير منه في باب غير هذا .

وقال قيس المجنون :-

• قصاها لغيري وابتلاني بحبها ففلا بشئ غير لي ابتلانيا
فمات حتى برص ، ورأى في منامه قائلاً يقول له : هذا ماتت
ويقال : إن المؤمل بن أميل لما قال :-

شف المؤمل يوم الحبرة النظر ليت المؤمل لم يخلق له بصر
نام ذات ليلة صحيحاً فأصبح مكفوف البصر .

وطير أبو الهول على جعفر بن يحيى البرمكي ، فقال :-

أصبحت محتاجاً إلى ضرب في طلب العرف من الكلب
إذا شكا صب إليه الهوى قال له : مالي وللصب
أعنى قتي يطعن في ديننا يشبُّ معه خشب الصليب
فكان من أمر جعفر ما كان .

وكان ابن الرومي كثير الطيرة : ربما أقام المدة الطويلة لا يتصرف تطيراً
بسوء ما يراه ويسمعه ، حتى إن بعض إخوانه من الأمراء افتقده فأعلم بحاله
في الطيرة ، فبعث إليه خادماً اسمه إقبال ليتفاد به ، فلما أخذ أهبة للركوب
قال للخادم : انصرف إلى مولاك فأنت ناقص ، ومنكوس اسمك لا بقا .
وابن الرومي القائل : الفأل لسان الزمان ، والطيرة عنوان الحدثن . وله
فيه احتجاجات وشعر كثير

٩ — باب في منافع الشعر ومضاره

قد أكثر الناس في هذا الفن ، ولا بد مع ذلك أن آتى منه ببلد يقتضيها ترسيم الكتاب وحق التأليف ، وليست على مطالبة ، ولا قبلي حجة ، في ذكر مضاره بعد منافعه أو معها ، إذ كانت الرغبة في تحسين الحسن ليتزيد منه ، وتقيح القبيح لينتهي عنه .

وقد فرط في أول الكتاب من قول عائشة رضي الله عنها وقول سواها من الصحابة ومن التابعين رحمة الله عليهم ورضوانه في الشعر ما فيه كفاية : من أنه كلام يحسن فيه ما يحسن في الكلام ، ويقبح فيه ما يقبح في الكلام ، وبقدر حسنه وقبحه يكون نفعه وضرره ، والله المتعال .

حكى أبو العباس المبرد أن المأمون سمع منشداً ينشد قول عمار بن عقيل ابن بلال بن جرير : —

أتركُ إن قلتَ دراهم خالده زيارته ؟ إني إذا للثمن
فقال : أو قد قلتَ دراهم خالده ؟ احملا إلى ما تقي ألف درهم ، فدعا خالد بعمارة ، فقال : هذا مطر من سحابك ، ودفع إليه عشرين ألفاً .
ووجد أبو جعفر المنصور على أحد الكتاب وأمره ليضرب ، فقال : —
ونحن الكاتبون وقد أسأنا فبينما للكرام الكاتبينا
نغلي سبيله إعجاباً بيديته .

وحمل بعض العمال إلى يزيد بن معاوية مالا جليلا ، فقطع عليه قيم الغنوى فأخذه ، وأمر يزيد بطلبه ، فلما حصل بين يديه قال : ما حملك على الخروج علينا وأخذ مال يحمل إلينا ؟ قال : إذ ذلك يا أمير المؤمنين أعزك الله ، قال : ومتى أذنت لك ؟ قال : حين قلت وأنا أسمعك

إعصى العواذل وارم الليل عن عرض

بنى سيب يقاسي ليله خيبا

كالشيد لم ينقب البيطار سرته ولم يدججه ولم يقطع له ليا
حتى تصادف مالا أو يقال قتي لاقى التي تشعب الفتيان فانشعبا
فقصيت عواذلي ، وأسهرت ليلي ، وأعملت جوادى ، فأصبت مالا ، قال :
قد سوغنا كه فلا تعد .

وكان جميل بن محفوز وأبو دهمان من عمال يحيى بن خالد ، فوفد عليهما
مرة أبو الشمقمق — واسمه مروان بن محمد — فأكرمه أبو دهمان وأساء
إليه جميل ، فقال : —

رأيت جميل الأزد قد عقى أمه فذاك أبو دهمان أم جميل
وتناظرا بعد ذلك في مال بين يدي يحيى بن خالد ، فاستعلى جميل على أبي
دهمان في الخطاب ، فقال له أبو دهمان : احفظ الصهر الذى جعله بيننا أبو
الشمقمق ، فضحك يحيى بن خالد حتى فخص الأرض برجليه ، وترك المال
الذى تشاجرا فيه .

وأبى مصعب بن الزبير بأسارى من أصحاب المختار فأمر بقتلهم بين يديه ،
فقام إليه أسير منهم فقال : أيها الأمير ، ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى
صورتك هذه الحسنة ووجهك المليح الذى يستضاء به ، فأتعلق بك وأقول :
يارب ، سل مصعباً فيم قتلنى ، فاستحي مصعب وأمر باطلاقه ، فقال : أيها
الأمير ، اجعل ما وهبت من حياتى فى خفض ودعة من العيش ، قال : قد
أمرت لك بثلاثين ألف درهم ، قال أشهدك أيها الأمير أن شطر هذا المال
لهبده الله بن قيس الرقيات ، قال : ولم ذلك ؟ قال : لقوله : —

إنما مصعب شهاب من الله تجلّت عن وجهه الظلما

فضحك مصعب وقال : اقض ما أمرنا لك به ولا بن قيس عندنا مثله ، فما شعر
عبد الله بن قيس إلا وقد وافاه المال .

وحكى عن ابن شهاب الزهرى قال : دعانى يزيد بن عبد الملك ، وقد مضى
شطر الليل ، فأتيته فرعا وهو على سطح ، فقال : لا بأس عليك اجلس ؛
فجلست واندفعت جاريته حباة تقى

إذا رمّتُ عنها سلوةً قال شافعٌ من الحب : ميعاد السلوة المقابر
سيبقى لها في مُضْمَر القلب والحشا سريرة حب يوم تُبلى السرائرُ
قال : لمن هذا الشعر ؟ فقلت : للأحوص ، قال : ما فعل الله به ؟ قلت :
محبوس بدهلك ، فكتب من ساعته بإطلاقه ، وأمر له بأربعمئة دينار ،
وقدم إليه فأحسن جائزته .

وعن ضربه الشعر — وكل من عند الله عز وجل وبمشيئته وقدره —
على بن العباس بن جريح الرومي : كان ملازماً لآبي الحسين القاسم بن عبيد
الله بن سليمان بن وهب مخصوصاً به ، فاتصل ذلك بعبيد الله وسمع هجاءه ،
فقال لولده أبي الحسين : أحب أن أرى ابن روميك هذا ، فجمع بينهما
فرأى رجلاً لسانه أطول من عقله فأشار عليه بإبعاده ، فقال : أخافه ، قال : لم
أرد إقصاءه ولكن بيت أبي حبة النخري : —

فقلنا لها في السرّ نفديك ^(١) لا يرح صحيحاً وإلاً تقتليه فألمى
لحدث أبو القاسم بن فراس بما كان من أبيه — وكان ابن فراس من أشد
الناس عداوة لابن الرومي — فقال له : أنا أكفيك ، فسم له لوزينجة فأت ،
وسبب ذلك كثرة هجائه وبذاته .

ودعبل بن علي الخزاعي : كان هجاءاً للملوك ، جسوراً على أمير المؤمنين ،
متحاملًا ، لا يبالي ما صنع ، حتى عرف بذلك ، وطار اسمه فيه ، فصنع على
لسانه بكر بن حماد التاهرتي ، وقيل : غيره ممن كان دِعبل يؤذيه ويهاجه
ملوك بني العباس في الكتب سبعة ولم تأتتا عن ثامنٍ لهم كُتِبَ
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة كرام إذا عدوا ، وثامنهم كلب
وقال قوم : بل صنعها دِعبل نفسه ، وكان المعتصم يعرف بالثامن
وبالثمن أيضاً ، فبلغه ذلك ، فأمر بطلبه ، فقرّ منه إلى بلد بالسودان بناحية

المغرب - وهي التي تعرف الآن بزويلة بني الخطاب - فأت بها وهناك قبره ، وإلى جانبه قبر عبدالله ابن شيخنا أبي عبدالله محمد بن جعفر النحوي رحمه الله ، هكذا يروى أصحابنا . وأما شعر البحري فيشهد بخلاف هذا ، وذلك أنه رثى دعبلا وأبا تمام حبيبا الطائي فقال في أبيات هجا فيها الخثعمي الشاعر : -

حدث على الأهواز يبعد دونه مسرى النعمى ، ورمة بالموصل
فالذي بالموصل أبو تمام حبيب لا شك ؛ لأنه مات بها وهو يتولى البريد
للحسن بن وهب ، وكان يعنى به كثيراً ، والآخر دعبل ، ورأيت من يرويه
• شِعْوَ بأعلى عَقْرٍ قَوْفَ تَلْقَاهُ هوج الرياح ، ورمة بالموصل
والأول أعرف وأشبه بالصواب .

ووالبة بن الحجاب : ذكر أن الرشيد أو غيره سال من القائل :
ولها - ولا ذنبَ لها - 'حب' كأطراف الرماح
في القلب يجرح دائماً فالقلب مكلوم النواح
فقال له بعض من حضر من العلماء : ذلك والبة بن الحجاب يا أمير
المؤمنين ، وأين تذهب عن معرفته ؟ والله ما رأيت أرق منه شعراً ، ولا
أطيب نادرة ، ولا أكثر رواية ، ولا أجزل معرفة بأيام العرب منه ، فقال :
لم يمنعني منه إلا بيتا شعر قالها وهما

قلت لساقينا على خلوّة أذن كذا رأسك من راسيا
ونم على وجهك لى ساعة إني أمرؤ أنكح جلاسيا
أحب أن ينكحنا لا أم لك ؟ قال : ففسلت أثوابي عرقا من شدة الحياء .
وزيد ابن أم الحكم الثقفي : عهد له الحجاج على فارس فأثاه يودعه ،
فقال له : أشدني ، وقدّر أنه يمدحه ، فأثدده : -

وأبي الذي سلب ابن كسرى راية يضاء تخفق كالعقاب الطائر
فاسترد المهد منه ، وقال لحاجبه : إذا رده عليك قفل له : أو رثلك أبوك

مثل هذا ؟ فقال له الحاجب ذلك ، فقال يزيد : قل للحجاج :
وورثت جدّي نجدهُ وقمّاله وورثت جدّك أعزاً بالطائف
وبمثل هذا السبب غضب سليمان بن عبد الملك على الفرزدق ، وذلك أنه
استنشد له لينشده فيه أو في أبيه ، فأنشده مفتخراً عليه : —

وركب كأنّ الرّيح تطلب عندهم لها ترةً من جدّها بالعصائب
سروا يخطون الرّيح ^(١) وهى تلفهم إلى شعب الأكواردات ^(٢) الحقائب
إذا استوضحوا ناراً يقولون ليها - وقد خصرت أيديهم - نار غالب
فتبين غضب سليمان ، وكان نصيب حاضراً فأنشده : —

أقول لركب قافلين رأيتهم ^(٣) قفاً ذات أو شال ^(٤) ومولاك قارب
قفوا خبروني عن سليمان ؛ إني لمعروفه من أهل ودّان طالب
فعاوجوا فأثبوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أننت عليك الحقائب
فقال : يا غلام ، أعط نصيباً خمسمائة دينار ، وألحق الفرزدق بنار أبيه ،
فخرج الفرزدق مغضباً يقول : —

وخير الشعر أكرمه رجالاً وشراً الشعر ما قال العبيد
ومن ضره الشعر وأهلكه سديف ؛ فانه طعن في دولة بني العباس بقوله
لما خرج محمد بن الحسن بالمدينة على أبي جعفر المنصور في أبيات له : —
إنا لنأمل أن تردّ ألفتنا بعد التباعد والشحناء والإح
وتنقضى دولة أحكام قادتها فينا كاحكام قوم عابدى وثن

(١) في نسخة « الليل »

(٢) في نسخة « من كل جانب »

(٣) في معجم ياقوت « قافلين عشية » وفي رواية أخرى « صادرين لقيتهم »

(٤) أى : رأيتهم خلف ذات أو شال ، وذات أو شال : موضع . وقناه :

جانبه الخلفي ، وهو كما قال الشاعر : —

خذنا أنف هرثى أو قماها فأنما كلا جانبي هرثى لمن طريق

فانهض بيعتكم تنهض بطاعتنا إن الخلافة فيكم يا بني الحسن
فكتب المنصور إلى عبد الصمد بن علي بأن يدفنه حياً ، ففعل ، ويقال : إن
الآيات لعبد الله بن مصعب نسبت إلى سديف وحملت عليه فقتل بسببها ،
وذلك أشد

وأحق الشعراء عندي من أدخل نفسه في هذا الباب أو تعرض له ، وما
للشاعر والتعرض للحتوف ؟ وإنما هو طالب فضل ، فلم يضع رأس ماله ؟
لأسيما وإنما هو رأسه ، وكل شيء يحتمل إلا الطعن في الدول ، فإن دعت
إلى ذلك ضرورة بحجة فتعصب المرء لمن هو في ملكه وتحت سلطانه
• أصوب ، وأعذر له من كل جهة وعلى كل حال ، لا كما فعل سديف ..
وأبو الطيب لما فرّ ورأى الغلبة قال له غلامه : لا يتحدث الناس عنك
بالفرار أبداً وأنت القاتل :

الخيل والليل واليداء تعرفني والطعن والضرب والقرطاس والقلم
فكر راجعاً فقتل ، وكان سبب ذلك هذا البيت ..
وكان كافور الاخشيدى قد وعد أبا الطيب بولاية بعض أعماله ، فلما رأى
تعاطفه في شعره وسموه بنفسه خافه ، وعوتب فيه ، فقال : يا قوم ، من ادعى
النبوة مع محمد صلى الله عليه وسلم لا يدعى المملوك مع كافور ؟ ! حسبكم .
وزعم أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي أن أبا الطيب إنما سمي متنبئاً
لفطنته ، وقال غيره : بل قال : أنا أول من تنبأ بالشعر ، وادعى النبوة في
بني الفصيصة .

والأخبار في هذا النوع كثيرة جداً ، وإنما جئت بأقربها عهداً ، وأشهرها
في كتب المؤلفين ، مما يليق بالموضع ذكره

(١٠) - باب تعرض الشعراء

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عالماً بالشعر ، قليل التعرض لأهله :

استعداه رطيم بن أبي [بن] مقل (١) على النجاشي ل هجاءهم ، فأسلم النظر في أمرهم إلى حسان بن ثابت فرأى من التعرض لأحدهما ، فلما حكم حسان أفند عمر حكمه على النجاشي كالقفلد من جهة الصناعة ، ولم يكن حسان - على علمه بالشعر - بأجسر من عمر رضى الله عنه بوجه الحكم ، وإن اعتل فيه بما اعتل ، وقد مضت الحكاية (٢)

وكذلك صنع في هجاء الحطيئة الزبرقان بن بدر : سأل حسان ثم قضى على الحطيئة بالسجن ، وقيل : بل سجنه لموافقة إياه وقوله : إن لكل مقام مقالا ، فقال له : أتهدنى ؟ امضوا به إلى السجن ، فسجنه في حفرة من الأرض

وسئل أبو عبيدة : أى الرجلين أشعر : أبو نواس ، أم ابن أبي عينة ؟ فقال : أنا لا أحكم بين الشعراء الأحياء ، فقل له : سبحان الله كأن هذا ما تبين لك ؟ فقال : أنا ، لم يتبين له هذا ١١٩٩
وقيل : إن أول من لقب قريشاً - على شرفها ، وبعد ذكرها في العرب - سخينة لحساء كانت تتخذ في الجاهلية عند اشتداد الزمان خدشاً بن زهير حيث يقول : -

يا شدة ما شددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم
فذهب ذلك على أفواه الناس ، حتى كان من التمازح به ما كان بين معاوية ابن أبي سفيان وبين الأخنف بن قيس التيمى ، حين قال له : ما الشيء الملفف في البجاد ؟ فقال له : السخينة يا أمير المؤمنين ، أراد معاوية قول الشاعر : -
إذا ما مات ميتٌ من تميم فسر ك أن يعيش لحيء براد

(١) أبى - بضم الميمزة ، وفتح الباء ، وتشديد اللام ، كما ذكره البغدادي في شرح الشاهد الثاني والثلاثين ، وكان في الأصل « تميم بن أبى مقل » والزيادة عن الخزانة ، ويؤكددها عندنا الآيات التي هجاء بها النجاشي وقد سبقت
(٢) انظر (ص ٣٧ ، ٣٨) من هذا الجزء

بخبز أو بلحم^(١) أو بتمر أو الشيء الملقف في الجداد
يريد وطبّ اللبّن، وأراد الأحنف قول خدّاش بن زهير : يا شدة
ما شدّدنا... البيت : وحتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكعب بن
مالك الانصاري : أترى الله نسي قولك ؟ يعني : —

زَعَمْتَ سَخِينَةً أَنْ سَتَغْلِبُ رِبَهَا وَلِيغْلِبَنَّ مَغَالِبُ الْغَلَابِ
ولسير الشعر على الأفواه هذا المسير تجنب الأشراف مازحة الشاعر

خوف لفظه تسمع منه مزحاً فتعود جداً، كما قال دعلج الخزاعي : —
لا تعرضنَّ بمزح لأمري. طبن ما راضه قلبه أجراه في الشفة
فرب قافية بالمزح جارية في محفل^(٢) لم يُرَدَّ إنمّاؤها تمت
إني إذا قلت بيتاً ماتَ قائلهُ ومن يقول له والبيت لم يمت
وقال رجل لابن الرومي يمازحه : ما أنت والشعر ؟ لقد نلتَ منه حظاً
جسبياً وأنت من العجم ، أراك عريباً في الأصل أو مدعياً في الشعر : قال : بل
أنت دعى^٣ إذ كنت تنسب عريباً ولم تحسن من ذلك شيئاً ، وله يقول
من أبيات : —

إياك يابنَ بُويِبٍ أَنْ يَسْتَشَارَ بُويِبُ

قد تحسنُ الرومُ شعراً ما أحسنه العريبُ

وهذا مثل قول الصيني الشاعر لبعض الأعراب وقد أنشد عبدة بن طاهر
بحضرتة شعراً ، فقال له الأعرابي : ممن الرجل ؟ فقال : من العجم ، قال :
ما للعجم والشعر ؟ أظن عريباً نزا على أمك ، قال : فن لم يقل منكم الشعر
معشر العرب فانما نزا على أمه أعجمي : فسكت الأعرابي .
وأنشد أبو عذّان عمرو بن بحر الجاحظ فقال : —

(١) في نسخة « أو بتمر أو بسمن »

(٢) في نسخة « مشؤمة »

والشعراء ألسنة حدادٌ على العورات موفيةٌ دليله
ومن عقل الكريم إذا اتقاهم وداراهم مداراةً جميله
إذا وضعوا مكايهم عليه - وإن كذبوا - فليس لمن جيله
والآيات لأبي الدهلان . . ولا مرماً قال طرفة :

رأيت القوافي تتلجج موالجاً تضائق عنها أن تواتجها الإبر
وقال امرؤ القيس * وجرح اللسان كجرح اليد * ومع ذلك كله فلا ينبغي
للشاعر أن يكون شرساً شديداً ، ولا حرجاً عريضاً ، لما يدل به من طول
لسانه وتوقف الناس عن معاشته ، فهذا الفرزدق كان شاعر زمانه ورئيس
قومه ، لم يكن في جيله أطرف منه نادرة ، ولا أغرب مدحاً ، ولا أسرع
جواباً : اجتاز بنسوة وهو على بقة فهمها لحقت ، قضا حكن وكان عريضاً ،
فقال : ما يضحككن وما حملتني أثى قط إلا فعلت مثل هذا ، قالت إحداهن :
فا صنعت التي حملتك تسعة أشهر ؟ فانصرف خجلاً .

ومر به رجل فيه لين ، فقال له : من أين أقبلت عمتا ؟ فقال : نفاها
الأغر بن عبد العزيز ، فكان الفرزدق صُبَّ عليه الماء ؛ لأنه عرض له بقول
جرير فيه حين نفاه عمر بن عبد العزيز من المدينة :-

نفاك الأغر بن عبد العزيز وحُقِّك تنقي من المسجد
وكان الفرزدق مرة يشدد ، والكيت صبي ، فأجاد الاستماع إليه ، فقال
له : يا بني أيسرك أني أبوك ؟ قال : أما أبي فلا أرى به بدلاً ، ولكن يسرنى
أنك أمي ، فأفحمه حتى غص بريقه ، وزعم قوم أن هذه الحكاية إنما
وقعت مع كثير .

ومر يوماً بمضرس الفقمسي ، وهو غلام حديث السن ، يشدد الناس شعره
خسده على ماسمه منه ، فقال له بعد كلام طويل فيه تعريض وتصریح :
أدخلت أمك البصرة ؟ وفهم عنه مضرس ما أراد ، فقال : كلا ولكن أبي !

ورجع إلى إنشاده ، فاستحي الفرزدق ، حكى ذلك شيخنا أبو عبد الله ، وإنما أراد الفرزدق أنها إن دخلت البصرة فقد وقعت عليها فأنت ابني ، قال مضرس : بل أبي وقع على أمك

ومثل هذا بعينه عرض للفرزدق مع الخطيئة ؛ فان الخطيئة قال له وقد سمعته ينشد شعراً أعجبه : أنجذت أمك ؟ قال : بل أنجذ أبي ! ونظم ذلك جرير ، ونعاه عليه ، وادعى أنه صحيح فقال : —

كان الخطيئة جارة أمك مرةً والله يعلم شأن ذاك الجارِ
من ثم أنت إلى الزنا بعلة بأشر شيخ في جميع نزارِ
• لا تفخرن • بغالب ومحمد وافخر ببس كل يوم فخر
وكان يزعم أن الخطيئة جاور لينة بنت قرطة فاعجبته فراودها فوقع عليها وزوجها أخوها العلاء غالباً أبا الفرزدق وقد تبين حملها فولدت الفرزدق على فراشه .

واحتذى هذا الحذو سواء أبو السمط مروان الأصغر بن أبي الجنوب ابن مروان بن أبي حفصة فقال يهجو على بن الجهم بن بدر : —
لعمرك ما الجهم بن بدر بشاعر وهذا على بعده يصنع الشعرا
ولكن أبي قد كان جاراً لأمه فلما تعاطى الشعر أوهمني أمرا
والشاعر أولى من كف منطقته ، وأقال عثرات اللسان ؛ لما رزق من القدرة على الكلام ، والعفو من القادر أحسن ، وبه أليق (ولمن اتصّر بعد ظله فاولئك باعليهم من سليل ؛ إنما السليل على الذين يظلمون الناس ، ويغنون في الأرض بغير الحق ، أولئك لهم عذاب أليم ، ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور)

(١١) — باب التكسب بالشعر ، والآفة منه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنها كم »^(١) عن قيل وقال ،

(١) في نسخة « إن الله ينهاكم »

وعن كثرة السؤال ، وإضاعة المال ، وعقوق الأمهات ، وواد البنات ، ومنع وهات ..

وكانت العرب لا تكسب بالشعر ، وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاكه أو مكافأة عن يد لا يستطيع أداء حقها إلا بالشكر إعظاماً لها ، كما قال امرؤ القيس [بن حجر] يمدح بني تميم رهط المعلى :-

أفرحنا امرؤ القيس بن حجر بنو تميم مصاييح الظلام
لأن المعلى أحسن إليه وأجاره حين طلبه المنذر بن ماء السماء ، لقتله بني
أبيه الذين قتل مدير مرينا ، فقيل لبني تميم « مصاييح الظلام » من ذلك اليوم
لبيت امرؤ القيس ، وقال [أيضاً] لسعد بن الضباب :-
سأجزيك الذي دافعت عني ومايجزيك عني غير شكرى
فأخبره أن شكره هو الغاية في مجازاته كما قدمت

حتى نشأ التابعة الذبياني فدح الملوك ، وقبل الصلة على الشعر ، وخضع
للنعمان بن المنذر وكان قادراً على الامتناع منه بمن حوله من عشيرته أو من
سار إليه من ملوك غسان ، فسقطت منزلته ، وتكسب مالا جسيما ، حتى
كان أكله وشربه في صحاف الذهب والفضة وأوانيها (٢) من عطاء الملوك

وتكسب زهير بن أبي مسلى بالشعر يسيراً مع هرم بن سنان
فلما جاء الأعشى جعل الشعر متجراً يتجر به نحو البلدان ، وقصد حتى ملك
العجم فأتابه وأجزل عطيته علماً بقدر ما يقول عند العرب ، واقتدا بهم
فيه ، على أن شعره لم يحسن عنده حين فسر له ، بل استهجنه واستخف به ،
لكن احتذى فعل الملوك ملوك العرب .

وأكثر العلماء يقولون : إنه أول من سأل بشعره ، وقد علمنا أن التابعة
أسن منه وأقدم شعراً ، وقد ذكر عنه من التكسب بالشعر مع النعمان بن

المنذر مع ما فيه قبح : من مجاعة الحاجب ^(١) ، ودس الندماء على ذكره بين يديه ، وما أشبه ذلك
وذكر أن أبا عمرو بن العلاء سئل : لم خضع النابغة للنعمان ؟ فقال : رغب في عطائه وعصافيره ، وأما زهير فابلقه الطائي قطمعة باجتماعه ^(٢) من يمدحه ،
ويدلك على ذلك ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنة زهير حين سألتها :
ما فعلت حلل هرم بن سنان التي كساها أباك ؟ قالت : أبلاها الدهر ، قال :
لمكن ما كساه أبوك هرماً لم يلبه الدهر ، وقال [عمر رضي الله تعالى عنه] لبعض
ولد هرم بن سنان : أنشدني ما قال فيكم زهير ، فأنشده ، فقال : لقد كان يقول
فيكم فيحسن ، قال : يا أمير المؤمنين إنا كنا نعطيه فنجزل ، قال عمر : ذهب
ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم .

ثم إن الحطيئة أكثر من السؤال بالشعر ، وانحطاط المهمة فيه ، والالحاف ،
حتى مقت وذل أهله وهلم جرا ، إلى أن حرم السائل وعدم المسئول
إلا بقايا من أناس بهم إلى سيل المكرمات يهتدى
كالسيد أبي الحسن أحسن الله إلى الدنيا ببقائه .

وأما أكثر من تقدم فالتألب على طباعهم الأنفة من السؤال بالشعر ،
وقلة التعرض به لما في أيدي الناس ، إلا فيما لا يزرى بقدر ولا مروءة
كالفلتة النادرة والمهمة العظيمة ، ولهذا قال عمر رضي الله عنه : نعم ما تعلته
العرب الآيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته ، ألا ترى أن لبيد
ابن ربيعة لما بعث إليه الوليد بن عقبة مائة من الإبل ينحرها كمادته عند
هبوب الصبا ، وقد أسن وأفل ، وكان يطعم الناس ما هبت الصبا ، قال لابنته :
اشكركي هذا الرجل فإني لا أجد نفسي تجيبي ، ولقد أراني لا أعني بجواب
شاعر ، فقالت هذه الآيات : —

إذا هبت رياح أبي عقيل دعونا عند هبتها الوليدا

(١) في نسخة « معالجة الحاجب » (٢) كذلك جميع الأصول ، ولم يبين لنا وجهه

(هـ العلة - ج ١)

أغر الوجه أبيض عشمياً أعان على مروءته ليستدا
بأمثال المضارب كأن ركباً عليها من بني حام قموذا
أبا وهب جزاك الله خيراً نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد إن الكريم له معاد وظني بآبن أروى أن يعودا

وعرضتها عليه فقال : لقد أجدت لولا أنك استعدت ، كراهية في قولها

* فعد إن الكريم له معاد * وروى : لولا أنك استزدت .

وقالوا : كان الشاعر في مبتدأ الأمر أرفع منزلة من الخطيب ؛ لحاجتهم إلى الشعر في تخليد المآثر ، وشدة العارضة ، وحماية العشيرة ، وتهيبهم عند شاعر غيرهم من القبائل ، فلا يقدم عليهم خوفاً من شاعرهم على نفسه وقبيلته ، فلما تكسبوا به وجعلوه طعمة وتولوا به الأعراض وتناولوها صارت الخطابة فوقه ، وعلى هذا المنهاج كانوا حتى فشت فيهم الضراعة ، وتقطعوا أموال الناس ، وجشعوا فخشعوا ، وأطمأنت بهم دار الذلة ، إلا من وقر نفسه وقارها وعرف لها مقدارها ، حتى قبض قفى العرض مصون الوجه ، مالم يكن به اضطرار تحل به الميتة ، فأما من وجد البلغة والكفاف فلا وجه لسؤاله بالشعر .

فقد حكى عن ابن ميادة أنه مدح أبا جعفر المنصور بكلمته التي يقول فيها :-

فوجدت حين لقيت أيمن طائر ووليت حين وليت بالاصلاح
وعفوت عن كسر الجناح ولم يكن لتطير ناهضة بغير جناح
قوم إذا مجلب التناء إليهم بيع التناء هناك بالارباح

وأناه راعى إليه بلبن فشرب ثم مسح على بطنه وقد عزم على الرحلة فقال :

سبحان الله أفد على أمير المؤمنين وهذه الشربة تكفيني ؟ ! وأصرف وجهه عن قصده ، فلم يقد عليه ، هذا على أنه ساقه الشعراء ، فأنت ترى كبير نفسه ، وبعد همته ، على أن عبد الله بن عمر على جلالاته ، والحسن البصري ، وعكرمة ، ومالك

ابن أنس المذني وجملة من أهل العلم غير هؤلاء ، كانوا يقبلون صلوات الملوك .
وقد سئل عثمان بن عفان رضي الله عنه عن مال السلطان ، فقال : لحم طير زكى .

والشعراء في قبولها مال الملوك أعذر من المتورعين وأصحاب الفتيا ،
لما جرت به العادة قبل الإسلام وعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبعده إلى أيام المنصور الذي أنقذ ابن ميادة أن يفد عليه
وهكذا يروى عن جميل بن عبد الله بن معمر أنه ممدوح أحد أقط إلا
ذويه وقرباته ، وأنه صحب الوليد بن عبد الملك في سفر فكلفه أن يرجز
به ، وظن أنه يمدحه ، فأنشأ يقول : —

أنا جميل في السنام من ممد في الدروة العكياء والركن الأشد
فقال له الوليد : اركب لاحتلت .

وزعم محمد بن سلام الجعفي أنه مدح عبد العزيز بن مروان بقوله
في شعره : —

أبا مروان أنت قتي قريش وكهلم إذا عد الكهول
توليه العشيذة ما عاها فلا ضيق الذراع ولا بخيل
كلا يوميه بالمعروف طلق وكل بلائه حسن جميل

وعمر [بن عبد الله] بن أبي ربيعة المخزومي ، وكان يشبه به من المولدين
العباس بن الأخنف ، فانه عن أنف عن المدح نظراً ، وقال فيه مصعب الزيرى :
العباس عمر العراق ، يريد أنه لأهل العراق كعمر بن أبي ربيعة لأهل الحجاز
استرسالا في الكلام وأفتة عن المدح والمجاء ، واشتهر بذلك ، فلم يكن يكلفه
إياه أحد من الملوك ولا الوزراء ، وقد أخذ صلة الرشيد وغيره على حسن
التغزل ولطف المقاصد في التشبيب بالنساء .

وهذا باب قد احتذاء الكتاب في زماننا هذا إلا القليل ، وقوم من شعراء
وقتنا أنا ذا كرمهم في كتاب غير هذا ، إن شاء الله .

وعلى كل حال فإن الآخذ من الملوك كما فعل التابعة ، ومن الرؤساء الجلة
كما فعل زهير ؛ سهلٌ وخفيف .

فأما الحطيئة فقيح الله همته الساقطة على جلاله شعره وشرف بيته ، وقد
كانت الشعراء ترى الآخذ من دون الملوك عارا ، فضلا عن العامة وأطراف
الناس . قال ذو الرمة يهجو مروان بن أبي حفصة بذلك ، ويفتخر عليه بأنه
لا يقبل إلا صلة الملك الأعظم وحده ، هكذا رواه عبد الكريم وأنشده ابن
عبد ربه أيضا : —

عطايا أمير المؤمنين ولم تكن مقسمة من هؤلاء وأولئك
ومالت حتى شبت إلا عطية تقوم بها مصرورة في ردائك
وأنشدله أو لغيره : —

وما كان مالي من تراث ورثته ولادية كانت ، ولا كسب مأثم
ولكن عطاء الله من كل رحمة إلى كل محبوب السراقد خضرم
قال صاحب الكتاب (١) : والذي أعرف أن سلم بن عمرو الخاسر كتب
إلى مروان بن أبي حفصة : —

من مبلغ مرءان عني رسالة مغلغة لا تنقش عن لقائكما
جبان أمير المؤمنين بنفحة ثمانين ألفا طأطأت من جباكما
أنين ألفا نلت من صلب ماله ولم تك قسما من أولى وأولئك
فأجابه مروان عن ذلك فقال : —

أسلم بن عمرو قد تعاطيت خطه تقصّر عنها بعد طول عنائك
وإن لسباق إذا الخيل كافت مدى مائة أو غاية فوق ذلك
فدع سابقا إن عاودتك عجاجة سنابك أو هين منك سنابك
رأيت امرأ نال السها فحسدته فلم يبق إلا أن تموت بدائك
طلبت من المهدي شطر جباهه فقال لك المهدي لست هنالك

فما أعولت أم على ابن ، ولا بكى
عضضت على كفيك حتى كأنما
حيث بأوقار البغال وإنما
وما نلت حتى شبت إلا عطية
وما عبت من قسم الملوك لشاعر
وأقسم لولا ابن الربيع ورفده
ومن قول مروان أيضاً :-
ولقد حيت بألف ألف لم تكن
مازلت أنف أن أولف مدحة
ماضرنى حسد اللثام ، ولم يزل
وقال آخر فيما يناسب هذا ويشد على يد من تمذهب به
أو اعتقده :-

وإذا لم يكن من الذل بدء فائق بالذل إن لقيت الكبارا
وافتر بشار بن برد فقال :-
وإني لنهاض اليمين إلى العلا قروح لا بواب المهام المتوجج
ويروى « وإني لسوار اليمين » أى : مرتفع

(١٢) - باب تنقل الشعر في القبائل

ذكر أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي في كتاب الطبقات ، وغيره من
المؤلفين ، أن الشعر كان في الجاهلية في ريمة ، فكان منهم مهلهل بن ربيعة
واسمه عدى - وقيل : امرؤ القيس - وإنما سمي مهلهلا لهلهة شعره ، أى :
رقته وخفته ، وقيل : لاختلافه ، وقيل : بل سمي بذلك لقوله :-

لما تَوَقَّلَ في الكراع شريدهم هلهت أثار جابر أو صنبلا^(١)
ويروى * لما توعر في الكلاب هجينهم * قال أبو سعيد الحسن بن الحسين

(١) ويروى :- لما توغل في الكراع هجينهم هلهت أثار مالكا أو صنبلا

السكرى : يعنى بقوله « هجينهم » امرأ القيس بن حمام ^(١) الذى ذكره
امرؤ القيس فى شعره حيث يقول :-

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكي ابن حمام
وكان مهلهل تبعه يوم كلاب فقاته ابن حمام بعد أن تناوله مهلهل بالرحم ،
وقد كان ابن حمام أغار على بنى تغلب مع زهير بن جناب فقتل جابراً
وصنبلاً ، ويروى « لآتنا » بمعنى لعلنا ، وهى لغة فيما زعم بعض المؤلفين ،
والذى كنت أعرف « لعلنا » بالعين ونونين ، وكذلك أعرف « ابن
حذام » بذال معجمة ، كذا روى الجاحظ وغيره ، ويروى « خذام » بالخاء
والذال المعجمتين . وكان مهلهل أول من قصد القصائد ، قال الفرزدق :
ابن غالب :-

• ومهلهل الشعراء ذاك الأول •

وهو خال امرئ القيس بن حجر الكندى الشاعر ، وجد عمرو بن
كثوم الشاعر أبو أمه .

ومنهم المرقشان ، والأكبر منهما عم الأصغر ، والأصغر عم طرفة بن
العبد ، واسم الأكبر عوف بن سعد ، وعمرو بن قيثة ابن أخيه ، ويقال :
إنه أخوه ، واسم الأصغر عمرو بن حرملة ، وقيل : ربيعة بن سفيان ،
وهذا أعرف ..

ومنهم سعد بن مالك الذى يقول :-

يا بؤسَ للحربِ التى وضعت أرامطَ فاستراحوا

ولا أدرى هل هو أبو عمرو بن قيثة الشاعر والمرقش الأكبر أم لا ؟؟
وطرفة بن العبد ، وعمرو بن قيثة ^(٢) ، والحارث بن حلزة ، والمتلس - وهو
خال طرفة ، واسمه جرير بن عبد المسيح - والأعشى - واسمه ميمون بن

(١) المعروف أنه ابن حذام ، كما ستقف عليه فى كلام المؤلف ، ولعله من

تصحيف النسخ فيما اطلع عليه المؤلف من كتاب السكرى (٢) تكرر ذكره

قيس بن جندل - وخاله المسيب بن علس - واسم المسيب زهير -
ثم تحول الشعر في قيس : ففهم التابعتان ، وزهير بن أبي سُلى ، وابنه
كعب ؛ لأنهم ينسبون في عبد الله بن غطفان ، واسم أبي سُلى ربيعة ، وليد ،
والخطيئة ، والشياخ - واسمه معقل بن ضرار - وأخوه مزرد - واسمه جزء
ابن ضرار ، وقيل : بل اسمه يزيد وجزء أخوهما - وكان المزرد شريراً يهجو
ضيوفه ، وهجا قومه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : -
تعلم رسول الله أننا كأئمة أئمة بأئمة ثعالب ذى صحل
تعلم رسول الله لم أر مثلهم أجر على الأدنى وأحرم للفضل
ومنهم خدش بن زهير .

ثم استقر الشعر في تميم : ومنهم كان أوس بن حجر شاعر مضر في
الجاهلية ، لم يتقدمه أحد منهم ، حتى نشأ النابغة وزهير فأخلاه ، وبقي شاعر
تميم في الجاهلية غير مدافع ، وكان الاصمعي يقول : أوس أشعر من زهير ،
ولكن النابغة طأطأ منه ، وكان زهير راوية أوس ، وكان أوس زوج أم زهير
وسئل حسان بن ثابت رضى الله عنه : من أشعر الناس ؟ فقال : أرجلا
أم حياً ؟ قيل : بل حياً ، قال : أشعر الناس حياً هذيل ، قال ابن سلام الجمحي :
وأشعر هذيل أبو ذؤيب غير مدافع ، وحكى الجمحي قال : أخبرني عمر بن
معاذ المعمرى قال : في التوراة مكتوب أبو ذؤيب مؤلف زورا ، وكان اسم
الشاعر بالسريانية ، فأخبرت بذلك بعض أصحاب العريية - وهو كثير بن
إسحاق - فأعجب منه وقال : قد بلغت ذلك ، وقال الاصمعي : قال أبو عمرو
ابن العلاء : أفصح الشعراء لساناً وأعذبهم أهل السروات ، وهن ثلاث وهي
الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن : فأولها هذيل ، وهي تلي السهل من
تهامة ، ثم بحيلة السراة الوسطى ، وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها ، ثم سراة
الأزد أزدي شنوة ، وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نضر بن الأزد ، وقال
أبو عمرو أيضاً : أفصح الناس علياً تميم وسفلى قيس ، وقال أبو يزيد : أفصح الناس

سافلة المالية وعالية السافلة ، يعنى عجز هوازن ، قال : ولست أقول « قالت العرب » إلا ما سمعت منهم ، وإلا لم أقل « قالت العرب » .. وأهل العالية أهل المدينة ومن حولها ومن يليها ودنا منها ، ولقنهم ليست بتلك عنده .

وقوم يرون مقدمة الشعر لليمن فى الجاهلية بامرئ القيس ، وفى الاسلام بحسان بن ثابت ، وفى المولدين بالحسن بن هاني واصحابه : مسلم بن الوليد ، وأبى الشيص ، ودعبل ، وكلهم من اليمن ، وفى الطبقة التى تليهم بالطائين : حبيب ، والبحتري ، ويحتمون الشعر بأبى الطيب ، وهو خاتمة الشعراء لا محالة ، وكان ينسب فى كندة ، وهى رواية ضعيفة ، إنما ولد فى كندة بالكوفة فيما حكى ابن جنى ، وإلا فكان غاض النسب ، فيقولون : بدى الشعر بكندة - يعنون امرأ القيس - وختم بكندة - يعنون أبى الطيب - وزعم بعض المتأخرين أنه جعنى ، وقوم منهم صاحب بن عباد يقولون : بدى الشعر بملك وختم بملك ، يعنون امرأ القيس وأبى فراس الحارث بن سعيد بن حمدان ، وقال آخرون : بل رجع الشعر إلى ربيعة فحتم بها كما بدى بها ، يريدون مهلهلاً وأبى فراس ، وأشعر أهل المدر باجماع من الناس واتفاق حسان بن ثابت .. وقال أبو عمرو بن العلاء : ختم الشعر بنذى الرمة ، والرجز برقبة بن العجاج ، وزعم يونس أن العجاج أشعر أهل الرجز والقصيد ، وقال : إنما هو كلام فأجودهم كلاماً أشعرهم ، والعجاج ليس فى شعره شئ يستطيع أحد أن يقول : لو كان فى مكانه غيره لكان أجود ، وذكر أنه صنع أرجوزته « قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الْإِلَهَ فَجَبَرَ » فيها نحو مائتى بيت وهى موقوفة مقيدة ، قال : ولو أطلقت قوافيها وساعد فيها الوزن لكانت منصوبة كلها .. وقال أبو عبيدة : إنما كان الشاعر يقول من الرجز البيتين والثلاثة وبحو ذلك ، إذا حارب أو شاتم أو فاجر ، حتى كان العجاج أول من أطاله وقصده ، ونسب فيه ، وذكر الديار ، واستوقف الركاب عليها ، ووصف ما فيها ، وبكى على الشباب ، ووصف الراحلة ، كما فعلت الشعراء بالقصيد ،

فكان في الرجاز كأمريء القيس في الشعراء... وقال غيره : أول من طول
الرجز الأغلب العجلى ، وهم قديم ، وزعم الجمعي وغيره أنه أول من رجز ،
ولا أظن ذلك صحيحاً ؛ لأنه إنما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، ونحن نجد الرجز أقدم من ذلك .. وكان أبو عبيدة يقول : افتتح
الشعر بأمريء القيس ، وختم بآبن هرمة ، ولم أر أنقذ من الذي قال : أشعر
الناس من أنت في شعره .. وأنشد مروان بن أبي حفصة يوماً جماعة من
الشعراء وهو يقول في واحد بعد واحد : هذا أشعر الناس ، فلما كثر ذلك
عليه قال : الناس أشعر الناس

(١٣) - باب في القدماء والمحدثين

كل قديم من الشعراء فهو مُحَدَّثٌ في زمانه بالاضافة إلى من كان قبله ،
وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن آمر
صياتنا بروايته ، يعنى بذلك شعر جرير والفرزدق ، فجعله مولداً
بالاضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين ، وكان لا يمد الشعر إلا ما كان
للمتقدمين :

. قال الاصمعي : جلست إليه ثمانى (١) حجج فاسمعته يحتج بيت إسلامي
وسئل عن المولدين فقال : ما كان من حسن فقد سبقوا إليه ، وما كان من
قيح فهو من عندهم ، ليس النقط واحداً : ترى قطعة ديباج ، وقطعة مسيح (٢) ،
وقطعة نطع . هذا مذهب أبي عمرو وأصحابه : كالاصمعي ، وابن الأعرابي
- أعنى أن كل واحد منهم يذهب في أهل عصره هذا المذهب ، ويقدم من
قبلهم - وليس ذلك الشيء إلا لحاجتهم في الشعر إلى الشاهد ، وقلة ثقتهم بما
يأتى به المولدون ، ثم صارت الحاجة .

(١) في نسخة « عشر حجج » (٢) المسيح : التبديل الحسن ، وكان
في الأصل « مسح »

فأما ابن قتيبة فقال : لم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص قوماً دون قوم ، بل جعل الله ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثاً في عصره .

ومما يؤيد كلام ابن قتيبة كلام على رضى الله عنه « لولا أن الكلام يعاد لنفد » فليس أحدنا أحق بالكلام من أحد ، وإنما السبق والشرف معا في المعنى على شرائط نأتى بها فيما بعد من الكتاب إن شاء الله .. وقول عنترة « هل غادر الشعراء من مترد » يدل على أنه يعد نفسه محدثاً ، قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه ولم يغادروا له شيئاً ، وقد أتى في هذه القصيدة بما لم يسبقه إليه متقدم ، ولا نازعه إياه متأخر .. وعلى هذا القياس يحمل قول أبى تمام - وكان إماماً في هذه الصناعة غير مدافع - :

يقول من تفرع أسماعه كم ترك الأول للآخر

فنفض قولهم « ماترك الأول للآخر شيئاً » وقال في مكان آخر فزاده بياناً وكشفاً للمراد :-

فلو كان يفنى الشعر أفناه ماقرت حياضكم في العصور الذواهب

ولكنه صوب العقول : إذا انجلت سحائب من أعقبت بسحائب

وإنما مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين : ابتدأ هذا بناء فاحكمه وأتقنه ثم أتى الآخر فنتقشه وزينه ، فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن ، والقدرة ظاهرة على ذلك وإن خشن ..

أحمد سمعت القاضي أبا الفضل جعفر بن أحمد النحوى - وقد سئل عن ذى الرمة وأبى تمام - فأجاب بجواب يقرب معناه من هذا لم أحفظه .

وقال أبو محمد الحسن بن على بن وكيع وقد ذكر أشعار المولدين : إنما تروى لمنوبة أفاضها ، ورقها ، وحلاوة معانيها ، وقرب مأخذها ، ولوسلك المتأخرون مسلك المتقدمين في غلبة الغريب على أشعارهم ووصف المهامه

والقفار ، وذكر الوحوش والحشرات - مارويت ؛ لأن المتقدمين أولى بهذه المعاني ، ولا سيما مع زهد الناس في الأدب في هذا العصر وما قاربه ، وإيما تكتب أشعارهم لقربها من الأفهام ، وأن الخواص في معرفتها كالعوام ، فقد صار صاحبها بمنزلة صاحب الصوت المطرب : يستميل أمة من الناس إلى استماعه وإن جهل الألحان وكسر الأوزان . . . وقاتل الشعر الحوشى بمنزلة المغنى الخافق بالنغم غير المطرب الصوت : يُعرض عنه إلا من عرف فضل صنعته ، على أنه إذا وقف على فضل صنعته لم يصلح لمجالس اللذات ، وإيما يجعل معلماً للطربات من القينات : يقومهن بحذقه ، ويستمتع بحلوتهن دون حلقة ؛ ليسلن من الخطأ في صناعتهن ، ويطربن بحسن أصواتهن .

وهذا التمثيل الذى مثله ابن وكيع من أحسن ما وقع ، إلا أن أوله من قول أبي نواس : . . .

صفة الطلول بلاغة القُدُم فاجعل صفاتك لابنة الكَرَم

لا تُخَذَّ عَنَّْ عن التى جعلت سقم الصحيح وصحة السقم

تصف الطلول على السماع بها أفذو العيان كأنت فى الحكم؟

وإذا وصفت الشيء متبعا لم تخل من غلط ومن وهم

ولم أر فى هذا النوع أحسن من فصل آتى به عبد الكريم بن إبراهيم فانه عبد

قال : قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد ، فيحسن فى وقت ما لا يحسن فى

آخر ، وبستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره ، ونجد الشعراء

الحدائق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله ، بعد أن

لا تخرج من حسن الاستواء ، وحد الاعتدال ، وجودة الصنعة ، وربما

استعملت فى بلد ألفاظ لا تستعمل كثيراً فى غيره : كاستعمال أهل البصرة

بعض كلام أهل فارس فى أشعارهم ، ونوادير حكاياتهم ، قال : والذى اختاره

أنا التجويد ^(١) والتحسين الذى يختاره علماء الناس بالشعر ، ويبقى غايه على

الدمر ، ويبعد عن الوحشى المستكره ، ويرتفع عن المولد ^(١) المتحل .
ويتضمن المثل السائر ، والتشبيه المصيب ، والاستعارة الحسنة .

قال صاحب الكتاب : وأنا أرجو أن أكون باختيار هذا الفصل وإثباته
هنا داخلا في جملة المميزين ، إن شاء الله ، فليس من آتى بلفظ محصور يعرفه
طائفة من الناس دون طائفة لا يخرج من بلده ولا يتصرف من مكانه
كالذى لفظه سائر في كل أرض ، معروف بكل مكان ، وليس التوليد والرقه
أن يكون الكلام رقيقاً سفافاً ، ولا بارداً غثاً ، كما ليست الجزالة
والفصاحة أن يكون حوشياً خشناً ، ولا أعراياً ^(٢) جافياً ، ولكن حالاً
بين حالين ..

ولم يتقدم امرؤ القيس والنايفة والأعشى إلا بحلاوة الكلام وطلاوته ،
مع البعد من السخف والركاكة ، على أنهم لو أغربوا لكان ذلك محمولا
عنهم ؛ إذ هو طبع من طباعهم ، فالمولد المحدثُ - على هذا - إذا صح كان
لصاحبه الفضل البين بحسن الاتباع ، ومعرفة الصواب ، مع أنه أرق حوكاً
وأحسن دياجاة

(١٤) - باب المشاهير من الشعراء

والشعراء أكثر من أن يحاط بهم عدداً ، ومنهم مشاهير قد طارت
أسمائهم ، وسار شعرهم ، وكثر ذكرهم ، حتى غلبوا على سائر من كان في
أزمانهم ، ولكل أحد منهم طائفة تفضله وتتعصب له ، وقل ما يجتمع على
واحد ، إلا ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في امرئ القيس « أنه
أشعر الشعراء وقتلهم إلى النار » ، يعنى شعراء الجاهلية والمشركين . قال
دعبل بن علي الخزاعي : ولا يقود قوماً إلا أميرهم .. وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه للعباس بن عبد المطلب رحمه الله وقد سأله عن الشعراء : امرؤ

(١) في نسخة « المؤلف » (٢) في نسخة « ولا غريباً جافياً »

القيس سابقهم : خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصبح بصر .
قال عبد الكريم : « خسف لهم » من الخسيف وهي البئر التي حفرت في
حجارة فخرج منها ماء كثير ، وجمعها خسف ، وقوله « افتقر » أى : فتح
وهو من الفقير ، وهو فم القناة ، وقوله « عن معان عور » يعنى أن
امراً القيس من اليمن ، وأن اليمن ليست لهم فصاحة نزار ، فجعل لهم [معانى]
عوراً فتح منها امرؤ القيس أصبح بصر . . قال : وامرؤ القيس يمانى
النسب ، نزارى الدار والمنشأ ، وفضله على رضى الله عنه بأن قال : رأيت
أحسنهم نادرة ، وأسبغهم بادرة ، وأنه لم يقل لرغبة ولا رهبة .

. وقد قال العلماء بالشعر : إن امراً القيس لم يتقدم الشعراء ؛ لأنه قال ما لم
يقولوا ، ولكنه سبق إلى أشياء فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها ، لأنه قيل
أول من لطف المعانى ، واستوقف على الطلول ، ووصف النساء بالظباء والمها
والبيض ، وشبه الخيل بالعقبان والعصى ، وفرق بين النسيب وما سواه من
القصيد ، وقرب مأخذ الكلام : فقيد الأوابد ، وأجاد الاستعارة والتشبيه .
روى الجحى أن سائلاً سأل الفرزدق : من أشعر الناس ؟ قال :
ذوالقروح ، قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول : —

وقام سجدتهم بيني أيهم وبالأشقين ما كان العقاب

وأما دعبل فقدمه بقوله فى وصف عقاب : —

ويلمها من هواء الجو طالبة ولا كهذا النى فى الأرض مطلوب
وهذا عنده أشعر بيت قاله العرب .

وسئل ليث : من أشعر الناس ؟ قال : الملك الضليل ، قيل : ثم من ؟ قال :
الشاب القتيل ، قيل : ثم من ؟ قال : الشيخ أبو عقيل - يعنى نفسه - .

وكان الخدائق يقولون : الفحول فى الجاهلية ثلاثة ، وفى الاسلام ثلاثة
متشابهون : زهير والفرزدق ، والنابعة والأخطل ، والأعشى وجرير .

وكان خلف الأحمر يقول : الأعشى أجمعهم . . وقال أبو عمرو بن العلاء :

مثله مثل البازي يضرب كبير الطير وصغيره . وكان أبو الخطاب الأخفش يقدمه جداً لا يقدم عليه أحداً .

وحكى الأصمعي عن ابن أبي طرفة : كفاك من الشعر أربعة : زهير إذا رغب ، والنايفة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب ، وعنترة إذا كلب ، وزاد قوم : وجريز إذا غضب .

وقيل لكثير — أولنصيب — : من أشعر العرب ؟ فقال : امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنايفة إذا رهب ، والأعشى إذا شرب .
وكان أبو بكر رضى الله عنه يقدم النايفة ؛ ويقول : هو أحسنهم شعراً ، وأعذبهم بحراً ، وأبعدهم قرأ .

وسئل الفرزدق مرة : من أشعر العرب ؟ فقال : بشر بن أبي خازم ؛ قيل له : بماذا ؟ قال بقوله :-

ثوى في مأحٍ لا بد منه كنى بالموت نأياً واغتراباً
ثم سئل جرير فقال : بشر بن أبي خازم ، قال : بماذا ؟ قال : بقوله :-
رهين لي وكل فتى سيسلي فشقى الجيب واتحجى انتحاباً
فاتفقا على بشر بن أبي خازم كما ترى

وقال محمد بن أبي الخطاب في كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب : إن أبا عبيدة قال : أصحاب السبع التي تسمى السمط : امرؤ القيس ، وزهير ، والنايفة ، والأعشى ، وليد ، وعمرو بن كلثوم ، وطرفة . قال : وقال المفضل : من زعم أن في السبع التي تسمى السمط لأحد غير هؤلاء فقد أبطل . فأسقط من أصحاب المعلقات عنترة ، والحارث بن حنظلة ، وأثبت الأعشى ، والنايفة وكانت المعلقات تسمى المذهبات ، وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكُتبت في القباطي بماء الذهب وعلقت على الكعبة ؛ فلذلك يقال : مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره ، ذكر ذلك غير واحد من العلماء ، وقيل : بل كان الملك إذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول : علقوا لنا هذه . لتكون في خزائنه .

وقال الجحفي في كتابه : سأل عكرمة بن جرير أباه جريراً : من أشعر الناس ؟ قال : أعن الجاهلية تسألني أم الإسلام ؟ قال : ما أردت إلا الإسلام فاذا ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها ، قال : زهير شاعرهم ، قال : قلت : فالإسلام ؟ قال : الفرزدق نبتة الشعر في يده ، قلت : فالأخطل ؟ قال : يجيد مدح الملوك ويصيب صفة الخمر ، قلت : فأتركت لنفسك ؟ قال : دعني فاني نحرت الشعر نحراً وكتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر الشعراء في الجاهلية وأشعر شعراء وقته ، فقال : أشعر شعراء الجاهلية امرؤ القيس ، وأضر بهم مثلاً طرفة ، وأما شعراء الوقت فالفرزدق أنفهم ، وجرير أمهم ، والأخطل أوصفهم .

وأما الخطيئة فسئل عن أشعر الناس ، فقال : أبو دؤاد حيث يقول : —
لأعدِّ الإقتارَ عُدْماً ولكن فَقَدْ مَنْ قَدْ رُمِئَتْهُ الإعدام
وهو وإن كان فحلاً قديماً وكان امرؤ القيس يتوكأ عليه ويروي شعره فلم يقل فيه أحد من النقاد مقالة الخطيئة ، وسأله ابن عباس مرة أخرى ، فقال : الذي يقول : —

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يَفِرُّهُ ، ومن لا يتق الشتم يَسْتَم
وليس الذي يقول : —

ولست بمسبوق أخاً لآتله على شعبي ، أي الرجال المهذب ؟ بدونه ، ولكن الضراعة أفسدته كما أفست جرولاً ، والله لولا الجشع لكنت أشعر الماضين ، وأما الباقر فلا شك أني أشعرهم ، قال ابن عباس : كذلك أنت يا أبا مليكة

وزعم ابن أبي الخطاب أن أبا عمرو كان يقول : أشعر الناس أربعة : امرؤ القيس ، والناطقة ، وطرفة ، ومهلل . قال : وقال المفضل : سئل الفرزدق فقال : امرؤ القيس أشعر الناس ، وقال جرير : النابتة أشعر الناس ، وقال الأخطل : الأعشى أشعر الناس ، وقال ابن أحرر : زهير أشعر الناس

وقال ذوالرمة: لبيد أشعر الناس ، وقال الكميث : عمرو بن كلثوم أشعر الناس وهذا يدل على اختلاف الآهواء ، وقلة الاتفاق .

وكان ابن أبي إسحق - وهو عالم ، ناقد ، ومتقدم مشهور - يقول : أشعر الجاهلية مرقش ، وأشعر الاسلاميين كثير ، وهذا غلو مفرط ، غير أنهم مجمعون على أنه أول من أطال المدح ..

وسأل عبد الملك بن مروان الأخطل : من أشعر الناس ؟ فقال : العبد العجلائي ، يعني تميم بن [أبي بن] مقبل ، قال : بمذاك ؟ قال : وجدته في بطحاء الشعراء على الحرفين ، قال : أعرف ذلك له كرهاً .

وقيل انصيب مرة : من أشعر العرب ؟ فقال : أخو تميم ، يعني علقمة بن عبدة ، وقيل : أوس بن حجر ، وليس لأحد من الشعراء بعد امرئ القيس عازهير والتابغة والأعشى في النفوس . .

والذي أتت به الرواية عن يونس بن حبيب النحوي أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس ، وأن أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى ، وأن أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً والتابغة ، وكان أهل العالية لا يمدلون بالتابغة أحداً ، كما أن أهل الحجاز لا يمدلون بزهير أحداً .

وروى ابن سلام يرضه عن عبد الله بن عباس أنه قال : قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنشدني لأشعر شعرائكم ، قلت : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير ، قلت : ولم كان كذلك ؟ قال : كان لا يعاظر بين الكلام ، ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه ، ثم قال ابن سلام على عقب هذا الكلام : قال أهل النظر : كان زهير أحصنهم شعراً ، وأبعدهم من سخف ، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من المنطق ، وأشدهم مبالغة في المدح .

قال صاحب الكتاب : وإذا قوبل آخر كلام عمر بآخر هذا الكلام تناقض قول المؤلف - أعني ابن سلام - لأن عمر إنما وصفه بالخلق في

صناعته ، والصدق في منطقته ؛ لأنه لا يحسن في صناعة الشعر أن يعطى الرجل فوق حقه من المدح لئلا يخرج الأمر إلى التقص والازراء كما أخذ ذلك على أبي الطيب وغيره آنفاً ، وقد فسد الوقت ، ومات أرباب الصناعة ، فإظنك والناس ناس والزمان زمان ، وسيرد عليك في مكانه من هذا الكتاب إن شاء الله ، وقد استحسن عمر الصدق لذاته ، ولما فيه من مكارم الأخلاق ، والمبالغة بخلاف ما وصف ، ويشهد لقول^(١) عمر رضي الله عنه في زهير أنه لا يمدح الرجل إلا بما فيه استحساناً لصدقه ما جاء به الأثر أن رجلاً قال لزهير : إني سمعتك تقول لمريم :-

ولأنت أشجع من أسامة إذ دعيت نزال ولج في الذعر
وأنت لا تكذب في شعرك ، فكيف جعلته أشجع من الأسد ؟ فقال :
إني رأيته فتح مدينة وحده ، ومارأيت أسداً فتحها قط ۱۱ فقد خرج لنفسه طريقاً إلى الصدق ، وعدداً عن المبالغة .. والذي أعرف أنا أن البيت المتقدم ذكره لأوس بن حجر ، والحكاية عنه ، ومثلها عن عمران بن حطان الخارجي لما سأله امرأته كيف قلت :-

فَهَناكَ مَجْزاةُ بَن ثُو رٍ كانَ أشْجَعَ منَ أسامه

وصدريت زهير بن أبي سلمى :-

ولنعم حشو الدرع أنت إذا دعيت نزال ولج في الذعر
إلا أن تكون الأخرى رواية فلا أبعدهما ؛ لأن زهيراً كان يتوكأ على أوس في كثير من شعره ، وهي رواية الجعي لا أظن غير ذلك ، فأما بيت زهير في هذا المعنى فهو :-

ولأنت أشجع حين تتجه السابطال من لينك أبي أجر
وأما التابغة فقال من يحتاج له : كان أحسنهم دياجة شعر ، وأكثرهم

(١) في المطبوعتين « ويشد قول » وهو كما ترى

رواق كلام ، وأذهبهم في فنون الشعر ، وأكثرهم طويلاً جيدة ، ومدحاً ، وهجاء ، وغزراً ، وصفة .

وقال بعض متقدمي العلماء : الأعشى أشعر الأربعة ، قيل له : فأين الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأ القيس يده لواء الشعراء ؟ فقال : بهذا الخبر صح للأعشى ما قلت ، وذلك أنه مامن حامل لواء إلا على رأس أمير ، فأمرؤ القيس حامل اللواء ، والأعشى الأمير .

وقالت طائفة من المتعقبين : الشعراء ثلاثة : جاهلي ، وإسلامي ، ومولد : فالجاهلي امرؤ القيس ، والإسلامي ذو الرمة ، والمولد ابن المعتز . وهذا قول من يفضل البديع [و] بخاصة التشبيه على جميع فنون الشعر . : وطائفة أخرى تقول : بل الثلاثة الأعشى والأخطل وأبونواس . وهذا مذهب أصحاب الخبر وما ناسبها ومن يقول بالتصرف وقلة التكلف .

وقال قوم : بل الثلاثة مهلهل وابن أبي ربيعة وعباس بن الأحنف ، وهذا قول من يؤثر الاتفة ، وسهولة الكلام ، والقدرة على الصنعة والتجويد في فن واحد ، ولولا ذلك لكان شيخ الطبع أبو العتاهية مكان عباس ، لكن أبا العتاهية تصرف .

وليس في المولدين أشهر اسماً من الحسن أبي نواس ، ثم جيب والبحتري ويقال : إنهما أحملا في زمانهما خمسمائة شاعر كلهم مجيد ، ثم يتبعهما في الاشتهار ابن الرومي وابن المعتز ، فطار اسم ابن المعتز حتى صار كالحسن في المولدين وأمرى القيس في القدماء ، فان هؤلاء الثلاثة لا يكاد يحفلهم أحد من الناس ، ثم جاء المتنبي فحلاً الدنيا وشغل الناس .

والاشتهار بالشعر أقسام وجدود ، ولولا ذلك لم يكن نصر بن أحمد الخبزري أشهر من منصور الغمرى وكأوم العتاني وأبي يعقوب الخزيمي وأبي سعيد الخزومي .

وفوق هؤلاء كلهم طبقة في السن أشهرهم وأشعرهم بشار بن برد ،

وليس يفضل على الحسن مولد سواء ، كذا روى الجاحظ وغيره من العلماء . . ومن طبقة بشار مروان بن أبي حفصة ، وأبو دلالة زنديب الجون^(١) الأعرابي ، وقيل زيد ، بالباء معجمة بواحدة ساكنة ومتحركة حكاية المرزباني ، والسيد الحميري ، وسلم الخاسر ، وأبو العتاهية ، وجماعة يطول بهم الشرح ليس فيهم مثله .

ومن طبقة أبي نواس العباس بن الأحنف ، ومسلم بن الوليد صريع الفواني ، والفضل الرقةشي ، وأبان اللاحقي ، وأبو الشبص ، والحسين بن الضحاك الخليع ، ودعبل ، ونظراء هؤلاء ساقهم دِعبل ليس فيهم نظير أبي نواس .

وأما طبقة حبيب والبحترى وابن المعتز وابن الرومي فطبقة متداركة قد تلاحقوا وغطوا على من سواهم حتى نسي معهم بقية من أدرك أبا نواس كابن المعتدل ، وهو من تحول المحدثين وصدورهم المعدودين ، غمره حبيب ذكرًا واشتارًا ، وكأبي هفان أيضاً : أدرك أبا نواس ولحق البحترى فستره ، وكذلك الجمار ، وللجهاز يقول أبو نواس :-

استقى يابن أذين من سلاف الزرجوان

وديك الجن ، وهو شاعر الشام ، لم يذكر مع أبي تمام إلا مجازاً ، وهو أقدم منه ، وقد كان أبو تمام أخذ عنه أمثلة من شعره يحتذى عليها فسرقتها ، ودعبل ما أصاب مع أبي تمام طريقاً على تقدمه في السن والشهرة ، ولم يذكر من أصحاب ابن الرومي وابن المعتز إلا من ذكر بسبيهما في مكاتبة أومناقضة ، وأما أبو الطيب فلم يذكر معه شاعر إلا أبو فراس وحده ، ولولا مكانه من السلطان لأخفاه ، وكان الصنوبري والخبزري مقدمين عليه للسن ، ثم سقطا عنه ، على أن الصنوبري يسمى حبيباً الأصغر لجودة شعره ، ولقيه مرة بالمهصبة - أو غيرها - فقال له يهزأ به : أنت صاحب بغادين ؟ يريد قصيدته

شربنا في بغادين على تلك الميادين

(١) في جميع الأصول « زيد » بالياء ، وهو خطأ

لما فيها من المجون والخلاعة ، فقال له الصنوبري : أنت صاحب الطرطة ؟
يريد قصيده :-

ما أنصف القوم ضبه وأمه الطرطبه

لما فيها من اللين والركاكة ، ولكل كلام وجه وتأويل ، ومن التمس عيأ
وجده ، وقيل : بل قال له : أنت صاحب جاخا ، قال : نعم ، قال : أنت شاعر
بلدك ، يريد قوله في صفة الوعل :-

ذاك أم أعظم كأن مدياه حين عاجا على القذالين جاخا (١)

(١٥) - باب المقلين من الشعراء والمغليين

ولما كان المشاهير من الشعراء - كما قدمت - أكثر من أن يُحصوا ذكرت
من المقلين وأصحاب الواحدة من وسع ذكره في هذا الموضع ، ونهت على
بعض المغنيين منهم ؛ لما تدعو إليه حاجة التأليف ، وتقتضيه عادة التصنيف ،
غير مُفَرَّط ولا مُفَرَّط ، إن شاء الله .

فن المقلين في الشعر : طرفة بن العبد ، وعبيد بن الأبرص ، وعلقمة بن
عبدَةَ الفحل ، وعدي بن زيد . وطرفة أفضل الناس واحدة عند العلماء ،
وهي المعلقة • نحو لَأَطْلَلَنَّ بِبُرْقَةٍ تَهْمَدُ • وله سواها يسير ؛ لأنه قتل صغيراً
حول العشرين فيما روى ، وأصح ما في ذلك قول أخته ترضه :-

عددنا له ستاً وعشرين حجة (٢) فلما توفاهما استوى سيداً ضخماً

فجئنا به لما رجونا إياه على خير حال لا وليداً ولا قمياً

أنشده المبرد ، والقهم : المتأخر في السن . وعبيد بن الأبرص قليل الشعر
في أيدي الناس على قدم ذكره ، وعظم شهرته ، وطول عمره ، ويقال : إنه
عاش ثلاثمائة سنة ، وكذلك أبو دوداد ، وعبيد الذي أجاب امرأ القيس عن
قوله حين قتلت بنو أسد أباه حَجراً

(١) يقال « جاخ السيل الوادي » أي : اقتلع أجرافه

(٢) الذي في ديوان الخرنق أخت طرفة • عددنا له خمسا وعشرين حجة •

وأفتمنٌ علباءٌ جَرِيضًا ولو أدركته صفر الوطاب^(١)
فقال له عبيد وقرعه بقسم من شعره : —

فلو أدركت علباء بن قيس قنعت من الغنيمة بالاياب
لان امرأ القيس قد كان قال : —

وقد طوفتُ في الآفاقِ حتى رَضِيتُ من الغنيمة بالاياب
وقتل عبيداً النعمان^(٢) بن المنذر يوم بؤسه، وقيل : عمرو بن هند . وعلقمة
ابن عبدة حاكم امرأ القيس في شعره إلى امرأته ، فخكت عليه لعلقمة فطلقها ،
وتزوجها علقمة فسمى الفحل لذلك ، وقيل : بل كان في قومه آخر يسمى علقمة
ما لخصي^(٣) من ربيعة الجوع . . وعلقمة الفحل ثلاث قصائد مشهورات
إحداهن : —

* ذَهَبَتْ من المجران في كل مذهب *

ويروى * في غير مذهب * وفي هذه القصيدة وقع الحكمة على امرئ القيس
والثانية قوله : —

* طَلَحَا بِكَ قَلْبٌ في الحِسانِ طَرُوبُ *

والثالثة قوله : —

* هَلْ مَاعَلِمَتْ وَمَا اسْتَوْدَعَتْ مَكْتُومُ *

وأما عدى بن زيد فلقربه من الريف وسكناه الحيرة في حيز النعمان بن
المنذر لانت ألفاظه فحمل عليه كثير ، وإلا فهو مقل ، ومشهوراته أربع :
قوله : —

* أرواحٌ مُودَّعٌ أم بكورُ *

(١) أفتمن : قاتن . علباء : هو ابن الحارث السكاهلي أحد قننة حجر أبي
امريء القيس . جريضاً - بلجيم للموحدة - هو الناص بريقه . صفر الوطاب :
كناية عن انتهاء الأمر وخلو النفس من الحقد (٢) لا ، بل المنذر بن ماء
السماه ، كما سبق ذكره
(٣) واسم علقمة الآخر : علقمة بن سهل

وقوله : —

* أتعرفُ رسم الدار من أمِّ معبد *

وقوله : —

* ليس شيء على المنون يباقي * (١)

وقوله : —

لم أرَ مثلَ الفتيانِ في غيرِ الأيامِ ينسَوْنَ ما عواقبها
وقال بعض العلماء - أحسبه أبا عمرو - : وعدى في الشعراء مثل سهيل
في النجوم : يعا - ضها ولا يجرى معها ، هؤلاء أشعارهم كثيرة في ذاتها ، قليلة
في أيدي الناس ، ذهبت بنهاب الرواة الذين يحملونها .

ومن المقلين المحكمين سلامة بن جندل ، وحسين بن الحام المرى ،
والمتملس ، والمسيب بن علس : كل أشعارهم قليل في ذاته جيد الجملة .

ويروى عن أبي عبيدة أنه قال : اتفقوا على أن أشعر المقلين في الجاهلية
ثلاثة : المتملس ، والمسيب بن علس ، وحسين بن الحام المرى ، وأما أصحاب
الواحدة فطرفة ألهم عند الجحى ، وهو الحكم الصواب

ومنهم عنزة ، والحارث بن حلزة ، وعمرو بن كلثوم ، من أصحاب
المعلقات المشهورات ، وعمرو بن معدى كرب ، صاحب : —

* أَمِنْ رَيْحَانَةِ الدَاعِي السَّمِيعُ *

والأسعر (٢) بن أبي حمران الجعفي صاحب المقصورة : —

(١) في المطبوعتين « من المنون يباقي » وهو واضح الخطأ ، والتصويب عن
عدة كتب ، وتمام البيت : —

غير وجه المسيح الخلاق

(٢) كان في الأصول « الأشعر بن حمدان » وهو خطأ من ثلاثة أوجه :
الأول أنه « الأسعر » بالسين مهملة ، والثاني أن اسم أبيه « أبو حمران » بتقديم

« هل بان قلبك من سليمي فاشتقي »

وسويد^(١) بن أبي كاهل ، صاحب : —

« بسطت رابعة الجبل لنا »

والأسود بن يعفر ، صاحب : —

« نام الخيل فبا أحس رقادي »

وله شعر كثير ، إلا أنه لا ينتهي إلى قصيدته هذه . وكان امرؤ القيس مُقِلًّا ، كثير المعاني والتصرف ، لا يصح له إلا نيف وعشرون شعراً بين طويل وقطعة ، ولا ترى شاعراً يكاد يفلت من جباله ، وهذه زيادة في فضله وتقديره .

وأما المغلوبون فمنهم نابتة بنى جمعة ، ومعنى المغلب : الذي لا يزال مغلوباً . قال امرؤ القيس : —

فأنك لم يفخرْ عليك كفاخرِ ضِعِف ، ولم يفلبك مثل مُغْلِبٍ

يعنى أنه إذا قدر لم يُبق ، فإذا قالوا : غلب فلان فهو الغالب . وقد غلب على الجعدى أو من مغراء القرى ، وُغْلِبَ عليه ليل الأخيلة ، قال^(٢) الجعدي : وقد غلب عليه من لم يكن إليه في الشعر ولا قرياً منه : عقاب بن خويلد^(٣) العقيلي ، وكان مفحماً بكلام لا بشعر ، وهجاء سوار بن أوفى القشيري ، وهجاء وفاخره^(٤)

الأب وإلراء مهمة ، والتسويب عن القاموس وشرحه ، والأسمر لقبه ، واسمه مرند ، وإنما لقب بذلك لقوله : —

فلا تدعني الأقوام من آل مالك إذا أنالم أسمر عليهم وأتقب

(١) في الأصول « وسهيل » وهو واضح الخطأ

(٢) انظر طبقات الشعراء (ص ٤٤)

(٣) في الطبقات « بن خالد »

(٤) في الطبقات : « وهجاء سوار بن أوفى القشيري وفاخره ، وهجاء

الأخطل بأخرة » ، ولعل ما في الأصل محرف عن ذلك

الأخطل ، وله يقول عبيد بن حصين الراعي يتوعده : —

فان زعيم أن أقول قصيدة مينة كالنقب بين المخارم

خفيفة أعجاز الملقى ، ثقيلة على قربها ، نزالة بالمواسم

وقد علم الكافة ما صنع جرير بالأخطل والراعي جميعاً ، وقيل : إن موت الجعدي كان بسبب ليل الأخيالية : فرمى بين يديها فأتت في الطريق مسافراً ، والأصح أنها هي التي ماتت في طلبه . قال الجعدي : كان النابغة الجعدي أقدم من الدياتي ؛ لأنه أدرك المنذر بن محرق ويشهد بذلك قوله : —
تذكرت والذكرى تهيج على الفتى ومن عادة المحزون أن يتذكر
ندامى عند المنذر بن محرق فأصبح منهم ظاهراً الأرض مقفراً
والدياتي إنما أدرك النعمان . وقال غيره : إن النابغة الدياتي شفع عند الحارث بن أبي شمر الغساني حين قتل المنذر في أسارى بني أسد فشفعه ، وإياه عني علقمة بن عبدة بقوله : —

وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نذاك ذنوب

قال الجعدي : وكان الجعدي مختلف الشعر ، سئل عنه الفرزدق فقال : مثله

مثل صاحب الخلقان : ترى عنده ثوب عصب ، وثوب خز ، وإلى جنبه شملة ^(١) كساء . وكان الأصمعي يمدحه بهذا ، وينسبه إلى قلة التكلف ، فيقول : عنده خمار بواف ، ومطرف بألاف — بواف : يعني بدرم وثلك .

ومن المغليين الزبرقان ، غلبه عمرو بن الأهتم ، وغلبه المخبل السعدي ، وغلبه الحطيئة ، وقد أجاب الاثنين ولم يجب الحطيئة .

وقال يونس بن جبيب : كان البعيث مغلباً في الشعر ، غلاباً في الخطب .

ومنهم تميم بن أبي [بن] مقبل : هجاه النجاشي فقهره وغلب عليه ، حتى استعدي قومه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولم يكن من أشكاله في الشعر

فيقرن به ، وهاجى النجاشي^١ عبد الرحمن بن حسان فغلبه عبد الرحمن وأخذه .
 وحدثنا أبو عبد الله محمد بن جعفر ، قال : هجا الأعور بن براء بنى كعب ،
 ومدح قومه بنى كلاب ، فأتى بنو كعب تميم بن أبي [بن] مقبل ينتصرون
 عليه به ، فقال : لا أهجوم ، ولكني أقول فارووا فقد جاءكم الشعر ، وقال : -
 ولست وإن شأحتُ بعضَ عَشِيرَتِي لا ذَكَرَ ما الكَهْلُ الكَلالِي ذَا كُرُ
 فكم لي من أُمِّ لَعبَتُ بَديها كَلالِيَّةٌ عادتُ عليها الأواصرُ
 فأتى الأعور بن براء بنو كعب فغفوه ورجعوا عليه ، فقال : -
 ولستُ بشاتمٍ كعباً ، ولكن على كعبٍ وشاعرٍ ما السلامُ
 ولستُ يائِعٌ قوماً بقومٍ هم الأتفُ المقدَّمُ والسنامُ
 وكائنُ في المعاشِر من قَبيلِ أخومٍ فوقهم وهم كرام
 قسما ، وكان سبب ذلك إغضاء ابن مقبل وإعطائه المقادة هرباً من
 الهجاء ، وقوم يرون ذلك منه أنفة .

ومن مغلبي المولدين - على جلالته ، وتقدمه - بشار بن برد ، فإن حماد
 عجرد - وليس من رجاله ، ولا أكفائه - هجاه فأبكاه ، ومثل به أشد تمثيل .
 وعلى بن الجهم : هاجى أبا السمط مروان بن أبي الجنوب فغلبه مروان ،
 وهاجاه البحري فغلب عليه أيضاً ، على أن علياً أقذع منه لساناً ، وأسبق إلى
 ما يريد من ذلك ، وأقدم سنأ .

ومنهم حبيب : هاجى السراج وعتبة^(١) فما أتى بشيء ، وهجاه ابن المعتزل
 حين أراد وجهته فقال : أما هذا فقد كفى ناحيته ، ولم يقدم عليه ، على أن
 حبيباً أطول منه ذكراً وأبعد صوتاً في الشعر ، والذي قال له : -
 أنتَ بين اثنتين ، تبرز لنا من لكتيهما بوجه مذل

(١) كان أبو تمام يهجو عبد الله الكاتب ، وعتبة بن أبي طاصم ، ومقران
 المبادكي ، وعياش بن طبيعة ، وأبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي ، ويوسف
 السراج

لست تنفك طالباً لوصال من حبيب أو راغباً في نوال
أي ماء لحر وجهك يقي بين ذل الهوى وذل السؤال
ورأيت في شعر ابن المعتدل في رواية المبرد أن عبد الصمد اجتمع بحبيب
عند بعض بني هاشم فكتب في رقعة هذه الآيات المذكورة وألقاها إليه ،
وهاجى دعبلاً فاستطال عليه دعبلاً أيضاً

(١٦) — باب من رغب من الشعراء عن ملاحاة غير الألفاء

منهم الزبير قان بن بدر : لما هجاه المخبل السعدي جأوبه بعتاب ؛ لأنه رآه
أهلاً لذلك من أجل شرف بيته وجلالته في نفسه ، فلما هجاه الخطيئة لم يره
مكاناً للجواب ، على أنه ابن عمه وجاره في النسب لانهما جميعاً من مضر ، بل
استعدي عليه عمر رضي الله عنه فأنصفه .

وسحيم بن وثيل يقول للأحوص والأبيرد بن « المعذر » — وهما
شاعران مفلقان ، وقال عبد الكريم : الأبيرد بن أخي الأحوص : —
عَدَرْتُ البُرْزُلَ إِن هِيَ خَاطَرَتِي فَا بِأَلِي وَبَالُ ابْنِي لَبُون
فَأَنْتَ تَرَى هَذَا الْاِحْتِقَارَ . ومثل هذا — وإن لم يكن من هذا الباب بحتاً —
قول الفرزدق لعمر بن لجأ لما أعانه الفرزدق على جرير بشعر ، وفطن له
جرير ، فدهش عمر ولم يجد جواباً ، فقال الفرزدق حين بلغه ذلك يستضعفه
ويستوهن عزمه —

وما أنتَ إِنْ قرما تميم تساميا أعا اليم إلا كالوشيفة في العظم
فلو كنت مولى العز أو في طلابه ظلمت ولكن لا يدي لك بالظلم

(١) في المطبوعتين « ابني المعذر » وهو واضح الخطأ ؛ فإن الأحوص
هو أبو محمد الأحوص بن عبد الله بن ثابت بن أبي الألقح ، من بني ضبيعة بن
زيد ثم من الأوس . والأبيرد : هو الأبيرد بن المعذر بن عبد قيس الرياحي ،
من دباح بن يربوع ويظهر أن المؤلف يقصد إلى ما اعتبرناه خطأ ولكنه بحيث ترى

والفرزدق قال فيه الطرماع من شعر هجا فيه بيوت بني سعد (١) : —
 واسأل فقيرة بالمرء هل شهدت شوطاً الحطية بين الكسر والنصد
 أو كان في غالب شعر فيشبهه شعر ابنه فينال الشعر من صدد
 جاءت به نطفة من شر ماء صري سقت إلى شرواد شق في بلد
 فقال الفرزدق يتهاون بأمره ويستحقه : —

إن الطرماع يهجوني لأرفعه أيهات أيهات عيلت دونه القضب
 « عيلت دونه القضب » أي : رفعت عنه القصائد ، من قولهم : عالت
 الفريضة ، أي : ارتفعت ، والقضب : القصيدة لأنّه تقتضب .

وجوزر هجاء بشار بن برد بأشعار كثيرة فلم يحبه ، قال بشار : ولم أهجه
 لأغلبه ، ولكن ليحبيني فأكون من طبقته ، ولو هجاني لكنت أشعر الناس .
 وهجا حماد عجرد بشاراً فلم يحبه أنفة واحتقاراً ، إلى أن قال فيه : —

له مقلة عيما واست بصيرة إلى الأبر ، من تحت الثياب نشير
 على وده أن الحير تنيكه وأن جميع العالمين حمير
 فنضب وهجاء . قال الجاحظ : ما كان ينبغي لبشار أن يضاد حماد عجرد
 من جهة الشعر ؛ لأن حماداً في الحضيض وبشاراً في العيوى ، وليس مولد
 قروى يعدله شعر في المحدث إلا وبشار أشعر منه ، ولانعلم مولداً بعد بشار
 أشعر من أبي نواس .

وهجا ابن الرومي البحرى ، وابن الرومي من علبت ، فأهدى إليه تحت
 متاع وكيس دراهم ، وكتب إليه ليريه أن الهدية ليست تقية منه ، ولكن
 رقة عليه ، وأنه لم يحمله على ما فعل إلا الفقر والحسد المفرط : —

شاعر لاأهابه نبحتنى كلابه

إن من لاأعزه كعزى جوابه

وأبو تمام : هجاء دعبل وغيره من الأكفاء فجوابهم ، وابتدأ بعضهم ، ولم

يلتفت إلى مغلدة بن بكار الموصلی حين قال فيه (وكانت في حبيب حبسة
شديدة إذا تكلم) :-

يَانَبِيَّ الله في الشع ... روياعيسى بن مريم

أنت من أشعر خلق الله مالم تتكلم

وقال فيه أشعاراً كثيرة منها :-

أُنْظِرْ إِلَيَّ وإلى خبث كيف تطايا وهو منشور

ويحك من دلائك في نسبة قلبك منها الدهر مذخور

إن ذكرت طاءً على فرسخ أظلم في ناظرك النور

بل رآه دون المهاجرة والجواب ، ولو هجاه لشرفت حاله ونسبه^(١) ذكره . .
وكذلك فعل المتنبي حين بلى بحماقات ابن حجاج البغدادي : سكت عنه
اطراحاً واحتقاراً ، ولو أجابه لما كان بحيث هو من الأنفة والكبر ،
لأنه ليس من أنداده ، ولأمن طبقة .

ولما وصل أبو القاسم بن هانئ إلى إفريقية هجاه الشعراء ، فقال : لا
أجيب منهم أحداً إلا أن يهجوني على التونسي فاني أجيبه ، فلما بلغ قوله علياً
قال : أما إنى لو كنت الأم الناس ماهجوته بعد أن شرفني على أصحابي وجعلني
من بينهم كفتاً له .

ومن الشعراء من يتزايأ بالكبر ، ويظهر الأنفة في الجواب عن هجاء من
هو مثله أو فوقه خوفاً من الزرأية على نفسه ، كما وقع من جماعة أعرهم من
أهل عصرنا ، وهم يتسرعون إلى أعراض السوق والباعة ، ويستفحلون على
الصبيان ومن ليس من أهل الصناعة ، ولو كانت لهم أنفة - كما يزعمون - إلا
عن الألفاء لكانوا عمن لا يحسن شيئاً بالجملة ولا يُعَدُّ في الخاصة أشد تنزهاً .

ومنهم من لا يهجو كفتاً ولا غيره ؛ لما في الهجو من سوء الأثر ، وقبح
السمعة : كالذي يحكى عن العجاج أنه قيل له : لم لاتهجو ؟ فقال : ولم أهجو ؟
إن لنا أحساباً تمنعنا من أن نُظَلِّمَ ، وأحلاماً تمنعنا من أن نُظَلِّمَ ، وهل رأيتم

بانياً لا يحسن أن يهدم ؟ ثم قال : أتعلون أني أحسن أن أمدح ؟ قالوا : نعم ، قال : أفلا أحسن أن أجمل مكان « أصلحك الله » « قبحك الله » ومكان « حياك الله » « أعزأك الله » . وقد رد ابن قتيبة هذا القول على العجاج بأن الهجاء أيضاً بناء ، وليس كل بان لضرب بانياً لغيره . ورده الجاحظ بأن من الشعراء من لا يجيد فنّاً من الشعر ، وإن أجاد فنّاً غيره ، كما يوجد ذلك في كل صناعة . ومعنى الجاحظ وابن قتيبة واحد ، وإن اختلف اللفظان ، والصواب ما قالوا إلا أن يعرف من الشاعر أنف عن قدرة لا تدفع ، و بعد تجربة لا تسترأب ، فحيثئذ . وسئل نصيب عن مثل ذلك فقال : إنما الناس أحد ثلاثة : رجل لم أعرض لسؤاله فآ وجه ذمه ، ورجل سأله فأعطاني فامدح أولى به من الهجاء ، ورجل سأله فخرمني فانا بالهجاء أولى منه ، وهذا كلام عاقل منصف ، لو أخذ به الشعراء أنفسم لاستراحوا واستراح الناس .

وقد كان في زماننا من اتحل هذا المذهب ، وهو أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم ، لم يهج أحداً قط . ومن أناشيده في كتابه المشهور لغيره ^(١) من الشعراء : -
ولست بهاج في القرى أهل منزلٍ علي زادهم أبكى وأبكى البواكيا
فأما كرامٌ مُوسرُونَ أتيتهم لحسبي من ذو عندهم ما كفانيا
وأما كرامٌ معسرونَ عندهم وإما لثامٌ فادخرتُ حياتيا
وهذا مثل كلام نصيب في المنشور الذي تقدم ، وإنما ذكرت هؤلاء لأنهم يمدحون ولا يرضون بالهجاء ، وأما من لا يمدح فأحرى أن لا يهجو أحداً ، على أن منهم من لم يقل قط إلا هجواً أو شيباً به : كيجي بن نوفل ، ذكره دعبل في طبقاته ، ونجد له من أهل عصرنا نظراء عدة

(١٧) - باب في الشعراء والشعر

طبقات الشعراء أربع : جاهلي قديم ، ومختصر ، وهو الذي أدرك الجاهلية

(١) الأبيات لمنظور بن سحيم التميمي

والاسلام ، وإسلامي ، ومُحدث . ثم صار المحدثون طبقات : أولى وثانية على التدرج ، وهكذا في الهبوط إلى وقتنا هذا ، فليعلم المتأخر مقدار ما بقى له من الشعر فيتنصع مقدار من قبله لينظر كم بين المخضرم والجاهلي ، وبين الاسلامي والمخضرم ، وأن المحدث الأول فضلا عن دونه دونهم في المنزلة ، عل أنه أغض مسلكا وأرق حاشية ، فاذا رأى أنه ساقه الساقه تحفظ على نفسه ، وعلم من أين يوقى ، ولم تغرره حلاوة لفظه ، ولا رشاقة معناه ، ففي الجاهلية والاسلام من ذهب بكل حلاوة ورشاقة ، وسبق إلى كل طلاوة ولباقة .

قال أبو الحسن الأخفش : يقال : ماء خضرم ، إذا تناهى في الكثرة والسعة ، فمنه سمي الرجل الذي شهد الجاهلية والاسلام مخضرمًا ، كأنه استوفى الأمرين ، قال : ويقال : أذنٌ مُخضرمَةٌ ، إذا كانت مقطوعة ، فكانت انقطع عن الجاهلية إلى الاسلام .

وحكى ابن قتيبة عن عبد الرحمن عن عمه ، قال : أسلم قوم في الجاهلية على إبل قطعوا آذانها ، فسمى كل من أدرك الجاهلية والاسلام مخضرمًا ، وزعم أنه لا يكون مخضرمًا حتى يكون إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقد أدركه كبيراً ولم يُسلم ، وهذا عندي خطأ ؛ لأن النابغة الجعدي وليدٌ قد وقع عليهما هذا الاسم . . وأما علي بن الحسين كراع فقد حكى : شاعر مخضرم - بجاء غير معجمة - مأخوذ من الحضرمة ، وهي : الخلط ؛ لأنه خلط الجاهلية بالاسلام . وأنشد بعض العلماء ولم يذكر قائله (١)

الشعراء فاعلمن أربعه فشاعر لا يُرتجى لمنفعه

وشاعر ينشد وسط المجمع وشاعر آخر لا يجرى معه

وشاعر يقال خمر في دعه

وهكذا رويتها عن أبي محمد عبد العزيز بن أبي سهل رحمه الله ، وبعض

الناس يرونها على خلاف هذا، وقد قيل : لا يزال المرء مستوراً وفي مندوحة ما لم يصنع شعراً أو يؤلف كتاباً ؛ لأن شعره ترجمان علمه ، وتأليفه عنوان عقله .. وقال الجاحظ : من صنع شعراً أو وضع كتاباً فقد استهدف : فإن أحسن فقد استعطف ، وإن أساء فقد استغذف .. قال حسان [بن ثابت] ، وما أدراك ما هو ؟ : —

وإن أشعر بيت أنت قائله . بيت يقال إذا أنشدته : صدقا
وإنما الشعر لب المرء يعرضه على المجالس إن كيساً وإن حملاً
وقال محمد بن منذر وكان إماماً : —

• لا تقل شعراً ولا تهتم به . وإذا ما قلت شعراً فأجد
وقال شيطان الشعراء دعبل بن علي : —

سأقضي بيتي بحمد الناس أمره . ويكثر من أهل الروايات حاملة
يموت ردي الشعر من قبل أهله . وجيده يبقى وإن مات قائله
وقالوا : الشعراء أربعة : شاعر خنذيد ، وهو الذي يجمع إلى جودة شعره
رواية الجيد من شعر غيره ، وسئل رؤبة عن الفحولة : قال : هم الرواة ؛
وشاعر مفلق ، وهو الذي لا رواية له إلا أنه مجود كالخنذيد في شعره ؛
وشاعر فقط ، وهو فوق الردي بدرجة ؛ وشعور ، وهو لا شيء . قال
بعض الشعراء : لا خير هجاء : —

يارابع الشعراء كيف هجوتني وزعمت أني مفحم لا أنطق
وقيل : بل هم شاعر مفلق ، وشاعر مطلق ، وشويعر ، وشعور ،
والمفلق : هو الذي يأتي في شعره بالفلق ، وهو العجب ، وقيل : الفلق الداهية
قال (١) الأصمعي : فالشويعر مثل محمد بن حمران بن أبي حمران ، سباه بذلك
امرؤ القيس ، ومثل عبد العزبي المعروف بالشويعر ، وهو الذي يقول : —
فقلت له نأري ، وأدركت ثورتني إذا ماتتاسي ذحله كل غيب

(١) انظر هذه العبارة بنفسها في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٩)

وهو الضعيف عن طلب ثاره ، روى بالعين معجمة وبالعين غير معجمة .
قال (١) الجاحظ : والشويعر أيضاً [صفوان بن (٢)] عبد ياليل من بني
سعد بن ليث ، وقيل : اسمه ربيعة بن عثمان ، وهو القاتل : —

وأفتتا أبو ليلى طفيلٌ صحيح الجلد من أثر السلاح
وقال بعضهم : شاعر ، وشويعر ، وشعرور . وقال العبدى فى شاعر يدعى
المخوف من بني ضبة ثم من بني حميس : —

ألا تنهى سراة بني حميسٍ شويعرها فؤيلة الأفاعى
فسماه شويعراً ، و « فؤيلة الأفاعى » : دوية فوق الخنفساء ، فصرها أيضاً
تحقيراً له ، وزعم الحاتمي أن النابغة سئل : من أشعر الناس ؟ فقال : من
استجيد جيده ، وأضحك رديته ، وهذا كلام يستحيل مثله عن النابغة ؛ لأنه
إذا أضحك رديته كان من سفلة الشعراء ، إلا أن يكون ذلك فى الهجاء
خاصة ، وقال الحطيئة : —

الشعرُ صعبٌ وطويلٌ سلمٌ والشعرُ لا يسطيعه من يظلمه
إذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه زلت به إلى الحضيض قدمة
يريد أن يعر به فيعجمه

وإنما سمي الشاعر شاعراً ؛ لأنه يشعر بما لا يشعر به (٣) غيره ، فإذا لم يكن
عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه ، أو استطراف لفظ وابتداعه ، أو زيادة
فيما أجحف فيه غيره من المعانى ، أو نقص عما أطاله سواه من الالفاظ ، أو
صرف معنى الى وجه عن وجه آخر ؛ كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة ،
ولم يكن له إلا فضل الوزن ، وليس بفضل عندى مع التقصير ..

ولقى رجل آخر فقال له : إن الشعراء ثلاثة : شاعر ، وشويعر ، وماصر

(١) انظر هذه العبارة بنفسها فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٩٦)

(٢) الزيادة عن البيان والتبيين

(٣) فى نسخة « بما لا يشعر له »

بظر أمه ، فأيهم أنت ؟ قال : أما أنا فشويعر ، واختصم أنت وامرؤ القيس في الباقي .

وقال بعضهم : الشعر شعران : جيد محكك ، وردى مضحك ، ولا شيء أثقل من الشعر الوسط والغناء الوسط .

وقد قال ابن الرومي يهجو ابن طيفور : -

عدمك يا ابن أبي الطاهر وأطعمت 'ثُمَّ لَكَ' من شاعر
فما أنت سَخَنٌ ولا بارد وما بين ذين سوى القاتر
وأنت كذاك تُغَيِّ النُفُوسَ تَغَيِّ القاتر الخائر

وقد يجوز أن يكون النابتة أشار - فيما حكى عنه الحاتمي من الردى - المضحك - إلى هذا النحو .

وقيل : عمل الشعر على الخافق به أشد من نقل الصخر ، ويقال : إن الشعر كالبحر أهون ما يكون على الجاهل أهول ما يكون على العالم ، وأتعب أصحابه قلباً من عرفه حق معرفته ، وأهل صناعة الشعر أبصر به من العلماء بآلته من نحو وغريب ومثل وخبر وما أشبه ذلك ولو كانوا دونهم بدرجات ، وكيف إن قاربوهم أركاناً منهم بسبب ؟ .

وقد كان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يهجرون مع خاف الأحرار في حلبة هذه الصناعة - أعني النقد - ولا يشقون له غباراً ، لنفاذه فيها وحذقه بها ، وإجادته لها ، وقد يميز الشعر من لا يقوله ، كالبرزاز يميز من الثياب مالم يفسجه ، والصيرفي يخبر من الدنانير مالم يسبكه ولا ضرب به ، حتى إنه ليعرف مقدار ما فيه من الغش وغيره فينقص قيمته .

وحكى أن رجلاً قال لحلف الأحرار : ما أبالي إذا سمعت شعراً استحسنته حاقت - أنت - وأصحابك فيه !! فقال له : إذا أخذت درهما تستحسنه وقال لك الصيرفي إنه ردى هل ينفعك استحسانك له ؟ .

وقيل للفضل الضبي : لم لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به ؟ قال : على به هو الذي يمنعني من قوله ، وأنشد : -

(م ٧ - العمدة - ج - ١)

وقد يقرض الشعر البكى لسانه ، وتُعَيِّي القوافي المرّة وهو لبيب
والشعر مزلة العقول ، وذلك أن أحداً ما صنعه قط فكتمه ولو كان
زديثاً ، وإنما ذلك لسروره به ، وإكباره إياه ، وهذه زيادة في فضل الشعر ،
وتنبه على قدره وحسن موقعه من كل نفس . وقال الأصمعي على تقدمه في
الرواية وميزه بالشعر : -

أبى الشعر إلا أن يني - رديّه عليّ ، ويأبى منه ما كان محكما
فياليتي - إذ لم أجد حولك وشيه ولم أك من فرسانه - كنت مُفحّماً
وقال عبد الكريم : الشعر [أربعة] أصناف : شعر هو خير كله ، وذلك ما كان
في باب الزهد ، والمواظظ الحسنة ، والمثل العائد على من يمثل به بالخير ؛
وما أشبه ذلك ؛ وشعر هو ظرف كله ، وذلك القول في الأوصاف ، والنعوت
والتشبيه ، وما يفتن به من المعاني والآداب ؛ وشعر هو شركه ، وذلك الهجاء ،
وماتسرع به الشاعر إلى أعراض الناس ؛ وشعر يتكسب به ، وذلك أن
يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها ، ويخاطب كل إنسان من حيث هو ، ويأتي
إليه من جهة فهمه .

وذكر الجحى في الشعراء المقاحم والثنيان قال : والمقحم : الذي يقتحم
سناً إلى أخرى ، وليس بالبازل ولا المستحکم ، وأنشد لأوس بن حجر : -
وقد رام بحرى قبل ذلك طامياً من الشعراء كل عود ومقحم
قال : والثنيان : الواهن العاجز ، وأنشد لأوس بن مفرأ : -
ترى ثنائنا - إذا ماجأ - بدأهم وبدؤهم إن أتاننا كان ثنيانا
قال غيره : الثنيان : الذي ليس بالرئيس ، بل هو دونه ، وأنشدوا لنايفة
بني ذبيان يخاطب يزيد بن الصق : -

يصدُّ الشاعر الثنيان عن صدود البكر عن قرم هجان
قال الجحى : وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم
والصناعات : منها ما تتفقه العين ، ومنها ما تتفقه الأذن ، ومنها ما تتفقه

اليد ، ومنها ما يتقفه اللسان : من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعايينة من يُبصره ، ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم لا تعرف جودتهما بلون ولا مَسَّ ولا طراوة ولا دنس ولا صفة ، ويعرفه الناقد عند المعايينة فيعرف بهرَجها وزائفها وستوقها ومفرغها ، ومنه البصر بأنواع المتاع وضروبه وصنوقه مع تشابه لونه ومسه وذَرَعه واختلاف بلاده حتى يَرُدُّ كل صنف منها إلى بلده الذي خرج منه ، وكذلك بصر الرقيق فتوصف الجارية فيقال : ناصعة اللون ، جيدة الشطب ، نقية الثغر ، حسنة العين والأتف ، جيدة التهدين ، ظريفة اللسان ، واردة الشعر ، فتكون بهذه الصفة بمائة دينار وبمائتي دينار ، وتكون أخرى بألف دينار وألفي دينار ، ولكن لا يحد واصفها مزيداً على هذه الصفة ، وتوصف الدابة فيقال : خفيف العنان ، لين الظهر ، جيد الحافر ، قتي السن ، نقي من العيوب ، فيكون بخمسين ديناراً أو نحوها ، وتكون أخرى بمائتي دينار وأكثر ، تكون هذه صفتها ، ويقال للرجل والمرأة في القراءة والغناء : إنه لَنَدِي الحلق ، حسن الصوت ، طويل النفس ، مصيب اللحن ، ويوصف الآخر والآخرى بهذه الصفة وبينهما بون بعيد ، يعرف ذلك أهل العلم به [عند المعايينة والابتماع ، بلا صفة ينهتئ إليها ولا علم يوقف عليه ، وإن كثرة المدارس للشيء لتعين على العلم به] ^(١) ، وكذلك الشعر يعرفه أهل العلم به .

وسمعت بعض الحذاق يقول : ليس للجودة في الشعر صفة ، إنما هو شيء يقع في النفس عند المميز : كالفرند في السيف ، والملاحة في الوجه ، وهذا راجع إلى قول الجحى ، بل هو بعينه ، وإنما فيه فضل الاختصار

(١٨) — باب حد الشعر وبنيته

الشعر يقوم بعدالنية من أربعة أشياء ، وهي : اللفظ ، والوزن ، والمعنى ، والثقافة ، فهذا هو حد الشعر ؛ لأن من الكلام موزوناً مقفى وليس بشعر لعدم

(١) هذه العبارة كلها ساقطة من التونسية

القصد والنية ، كاشياء اتزنت من القرآن ، ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، وغير ذلك مما لم يطلق عليه أنه شعر ، والمتزن : ما عرض على الوزن قبله ، فكان الفعل صار له ؛ ولهذه العلة سمي ما جرى هذا المجرى من الأفعال فعل مطاوعة ، هذا هو الصحيح ، وعند طائفة من أصحاب الجدل أن المنفعل والمفتعل لا فاعل لهما ، نحو : شويت اللحم فهو مُمَشْوٍ ومُشْتَوٍ ، وبنيت الحائط فهو مُنْبَنٍ ، ووزنت الدينار فهو مُمْتَرَنٌ ، وهذا محال لا يصح مثله في العقول ، وهو يؤدي إلى ما لا حاجة لنا به ، ومعاذ الله أن يكون مراد القوم في ذلك إلا المجاز والاتساع ، وإلا فليس هذا بما يغلط فيه من رق ذهنه وصفا خاطره ، وإنما جئت بهذا الفصل احتجاجاً على من زعم أن المتزن غير داخل في الموزون ، وإذا لم يعرض المتزن على الوزن فيوجد موزوناً فمن أين يعلم أنه متزن ؟ وكيف يقع عليه هذا الاسم ؟

وقال بعض العلماء بهذا الشأن : بنى الشعر على أربعة أركان ، وهي : المدح ، والهجاء ، والنسيب ، والثناء .

وقالوا : قواعد الشعر أربع : الرغبة ، والرغبة ، والطرب ، والغضب : فع الرغبة يكون المدح والشكر ، ومع الرغبة يكون الاعتذار والاستعطاف ، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب ، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجه .

وقال الرماني على بن عيسى : أكثر ما تجرى عليه أغراض الشعر خمسة : النسيب ، والمدح ، والهجاء ، والفخر ، والوصف ، ويدخل التشبيه والاستعارة [في] باب الوصف .

وقال عبد الملك بن مروان لأرطاة بن سبيبة : أقول الشعر اليوم ؟ فقال : واقه ما أطرب ، ولا أغضب ، ولا أشرب ، ولا أرغب ، وإنما يحمي الشعر عند إحداهن . قال أبو علي البصير : —

مدحت الأمير الفتح أطلب عزة وهل يستزاد قائل وهو راغب
فأفنى فتون الشعر وهي كثيرة وما فئت آثاره والمناقب
فجعل الرغبة غاية لامزيد عليها.

وقال عبد الكريم : يجمع أصناف الشعر أربعة : المديح ، والهجاء ،
والحكمة ، واللبو ، ثم يتفرع من كل صنف من ذلك فنون : فيكون من
المديح المراثي والافتخار والشكر ، ويكون من الهجاء الذم والعتاب
والاستبطاء ، و [يكون] من الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ ، ويكون
من اللبو الغزل والطرد وصفة الخمر والمخمور .

وقال قوم : الشعر كله نوعان : مدح ، وهجاء : فالمدح يرجع الرثاء ،
والافتخار ، والتشبيب ، وما تعلق بذلك من محمود الوصف : كصفات الطول
والآثار ، والتشبيهات الحسان ، وكذلك تحسين الأخلاق : كالأمثال ،
والحكم ، والمواعظ ، والزهد في الدنيا ، والقناعة ؛ والهجاء ضد ذلك كله ،
غير أن العتاب حال بين حالين ، فهو طرف لكل واحد منهما ، وكذلك
الاغراء ليس بمدح ولا هجاء ؛ لأنك لا تغري بأنسان فتقول : إنه حقير
ولا ذليل ، إلا كان عليك وعلى المغري الدرك ، ولا تقصد أيضا بمدحه
الثناء عليه فيكون ذلك على وجهه .

والبيت من الشعر كالبنت من الأبنية : قراره الطبع ، وسمكه الرواية ،
ودعائمه العلم ، وبابه الدثرة ، وسأكنه المعنى ، ولاخير في بيت غير مسكون ،
وصارت الأعاريض والقوافي كاللوازين والأمثلة للأبنية ، أو كاللواحي
والأوتاد للأخية ، فأما ما سوى ذلك من محاسن الشعر فأنما هو زينة مستأنفة
ولو لم تكن لاستغنى عنها .

قال القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب الوساطة : الشعر
علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة

مادة له ، وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان . وقال : ولست أفضل في هذه القضية بين القديم والمحدث ، والجاهلي والمخضرم ، والأعرابي والمولد ، إلا أني أرى حاجة المحدث إلى الرواية أمس ، وأجده إلى كثرة الحفظ أقفر ، فإذا استكشفت عن هذه الحال وجدت سببها والعلة فيها أن المطبوع الذكي ^(١) لا يمكنه تناول ألفاظ العربي إلا رواية ، ولا طريق إلى الرواية إلا السمع ، وملاك السمع الحفظ .

قال دِعبِل في كتابه : من أراد المديح فبالرغبة ، ومن أراد الهجاء فبالقبضاء ، ومن أراد التشبيب فبالشوق والعشق ، ومن أراد المجاتبة فبالاستبطاء : فقسّم الشعر كما ترى هذه الاقسام الأربعة ، وكان الرثاء عنده من باب المدح على ما قدمت ، إلا أنه جعل العتاب بدلا منه .

وقال غير واحد من العلماء : الشعر ما اشتمل على المثل السائر ، والاستعارة الرائعة ، والتشبيه الواقع ، وما سوى ذلك فأنما لقائله فضل الوزن وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : قلت لأعرابي : من أشعر الناس ؟ قال : الذي إذا قال أسرع ، وإذا أسرع أبدع ، وإذا تكلم أسمع ، وإذا مدح رفع ، وإذا هجا وضع .

وسئل بعض أهل الادب : من أشعر الناس ؟ فقال : من أكرهك شعره على هجو ذويك ومدح أعاديك ، يريد الذي تستحسنه فتحفظ منه ما فيه عليك وصمة ، وخلاف الشهوة ، وهذا [ذَوْبٌ] قول أبي الطيب : —

وَأَسْمَعُ من أَلْفَاظِهِ اللُّغَةَ الَّتِي يَلَذُّ بِهَا سَمِي وَلَوْ ضُمُنَتْ شَتْنِي
أَخْذَهُ من قول أبي تمام : —

فَإِن أَنَا لَمْ يَمْدَحْكَ عَنِّي صَاغِرًا عَدُوُّكَ فَاعْلَمْ أَنِّي غَيْرُ حَامِدٍ
وَأَتَّبِعُهُ الْبَحْرَى فِي ذَلِكَ فَقَالَ : —

(١) في المصريتين المطبوعتين « القتي » وما أبعد من الصواب !

لَيُوا صِلَتَكَ رَكْبُ شَعْرَى سَائِرًا يرويه فيك حُسْنُهُ الأعداء .
وقال عبد الصمد بن المعذل : الشعر كله في ثلاث لفظات ، وليس كل إنسان
يحسن تأليفها : فإذا مدحت قلت أنت ، وإذا هجوت قلت لست ، وإذا
رثيت قلت كنت .

وقال بعض النقاد : أصعب الشعر الرثاء ؛ لأنه لا يعمل رغبة ولا رهبة .
قال ابن قتيبة : قال أحمد بن يوسف الكاتب لأبي يعقوب الخزيمي : أنت في
مدائحك لمحمد بن منصور كاتب البرامكة أشعر منك في مرثيتك له ، فقال :
كنا يومئذ نعمل على الرجاء ، ونحن [نعمل] اليوم على الوفاء .
قال صاحب الكتاب : ومن هذا المنشور — والله أعلم — سرق البصير
بيته المتقدم في الفتح بن خاقان .

وقيل لبعضهم : ما أحسن الشعر ؟ فقال : ما أعطى القياد ، وبلغ المراد .
وقال أبو عبد الله وزير المهدي : خير الشعر ما فهمته العامة ، ورضيته الخاصة
وسمعت بعض الشيوخ يقول : قال الخذاق : لو كانت البلاغة في التطويل
ماسبق إليها أبو نواس والبحترى .. وقال بعض الخذاق من المتعقبين : أشعر
الناس من تخلص في مدح امرأة ورثائها . وقال ابن المعتز : قيل لمعتوه :
ما أحسن الشعر ؟ قال : ما لم يحجبه عن القلب شيء .

(١٩) — باب في اللفظ والمعنى

اللفظ جسم ، وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم : يضعف
بضعفه . ويقوى بقوته ، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر
ومُجَنَّةً عليه . كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعمور وما أشبه
ذلك ، من غير أن تذهب الروح ، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه
كان للفظ من ذلك أوفر حظ ، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض

الأرواح ، ولا تجد معنى يحتل إلا من جهة اللفظ ، وجريه فيه على غير الواجب ، قياساً على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح ، فإن اختل المعنى كله وفسد بقى اللفظ مواتاً لا فائدة فيه ، وإن كان حسن الطلاوة في السمع ، كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأى العين ، إلا أنه لا يتنفع به ولا يفيد فائدة ، وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى ؛ لأننا لا نجد روحاً في غير جسم البتة .

ثم للناس فيما بعد آراء ومذاهب : منهم من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعل غايته ووكده ، وهم فرق : قوم يذهبون إلى تخامة الكلام وجزائه ، على مذهب العرب من غير تصنع ، كقول بشار : —

إذا ما غضبنا غضبةً مُصْرِيَّةً متكنا حجاب الشمس أوقطرت دما
إذا ما أعزنا سيِّداً من قبيلة ذرى منبر صلي علينا وسلبا

وهذا النوع أدل على القوة ، وأشبه بما وقع فيه من موضع الافتخار ، وكذلك ما مدح به الملوك يجب أن يكون من هذا النحت .

وفرقة أصحاب جملة وقعقة بلا طائل معنى إلا القليل النادر : كأبي القاسم ابن هاني ومن جرى مجراه ؛ فإنه يقول أول مذهبه : —

أصاحت قتالت : وقع أجر دشيظم وشامت قتالت : لمع أبيض مخدّم^(١)
وما دُعرت إلا ليجرس حليها ولا رمقت إلا برى في مخدّم^(٢)

وليس تحت هذا كله إلا الفساد ، وخلاف المراد ، ما الذي يفيدنا أن تكون هذه المنسوب بها لبست حليها فتوهمت بعد الاصاخة والرمق وقع فرس أو لمع سيف ؟ غير أنها مغزوة في دارها ، أو جاهلة بما حملته من زيتها ، ولم يخف عنا مراده أنها كانت ترقبه ١١ فما هذا كله ؟ وكانت عند

(١) الأجرد : أراد به الفرس القصير الشعر ، وشيظم ، أى : طويل الجسم ، ومخدّم ، أراد به السيف القاطع

(٢) التى في الديوان « من مخدّم » والمخدّم : محل الخلخال

أبي القاسم مع طبعه صنعة ، فإذا أخذ في الحلاوة والركة ، وعمل بطبعه وعلى
سجيته ؛ أشبه الناس ، ودخل في جملة الفضلاء ؛ وإذا تكلف الفخامة ، وسلك
طريق الصنعة أضر بنفسه ، وأتعب سامع شعره . ويقع له من الكلام
المصنوع والمطبوع في الأحياء أشياء جيدة ، كقوله في المطبوع يصف
شجعاناً : —

لا يأكل السرحانُ شلوَ عقيرهم^(١) مما عليه من القنى المتكسر
« العقير » ههنا منهم ، أى : لم يمت لشجاعته حتى تحطم عليه من الرماح
مالاً يصل معه الذئب إليه كثرة ، ولو كان العقير هو الذى عقروه هم لكان
البيت هجواً ؛ لأنه كان يصفهم بالضعف والتكاثر على واحد . وقوله في
المصنوع : —

وجنيتُ ثمرَ الوقائع يانماً بالنصر من ورق الحديد الأخضر^(٢)
فهذا كله جيد بديع ، وقد زاد فيه على قول البحرى : —

حملت حمائله القديمة بقلةً من عهد عاد غضة لم تذبل
ويروى * من عهد تبع * ومنهم من ذهب إلى سهولة اللفظ فحسنى بها ،
واغترل له فيها الزكاكة واللين المفرط : كأبي العتاهية ، وعباس بن الأحنف ،
ومن تابعهما ، وهم يرون الغاية قول أبي العتاهية : —

يا إخوتى ، إن الهوى قاتلى	فيسروا الاكفان من عاجل
ولا تلوموا فى اتباع الهوى	فاتى فى شغل شاغل
عنى على عتبة مُنْهَلَةٍ	بدمعها المنسكب السائل
يأمن رأى قلى قتيلاً بكى	من شدة الوجد على القاتل
بسطت كفى نحوكم سائلا	ماذا تردون على السائل

(١) فى الديوان « شلوطينهم » والمعنى واحد

(٢) فى الديوان « بالنصر من ورق الخ »

إن لم تنيلوه فقولوا له قولاً جميلاً بدل النائل
أو كنتم العام على عسرة منه فنوه إلى قابل
وقد ذكر أن أبا العتاهية وأبا نواس والحسين بن الضحاك الخليلع اجتمعوا
 يوماً فقال أبو نواس : لينث كل واحد قصيدة لنفسه في مراده من غير
مدح ولا هجاء ، فأنشد أبو العتاهية هذه القصيدة فسبها له وامتنعوا من الانشاد
بعده ، وقالوا له : أما مع سهولة هذه الألفاظ ، وملاحظة هذا القصد ، وحسن
هذه الاشارات ؛ فلانثد شيئاً ، وذلك في باب من الغزل جيد أيضاً لا يفضل
غيره .

ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته ، ولا يبالى حيث وقع .
من هجته اللفظ وقبحه وخشوته : كابن الرومي ، وأبي الطيب ، ومن
شا كلهما : هؤلاء المطبوعون ، فأما المتصنعون فسيرد عليك ذكرهم إن شاء
الله تعالى .

وأكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى ، سمعتُ بعض الخذاق يقول :
قال العلماء : اللفظ أغلى من المعنى ثمناً ، وأعظم قيمة ، وأعز مطلباً ؛ فإن المعاني
موجودة في طباع الناس ، يستوى الجاهل فيها والخائف ، ولكن العمل على
جودة الألفاظ ، وحسن السبك ، وصحة التأليف ، ألا ترى لو أن رجلاً
أراد في المدح تشبيه رجل لما أخطأ أن يشبهه في الجود بالغيث والبحر ، وفي
الاقدام بالأسد ، وفي المضاء بالسيف ، وفي العزم بالسيل ، وفي الحسن
بالشمس ، فإن لم يحسن تركيب هذه المعاني في أحسن حُلاها من اللفظ
الجيد الجامع للرفة والجزالة والعذوبة والطلاوة والسهولة والحلاوة لم يكن
للمعنى قدر .

وبعضهم - وأظنه ابن وكيع - مثل المعنى بالصورة ، واللفظ بالكسوة ،
فإن لم تقابل الصورة الحسناء بما يشاكلها ويليق بها من اللباس فقد بخت
حقها ، وتضاءلت في عين مبصرها .

وقال عبد الكريم - وكان يؤثر اللفظ على المعنى كثيراً في شعره وتأليفه - : هـ
الكلام المجزأ أغنى عن المعاني اللطيفة [من المعاني اللطيفة] عن الكلام الجزل ،
وإنما حكاه ونقله نقلاً عن روى عنه النحاس . . ومن كلام عبد الكريم : قال
بعض الخذاق : المعنى مثال ، واللفظ حذو ، والحذو يتبع المثال : فيتغير
بتغيره ، ويثبت بثباته .

ومنه قول العباس بن حسن العلوي في صفة بليغ : معانيه قوالب لألفاظه ،
هكذا حكى عبد الكريم ، وهو الذي يقتضيه شرط كلامه ، ثم خالف
في موضع آخر فقال : ألفاظه قوالب لمعانيه ، وقوافيه معدة لمبانيه ، والسجع
يشهد بهذه الرواية الأخرى ، وهي التي أعرف .

والقالب يكون وعاء كالذي تفرغ فيه الأواني ، ويعمل به اللين والآخر ،
وقد يكون قدراً للوعاء كالذي يقام به اللواك^(١) ، وتصلح عليه الأخفاف
ويكون مثلاً كالذي تحذى عليه النعال ، وتفصل عليه القلائس ، فلهذا
احتمل القالب أن يكون لفظاً مرة ومعنى مرة .

وللشعراء ألفاظٌ معروفة ، وأمثلة مألوفة ، لا ينبغي للشاعر أن يعدوها ،
ولا أن يستعمل غيرها ، كما أن الكتاب اصطلاحوا على ألفاظ بأعيانها
سموها الكتابية لا يتجاوزونها إلى سواها إلا أن يريد شاعر أن يتطرق
باستعمال لفظ أعجمي فيستعمله في التندرة ، وعلى سبيل الخطرة ، كما فعل
الأعشى قديماً ، وأبونواس حديثاً ، فلا بأس بذلك ، والفلسفة وجرة الأخبار
باب آخر غير الشعر ، فإن وقع فيه شيء منهما فبقدر ، ولا يجب أن يجعلها
نصب العين فيكونا متكئاً واستراحة ، وإنما الشعر ما أطرب ، وهز النفوس ،
وحرك الطباع ، فهذا هو باب الشعر الذي وضع له ، وبنى عليه ، لا ماسواه .
ومن ملح الكلام على اللفظ والمعنى ما حكاه أبو منصور عبد الملك بن

إسماعيل التعالبي ، قال : البالغ من يحوك الكلام على حسب الأمانى ،
ويخطط الألفاظ على قدود المعانى .

وقال غيره : الألفاظ فى الاسماع كالصور فى الأبصار . وقال
أبو عبادة البحرى : —

وكأنها والسمع معقودٌ بها وجه الحبيب بَدَا لِعَيْنِ حَبِيْبِهِ

(٢٠) — باب فى المطبوع والمصنوع

ومن الشعر مطبوع ومصنوع ، فالمطبوع هو الاصل الذى وضع أولا ،
وعليه المدار . والمصنوع وإن وقع عليه هذا الاسم فليس متكلفا تكلف
أشعار المولدين ، لكن وقع فيه هذا النوع الذى سموه صنعة من غير قصد .
ولا تعمل ، لكن بطباع القوم عفواً ، فاستحسنوه ومالوا إليه بعض الميل ،
بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره ، حتى صنع زهير الحوليات على وجه
التقيق والتثيف : يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفاً من التعقب .
بعد أن يكون قد فرغ من عملها فى ساعة أو ليلة ، وربما رصد أوقات نشاطه
فتباطأ عمله لذلك ، والعرب لا تنظر فى أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق
أو تقابل ، فتترك لفظة للفظه ، أو معنى لمعنى ، كما يفعل المحدثون ، ولكن
نظرها فى فصاحة الكلام وجزائته ، وبسط المعنى وإبرازه ، وإتقان بنية
الشعر ، وإحكام عقد القوافى ، وتلاحم الكلام ببعضه ببعض ، حتى عدوا
من فضل صنعة الخطيئة حسن نسقهِ الكلام بعضه على بعض فى قوله : —

فلا وأيك ماظلت قريعٌ بأن بينوا المكارم حيث شاءوا
ولا وأيسك ماظلت قريعٌ ولا برموا لذاك ولا أساءوا
بشره جارم أن ينشوها فيببر حوله نعم وشاء
فينى مجدها ويقم فيها ويمشى إن أريد به المشاء

وإن الجارَ مثلُ الضيف يغدو لوجهه وإن طالَ الثَّوَاءُ
وإني قد علقتُ بحبل قوم أعانهم على الحسب الثراءُ
وكذلك قول أبي ذؤيب يصف حمر الوحش والصائد :-

فوردنَ والعَيوقُ مَقْعَدَ رَأْيِ الصُّرْبَاءِ خَلْفَ النجم لا يَتَلَعُ
فكر عن في حَجَرَاتٍ عَذِبٍ بارد حَسْبُ البَاطِحِ تَغِيبُ فِيهِ الأَكَرَعُ
فشرين ثم سمعن حساً دونه شرف الحجاب ورب فرع يقرع
فكره ففترن فامترست به هوجاءُ هاديةٌ وهادٍ جُرْشَعُ
فرمي فأنفذ من تَحْوَصِ عَائِطٍ سَهِمًا فخرٌ وريشه متصمع
فبدا له أقرب هادٍ رائماً عنه فبيث في الكناية يَرِجِعُ
فرمي فالحق صاعداً يا مِطْخَرَاً بالكشع فاشتملت عليه الأَضْلَعُ
فأبدن من حثوْفَرِنَ فهابر بَذَمَانِهِ أو بَارِكُ متجمع
فأنت ترى هذا النسق بالفاء كيف اطرده ، ولم ينحل عقده ، ولا اختل
بناؤه ، ولولا ثقافة الشاعر ومراعاته إياه لما تمكن له هذا التمكن .
واستطرفوا ما جاء من الصنعة نحو البيت والبيتين في القصيدة بين القصائد ،
يستدل بذلك على جودة شعر الرجل ، وصدق حسه ، وصفاء خاطره ؛ فأما إذا
كثر ذلك فهو عيب يشهد بخلاف الطبع ، وإثارة الكلفة ، وليس يتجه البتة أن
يتأق من الشاعر قصيدة كلها أو أكثرها متصنع من غير قصد ؛ كالذي يأتي من
أشعار حبيب والبحترى وغيرهما . وقد كانا يطلبان الصنعة ويولمان بها ؛ فأما
حبيب فيذهب إلى حزونة اللفظ ، وما يملأ الأسماع منه ؛ مع التصنيع المحكم
طوعاً وكرهاً ؛ يأتي للأشياء من بعد ، ويطلبها بكلفة ؛ ويأخذها بقوة . وأما
البحترى فكان أملح صنعة ، وأحسن مذهباً في الكلام ، يسلك منه دماثة
وسهولة مع إحكام الصنعة وقرب المأخذ ، لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة . وما
أعلم شاعراً أكل ولا أعجب تصنيعاً من عبد الله بن المعتز ؛ فإن صنعة خفية

لطيفة لا تنكاد تظهر في بعض المواضع إلا للبصير بدقائق الشعر ، وهو عندي
الطيف أصحابه شعراً ، وأكثرهم بديعاً واقتاناً ، وأقربهم قوافي وأوزاناً ،
ولا أرى وراءه غاية لطالها في هذا الباب ، غير أنا لا نجد المبتدى في طلب
التصنيع ومزاولة الكلام أكثر انتفاعاً منه بمطالعة شعر حبيب وشعر مسلم
ابن الوليد ؛ لما فيهما من الفضيلة لمبتغها ، ولأنهما طرقا إلى الصنعة ومعرفتها
طريقاً سائبة ، وأكثرها منها في أشعارهما تكثيراً سهلاً عند الناس ، وجسراً
عليها ، على أن مسلماً أسهل شعراً من حبيب ، وأقل تكلفاً ، وهو أول من
تكلف البديع من المولدين ، وأخذ نفسه بالصنعة ، وأكثر منها . ولم يكن في
الأشعار المحدثه قبل مسلم صريح [الغواني] إلا التبذير اليسيرة ، وهو زهير
المولدين : كان يبطئ في صناعته ويحيدها . وقالوا : أول من فقه البديع من
المحدثين بشار بن برد ، وابن هرمة ، وهو ساقه العرب وآخر من يستشهد
بشعره . ثم أتبعهما مقتدياهما كلثوم بن عمرو والعتابي ، ومنصور النخعي ، ومسلم
ابن الوليد ، وأبو نواس . واتبع هؤلاء حبيب الطائي ، والوليد البحراني
وعبد الله بن المعتز : فأتى علم البديع والصنعة إليه ، وختم به . وشبه قوم أبا نواس
بالناطقة لما اجتمع لهم من الجزالة مع الرشاقة ، وحسن الديباجة ، والمعرفة بمدح
الملوك . وأما بشار فقد شبهوه بامرئ القيس ؛ لتقدمه على المولدين ، وأخذهم
عنه ، ومن كلامهم : بشار أبو المحدثين . وسمعت أبا عبد الله غير مرة يقول :
« إنما سمي الأعشى صناجة العرب لأنه أول من ذكر الصنعة في شعره . قال :
أويقال : بل سمي صناجة لقوة طبعه ، وحلية شعره ، يخيل لك إذا أنشدته أن آخر
يفسد معك . ومثله من المولدين بشار بن برد تنشد أقصر شعره عروضا وألبته
كلما فتجد له في نفسك هزة وجلبة من قوة الطبع ؛ وقد أشبهه تصرفاً وضرباً
في الشعر وكثرة عروض مدحا وهجاء واقتخارا وتطويلاً . انقضى كلام
أبي عبد الله ورجعنا إلى القول في الطبع والتصنيع .
ولسنا ندفع أن البيت إذا وقع مطبوعاً في غاية الجودة ثم وقع في معناه

بيت مصنوع في نهاية الحسن لم تؤثر فيه الكلفة ولا ظهر عليه العمل كان
المصنوع أفضلهما ، إلا أنه إذا اتوالى ذلك وكثر لم يجز البتة أن يكون طبعا
واتفاقا ؛ إذ ليس ذلك في طباع البشر . وسيل الحاذق بهذه الصناعة — إذا
غلب عليه حب التصنيع أن يترك للطبع مجالا يتسع فيه . وقيل : إذا كان الشاعر
مصنعا بان^(١) جيده من سائر شعره : كأبي تمام فصار محصورا معروفا بأعيانه ،
وإذا كان الطبع غالبا عليه لم يبين جيده كل البينة وكان قريبا من قريب :
كالبحترى ومن شاكله . وقد نصر ابن الرومي في بعض تطويراته على
محمد بن أبي حكيم الشاعر حين عاب عليه قوله في الفرس من قصيدة رثى
بها عبد الله بن طاهر : —

فله شهامة سودنيق باكر وحوافر حفر ورأس صنّعت
وذكر قول حبيب : —

بحوافر حفر وصنّب صنّب^(٢)

فحل به ، واعتذر له ، وخرج التخاريج الحسان ، وذكر أن الحافر الوأب
والحافر المقعب ونحوهما أشرف في اللفظ من الحافر الأحفر ، إلا أن الطائي عنده
كان يطلب المعنى ولا يبالى باللفظ ، حتى لو تم له المعنى بلفظة نبطية لآتى بها ،
والذى أراه أن ابن الرومي أبصر بحبيب وغيره منا ، وأن التسليم له والرجوع
إليه أحزم ، غير أنني لو شئت أن أقول — ولست راداً عليه ، ولا معترضاً
بين يديه — إن المعنى الذى أراده وأشار إليه من جهة الطائي إنما هو معنى
الصنعة كالنطبق والتجنيس وما أشبههما . لا معنى الكلام الذى هو روحه ،
وإن اللفظ الذى ذكر أنه لا يبالى به إنما هو فصيح الكلام ومستعمله ،
وبذلك على صحة ما ادعيت على ابن الرومي قوله إن الحافر الوأب والمقعب
أشرف في اللفظ من الحافر الأحفر ؛ فكلامه راجع إلى ما قلته في الطائي ،
غير مخالف له ، وإن كان في الظاهر على خلافه ؛ لينسأ ذلك ، إلا أن أكثر

(١) في التونسية والمصريتين « فان » ولا معنى لها ، والتصحيح من المقابلة

في كلام المؤلف (٢) لم أجد هذا الشطر بهذه الصورة في الديوان

الناس على ما قال ، وإنما هذا معرض للكلام لا مخالفة . وقال الجاحظ : كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً ، ولا ساقطاً سوقياً ؛ فكذلك لا ينبغي أن يكون وحشياً ، إلا أن يكون المتكلم به بدوياً أعرايياً ؛ فإن الوحش من الكلام يفهمه الوحش من الناس ، كما يفهم السوق برطانة السوق . قال : وأنشد رجل قوما شعراً فاستغروه فقال : والله ما هو بغريب ، ولكنكم في الأدب غرباء . وعن غيره : أن رجلاً قال للطائي في مجلس حفل وأراد تبكيته لما أنشد : يا أبا تمام ، لم لا تقول من الشعر ما يفهم ؟ فقال له : وأنت لم لاتفهم من الشعر ما يقال ؟ فقصحه .

[ويروى أن هذه الحكاية كانت مع أبي العميش وصاحبين له خاطبة فاجابهما] ^(١) وقال بعض من نظر بين أبي تمام وأبي الطيب : إنما حبيب كالتقاضى العدل : يضع اللفظة موضعها ، ويعطى المعنى حقه ، بعد طول النظر والبحث عن البينة ، أو كالفقيه الورع : يتحرى في كلامه ويتخرج خوفاً على دينه . وأبو الطيب كالملك الجبار : يأخذ ما حوله قهراً وعتوة ، أو كالشجاع الجرئ : بهجم على ما يريد لا يبالي مالتى ، ولا حيث وقع .

وكان الأصمعي يقول : زهير والناطقة من عبيد الشعر ، يريد أنهما يتكلفان إصلاحه ويشغلان به حواسهما وخواطرها
ومن أصحابهما في التنقيح وفي التقييد والتحكيك طفيل الغنوى .
وقد قيل : إن زهير أروى له ، وكان يسمى محبراً لحسن شعره .
ومنهم الخطيئة ، والنمر بن تولب ، وكان يسميه أبو عمرو بن العلاء الكيس .

وكان بعض الخذاق بالكلام يقول : قل من الشعر ما يخدمك ، ولا تقل منه ما يخدمه ، وهذا هو معنى قول الأصمعي ، وسأحلي هذا الباب من كلام

السيد أبي الحسن بحلية تكون له زينة فائقة ، وأختمه بخاتمة تكسوه حلة راتقة ؛ لأوفى بذلك بعض ماضمت ، وأقضى به حق ما شرطت ، إن شاء الله: فمن ذلك قوله بتأمرت سنة خمس وأربعمائة يتشوق إلى أهله :

ولى كبد مكلمة من فراقكم أظلمها صبراً على ما أجتت
تمتكم شوقاً إليكم وصبوة عسى الله أن يدنى لها ما تمت
وعين ثجفاها النوم واعتادها البكا إذا عن ذكر القيروان استهلكت
فلو أن أعراياً تذكر نجد أخن به إلى الوطن ، أو تشوق فيه إلى بعض
السكن ؛ ما حسبه يزيد على ما أتى به هذا المولد الحضري المتأخر العصر ،
وما انحط بهذا التميز في هواي ، ولا أتفق بهذا القول عند مولاي ، ولا
الحديثة مما تظن به ، ولا فيه ، ولكن رأيت وجه الحق فعرفته ، والحق
لا يتلم ، وما هو في بلاغته وإيجازه إلا كما قال الأجير السعدى
في وصيته :-

من القول ما يكنى المصيب قليله ومنه الذى لا يكنى الدهر قائله
يصد عن المعنى فيترك ما تحا ويذهب في التقصير منه يطاوله
فلا تلك مكثراً تزيد على الذى عنيت به في خطب أمر تزاوله

(٢١) — باب في الأوزان

الوزن أعظم أركان حد الشعر ، وأولاهما به خصوصية ، وهو مشتمل على لقافية وجالب لها ضرورة ، إلا أن تختلف القوافي فيكون ذلك عيافاً في التقفية لافى الوزن ، وقد لا يكون عيافاً نحو الخمسات وما شاكلها والمطبوع مستغن بطبعه عن معرفة الأوزان ، وأسمائها ، وعليها ؛ لنبو خوقه عن المزاحف منها والمستكره . والضعيف الطبع محتاج إلى معرفة شيء من ذلك يعينه على ما يحاوله من هذا الشأن .
وللناس في ذلك كتب مشهورة ، وتواليف مفردة ، وبينهم فيه اختلاف ،

وليس كتابي هذا بمحتمل شرح ذلك ، ولا هو من شرطه ؛ فراراً من التكرار والتطويل ، ولكنني أذكر تفأً يحتاج إليها ، ويكتفي بهامن نظر من المتعلمين في هذا الكتاب ، إن شاء الله .

فأول من ألف الأوزان وجمع الأعاريض والضروب الخليل بن أحمد فوضع فيها كتاباً سماه « العروض » استخفاً ، والعروض : آخر جزء من القسم الأول من البيت ، وهي مؤنثة ، وثقث وتجمع ، إلا أن يكون لهذا الجنس من العلم ، والضرب : آخر جزء من البيت من أي وزن كان .

ثم ألف الناس بعده ، واختلفوا على مقادير استبطائهم ، حتى وصل الأمر إلى أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، فبين الأشياء وأوضحها في اختصار ، وإلى مذهبه يذهب حذاق أهل الوقت ، وأرباب الصناعة : فأول ما خالف فيه أن جعل الخليل الأجزاء التي يوزن بها الشعر ثمانية : منها اثنان خماسيان ، وهما : فعولن ، وفاعلن ، وستسباعية ، وهي : مفاعيلن ، وفاعلان ، ومستفعلن ، ومفاعلاتن ، ومتفاعلن ، ومفعولات ، فنقص الجوهري منها جزء مفعولات ، وأقام الدليل على أنه منقول من « مستفعلن » مفروق الوند ، أي : مقدم النون على اللام ؛ لأنه زعم [أنه] لو كان جزءاً صحيحاً لتركب من مفردة بحر كما تركب من سائر الأجزاء . يريد أنه ليس في الأوزان وزن انفرد به مفعولات ، ولا تنكرر في قسم منه ، وعد الخليل أجناس الأوزان فجعلها خمسة عشر جنساً ، على أنه لم يذكر المتدارك ، وهي عنده : الطويل ، والمديد ، والبسيط ، في دائرة ؛ ثم الوافر ، والكامل ، في دائرة ؛ ثم المزج ، والرجز ، والرمل ، في دائرة ؛ ثم السريع ، والمنسرح ، والخفيف ، والمضارع ، والمقتضب ، والمجث ، في دائرة ؛ ثم المتقارب وحده في دائرة .

وذكر أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق الزجاج اختلاف الناس في ألقاب الشعر : لحكى عن الخليل شيئاً أخفت به اختصاراً وتقليداً ؛ لأنه أول من

وضع علم العروض وفتح للناس ، وغادرت ما سوى ذلك من قول أبي إسحاق الزجاج وغيره لا على أن فيه تقصيراً . ذكر الزجاج أن ابن دريد أخبره عن أبي حاتم عن الاخفش قال : سألت الخليل بعد أن عمل كتاب العروض : لم سميت الطويل طويلاً ؟ قال : لأنه طال بتمام أجزائه ، قلت : فالبيط ؟ قال : لأنه انبسط عن مدى الطويل وجاء وسطه فعُلمن وآخره فعُلمن ، قلت : فالمديد ؟ قال : تمدد سباعيه حول خماسيه ، قلت : فالوافر ؟ قال : لو فور أجزائه وتداً بوتد ، قلت : فالكامل ؟ قال : لأن فيه ثلاثين حركة لم تجتمع في غيره من الشعر ، قلت : فالهزج ؟ قال : لأنه يضطرب ؛ شبه بهزج الصوت ، قلت : فالرجز ؟ قال : لا اضطرابه كاضطراب قوائم الناقة عند القيام ، قلت : فالرمل ؟ قال : لأنه شبه برمل الحصير لضم بعضه إلى بعض ، قلت : فالسريع ؟ قال : لأنه يسرع على اللسان ، قلت : فالمنسرح ؟ قال : لانسراحه وسهولته ، قلت : فالخفيف ؟ قال : لأنه أخف السباعيات ، قلت : فالمقتضب ؟ قال : لأنه اقتضب من السريع ، قلت : فالمضارع ؟ قال : لأنه ضارع المقتضب ، قلت : فالمجتث ؟ قال : لأنه اجتث ، أي : قطع من طويل دائرته ، قلت : فالمتقارب ؟ قال : لتقارب أجزائه ؛ لأنها خماسية كلها يشبه بعضها بعضاً .

وجعل الجوهري هذه الأجناس اثني عشر باباً على أن فيها المتدارك : سبعة منها مفردات ، وخمسة مركبات ، قال : فأولها المتقارب ، ثم الهزج ، والطويل بينهما مركب منها ، ثم بعد الهزج الرمل ، والمضارع بينهما ، ثم بعد الرمل الرجز ، والخفيف بينهما ، ثم بعد الرجز المتدارك ، والبيط بينهما ، ثم بعد المتدارك المديد ، مركب منه ومن الرمل ، قال : ثم الوافر والكامل ، لم يتركب بينهما بحر لما فيهما من الفاصلة .

وزعم أن الخليل إنما أراد بكثرة الألقاب الشرح والتقريب ، قال : وإلا فالسريع هو من البيط ، والمنسرح والمقتضب من الرجز ، والمجتث من الخفيف ؛ لأن كل بيت مركب من مستفعلن فهو عنده من الرجز طال أو

قصر ، وكل بيت ركب من مستغلن فاعلن فهو من البسيط طال أو قصر ، وعلى هذا القياس سائر المفردات والمركبات عنده . والمتدارك الذي ذكره الجوهري مقلوب من دائرة المتقارب ، وذلك أن فعولن يخلفه فاعلن ويختبئ فيصير فعيلن ، وشعر عمرو الجنى منه ، وهو الذي يسميه الناس اليوم الختَب ، وليس بين العلماء اختلاف في قطع الأجزاء ، وأنه يراعى فيه اللفظ دون الخط : فيقابل الساكن الساكن ، والمتحرك بالمتحرك ، ويظهر حرف التضعيف ، وتسقط ألف الوصل ولام التعريف إذا لم تظهر في درج الكلام ، وثبت النون بدلا من التوين ، ويعد الوصل والخروج حرفين ، وهذا هو الأصل المحقق ؛ لأن الأوزان إنما وقعت على الكلام ، والكلام لا محالة قبل الخط ؛ لأن الألف صورة هوائية لا مستقر لها ، ولأن المضاعف يجعل حرفاً واحداً ، ولأن التوين شكل خفي ، وليس في جميع الأوزان ساكنان في حشو بيت إلا في عروض المتقارب ، فان الجوهري أنشد ، وأنشده المبرد قبله : —

وَرُمْنَا القِصَاصَ وَكَانَ التَّقَاصُ ۚ فَرَضَا وَحَمَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ
قال الجوهري : كأنه نوى الوقوف على الجزء ، وإلا فالجمع بين ساكنين لم يسمع به في حشوييت .. قال صاحب الكتاب : إلا أن سيويه قد أنشد : —

كَأَنَّهُ بَعْدَ كَلَالِ الزَّاجِرِ وَمَسْحَةِ مَرْتَعَابِ كَاسِرِ

باسكان الحاء وإدغامها في الهاء والسين قبلها ساكنة .

وجميع أجزاء الشعر تتألف من ثلاثة أشياء : سبب ، ووتد ، وفاصلة . فالسبب نوعان : خفيف ، وهو متحرك بعده ساكن ، نحو : ما ، وهل ، وبلى ، ومن ، وثقل ، وهو متحركان ، نحو : لم ، وبم ، إذ سألت ، وقد أنكره بعض المحدثين . والوتد أيضاً نوعان : مجموع ، وهو متحركان بعدهما ساكن ، نحو : رمي ، وسعى ، ومفروق ، وهو ساكن بين متحركين ، نحو : قال ، وباع . والفاصلة فاصلتان : صفري ، وهي ثلاث متحركات بعدها ساكن ، نحو :

بلغت ، وما أشبه ذلك ، وكبرى ، وهى أربع متحركات بعدها ساكن ، نحو :
 بلغنى ، وبلغنا ، وما أشبه ذلك ، وهى تأتى فى جزء من الشعر بعينه ، وهو :
 فَعِلْتُنْ ، ولا تأتى البتة باجماع من الناس بين جزءين فتكون حرفين متحركين
 فى آخر جزء ومثلهما فى أول جزء آخر يليه ، ولا يجتمع فى الشعر خمس
 متحركات البتة . ومن الناس من جعل الشعر كله من الأوتاد والأسباب خاصة
 يركب بعضهما على بعض فتتركب القواصل منهما . . وبعض المتعقبين - أظنه
 الملقب بالبحار - يسمى الفاصلتين وتبدأ ثلاثياً ، وتبدأ رباعياً ، والسبب عنده
 نوعان : منفصل نحو من ، ومتصل نحو لمن ، فاللام عنده وحدها سبب متصل ،
 والميم والنون سبب هو منفصل لَمَّا كان لحركة الميم نهاية وهى النون الساكنة ،
 ولو كانت متحركة لم تكن نهاية .

وأما الزحاف فهو ما يلحق أى جزء كان من الاجزاء السبعة التى جعلت
 موازين الشعر من نقص أو زيادة أو تقديم حرف أو تأخير أو تسكينه ،
 ولا يكاد يسلم منه شعر .

ومن الزحاف ما هو أخف من القام وأحسن ، كالذى يستحسن فى
 الجارية من التفاف البدن واعتدال القامة ، مثال ذلك مفاعيلن فى عروض
 الطويل التام تصير مفاعيلن فى جميع أياته ، وهذا هو القبض ، وكل ما ذهب
 خامسه الساكن فهو مقبوض . وقاعلن فى عروض البسيط التام وضربه يصير
 فعِلُنْ ، وذلك هو الحنين ، وكل ما ذهب ثانيه الساكن فهو مخبون . ومفاعِلتن
 فى عروض الوافر التام وضربه حذفوا منه التاء والنون وأسكنوا اللام فصار
 مُفَاعَلُنْ ، تخلفه قولان ، وهذا هو القطف . وليس فى الشعر مقطوف غيره .
 ويخفف على المطبوع أبداً أن يجعل مكان مستعملن فى الخفيف مفاعيلن يظهر
 له أحسن . ومنه - أعنى الزحاف - ما يستحسن قليله دون كثيره ، كالقبلي
 اليسير والفكج والتخ ^(١) مثال ذلك قول خالد بن زهير الهذلي لخاله أبي ذؤيب :-

(١) القبل - بفتحين - إقبال سواد العين على الأنف ، أو مثل القول ،

لعلك إما أمٌ عمرو تبدلت سواك خيلا شامئى يستجيرُها
فنقص ساكنا بعد كافٍ سواك ؛ وهو نون فعلان ، وهذا هو القبض ،
ومن رواه « خيلا سواك » قبض الياء من مفاعيلن ، وهو أشد قليلا .
ومنه ما يحتمل على كره ، كالفتح والوكع والكزم ^(١) فى بعض الحسان ،
ومثاله فى الشعر كثير ، وكفاك قول امرئ القيس بن مُحجر : —
وتعرف فيه من أياه شائلا ومن خاله ، ومن يزيد ، ومن حجر
ساحة ذا ، وبرٌ ذا ، ووفاء ذا ، ونائل ذا : إذا صحا ، وإذا سكر
فهذا أجمع العلماء بالشعر أنه ما عمل فى معناه مثله ، إلا أنه على ما تراه من
الزحاف المستكره ، حكى ذلك أبو عبيدة . . ومنه قبيح مردود لا تقبل النفس
عليه ، كقبح الخلق واختلاف الأعضاء فى الناس وسوء التركيب ، مثاله
قصيدة عبيد المشهورة : —

• أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ •

فإنها كادت تكون كلاماً غير موزون بعلّة ولا غيرها حتى قال ^(٢) بعض
الناس : إنها خطبة ارتجلها فاتزن له أكثرُها .

أو أحسن منه ، أو إقبال إحدى المدقتين على الأخرى . والفتح فى الأسنان —
بفتحتين — تباعد ما بين التنايا والرباعيات ، وبابه طرب . والفتح : أن يصير الزاء
لاما أو غينا أو يصير السين تاء ، وبابه طرب أيضا

(١) القدح — بفتحتين — اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى ينقلب
الكف أو القدم إلى إنسيها ، أو هو المشى على ظهر القدم ، أو هو ارتفاع أخمص
القدم حتى لو وطئ الأقدح صفورا لم يؤذ . والوكع — بفتحتين — إقبال
الأيهام على السبابة من الرجل حتى يرى أصله خارجا كالقعدة . والكزم — بفتحتين —
قصر فى الأنف والأصابع .

(٢) وفيها يقول أبو العلاء الممرى : —

وقد يخطئ رأى امرئ وهو حلزم • كما اختل فى نظم القصيدة عبيد

وقال الاصمعي : الزخاف في الشعر كالرخصة في الفقه لا يقدم عليها إلا قية.

وينبغي للشاعر أن يركب مستعمل الأعاريض ووطيئها ، وأن يستحل الضروب ويأتي بالطفها موقعا ، وأخضا مستمعا ، وأن يجتنب عريضا ومستكرها ؛ فإن العويص مما يشغله ، ويمسك من عنائه ، ويوهن قواه ، ويفت في عضده ، ويخرجه عن مقصده .

وقد يأتون بالحرم كثيرا - وهو ذهاب أول حركة من وتد الجزء الأول من البيت - وأكثر ما يقع في البيت الأول ، وقد يقع قليلا في أول عجز البيت ، ولا يكون أبدا إلا في وتد ، وقد أنكره الخليل لقلته فلم يجرئه ، وأجازته الناس : أشهد الجمهوري : -

قدّمت رجلا فان لم تزع قدّمت الأمخري فنت القرارا

وأشهد أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري لامرئ القيس : -

لقد أنكرتني بعلبك وأهلها وابن جريح كان في حمص أنكرا

هكذا روايته ، ورواه غيره * ولابن جريح * بغير خرم . فاذا اجتمع الحرم والقبح على الجزء فذلك هو الثرم ، وهو قبيح . . وهذان عيان تلك التسمية فيهما على قبحهما ؛ لأن الحرم في الأنف ، والثرم في الفم ، وإنما كانت العرب تأتي به لأن أحدهم يتكلم بالكلام على أنه غير شعر ، ثم يرى فيه رأيا فيصرفه إلى جهة الشعر ، فن هنا حمل لهم وقبح على غيرهم . ألا ترى أن بعض كتاب عبد الله بن طاهر عاب ذلك على أبي تمام في قوله : -

* هن عواذي يوسف وصواحيه *

على أنه أولى الناس بمذاهب العرب . . ويأتون بالحزم - بزاي معجمة - وهو ضد الحرم - بالراء غير معجمة ، الناقص منهما ناقص نقطة ، والزائد زائد نقطة -

وعبيد : هو ابن الأبرص بن جشم . بن طاهر بن هر ، وانظر ديوانه المطبوع في أوروبا (ص ٥)

وليس الخزم عندهم بعيد ؛ لأن أحدهم إنما يأتي بالحرف زائداً في أول الوزن ، إذا سقط لم يفسد المعنى ، ولا أخل به ولا بالوزن ، وربما جاء بالحرفين والثلاثة ، ولم يأتوا بأكثر من أربعة أحرف ، أنشدوا عن علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى ورضي عنه : —

أشدُّ حياز يك للموت فان الموت لا يكا
ولا تجزع من الموت إذا حلَّ بواديكَا

فزاد « اشد » يائناً للمعنى لأنه هو المراد . قال كعب بن مالك الأنصاري يرثي عثمان بن عفان رضي الله عنه : —

لقد عجتُ لقوم أسلوا بعد عزم إمامهم للمنكرات وللغدر
فزاد « لقد » على الوزن ، هكذا أنشدوه . وأنشد الزجاج - وزعم أصحاب الحديث أن الجن قالته : —

نحن قتلنا سيد الخزر ج سعد بن عباده
رميناه بسهمين فلم نُخطِ فواده

فزاد على الوزن « نحن » وأنشد الزجاج أيضاً : —

• بل لم تجزعوا يا آل حرب مجزعا •

فزاد « بل » وأنشد أيضاً : —

يامطر بن عارجة بن مسكم إني أجتى وتُلق دوى الأبواب
وإنما الوزن مطرب عارجة ، والياء والألف ^(١) زائدة .. وما جاء في الخزم في أول عجز البيت وأول صدره ، وهو شاذ جداً ، قول طرقة : —

هل تذكرون إذ نقاظكم إذ لا يضر معدماً عدمه

فزاد في أول صدر البيت « هل » وزاد في أول العجز « إذ » والبيت من قصيدته المشهورة : —

أشجاك الرنح أم قدمه أم رماد دارس حمه
وقال جرية^(١) بن الأشيم أشده أبو حاتم عن أبي زيد الأنصاري : —
لقد طال إيصاعي المخدم لأرى في الناس مثلي من معد يخطب
حتى تأوبت البيوت عشية فوضعت عنه كوره تتاب
فاللام في «لقد» زائدة ، وصاحب هذا الشعر جاهل قديم ، وقالت الخنساء :
أقذى بعينك أم بالعين عوار أم أوحشت إذ دخلت من أهلها الدار
فزادت ألف الاستفهام ، ولو أسقطناها لم يضر المعنى ولا الوزن شيئاً ،
وروي أن أبا الحسن بن كيسان كان يفشد قول امرئ القيس : —
كأن ثيراً في عرائن وبله

فأبعد ذلك بالواو فيقول : وكأن ذرى رأس المجير غدوة
وكان السباع فيه غرقى عشية
معطوفاً هكذا ليكون الكلام نسقاً بعضه على بعض

وقال عبد الكريم بن إبراهيم : مذهبهم في الخزم أنه إذا كان البيت يتعلق بما
بعده وصلوه بتلك الزيادة بحروف العطف التي تعطف الاسم على الاسم والفعل
على الفعل والجملة على الجملة . وأخذ الخزم من خزامة الناقة ، ومن شأنهم مد الصوت
لجعلوه عوضاً من الحرم الذي يحذفونه من أول البيت . وقد قال غيره : إنما أسقطوه
كانهم يتوهمون أنه في السكتة ، فلذلك جعلوه في الوند المجموع ؛ لأن
المفروق لو أسقطوا حركته الأولى لبقى أوله ساكناً ولا يبدأ بالسكن ، فيسقط
أيضاً والسكتة لا تحتل عندهم إلا حرفاً واحداً ، وهذا اعتلال مليح بين جداً

(١) هكذا في بعض النسخ بالجيم والراء للمهمة ، وفي بعضها « خزيمة » بجاء
وزاى موحدتين ، وفي بعضها « حرينة » بجاء وراء مهملتين ، وكل هذه النسخ
مخالفة لما في نوادر أبي زيد (ص ٧٢) فإن فيها « خزيمة » بجاء موحدة وراء مهمة
وبعد الياء باء موحدة

ومن التزحيف في الأوساط الإقعاد (١) ، وهو أن تذهب مثلان متفاعلتان أو مستفعلتان في عروض الضرب الثاني من الكامل وتسكن اللام فيصير عروضه كضربه فملتان أو مفعولان ، كما قال الشاعر ، وهذا هو القطع عند أصحاب القوافي : —

أفبعدَ مقتلِ مالكِ بنِ زهيرٍ ترجو النساءُ عواقبَ الأظهارِ
فجاءَ هذا على معنى التصريح وليس به ، فهو عيب ، وأقبح منه قول الآخر : —
إني كبرتُ وإنَّ كلَّ كبيرٍ مما يعضنَ به عليٌّ ويقتِرُ
لأنه أتى بالعروض دون الضرب بحرف ، لالتوهم تصريح ولا إشكال وإنما تذكر مثل هذا ليجنب إذا عرف قبحه . وجاء منه في الطويل قول
الناطقة الذياني : —

جزى الله عبساً عبساً آلَ بغيضٍ جزاء الكلابِ العاوياتِ وقد فعل (٢)
أنشده النحاس . وقول ضباب بن سبيع بن عوف الحنظلي : —

لعمري لقد برَّ انضبابَ بنوه وبعضُ البنين حمةً وسعال
هكذا روايته بالحاء غير معجمة ، وهو الصحيح ، وبعضهم يرويه « غمة »
بالعين معجمة ، وزعم الجمحي أن الإقعاد (١) لا يجوز لمولد ، وقد أتى به البحري
في عروض الخفيف فقال يهجو شاعراً : —

ليس ينفك هاجباً مضروباً ألفَ حدٍّ ومادحاً مصفوعاً
قياساً على قول الحارث بن حطوة الشكري : —
أسدٌ في اللقاء ذو أشبالٍ وريعٌ إن شئتَ غبراء

(١) في التوسمية « الإقعاد » في الموضمين

(٢) في إحدى روايات الديوان * جزى الله عبساً والجزاء بفعله * ومن
العلماء من يروي البيت بالالتقاط التي رواه المؤلف بها ولكنه يصغر لفظ « بغيض »
بضم الباء وفتح الغين وتشديد الياء مكسورة ، وعلى هذين فلا شاهد للمؤلف فيه

وابن قتيبة يسمى هذا الزحاف إقواء وسأذكره في أبواب القوافي إن شاء الله تعالى

ومن مهمات الزحاف أربعة أشياء : ابتداء ، وهو ما كان في أول البيت مما لا يجوز مثله في الحشو : كالتلم في الطويل ، والعصب في الوافر ، والخرم في المزج ؛ وفصل ، وهو ما كان ملتزما في نصف البيت الذي يسمى عروضاً ، مثل مفاعلن في عروض الطويل ، وفعلن في عروض المديد ، وما جرى مجراها ، هذا هو الحقيقة ، وأما ما كان من جهة التوسع والمجاز ومعنى التقريب فقد مر ذكرهما آنفاً ؛ واعتماد ، وهو ما كان من الزحاف الجائز في الحشو ولا مثل الجزء ^(١) الذي قبل الضرب ، كقول امرئ القيس :-

أعنى على برق أراه وميض يضيء حياء في شماريخ ييض
فأثبت ياء « شماريخ » وهي مكان النون من فعولن ، وكان الأجود أن يسقطها بالقبض ؛ لمكان الاعتماد ؛ لأن السبب قد اعتمد على وتدين ؛ أحدهما قبله ، والآخر بعده ، فعوى قوة ليست لغيره من الأسباب ، فحسن الزحاف فيه ، والاعتماد في المتقارب سلامة الجزء من الزحاف ؛ وغاية ، وهو ما كان في الضرب الذي هو جزء القافية ملتزماً مخالفاً للحشو : كالمقطوع والمقصور والمكشوف ، ^(٢) والمقطوف ، وهذه أشياء لا تكون في حشو البيت . .

قالوا : وأكثر الغايات معتل ؛ لأن الغاية إذا كانت فاعلاتن أو فعولن أو مفاعيلن فقد لزمها أن لا تحذف سواكن أسبابها ؛ لأن آخر البيت لا يكون متحركاً ، هذه حقيقة ما ذكر ، وأما المجاز والاتساع فكثير . .
ويتصل بالغايات أنواع أخرى : فمن ذلك معرفة ما يلزمه حرف المد واللين

(١) هكذا في المصريتين ، والبارقة غير مستقيمة ، وصوابها : « ما كان من الزحاف الجائز في الحشو في الجزء الذي قبل الضرب »
(٢) في الأصول كلها « والمكشوف » بالشين المعجمة وهو تصحيف

الذي هو الرفع مما لا يلزمه (١) ذلك : أجمع حذاق أهل العلم من البصريين والكوفيين على أن كل وزن نقص من أتم بنائه حرف متحرك عوض حرف المد واللين من ذلك الحرف فلم يحىء الا مردفاً بواو أو ياء أو ألف .. ولا يجتنب في ذلك بما يقع الزحاف مثل مفعولن (٢) في الخفيف . ألا ترى أنه يعاقب فاعلاتن ؛ فهو لا يوجب الرفع ، فان ذهب منه أكثر من حرف متحرك أو ما يقوم مقامه ، وهو حرف ساكن مع حرف آخر متحرك ؛ لم يلزمه الرفع ، وإذا التقى ساكنان ألزموه الرفع : فما سقط فألزم حرف المد فمفعولن المحذوف في الطويل ، لم يمتدوا بالنون لما يدركها من الزحاف فكأنما ذهبت اللام فقط ، ومن المديد فاعلاتن المقصور ، ومن البسيط فعنان المقطوع . والفرق بين القطع والقصر أن القصر في الأسباب والقطع في الأوتاد ، وهما جميعاً ذهاب ساكن من آخر الجزء وحركة متحرك قبله ملاصقة . والرفع إنما يكون عوضاً عما بعده لا بما قبله . ومن الكامل فعلات (٣) المقطوع ، ومن الرجز مفعولن (٤) المقطوع ، ومن الرمل فاعلاتن المقصور ، ومن المتقارب فعولن المقصور .

وعما التقى فيه ساكنان وألزموه الرفع مستغفلان المذال في البسيط ، وفيه اختلاف : أما من ألزمه الرفع فلا لقاء الساكنين ، أقاموا المد منهما مقام الحركة ؛ وأما من لم يلزمه الرفع فلا أنه قد تم وزيد على تمامه . والارداف إنما يأتي عوضاً من النقصان لا من الزيادة . وفي الكامل متغافلن المذال ، وفي الرجز شاذ ، أنشده أبو زهرة النحوى في كتاب العروض ، وهو : —

(١) كذا في جميع الأصول والصواب حذف كلمة « ذلك »

(٢) في جميع الأصول « مفعولن » بلا واو ، وهو غير صحيح

(٣) أصله « متغافلن » : حذف النون وسكنت اللام قبلها فصار « متغافل »

فنقل إلى « فعلاتن »

(٤) أصله « مستغفلن » فبعد حذف النون وسكنت اللام نقل إلى « مفعولن »

كأنتي فوق أقب سَهَوِي جَأَب إِذَا عَشَرَ صَاقِي الْأَرَنَانِ (١)
وفي الرمل فاعلاتن وحدها ، وأقول فيها كالأقول في مستفعلن المذال في
البسيط ، وفاعلات في السريع ، وهو مذيّل من البسيط عند الجوهري فأما
على ما عند من سواه فهو موقوف من مفعولات مطوية - أي ساقطة الواو -
ومفعولات في مشطور السريع أيضاً ، وفي منهوك المنسرح يلزمها حرف اللين ،
ففي هذا إجماع الخذاق ، إلا سيبويه فإنه رخص فيه لموافقة الوزن مُرَدِّفًا
وغير مردف ، وأنشد قول امرئ القيس : -

ولقد رحلت العيس ثم زجرتهَا وَهَنَا وَفَلْتُ : عَلَيْكَ خَيْرَ مَعَدٍّ
* وقول الراجز : -

أَنْ تُنْمَعَ الْيَوْمَ نِسَاءُ يُنْمَعْنَ

باسكان العين والنون . وكانا الجرهمي والأخفش يريان هذا غلطاً من قائله ،
كالسناد والاكفاء ، يحكى ولا يعمل به ، إلا أن أبا نواس في قوله : -

لَا تَبْكِي لَيْسْلَى وَلَا تَقْرَبِي إِلَى هِنْدٍ

أخذ بقول سيبويه ، وهو قليل . والقياس الأول حسن مطرد . وهو
المختار .

ومن أهم أمور الغايات معرفة ما يُنشد من الشعر مطلقاً ومقيداً . قال
أبو القاسم الزجاجي وغيره من أصحاب القوافي : الشعر ثلاثة وستون
ضرباً ، لا يجوز إطلاق مقيد منها إلا انكسر الشعر ، ما خلا ثلاثة أضرب :
أحدها في الكامل : -

أُنْبِي لَا تَظْلَم بِمَكَّةَ لَا الصَّغِيرَ وَلَا الْكَبِيرَ

وهذا هو الضرب السابع يسمى مذالاً ، وإن شئت قلت * ولا الكبيره

(١) البيت لمراد الاسدي . وأصل السهوق الطويل من الرجال وقد يستعمل

في غيرهم كما هنا . والمجأب : الحمار الغليظ من حمير الوحش . والصباقي : الوثاب

فأطلقتة وهو الضرب السادس منه يسمى المرقل . والضرب الثاني في الرمل وهو قول زيد الخيل : —

يَأْتِي الصَّيْدَاءُ رُدُّوْا قَرَسِي إِنَّمَا يُفْعَلْ هَذَا بِالذَّلِيلِ
وهو الضرب الثاني منه ، فإن أطلقتة صار أول ضرب منه . والضرب الثالث في المتقارب ، أنشد الأصمعي وأبو عبيدة : —

كَأَنِّي وَرَحْلِي إِذَا زُعْتَهَا عَلَى جَمْرِي جَازِيهِ بِالرَّمَالِ
غير أن سيويه أنشد فيها يجوز تقييده وإطلاقه : —
صَفِيَّةُ قَوْمِي وَلَا تَعْجِزِي وَبِكِي النِّسَاءَ عَلَى حِمْرَةٍ
وهو من المتقارب : إن أطلق كان محذوفاً ، وإن قيد كان أبتراً . وقد أنشد أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري لعمر بن شاس ، قال : والشعر مقيد وما يضة بات الظلم يحققها إلى جُوجُوْ جاف يمشاء حلال بأحسن منها يوم بطن قرأ قرير تخوض به بطن القطاة وقد سال لطيفة طي الكشح مضمرة الحشا كهضم العناق هوة غير بحال (١) تميل على مثل الكتيب (٢) كأنها نقا كلما حركت جانبها مال هذا شيء لم يذكره العروضيون ، وهو عندهم مطلق محمول على الإقواء ، كما حمل قول امرئ القيس : —

أَحْظَلُ لَوْ حَلِمْتُمْ وَصَبَرْتُمْ لَا تَنْتِ خَيْرًا صَالِحًا وَلَا رُضَانِ
ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى قَتِيَّةٍ وَأَوَجُّهُمْ عِنْدَ الْمَشَاهِدِ غُرَانِ
عَوِيرٌ وَمِنْ مِثْلِ الْعَوِيرِ وَرَهْطُهُ وَأَسْعَدُ فِي لَيْلِ الْبَلَابِلِ صَفْوَانِ
فَقَدْ أَصْبَحُوا وَاقَهُ أَصْفَاهُمْ بِهِ أَيْرٌ بِأَيْتَانِ (٣) وَأَوْفَى بِحِيرَانِ

(١) في النواذر (ص ٤١) : « هوة غير متقال »

(٢) في النواذر « على ظهر الكتيب » وروى « على ظهر الضجيع »

(٣) رواية الديوان « أير بيمتان »

إلا الاخشخ والجرمى فانهما يرويان هذا الشعر موقوفاً ، ولا يريان فيه إقواء ، وهذا عند سيبويه لا بأس به .
وقد صوب الناس قول الخليل في مخالفة هذا المذهب ، وأنشد بعض المتعقبين أظنه البازي العروضي : —

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود
بالتقييد على أنه من الضرب المحذوف المعتمد ، قال : إلا أنه يدخله عيب
لترك حرف اللين ، وهو كثير جداً

وليس الابتداء والفصل والاعتداد والغاية بملل ولكنها مواضع العلل
فأقيم المضاف إليه مقام المضاف .

وأما زحاف الخشخ فمن أهمه معرفة المعاقبة والمراقبة : فأما المعاقبة فهي
أن يتقابل سيبان في جزئين ، فهما يتعاقبان السقوط : يسقط ساكن أحدهما
لثبوت ساكن الآخر ، ويثبتان جميعاً ، ولا يسقطان جميعاً ، والمعاقبة بين
سببي جزئين من جميع الأوزان في أربعة أنواع : المديد ، والرمل ،
والخفيف ، والمجث ، وهو عند الجوهري ضرب من الخفيف ، فإذا كان
السبب في أول البيت أو كان قبله وتد دخله الزحاف فهو يرى من المعاقبة ،
إذ ليس قبله ما يعاقبه ، ولأن الوند لا يعاقب السبب ، فإذا زوحف ثافي
الجزء لمعاقبة ما بعده فهو عجز فان زوحف أو له لمعاقبة ما قبله وآخره لمعاقبة
ما بعده فهما طرفان ، وياء مفاعيلن في الطويل والمزج يعاقب نونها وكذلك
سين مستفعلن في الكامل ^(١) تعاقب فلهما .

والمراقبة : أن يتقابل السيبان في جزء واحد ، فيسقط ساكن أحدهما ولا
يسقطان جميعاً البتة وكذلك لا يثبتان جميعاً ، وهي من جميع الأوزان في
المضارع والمقتضب ، والجوهري يعد المقتضب من الرجز كما قدمت ، فهي

(١) لعله « في الرجز » فان الكامل « متفاعلن » وهو من سبب ثقل

فصب خفيف بعدهما وتد مجموع ، وفرض كلامه في صيغتين خفيفين

من المضارع في سببي مفاعيلن - أعنى الياء والنون - إما أن يأتي مفاعيلن مقبوضاً أو مفاعيلن مكفوفاً ، ومن المقتضب في سببي مفعولات - أعنى الفاء والواو - إما أن تخبرن فتصير مفاعيل^(١) وإما أن تطوى فتصير^(٢) فاعلات ، ولا يجوز أن يكون هذا ولا الذى قبله - أعنى المضارع - سالماً البتة والفرق بين المراقبة والمعاقبة أن سببي المعاقبة يثبتان معاً ، وأن سببي المراقبة لا يثبتان معاً ، وأن المعاقبة في جزئين ، إلا ما كان من مفاعيلن في الطويل والهزج ومستفعلن في الكامل^(٣) وأن المراقبة في جزء واحد .

وسأفرد الباقي الزحاف باباً أذكره فيه مع المشطور إن شاء الله تعالى ، ولست أحمل أحداً على ارتكاب الزحاف إلا ما خف منه وخفى ، ولو أن الخليل - رحمه الله - وضع كتاب العروض ليتكلف الناس ما فيهم من الزحاف ويجعلوه مثالا دون أن يعلموا أنها رخصة أتت بها العرب عند الضرورة لوجب أن يتكلف ما صنعه من الشعر مزاحفاً ليدل بذلك على عبه وفضل مانحاً إليه .

ولسنا نرى الزحاف الظاهر في شعر محدث ، إلا القليل لمن لا يتهم كالبحتري ، وما أظنه كان يعتمد ذلك ، بل على محيته ؛ لأنه كان بدوياً من قرى منبج ، ولذلك أعجب الناس به ، وكثر الغناء في شعره استظرافاً لما فيه من الخلاوة على طبع البداوة . وذكر ابن الجراح أنه من أهل قنسرين والمواصي .

وقد ذكرت ما يليق ذكره بهذا الموضع ليعرفه المتعلم إن شاء غير متكلف به شعراً إلا ما ساعده عليه الطبع ، وصح له فيه الذوق ؛ لأننى وجدت تكلف العمل بالعلم في كل أمر من أمور الدين أوفق ، إلا في الشعر خاصة ؛

(١) خنها : حذف ثانيها الساكن وهو الفاء فتصير « مفعولات » فتنتقل

إلى « مفاعيل »

(٢) طيها : حذف رابعها الساكن ، وهو الواو ، فتصير « مفعولات » فتنتقل

إلى « فاعلات »

(٣) له « في الرجز » فإن الكامل « متفاعِلن » وهو من سبب قبح

غسب خفيف بعدها وقد مجموع ، وفرض كلامه في سببين خفيفين

فإن عمله بالطبع دون العروض أجود؛ لما في العروض من المسامحة في الزحاف، وهو مما يُهَجَّن الشعر، ويذهب بروقه

(٢٢) — باب القوافي

القافية شريكه الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية، هذا على مَنْ رأى أن الشعر ما جاوز بيتاً وافقت أوزانه وقوافيه، ويستدلّ بأن المصراع أدخل في الشعر وأقوى من غيره. وأما ما قد أراه فقد قدمته في باب الأوزان.

و اختلف الناس في القافية ما هي؟ فقال الخليل: القافية من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله، مع حركة الحرف الذي قبل الساكن، والقافية - على هذا المذهب، وهو الصحيح - تكون مرةً بعض كلمة، ومرةً كلمة، ومرةً كلمتين، كقول امرئ القيس: —

* كَجُطُودٍ صَخَرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عَلَيَّ * (١)

فالقافية من الياء التي بعد حرف الروي في اللفظ إلى نون «من» مع حركة الميم، وهاتان كلمتان.. وعلى وزن هذه القافية قوله: —

* إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيهُ عَلَى مَرْجَلٍ * (٢)

فالقافية «مَرْجَلٍ» وهي كلمة، وعلى وزنها قوله: —

* وَيَلْوِي بِأَثْوَابِ الْعَنِيْفِ الْمُثْقَلِ * (٣)

فالقافية من التاء إلى آخر البيت: وهذا بعض كلمة. وتابعه على هذا أبو عمر الجرمي^٤ وأصحابه، وهو قول مضبوط، محقق: يشهد بالعلم. وقال

(١) صدر هذا البيت: — مكر من مكر مكر مكر مكر

(٢) صدر هذا البيت: — على اللقب جياش كأن احترامه

(٣) صدر هذا البيت: — يزل الغلام الخف عن صهوانه

(٤) م - ٩ العدة - ج (١)

الآخفش : القافية آخر كلمة من البيت ، واستدل على صحة ذلك بأنه لو قال لك إنسان : اكتب لي قوافي قصيدة لكتبت له كلمات ، نحو : كتاب ، ولعاب ، وركاب ، وصحاب ، وما أشبه ذلك ، وهو المتعارف بين الناس اليوم ، أعني قول الآخفش ، وكل كلمة من قوله « عل » وقوله « مِرْجل » وقوله « المثقل » في شعر امرئ القيس قافية بذاتها عند الآخفش ، فعلى هذين القولين مدار الخذاق في معرفة القافية .

ورأى الخليل عندى أصوب ، وميزانه أرجح ؛ لأن الآخفش إن كان إنما فر من جملة القافية بعض الكلمة دون بعضها فقد نجد من القوافي ما يكون فيها حرف الروى وحده القافية على رأيه ، فان وَزَنَ معهما قبله فأقامهما مقام كلمة من الكلمات التي عدما قوافي كان قد شرك [في] القافية بعض كلمة أخرى مما قبلها ، فاذا جاز أن يشترك في القافية كلمتان لم يمتنع أن تكون القافية بعض كلمة ، مثال ذلك ما شاكل قول أبي الطيب : —

طوى الجزيرة حتى جاني خبر فرعت فيه بأمالى إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي
فالقافية في البيت الأول على قوله « الكذب » لولا أن الألف فيه ألف وصل نابت عنها لام « إلى » فان قال [إن] القافية في البيت الثاني « يشرق بي » رجع ضرورة إلى مذهب الخليل وأصحابه ؛ لأن القافية عنده في هذا البيت من الياء التي للوصل — وهي هنا ضمير المتكلم — إلى شين « يشرق » مع حركة الياء التي قبلها في أول الكلمة ، وإن جعل القافية ياء الخفض التي في موضع الروى وياء الضمير التي قامت مقام الوصل رجع إلى قول من جعل القافية حرف الروى ، وهو خلاف مذهبه ، وليس بشيء ؛ لأنه لو كان صحيحاً لجاز في قصيدة واحدة : فجر ، وفجار ، وفاجر ، وفجور ، ومنفجر ، وانفجار ، ومنفجر ، ومنفجر ، وهذا لا يكون أبداً ، إلا أن الفراء يحكي بن زياد قد نص في كتاب حروف المعجم أن القافية هي حرف الروى ،

واتبعه على ذلك أكثر الكوفيين : منهم أحمد بن كيسان ، وغيره ، وخالفه من أهل الكوفة أبو موسى الحامض ، فقال : القافية ما لزم الشاعر تكراره في آخر كل بيت . وهذا كلام مختصر مليح الظاهر ، إلا أنه إذا تأملته كلام الخليل ^(١) بعينه لا زيادة فيه ولا نقصان

ومن الناس من جعل القافية آخر جزء من البيت . قال أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي : بعض الناس من العلماء يرى أن القافية حرفان من آخر البيت ، وحكى أنهم سألوا أعرابياً وقد أنشد :—

• بنأت وطءاً على خد الليل •

• ما القافية ؟ فقال : « خد الليل » . ولا أدري كيف قال أبو القاسم هذا ؛ لأن « خد الليل » كلمتان وليستا حرفين إلا اتساعاً ، وهذا هو آخر جزء من البيت على قول من قاله ، ولو قال قائل : إن الأعرابي إنما أراد الياء واللام من « الليل » على مذهب من يرى القافية حرفين من آخر البيت لكان وجهاً سائفاً ؛ لأن الأعرابي لا يعرف حروف التهجي فيقول القافية الياء واللام من « الليل » فكرر اللفظ ليفهم عنه السائل مراده .

ومنهم من جعل القافية في الجزء الآخر من البيت ، وقال : لا يسمى بيتاً من الشعر ما دام قسماً أول .

ومنهم من قال : البيت كله هو القافية ، لأنك لا تبني بيتاً على أنه من الطويل ، ثم تخرج منه إلى البسيط ، ولا إلى غيره من الأوزان .

ومنهم من جعل القافية القصيدة كلها ؛ وذلك اتساع ومجاز وسميت القافية قافية لأنها تقفو إثر كل بيت ، وقال قوم : لأنها تقفو أخواتها ، والأول عندي هو الوجه ؛ لأنه لو صح معنى القول الأخير لم يحز أن يسمى آخر البيت الأول قافية ؛ لأنه لم يقف شيئاً ، وعلى أنه يقفو أثر

(١) لا ، بل هو قول التراء إذا تأملت بميز النصفة ؛ لأننا لنرى يلزمك تكراره في آخر كل بيت هو حرف الروي ، وأما ما عدها فليس لازماً بنفسه أبداً

البيت يصح جداً ، وقال أبو موسى الحامض : هي قافية بمعنى مقفوة ، مثل « ماء دافق » بمعنى مدفوق ، و « عيشة راضية » بمعنى مرضية ، فكأن الشاعر يقفوها ، أى : يتبها ، وهذا قول سائق متجه .

وسأذكر مما يلزم القافية من الحروف والحركات ما لا غنى عن ذكره في هذا الموضع مجملاً مختصراً البيان والإيضاح ، إن شاء الله تعالى .

فأقول : إن الشعر كله : مطلق ، ومقيد ؛ فالمقيد ما كان حرف الروى فيه ساكناً ، وحرف الروى الذى يقع عليه الأعراب ، وتبنى عليه القصيدة ، فيتكرر فى كل بيت وإن لم يظهر فيه الأعراب لسكونه ، وليس اختلاف إعرابه عيياً كما هو فى المطلق إقواءً ، وحركة ما قبل الروى فى المقيد خاصة دون المطلق ، على رأى الزجاج وأصحابه توجيهً ، وقال غيره : فى المطلق والمقيد جميعاً يسمى التوجيه ، ما لم يكن الشعر مردفاً ، ويجوز فى التوجيه التغير فيكون سناداً عند بعض العلماء ، وكان الخليل يميزه على كره من جهة الفتحة ، فأما الضمة والكسرة فهما عنده متعاقبتان ، كلاهما والياء فى الردف ، والفتحة كالآلف ، وأنشدوا : —

• أَحَارِ بَنَى عَمْرٍو كَأَنَّى خَمِرٌ •

وفى القصيدة : —

• وَكَئِدُهُ حَوْلَى جَمِيعاً صَبْرٌ •

وفىها : —

• تَحَرَّقَتِ الْأَرْضُ وَالْيَوْمُ قَرٌّ •

فاختلف التوجيه : بالكسر ، والضم ، والفتح . وقد سمي ابن قتيبة وأبو عبيدة وغيرهما هذا العيب إجازة ، إلا أن منهم من جعل الإجازة اختلاف حركة الروى فيما كان وصله ماء ساكنة خاصة وأنشدوا : —

الْجَدُّ قَهَّ الَّذِى يَعْقُو وَيَشْتَدُّ اتِّقَامُهُ

فِي كَرَاهِمِهِمْ وَرِجَالِهِمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ امْتِزَاجَهُ

وأشدّ آخرون في مثل ذلك ، إلا أن منهم من أطلق الهاء : —
 فديتُ من أنصفني في الهوى حتى إذا أخسكتهُ مَنَّةُ
 آمن ما كنتُ ، ومن ذا الذي قبلي صفًا العيش له كُلهُ
 وكان ابن الرومي يلتزم حركة ما قبل الروي في المطلق والمقيد في أكثر
 شعره اقتداراً : صنع ذلك في قصيدته القافية في السوداء ، وفي مطولته : —
 * أَيْنَ ضُلُوعِي جَمْرَةٌ تَوَقَّدُ *

قال شيخنا أبو عبد الله : الإجازة - بالزاي معجمة - اختلاف حركات
 ما قبل الروي ، وهو مأخوذ من إجازة الحبل ، وهو : تراكب قواه بعضها ^{أبو} :
 على بعض ، فكان هذا اختلفت قوى حركاته . وقد حكى ابن قتيبة عن ابن
 الاعرابي مثل قول أبي عبد الله ، وقال : هو مأخوذ من إجازة الحبل والوتر .
 والمطلق نوعان : أحدهما : ما تبع حرف رويه وصل فقط . والوصل
 أحد أربعة أحرف : الياء ، والواو ، والالف ، والهاء ، ينفرد كل واحد منها
 بالقصيدة حتى تكمل : فما وصله ياء : —

فما نُبِئَكَ من ذِكرى حبيبٍ ومنزلٍ

فبعد اللام ياء في اللفظ ، لا يقوم الوزن إلا بها ، وما وصله واو : —

أمن المنون وريها تتوجعُ

فبعد العين في اللفظ واو كذلك ، وما وصله ألف : —

أيتها النفس أجملِ جَزَعًا

فبعد العين ألف ثابتة في الخط ، وإنما أثبتوها دون الياء والواو لحقتها مرة
 وكونها عوضاً من التنوين مرة ، وما وصله هاء : —

أشجاكَ الرَّبْعُ أمَ قَدَمَةٍ

وكل وصل ساكن ما خلا الهاء ، فانها تكون ساكنة ومتحركة ، وسيرد عليك
 ذكرها إن شاء الله تعالى . . وإذا كان ما قبل الواو والياء والهاء ساكناً أو
 كانت مضاعفة لم تكن إلا حروف روى لا غير ؛ لأن الوصل لا يكون ما قبلها

ساكننا، ولعلنا أن المقيد لا وصل له^(١) فأما الألف فلا يكون ما قبلها ساكننا لأنها أخف من ذلك ؛ وإذا انفتح ما قبل الواو والياء الساكتين لم يكونا إلا روياعندسيبويه ، وإذا انكسر ما قبلهما أو انضم كنت فيهما بالخيار ، وكذلك الألف إذا كانت أصيلة أنت فيها بالخيار . وأما الياء المشددة المكسور ما قبلها مع الياء المشددة المفتوح ما قبلها فرأى القاضى أبى الفضل جعفر بن محمد فيهما أن يكون المكسور ما قبلها ردفا ويكون المفتوح ما قبلها إما ردفا لما بقى فيهما من المد وإما غير ردفا لذهاب أكثر المد منها ، فتكون على المذهب الأول مثل « قضينا » مع « رضينا » وهذا سناد ، وعلى المذهب الثانى مثل إرداف بيت وترك إرداف الآخر ، لقول حسان بن ثابت * ولا توصه * فى بيت ، ثم قال فى الآخر : * ولا تمسه ^(٢) * وهذا أيضا سناد . ولهرأى ثالث ، وهو أن تكون الياءان لما أدغمت إحداهما فى الأخرى صارتا بمنزلة حرف واحد ، وصار التزام التشديد اختياراً من الشاعر ، وإلا فترك التشديد جائز له . وهذا قول الخليل والأخفش جميعا ، وقد أنكروه الجرمى وأبو سعيد السيرافى . وكل ما تحرك ما قبلها فى صلة ، إلا أن تكون من نفس الكلمة ؛ فانك تكون فيها بالخيار : إن شئت جعلتها روياء ، وإن شئت سمحت بها فصيرتها صلة والتزمت ما قبلها فجعلته روياء . وكثيراً ما يسقط الشعراء فى هذا النوع ، قال أبو الطيب : -

أنا بالوشاة إذا ذكرتكَ أشبهُ تأتى الندى ويُدَاع عنك فتكره
وإذا رأيتُكَ دون عَرَضٍ عارضا أيقنتُ أن الله يبنى نصره

(١) فى التوسية : « لأن ما يكون ما قبله ساكننا مقيد ، والمقيد لا وصل له »

(٢) البيتان اللذان يثير المؤلف إليهما : -

إذا كنت فى حاجة مرسلأ فأرسل حكيمأ ولا توصه

وإذ باب أمر عليك التوى فشاور لبيا ولا تمسه

غير أن نسبتهما إلى حسان بن ثابت لم تصح عندنا ؛ فان ديوانه خال من الشعر

على هذه القافية ، وسيأتى قريباً ذكر ذلك مرة ثانية (ص ١٤٥)

فغلط في التصريح لأنه التزم فيه الهاء ولولا ذلك لكان البيتان رائيين
وسمى بهاء «تكره» فصيها صلة وإن كانت من نفس الكلمة . وقد وقع
ابن المعتز في مثل حال أبي الطيب فقال : —

أقوى العداة إمامٌ ماله شَبَهٌ ولا ترى مثله يوماً ولم تَرَهُ
ضار إذا انقض لم تُحَرِّم مخالبه مُستَوْفٍ لا تباع الحق مُتَّبِعُهُ
ما يحسن القطر أن ينهل عارضه كما تتابع أيامُ الفسوح له
وقال أيضاً يصف كلاب الصيد في أرجوزة : —

إن خرطت من قدما لم ترها إلا وماشات من الصيد لها
تمسكه عضا ولا يدمى به غريزةً منهم أو تقفها
ووقع بشار بن برد — على تقدمه عليهما — في مثل ذلك ، فقال : —

الله صورها وصيرها لاقتك أو لم تلقها ترها
نصبا لعينك لا ترى حسنا إلا ذكرت لها به شَبَها

ولا أعلم أن أحداً من العلماء تسامح في مثل هذا ، بل هو عندهم عيب
كالاكفاء وروى بيت بشار « نزاها » بالنون والزاى ، جمع نزمة ، ولا عيب
فيه على هذا . . وهما حمزة وطلحة لا تكون إلا صلة ، وإذا تحركت هاء التأنيث
كنت فيها بالخيار : إن شئت التزمت ما قبلها وجعلتها كالصلة مجازاً ، وإن
شئت التزمتها فكانت على حقها رويًا . وهذا رأيهم في كاف المخاطب مع التأسيس
إذا شاموا جعلوها رويًا فلم يلتزم ما قبلها ، وإن شاموا جعلوها مقام الصلة
والتزمو ما قبلها مجازاً ، وهو الأجود ، لاختيار الشعراء إياه قديماً على اتساعهم
في تركه . قال القاضي أبو الفضل : من زعم أن التاء والكاف يكونان وصلا
فإنما حمله على ذلك أنه رأى بعض الشعراء قد لزم في بعض شعره حرفاً لم
يفارقه فظن ذلك الحرف رويًا . وإيما لم يحز عنده كونها صلة لانها ليس
فيهما من مضارعة حروف المد واللين ما في الهاء . وقال من جعل التاء صلة
كالهاء : إنها تسمى للتأنيث مثلها ، وتكون اسماً كما تكون الهاء اسماً ، وتزاد كما تزاد

الهاء ، وإن الهاء تنقلب تاء في درج الكلام ، وشبه الكاف بالهاء لأنها حرف إضمار مثلها ، وأنها تكون اسماً للجبرور والمنسوب كالهاء .

والنوع الآخر من المطلق ما كان لوصله خروج ، ولا يكون ذلك الوصل إلا هاء متحركة ، نحو قول الشاعر : —

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في نرى رميه

فالسین حرف الروي ، وحركتها مجرى ، وإن شئت إطلاق ، كلاهما يقال ، والهاء وصل ، وحركتها نفاذ ، وبعدها في اللفظ ياء هي الخروج ، ولو كانت الهاء مضمومة كان الخروج واوآ ، أو مفتوحة كان الخروج ألفاً . ولا يكون حرف الروي إلا في أحد ثلاثة مواضع : إما متأخراً كقول طرفة : —

لخولة أطلال يبرقة نهد

فالدال روي ، وإما قبل المتأخر ملاصقاً له كقول عمرو بن كلثوم : —

ألا هبي بصحنك فاصبحينا

فالنون حرف الروي . أو قبل المتأخر بحرف كقول ليلى : —

عفت الديار عليها فقامها

فاليم حرف الروي . وهذه المواضع المذكورة إنما هي في اللفظ لا في الخط . ولا يكون حرف الروي - إذا كان بعده شيء - إلا متحركاً ؛ لأن المقيد لا شيء بعده ، وأنشد بعضهم : —

شلت يداً فاريةً قرتها

على أن التاء حرف روي ، فرد ذلك العلماء بالعلة التي ذكرتها ، وقالوا : إنما التزم التاء والراء قبلها اتساعاً ، وإلا فالهاء هي الروي .

وكل شعر فلا بد أن يكون : مطلقاً ، أو مقيداً . ثم لا بد أن يكون : مردفاً ، أو مؤسساً ، أو معرّتي منهما مجرداً .

فالمدفد نوعان : تشترك الياء والواو في أحدهما ، نحو قول علقمة

الفعل : —

طحا بك قلب في الحسان طروب بُعِدَ الشبابِ عَصْرَ حان مَشِيبُ
قاليه في « مشيب » مقام الواو في « طروب » وتنفرد الألف بالنوع
الآخر نحو قول امرئ القيس : —

ألا عم صَبَّاحًا أيها الطللُ البالي

لا يشرکہا غيرها ، والحركة التي قبل الرفع — ياء كانت أو واو أو
ألفاً — تسمى الحذو ، وقد تجرُّ الضمة واواً في اللفظ ، والكسرة ياء ،
وذلك مع هاء الضمير ، فتكون ردفاً ، وإن لم تثبت في النطق ، نحو قول
ابن المعتز : —

ضَمُّخُوا عَارِضَهَا بِأَسْمِكَ فِي خَدِّ أَسِيلِ

تحت صدغين يُشِيرَا نِ إِلَى وَجْهِ جَمِيلِ

عندى الشوق إليه والتأسي عنده لى

ومن المردف ما تكون حركة الحذو فيه مخالفة للرفع فيجعل شعراً
على جهته ، فإن دخل مع غيره كان سناداً ، وذلك مثل هَوِيلٍ وَسَيْلٍ يكونان
في قصيدة ، ولا يكون معهما سُولٌ وفيل .

وقياس المردف في الوصل والخروج وغير ذلك من حروف الروى
وحركته جار على ما تقدم في المجرد من الرفع ، إلا الحذو والتوجيه ،
فإن المقيد يختص بالتوجيه ، وهو الروى ، والمردف يختص بالحذو ، وهو
حركة ما قبل الرفع ، وإن كان المردف مقيداً سقط التوجيه وبقي الحذو
لأن الرفع قد سد موضع التوجيه .

وقد يلتبس بالمردف ما ليس بمردف فيجتنبه الشعراء مثل « فيهم » مع
« منهم » وهو جائز ؛ لأن الهاء ليست رويّاً فتكون الياء ردفاً ، وإنما الروى
الميم ، ويجتنبون « منكم » مع « منهم » وذلك جائز لا عيب فيه ، لما
قدمت آنفاً

وكان ابن الرومى خاصة من بين الشعراء يلتزم ما لا يلزمه في القافية ،

حتى إنه لا يعاقب بين الواو والياء في أكثر شعره قدرةً على الشعر واتساعاً فيه .

والأجود أن يكون الردف والروى جميعاً في كلمة واحدة ، فإذا كانا في كلمتين فلا بأس .

والمؤسس من الشعر ما كانت فيه ألفٌ بينها وبين حرف الروى حرفٌ يجوز تغييره ، فذلك الحرف يسمى الدخيل ، وحركته تسمى الاشباع ، ويجوز تغييرها عند الدخيل ، ولا يجوز عند أبي الحسن الأخفش ، مثال ذلك ما أنشده أبو زكريا الفراء : —

نهوى الخيطَ وإن أقنأ بدم إن المقيم مكلفٌ بالتائر .
 إن المظيُّ بنا يَخْدِنُ ضُحَى غدٍ واليوم يومٌ لبانةٍ وتراويرِ
 وهو جائز غير معيب . وأما القاضي أبو الفضل فإنه رأى أن حركة الدخيل ما دامت إشباعاً جاز فيها التغيير بالنصب والنقص والرفع ، فإذا قيد الشعر وصار موضع الاشباع التوجيه لم يحز الفتح مع واحد منهما ، واعتل في ذلك بحال المطلق غير المؤسس أن ما قبل رويه جائز تغييره فإذا قيد لم يحز الفتح فيه إلا وحده ، فهو سناد ، ويشارك الضم والكسر ، وهذا قول واضح .
 البيان ، ظاهر البرهان ، والناس مجمعون على تغيير الدخيل حتى إن بعضهم لم يسمه لتغييره واضطرابه لكن عده فيما لا يلزم القافية فسكت عنه .

وأما الاشباع فالقول فيه ما قدمت ، وإذا كان ألف التأسيس في كلمة وحرف الروى في كلمة أخرى لم يعدوها تأسيساً بعدها ، إلا أن يكون حرف الروى مع مضمر متصل أو منفصل ، فإن الشاعر بالخيار : إن شاء جعل الألف تأسيساً ، وإن شاء لم يجعلها تأسيساً : فالتى لا تكون عندهم تأسيساً قول عنتره : —

• وَالنَّذِيرِينَ إِذَا لَمْ أَقْهَمَا دَمِي •

لما كان الاسم ظاهراً . وقد أنشد بعضهم في أبيات اللغز والمعاية : —

أقول لعمر و حين خود رآله ونحن بوادی عبد شمس وهاشم^(١)
وهي : من الوهي ، وشم : من الشمم للبرق .. وقول الآخر : —
أقول لعبد الله لما لقيته ونحن بوادی الروم فوق القناطر
فالقنا : جمع قناة ، وطر : أمر من طاريطير ، فرخص فيه لما انكسرت
حركة دخيله على متعارف الشعر ، وهو كلام حسن الظاهر ، إلا أنه خلاف لما
قال العلماء ، والتي تكون تأسيساً لكونها مع المضمر قول الشاعر : —
تزيد حسي الكأس السفيه سفاهة وترك أخلاق الكريم كاهيا
وقول جرير : —

فردى جمال الحى ثم تحملى فما لك فيهم من مقام ولا ليا
فهذا ضمير متصل ، والذي قبله ضمير منفصل .. وما جاءت الألف فيه
غير تأسيس مع المضمر قول الشاعر ، وهو من شواهد أبي الفتح عثمان بن
جني النحوى : —

أية جارئك تلك الموصية قائلة لا سقياً بحبلة
لو كنت حبلاً لسقيتها به أو قاصراً وصلته بثوية
فالآلف في «سقيتها» غير تأسيس ، فإذا كانت الهاء والكاف التي للخطاب
دخيلاً لم يخلط الشعراء بها غيرها اتساعاً ، وإلا فهو جائز .. وأنشد الجرمي^٥
لعوف بن عطية بن النخوع : —

فان شئنا ألقينا وتجتئنا وإن شئنا عينا بعين كماها
وإن كان عقلاً فاعقلاً لا خيكما بنات المخاض والفصال المقاحا

(١) أحفظ هذا البيت هكذا : —

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادی عبد شمس وهاشم
على أن أصل الكلام : « لما وهي سقاؤنا ونحن بوادی عبد شمس » وشم :
فعل أمر من شام البرق ويجوز أن يكون أمر من قولهم « وشم » إذا غرز الابرة
في الجسد ؛ فيكون المراد الأمر بجرز السقاء ، وهو ظاهر

ومن المؤسس والمردف ما يلتبس على المبتدئ فلا يميزه إلا عن كلفة وبعد
قوة ، فأوردت منه ما يكون له مثالا يستدل به ويعمل عليه إن شاء الله تعالى .
فن ذلك تغيير ما قبل الكاف في القافية المؤسسة لأنه دخل ، والكاف روى ،
والتزامه بعد اتساعا ، فإذا كانت موضع الكاف هاء صار الشعر مردفا موصولا .
ولم يجوز تغيير ما قبل الهاء ؛ لأنك لو غيرته لكنت قد غيرت حرف الروى :
مثال ذلك قول كثير أو غيره : —

تراغت لو شئت البين بزل جمالك ولو شئت ما فجعتنى بارتحالك
فالتزم اللام في القصيدة كلها أو في أكثرها اتساعا ، ولو غير كما فعل ذو
الرمة في قوله : —

أما استحلبت عينك إلا محلةً بجمهور حزوى أو بجرعاه مالك
أناخت روابيا كل دلو به بها وكل سماكى أجش المبارك
لم يكن عيباً ؛ لأن الكاف روى وصلتها الياء التي بعدها في اللفظ ، والدخيل .
راء « المبارك » ولام « مالك » وقد التزمه كثير كأن « القافية عنده لامية
مرددة ، فالكاف مقام الهاء صلة على المجاز لاعلى الحقيقة . وقال كثير
في المردف : —

على ابن أبي العاصم دلاص حصينة أجاد المسدئ سردها وأذاها
فاللام روى والالف التي قبلها ردف والهاء صلة والالف التي بعدها
خروج ، ولا يجوز أن يقال لهذه القافية مؤسسة ؛ لأن الهاء إذا تحرك ما
قبلها وليست من نفس الكلمة لم تكن إلا صلة ، وإذا كانت الهاء صلة لم تكن
اللام إلا روى ، ولا يجوز تغييرها . وجميع ما يلحق القوافي من الحروف
والحركات ستة أحرف وست حركات ، فالأحرف : الروى ، والرديف ،
والتأسيس ، والوصل ، والخروج ، والدخيل ؛ والحركات : الإطلاق ،
والحنو ، والرس ، والتوجيه ، والنفاذ ، والاشباع ؛ والذي يجتمع منها في
قافية واحدة خمسة أحرف ، وهى : التأسيس ، والروى ، والصلة ، والخروج ،

والدخيل ؛ وكلها يلزم تكراره بعينه إلا الدخيل ، وأربع حركات ، وهي
الرس ، والاشباع ، والاطلاق ، والنفاذ ، وذلك مثل قول الشاعر (١) :

يُوشِكُ مَنْ قَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ غِرَاتِهِ يُؤَاقِبُهَا

ولا يجتمع في قافية الحذو والرس ، كما لا يجتمع الردف والتأسيس ،
وكذلك لا يجتمع أيضاً التوجيه والاشباع ، فيسقط التوجيه إذا كان
المؤسس مطلقاً ، ويسقط الاشباع إذا كان المؤسس مقيداً .

وقد أنكر الجرمي^٤ والأخفش وأصحابهما على الخليل تسمية الرس ،
وقالوا : لا معنى لذكر هذه الفتحة ؛ لأن الألف لا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً
وإنما احتيج إلى ذكر الحذو قبل الردف لأن الحذو قد يتغير فيكون مرة
فتحة قبل ألف ومرة كسرة قبل ياء ومرة ضمة قبل واو . .

وبما يجب أن يراعى في هذا الباب الاقواء ، والاكفاء ، والايطاء ،
والسناد ، والتضمين ؛ فانها من عيوب الشعر .

فأما الاقواء والاكفاء فاختلف العلماء فيها وفي اشتقاقها . . وأما السناد
والايطاء فاتفقوا فيما دون اشتقاقها ، وعند أكثر العلماء : اختلاف إعراب
القوافي إقواء ، وهو غير جائز لمولد ، وإنما يكون في الضم والكسر ، ولا
يكون فيه فتح ، هذا قول الحامض . . وقال ابن جني : والفتح فيه قبيح جداً ،
إلا أن أبا عبيدة ومن قال بقوله كابن قتيبة يسمون هذا إكفاءً ، والاقواء
عندهم : ذهاب حرف أو ما يقوم مقامه من عروض البيت ، نحو قول
الشاعر - وهو بجير بن زهير بن أبي سلمي : -

(١) هذا البيت من شواهد سيويه (ج ١ ص ٤٧٩) وهو من شواهد
الإشيموني (ج ٧ ص ١٧٤) وشرحناه في شرحنا عليه شرحاً وافياً . وهو لامية
ابن أبي الصات ، وبمده : -

من لم يمت غبطة يمت هَرَمًا الموت كَأْسٌ والمرء ذاقها

كانت علالة يوم بطن حنين وغداة أو طاس ويوم الأبرق (١) واشتقاقه عندهم - فيما روى النجاشي - من « أقوت الدار » إذا خلت ، كأن البيت خلا من هذا الحرف . وقال غيره : إنما هو من « أقوى الفاتل جله » إذا خالف بين قواه فجعل إحدا من قوية والآخرى ضعيفة ، أو ممررة والآخرى سحيلة ، أو يضاء والآخرى سوداء ، أو غليظة والآخرى دقيقة ، أو انحل بعضها دون بعض أو انقطع ، وهذا يسميه الخليل المقعد ، وهو من باب الوزن لا من باب القافية ، والجمهور الأول من العلماء على خلاف رأي أبي عبيدة في الأقواء وأما الالكفاء فهو الأقواء بعينه عند جلة العلماء : كأن في عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب ، وهو قول أحمد بن يحيى ثعلب ، وأصله من أ كفات الاناء إذا قلبته ، كأنك جعلت الكسرة مع الضمة وهي ضدها ، وقيل : من مخالفة الكفوة صواحبا ، وهي النسيجة من نسائج الخباء تكون في مؤخره ، فيقال : بيت مكفأ ، تشبيهاً بالبيت المكفأ من المساكن إذ كان مشبهاً به في كل أحواله . قال الأخفش البصري : الالكفاء القلب ، وقال الزجاجي وابن دريد : كفات الاناء إذا قلبته ، وأكفاته إذا أملتته ، كأن

(١) قال ابن هشام (ج ٣ ص ٢٦) : « ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف بعد القتال قال بحير بن زهير بن أبي سلمى يذكركم حنيننا والطائف : . . . ثم ذكر تسعة أبيات أولها هذا البيت » اهـ وقال السهيلي (ج ٢ ص ٣٠٥) : « وقوله كانت علالة يوم بطن حنين : هذا من الأقواء ، وهو أن ينقص حرفاً من آخر التقسيم الأول من الكامل ، وهو التي كان الأسمعي يسميه المقعد والملاة : جرى بعد جرى ، أو قتال بعد قتال . يريد أن هوازن جمعت جمعها علالة في ذلك اليوم . وحذف التنوين من علالة ضرورة ، واضمر في كانت اسمها وهو القصبة . وإذا كانت الرواية بخفض يوم فهو أولى من التزام الضرورة والقيسمة بالنسب ، ولكنني ألقيته في النسخة المقتدة . وإذا كان اليوم مخفوضاً بالاضافة جاز في علالة أن يكون منصوباً على خبر كان فيكون اسمها ثابداً على شيء تقدم ذكره . ويجوز الرفع على أن تكون كان تامة » اهـ كلامه .

الشاعر أمال فـه بالضمة فـصيرها كسرة ، إلا [أن] ابن دريد رواها أيضاً بمعنى قلبته شاذاً ، وقيل : بل من المخالفة في البناء والكلام ، يقال : أكفأ الباني إذا خالف في بناءه ، وأكفأ الرجل في كلامه إذا خالف نظمه فأفسده ، قال ذو الرمة : —

ودوية فقير ترى وجهه ركبها إذا ما علّوها مكفاً غير ساجع
وقال المفضل الضبي : الا كفاء اختلاف الحروف في الروى ، وهو قول محمد بن يزيد المبرد ، وأنشد : —

تُبَحِّثُ من سالفَةٍ ومن مُدْغِ كأنها كشيبة ضَبَّ في مُصْغِ
فأتى بالعين مع الغين ، واشتقاقه عنده من المائلة بين الشيتين كقولك : فلان كف. فلان ، أى : مثله ، قال : ومنه كافأت الرجل ، كأن الشاعر جعل حرفاً مكان حرف ، والناس اليوم في الاكفاء على رأى المفضل ، وهو عيب لا يجوز أيضاً لمحدث ، ولا يكون إلا فيما تقارب من الحروف ، وإلا فهو غلط بالجملة ، هذا رأى الأَخفش سعيد بن مسعدة ، والتحليل يسمى هذا النوع : الاجازة .

قال الفراء : الاجازة في قول الخليل أن تكون القافية طاء والآخرى دالاً ، وقال أبو إسحاق النجيري : الاجارة بالراء لا غير وهى من الجوار ، وهو الموج ، قال ابن السكيت : وهو الماء الكثير ، وأنشد للقطامي يذكر سفينة نوح عليه السلام : —

ولولا اللهُ جَارَها الجوار

قال المهلبى : ورأيت بخط الطوسي والسكري بالراء ، وهو قول الكوفيين ، فأما البصريون فيقولون : الاجازة بالزاي ، حكى ذلك ابن دريد . .
وقال بعض شيوخنا : الاجارة في القوافي مشتقة من الجوار في السكنى والذمام ، ألا ترى أنها فيما تقارب من الحروف ، فكأن الحرف جاور الآخر ودخل في ضمامه ، وقال قوم : بل هى من الجور ، كأن القافية جارت ، أى :

خالفت القصد ، وأجارها الشاعر ، أى : صيرها كذلك ، وعلى هذا يصح قول النجيمى ، فاذا تأملنا أقاويل العلماء وجدنا الاجازة - بالزاي - اختلاف التوجيه ، وهو حركة ، والاجارة - بالراء - اختلاف الروى ، وهو حرف ، وليس هذا من هذا فى شيء ، فكأن العلماء لم يختلفوا حيثذ ، لأن التسمية اختلفت باختلاف المسمى .

ومثل الاجازة الاصراف ، حكاها شيخنا أبو عبد الله ، قال : وهو أن تكون القافية دالاً والأخرى طاء ، والقصيدة مصرقة ، ولذلك قال الشاعر :-
مقومة قوافيها وليست بمصرقة الروى ولا سناد
وأما السناد فأنواع كثيرة : منها - وهو المشهور - أن يختلف الحدو ، وهو حركة ما قبل الردف ، فيدخل شرط الالف - وهى الفتحة - على الياء والواو كقول الفضل بن العباس اللبي : -

• واملئ وجهك الجليل منقوشا •

ثم قال : -

• وبنا سميت قريش قريشا • (١)

وهو كثير للعرب غير جائز للمولدين ، ومنها اختلاف الاشباع ، كقول النابغة : -

- يزنن الآلا سيرهن التدافع -

والقصيدة كلها إشباع ، ومنها إرداف قافية وتجريد - أخرى ، كقول (٢)
حسان بن ثابت فى قافية : -

(١) فى خزانة الأدب (ج ١ ص ١٨٩ السلفية) نسبة هذا البيت إلى المشمرخ ابن عمرو الجيمى ، ورواه هكذا : -

وقريش هى التى تسكن البعير بها سميت قريش قريشا
ورواية البيت فى لسان العرب كروايته فى الخزانة غير أنه لم ينسبه
(٢) انظر (ص ١٣٤) من هذا الجزء

فأرسل حكماً ولا توصيه

وقال في أخرى :-

وشاور ليلاً ولا تعصيه

ومنها تأسيس قافية دون أخواتها كقول العجاج :-

* نخدِفُ هامةً هذا ^(١) العالم *

وأول هذه الأرجوزة :-

* يادار سلى يا سلى ثم اسلى *

وكلها غير مؤسسة إلا هذا البيت وحده ، ويقال : إن لفته الهمز ، فاذا همز لم يكن تأسيساً . ومنها اختلاف التوجيه ، نحو قول امرئ القيس ابن حجر :-

لا وأيكِ ابنة العاصري لا يدعى القوم أني أفري

ثم قال :-

تسيم بن مر وأشياهما وكندة حولي جميعاً مضرب

إذا ركبو الخيل واستلأموا تحرقت الأرض واليوم قر

فما قبل الراء في البيت الأول مكسور ، وفي الثاني مضوم ، وفي الثالث مفتوح ، وليس هذا بعيب شديد عندم .. قال الزجاجي : السناد : كل عيب يلحق القافية ، ما خلا الاقواء والاكفاء والايطاء ، وهذا قول فيه بيان واختصار .. وقال علي بن عيسى الرماني : السناد : اختلاف ما قبل حرف الروي أو بعده على أي وجه كان الاختلاف : بحركة كان ، أو بحرف .. وقال ابن جني : السناد : كل عيب يحدث قبل الروي . واشتقاق السناد من تساند القوم إذا جاموا فرقاً لا يقودهم رئيس واحد ، وقيل : بل هو من قولهم ناقة سناد إذا كانت قوية صلبة ؛ لأن الياء الصلبة أقوى في النطق من

(١) وأكثر علماء العربية يروونها هكذا * نخدِفُ هامةً هذا العالم *

مهموزاً ؛ فلا شاهد للمؤلف فيه ، وسيدكر المؤلف بعد ذلك هذه المقالة

(١٠ م - العملة - ج ١)

الياء اللينة . . وقالوا : بل السند الناقة المشرفة ، كأن إحدى القوافي أشرفت على أخواتها . .

وأما الإيطاء فهو أن يتكرر لفظ القافية ومعناها واحد ، كما قال امرؤ القيس (١) في قافية * سَرَّحَ مَرَقَبٍ * وفي قافية أخرى * فَوْقَ مَرَقَبٍ * وليس بينهما غير بيت واحد . . وكلما تباعد الإيطاء كان أخف ، وكذلك إن خرج الشاعر من مدح إلى ذم ، أو من نسيب إلى أحدهما ، ألا ترى إلى قولهم « دع ذا » و « عد عن ذا » فكان الشاعر في شعر آخر ، وأقبح من هذا الإيطاء قول تميم بن أبي [بن] مقبل

أو كاهتزاز رديني تداوله أيدي التجار فزادوا منه علينا ويروى * تناوذه * ثم قال في القصيدة غير بعيد :-

نازعت ألبابها لي بمقصود من الأحاديث حتى زدتنى لينا
فكرر القافية والمعنى مع أكثر لفظ القسم ، وأشد من ذلك قول أبي ذؤيب في بنه :-

سبقوا هوىً وأعنقوا لهوام فخرموا ، ولكل جنب مصرع
ثم قال في صفة الثور والكلاب :-

فصرعته تحت العجاج فجنبه مترب ، ولكل جنب مصرع
فكرر تلك البيت . . وإذا اتفق الكلمتان في القافية واختلفت معانيهما لم يكن إيطاء عند أحد من العلماء ، إلا عند الخليل وحده ، فإن « يزيد » عنده بمعنى الاسم و « يزيد » بمعنى الفعل إيطاء ، وكذلك « جون » للابيض

(١) البيتان هما :-

عظيم طويل مطمئن كأنه بأسفل ذي ما وان سرحة مرقب
له إيطلا ظي وسافا نعامة وصهوة غير قائم فوق مرقب
ومنه تعلم أنه روى * سرحة مرقب * والسرحة : الشجرة العظيمة ، والشرح : جمعها

والأسود ، و « جل » للكبير والصغير ، وإذا كان أحد الاسمين نكرة والآخر معرفة لم يكن إيطاء ، وكذلك « ضَرَبَ » للواحد و « ضربا » للاثنتين ، و « لم تضرب » للذكر و « لم تضربي » للوث ، و « من غلام » و « من غلامى » مضافاً : كل هذا ليس بإيطاء .. وأما اختلاف الحروف على الاسم كقولك « لزيد » و « يزيد » وعلى الفعل كقولك « أضرب » و « يضرب » و « تضرب » فى مخاطبة المذكر والحكاية عن المؤنث : فكل ذلك إيطاء ..

والإيطاء جائز للمولدين ، إلا عند الجمعى وحده ، فإنه قال : قد علموا أنه عيب .. وقال الفراء : إنما يواطىء الشاعر من عي ، وإذا كرر الشاعر قافية للتصريح فى البيت الثانى لم يكن عيباً ، نحو قول امرئ القيس :-

خليلى مرأبى على أم جندب

ثم قال فى البيت (١) الثانى * لدى أم جندب * واشتقاقه من الموافقة ، قال الله عز وجل : « ليواطئوا عدة ما حرم الله » أى : ليوافقوا .. وقال قوم : بل الإيطاء من الوطء ، كأن الشاعر أوطأ القافية عقب أختها ، كما قال توبة يخاطب بعل لىلى الأخيلية :-

لملك يا تيساً نزا فى مريرة مُعاقبُ لىلى أن ترائى أزورها
على دماء البدن إن كان بعلها يرى لى ذنباً غير أنى أزورها
والتضمين : أن تتعلق القافية أو لفظة ما قبلها بما بعدها ، كقول النابغة الذبياني :-

(١) البيتان هما :-

خليلى مرأبى على أم جندب لنقضى حاجات التؤاد المعبذب
فانكأ إن تنظرانى ساعة من الدهر تنفعنى لدى أم جندب
وقد روى عجز البيت الأول على عدة وجوه أفضلها ما أثبتناه : على أن اللام فى « لنقضى » لام التعليل ، والفعل بعدها منصوب بالفتح الظاهرة

وَمَمْ وَرَدُوا الْجَفَارَ عَلَى تَمِيمٍ وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمٍ عَكَاظَ ، إِنِّي
شَهِدْتُ لَهُمْ مُوَاطِنَ صَالِحَاتٍ وَثَقْتُ لَهُمْ بِحَسَنِ الظَّنِّ مِنِّي
وَكُلَّمَا كَانَتْ اللَّفْظَةُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْبَيْتِ الثَّانِي بَعِيدَةً مِنَ الْقَافِيَةِ كَانَ أَسْهَلَ عِيَا
مِنَ التَّضْمِينِ ، وَيَقْرَبُ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ قَوْلَ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ : —

دِيَارُ الَّتِي بَنَتْ حِبَالِي وَصَرَّمَتْ وَكُنْتُ إِذَا مَا الْحَبْلُ مِنْ خَلَةٍ صُرِمَ
فَزَعْتُ إِلَى وَجَنَاءَ حَرْفٍ كَأَنَّمَا بِأَقْرَابِهَا قَارُو إِذَا جُلِدَهَا اسْتَحْمَ
وَأَخْفَ مِنْ هَذَا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ كَهْرَمَةَ : —

إِنَّمَا تَرَبَّنِي شَاخِبًا مُتَبَدِّلًا كَالسِّيفِ يَخْلُقُ جَفَنَهُ فَيَضِيعُ
فَلَرُبَّ لَذَّةٍ لَيْلَةٍ قَدْ نَلَّتْهَا وَحَرَامُهَا بِحُلَاهَا مَدْفُوعٌ

وَلَيْسَ مِنْهُ قَوْلُ مُتَمِّمِ بْنِ نُورٍ : —

لَعُمْرِي وَمَا دَهْرِي بِتَأْيِينَ هَالِكٍ وَلَا جَزْعًا مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعًا
لَقَدْ كَفَنَ الْمُنْهَالَ تَحْتَ رِدَائِهِ قَتَى غَيْرَ مِطْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعًا
وَرُبَّمَا حَالَاتُ بَيْنِ بَقِيَّةِ التَّضْمِينِ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ بِقَدْرِ مَا يَتَسَعُّ الْكَلَامُ وَيَبْسُطُ
الشَّاعِرُ فِي الْمَعَانِي ، وَلَا يَضُرُّهُ ذَلِكَ إِذَا أَجَادَ .

وَيَجْمَعُ الْقَوَافِي كُلُّهَا خَمْسَةُ أَلْقَابَ : الْمُتَكَوِّمُ ، وَهُوَ : أَرْبَعُ حَرَكَاتٍ بَيْنَ
سَاكِنَيْنِ ، وَلَهُ جُزْءٌ وَاحِدٌ وَهُوَ فَعَلْتَن ، وَالْفَرَادُ لَا يَعْدُهُ ؛ لِأَنَّهُ عِنْدَهُ مِنَ
الْمُتَدَارِكِ لِأَنَّهُ فَعَلْتَنُ إِنَّمَا هِيَ مُسْتَفْعَلُنْ مَزَاحِفُ السِّيْبَيْنِ ؛ وَالمُتَرَاكِبُ ، وَهُوَ
ثَلَاثُ مُتَحَرِّكَاتٍ بَيْنَ سَاكِنَيْنِ ، وَلَهَا جُزْأَانُ مَفَاعَلَتَيْنِ وَفَعْلُنْ ؛ وَالمُتَدَارِكُ ،
وَهُوَ : حَرَكَتَانِ بَيْنَ سَاكِنَيْنِ ، وَهُوَ نَحْوُ مَفَاعِلُنْ وَفَعْلَانِ وَفَعْلَانِ وَفَعْلَانِ
وَفَاعِلَانِ وَفَعْلَانِ وَمَفْعُولَانِ ؛ وَالمُتَرَادِفُ ، وَهُوَ : مَا اجْتَمَعَ فِي آخِرِهِ
سَاكِنَانِ نَحْوُ فَاعِلَانِ وَفَعْلَانِ وَفَعْلَانِ ، وَمَا شَبِهَ ذَلِكَ .

وَلَا يَجْتَمِعُ نَوْعَانِ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ فِي قَصِيدَةٍ ، إِلَّا فِي جَنْسٍ مِنَ السَّرِيعِ ؛

فإن المتواتر يجتمع فيه مع المترابك ، إذا كان الشعر مقيداً كقول المرقش في بيت (١) : —

• وأطرافُ الأكَفِّ عَمِّ •

وفي بيت (٢) آخر : —

• قد قلتُ فيه غيرَ ما تَعَلَّمُ •

(٢٣) — باب التقفية والتصريح

هذا باب يُشكل على كثير من الناس عليه ، ويلحقه عيب سماه قدامة التجميع ، كأنه من الجمع بين رويين وقافتين ، ورأيت من يقول : التجميع بالحاء - كأنه من الجمع في الرجل ، وسأذكره في موضعه ، إن شاء الله تعالى . فأما التصريح فهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه : تنقص بنقصه ، وتزيد بزيادته ، نحو قول امرئ القيس في الزيادة : —
فما نَبْلِكُم ذَكَرِي حَيْبٍ وَعَرَفَانٍ ورسم غفت آياته منذ أزمان

(١) هو بتمامه : —

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكَفِّ عَمِّ

(٢) لم يتيسر لي الوقوف على نسخة كاملة من شعر المرقش الأكبر ، ولم أقف في المختار من شعره على بيت عجزه هذا الذي ذكره المؤلف ، ولكنني وجدت في معاهد التنصيص للعباسي (ج ١ ص ١٦٢) كثيراً من أبيات القصيدة التي منها هذان البيتان ، ومن أبياتها التي يستشهد بها على نحو ما ذكره المؤلف قوله : —

الدار قمر والرسوم كما رقص في ظهر الأديم قلم

ليس على طول الحياة ندم ومن وراء المرء ما يعلم

قال العباسي : « وهي قصيدة طويلة ليست بصحيحة الوزن ، ولا حسنة الروي ، ولا متخيرة اللفظ ، ولا لطيفة المعنى . قال ابن قتيبة : ولا أعلم فيها شيئاً يمتحن إلا قوله • النشر مسك . . . البيت » اه كلامه

وهي في سائر القصيدة مفاعلن ، وقال في النقصان : —

لن طَلَلٌ أبصرته فشجاني كخطِّ ذَبُورٍ في عَسِيبِ يَمَانِي
فَالضَرْبُ فَعُولُن ، والعروض مثله لمكان التصريع ، وهي في سائر القصيدة
مفاعلن كالأولى ، فكل ما جرى هذا المجرى في سائر الأوزان فهو مصرع .
والثقيفة : أن يتساوى الجزءان من غير نقص ولا زيادة ، فلا يقع العروض
الضرب في شيء إلا في السجع خاصة ، مثال ذلك قوله : —
قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخولِ غومل
فهما جميعا مفاعلن ، إلا أن العروض مقفئ مثل الضرب ، فكل ما لم يختلف
عروض بينه الأول مع سائر عروض أبيات القصيدة إلا في السجع فقط
فهو مقفئ .

واشتقاق التصريع من مصراعى الباب ، ولذلك قيل لنصف البيت : مصراع
كانه باب القصيدة ومدخلها ، وقيل : بل هو من الصريعين ، وهما طرفا النهار .
قال أبو إسحاق الزجاج : الأول من طلوع الشمس إلى استواء النهار ، والآخر
من ميل الشمس عن كبد السماء إلى وقت غروبها . قال شيخنا أبو عبد الله : وهما
المصران . وقال قوم : الصرع المثل ، وسبب التصريع مبادرة الشاعر القافية
ليعلم في أول وهلة أنه أخذ في كلام موزون غير مشور ، ولذلك وقع في أول
الشعر ، وربما صرع الشاعر في غير الابتداء ، وذلك إذا خرج من قصة إلى
قصة أو من وصف شيء إلى وصف شيء آخر فيأتى حينئذ بالتصريع إخباراً
بذلك وتنبهاً عليه ، وقد كثرت معاملهم هذا حتى صرعوا في غير موضع
تصريع ، وهو دليل على قوة الطبع ، وكثرة المادة ، إلا أنه إذا كثرت في القصيدة
دل على التكلف ، إلا من المتقدمين ، قال امرؤ القيس : —

تروح من الحى أم تبكر* وماذا عليك بأن تنتظر*
أمرخ خيامهم أم عشر* أم القلب في إثرهم منحدر*

وشاكلة بين الخليط الشطر^(١) وفيمن أقام من الحى هر^(٢)
فوالى بين ثلاثة أبيات مصرعة فى القصيدة ، وقد يجمعون أولها : —
أحاربن عَمَرُو كَأْنى تَحْمِرُ وَيَعْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتُمُرُ
وقال عنترة العبسى : —

أَعْيَاكَ رَسْمُ الدَّارِ لَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى تَكَلَّمَ كَالْأَصَمِّ الْعَجَمِ
ثم قال بعد بيت واحد : —

هل غادرَ الشعراءُ من مَتَرَدَمٍ أم هل عرفت الدار بعد توهم
يأدار عبلة بالجواء تكلمى وعنى صباحاً دارَ عبلة واسلمى
فصرع البيت الاول والثالث والرابع .. وقولنا فى شعر امرئ القيس
وعنترة وغيرهما مما يستأنف مصرع إنما هو مجاز وجرى على عادة الناس ، لثلا
يخرج عن المعارف ، وإلا فقد بينت ذلك أولاً .
ومن الناس من لم يصرع أول شعره قلة اكتراث بالشعر ، ثم يصرع بعد
ذلك ، كما صنع الأخطل إذ يقول أول قصيدة : —

حلت صبرة أمواه العداد وقد كانت نحل وأدنى دارها نكد
وأقفر اليوم من حله الثمد فالشعبتان فذاك الأبقى الفرد
فصرع البيت الثانى دون الأول .. وقال ذوالرمة أول قصيدة : —

(١) تروح : تسير وقت الرواح ، وهو آخر النهار . ويروى للشطر الثانى
* وماذا يضرك لو تنتظر * والمرخ : شجر قصار ينبت بنجد ، والعشر : شجر
طوال بالغور ، وغرضه بهذه العبارة أن يقول : أم منجدون أم متخورون ، أى .
أقيمون فى نجد أم غور ؟ والشطر : جمع شطير ، وهو القريب ، ويروى البيت
الثالث هكذا : —

وفى من أقام من الحى هر أم الظاعنون بها فى الشطر

أداراً بِمَزْدَى هِجَتٍ هَبْرَةً فَمَاهِ الْمَوَى بَرَقْشُ أَوْ يَتَرَقُشُ
ثم قال بعد عدة آيات : —

أَمِنْ مَيَّةَ اعْتَادَ الْغُلَيَالُ الْمَوْرُوقُ ؟ نعم ؛ لَهَا مَيَّةً عَلَى النَّأَى تَطْرُقُ
وكان الفرزدق قليلاً ما يصرع أو يلقي بالاً بالشعر كقوله : —

أَلَمْ تَرَ أَنِي يَوْمَ جَوْ سَوِيْقَةٍ بِكَيْتُ فَنَادَتْنِي مُنِيدَةٌ مَالِيَا
فجاء بمثل هذه القصيدة الجليلة غير مصرعة . وكذلك قوله يرد على جرير :
تَكَاثَرَ يَرْبُوعٌ عَلَيْكَ وَمَالِكٌ عَلَى آلِ يَرْبُوعٍ فَالْكَ مَنَسْرَحُ
وأكثر شعر ذي الرمة غير مصرع الأوائل ، وهو مذهب الكثير من الفحول
وإن لم يعد فيهم لقلة تصرفه ، إلا أنهم جعلوا التصريح في مهمات القصائد فيها
يتأهبون له من الشعر ، فدل ذلك على فضل التصريح . وقد قال أبو تمام وهو قدوة :
وَتَقِفْ إِلَى الْجَدْوَى بِجَدْوَى ، وَإِنَّمَا يَرْوُفُكَ بَيْتُ الشَّعْرِ حِينَ يُصْرَعُ
فضرب به المثل كاترى .

والتصريح يقع فيه من الأقواء والاكفاء والايطاء والسناد والتضمين
ما يقع في القافية : فن الأقواء ما أنشده الزجاجي ، وهو قول بعضهم : —
مَا بَالَ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ مُهْرَاقُ سَحَا فَلَا غَارِبَ مِنْهَا وَلَا رَاقِي
ومن الاكفاء قول (١) حسان بن ثابت ، أنشده الجاحظ : —
وَلَسْتُ بِخَيْرٍ مِنْ أَيْكَ وَخَالِكَا وَلَسْتُ بِخَيْرٍ مِنْ مُعَاظِلَةِ الْكَلْبِ
ومن الايطاء قول عبد الله بن المعتز : —

(١) أنظر على أي وجه يتحقق الاكفاء مع التصريح في هذا البيت ١١٢
نعم إنه ليتصور فيه ذلك النوع من التصريح الذي سماه التجميع وسيأتي ذكره
قريباً ، ولكن لا يتصور فيه الاكفاء على وجه من الوجوه الذين سبق له
ذكرهما ، ولو كانت العبارة هكذا « والتصريح يقع فيه من الأقواء والاقعاد ... الخ
ثم يقول ومن الاقعاد قول حسان . الخ » لكانت أقرب وأحسن . على أنني
لم أجِد هذا البيت في ديوان حسان

ياساً لا كيف حال أنت العليم بحالي
ومن السناد قول إسماعيل بن القاسم أبي العتاهية : —
ويلي على الأظمان وتلوا عني بعتبة فاستقلوا
ومن التضمين قول البحرى : —

عذرى فيك من لاح إذا ما شكوت الحب قطعنى ملأما
ومن ابتداء القصائد التجميع، وهو : أن يكون القسم الأول منتهياً للتصريح
بقافية ما ، فيأتى تمام البيت بقافية على خلافاً ، كقول جميل : —
يا بُنَّ إنك إنك قد ملكت فأستجى وخذى بحظك من كريم واصل
قهاك القافية على الحاء ، ثم صرفها إلى اللام . . ومثله قول حميد بن ثور
الهلالي : —

سل الربع أنى يَمَمْتُ أم سالم ؟ وهل عادة للربع أن يتكلم ١١٤
قهاك قافية مؤسدة لو شاء ، ثم أتت في آخر البيت غير مؤسدة ، ويروى
* أم أسلمنا * فخرج عن التجميع . ومن أشد التجميع قول النابغة الذبياني : —
جزى الله عبساً عبساً آل بغض جزاء الكلاب العاويات وقد فعل^(١)
وإنما التجميع فيما شابه الإطلاق ، أو قارب ذلك ، كقول جميل فيما تقدم
وقول حميد ، وهو كالا كفاء والسناد في القوافي ، إلا أنه دونهما في الكراهية
جداً . . وإذا لم يصريح الشاعر قصيدته كان كالمسور الداخل من غير باب .
والمداخل من الآيات : ما كان قسمه متصلاً بالآخر ، غير منفصل منه ،
قد جمعتهما كلمة واحدة ، وهو المدمج أيضاً ، وأكثر ما يقع ذلك في
عروض^(٢) الخفيف ، وهو حيث وقع من الأعارض دليل على القوة ، إلا

(١) انظر (ص ١٢٢) من هذا الجزء

(٢) مثاله قول أبي العلاء المرى : —

أبنات الهديل ، أسعدن أوعدن قليل العزاء بالأسعاد
أبكتن نكسك الحمامة أم غدت على فرع غصنها المباد

أنه في غير الخفيف مستثقل عند المطبوعين ، وقد يستخفونه في الأعاريض
القصار : كالهزج ومربوع الرمل وما أشبه ذلك .

ومن الشعر غير المصرع ما لا يجوز أن يظن تجميعاً ، وذلك نحو قول
ذى الرمة واسمه غيلانُ بن عقبة : —

أَنْ تَرَسَمْتَ مِنْ خِرْقَاءَ مَنْزِلَةٍ مَاءُ الصَّبَاةِ مِنْ عَيْنِكَ مَسْجُومٌ
لأن القافية من عروض البيت غير متمكنة ، ولا مستعمل مثلها ، وإن
كان استعمالها جائزاً لو وقع .

ومن الشعر نوع غريب يسمونه القواديسي ، تشبها بقواديس إلسانية ؛
لارتفاع بعض قوافيه في جهة وانخفاضها في الجهة الأخرى ، فأول من رأته
جاء به طلحة بن عبيد الله العوفي في قوله وهي من قصيدة له مشهورة طويلة : —

كَمْ لِلدُّمَى الْإِبْكَارِ بِالْخَبْتَيْنِ مِنْ مَنَازِلِ
بِمَهْجَتِي لِلْوَجْدِ مِنْ تَذَكُّارِهَا مَنَازِلُ
مَعَاهِدُ رَعِيلِهَا مَشْتَعِرِ الْهَوَاطِلِ
لِمَا نَأَى سَاكِنِهَا فَأَدْمَى هَوَاطِلُ

وهو مربوع الرجز تعتمد فيه الأقواء وأوطأ في أكثره قصداً كما فعل
في البيتين الأولين من هذه ..

ومن الشعر جنس كله مصرع ، إلا أنه يختلف الأنواع ، وأنا منبه عليها إن
شاء الله تعالى ..

فمن ذلك الشعر المسقط ، وهو : أن يبتدىء الشاعر بيت مصرع ، ثم يأتي
بأربعة أقسمة على غير قافيته ، ثم يعيد قسماً واحداً من جنس ما ابتدأ به ،
[و] هكذا إلى آخر القصيدة ، مثال ذلك قول امرئ القيس : — وقيل : إنها منحولة : —
تَوَهَّمْتُ مِنْ هَنْدٍ مَعَالِمَ أَطْلَالِ عَفَّاهُنَّ طُولَ الدَّهْرِ فِي الزَّمَنِ الْخَالِ
مِرَابَعٌ مِنْ هَنْدٍ خَلَّتْ وَمَصَائِفُ يَصِيحُ بِمَغْنَاهَا صَدَى وَعَوَازِفُ

وغيرها هُوجُ الرياحِ العواصفِ ، وكل مُسَفٍّ ثم آخر رادف

* بأسم من نوء السما كين هَطال *

وهكذا يأتي بأربعة أقسمة على أى قافية شاء ، ثم يكرر قسميا على قافية

اللام ، وربما كان المسط بأقل من أربعة أقسمة كما قال أحدهم : —

خيالٌ هاج لي شَجَنًا فبت مكابدًا حزنا

عميدَ القلب مرتها بذكر اللهو والطرب

سبتى ظيئةً عَطُلٌ كان رُضاها عَسَلٌ

ينوء بنخصرها كفل ثقل روادف الحقب

وربما جاءوا بأوله أياتاً خمسة على شرطهم فى الأقسمة ، وهو المتعارف ،

أو أربعة ، ثم يأتون بعد ذلك بأربعة أقسمة ، كما قال خالد القناص أنشده

الزجاجى أبو القاسم : —

لقد نكرت عيني منازل جيران كاسطار رق ناهج خلق فاني

توهمتبا من بعد عشرين حجة فما أستين الدار إلا بعرفان

فقلت لها حيت يادارَ جيرقى أيني لنا أنى تبددَ إخوانى

وأى بلاد بعد ربك حالقوا فان فوادى عند ظيئة جيرانى

فجاء بأربعة أيات كما ترى ثم قال بعدها : —

وما نطقنت واستعجمت حين كملت وما رجعت قولاً وما إن ترممت

وكان شغائى عندها لو تكلمت إلى ولو كانت أشارت وَسَلَمَتْ

* ولكنها ضنت على بتيان *

وهكذا إلى آخرها ، وقد جاء هذا الشاعر فى قصيدته بخمسة أقسمة مرة

واحدة ، ولم يعاودها ، ولو عاودها لم يضره ، وكذلك لو نقص ، إلا أن

الاعتدال أحسن ..

والقافية التى تكرر فى التسميط تسمى عمود القصيدة ، واشتقاقه من

المسط ، وهو : أن تجمع عدة سلوك فى ياقوتة أو خرزة ما ، ثم تنظم كل

سلك منها على حدته بالثلاث يسيراً ، ثم تجمع السلوك كلها في زرجدة أو شبيهاً^(١) أو نحو ذلك ، ثم تنظم أيضاً كل سلك على حدته وتصنع به كما صنعت أولاً إلى أن يتم السمت ، هذا هو المتعارف عند أهل الوقت ..

وقال أبو القاسم الزجاجي : إنما سمي بهذا الاسم تشبيهاً بسمط اللؤلؤ ، وهو سلكه الذي يضمه ويجمعه مع تفرق حبه ، وكذلك هذا الشعر لما كان متفرق القوافي متعقباً بقافية تضمه وترده إلى البيت الأول الذي بنيت عليه في القصيدة صار كأنه سمط مؤلف من أشياء مفترقة ..

ونوع آخر يسمى مخمساً ، وهو : أن يوثق بخمسة أقسمة على قافية ، ثم بخمسة أخرى في وزنها على قافية غيرها كذلك ، إلى أن يفرغ من القصيدة ، هذا هو الأصل ، وأكثروا من هذا الفن حتى أتوا به مصراعين مصراعين فقط ، وهو المزدوج ، إلا أن وزنه كله واحد وإن اختلفت القوافي ، كذات الأمثال ، وذات الحلل ، وما شاكلهما ، ولا يكون أقل من مصراعين ، وكل مشطور أو منهوك فهو بيت ، وإن قيل مصرع فلي المجاز ، وما سوى ذلك بما لم يأت مثله عن العرب فهو مصارع ليس بيت ، ولم أجد من يستعملون في هذه الخمسات إلا الرجز خاصة ؛ لأنه وعلى سهل المراجعة . فأما المسطعات فقد جاءت في أوزان كثيرة مختلفة كما قدمت .

ونوعان من الرجز ، وهما : المشطور ، والمنهوك : فأما المشطور فابني على شطر بيت ، نحو قول أبي النجم العجلي : —

الحمد لله الوهوب المجزل أعطى فلم يبتخل ولم يخل

وأما المنهوك فهو ما بني على ثلث بيت ، ونهك بذهب ثلثه ، أي : أضعف .

وهذا مثل قول أبي نواس : —

وبلدة فيها زور صرء تخطي في صرء

(١) في المصرتين « أو يشب » وهو ما لا وجه له ، والتصحيح عن التونسية

فأشبه بهما مشطور السريع ومنهوك المنسرح ، وسيأتيان فيما بعد إن شاء الله تعالى .. وأنشد الزجاجي وزناً مشطراً يحير الفصول لا أشك أنه مولد

محدث ، وهو : —

سقى طلالاً بحزوى هزيمُ الودق أحوى
عهدنا فيه أروى زماناً ثم أقوى
وأروى لا كنود ولا فيها صدود
لها طرف صيود ومبتسمٌ برود
لئن شط المزار بها ونأت ديار
فقلبي مُستطَارُ وليس له قرار
ستدنيا ذمول تجلنفةٌ ذلولُ
إذا عرضت هجول تقصّر ما يطول

وهذا وزن ملتبس : يجوز أن يكون مقطوعاً من مربع الوافر ، ويجوز أن يكون من المضارع مقبوضاً مكفوفاً ، ذكره الجوهري .. وأنشد لبعض المحدثين : —

أشأقك طَيْفُ مَامَةٍ بمكة أم سَحَامَةٍ

أشأقك : مفاعل ، وحقه في أصل الوزن مفاعيلن .. وقد رأيت جماعة يركبون الخمسات والمسمطات ويكثرُونَ منها ، ولم أر متقدماً حاذقاً صنع شيئاً منها ؛ لأنها دالة على عجز الشاعر ، وقلة قوافيه ، وضيق عطنه ، ما خلا امرأ القيس في القصيدة التي شُبت إليه وما أحصاه ، وبشار بن برد قد كان يصنع الخمسات والمزدوجات عبثاً واستهانة بالشعر ، ويشربن المعتمر قد أنشد الجاحظ له أول مزدوجة ، وصنع ابن المعتز قصيدة في ذم الصبوح ، وقصيدة في سيرة المعتضد ركب فيها هذا الطريق ؛ لما تقتضيه الألفاظ المختلفة الضرورية ، ولماده من التوسع في الكلام ، والتخلع بأنواع السجع .

وهذا الجنس موقوف على ابن وكيع والامير تميم [بن المعز] ، ومن ناسب
طبعهما من أهل الفراغ وأصحاب الرخص ، وقد يقع لبعض الشعراء البيتان
والثلاثة لها قافية واحدة يجعلونها معاياة فيتلاقها العروضيون : كالأبيات التي
تروى لابن دريد وسترد في مكانها من سوى هذا الباب ، إن شاء الله تعالى

(٢٤) — باب في الرجز والقصيد

قد خص الناس باسم الرجز المشطور والمنهوك وما جرى مجراها ، وباسم
القصيد ما طالت أبياته ، وليس كذلك ؛ لأن الرجز ثلاثة أنواع غير المشطور
والمنهوك والمقطع : فأما الأول منها فتحو أرجوزة عبدة بن الطيب : —

بَاكَرْنِي بِسُتْحَرَةٍ عَوَافِلِي وَعَذْلُنَّ خَبْلٌ مِّنَ الْخَبْلِ
يَلْمُنُنِي فِي حَاجَةٍ ذَكَرْتُهَا فِي عَصَرِ زَمَانٍ وَدَهْرٍ قَدْ نَسِلَ

والنوع الثالث نحو قول الآخر : —

الْقَلْبُ مِنْهَا مُسْتَرِيحٌ سَالِمٌ وَالْقَلْبُ مِنِّي جَاهِدٌ مُّجَاهِدٌ

والنوع الثالث قول الآخر : —

قَدْ هَاجَ قَلْبِي مَنَزِلٌ مِّنْ أُمَّ عَمْرٍو مَقْفَرٌ

فهذه داخلة في القصيد ، وليس بممتنع أيضاً أن يسمى ما كثرت يئوته
من مشطور الرجز ومنهوكه قصيدة ؛ لأن اشتقاق القصيد من قَصَدَتْ
إلى الشيء ، كأن الشاعر قصد إلى عملها على تلك الهيئة ، والرجز مقصود أيضاً
إلى عمله كذلك .

ومن المقصد ما ليس برجز وهم يسمونه رجزاً لتصريح جميع أبياته ؛ وذلك
به هو مشطور السريع ، نحو قول الشاعر أشدناه أبو عبد الله محمد بن جعفر
النحوي ، عن أبي علي الحسين بن إبراهيم الأمدى ، عن ابن دريد ، عن أبي
حاتم السجستاني ، عن أبي زيد الأنصاري : —

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ بَاً عَلَى ذِي الْقَوْرِ غَيْرَهَا نَاجُ الرِّيحِ وَالْمَوْزِ

وَدَرَسَتْ غَيْرَ رَمَادٍ مَكْفُورٍ مَكْتَتِبٍ الْوَن مَرِيحٍ مَطُورٍ
وَعَيَّرَ ثَوْبِي كَبَايَا الدُّعُورِ أَزْمَانَ عَيْنَاءُ سُرُورٍ الْمَرْوُورِ
عَيْنَاءُ حَوَازٍ مِنَ الْعَيْنِ الْخَوَورِ *

وَأَنشَدَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لابن المعتز :-

وَمَقْلَةٌ قَدْ بَاتَ يَكْبُهَا فِضٌّ نَجِيعٌ مِنْ مَا قَبَا
وَكَلْهَا طَوْلُ تَمَنِّيَا بِأَنْجَمِ اللَّيْلِ تَرَاعِيَا
وَمَهْجَةٌ قَدْ كَادَ يَفْنِيهَا طَوْلُ سَقَامٍ ثَابِتٍ فِيهَا
وَبَرْؤُهَا فِي كَفٍّ مَبْلِيَا كَمَا ابْتِلَاهَا فَهَوَ يَشْفِيهَا
لَيْسَ لَهَا مِنْ حَبَا نَاصِرٌ مَنْ ذَا عَلَى الْأَحْبَابِ يَعْدِيهَا؟

وهذا عند الجوهري من البسيط ، والذي أنشد أبو عبد الله - على قول الجوهري - هو من الرجز ، جعل الجزء الآخر « مستفع لن » مفروق فيه الوند ، فأسكن اللام ؛ لأن آخر البيت لا يكون متحركاً ، فخلفه مفعولات . وأما مهنوك المنسرح * صبراً بنى عبد الدار * ^(١) فهو عند الجوهري من الرجز ، ومثله * وَيَلْمُ سَعْدٍ سَعْدًا * ^(٢) إلا أنه أقصد منه ، فلي كل حال تسمى الأرجوزة قصيدة طالت أياتها أو قصرت ، ولا تسمى القصيدة أرجوزة إلا أن تكون من أحد أنواع الرجز التي ذكرت ، ولو كانت مصرعة الشطور كالذي قدمته ، فالقصيد يطلق على كل الرجز ، وليس الرجز مطلقاً على كل قصيد أشبه الرجز في الشطر .

قال النحاس : القريض عند أهل اللغة العربية الشعر الذي ليس برجز ،

(١) نسبة الأسنوى في شرحه على عروض ابن الحاجب لهند بنت عتبة يوم أحد مخاطب به بنى عبد الدار أصحاب لواء المشركين ، وبعد هذا البيت : -
صبراً حماة الأبطال ضريباً بكل بشار

(٢) هذا من كلام أم سعد بن معاذ لما مات ابنها سعد من جراحة أصابته يوم الخندق

يكون مشتقاً من فرض الشيء ، أى : قطعه ، كأنه قطع جنساً ، وقال أبو إسحق وهو مشتق من القرض ، أى : القطع والفرقة بين الأشياء ، كأنه ترك الرجز وقطعه من شعره ، وكان أقصر ما صنعه القدماء من الرجز ما كان على جزمين ، نحو قول دريد بن الصمة يوم هوازن :-

يألتقي فيها جذعٌ أخبٌ فيها وأضغ^(١)

حتى صنع بعض المتعنين - أظنه على بن يحيى ، أو يحيى بن على المنجم - أَرْجُوزَةً على جزء واحد ، وهى :-

طيفٌ أتمٌ • بذى سلمٌ بعد العتمٌ • يطوى الأكم

جاذٍ بغمٌ • وملتزمٌ فيه هضمٌ • إذا يضم

ويقال : إن أول من ابتدع ذلك سلم الخاسر ، يقول فى قصيدة مدح

بها موسى الهادى :-

موسى المطر • غيثٌ بكرٌ ثم انهمر • ألقى المرر

كم اعترس • ثم ايتسر وكم قنر • ثم غفر

عقل السبر • باقى الأثر خيرٌ وشرٌ • فمع وصر

خير البشر • فرعٌ مضرٌ بدرٌ بدرٌ • والمفتخر

لمن غير

والجوهرى يسمى هذا النوع المقطع . . وقد رأى قوم أن مشطور الرجز

ليس بشعر لقول النبي صلى الله عليه وسلم

هَلْ أَنْتَ إِلَّا أَصْبَغُ دَمِيَّتٍ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَعِيتِ

(١) ينسب كثير من الناس هذا البيت للبريد بن الصمة يقوله فى يوم غزاة

حنين ، ويروون بعده :-

أقود ومطعا الزم كأنها شاة صدع

وكثير من العلماء الأتبات - ومنهم البخارى - ينسبون • يألتي فيها جذع •

على ورقة بن نوفل يقوله للنبي صلى الله عليه وسلم حين قص عليه نزول جبريل إليه

بكسر التاء ، ورواية أخرى بسكونها وتحريك الياء بالفتح قبلها . وليس هذا دليلاً ، وإنما الدليل في قول النبي صلى الله عليه وسلم عدم القصد والنية ؛ لأنه لم يقصد به الشعر ولا نواه ، فلذلك لا يعد شعراً وإن كان كلاماً متزناً وإلا فالمراد بـ «جاء شعراء عند العرب وفي متعارف اللسان» ، إلا أن الليث روى أنهم لما ردوا على الخليل قوله : إن المشطور ليس بشعر ، قال : لأحتجن عليهم بحجة إن لم يقرؤا بها كفروا ، قال : فجبنا من قوله حتى سمعنا حجته . . وقد رواه قوم دميمٌ - باسكان الياء والتاء جميعاً - ولا يكون حينئذ موزوناً . . والراجز قل ما يُقصد ؛ فإن جمعها كان نهاية نحو أبي النجم ؛ فإنه كان يقصد ، وأما غيلان^(١) فإنه كان راجزاً ثم صار إلى التقصيد . وسئل عن ذلك فقال : رأيْتُ لا أقع من هذين الرجلين على شيء ، يعني المعجاج وابنه رؤبة ، وكان جرير والفرزدق رجزان ، وكذلك عمر بن لجأ كان راجزاً مقصداً ، ومثله حميد الأرقط ، والعماني أيضاً ، وأقلهم رجزاً الفرزدق . وليس يمتنع الرجز على المقصد امتناع التقصيد على الراجز ، ألا ترى أن كل مقصد يستطيع أن يرجز وإن صعب عليه بعض الصعوبة ، وليس كل راجز يستطيع أن يقصد ، واسم الشاعر وإن عم المقصد والراجز فهو بالمقصد أعلق ، وعليه أوقع ، فقل لهذا شاعر ، ولذلك راجز ، وكأنه ليس بشاعر ، كما يقال خطيب أو مرسل أو نحو ذلك

(٢٥) - باب في القمع والطوال

حدثنا الشيخ أبو عبد الله عبد العزيز بن أبي سهل رحمه الله تعالى ، قال : ^{أبو عمرو} سئل أبو عمرو بن العلاء : هل كانت العرب تطيل ؟ فقال : نعم ليُسمع منها ، قيل : فهل كانت توجز ؟ قال : نعم ليحفظ عنها . قال : وقال الخليل بن أحمد : يطول الكلام ويكثر ليفهم ، ويوجز ويختصر ليحفظ ، وتستحب الاطالة

(١) هو ذو الرمة ، واسمه غيلان بن عقبة

عند الأعداء ، والافتقار ، والترهيب ، والترغيب ، والإصلاح بين القبائل :
كما فعل زهير ، والحارث بن حنظلة ، ومن شاكلهما ، وإلا فالقطع أطير في
بعض المواضع ، والطوال للواقف المشهورات ..

ويحكى أن الفرزدق لما وقع بينه وبين جرير ما وقع وحكم بينهما قال
بعض الحكماء : الفرزدق أشعر ؛ لأنه أقواهما أسرَ كلام ، وأجراهما في
أساليب الشعر ، وأندرها على تطويل ، وأحسنهما قطعاً ، فقدّم بالقطع كما
ترى ..

وقال بعض العلماء : يحتاج الشاعر إلى القطع حاجته إلى الطوال ، بل
هو عند المحاضرات والمنازعات والتمثل والملح أحوج إليها منه إلى الطوال ..
وقال أحد المجودين ، وهو محمد بن حازم الباهلي : —

أَبَى لِي أَنْ أُطِيلَ الْمَذْحَ قَصِيدِي إِلَى الْمَغْنَى وَعِلْمِي بِالصُّوَابِ
وَأَبْجَازِي بِمُخْتَصَرٍ قَصِيرٍ حَدَّثْتُ بِهِ الطَّوِيلَ مِنَ الْجَوَابِ
وقيل لابن الزبيري : إنك تقصر أشعارك ، فقال : لأن القصار أولج
في المسامع ، وأجول في المحافل ، وقال مرة أخرى : يكفيك من الشعر غرّة
لأنحة ، وسبّة فاضحة ..

وقيل للجماز : لم لا تطيل الشعر ؟ فقال : لحذف الفضول . وقال له بعض
المحدثين وقد أنشده بيتين : ما تزيد على البيت والبيتين ؟ فقال : أردت أن
أنشدك مئذرة (١) ، وهو القائل : —

أَقُولُ بَيْتاً وَاحِداً أَكْتَفَى بِذِكْرِهِ مِنْ دُونَ آيَاتِ
وقيل مثل ذلك لعقيل بن علفة ، فقال : يكفيك من القلادة ما
أحاط بالعنق ..

وقال الجاحظ : ^(١) قيل لأبي الميوس : لم لا تطيل الهجاء ؟ فقال : لم أجد
المثل السائر إلا بيتاً واحداً .
وهجاء محمد بن عبد الملك الزيات أحمد بن أبي دؤاد بتسعين بيتاً فقال ابن
أبي دؤاد يخاطبه : —

أَحْسَنُ مِنْ تِسْعِينَ بَيْتاً سُدِّي جَمْعُكَ مَعْنَاهُنَّ فِي بَيْتٍ
مَا أَحْوَجَ الْمَلِكَ إِلَى مَطَرَةٍ تَغْسِلُ عَنْهُ وَضَرَ الزَّيْتِ
غير أن المطيل من الشعراء أهيب في النفوس من الموجز وإن أجاد ، على
أن للموجز من فضل الاختصار ما ينكره المطيل ، ولكن إذا كان صاحب
القصائد دون صاحب القطع بدرجة أو نحوها وكان صاحب القطع لا يقدر
على التطويل إن حاوله بتهٍ سُوِّىَ بينهما ؛ لفضل غير المجهود على المجهود ،
فأنا لا نشك أن المطول إن شاء جرد من قصيدته قطعة آيات جيدة ، ولا
يقدر الآخر أن يمدن آياته التي هي قطعة قصيدة .

ولام قوم الكميت على الإطالة فقال : أنا على الإقصار أقدر ، هكذا
جاءت الرواية ، ولا تكاد ترى مقطوعاً إلا عاجزاً عن التطويل ، والمقصود
أيضاً قد يعجز عن الاختصار ، ولكن الغالب والأكثر أن يكون قادراً على
ما حاوله من ذلك ، وبالعجز رمى الكميت .

وكان عبد الكريم بهذه الصفة ، لا يكاد يصنع مقطوعاً ، ولا أظن في عصره
جميع أشعاره خمس قطع أو نحوها

وكان أبو تمام على جلالته وتقدمه مقصراً في القطع عن رتبة القصائد . .
والمشهورون بجودة القطع من المولدين : بشار بن برد ، وعباس بن
الآخنف ، والحسن بن الضحاك ، وأبو نواس ، وأبو علي البصري ، وعلي بن
الجهم ، وابن المعتز ، والجاحز ، وابن المعتز .

(١) انظر البيان والتبيين (ج ١ ص ١٧٨) نجد شيئاً كثيراً مما ذكره
المؤلف هنا ولم ينسبه إلى صاحبه الذي أخذه عنه

وكانوا يقولون في زمان منصور الفقيه - وهو قريب من عصرنا هذا - :
ياكم ومنصوراً إذا رمح بالزَّوْج ، وكان ربما هجا بالبيت الواحد .
سم ووصف عبد الكريم أبا الطيب فزعم أنه أحسن الناس مقاطيع ، ولو قال :
مقاطع - بلا ياء - قلنا : صدقت ولم نخالفه

وقيل : إذا بلغت الآيات سبعة فهي قصيدة ، ولهذا كان الإيطاء بعد سبعة
غير معيب عند أحد من الناس . . ومن الناس من لا يعد القصيدة إلا ما بلغ
العشرة وجاوزها ولو بيت واحد . . ويستحسنون أن تكون القصيدة وترّاً ،
وأن يتجاوز بها العقد ، أو توقف دونه ؛ كل ذلك ليدلوا على قلة الكلفة ،
ولقاء البال بالشعر . .

وزعم الرواة أن الشعر كله إنما كان رجزاً وقطعاً ، وأنه إنما قُصِدَ على
على عهد هاشم بن عبد مناف ، وكان أول من قصده مُهَلِّبٌ وامرؤ القيس ،
وبينهما وبين مجىء الإسلام مائة وثيف وخمسون سنة . ذكر ذلك الجعفي وغيره .
وأول من طول الرجز وجعله كالقصيد الأغلب العجلي شيئاً يسيراً ، وكان
على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أتى المعجاج بعدُ فأقنَّ فيه ، فالأغاب
المعجلي والمعجاج في الرجز كما مرى القيس ومهلل في القصيد .

والشاعر إذا قطع وقصود رجز فهو الكامل ؛ وقد جمع ذلك كله الفرزدق ،
ومن المحدثين أبو نواس ، وكان ابن الرومي يُقَصِّدُ فيجيد ، ويطنل فيأتي بكل
إحسان ، وربما تجاوز حتى يسرف . وخير الأمور أوساطها . . وهو القائل :—
وإذا امرؤٌ مدَّحَ امرأً لنواله فأطال فيه فقد أرادَ هِجَاءَهُ
لوم يقدَّر فيه بُعْدُ المستَقَى عِنْدَ الثُّرَمُودِ لما أطال رِشَاءَهُ

(٢٦) - باب في البديهة والارتجال

مُبة البديهة عند كثير من الموسومين يعلم هذه الصناعة في بلدنا أو من أهل
عصرنا هي الارتجال ، وليست به ؛ لأن البديهة فيها الفكرة والتأيد ، والارتجال

ما كان انهماراً وتدقاً لا يتوقف فيه قائله : كالذى صنع الفرزدق وقد دفع إليه سليمان بن عبد الملك أسيراً من الروم ليقتله ، فمس إليه بعض بني عبس سيفاً كهماً فبا حين ضرب به ، فضحك سليمان ، فقال الفرزدق ارتجالاً في مقامه ذلك يعتذر لنفسه ، ويعير بني عبس بقبو سيف ورقاء بن زهير عن رأس خالد بن جعفر : —

فإن يك سيفٌ خانٌ أو قدَّرَ أبى لتأخير نفس حينها غير شاهد
فَسَيْفٌ بُنِيَ عَبْسٌ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ نَبَا يَدَيَّ وِرقاءَ عن رأسِ خالد
كذلك سيوف الهند تنبؤ طلباتها وَيَقْطَعْنَ أحياناً مَنَاطَ القلائد
ولو شئتُ قطَّ السيفُ ما بين أنفه إلى عَليٍّ دون الشرا سيفِ جاسدٍ
ثم جلس وهو يقول : —

وَلَا تَقْتُلُ الْآسَرَى، وَلَكِنْ تَفْكُكُهُمْ إذا أَقْبَلَ الْأَعْيَاقَ حَمْلُ المَغارِمِ
وكالذى يروى عن أبي الخطاب عمر بن عامر السعدى المعروف بأبي الاسد ، وقد أنشد موسى الهادى شعراً مدحه به يقول فيه : —
ياخيرَ من عقدت كفاه حُجْرَتَهُ وخيرَ من قلده أمرها مُعْصَرُ
فقال له موسى : إلا من يابأس ؟ فقال واصلاً كلامه ولم يقطعه : —
إلا النبيَّ رسولَ الله إنَّ له فخرًا وأنتَ بذاك الفخرِ تفتخر
فقطن موسى ومن بحضرته أن البيت مستدرِك ، ونظروا في الصحيفة فلم يجدوه ؛ فضاغف صلته .

وأعظم ارتجال وقع قصيدة الحارث بن حلزة بين يدى عمرو بن هند ؛ فانه يقال أتى بها كالخطبة ، وكذلك قصيدة عبيد بن الأبرص ، وقيل : أفضل البدية بدية أمن ، وردت في موضع خوف ، فاظنك بالارتجال وهو أسرع من البدية ؟

وكان أبو نواس قوى البدية والارتجال لا يكاد ينقطع ولا يروى إلا قلته

روى أن الخصيب قال لمرة يمازحه وهما بالمسجد الجامع : أنت غير مدافع في الشعر ، ولكنك لا تخطب ! فقام من فوره يقول مرتجلا : —

منحك يا أهل مصر نصيحتي ألا فخذوا من ناصح بنصيب
رما لم أمير المؤمنين بحجة أكل لحيات البلاد شروب
فان بك باقي سحر فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب
ثم التفت إليه وقال : واقه لا يأتي بمنلها خطيب مصقع فكيف رأيت ؟
فاعتذر إليه وحلف إن كنت إلا مازحا .

وسمعت جماعة من العلماء يقولون : كان مسلم بن الوليد نظير أبي نواس ، وفوقه عند قوم من أهل زمانه في أشياء ، إلا أن أبا نواس قهره بالبدية والارتجال ، مع تقبض كان في مسلم وإظهار توقر وتصنع ، وكان صاحب روية وفكرة لا يبتده ولا يرتجل ، وكان أبو العتاهية — فيما يقال — أقدر الناس على ارتجال وبدية ؛ لقرب مأخذه ، وسهولة طريقته : اجتمع عدة من الشعراء فيهم أبو نواس ؛ فشرب أحدهم ماء ، ثم قال : أجزوا : —

• بَرَدَ الماء وطابا •

فكلهم تلعم ، حتى طلع أبو العتاهية فقال : فيم أنتم ؟ فأنشدوه ، فقال : وما تروى : —

• حبنا الماء شرابا •

فأتى بالقسم رسلأشياء بصاحبه ، وذلك هو الذي أعوز القوم لا وزن الكلام ..

وصحب رقة فسمع زقاء الديوك ، فقال لرفيقه : —

• هل رأيت الصبح لاحا •

قال : نعم ، قال : —

• وسمعت الديك صاحا •

قال : نعم ، قال : —

* إنما بكى على المغتر بالدنيا وناحا *

فاستيقظ رفيقه للكلام أنه شعر ، فراه : فاجرى هذا الجرى فهو ارتجال .
وأما البديهة فبعد أن يفكر الشاعر يسيراً ويكتب سريعاً إن حضرت آله
إلا أنه غير بطيء ولا مترآخ ، فإن أطال حتى يفرط أو قام من مجلسه لم يعد بديهاً
وقالوا : اجتمع الشعراء ياب الرشيد ، فأذن لهم ، فقال : من يجيز هذا
القسم وله حكمه ؟ فقالوا : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : —

الملك لله وحده

فقال الجواز : — وللخليفة بعده

وللمحب إذا ما حبيبه بات عندة

فقال : أحسنت ، وأتيت على ما في نفسي ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .
ومن عجيب ما روى في البديهة حكاية أبي تمام حين أنشد أحمد بن المعتصم
بحضرة أبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي وهو فيلسوف
العرب : —

إقدام عمرو ، في سباحة حاتم في حلم أحنف ، في ذكاه أياس
فقال له الكندي : ما صنعت شيئاً ، شبهت ابن أمير المؤمنين وولي عهد
المسلمين بصعاليك العرب ! ومن هؤلاء الذين ذكرت ؟ وما قدرهم ؟ فأطرق
أبو تمام يسيراً ، وقال : —

لا تتركوا ضربى له من دونه مثلاً شروداً في التدى والباس
فأنه قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس
فهذا أيضاً وما شاكله هو البديهة ، وإن أعجب ما كان البديهة من أبي تمام ؛
لأنه رجل متصنع ، لا يجب أن يكون هذا في طبعه . وقد قيل : إن الكندي
لما خرج أبو تمام قال : هذا الفتى قليل العمر ؛ لأنه نحت من قلبه ، وسيموت
قريباً ، فكان كذلك .

وقد كان أبو الطيب كثير البديهة والارتجال ، إلا أن شعره فيها نازل
عن طبقته جداً وهو لعمري في سعة من العذر ؛ إذ كانت البديهة كما قال فيها
ابن الرومي : —

نار الروية نارٌ جدُّ مُنْضِجَةٍ وللبديهة نارٌ ذاتُ تلويح
وقَدْ يُفَضِّلُهَا قومٌ لسرعتها لكنَّها سرَّعةٌ تُمَضِى مع الريح
وقال عبد الله بن المعتز : —

والقولُ بعد الفكر يُؤمِّنُ زَيْفُهُ كَشَّانَ بين رَوِيَةٍ وبديهِ
ومن الشعراء من شعره فرويته وبديته سواء عند الأمن والخوف ؛
لقدرته ، وسكون جأشه ، وقوة غريزته : كهدية بن الحشرم العنزي ،
وطرفة بن العبد البكري ، ومرة بن محكان السعدي ؛ إذ يقول وقد أمر مصعب
ابن الزبير رجلاً من بني أسد بقتله : —

بني أسد إن تَقْتُلُونِي تَحَارِبُوا تيمناً ، إذا الحرب العوان اشمَعَلَتْ
ولستُ وإن كانت إلى حبيبةٍ يئالهِ على الدنيا إذا ما تَوَلَّكَتِ
وهنا شعر لوروي في صاحبه حولا كاملاً على أمن ودعة وفرط شهوة
أوشدة حية لما أتى فوق هذا .. وكذلك عبد يغوث بن سلامة ؛ إذ يقول
في كلمة طويلة : —

أقول وقد شدُّوا لساني بفسمةٍ أمعشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا من لسانيا
قِيَاراً كَبِأَ مَا عَرَضْتَ قَبْلَهُنَّ ندامى من تَجَرَّانَ أَنْ لَا تَلْدَرِيَا
وكانوا قد شدوا لسانه خوفاً من الهجاء ، فعاهدهم ، فأطلقوه لينوح على
نفسه ، فصنع هذه القصيدة ، وعرض عليهم في فدائه ألف ناقة ، فأبوا إلا
قتله ، فقال : —

فإن تَقْتُلُونِي تَقْتُلُونِي بخيركم وإن تطلقوني تحرِّبونِي بماليا
وهذه شهامة عظيمة وشدة . . ومن قول طرفة بن العبد لما يقن بالموت : —

أَبَا مُنْذِرٍ كَانَتْ تُغْرُو رَأْسِي حَقِيقَتِي وَلَمْ أُعْطِكُم بِالطَّوْعِ مَالِي وَلَا عَرْضِي
 أَبَا مُنْذِرٍ أَفْتَنَيْتَ فَاسْتَبَقِي بَعْضَنَا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرَّاهُونَ مِنْ بَعْضِ
 وَأَيْنَ هُوَ لَا مِنْ عَيْدِ بْنِ الْأَبْرَصِ - وَهُوَ شَيْخُ الصَّنَاعَةِ ، وَمَقْدَمُ فِي
 السَّنَةِ عَلَى الْجَمَاعَةِ - إِذْ يَقُولُ لَهُ النِّعْمَانُ ^(١) يَوْمَ يَوْسَى : أَنْشَدْنِي ، فَقَالَ : حَالُ
 الْجَرِيضِ دُونَ الْقَرِيضِ ، قَالَ : أَنْشَدْنِي قَوْلَكَ : -

أَقْرَبَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ فَالْقَطِيبَاتُ فَالذَّنُوبُ

قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ : -

أَقْرَبَ مِنْ أَهْلِهِ عَيْدٌ فَالْيَوْمَ لَا يَبْدِي وَلَا يُعِيدُ
 فَبَلَغْتُ بِهِ حَالَ الْجَزَعِ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْقَوْلِ ، عَلَى أَنْ فِي بَقِيَّةِ طَرَفِهِ
 بَعْضُ الضَّرَاعَةِ ..

وَمَنْ وَجَدَ نَفْسَهُ عِنْدَ إِحَاطَةِ الْمَوْتِ بِهَ تَمِيمِ بْنِ جَمِيلٍ ؛ فَانْهَ الْقَاتِلَ بَيْنَ يَدَيْ
 الْمُعْتَصِمِ وَقَدْ قَدَّمَ السِّيفَ وَالنُّطْعَ لِقَتْلِهِ : -

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ النُّطْعِ وَالسِّيفِ كَأَمَّا يُلَاحِظُنِي مِنْ حَيْثُ مَا تَلَقَّيْتُ
 وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي وَأَيُّ أَمْرِيءَ مِمَّا قَضَى اللَّهُ يُفْلِتُ
 وَأَيُّ أَمْرِيءَ يُدَلِّي بِضَدِّهِ وَحِجَّةٍ وَسَيْفُ الْمَنَايَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصَلَّتٌ
 يَمُزُّ عَلَى الْأَوْسِ بْنِ تَغْلِبٍ مَوْقِفٍ يُسَلُّ عَلَى السِّيفِ فِيهِ وَأَسْكُتُ
 وَمَا حَزَنَنِي أَنِّي أَمُوتُ وَإِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ شَيْءٌ مُؤَقَّتٌ
 وَلَكِنْ خَلَفِي صِدِّيقٌ قَدْ تَرَكْتُهُمْ وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَتَفَقَّتُ
 كَأَنِّي أَرَامُ حِينَ أَتَى إِلَيْهِمْ وَقَدْ خَشَوْا تِلْكَ الْوَجُوهَ وَصَوَّرُوا

(١) كَتَبْنَا فِي (ص ٢٧) مِنْ هَذَا الْجُزْءِ نَسْتَهْضِمُ أَنَّ الْمُؤَلِّفَ يَظُنُّ صَاحِبَ
 يَوْمِ الْبُؤْسِ وَالنِّعَمِ هُوَ التَّمَامُ بْنُ الْمُنْذِرِ ، وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ لِأَنَّ صَاحِبَ
 الْيَوْمِ هُوَ الْمُنْذِرُ بْنُ مَالِ السَّمَاءِ صَاحِبُ الْفَرِيقَيْنِ الَّذِينَ بَنَاهُمَا قَبْرَيْنِ لِنَدِيمَيْهِ لَهُ : أَحَدُهُمَا
 ٨٤٤ خَالِدُ بْنُ نَضْلَةَ الْقَفْقَسِيُّ ، وَالثَّانِي ٨٤٤ صُرُورُ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَانْظُرْ (ص ٨٥) أَيْضًا

فان عشت عاشوا خافضين بنعمة أذود الردى عنهم ، وإن مت موتوا
فكم قاتل : لا أبعد الله داره وآخر جنذلان يُسرّ ويسمّت
فمما عنه المعتصم ، وأحسن إليه ، وقلده عملا .. وعلى بن الجهم هو
القاتل وقد صلب عرباناً :-

لم ينصبوا بالشاذباخ عشية الـ اثنين مفلولا ولا مجولا
نصبوا بحمد الله ملّة عيونهم جُسناً وملء قلوبهم تَبْجِلاً
ماضراً أن يزّ عنه لباسه فالسيف أهول ما يرى مَسْلُولاً
وهذا من جزل الكلام ، لاسيما في مثل ذلك المقام ، وكان على من الفضلاء
علما بالشعر وصناعة له .. حكى عن على بن يحيى أنه قال : كنت عند المتوكل
إذ أتاه رسول برأس إسحاق بن إسماعيل ، فقام على بن الجهم يخطر بين
يديه ويقول :-

أهلاً وسهلاً بك من رسول جئت بما يشقى من القليل
برأس إسحق بن إسماعيل

فقال المتوكل : قوموا التقطوا هذا الجوهر لا يضيع ..
والشاعر الخائق المبرز إذا صنع [على] البديهة قنع منه بالعفو اللين ،
والنزر التافه ، لما فيها من المشقة ، وهو في الارتجال أعذر ..

واشتقاق البديهة من بده بمعنى بدأ ، أبدلت الهمزة هاء كما أبدلت في أشياء كثيرة
لقربها منها : فقد قالوا مدح (١) ومدّه ، ولهنك تفعل كذا ، بمعنى لأنك ، ومثل
ذلك كثير .. والارتجال : مأخوذ من السهولة والانصباب ، ومنه قيل : شعر
رجل ، إذا كان سبطاً مسترسلاً غير جعدي ، وقيل : هو من ارتجال البئر ،
وهو أن تنزلها برجليك من غير حبل

(١) ليس في هذين المثالين تقارض بين الهاء والهمزة ، وإنما غرض المؤلف
إثبات ذلك ، والأمثلة في العربية كثيرة فقد ظفروا في حرف الاستفهام « آل »
كما قالوا « هل » وقالوا « آيا » و « هيا » في النداء .

(٢٧) - باب في آداب الشاعر

من حكم الشاعر أن يكون حُلُو الشائِل ، حَسَن الأَخلاق ، طَلَقَ الوجه ، بعيد الغَوَر ، مأمون الجانب ، سهل الناحية ، وطىء الأَكْناف ؛ فإن ذلك مما يحببه إلى الناس ، وَيُزَيِّنُهُ في عيونهم ، ويقربه من قلوبهم ، وليكن مع ذلك شريف النفس ، لطيف الحس ، عَزُوبُ الهمة ، نَظِيفُ البزة ، أنفأ ؛ تهابه العامة ، ويدخل في جملة الخاصة ، فلا تَمَجُّه أَبصارهم ، سمح اليدين ، وإلا فهو كما قال ابن أبي قحن واسمه أحمد : -

وإنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِاللُّومِ شَاعِرٌ يُلومُ عَلَى الْبُخْلِ الرَّجَالَ وَيَتَعَدَّلُ
وإلى هذا المعنى ذهب الطائي بقوله : -

أَلُومٌ مَنْ بَخِلَتْ يَدَاهُ وَأَغْتَدَى لِلْبُخْلِ تَرْبَاً ؟ سَاءَ ذَاكَ صَنِيعاً ١١
والشاعر مأخوذ بكل علم ، مطلوب بكل مكرمة ، لاتساع الشعر واحتماله كُلِّ مَا حَتَل : من نحو ، ولغة ، وفقه ، وخبر ، وحساب ، ورياضة ، واحتياج أكثر هذه العلوم إلى شهادته ، وهو مكتف بذاته ، مستغن عما سواه ؛ ولأنه قيد للأخبار ، وتجديد للأثر ..

وصاحبه الذي يذم ويحمد ، ويهجو ويمدح ، ويعرف ما يأتي الناس من محاسن الأشياء وما يذرونه ، فهو على نفسه شاهد ، وبمحجته مأخوذ ..
وليأخذ نفسه بحفظ الشعر والخبر ، ومعرفة النسب ، وأيام العرب ؛ ليستعمل بعض ذلك فيما يريده من ذكر الآثار ، وضرب الأمثال ، وليلتقى بنفسه بعض أنفاسهم ويقوى بقوة طباعهم ، فقد وجدنا الشاعر من المطبوعين المتقدمين يَفْضَلُ أصحابه برواية الشعر ، ومعرفة الأخبار ، والتلفذة بمن (١) فوقه من الشعراء ، فيقولون : فلان شاعر راوية ، يريدون أنه إذا كان راوية عرف المقاصد

(١) كذا في طامة الأصول ، وأفضل من هذا « والتلفذة لمن فوقه الخ »

وسهل عليه مأخذ الكلام ، ولم يضق به المذهب ، وإذا كان مطبوعاً لاعلم له ولا رواية ضل واهتدى من حيث لا يعلم ، وربما طلب المعنى فلم يصل إليه وهو مائل بين يديه ؛ لضعف آله : كالتقعد يجد في نفسه القوة على النهوض فلا تعينه الآلة ..

وقد سئل رؤبة بن المجاج عن الفحل من الشعراء ، فقال : هو الراوية ، يريد أنه إذا روى استفحل ..

قال يونس بن حبيب : وإنما ذلك لأنه يجمع إلى جيد شعره معرفة جيد غيره ، فلا يحمل نفسه إلا على بصيرة ، وقال رؤبة في صفة شاعر : —
لقد خشيت أن تكون ساحراً — راوية — مرأ ومرأ شاعراً (١)
فاستعظم حاله حتى قرنها بالسحر ..

وقال الأصمعي : لا يصير الشاعر في قريض الشعر لمخلاً حتى يروى أشعار العرب ، ويسمع الأخبار ، ويعرف المعاني ، وتدور في مسامعه الألفاظ . وأول ذلك أن يعلم العروض ؛ ليكون ميزاناً له على قوله ؛ والنحو ليصلح به لسانه وليقيم به إعرابه ؛ والنسب وأيام الناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم ..

وقد كان الفرزدق — على فضله في هذه الصناعة — يروى للحطيئة كثيراً ، وكان الحطيئة راوية زهير ، وكان زهير راوية أوس بن حجر وطفيل الغنوى جميعاً ، وكان امرؤ القيس راوية أبي دؤاد الأيادي : مع فضل نخبة ، وقوة غريزة ، ولا بد بعد ذلك أن يلوذه في شعره ، ويتوكأ عليه كثيراً ، وقد نزل أعشى بنى قيس بن ثعلبة بين يدي النابتة الذياني بسوق عكاظ وأنشده فقدمه ، وأنشده حسان بن ثابت ، وليد بن ربيعة ؛ فاعابهم ذلك ، ولا غش منهم ، وكان كثير راوية جميل ومفضلاً له : إذا استنشد نفسه بدأ بجميل ، ثم أنشد ما يراود منه ، ولم يكن بنون جرير والفرزدق ، بل يقدم عليهما عند جميع أهل الحجاز ، وكان أبو حية الغمري — واسمه الهيثم بن الربيع ، وهو

من أحسن الناس شعراً ، وأظفهم كلاماً - مؤتماً بالفرزدق ، أخذاً عنه ، كثير التعصب له والرواية عنه ..

ولا يستغنى المولد عن تصفح أشعار المولدين ؛ لما فيها من حلاوة اللفظ ، وقرب المأخذ ، وإشارات الملح ، ووجوه البديع الذي مثله في شعر المتقدمين قليل ، وإن كانوا هم فتحوا بابه ، وفتحوا جلبابه ، وللمتعقب زيادات واقتنان ، لا على أن تكون عمدة الشاعر مطالعة ما ذكرته آخر كلامي هذا دون ما قدمته ؛ فانه متى فعل ذلك لم يكن فيه من المتانة وفضل القوة ما يبلغ به طاقة من تبع سجاذته ، وإذا أعاتته فصاحة المتقدم وحلاوة المتأخر اشتد ساعده ، وبعُدَ مرماءه ، فلم يقع دون الغرض ؛ وعسى أن يكون أرشق سباماً ، وأحسن موقعاً ، بمن لو عول عليه من المحدثين لقصر عنه ، ووقع دونه ، وليجعل طلبه أولاً للسلامة ، فإذا صحت له طلب التجويد حينئذ ، وليرغب في الحلاوة والطلاوة رَغْبَةً في الجزالة والفخامة ، وليجنب السوق القريب ، والحوشي الغريب ، حتى يكون شعره حالاً بين حالين كما قال بعض الشعراء : -

عليك بأوساط الأمور ؛ فانها نجاة ، ولا تركب ذلولاً ولا صعباً فأول ما يحتاج إليه الشاعر - بعد الجلد الذي هو الغاية ، وفيه وحده الكفاية - حُسْنُ التأنى والسياسة ، وعلم مقاصد القول ؛ فان نَسَبَ ذلك وخضع ، وإن مدح أطرى وأسمع ، وإن هجا أخل ^(١) وأوجع ، وإن غفر خبّ ووضع ، وإن عاتب خفض ورفع ، وإن استعطف حنّ ورجع ، ولكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائنًا من كان ؛ ليدخل إليه من بابه ، ويدخله في ثيابه ، فذلك هو سر صناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوت الناس وبه تفاضلوا ..

وقد قيل : لكل مقام مثال ^(١) وشعرُ الشاعر لنفسه وفي مراده وأمور ذاته - من مزج ، وغزل ، ومكاتبه ، ومجون ، وخمرية ، وما أشبه ذلك - غيرُ شعره في قصائد الحفل التي يقوم بها بين السباطين : يقبل منه في تلك الطرائق عفو كلامه ، وما لم يتكلف له ، ولا ألقي به بالا ، ولا يقبل منه في هذه إلا ما كان محككا ، معاوداً فيه النظر ، جيداً لا غث فيه ، ولا ساقط ، ولا قلق ؛ وشعره للأمير والقائد غير شعره للوزير والكاتب ، ومخاطبته للقضاة والفقهاء بخلاف ما تقدم من هذه الأنواع .. وسيأتى هذا في موضعه من هذا الكتاب مفصلاً ، إن شاء الله تعالى ..

والتأخر من الشعراء في الزمان لا يضره تأخره إذا أجاد ، كما لا ينفع المتقدم تقدمه إذا قصر ، وإن كان له فضل سبق فعليه درك التقصير ، كما أن للتأخر فضل الاجادة أو الزيادة ، ولا يكون الشاعر حاذقاً مجوداً حتى يتفقد شعره ، ويعيد فيه نظره : فيسقط رديه ، ويثبت جيده ، ويكون سمحاً بالريك منه ، مطرحاً له ، راغباً عنه ، فإن بيتاً جيداً يقاوم ألفي ردي .
وقال امرؤ القيس وهو أول من زعموا أنه اختبر له وعلم به أنه يكون أفضل الشعراء والمقدم عليهم :—

أذود القوافي عني زيادا ذباد غلام جرى جرادا

فلما كثرت وعينته تغير منهن شتى جبادا

فأعزل مرجانها جانباً وأخذ من درها المستجادا

هكذا في أكثر النسخ ، وفي بعضها « حراد » بالحام مكسورة غير معجمة ،

« وشتى جبادا » بالشين معجمة مفتوحة غير منونة التاء .

فاذا كان أشعر الشعراء يصنع هذا ويحكيه عن نفسه ، فكيف ينبغي لغيره

أن يصنع ؟ .

(١) كذا في المصرتين ، والمعروف « لكل مقام مقال » وهو ما في التونسية

وزعم ابن الكلبي أنه امرؤ القيس بن بكر بن امرئ القيس بن الحارث بن معاوية الكندي ، وروى «سفي» في موضع «جري» والسفي : السفيه والخفيف أيضاً ، وإليه يرجع اشتقاقه . وزعم غير ابن الكلبي أن الأبيات لامرئ القيس بن عابس الكندي ^(١)

ويقال : إن أبا نواس كان يفعل هذا الفعل ؛ فينقذ الذي يريق الجيد . وليتمس له من الكلام ما سهل ، ومن القصد ما عدل ، ومن المعنى ما كان واضحاً جلياً يُعرفُ بَدَيًا ، فقد قال بعض المتقدمين : شر الشعر ما سئل عن معناه ، وكان الخطيئة يقول : خير الشعر الحولي المحكك ، أخذ في ذلك بمذهب زهير ، وأوس ، وطفيل .. ولا يجوز للشاعر — كما يجوز لغيره — أن يكون مُعْجَباً بنفسه ، مثنيًا على شعره ، وإن كان جيداً في ذاته ، حسناً عند سامعه فكيف إن كان دون ما يظن ؟ كقوم أفردوا لذلك أنفسهم ، وأفوا فيه أعمارهم وما يحصلون على طائل ، وقد قال الله عز وجل : (فلا تزكوا أنفسكم) اللهم إلا أن يريد الشاعر ترغيب الممدوح أو ترهيبه فيثنى على نفسه ، ويذكر فضل قصيدته فقد جعلوه مُجَازاً مُسَاحاً فيه : كالذي يعرض لكثير من الشعراء في أشعارهم من مدح قصائدهم ، على أن أبا تمام يقول : —

وَيْسِيءُ بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا لَا كَنْ يَأْتِيكَ وَهُوَ بِشِعْرِهِ مَقْتُونٌ

وإن كان أوصف الناس لقصيده ، وأكثرهم ولو عاً بذلك ، وهذا مادام شعراً كان محمولا على ما قدمناه ، وإنما المسروء المريب أن يكون ذلك منشوراً أو تأليفاً مسطوراً : كالذي فعل الناشئ أبو العباس في أشياء من شعره ذكرها في كتابه الموسوم بتفضيل الشعر فشكرها ، ونوه بها ، ونبه عليها ، وفضلها على أشعار الفحول : مثل جرير وغيره ، منها قول جرير : —

(١) ولم أجد هذه الأبيات فيما شرحه الوزير أبو بكر من شعر امرئ القيس

ابن حجر والعلاء يسمون الآخر امرأ القيس بن مالك الحميري

إِنْ الْعِيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ ^(١) كَقَتْلِنَا نَمُّ لَمْ يَحِينَنَّ قَتْلَانَا
يَصْرَعَنَّ ذَا الْاَلْبِ حَقَّ لِاخْرَاكَ بِهِ وَهَنْ أَضْفُ خَلَقَ اللهُ إِنْسَانًا
وَزَعَمَ - بعد إقامة ما حسبه برهانا - أَنْ قَوْلَهُ :-

لَأَشْيْءُ أَعْجَبُ مِنْ عَيْنَيْكَ إِنَّهُمَا لَا يُضْعِفَانِ الْقُوَى إِلَّا إِذَا ضَعُفَا
خَيْرَ مِنْهُ ، وَأَسْلَمَ مِنَ الِاعْتِرَاضِ ، وَأَكْثَرَ اخْتِصَارًا .

ويجب على الشاعر أَنْ يتواضع لمن دونه ، ويعرف حق من فوقه من
الشعراء ؛ فان امرأ القيس - وكان شديد الظنة في شعره كثير المنازعة
لأهله ، مدلا فيه بنفسه ، واثقا بقدرته - لقي التوهم اليشكري ، واسمه
الحارث ^(٢) ابن قتادة ، فقال له : إِنْ كُنْتَ شَاعِرًا كَمَا تَقُولُ فَلَطُ ^(٣) لِي
أَنْصَافَ مَا أَقُولُ فَأَجْزِئَا ، قَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ : -
أَحَارِ تَرَى بُرْقَاءَ هَبْ وَهَنًا فَقَالَ التَّوْهُمُ : - كَنَارِ مَجْجُوسَ تَسْتَعْرِاسْتَعَارَا
فَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ : - أَرَقْتَ لَهُ وَنَامَ أَبُو شَرِيحٍ

- (١) يروى * إِنْ الْعِيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حُورٌ *
(٢) جعل ياقوت اسمه الحارث بن التوهم اليشكري ، وجعل قتادة وأبا شريح
أخوين للحارث . وذكر هذه القصة وأنها وقعت لامرئ القيس مع الاخوة الثلاثة ،
وأن امرأ القيس قال * أَحَارِ تَرَى * فقال الحارث * كَنَارِ مَجْجُوسَ ...
فقال قتادة * أَرَقْتَ لَهُ ... استطارا * فقال أبو شريح * كَأَن هَزِيْزَهُ ...
عشارا * فقال الحارث * فَلَمَّا نَ عَلَا ... غَارَا * فقال قتادة * فَلَمْ يَتْرَكْ
يَبْطِنُ لِلرَّ ... حَارَا * فقال امرؤ القيس بعد هذا : إِنْ لَأَعْجَبُ مِنْ بَيْتِكُمْ
هَذَا كَيْفَ لَا يَحْتَرِقُ مِنْ جُودَةِ شَعْرِكُمْ !! فَمَسُوا بَنِي النَّارِ يَوْمَئِذٍ
(٣) قال المجدد في القاموس . « وما لطفه : قَالَ نَصَفَ بَيْتَ وَأَمْعَهُ الْآخِرَ كَلَفَتْهُ

فقال التوم : — إذا ما قلتُ قد هداً استطارا

فقال امرؤ القيس : — كأن هزيمه بوراء غيب ^(١)

فقال التوم : — عِشارٌ وَاللهُ لاقتِ عِشارا

فقال امرؤ القيس : — فلما أن علأ كَنفَى أضاخ ^(٢)

فقال التوم : — وَهَتَ أَعْجَازُ رَيْقِهِ فَخَارا

فقال امرؤ القيس : — فلم يترك بذات السر ظليسا

فقال التوم : — ولم يترك بجلهتها حمارا

فلما رآه امرؤ القيس قد ماتته ولم يكن في ذلك الحرس — أي : العصر — من يمانته — أي : يقاومه ويطاوله — آلى ألا ينزع الشعر أحداً آخر الدهر ، روى ذلك أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء ، ولو نظر بين الكلامين لوجد التوم أشعر في شعرهما هذا ؛ لأن امرأ القيس مبتدى بما شاء ، هو في فسحة مما أراد ، والتوم محكوم عليه بأول البيت ، مضطر في القافية التي عليها مدارها جميعاً ، ومن هنا — والله أعلم — عرّف له امرؤ القيس من حق المماتة ما عرف ، ونازع أيضاً علقمة بن عبدة فكان من غلبة علقمة عليه ما كان . . وأما جرير فهجاه شاعر يقال له : البردختُ ، فقال : ما اسمه ؟ قيل له : البردخت ، فقال : وما معنى البردخت ؟ قالوا له : الفارغ ، فقال : إذا والله لا أشغله بنفسى أبداً ، وسأله ، هذا وهو جرير الذي غلب شياطين الشعراء ، وسكن شقاشق الفحول . .

وأما عقبة بن روبة بن العجاج فانه أنشد عقبة بن سلم ^(٣) بحضرة بشار

(١) يروى * كأن هزيمه بوراء غيت * كما سمعت

(٢) أضاخ — بالضم وآخره خاء معجمة — من قرى اليمامة لبنى غير ذكره

ياقوت ، ويروى * فلما أن علاثر جي أضاخ *

(٣) عقبة بن سلم : كان واليا على البصرة من قبل أبي جعفر المنصور ، وكان

جبارا غاتيا

أرجوزة ، فقال : كيف ترى يا أبا معاذ ؟ فأتني بشار كما يجب لئله أن يفعل ، وأظهر الاستحسان ، فلم يعرف له عقبه حقه ، ولا شكر له فعله ، بل قال له : هذا طراز لا تحسنه ، فقال له بشار : المثل يقال هذا الكلام ؟ أنا والله أرجز منك ومن أيك ومن جدك ، ثم غدا على عقبه بن سلم بأرجوزته التي أولها : —

ياطلل الحى بذات الصمد (١) بالله خبر كيف كنت بعدى
فضح بها ابن رؤية فضيحة ظاهرة كان غنيا عنها . .

وكان في البحرى إعجاب شديد ، إذا أنشد يقول : ما لكم لا تعجبون ؟
أما حسنٌ ما تسمعون ؟ فأنشد المتوكل يوما قصيدته التي أولها : —

عن أي ثغر تبثيم ؟ وبأى طرف تحنك ؟
وأبو العباس الصيمرى حاضر ، فلما رأى إعجابه قام حذاه فقال : —
من أى سلح تلتقم ؟ وبأى كف تلتطم ؟
ذقن الوليد البحرى أبو عبادة فى الرحم
فولى البحرى وهو غضبان فقال : — وعلمت أنك تهزم

فضحك المتوكل حتى فخص برجليه ، وأعطى الصيمرى جائزة سنية

(٢٨) — باب عمل الشعر ، وشخذ القرية له

لابد للشاعر - وإن كان خلا ، حاذقا ، مبرزاً ، مقدماً - من قرة تعرض له
فى بعض الأوقات : إما لشغل يسير ، أو موت قريحة ، أو نبو طبع فى تلك الساعة
أو ذلك الحين . وقد كان الفرزدق - وهو فحل مضر فى زمانه - يقول : تمر على
الساعة وقلع ضرس من أضراسى أهون على من عمل بيت من الشعر ، فإذا تمادى ذلك
على الشاعر قيل : أصنى وأصنى ، كما يقال : أفصت الدجاجة وأصفت الدجاجة ، إذا

(١) فى معجم ما استعجم : الصمد : موضع فى ديار بني يربوع . وفى معجم

ياقوت : الصمد : ماء للضب

انقطع بعضها ، وكذلك يقال له : أجبل ، كما يقال حافر البئر إذا بلغ جبلات تحت الأرض لا يعمل فيه شيء : أجبل ، ومثل أجبل : أكدي ، إلا أنهم خصوا به العطاء ، وذلك أن يصادف حافر البئر كدية فلا يزيد شيئاً على ما حفر ، ويقال : ألحم الشاعر على أفضل ، قالوا : وهو من لحم الصبي ، إذا انقطع صوته من شدة البكاء ، فان ساء لفظه وفسدت معانيه قيل له : أهر فهو مهتر . . وقد قيل في الذياني : إنه إنما كان شعره نظيفاً من العيوب لأنه قاله كبيراً ، ومات عن قرب ، ولم يهر . . وأكثر ما جاء الاhtar في صفة الكبير الذي يختلط كلامه وقولهم في شعر النابغة إنه قاله وهو كبير يدل على أنه بهذا سمي نابغة كما عند أكثر الناس ، لا لقوله : —

• فَقَدْ نَبَغَتْ لَنَا مِنْهُمْ مُشْتُونَ •

كما تقدم^(١) من قول بعضهم . ويقال : أخلى الشاعر ، كما يقال أخلى الرامي ، إذا لم يصيب معنى .

حكى عن البحترى أنه قال : فاوضت ابن الجهم علياً في الشعر ، وذكر أشجع السلي فقال : إنه كان يخلى ، فلم أفهمها عنه ، وأفتت أن أسأله عنها ، فلما انصرفت فكرت فيها ، ونظرت في شعر أشجع ، فاذا هو بمأمرت له الأبيات مفسولة ليس فيها بيت رائع .

ثم إن للناس فيما بعد ضروباً مختلفة : يستدعون بها الشعر ، فتشخذ القرائح وتنبه الخواطر ، وتلين عريكة الكلام ، وتسهل طريق المعنى : كل امرئ على تركيب طبعه ، واطراد عادته ، وسيأتي ذلك في أقاويل العلماء بما أرجو أن تكون فيه هداية إن شاء الله تعالى .

قال بكر بن النطاح الحنفي : الشعر مثل عين الماء : إن تركتها اندفنت ، وإن استهنتها هتنت ، وليس مراد بكر أن تستهت بالعمل وحده لأننا نجد الشاعر

تكل قريحته مع كثرة العمل مراراً ، وتنزف مادته ، وتنفد معانيه ، فاذا أجم طبعه أياماً — وربما زماناً طويلاً — ثم صنع الشعر جاء بكل أبدية ، واتهم في كل قافية شاردة ، وانفتح له من المعاني والألفاظ ما لوراهم من قبل لاستغلق عليه ، وأبهم دونه ، لكن بالماكرة مرة ، فانها تنفتح زناد الخاطر ، وتفجر عيون المعاني ، وتوقظ أبصار الفطنة ، وبمطالعة الأشعار كرة ، فانها تبعث الجسد ، وتولد الشهوة .

وسئل ذو الرمة : كيف تفعل إذا انقلد دونك الشعر ؟ فقال : كيف ينقلد دوني وعندى مفتاحه ؟ قيل له : وعنه سألتك ، ماهو ؟ قال : الحلوة بذكر الأحباب ، فهذا لأنه عاشق ، ولعمري إنه إذا انفتح للشاعر نسيب القصيدة فقد ولج من الباب ، ووضع رجله في الركاب ، على أن ذا الرمة لم يكن كثير المدح والهجاء ، وإنما كان واصفاً أطلال ، ونادباً أطلان ، وهو الذي أخرجه من طبقة الفحول .

وقيل لكثير : كيف تصنع إذا عسر عليك الشعر ؟ قال : أطوف في الرباع المحيلة ، والرياض المعشبة ، فيسهل على أرصنّه ، ويسرع إلى أحسنه .

وقال الأصمعي : ما استدعى شارد يمثل الماء الجاري ، والشرف العالي ، والمكان الخالي — وقيل : الخالي ، يعني الرياض —

وحديثي بعض أصحابنا من أهل المهديّة - وقدمرنا بموضع بها يعرف بالكديّة سمّ هو أشرفها أرضاً وهواء — قال : جئت هذا الموضع مرة فاذا عبد الكريم على سطح برج هنالك قد كشف الدنيا ، فقلت : بأحمد ، قال : نعم ، قلت : ما تصنع هنا ؟ قال : ألقح خاطري ، وأجلو ناظري ، قلت : فهل تتج لك شيء ؟ قال : ما تقرّبه عيني وعينك إن شاء الله تعالى ، وأنشدني شعراً يدخل مسام القلوب رقة ، قلت : هذا اختبار منك اخترعته ، قال : بل برأى الأصمعي .

وقالوا : كان جرير إذا أراد أن يؤبد قصيدة صنعها ليلاً : يشعل سراجاً ويعتزل ، وربما علا السطح وحده فاضطجع وغطى رأسه رغبة في الخلوة

بنفسه . يحكى أنه صنع ذلك فى قصيدته التى أخزى بها بنى نمير ، وقد تقدم ذكرها (١) .

وروى أن الفرزدق كان إذا صعبت عليه صنعة الشعر ركب ناقته ، وطاف خالياً منفرداً وحده فى شعاب الجبال ويطون الأودية والأماكن الخربة الخالية ، فيعطيه الكلام قياده . حكى ذلك عن نفسه فى قصيدته الفائية : —

عزفت بأعشاشٍ وما كدتَ تعزِفُ

وذكر أن قى من الأنصار بحضرة كثير — أو غيره — فاخره بأبيات

حسان بن ثابت : —

لنا الجففاتُ الغرى يَكْمَنُ بالضحى وأسيافنا يَقَطُرْنَ من نَجْدَةٍ دَمًا
فأنظره سنة فضى خنقاً ، وطالت ليلته ولم يصنع شيئاً ، فلما كان قرب الصباح أتى جبلاً بالمدينة يقال له ذُبَابُ فنادى : أخاكم باني ليني ، صاحبكم ، صاحبكم ، صاحبكم ، وتوسد ذراع ناقته ، فاثالت عليه القوافى اثيالاً ، وجاء بالقصيدة بكرة ، وقد أعجزت الشعراء وبهرتهم طولاً وحسناً وجودة

وقيل لأبى نواس : كيف عملك حين تريد أن تصنع الشعر؟ قال : أشرب حتى إذا كنت أطيب ما أكون نفساً بين الصاحي والسكران صنعت وقد داخلنى النشاط وهزتى الأريحية .

قال ابن قتيبة : وللشاعر أوقات يُسرِعُ فيها أُنْيَه ، ويسمح فيها أيه : منها أول الليل قبل تغشى الكرى ، ومنها صدر النهار قبل الغداء ، ومنها يوم شرب الدواء ، ومنها الخلوة فى الحبس والمسير ، ولهذه العلل تختلف أشعار الشاعر ورسائل المترسل .

وحكى عن أبى تمام — وقد سأله البحتري عن أوقات صنعة الشعر —

قريب^١ من هذا لا أحفظه نصاً ، ولا أشك أن ابن قتيبة به اقتدى ، إن كان
بما رواه^(١)

وما يجمع الفكرة من طريق الفلسفة استلقاء الرجل على ظهره ، وعلى كل
حال فليس يفتح مقفل بحار الخواطر مثل مباكرة العمل بالأسحار عند
المحبوب من النوم ؛ لكون النفس مجتمعة لم يتفرق حسها في أسباب اللهاو
المعيشة أو غير ذلك مما يعيها ، وإذ هي مستريحة جديدة كأنما أنشئت نشأة
أخرى ؛ ولأن السحر ألطف هواء ، وأرق نسيماً ، وأعدل ميزاناً بين الليل
والنهار ، وإنما لم يكن العشي كالسحر — وهو عديله في التوسط بين طرفي
الليل والنهار — لدخول الظلمة فيه على الضياء بضد^(٢) دخول الضياء في السحر
على الظلمة ، ولأن النفس فيه كالة [مريضة] من تعب النهار وتصرفها فيه ،
ومحتاج إلى قوتها من النوم منشوقة نحوه : فالسحر أحسن لمن أراد أن يصنع ،
وأما لمن أراد الحفظ والدراسة وما أشبه ذلك فالليل قال الله تعالى وهو
أصدق القائلين : (إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلاً) وهذا الكلام
الذي لامطعن فيه ، ولا اعتراض عليه ، وعلى قراءة من قرأ (وطأ) يكون
معناه أثقل على فاعله ، وإذا كان كذلك كان أكثر أجراً ، فهذا يشهد لنا أن
العمل أول الليل يصعب ؛ لأن النوم يغلب ، والجسم يكل .

وكان أبو تمام يُكره نفسه على العمل حتى يظهر ذلك في شعره .. حكى ذلك
عنه بعض أصحابه ، قال : استأذنت عليه — وكان لا يستر عني — فأذن لي
فدخلت [فاذا هو] في بيت مصهرج قد غسل بالماء ، يتقلب يميناً وشمالاً ،

(١) في التونسية : إن كان رأه « وهي عبارة قريية الصحة : وقدمت ابن
قتيبة في سنة ٢٧٦ من الهجرة ، وبات أبو تمام في سنة ٢٣١ من الهجرة على المختار
من أقوال الناس في وفاته

(٢) في المصرتين « بعد » وهو خطأ ظاهر .

قلت : لقد بلغ بك الحرَّ مبلغاً شديداً ، قال : لا ، ولكن غيره ، ومكث
كذلك ساعة ثم قام كأنما أطلق من عقال ، فقال : الآن أردت ، ثم استمدَّ
وكتب شيئاً لا أعرفه ، ثم قال : أتدرى ما كنت فيه هذا الآن ؟ قلت : كلا ،
قال : قول أبي نواس : —

كالدهر فيه شراسةٌ وليانُ

أردت معناه فشمس عليّ حتى أمكن الله منه فصنعت
شرستَ بل لنتَ بل قانيتَ ذاكَ بذاً فأنْتَ لا شك فيكَ السهل والجبل
ولعمري لو سكتَ هذا الحاكِ لي ثم هذا البيت بما كان داخل البيت ؛ لأن
الكلفة فيه ظاهرة ، والتعمل بين .. على أن مثل حكاية أبي تمام وأشد منها
قد وقعت لمن لا يهتم ، وهو جرير : صنع الفرزدق شعراً يقول فيه : —
فأني أنا الموتُ الذي هو ذاهبٌ بِنَفْسِكَ فانظر كيف أنتَ محاوله
وحلف بالطلاق أن جريراً لا يغلبه فيه ، فكان جرير يتمرغ في الرمضاء
ويقول : أنا أبو حزرّة ، حتى قال : —

أنا الدهرُ : يفني الموتُ والدهرُ خالدٌ فجئني بمثلِ الدهرِ شيئاً يطاوله
وكان أبو تمام ينصب القافية البيت ؛ ليعلق الاعجاز بالصدور ، وذلك هو
التصدير في الشعر ، ولا يأتي به كثيراً إلا شاعر متصنع كحبيب ونظرائه ،
والصواب أن لا يصنع الشاعر بيتاً لا يعرف قافيته ، غير أني لا أجد ذلك في
طبعي جملة ، ولا أقدر عليه ، بل أصنع القسم الأول على ما أريده ، ثم
أنتمس في نفسي ما يليق به من القوافي بعد ذلك ، فأبني عليه القسم الثاني : أفعل
ذلك فيه كما يفعل من يبنى البيت كله على القافية ، ولم أر ذلك بمخل عليّ ،
ولا يزيحني عن مرادى ، ولا يغير عليّ شيئاً من لفظ القسم الأول ، إلا في
النشدة التي لا يعتد بها أو على وجه التنقيح المفرط .

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة كالمتعجب من

شعره ، فقال : كيف تقول الشعر ؟ قال : أنظر في ذلك ثم أقول ، قال : فليكن بالمشركون ، ولم يكن أعداً شيئاً ، فأنشد أياتاً منها : —
فَخَبَرُونِي ، أَمَّا نَ الْبَاءُ ، مَتَى كُنْتُمْ بِطَارِيقٍ أَوْ دَأَنْتَ لَكُمْ مُضَرٌّ ؟
فعرف الكراهية في وجه النبي صلى الله عليه وسلم ، لما جعل قومه أئمان
العباء ، فقال : —

تُجَالِدُ النَّاسَ عَنْ عَرَضٍ ، وَنَاسِرْهُمْ فِينَا النَّبِيُّ ، وَفِينَا تَنْزِلُ السُّورَ
وَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنَا لَيْسَ يَغْلِبُنَا حَتَّى مِنْ النَّاسِ : إِنْ عَزَوْا ، وَإِنْ كَثُرُوا
ينتهى إلى أن يقول في النبي صلى الله عليه وسلم : —
فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا أَعْطَاكَ مِنْ حَسَنِ تَقْنِيَتِ مُوسَى ، وَنَصَرَ آكَالَتِي نَصَرُوا
فَأقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه ، فقال : « وإياك ثبت الله
يا ابن رواحة » ..

ومن الشعراء من يسبق إليه بيت واثنان ، وعاطره في غيرهما : يجب
أن يكونا بعد ذلك بأيات ، أو قبله بأيات ، وذلك لقوة طبعه ، وانبعث
مادته ، ومنهم من ينصب قافية بعينها لبيت بعينه من الشعر مثل أن تكون
ثالثة أو رابعة أو نحو ذلك : لا يمدو بها ذلك الموضع إلا انحل عنه نظم آياته ،
وذلك عيب في الصنعة شديد ، ونقص بين ؛ لأنه - أعنى الشاعر - يصير
محسوراً على شيء واحد بعينه ، مُضَيِّقاً عليه ، وداخلا تحت حكم القافية ..
وكانوا يقولون : ليكن الشعر تحت حكمك ، ولا تكن تحت حكمه .

ومنهم من إذا أخذ في صنعة الشعر كتب من القوافي ما يصلح لذلك الوزن
الذي هو فيه ، ثم أخذ مستعملها ، وشرقيها ، ومساعد معانيه ، وما واقها ،
واطرح ماسوى ذلك ، إلا أنه لابد أن يجمعها ليكرر فيها نظره ، ويعيد عليها
تخييره في حين العمل ، هذا الذي عليه حذاق القوم

ومن الشعراء من إذا جاءه البيت عفواً أثبت ، ثم رجع إليه فنقحه ،

وصفاه من كدره ، وذلك أسرع له ، وأخف عليه ، وأصح لنظره ، وأرخی لباله ..

وآخر لا يثبت البيت إلا بعد إحكامه في نفسه ، وتثقيفه من جميع جهاته ، وذلك أشرف للهمة ، وأدل على القدرة ، وأظهر للكلفة ، وأبعد من السرعة. وسألت شيخا من شيوخ هذه الصناعة فقلت : ما يعين على الشعر ؟ فقال : زهرة البستان ، وراحة الحمام

وقيل : إن الطعام الطيب ، والشراب الطيب ، وسماع الغناء ، بما يرق الطبع ، ويصفي المزاج ، ويعين على الشعر

ولما أرادت قرين معارضة القرآن عكف فصحاؤهم الذين تعاطوا ذلك على لباب البر وسلاف الخمر ولحوم الضأن والخولة إلى أن بلغوا مجهودهم . فلما سمعوا قول الله عز وجل (وقيل يا أرض ابلعي ما بك ، وياسماء أقملي وغيض الماء ، وقضى الأمر ، واستوت على الجودي) وقيل بعدا للقوم الظالمين) يسوا بما طعموا فيه ، وعلبوا أنه ليس بكلام مخلوق ..

وقيل : مقود الشعر الغناء به ، وذكر عن أبي الطيب أن متشرفا تشرف عليه وهو يصنع قصيدته التي أولها * جلا كان فيك التبريح * ^(١) وهو يتغنى ويصنع ، فإذا توقف بعض التوقف رجع بالانشاد من أول القصيدة إلى حيث انتهى منها

وقال بعضهم : من أراد أن يقول الشعر فليعشق فانه يرق ، وليرى فانه يدل ، وليطعم فانه يصنع . وقالوا : الحيلة لكلال القرينة انتظار الحمام ، وقصيد ساعات النشاط ، وهذا عندي أنجع الأقوال وبه أقول وإليه أذهب ..

(١) تلمه * أغذاء ذا الرشا الاغن الشيخ * وهو مطلع قصيدة مدح بها مساور بن محمد الروي (انظر الديوان : ج ١ ص ١٦٤)

وقال بكر بن عبد الله المزني : لا تكذبوا القلوب ولا تهملوها ، وخير الفكر ما كان في عقب الحمام ، ومن أكره بصره عشي ، واشحنوا القلوب بالمذاكرة ولا تئسوا من إصابة الحكمة إننا منحنم ببعض الاستغلاق ، فإن من أدمن قرع الباب وصل .

وقال الخليل : من لم يأت شعره من الوحدة فليس بشاعر ، قالوا : يريد الخلوة ، وربما أراد الغربة ، كما قال ديك الجن : ما أصغى شاعر مقرب قط .
وعمالا يسع تركه في هذا الموضع صحيفة كتبها بشر بن المعتمر ، ذكر فيها البلاغة ، ودل على مظان الكلام والفصاحة ، يقول فيها : خذ من نفسك ساعة فراغك ، وفراغ بالك ، وإجابتها إياك ، فإن فليك تلك الساعة أكرم جوهر ، وأشرف حساً ، وأحسن في الاسماع ^(١) ، وأحلى في الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى بديع واعلم أن فلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمجاهدة ، وبالتركف والمعاناة ، ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصداً ، أو خفيفاً على اللسان سهلاً كما خرج من ينبوعه ، ونجم من معدنه . وإياك والتوعر ، فإن التوعر يسلك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ، ويشين ألفاظك . ومن أراغ ^(٢) معنى كريماً فليتمس له لفظاً كريماً ؛ فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن يصونهما عما يفسدهما ويهجنهما ، وعما تعود من أجله أسوأ حالاً منك من قبل أن تلتبس إظهارهما ، وترهن نفسك في ملابسهما وقضاء حقهما ، وكن في إحدى ثلاث منازل : فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقة عذبا ، وفخا سهلا ، ويكون معاك ظاهراً مكشوقا ، وقريبا معروفا : إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت ، وإما للعامة إن

(١) في المصرتين المطبوعتين « وأحسن في الاسماع » وهو تصنيف
(٢) أراغ - بالغين المعجمة وبالهزة أوله - أراد وطلب ، ومثله أراغ ، وفي التونسية « راع » وهو خطأ

كنت للعامّة أردت ، والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتضح بأن يكون من معاني العامة . وإنما مدار الشرف مع الصواب وإحراز المنفعة ، ومع موافقة الحال ، ومع ما يجب لكل مقام من المقال ، وكذلك اللفظ العامي والخاصي ، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، وبلاغة قلبك ، ولطف مداخلك ، واقتدارك في نفسك على أن تفهم العامة معاني الخاصة وتكسوها الألفاظ المتوسطة التي لا تلتطف عن الدماء ولا تجف عن الإكفاء ؛ فأنت البليغ التام . فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمع لك عند أول نظرك في أول تكلفك ، وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصل إلى قرارها وإلى حقها من أما كتبها المقسومة لها ، والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها ولم تتصل بشكلها ، وكانت قلقة في مكانها نائرة عن موضعها ؛ فلا تكرها على اغتصاب مكانها ، والنزول في غير أوطانها ؛ فانك - إذا لم تعاط قرض الشعر الموزون ، ولم تكلف اختيار الكلام المنشور - لم يعبك بترك ذلك أحد ؛ فإن أنت تكلفتها ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ، ولا محكماً لشأنك ، بصيراً بما عليك ولك ؛ عابك من أنت أقل منه عيباً ، ورأى من هو دونك أنه فوقك . فإن أنت ابتليت بأن تكلف القول وتعاطى الصنعة ، ولم تسمع لك الطباع ؛ فلا تعجل ، ولا تضجر ، ودعه ياض يومك أو سواد ليلك ، وعواده عند نشاطك وفراغ بالك ؛ فانك لا تعدم الإجابة والموائمة إن كانت هناك طبيعة ، أو جرّيت في الصناعة ^(١) على عرق ، فإن تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل ، ومن غير طول إهمال ، فالمنزلة الثالثة أن تتحول عن هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك ، وأخفها عليك ، فانك لم تشتهه ولم تنازع ^(٢) إليه إلا وبينك نسب ، والشئ لا يمن

(١) في التونسية « من الصناعة »

(٢) كذلك هو في طامة الأصول ، ولعله « ولم تنزع إليه »

إلا إلى ما شاكله ، وإن كانت المشاكلة قد تكون في ^(١) صفات ، إلا أن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة ، ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة ، كما تجود به مع الشهوة والمحبة .

وقال بعض أهل الأدب : حسب الشاعر عوناً على صناعته أن يجمع خاطره ، بعد أن يخلى قلبه من فضول الأشغال ، ويدع الامتلاء من الطعام والشراب ، ثم يأخذ فيما يريده . وأفضل ما استعان به الشاعر فضل غنى أو فرط طمع ^(٢) . والفقر آفة الشعر ، وإنما ذلك لأن الشاعر إذا صنع القصيدة وهو في غنى وسعة نقعها وأنعم النظر فيها على ميل ، فإذا كان مع ذلك طمع قوياً انبعثت من ينبوعها ، وجاءت الرغبة بها في نهايتها محكمة ، وإذا كان فقيراً مضطراً رضى بعفو كلامه ، وأخذ ما أمكنه من نتيجة خاطره ، ولم يتسع في بلوغ مراده ولا بلوغ مجهود نيته ؛ لما يحفزُه من الحاجة والضرورة ، فجاء دون عادته في سائر أشعاره ، وربما قصر عن هو دونه بكثير ، ومنهم من تحمى الحاجة خاطره ، وتبعث قريحته ، فيجود ، فإذا أوسع أنف ، وصعب عليه عمل الآيات اليسيرة فضلاً عن الكثيرة ، وللعادة في هذه الأشياء فعل عظيم ، وهي طبيعة خامسة كما قيل فيها

(٢٩) — باب في المقاطع والمطالع

اختلف أهل المعرفة في المقاطع والمطالع : فقال بعضهم : هي الفصول والوصول بعينها ، فالمقاطع : أواخر الفصول ، والمطالع : أوائل الوصول ، وهذا القول هو الظاهر من حقوى الكلام ، والفصل : آخر جزء من القسم الأول كما قدمت ، وهي العروض أيضاً ، والوصل : أول جزء يليه من

(١) في التونسية « في طبقات »

(٢) هكذا في التونسية ، وفي المصريتين « أو فضل طمع »

القسم الثاني . . وقال غيرهم : المقاطع : منقطع الآيات ، وهي القوافي ، والمطالع : أوائل الآيات . وقال قدامة بن جعفر في بعض تأليفه وقد ذكر الترصيع : هو أن يتوخي تصييرَ مقاطع الأجزاء في البيت على سجع ، أو شبيه به ، أو من جنس واحد في التصريف ، فأشار بهذه العبارة إلى أن المقاطع أواخر أجزاء البيت كما ترى . . وقد نجد من الشعر المرصع ما يكون سجعه في غير مقاطع الأجزاء ، نحو قول أم معدان الأعراية في مرثية لها :-
فعل الجليل وتفريج الجليل وإعطاء الجزيل الذي لم يعطه أحد

فالسجع في هذا البيت اللام المطردة في ثلاثة أمكنة منه ، وآخر الأجزاء التي هي المقاطع على شريطة الياء التي قبل اللام ، اللهم إلا أن يجعل السجع هو الياء الملتزمة حينئذ ، على أنا لا نعلم حرف السجع يكون إلا متأخراً في مثل هذا المكان ، ومثل هذا في أنواع الأعاريض كثير . . ومن الناس من يزعم أن المطلع والمقطع أول القصيدة وآخرها ، وليس ذلك بشيء ؛ لأننا نجد في كلام جهابذة النقاد إذا وصفوا قصيدة قالوا : حسنة المقاطع جيدة المطالع ، ولا يقولون المقطع والمطلع ، وفي هذا دليل واضح ؛ لأن القصيدة إنما لها أول واحد ، وآخر واحد ، ولا يكون لها أوائل وأواخر ، إلا على ما قدمت من ذكر الآيات والأقسام وانتهائها . . وسألت الشيخ أبا عبد الله محمد بن إبراهيم بن السمين عن هذا ، فقال : المقاطع أواخر الآيات ، والمطالع أوائلها ، قال : ومعنى قولهم حسن المقاطع جيد المطالع أن يكون مقطع البيت - وهو القافية - متمكناً غير قلق ولا متعلق بغيره ، فهذا هو حسنه ، والمطلع - وهو أول البيت - جودته أن يكون دالاً على ما بعده كالصدور وما شاكله . . وروى ^(١) الجاحظ أن شبيب بن شيبة كان يقول : الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء ويمدح صاحبه ، وأنا موكل

بتفضيل جودة المقطع وبمدح صاحبه ، وحظ جودة القافية . وإن كانت كلمة واحدة — أرفع من حظ سائر البيت أو القصيدة ^(١) ، وحكاية الجاحظ هذه تدل على أن المقطع آخر البيت أو القصيدة ، وهو بالبيت أليق ، لذكر حظ القافية . . وحكى أيضاً عن صديق له أنه قال للعتابي : ما ابتلاغة ؟ قال : كل كلام أفهمك صاحبه حاجته من غير إعادة ولا حبة ولا استعانة فهو بليغ ، قال : قلت : قد عرفت الإعادة والحبة ، وما الاستعانة ؟ قال : أما تراه إذا تحدث قال عند مقاطع كلامه : يا هناه اسمع مني ، واستمع إلي ، وافهم وألست تفهم ، هذا كله عي وفساد .

قال صاحب الكتاب : وهذا القول من العتابي يدل على أن المقاطع أو آخر الفصول . ومثله ما حكاه الجاحظ أيضاً عن المأمون أنه قال لسعيد بن سلم ^(٢) والله إنك لتستغنى الحديثي ، وتقف عند مقاطع كلامي

وإذا جعل المقطع والمطلع مصدرين بمعنى القطع والطلوع كانت الطاء واللام مفتوحتين ، وإذا أريد موضع القطع والطلوع كسرت اللام خاصة ، وهو مسموع على غير قياس

(١) هذه الكلمة غير موجودة في نسخة البيان والتبيين

(٢) في المصريتين « سعيد بن أسلم » وكتب بحواشيها « وفي نسخة سعيد ابن مسلم » ، والصواب ما أثبتناه ، وسعيد بن سلم : هو سعيد بن سلم بن قتيبة بن سلم الباهلي ، كان من أمراء الدولة العباسية ، وقدولى أرمينية والموصل والسند وطبرستان وسجستان والجزيرة . وذكره الجاحظ في البيان والتبيين كثيراً ، وروى الجاحظ هذه العبارة هكذا « والله إنك لتستغنى حديثي ، وتقف عند مقاطع كلامي » ونحبر عنه بما كنت قد أغفلته « انظر (ج ٢ ص ٣٠) وأبو مسلم قدولى إمرة البصرة ليزيد بن عمر بن هيرة في أيام مروان الحمار ، ثم ولها مرة أخرى في أيام أبي جعفر المنصور ، وتوفي في سنة ١٤٩ هـ . وتوفي ابنه سعيد في سنة ٢٠٩ هـ .

(٣٠) — باب المبدأ، والخروج، والنهاية

قيل لبعض الحذاق بصناعة الشعر : لقد طار اسمك واشتهر ، فقال : لأنني أقلت ^(١) الحز ، وطبقت المَفْصِلَ وأصبت مقاتل الكلام وقرطست نكت الأغراض بحسن الفوانج والخواتم ولطف الخروج إلى المدح والهجاء ، وقد صدق ؛ لأن حسن الافتتاح داعية الانشراح ، ومطية النجاح ، ولطاقة الخروج إلى المديح سبب ارتياح الممدوح ، وخاتمة الكلام أنقى في السمع ، وألصق بالنفس ؛ لقرب المهد بها : فإن حسنت حسن ، وإن قبحت قبح ، والأعمال بخواتيمها ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبعد ، فإن الشعر قفلٌ أوله مفتاحه ، وينبغي للشاعر أن يحوِّد ابتداء شعره ؛ فإنه أول ما يقرعُ السمع ، وبه يستدل على ماعنده من أول وهلة وليجتنب « ألا » و « خليل » و « قد » فلا يستكثر منها في ابتدائه ، فإنها من علامات الضعف والتكلان ، إلا للقدماء الذين جروا على عرق ، وعملوا على شاكلة ، وليجعله طوياً سهلاً ، ونحماً جزلاً ، فقد اختار الناس كثيراً من الابتداءات أذكر منها هنا ما أمكن ليستدل به ، نحو قول امرئ القيس :-

فَتَأْتِيكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٌ وَمَنْزِلٌ ^(٢)

وهو عندم أفضل ابتداء صنعه شاعر ، لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد ، وقوله :-

أَلَا عَمْرٍو صَبَّاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالَى ^(٣)

(١) كذا في المصرتين ، وفي التونسية « أجدت الحز » وأظنه « أصبت الحز »

(٢) هذا مطلع معلقته ، وعجزه * ينقطع اللوى بين الدخول والخومل * وقد

نسب بعض أهل العلم مدح هذا المبدأ لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(٣) تمامه * وهل يعم من كان في البصر الخالي *

ومثله قول القطامي — واسمه عير بن شبيب التغلبي : —

إِنَّا مُخَيَّلُونَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الظَّلُّ^(١)

وكقول النابغة : —

كَلِمَتِي لِمَنْ يَا أُمَيَّةَ نَاصِبٍ وَلَيْلَ أَقَاسِيَه بَطِيءُ الْكَوَاكِبِ

. وقوله : —

كُتِمَتْكَ لَيْلًا بِالْجُؤْمَيْنِ سَاهِرًا وَهَمَيْنَ هَمًّا مُسْتَكْنًا وَظَاهِرًا
هذا بعض ما اختير للقدماء .. وما اختير لهم في الرثاء قول أوس بن حجر : —

أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا إِنَّ الدِّيَّ تَحْذِرِينَ قَدْ وَقَعَا
وما اختير للمحدثين قول بشار بن برد : —

أَيُّ طَلَلٌ بِالْجَزْعِ أَنْ يَتَكَلَّمَ^(٢)

وهو عندهم أفضل ابتداء صنعه محدث ، وقول أنى نواس : —

لِمَنْ دَمِنْ تَزْدَادُ طَيْبِ نَسِيمٍ عَلَى طُولِ مَا أَقْوَتْ وَحَسَنِ رُسُومِ

وقوله : —

رَسْمُ الْكُرَى بَيْنَ الْجَفُونِ مَحِيلٌ عَفَى عَلَيْهِ بِكَأَعْلِكَ طَوِيلٌ

وقوله : —

أَعْطَيْتَكَ رِيحَانَهَا الْعَقَارُ وَحَانَ مِنْ لَيْلِنَا انْسِفَارُ

وقوله : —

دَغَّ عَنْكَ لَوْ مَيَّ طَنْ الْقَوْمِ إِغْرَاهُ وَدَاوَنِي بِالنِّى كَأَنْتَ هِيَ الدَّاهُ

وما أشبه ذلك مما لو تفحصته لطال وكثر ..

وليرغب عن التعقيد في الابتداء ؛ فإنه أول اليتى ، ودليل الفقهة ، فقد حكي

(١) تمامه • وإن بليت وإن طالت بك الطيل •

(٢) تمامه • وماذا عليه لو أجاب متيما • ويمد : —

وإلتاع آثار بقين ، وإلاوى • ملأب لا يعرفن إلا توها

وانظر الأغانى (ج ٣ ص ١٤٨) طبعة دار الكتب المصرية

أن دعبل بن علي الخزاعي ورد حصص قصص دار عبد السلام ابن رغبان
ديك الجن فكتم نفسه عنه خوفاً من قوارصه ومشارته ، فقال : ما له يستتر
وهو أشعر الجن والانس ؟ أليس هو الذي يقول ؟ : —

بها غَيْرَ مَعْدُول (١) فداو خمارها وَصَلْ بِعَشِيَّاتِ الْغُبُوقِ ابْتِكَارَهَا
وَنَلْ مِنْ عَظِيمِ الرَّدْفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ إِذَا ذَكَرْتَ خَافَ الْخَفِيفَانِ نَارَهَا
فظهر إليه ، واعتذر له ، وأحسن نزله . ثم تناشدا فأنشدا ديك الجن ابتداء
قصيدة : —

كَأَنَّهُمَا مَا كَانَهُ خَلَلٌ ۖ خَلَّةٌ وَقَفُّ الْمُلُوكِ إِذْ بَنَاهَا (٢)
فقال له دعبل : أمسك ، فراقه ما ظننتك تم البيت إلا وقد غشي عليك ،
أو تَشَكَّيْتَ فكيك ، ولكأنك في جهنم تخاطب الزبانية ، أو قد تَجَبَّطَكَ
الشیطان من المس ، وإنما أراد الديك أن يهول عليه ، ويقرع سمعه ، عسى
أن يروعه ويردعه ، فسمع منه ما كره أن يسمعه ، ولعمري ما ظله دعبل ،
ولقد أبعد مسافة الكلام ، وخالف العادة ، وهذا بيت قبيح من جهات :
منها إضمار ما لم يذكر قبل ، ولا جرت العادة بمثله فيعذر ، ولا كثر استعماله
فيشهر ، مع إحالة تشبيهه على تشبيه ، وثقل تجانسه الذي هو حشو فارغ ،
ولو طرح من البيت لكان أحزم ، واستدعى قافيته لا لشيء إلا لفساد المعنى
واستحالة التشبيه ، ما الذي يريد بـ «بغمامه» في تشبيهه الوقف - وهو السوار -
ولم كان وقف الملوك خاصة ؟ ومعنى البيت أن عشيقته كأنها في جدها وعينها
الغزال الذي كأنه بين نبات الخلة سواراً الجارية الحسنة المشى المتهاكة فيه -
وقيل : الملوك البغي الفاجرة - فإلهذا كله ؟ وأي شيء تحته ؟ .

ومثله قول محمد بن عبد الملك الزيات يصف ناقته أول قصيدة مدح بها
الحسن بن سهل : —

(١) في المصريتین * بها غير معلول . . . *

(٢) حل ألفاظه هكذا : كأنها التي كأنه في حال وجوده خلال الخلة وقت
بغمامه وقف الملوك ، وهو شئ في غاية الثقل

كانها حين تنأى خطوها أخس مطوى الشوي رعى القل
فالميب الأول في مخالفة العادة لازم له ، ومع ذلك قوله « حين تنأى
خطوها » مقصر بها ، وهو يقدر أن يقول « حين تداني خطوها » وخالف
جميع الشعراء بذلك ؛ لأنهم إنما يصفون الناقة بالظلم والحار والثور بعد
الكلال غلواً في الوصف ومبالغة ، هذا هو الجيد ، فإن لم يفعلوا لم يذكروا
أنها بذلت جهدها ، واستفرغت جميع ما عندها ، بل يدعون التأويل محتملاً
للزيادة ، ثم قال « رعى القل » والثور لا يرعى قل الجبال ، وإنما ذلك
الوعل ؛ فانه لايسهل ، والثور في السهول والدماث ومواضع الرمال ، إلا أن
يريد قل النبات أعاليه ، فربما أن تكون القل نباتاً بعينه أو مكاناً فقد يمكن ،
وما سمعت بهما ..

ومن الشعراء من يقطع المصراع الثاني من الأول إذا ابتدأ شعراً ، وأكثر
ما يقع ذلك في النسيب ، كأنه يدل بذلك على وله وشدة حال ، كقول
أبي الطيب : —

جَدلاً كَأَبِي فَلَيْلِكَ التَّبْرِيحُ أَغْدَاءُ ذَا الرِّشَاءِ الْاَغْنِ الشَّيْحُ

فهذا اعتذار من اعتذر له ، ولو وقع مثل هذا في الرثاء والتفجع لكان
موضعه أيضاً ، وكذلك عند العظائم من الأمور والنوازل الشديدة .

وليحترس مما تناله فيه بادرة ، أو يقع عليه مطمن ؛ فإن أبا تمام امتدح أبا
دلف بحضرة من كان يكرمه ، فافتح ينشد قصيدته المشهورة : —

• على مثلي ما من أربُوع ومَلَّاعِبِ (١) •

وكانت فيه حبة شديدة فقال الرجل : « لعنة الله والملائكة والناس
أجمعين » فدهش أبو تمام حتى تبين ذلك عليه ، على أنه غير مأخوذ بما قيل ،
ولا هو مما يُدخل عليه عيباً ، ولا يلزمه ذنباً على الحقيقة ، إلا أن الخوطة
والتحفظ من خجلة البادرة أفضل وأهيب ، والتفريط أرذل وأخذل ..

ودخل جرير على عبد الملك بن مروان فابتدأ ينشده : —

* أَتَصْحُرُ أَمْ فُتَوَاذِكَ غَيْرُ صَاحٍ *

فقال له عبد الملك : « بل فتواذك يا ابن الفاعلة » كأنه استقل هذه المواجهة وإلا فقد علم أن الشاعر إنما خاطب نفسه . . ومن هذه الجهة يعينها عابوا على أبي الطيب قوله لكافور أول لقائه مبتدئا ، وإن كان إنما يخاطب نفسه لا كافورا : —

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنيا أن يَكُنَّ أمانيا
فالعيب من باب التأدب للبلوك ، وحسن السياسة لازم لأبي الطيب في هذا الابتداء ، لا سيما وهذا النوع — أعنى جودة الابتداء — من أجل محاسن أبي الطيب ، وأشرف مآثر شعره إذا ذكر الشعر . . ودخل ذو الرمة على عبد الملك بن مروان فاستنشه شيئا من شعره فأنشده قصيدته : —

ما بال عينك منها الماء ينسكب^(١)

وكانت بعين عبد الملك ريشة ، وهي تدمع أبداً ، فتوهم أنه خاطبه أو عرّض به ، فقال : وما سؤالك عن هذا يا جاهل !!! ففقه وأمر بأخراجه . . وكذلك فعل ابنه هشام بأبي النجم وقد أنشده في أرجوزة : —

والشمس قد كادت ولما تفعل كأنها في الأفق عَيْنُ الأَحْوَلِ
وكان هشام أحول ، فأمر به فحجب عنه مدة ، وقد كان قبل ذلك من خاصته : يسمر عنده ويمارحه .

وإنما يؤتى الشاعر في هذه الأشياء : إما من غفلة في الطبع وغلظ ، أو من استغراق في الصنعة وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول أين ذهب . والفطن الخافق يختار للأوقات ما يشاء كلها ، وينظر في أحوال المخاطبين : فيقصد محابهم ، ويميل إلى شهواتهم وإن خالفت شهوته ، ويفتقد ما يكرهون

سماعه فيجتنب ذكره... ألا ترى أن بعض الملوك قال لأحد الشعراء وقد
أورد بيتاً ذكر فيه « لو خلد أحد بكرم لكنت مخلداً بكرمك » وقال كلاماً
نحو هذا ، فقال الملك : إن الموت حق ، وإن لنا منه نصيباً ، غير أن الملوك
تكره ذكر ما ينكد عيشها ، وينقص لذتها ، فلا تأتينا بشيء مما نكره ذكره...
ومن المشهور أن النعمان بن المنذر رأى شجرة ظليلة ملتفة الأغصان ، في
مرج حسن كثير الشقائق ، وكان معجباً بها ، وإليه أضيفت « شقائق النعمان »
فزل وأمر بالطعام والشراب فأحضر ، وجلس للذقة ، فقال له عدى بن زيد
العبادي وكان كاتبه : أتعرف أبيت اللعن ما تقول هذه الشجرة ؟ فقال : وما
تقول ؟ قال : تقول : —

رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْخَرَّ بِالْمَاءِ الزَّلَالِ

عَطَفَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ فَتَوَّأُوا وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالٌ بَعْدَ عَالٍ ^(١)

مَنْ رَأَى فَلْيَتَوَطَّنْ نَفْسَهُ إِنَّمَا الدُّنْيَا عَلَى قَرَبٍ زَوَالٍ ^(٢)

كأنه قصد موعظته ، فتخص عليه ما كان فيه ، وأمر بالطعام والشراب
فرفعا من بين يديه ، وارتحل من فوره ، ولم ينتفع بنفسه بقية يومه وليته ،
وكانا جميعاً ^(٣) نصرانيين . فهذا شأن الملوك قديماً وحديثاً .
ومن هذه الجهة أكثر الناس من الدعاء لهم بطول العمر ، حتى بلغوا بهم
ما لا يمكن ، فقالوا : عش أبداً ، واسلم مدى الدهر ، وابق بقاء الزمان ، ودم
مدة الأيام ،

(١) يروي صدره * عصف الدهر بهم فافقرضوا * وفي التونسية *

عكف الدهر عليهم فتووا * وفي المصرتين * ... فتووا * بالثلاثة

(٢) في المصرتين « فرط زوال » وفي التونسية « قرنى زوال » ولكن

المعروف في الرواية « قرب زوال » كما أثبتناه ، وروى أيضاً « قرن زوال »

(٣) يقول بعض الناس : إن النعمان كان إلى ذلك العهد وثقياً ، وإنه تنصر على

يدى عدى بن زيد بعد هذه الموعظة وأشابهها ويحكيون مع هذا قصصاً وروايات كثيرة

واعترض النقاد في ذلك واختلفوا بحسب ما يتحل كل واحد منهم في قول أبي نواس للأمين : —

يَا آمِينَ اللَّهُ عِشْ أَبَدًا دُمَ عَلَى الْإِيَّامِ وَالزَّمَنِ
أَنْتَ تَبْقَى وَالْفَنَاءُ لَنَا فَإِذَا أَفْتِنَا فَكُنْ

وفي كثير من مثله . وإذا خرج الكلام عن حد الامكان فانما يراد به بلوغ الغاية لا غير ذلك .

ومن قبيل ما وقع لأبي نواس الذي أساء فيه أدبه ، وخالف فيه مذهبه ؛ أن بعض بني برمك بنى داراً استفرغ فيها مجهوده ، وانتقل إليها ، فصنع أبو نواس في ذلك الحين أو قريباً منه قصيدة يمدحها بها يقول أولها : —
أربعَ الليالي ، إن الخشوعَ لبَادٍ عَلَيْكَ ، وإنني لم أَخْجَ ودادي
وختمها أو كاد بقوله : —

سلامٌ على الدنيا إذا ما فقدتُم بني برمكٍ من رانحين وغادى
قطير منها البرمكى ، واشماز حتى كَلَجَ وظهرت الوجمة عليه ، ثم قال :
نعتت إلينا أنفسنا يا أبا نواس ، فما كانت إلا مديدة حتى أوقع بهم الرشيد
وصحت الطيرة . . وزعم قوم أن أبا نواس قصد التشاؤم لهم لشيء كان في
نفسه من جعفر ، ولا أظن ذلك صحيحاً ؛ لأن هذه القصيدة من جيد شعره
الذي لأشك أنه يحتفل له ، اللهم إلا أن يصنع ذلك حيلة منه ، وستر على
ما قصد إليه بذلك .

وللشعراء مذاهب في افتتاح القصائد بالنسيب ؛ لما فيه من عطف القلوب ،
واستدعاء القبول بحسب ما في الطباع من حب الغزل ، والميل إلى اللهو والنساء ،
وإن ذلك استدراج إلى ما بعده . . ومقاصد الناس تختلف : فطريق أهل البادية
ذكر الرحيل والانتقال ، وتوقع البين ، والاشفاق منه ، وصفة الطلول والحوول
والتشوق بحنين الابل ولعج البروق ومر النسيم ، وذكر المياه التي يلتقون عليها
والرياض التي يحلون بها من خزامى ، وأقحوان ، وبهار ، وحوة ، وطيان ،

وعرار ، وما أشبهها من زهر البرية الذي تعرفه العرب ، وتنبته الصحارى والجبال ، وما يلوح لهم من النيران في الناحية التي بها أحبابهم ، ولا يمدون النساء إذا تغزلوا ونسبوا ، فإن وقع مثل قول طرفة : —

وفي الحى أحوى ينفض المردشادئ مظاهر سيطاً لؤلؤ وزبرجد
فإنما هو كناية بالغزل عن المرأة . . وأهل الحاضرة يأتى أكثر تغزلهم في ذكر الصدود ، والمهجران ، والواشين ، والرقباء ، ومنعة الحرس والأبواب ، وفي ذكر الشراب والندامى ، والورد والنسرين والنيلوفر ، وما شاكل ذلك من النواير البلدية ، والرياحين البستانية ، وفي تشبيه التفاح والتحية به ، ودس الكتب ، وما شاكل ذلك مما هم به منفردون . . وقد ذكروا الغلمان تصريحاً ، ويذكرون النساء أيضاً : منهم من سلك في ذلك مسلك الشعراء اقتداء بهم ، واتباعاً لما ألفته طباع الناس معهم ، كما يذكر أحدهم الابل ، ويصف المفاوز على العادة المعتادة ، ولعله لم يركب جملاً قط ، ولا رأى ما وراء الجبابة ، ومنهم من يكون قوله في النساء اعتقاداً منه ، وإن ذكر تجريباً على عادة المحدثين ، وسلوكاً لطريقهم ؛ لئلا يخرج عن سلك أصحابه ، ويدخل في غير سلكه وبابه ، أو كناية بالشخص عن الشخص لرقته ، أو حب رشاقتة . . وهذا مما لا يطلب عليه شاهد لكثرتة ، إلا أنى أتلف في هذا المكان بقول أبى نواس : —
على عين وأذن من مذكرة موصولة بهوى اللوطى والغزل
كلاهما نحوها سام بهمته على اختلافهما في موضع العمل
والعادة أن يذكر الشاعر ما قطع من المفاوز ، وما أنفض من الركائب ، وما تجشتم من هول الليل وسره ، وطول النهار وهجيرته ، وقلة الماء وغوره ، ثم يخرج إلى مدح المقصود ، ليوجب عليه حق القصد ، وذمام القاصد ، ويستحق منه المكافأة .

وكانوا قديماً أصحاب خيام : ينتقلون من موضع إلى آخر ؛ فلذلك أول ما تبدأ أشعارهم بذكر الديار ، فلك ديارهم ، وليست كأبنية الحاضرة ،

فلا معنى لذكر الحضرى الديار إلا مجازاً ؛ لأن الحاضرة لا تنفسها الرياح ، ولا يمحوها المطر ، إلا أن يكون ذلك بعد زمان طويل لا يمكن أن يعيشه أحد من أهل الجبل ، وأحسن ما استعمله المولدون المحدثون ما ناسب قول على بن العباس الرومى : —

سَقَى اللهُ قَصْرًا بِالرَّصَافَةِ شَاقِنِي بِأَعْلَاهُ قَصْرِي الدَّلَالِ رَصَافِي (١)
أَشَارِيهِ تُبَيِّنُ مِنَ الدَّرَقَمَعَتِ يَوَاقِيتَ مُخَرَّجًا فَاسْتَبَاحَ عَقَافِي
وكانت دواهم الابل لكثرتها ، وعدم غيرها ، ولصبرها على التعب وقلة الماء والعلف ، فلهذا أيضا خصوها بالذكر دون غيرها ، ولم يكن أحدهم يرضى بالكذب فيصف ما ليس عنده كما يفعل المحدثون ؛ ألا ترى أن أمراً القيس لما كان ملكاً كيف ذكر خيل البريد والفراق - يعنى البريد - على أنه لم يستغن عن ذكر الابل للعادة التى جرت على ألسنتهم ، فقال يصف رحيله إلى قيصر ملك الروم : —

إِذَا قُلْتُ رَوْحُنَا أَرْنُ فُرَاتِي عَلَى جِلْعَدٍ وَاهِي الْأَبْجَلِ أَبْتَرَا (٢)
عَلَى كُلِّ مَقْصُوصٍ الذُّنْبُ تَأْتِي مَعَاوِدِ بَرِيدِ السَّرَى بِاللَّيْلِ مِنْ خَيْلِ بَرِّ بَرَا (٣)
إِذَا زُعْتُهُ مِنْ جَانِبَيْهِ كَلَيْهِمَا مَشَى الْهَيْدُ تَنِي فِي دَقِّهِ ثُمَّ فَرَّ فَرَا (٤)

(١) هكذا فى التونسية ، وفى المصريتين «قصرى الديار»

(٢) روحنا : أرحنا من تعب السير . أرن : أعلن بالصياح . فرائق - بوزان علابط - الأسد ، وهو معرب ، قاله الوزير أبو بكر . جلعدي : غليظ قوى . الأبطال : جمع أبجل ، وهو عرق الأكلع . أبتر : محذوف الذنب ، وكذلك خيل البريد

(٣) الذنابى : الذنب ، وخيل البريد من علاماتها حذف أذناها كما قلنا ، وبريد السرى : معمول للمعاود فهى بالنصب ، وذكر أبو بكر فيه رواية بالجر ، على أنه نعت لما قبله . وخص خيل بربر لأنها عندهم أصلب الخيل ، قال أبو بكر : وبربر : قبيلة (٤) زعته : جذبته بالاجام وفى المصريتين «زعته» بالهمزة ، وهو تحريف ، والهيدى - بالذال المهملة وبالذال المعجمة - من الاهذاب وهو سرعة السير

أَقْبُ كسرحان الغضا مُتمطرٍ ترى الماء من أعطافه قد تحدر (١)
 به وكانت الخيل البربرية تهلب أذنانها كالبالغال لتدخل مداخلها في خدمة
 البريد ، وليعلم أنها للملك .. وقال الفرزدق : —

راحت بمسلة البغال عشيّة فارّعتي فزاره لا هنّاك المرتع
 لما كان الذي راحت به البغال أميراً يذكر رحيله وقد عزل .. وقال ابن
 ميادة في ابن هبيرة لما كان أميراً أيضاً : —

جامت به مُعتجراً يُرّده سفواءُ تردى بنسيجٍ وحده
 قدحُ قيسٍ كلها بزندِه

إلا أن منهم من خالف هذا كله فوصف أنه قصد الممدوح راجلاً : إما
 إخباراً بالصدق ، وإما تعاطيً صلحاً ورجلة .. قال أبو نواس للفضل بن
 يحيى بن خالد : —

إليك أبا العباس من بين من مشى عليها امتطينا الحضرميّ المسّتا
 قلائصُ لم تعرف حيناً على طلاً (٢) ولم تدر ما قرعُ الفتيق ولا الهنا
 فذكر أن قلائصهم التي امتطوها إليه نعالهم ، فأخرجه كما ترى مخرج
 اللفز ، وأتبعه أبو الطيب فقال : —

لا ناقتي تحمل الرديف ولا بالسوط يوم الرّهان أجهدّها
 شراكها كورّها ، ومثقرّها زمامها ، والشسوع مقودّها
 وقال كرامة أخرى في مثل ذلك يتشكّى : —

ورواه ابن دريد « المربني » وهو مشى في تبختر ، والدف : الجنب ، وفرفر :
 تقض رأسه ، ومنهم من يرويه « قرقر » بقافين

(١) أقب : ضامر . السرحان : الدّب ، والغضا : شجر ، وذئابة أخبث الدّئاب .

متمطر : سباق ، الماء : أراد به العرق ، وكنى بذلك عن أنه يجبهه

(٢) في الديوان لم تسقط جنيثنا من الوحي والمحفوظ * لم تعرف حيناً إلى طلا

وَحُبِيتُ مِنْ خَوْصِ الرِّكَابِ بِأَسْوَدَ مِنْ دَارِشٍ فَقَدَوْتُ أَمْشِي رَاكِبًا^(١)
وقال أيضاً يتصعلك ويتفقر :-

وَمَهْمَةٌ جَبَّتْهُ عَلَى قَدَمِي فَعَجَزُ عَنْهُ الرَّمَامِسُ الدَّالُّ
بِصَارِمِي مُرْتَدٍّ بِمَخْبَرَتِي مُجْتَزِيٌّ بِالْقَلَامِ مُشْتَلٍ^(٢)

ولو شاء قائل أن يقول : إن أبا نواس لم يرد مذهب إليه أبو الطيب ، لكن أراد أنه معه في بلدة واحدة قصده في حاجته محتذياً تعليقه ؛ لكان ذلك أظهر وجهاً ، مالم يكن الحضرمي^٤ من الجلود مخصوصاً به المسافرين الحاضر ، وظاهر الكلام أن مقصد الشاعرين واحد .

وقد ذكر أبو الطيب الخيل أيضاً في كثير من شعره ، وكان يؤثرها على الابل ؛ لما يقوم في نفسه من التيب بذكر الخيل ، وتعاطى الشجاعة ، فقال^(٣) يذ كر قدومه إلى مصر على خوف من سيف الدولة :-

وَيَوْمَ كَلِيلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ أَرَأَيْتَ فِيهِ الشَّمْسُ أَيْانَ تَقَرُّبُ
وَعَيْنِي إِلَى أَذَى أَغْرَّ كَأَنَّهُ مِنَ اللَّيْلِ بَاقِي بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوَكَبُ
لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِي إِهَابِهِ تَجِيهِ عَلَى صَدْرِ رَحِيْبٍ وَتَدَهَبُ

(١) البيت من قصيدة له يمدح فيها علي بن منصور الحاجب (ج ١ ص ٨٨) والخص : جمع خوصاء ، وهي الناقة الغائرة العينين من الاعياء . والركاب : الابل والدارش : ضرب من السختيان ، وهو جلد أسود . يقول : أعطيت بدلامن النياق الخوص جلداً أسود - وهو الخف - فأنا راكب ماش .

(٢) البيتان من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار (ج ٢ ص ١٥٠) والمهمة : التلافة . جبته : قطعته وسرته فيه . الرامس : النوق الصلاب الشديدة . الدال : المذلة بالعمل «بصارى مرتد» مبتدأ مؤخر وخبر مقدم «بمخبرتي مجترى» : مثله أيضاً ، والمخبرة - بلغاء معجزة - المعرفة . يقول : قد قطعت هذا المكان القفر وأنا منتقلد سيفي مكتف بعلمي وخبرتي فلم أحتج إلى دليل

(٣) انظر الديوان (ج ١ ص ١٢٤)

شَقَّقْتُ بِهِ الظَّلْمَاءَ اِذْنِي عِنَانَهُ فَيَطْنِي ، وَأَرْجِيهِ مِرَاراً فَيَلْبَسُ
وَأَصْرَعُ أَى الْوَحْشِ قَتِيئُهُ بِهِ وَأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ
وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلُهُ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مَنْ لَا يُجْرِبُ
إِذَا لَمْ تَشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شَيْئِهَا وَأَعْضَائُهَا فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُغِيبُ
وليس في زماننا هذا ولا من شرط بلدنا خاصة شيء من هذا كله ، إلا
ما [لا] يعد قلةً ، فالواجب اجتنابه ، إلا ما كان حقيقة ، لاسيما إذا كان
المادح من سكان بلد الممدوح : يراه في أكثر أوقاته ، فما أقبح ذكر الناقه
والغلاة حينئذ . .

وقد قلت أنا وإن لم أدخل في جملة من تقدم ، ولا بلغت خطته - من
قصيدة اعتذرت بها إلى مولانا خلد الله أيامه من طول غيبة غبتنا عن الديوان -
إِلَيْكَ يُخَاضُ الْبَحْرُ قَعْمًا كَأَنَّهُ بِأَمَاجِيهِ جِيْشٌ إِلَى الْبِرْزَاخِ
وَيَعِثُ خَلْفَ النَّجْعِ كُلِّ مَنِيْفَةٍ تَرِيكَ يَدَاهَا كَيْفَ تَطْوِي التَّنَائِفُ
مِنَ الْمَوْجِفَاتِ الْكَلَاءُ يَقْذِفْنَ بِالْحَصَى وَيُرْمِي بَيْنَ الْمُهْمَةِ الْمُتَقَاذِفُ
يَطِيرُ الْغَامُ الْجَعْدُ عَنْهَا كَأَنَّهُ مِنَ الْقَطَنِ أَوْ تَلَجَ الشَّوَاءُ نَدَائِفُ (١)
وَقَدْ نَازَعْتَ فَضْلَ الزَّمَامِ ابْنَ نَكْبَةٍ هُوَ السَّيْفُ لَا مَا أَخْلَصْتَهُ الْمَشَارِفُ
فَكَيْفَ تَرَانِي لَوْ أَعْنَتُ عَلَى الْغَنَى بِجَدَّةٍ ، وَإِنِّي لِلْغَنَى لِمُشَارِفُ
وَقَدْ قَرَّبَ اللَّهُ الْمَسَافَةَ بَيْنَنَا وَأَنْجِزِي الْوَعْدَ الزَّمَامُ الْمَسَاوِفُ
وَلَوْلَا شِقَايَ لَمْ أَغِبْ عَنْكَ سَاعَةً وَلَا رَامَ صَرَفِي عَنْ جَنَابِكَ صَارِفُ
وَلَكِنِّي أَخْطَأْتُ رُشْدِي فَلَمْ أَصِبْ وَقَدْ يَخْطِئُ الْمُرْشِدُ الْغَنَى وَهُوَ عَارِفُ
فَذَكَرْتُ قَرَبَ الْمَسَافَةِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ حَوَاطَةَ وَإِخْبَاراً أَنَّ خَوْضَ الْبَحْرِ وَجُوبُ

(١) الغمام : الزيد الذي يخرج من الجمل من فمه ، وقد لغم من باب منع . والندائف
جمع نديفة ، وهي القطعة من القطن تضرب بالمندف وهي الخشبة التي يضرب بها
الوتر ليريق القطن

الفلاة من صفة غيرى من القصاد والغرباء والمتجعين من الأمصار .
ومن قصيدة صنعتها بديهة بالمدينة ساعة وصولي إليه — أدام الله عزه —
عن اقتراح بعض شعراء وقتنا هذا : —

وذيال له رجل طحون لما نزلت به ، ويد زجوج
يطير بأربع لا عيب فيها لظهران الصفا منها عجيج
خرجت به عن الأوهام سبقاً وقل له عن الوهم الخروج
إلى الملك المعز أبى تميم أمر بمن سواء فلا أعيج

ومن أخرى فى معنى التفقر والرحلة : —

وما بعيد النور كالنجم فى الدجى وردت طروقاً أو ردت مهجراً (١)
على قدم أخت الجناح وأخص يخال حصى المعزاء جراً مسعراً
فريداً من الأصحاب صلتاً من الكسا كما أسلم الغمد الحسام المذكر

ومن الشعراء من لا يجعل لكلامه بسطاً من النسيب ، بل يهجم على ما يريده
مكافحة ، ويتناوله مصافحة ، وذلك عندهم هو : الوئب ، والبتر ، والقطع ،
والكسع ، والاقتصاب . كل ذلك يقال .. والقصيدة إذا كانت على تلك
الحال بترء كالخطبة البترء والقطعاء ، وهى التى لا يبتدأ فيها بحمد الله عز وجل
على عادتهم فى الخطب . قال أبو الطيب : —

إذا كان مذح فالنسيب المقدم أكل فصيح قل شيراً متيم ؟
فأنكر النسيب ، وزعموا أن أول من فتح هذا الباب وفق هذا المعنى أبو نواس
بقوله : —

لا تبك لىلى ، ولا تطرب إلى هند واشرب على الرود من حمراء كالورد

(١) الطرق — بفتح فسكون — ومثله الطروق — بضم الطاء والراء جيماً —
الاثنيان باليل ، والطروق — بفتح الطاء — الوصف منه . ومهجراً : اسم فاعل من
هجر ، إذا أتى وقت الهجرة

وقوله وهو عند الحاتمي فيما روى عن بعض أشياخه أفضل ابتداء صنعه شاعر من القدماء والمحدثين — :

صِفَةُ الطُّلُولِ بِلاغةُ القُدَمِ فَاجْعَلْ صِفَاتِكَ لِابْنَةِ الْكَرَمِ
ولما سجنه الخليفة على اشتهاره بالخر ، وأخذ عليه أن لا يذكرها في شعره قال : —

أَمْرٌ شِعْرَكَ الْأَطْلَالُ وَالْمَنْزِلُ الْقَفْرُ قَدْ طَالَمَا أُرْدَى بِهِ نَعْتُكَ الْخَمْرُ
دَعَانِي إِلَى نَعْتِ الطُّلُولِ مُسَلِّطُ تَضْيِيقُ ذِرَاعِي أَنْ أُرْدَ لَهُ أَمْرًا
فَسَمِعًا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَطَاعَةً وَإِنْ كُنْتُ قَدْ جَشَمْتُ مَرَكِبًا وَعَرًّا
لجأه بأن وصفه الاطلال والقفر إنما هو من خشية الامام ، وإلا فهو عنده فراغ وجهل ، وكان شعوبى اللسان ، فما أدري ما وراء ذلك ، وإن في اللسان وكثرة ولوعه بالشئ لشاهد أعد لا ترد شهادته . . . وقد قال أبو تمام :

لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ الْقُوَادِ * (١)

ومن عيوب هذا الباب أن يكون النسيب كثيراً والمدح قليلا ، كما يصنع بعض أهل زماننا هذا ، وسنبين وجه الحكم والصواب من هذا في باب المدح إن شاء الله تعالى . .

ومن الشعراء من لا يجيد الابتداء ، ولا يتكلف له ، ثم يجيد باقي القصيدة وأكثرهم فعلا لذلك البحري : كان يصنع الابتداء سهلا ، ويأتي به عفوا ، وكلما تبادى قوى كلامه ، وله من جيد الابتداءات كثير ؛ لكثرة شعره ، والغالب عليه ما قدمت ، غير أن القاضى الجرجاني فضله بمجودة الاستهلال ، وهو الابتداء ، على أن تمام وأبي الطيب ، وفضلهما عليه بالخروج والخاتمة ، ولست أرى لذلك وجهاً ، إلا كثرة شعره كما قدمت ؛ فانه لو حاسبهما ابتداء

(١) هذا مجزئ بيت من قصيدته يمدح فيها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد ، وصدره * وما كانت الحكماء قالت * انظر الديوان (ص ٨٠)

جيداً بابتداء ما لأرني عليهما وقصراً عن عذره . . فأما الخاتمي فانه يفض من
أبي عبادة غصاً شديداً ، ويجور عليه جوراً يئناً لا يقبل منه ولا يسلم إليه . .
وكان أبو تمام غم الابتداء ، له روعة ، وعليه أهبة ، كقوله : —

الْحَقُّ أَبْلَجُ وَالسَّيْفُ حَوَارٍ كُفْذَارٍ مِنْ أَسَدِ الْعَرِينِ حَذَارٍ
وقوله : —

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْخَذُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَالْعَبِ
وقوله : —

أَصْفَى إِلَى الْبَيْنِ مُفْتَرّاً فَلَا جَرَمَ (١) :

وقوله : —

يَارَبِّعُ لَوْ رَبُّوا عَلَى ابْنِ مُهُومٍ (٢)

والغالب عليه نحت اللفظ ، وجهارة الابتداء . . وكان أبو القاسم الحسن
ابن بشر الأمدى يفضل ابتداءات البحترى جداً ، وهو الذي وضع كتاب الموازنة
والترجيح بين الطائيين ، ونوه فيه بالبحترى أعظم تنويه . . ومن جيد
ابتداءاته قوله : —

عَارِضُنَا أَصْلاً قَلْنَا الرِّبُّ حَقُّ أَضَاءِ الْاْفْعُرَانِ الْأَشْنُبُ
وقوله : —

مَا عَلَى الرَّكْبِ مِنْ وَقُوفٍ الرَّكَّابِ فِي مَغَانِي الْعَبَا وَرَحْمَةِ النَّصَابِي ؟
وقوله : —

صَمْنٌ عَلَى عَيْنَيْكَ أَنِي لَا أَسْأَلُ (٣)

(١) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها إسحق بن إبراهيم المصمعي ، وعجزه * إن

النوى أسارت في عقله لما * انظر الديوان (ص ٣٠١)

(٢) وهذا صدر مطلع قصيدة له يمدح فيها اسحاق السابق ، وعجزه *

مستسلم لجوى الفراق سقيم * انظر (ص ٣٠٥)

(٣) هذا صدر مطلع قصيدته يمدح فيها الفتح بن خافان ، وعجزه * وأن

وقوله: —

تَرَى عِنْدَهُ عِلْمٌ يَسْجُورِي وَأَذْمِي وَأَنِّي مَتَى أَسْمَعُ يَذْكُرُهُ أَجْزَعُ
وأما الخروج فهو عندهم شبه بالاستطراد ، وليس به ؛ لأن الخروج إنما
هو أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيل ، ثم تهادى فيما خرجت
إليه .. كقول حبيب في المدح : —

صَبَّ الْفِرَاقُ عَلَيْنَا صَبًّا مِنْ كَثَبٍ عَلَيْهِ إِسْحَاقُ يَوْمَ الرُّوعِ مُنْتَقِمًا
سَيْفُ الْأَمَامِ الَّذِي سَمَّاهُ هَيْبَتَهُ لَمَّا تَحَرَّمَ أَهْلُ الْأَرْضِ مُحْتَرِمًا (١)
ثم تهادى في المدح إلى آخر القصيدة .. وكقول أبي عبادَةَ البَحْتَرِيِّ : —

سُقِيَتِ رَبَّكَ بِكُلِّ نَوْءٍ عَاجِلٍ مِنْ وَبَلِهِ حَقًّا لَهَا مَعْلُومًا
وَلَوْ أَنِّي أُعْطِيتُ فِيهِ مِنَ الْمَنَى لَسَقَيْتُهُنَّ بِكَفِّ إِبْرَاهِيمَا (٢)
وأكثر الناس استعمالا لهذا الفن أبو الطيب ؛ فانه ما يكاد يفلت له ، ولا
يشذ عنه ، حتى ربما قبح سقوطه فيه ، نحو قوله : —

هَافًا أَنْظِرِي أَوْ قَطِّلِي يَ تَرَى حُرْقًا مَنْ لَمْ يَذُقْ طَرَفًا مِنْهَا قَهْدًا وَلَا
عَلَّ الْأَمِيرُ يَرَى ذَلِكَ فَيَسْتَفْعَلِي إِلَى التِّي تَرَكَتْنِي فِي الْهُوَى مَثَلًا (٣)
فقد تمنى أن يكون له الأمير قوادًا ، وليس هذا من قول أبي نواس : —
سَأَشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ هَوَانًا لَعَلَّ الْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا

فَوَادِي مِنْ جَوِي بَلَا يَجْلُو * وانظر ديوانه (ج ١ ص ٣٧ طبع الجوائب)

(١) في الديوان (ص ٣٠٢) * سمته همتة تحرم أهل الشرك *

(٢) البيتان من قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل ، انظر الديوان

(ج ١ ص ١٨٦)

(٣) ثلاثة الأبيات من كلمة له يمدح فيها سعيد بن عبد الله بن الحسن السكلابي

النبجي ، وهي مما قاله في صباه (انظر الديوان : ج ٢ ص ١٣٣) وها : حرف دال

على التنبيه . ووال نجا

في شيء، لأن أبا نواس قال « يجمع بيننا » ثم أتبع ذلك ذكر المال والسخاء به ، فقال : —

أَمِيرٌ رَأَيْتُ الْمَالَ فِي نَعْمَائِهِ مَهِينًا ذَلِيلَ النَّفْسِ بِالضَّعِيفِ مُوقِنًا
فَكَأَنَّهُ أَشَارَ إِلَى أَنْ جُمِعَ بَيْنَهُمَا بِالْمَالِ خَاصَةً : يُفْضَلُ عَلَيْهِ ، وَيَجْزَلُ
عَطِيَّتُهُ ، فَيَتَزَوَّجُهَا أَوْ يَتَسَرَّى بِهَا ، وَأَبُو الطَّيِّبِ قَالَ « يَشْفَعُ » وَالشَّفَاعَةُ
رَغْبَةٌ وَسُؤَالٌ ، ثُمَّ أَتْبَعَ يَتَهُ بِمَا هُوَ مُقَوِّمٌ لِعَنَاهُ فِي الْقِيَادَةِ فَقَالَ : —

أَيَقَنْتُ أَنْ سَمِيداً طَالِبٌ بِدَمِي لَمَّا بَصُرْتُ بِهِ بِالرُّمَحِ مُسْتَقِلًا
فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَشْفَعُ ، فَانْأَجِبْ إِلَى مُسَاعَدَةِ أَبِي الطَّيِّبِ فَذَلِكَ ، وَالْإِلَاحُ
إِلَى الْقَهْرِ . . . وَالَّذِي يَشَاكُلُ قَوْلَ أَبِي نَوَاسٍ قَوْلُهُ : —

أَحِبُّ الْتِي فِي الْبَدَنِ مِنْهَا مَشَابَهُ وَأَشْكُو إِلَى مَنْ لَا يَصَابُ لَهُ شَكْلٌ (١)
فَلَفْظَةُ « الشَّكْوَى » تَحْمِلُ عَنْهُ كَمَا حَمَلَتْ عَنْ أَبِي نَوَاسٍ . وَعَمَّا سَقَطَ
فِيهِ - وَإِنْ كَانَ مَلِيحَ الظَّاهِرِ - قَوْلُهُ يَخَاطَبُ امْرَأَةً نَسَبَ بِهَا : —

لَوْ أَنَّ فَنَّا خُسْرَ صَبَحَكُمْ وَبَرَزْتَ وَحَدَكِ هَاقَةُ الْقَزَلِ (٢)
وَتَفَرَّقَتْ عَنْهُ كَتَائِبُهُ إِنَّ الْمِلَاحَ خَوَادِعُ قَتْلُ (٣)
مَا كُنْتَ قَاعِلَةً وَضَيْقُكُمْ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَشَأْنُكَ الْبَحْلُ
أُنْمَتَيْنِ قِرَى فَتَفْتَضِحِي أَمْ تَبْذِلِينَ لَهُ الَّذِي يَسَلُ

(١) البيت من قصيدة له يمدح فيها شجاع بن محمد الطائي المنبجي (انظر

الديوان : ج ٢ ص ١٣٣)

(٢) هذه الأبيات من قصيدة له يمدح بها عضد الدولة ، وذكر وقعة وهوذان

بالطرم ، وكان ركن الدولة أبو عضد الدولة قد أُنْزِلَ إليه جيشا من الرى فجزمه وأخذ بلده

(انظر الديوان : ج ٢ ص ٢١٣ وما بعدها)

(٣) في الديوان * وتفرقت عنكم كتائبه *

بَلْ لَا يَجْلُ بِحَيْثُ حَلٍّ يُوْجَدُ بُلْ وَلَا جَوْرٌ وَلَا وَجْلٌ
 فحتم على فنا خسرو بأن الغزل يعوقه ، وأن كئيبه تنفر عنه ، وجعله
 يسأل هذه المرأة ، وتشكك هل تمنعه أم تبذل له ، ثم أوجب أن البخل
 لا يجل بحيث حل ؛ فأوقعه تحت الزنى أو قارب ذلك ، ولعل هذا كان
 اقتراحاً من فنا خسرو ؛ والا فإيجب أن يقابل من هو ملك الملوك بمثل هذا ،
 وما أسرع ما انحط أبو الطيب : بينا هو يسأل الأمير أن يشفع له إلى عشيقته
 صار يشفع للأمير عندها ..

والاستطراد : أن يبنى الشاعر كلاماً كثيراً على لفظة من غير ذلك بالنوع ،
 يقطع عليها الكلام ، وهي مراده دون جميع ما تقدم ، ويعود إلى كلامه
 الأول ، وكأما عثر بتلك اللفظة عن غير قصد ولا اعتقادية ، وجل ما يأتي
 تشبيهاً ، وسيرد عليك في باب مبيناً إن شاء الله تعالى ..

ومن الناس من يسمى الخروج تخلصاً وتوسلاً ، وينشدون أياتاً منها : —
 إِذَا مَا اتَّقَى اللَّهَ اتَّقَى وَأَطَاعَهُ فَلَيْسَ بِهِ بَأْسٌ وَلَوْ كَانَ مِنْ جَرَمٍ
 وَلَوْ أَنَّ جَرَمًا أَطْعِمُوا شَحْمَ جَفَرَةٍ لَبَاتُوا بِطَانًا يُضْرَطُونَ مِنَ الشَّحْمِ
 وأولى الشعر بأن يسمى تخلصاً ما تخلص فيه الشاعر من معنى إلى معنى ،
 ثم عاد إلى الأول وأخذ في غيره ، ثم رجع إلى ما كان فيه . كقول النابغة
 الذي يأتي آخر قصيدة اعتذر بها إلى النعمان ابن المنذر : —

وكفكفتُ منى عبرةً فرددتها إلى النحر منها مُسْتَهْلٌ وداعم (١)
 عَلَى حِينِ مَا تَبَتُّ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبَا وَقُلْتُ أَلَا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعٌ ۝ ١١٩
 ثم تخلص إلى الاعتذار فقال : —

وَلَكِنْ هَمًّا دُونَ ذَلِكَ شَاغِلٌ مَكَانَ الشَّغْفِ بَبَقْتِيهِ الْأَصَابِعُ (١)
وَعِيدٌ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوْاجِعُ (٢)
ثم وصف حاله عند ما سمع من ذلك فقال : —

فَبَيْتٌ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَبِيلَةً مِنَ الرُّقَشِ فِي أَنْبَابِهَا السُّمُّ فَاقْبَعْ
يُسْهَدُ فِي لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا لِحُلِيِّ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ (٣)
تَنَازَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ مَعْمَا تَعَلَّقَهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرَاوَجُ (٤)
فوصف الحية والسليم الذي شبه به نفسه ما شاء ، ثم تخلص إلى الاعتذار
الذي كان فيه فقال : —

أَتَانِي - أَبَيْتَ الْعَنَ - أَنْكَ لُمْتَنِي وَتِلْكَ الَّتِي كَسَتْكَ مِنْهَا الْمَسَامِعُ (٥)

(١) في الديوان * وقد حالهم دون ذلك والج... * والشغاف : حجاب
القلب ، أوجبته : بزة سحاب

(٢) في غير كُنْهِهِ : أى : في غير وقته . وراكس والضواجع : موضعان
(٣) في الديوان * يسهد من ليل التمام... * ويسهد : يمنع النوم .
وليل التمام - بكسر التاء - ليلال الشتاء الطوال . القعاقع : جمع قعقة ، وهو الصوت
والسليم : اللدغ ، سموه بذلك تفاؤلا له بالسلامة ، وكان من عادة العرب إذا لدغ
أحدهم غلقوا عليه حلى النساء . لسمع صوتها فلا ينام - ومن أمثالهم « السليم
لا ينام ولا ينيم »

(٤) يروى « .. من سوء سمعها » تناذرها الراقون : أنذروهم بعضها
بها . والراقون : جمع راق . وهو الذى يفعل الرقية ، وسوء سمعها : أى أنها لا تسمع
غلا تحيب إلى رقية الراق ، ومن روى « من سوء سمعها » فهو ظاهر المعنى
(٥) كسر التابعة هذا المعنى بهذه الألفاظ في كلمات من اعتذاراته : منها هذا
في هذه القصيدة ، ومنها قوله في أخرى : —

أَتَانِي - أَيْتَ الْعَنَ - أَنْكَ لُمْتَنِي وَتِلْكَ الَّتِي أَهْتَمَ مِنْهَا وَأَنْتَبِ
(١٤ م - العمدة - ج)

ويروى • وَخَبِرْتُ خَيْرَ النَّاسِ أَنَّكَ لَمْ تُشَقْ • ثم اطرده ما شاء من
تخلص إلى تخلص ، حتى انقضت القصيدة ، وهو مع ما أشرت إليه غير
خاف إن شاء الله تعالى .

وقد يقع من هذا النوع شيء يعترض في وسط النسيب من مدح من
يريد الشاعر مدحه بتلك القصيدة ، ثم يعود بعد ذلك إلى ما كان فيه من
النسيب ، ثم يرجع إلى المدح ، كما فعل أبو تمام وإن أتى بمدحه الذي تبادى
فيه منقطعا ، وذلك قوله في وسط النسيب من قصيدته المشهورة : —

ظَلَمْتُكَ ظَالِمَةُ الْبَرَى ظَلُومٌ وَالظُّلْمُ مِنْ ذِي قُدْرَةٍ مَذْمُومٌ
زَعَمْتُ هَوَاكَ عَمَّا الْقَدَاةُ كَاغَفْتُ مِنْهَا طُلُولٌ بِالْقَوَى وَرُسُومٌ
لَا ، وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى أَجَلَ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ (١)
مَا زِلْتُ عَنْ سَنَنِ الْوُدَادِ وَلَا غَفْتُ فَنَسِيَ عَلَى الْفَرَسِ سَوَاكَ تَحُومٌ
ثم قال بعد ذلك : —

لِخَمْدَةِ بْنِ الْهَيْثَمِ بْنِ شَبَابَةَ تَجَدُّ إِلَى جَنْبِ السَّمَاءِ مُنِيمٌ
ويسمى هذا النوع الالتمام .

وكانت العرب لا تذهب هذا المذهب في الخروج إلى المدح ، بل يقولون
عند فراغهم من نعت الابل وذكر القفار وما هم بسيله : « دع ذا » و « عد
عن ذا » و يأخذون فيما يريدون أو يأتون بأن المشددة ابتداء للكلام الذي
يقصدونه ، فإذا لم يكن خروج الشاعر إلى المدح متصلا بما قبله ولا منفصلا
بقوله « دع ذا » و « عد عن ذا » ونحو ذلك سمي طفرأ وانقطاعا . وكان
البحري كثيرا ما يأتي به ، نحو قوله : —

لَوْلَا الرَّجَاءُ لَمِثُّ مِنَ الْمَرْهُمِ الْهَوَى لَكِنْ قَلْبِي بِالرَّجَاءِ مُوَكَّلٌ

(١) يذكر علماء المعاني هذا البيت هكذا • لَا ، وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى • صبر

إِنَّ الرِّغْبَةَ لَمْ تَزَلْ فِي سَبِيلِ عُمَرِيَّةٍ مُذْ سَاسَهَا التَّوَكُّلُ
ولربما قالوا بعد صفة الناقة والمقازة « إلى فلان قصدت » و « حتى نزلت
بفناء فلان » وما شاكل ذلك .

وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة ، وآخر ما يبقى منها في الاسماع ، وسيله
أن يكون محكما : لا تمكن الزيادة عليه ، ولا يأتي بعده أحسن منه ، وإذا
كان أول الشعر مفتاحا له وجب أن يكون الآخر مُقْبِلًا عليه ، وقد أرقى
أبو الطيب على كل شاعر في جودة فصول هذا الباب الثلاثة ، إلا أنه ربما
عَقِدَ أوائل الأشعار نَفَقَةً بِنَفْسِهِ ، وإغراباً على الناس ، كقوله أول قصيدة : —
وَقَاوُكُمَا كَالرَّيْحِ أَشْجَاهُ طَاصِحَةٌ بِأَنْ تُسَمِّدَا وَاللِّدْمُ أَشْفَاهُ سَاجِدَةٌ (١)
فإن هذا يحتاج الأصمعي إلى أن يفسر معناه ، ويقع له في الخروج ما كان
تركه أولى به ، وأشعر له ، وإنما أدخله فيه حب الاغراب في باب التوليد ،
حتى جاء بالغث البارد ، والبشع المتكلف ، نحو قوله : —

أَحْبَبُكَ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ نَمَلٌ قَبِيرًا وَابْنُ إِبْرَاهِيمَ رِيحًا
فهذا من البشاعة والشناعة بحيث لا يتحى على أحد ، وما أظنه سرق هذا
المعنى الشريف إلا من كذبة كذبها أبو العباس الصيمري عن لسان رجل
زعم أنه قال : رأيت رجلا نام ويده غميرة (٢) فجره الفل ثلثة فراسخ ،
فقد جعل أبو الطيب مكان الرجل جبلا ، وإن أعلنا الاغراق في مراده
ولفظه . . وقال : —

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها سيف الدولة ، وهي أول ما أنشدته ،
وتقدمه مع شيء يسير من الخاتمة : وقاؤكما (والخطاب لعينيه) باسعادى مثل الزرع
أشدّه تهيبجا لأسمى ما كان طامحا — أى : طامس الآثار خافى المعالم — والدمع أشفاه
قلوب المعزّون ما كان مدرارا
(٢) غمرة — بفتح الغين للمعجفة وكسر الليم — أى : ذنبة من دسم اللحم ،
وقيل من باب فرج —

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَا سَرَجُ سَابِجٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ
وَبَحْرُ أَبُو الْمِسْكِ الْغَضَمُ الَّذِي لَهُ هَلْ كُلُّ بَحْرٍ زَخْرَةٌ وَعَبَابُ
يريد وخير بحر (١) أبو المسك ، وهذه غاية التصنع والتكلف .

ومن العرب من يحكم القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلقة ، وفيها رغبة
مشتية ، ويبقى الكلام مبتوراً كأنه لم يتعمد جعله خاتمة : كل ذلك رغبة
في أخذ العفو ، وإسقاط الكلفة ، ألا ترى معلقة امرئ القيس كيف
ختمها بقوله يصف السيل عن شدة المطر : —

كَانَ السَّبَاعَ فِيهِ غَرَقَ غَدِيَّةٌ بِأَرْجَائِهِ الْقُصُوفُ أَنْابِيشُ حُنُفٍ (٢)
فلم يجعل لها قاعدة كما فعل غيره من أصحاب المعلقات ، وهي أفضلها ..
وقد كره الخذاق من الشعراء ختم القصيدة بالدعاء ؛ لأنه من عمل أهل
الضعف ، إلا للملوك ؛ فانهم يشتهون ذلك كما قدمت ، ما لم يكن من جنس
قول أبي الطيب يذكر الخيل لسيف الدولة : —

فَلَا هَجَمَتْ بِهَا إِلَّا عَلَى نَفَرٍ وَلَا وَصَلَتْ بِهَا إِلَّا إِلَى أَمَلٍ
فإن هذا شيء ما ذكر عن بغيض : كان يصاح الأمير فيقول : لَا صَبَحَ
الله الأمير بعافية ، ويسكت ثم يقول : إِلَّا وَمَسَاهُ بِأَكْثَرِ مِنْهَا ، ويماسيه
فيقول : لَامَسَنِي اللهُ الأمير بنعمة ، ويسكت سكتة ثم يقول : إِلَّا وَصَبَحَهُ

(١) تقدير المؤلف لهذا البيت على أن قوله « وبحر » بالجر ، وهو عليه معطوف
على « جليس » في البيت الذي قبله ، ولكننا لا نوافق على ذلك ؛ وقد ضبطناه برفع
« بحر » على أنه خبر مقدم ، وقوله « أبو المسك » مبتدأ مؤخر ، و « الغضم »
صفة له . وهذا قول شراحه المتقدمين ، وزخرة : امتداد ماء وكثرته ، وعباب :
كثرة موج

(٢) يروي * * * * * غرقى عشية * والأنايش جماعات من المنصل
يجمعها الصبيان ويقال : الأنايش العروق سميت بذلك لأنها تنبش أي تخرج من تحت
الأرض ، والمنصل — بوزن قنفذ وجندب — يصل يرى يعمل منه خل شديد الحوضنة

بأنهم منها ، أو نحو هذا ، فلا يدعو له حتى يدعو عليه ؛ ومثل هذا قبيح ،
لا سيما عن مثل أبي الطيب ..

(٣١) — باب البلاغة

تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم : « كم دون لسانك من حجاب ؟ » فقال : شفتاي ، وأسنانى ، فقال
له : « إن الله يكره الانبعاث فى الكلام ، فنَضَّرَ الله وجهه رجل أوجز فى كلامه
واقصر على حاجته » .

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم : فيم الجمال ؟ فقال : « فى اللسان »
يريد البيان .

وقال أصحاب المنطق : حد الانسان : الحى الناطق ؛ فمن كان فى المنطق
أعلى رتبة كان بالانسانية أولى .

وقالوا : الروح عماد الجسم ، والعلم عماد الروح ، والبيان عماد العلم .

وسئل بعض البلغاء : ما البلاغة ؟ فقال : قليل يفهم ، وكثير لا يسأم .

وقال آخر : البلاغة إجاعة اللفظ ، وإشباع المعنى .

وسئل آخر فقال : معان كثيرة ، فى ألفاظ قليلة .

وقيل لأحمد : ما البلاغة ؟ فقال : إصابة المعنى وحسن الإيجاز .

وسئل بعض الأعراب : من أبلغ الناس ؟ فقال : أسهلهم لفظاً ، وأحسنهم

بديهة ..

وسأل الحجاج ابن القبيصى : ما أوجز الكلام ؟ فقال : ألا تبطل ، ولا
تخطئ ، وكذلك قال صحرار^(١) العبدى لمعاوية بن أبى سفيان .

وقال خلف الأحمر : البلاغة لغة دالة .

(١) صحرار — بضم الصاد المهملة وتخفيف الحاء — رجل من عبد القيس ، وفى

التونسية « صحرار » بالسين ، وليس بشيء

وقال الخليل بن أحمد : البلاغة كلمة تكشف عن البقية .

وقال المفضل الضبي : قلت لأعرابي : ما البلاغة عندكم ؟ فقال : الایجاز من غير عجز ، والاطناب من غير خطل

وكتب جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي إلى عمرو بن مسعدة : إذا كان الاكثر أبلغ كان الایجاز تقصيراً ، وإذا كان الایجاز كافياً كان الاكثر عيأ .

وأشد المبرد في صفة خطيب : —

طَبِيبٌ يَدَّاءُ فُتُونِ الْكَلَا لَمْ يَتَّيْ يَوْمًا وَلَمْ يَهْذِرْ
فَإِنْ هُوَ أَطْنَبَ فِي خُطْبَةٍ فَضَى لِلْعُطِيلِ عَلَى الْمُنْزِرِ
وَإِنْ هُوَ أَوْجَزَ فِي خُطْبَةٍ فَضَى لِلْقَلِّ عَلَى الْمَكْثِرِ

قال أبو الحسن علي بن عيسى الرماني : أصل البلاغة الطبع ، ولها مع ذلك آلات تعين عليها ، وتوصل للقوة فيها ، وتكون ميزاناً لها ، وفاصلة بينها وبين غيرها ، وهي ثمانية أضرب : الایجاز ، والاستعارة ، والتشبيه ، والبيان ، والنظم ، والتصرف ، والمشاكلة ، والمثل ، وسيرد كل واحد منها بمكانه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وقال معاوية لعمرو بن العاص : من أبلغ الناس ؟ فقال : من اقتصر على الایجاز ، وتكَبَّ الفضول .

وسئل ابن المقفع : ما البلاغة ؟ فقال : اسم لمعان تجرى في وجوه كثيرة : فنها ما يكون في السكوت ، ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الإشارة ، ومنها ما يكون شعراً ، ومنها ما يكون سجعاً ، ومنها ما يكون ابتداء ، ومنها ما يكون جواباً ، ومنها ما يكون في الحديث ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون خطباً ، ومنها ما يكون رسائل ؛ فعامة هذه الأبواب الوحى فيها والإشارة إلى المعنى ، والایجاز هو البلاغة .

قال صاحب الكتاب : فهذا ابن المقفع جعل من السكوت بلاغة رغبة في
الايجاز . . وقال بعض الكليين : —

وَأَعْلَمُ بِأَنَّ مِنَ السَّكُوتِ إِثَابَةً وَمِنَ التَّكَلُّمِ مَا يَكُونُ خَبَالًا
وقلت أنا في مثل ذلك : —

وَأُخْرِقَ أَكَالُ لَحْمٍ صَدِيقٍ وَلَيْسَ لِي جَارِي رِيقٍ يُعْشِقُ
سَكَتٌ لَهُ ضَنْأٌ يَرْضَى فَلَمْ أَجِبْ وَرُبَّ جَوَابٍ فِي السَّكُوتِ يُلْبِغُ
وقلت أيضا ولم أذكر بلاغة : —

أَيُّهَا الْمَوْحَى إِلَيْنَا هَنَّةُ الصَّلِّ الصُّمُوتِ
مَا سَكْنَا عَنْكَ عِيًّا رُبَّ نُطْقٍ فِي السَّكُوتِ
لَكَ يَتُّ فِي الْيُوتِ مِثْلُ يَتِّ الْعُسْكَوتِ
إِنْ يَهْنُ وَهْنًا فَيَهْ حِلْنَا سَكْنَى وَقُوتِ

وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ فقال : إبلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام
السامع ، ولذلك سميت بلاغة .

وقال آخر : البلاغة أن تفهم المخاطب بقدر فهمه ، من غير تعب عليك .
وقال آخر : البلاغة معرفة الفصل من الوصل .

وقيل : البلاغة حسن العبارة ، مع صحة الدلالة .

وقيل : البلاغة أن يكون أول كلامك يدل على آخره ، وآخره يرتبط بأوله
وقيل : البلاغة القوة على البيان ، مع حسن النظام .

ومن قول السيد أبي الحسن — أدام الله عزه — في صفة كاتب بالبلاغة أبو
وحسن الخط : —

فَضْلُ الْأَنَامِ بِفَضْلِ عِلْمِهِمْ وَأَسْعَى وَعَلَا مَقَالَهُمْ بِفَضْلِ الْمَنْطِقِ
وَحَكْمُ لِنَاوِثِي الرِّيَاضِ وَقُدُوشِ أَقْلَامُهُ بِالنَّقْشِ بَطْنِ الْمُهْرَقِ
فبلغ ما أراد من الوصف في اختصار وقلة تكلف . ونحو ذلك قوله أيضاً : —

إذا مشقت يملك في الطرس أسطراً حكيت بها وثى الملاء المضد^(١)
 يروق بجيدة الخط حسن حروفها ويُعجب منها بالقال المضد
 وهذا الشعر كالاول في الحز ، وإصابة المفصل ، وإن أبا الحسن لكما قال
 سميه أبو الطيب خاتم الشعراء : —

عليك بأمرار الديانات والفتى له خطرات ففضح الناس والكتبا
 بل كما قال ولي نعمته ، وشاكر مته : —

إني لأعجب كيف يحسن عنده شعر من الأشعار مع إحسانه
 ماذا إلا أنه ذو النهى فيد التجار به على دهقائه
 أستغفر الله ، لأجحد أبا الطيب حقه ، ولأنكر فضله . وقد قال : —

ملك منشد القريض لديه يصع التوب في يدى برّاز
 ثم رجع إلى وصف البلاغة ، بعد ما أفضنا ووشحنا هذا الباب من ذكر
 السيد ، فنقول : وقالوا : البلاغة ضد المعى ، والمعنى : العجز عن البيان .

وقيل : لا يكون الكلام يستوجب اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ،
 ولفظه معناه ، ولا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك .

وسأل عامر بن الظرب العدواني حمادة بن رافع الدوسي بين يدى بعض
 ملوك حمير فقال : من أبلغ الناس ؟ قال : من حلّى المعنى المزيّر^(٢) باللفظ
 الوجيز ، وطبق المفصل قبل التحزير ..

قيل لارسطاطاليس : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاستعارة .

وقال الخليل : البلاغة ما قرب طرفاه ، وبعد منتهاه .

وقيل لخالد بن صفوان : ما البلاغة ؟ قال : إصابة المعنى ، والقصد إلى الحجة

(١) اتفقت الأصول على هذه الكلمة ، وأظنها « المنضد » بالنون بدل العين

(٢) المزيّر — بزاهين — اللذيذ الطعم ، مأخوذ من تسميتهم الحمر مزرة ،

والمعنى على التشبيه ، وهو واضح

وقيل لأبراهيم الامام : ما البلاغة ؟ قال : الجزالة ، والاطالة ، وهذا مذهب جماعة من الناس جلة ، وبه كان ابن العميد يقول في مشوره .
وقيل لبعض الجلة : ما البلاغة ؟ فقال : تقصير الطويل ، وتطويل القصير .
يعنى بذلك القدرة على الكلام .
وقال أبو العينية : من أجزأ بالقليل عن الكثير ، وقرب البعيد إذا شاء ، وبعد القريب ، وأخفى الظاهر ، وأظهر الخفى .
وقال البحرى يمدح محمد بن عبد الملك الزيات حين استوزر ، ويصف بلاغته : —

ومعان لو فضلتها القوافى ^(١) هجنت شعر جرّول وليد
حُرّن مستعمل الكلام اختياراً وتجنّب ظلمة التعقيد
وركن القطف القريب فأدركن به غاية المراد البعيد
والبيت الأول من هذه القطعة يشهد ^(٢) بفضل الشعر على النثر
وحكى الجاحظ عن الامام إبراهيم بن محمد قوله : كفى من حظ البلاغة
ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع
ثم قال الجاحظ : أما أنا فأستحسن هذا القول جداً .
ومن كلام ابن المعتز : البلاغة بلوغ المعنى ، ولما يطل سقر الكلام .
وقال ابن الأعرابي : البلاغة التقرب من البغية ، ودلالة قليل على كثير .
وقال بعض المحدثين : البلاغة إهداء المعنى إلى القلب فى أحسن صورة
من اللفظ .

ومن كلام أبى منصور عبد الملك بن إسميل الثعالبي ، قال : قال بعضهم :

(١) أراد المؤلف أن يجد لمذهبه دليلاً ، وإن لم يكن فى معرض الاستدلال عليه ، فتصحفت عليه الكلمة ، وصوابها * ومعان لوفصلاتها القوافى * بالصاد المهملة

البلاغة ماصعب على التعاطى وسهل على الفطنة . وقال : خير الكلام ماقل ودل ، وجل ولم يعل . وقال : أبلغ الكلام ما حسن إيجازه ، وقل بجازه ، وكثر إيجازه ، وتناست صدوره وأعجازه . قال : وقيل : البليغ من يجتنى من الألفاظ نوارها ، ومن المعاني ثمارها
وهذا الذي حكاه الثعالبي مما يدل على حنق أبي الطيب في قوله لابن

العميد : —

قَلَّتِ الرِّجَالُ الْقَوْلَ قَبْلَ نَبَاتِهِ وَصَلَّتْ أَنْتَ الْقَوْلَ لَمَّا نَوَّرَا
وكان يمكنه أن يقول « لما أثمر » لكن ذهب إلى ما قدمت ، وإنما اقتدى
يقول أبي تمام : —

وَيَجِيئُ نَوَارُ الْكَلَامِ وَقَلَّتْ يَلْنِي بَقَاءُ الْفَرَسِ بَعْدَ الْمَاءِ

وكان بعضهم يقول : تلخيص المعاني رفيق ، والاستعانة بالغريب عجز ،
والتشادق في غير أهل البادية نقص ، والخروج بما نبى عليه الكلام إسهاب .
وقال العتابي : قِيمَ الكلام العقل ، وزينه الصواب ، وحليته الاعراب ،
ورائضه اللسان ، وجسمه القرينة ، وروحه المعاني ..

وقال عبد الله بن محمد بن جميل المعروف بالباحث : البلاغة الفهم والافهام ،
وكشف المعاني بالكلام ، ومعرفة الاعراب ، والاتساع في اللفظ ، والسداد
في النظم ، والمعرفة بالقصد ، والبيان في الأداء ، وصواب الاشارة ، وإيضاح
الدلالة ، والمعرفة بالقول ، ولاكتفاء بالاختصار عن الاكثار ، وإمضاء
العزم على حكومة الاختيار .. قال : وكل هذه الأبواب محتاج بعضها إلى
بعض ، كحاجة بعض أعضاء البدن إلى بعض : لاغنى لفضيلة أحدها عن
الآخر ، فمن أحاط معرفة بهذه الحصال فقد كل كل الكمال ، ومن شذ عنه
بعضها لم يبعد من النقص بما اجتمع فيه منها .. قال : والبلاغة تخير اللفظ
في حسن إفهام .

وستل الكندى عن البلاغة ، فقال : ركنها اللفظ ، وهو على ثلاثة أنواع :
فنوع لا تعرفه العامة ولا تتكلم به ، ونوع تعرفه وتتكلم به ، ونوع تعرفه
ولا تتكلم به ، وهو أحدها .

ومن كتاب عبد الكريم قالوا : حسن البلاغة أن يصور الحق في صورة عب
الباطل ، والباطل في صورة الحق . قال : ومنهم من يعيب ذلك المعنى ،
ويعده إسهاباً ، وآخر يعده نفاقاً . قال : ومرغيلان بن خرشة الضبي مع
عبد الله بن عامر بنهر أم عبد الله الذى يشق البصرة فقال عبد الله بن عامر :
ما أصلح هذا النهر لاهل هذا المصر ! فقال غيلان : أجل والله أيها الأمير :
يتعلم فيه العوم صيانتهم ، ويكون لسقيام ، ومسيل مياههم ، ويأتيهم بميرتهم .
قال : ثم مرغيلان يساير زياداً على ذلك النهر وقد كان عادى بن عامر ، فقال
له : ما أضر هذا النهر لاهل هذا المصر ! فقال غيلان : أجل والله أيها الأمير :
تندى منه دورهم ، ويفرق فيه صيانتهم ، ومن أجله يكثر بعوضهم . فكره
الناس من البيان مثل هذا ، انقضى كلام عبد الكريم .

والذى أراه أنا أن هذا النوع من البيان غير معيب بأنه نفاق ؛ لأنه لم يجعل
الباطل حقاً على الحقيقة ، ولا الحق باطلاً ، وإنما وصف محاسن كل شيء
مرة ، ثم وصف مساويه مرة أخرى : كما فعل عمرو بن الأهتم بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم - وقد سأله عن الزبرقان بن بدر ، فأثنى خيراً - فقال :
مانع لحوزته ، مطاع فى أُنديته - ويروى فى أدانيه - فلم يرض الزبرقان
بذلك ، وقال : أما إنه قد علم أكثر مما قال ، ولكن حسدنى لشرفى - وفى
رواية أخرى حسدنى مكافئ منك ، يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم - فأثنى
عليه عمرو شراً ، وقال : أما لئن قال ما قال لقد علته ضيق الصدر ، زمر
المرومة ، أحق الأب ، لثيم الخال ، حديث الغنى ، ثم قال : والله يارسول
الله ما كذبت عليه فى الأولى ، ولقد صدقت فى الآخرة ، ولكن أَرْضَانِي

قلت بالرضا ، وأسخطني قلت بالخط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحراً » قال أبو عبيد القاسم بن سلام : وكأن المعنى - والله أعلم - أنه يبلغ من بيانه أنه يمدح الانسان فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله ، ثم يذمه فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله الآخر ، فكانه سحر السامعين بذلك .

وقال الجاحظ : العربي يعاف البذاء ، ويهجو به غيره ، فاذا ابتلى به فخر به ، ولكنه لا يفخر به لنفسه من جهة ما هجا به صاحبه .

ودخل أبو العيلاء على المتوكل ، فقال له : بلغني عنك بذاء ، قال : إن يكن البذاء صفة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ؛ فقدزكئى الله وذم فقال : (نعم العبد إنه أواب) وقال : (هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم ، عُثِل بعد ذلك زَئيم) فذمه حتى قذفه ، وأما أن أكون كالمعرب التي تلسع النبي والذمي فقد أعاذ الله عبدك من ذلك ، وقد قال الشاعر : —

إذا أنا بالمعروف لم أثني صادقاً ولم أشتم الجبنس اللئيم المذمماً
فهم عرفت الخير والشر بآئيم وشق لي الله المسامع والفم

قال الجاحظ : قال ثمامة بن أشرس : قلت لجمعفر بن يحيى : ما البيان ؟ قال : أن يكون اللفظ يحيط بمعناك ، ويخبر عن مغزاك ، ويخرجه من الشركة ، ولا يستعين عليه بالكثرة ، والذي لا بد منه أن يكون سليماً من التكلف ، بعيداً عن الصنعة ، يريأمن التعقيد ، غنياً عن التأويل . قال الجاحظ : وهذا هو تأويل قول الأصمى : « البليغ من طبق المفصل ، وأغناك عن المفسر »

قال أبو عبيدة : البليغ : التلغ ، بفتح الباء ، وقال غيره : التلغ : الذي يبلغ ما يريد من قول وفعل ، والبليغ : الذي لا يبالى ما قال وما قيل فيه ، كذلك

قال أبو زيد ، وحكى ابن دريد كلام بلغ و بليغ ، وقال ابن الأعرابي : يقال بَلَّغْتُ و بَلَّغْتُ ، ولا شك أن ابن الأعرابي قال : إنما هو في الأهوج الذى لا يبالى حيث وقع من القول ..

وقد تكرر في هذا الباب من أقاويل العلماء ما لم يخف عني ، ولا غفلة ، لكن اغتفرت ذلك لاختلاف العبارات ، ومدار هذا الباب كله على أن البلاغة : وضع الكلام موضعه من طول أو إيجاز ، مع حسن العبارة ، ومن جيد ما حفظته قول بعضهم : البلاغة شد الكلام معانيه وإن قَصُر ، وحسن التأليف وإن طال .

(٣٢) — باب الإيجاز

الإيجاز عند الرُّمَّانِ على ضربين : مطابق لفظه لمعناه : لا يزيد عليه ، ولا ينقص عنه ، كقولك : « سل أهل القرية » ومنه ما فيه حذف للاستغناء عنه في ذلك الموضع ، كقول الله عز وجل : (واسأل القرية) وعبر عن الإيجاز بأن قال : هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف ، ونعم ما قال ، إلا أن هذا الباب متسع جداً ولكل نوع منه تسمية سماها أهل هذه الصناعة .

فأما الضرب الأول مما ذكر أبو الحسن فهم يسمونه المساواة ، ومن بعض ما أشدوا في ذلك قول الشاعر : —

يَا أَيُّهَا الْمُتَحَلِّ غَيْرَ شَيْمَتِهِ إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ انْتِلَاقُ
وَلَا يُؤَاتِيكَ فَيَأْتِيكَ مِنْ حَدَثٍ إِلَّا أَخُو هَمَّةٍ فَانْقَرُ بِمَنْ تَتَّقُ

فهذا شعر لا يزيد لفظه على معناه ، ولا معناه على لفظه ، شيئاً .. ومثله قول أبي العتاهية - ورواه بعضهم للحليطه ، وهذا شرف عظيم لأبي العتاهية إن كان الشعر له ، ولا أشك فيه : —

الحمد لله إني في جوار فتي حامي الحقيقة فاع وضرار
لا يرفع الطرف إلا عند مكرمة من الخياء، ولا يفضي على عار
وأشد عبد الكريم في اعتدال الوزن : —

إِنَّمَا الدُّلْفَاءُ هُمُي فَلَيْسَ عَنِّي مَن يَلُومُ
أَحْسَنُ النَّاسِ جَمِيعاً حِينَ تَمُوتُ وَتَقُومُ
أَصْلُ الْحَبْلِ لِيَرْضَى وَهِيَ لِحَبْلِ صَرُومُ

ثم قال : عندهم أنه ليس في هذا الشعر بضلة عن إقامة الوزن ، وهذه
الآيات وأشكالها داخلة في باب حسن النظم عند غير عبد الكريم .

والضرب الثاني عما ذكر الرمانى - وهو قول الله عز وجل (واسأل
القرية) - يسمونه الاكتفاء ، وهو داخل في باب المجاز ، وفي الشعر
القديم والمحدث منه كثير : يحذفون بعض الكلام لدلالة الباقي على الذهاب :
من ذلك قول الله عز وجل : (ولو أن قرآناً سُرِّت به الجبال أو قُطِّعَتْ
به الأرض أو كُلم به الموتى) كأنه قال : لكان هذا القرآن . ومثله قولهم :
لو رأيت عالماً بين الصفين ، أى : لرأيت أمراً عظيماً ، وإنما كان هذا معدوداً
من أنواع البلاغة لأن نفس السامع تنسج في الظن والحساب ، وكل معلوم
فهو حين لكونه محصوراً . وقال امرؤ القيس : —

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةٌ وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقُطُ أَفْئَسًا (١)

(١) في الديوان * يموت جميعه * وقدروى « تساقط » بفتح التاء
على أن الأصل « تساقط » فحذف إحدى التاءين ، وهذه رواية الأصمعي ، وقال في معناها :
لو أوى أموت بدفعة واحدة ، ولكن نفسى لما بى من المرض تخرج شيئاً شيئاً ، وتفسير
المؤلف من هذا القبيل ، وأنكر الوزير أبوبكر هذا التفسير وهذه الرواية ،
فروى « تساقط » بضم التاء ، وقال : معناه يموت بموتها بشر كثير ، كما قال عبد
ابن الطبيب : —

كأنه قال : لمان الأمر ولكنها نفس تموت موتات ، ونحو هذا . ومن الحذف قول الله عز وجل : (فأما الذين أسودّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم) أى : فيقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم ؟ . ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم قوله للمهاجرين وقد شكروا عنده الأنصار : « أليس قد عرفتم ذلك لهم ؟ » قالوا : بلى ، قال : « فان ذلك » يريد فان ذلك مكافأة لهم . وروى أبو عبيدة أن سفيان الثوري قال : جاء رجل من قريش إلى عمر بن عبد العزيز يكلمه في حاجة له ، فجعل يحث بقرابته ، فقال عمر : « فان ذلك » ثم ذكر حاجته ، فقال : « لعل ذلك » . وقال الطرماح يوماً للفرزدق : يا أبا فراس ، أنت القاتل : —

إِنَّ الَّذِي تَمَكَّ السَّمَاءُ بِفِي لَنَا بَيْتًا دَعَايَهُ أَعَزُّ وَأَطُولُ
أعز بماذا وأطول بماذا ؟ وأذن المؤذن ، فقال له الفرزدق : يالكع ألا تسمع ما يقول المؤذن « الله أكبر » أكبر بماذا أعظم بماذا ؟ فانقطع الطرماح انقطاعاً فاضحاً . وزعم بعض العلماء أن معنى قول الفرزدق عزيز طويل ، ولكنه بناء على أفضل مثل أبيض وأحمر وما شاكلهما ، فجعله لازماً لما في ذلك من الفخامة في اللفظ والاستظهار في المعنى . ومن الإيجاز قول الأعراقي في صفة الذئب : —

أَطْلَسَ يُخْفِي شَخْصَهُ غُبَارُهُ : فِي شِدْقِهِ شَفَرَتُهُ وَنَارُهُ

فقوله في الشفرة والنار إيجاز مليح . وقال آخر في صفة سهم صارده : —

غَادِرَ ذَاةٍ وَنَجَا صَحِيحاً *

وقال آخر في صفة ناقة : —

* خَرَقَهُ إِلَّا أَنَّهَا صَنَاعُ *

وقال أبو نواس يصف جنين ناقة محمد جاً : — (٧)

فَأَكَانَ قَيْسٌ عَلَيْكَ هَلَكٌ وَاحِدٌ وَلَكِنَّهُ بَيْنَانٌ قَوْمٌ تَهْدِمُوا
(١) يقال : خدجت للناقة ، إذا التقت ولدها قبل أو أنه ، وإن كان تام الخلق .

• مَيِّتُ النِّسَاءِ حَتَّى الشَّرِّ •

وقال ابن المعتز يصف بازياً : —

• مَبَارَكٌ إِذَا رَأَى فَقَدْ رُزِقَ •

ومن الایجاز البديع قول الله عز وجل : (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ،
وَيَأْسِئِي أَقْلَمِي ، وَغِيضِ الْمَاءُ ، وَقُضِيَ الْأَمْرُ ، وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ،
وَقِيلَ : بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) وقوله تعالى : (خُذِ الْعَفْوَ ، وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ،
وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) فكل كلمة من هذه الكلمات في مقام كلام كثير ،
وهي على ما ترى من الاحكام والایجاز ، ومثل ذلك قوله تعالى : (يحسبون
كل صيحة عليهم ، هم العدو ، فاحذرهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون)
وقوله تعالى : (وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها) وقوله : (إن
تبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس) . وقال النبي صلى الله عليه وسلم
للأنصار : « إنكم لتكثرثون عند الفزع ، وتقولون عند الطمع ، وقال :
« كفى بالسلامة داء » ومثل هذا كثير في كلامه صلى الله عليه وسلم ،
ومن أولى منه بالفصاحة وأحق بالایجاز ؟ وقد قال : « أعطيت جوامع الكلم »
فأما قوله عليه الصلاة والسلام : « كفى بالسيفشا » يريد « شاهداً » فقد
حكاه قوم من أصحاب الكتب : أحدهم عبد الكريم ، والذي أرى أن
هذا ليس بما ذكروا في شيء ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قطع
الكلمة وأمسك عن تمامها لثلاث تصير حكماً ، ودليل ذلك أنه قال : « لولا
أن يتتابع فيه الغيران والسكران » فهذا وجه الكلمة والله أعلم ، لا كما قال
علقة بن عبدة —

ويقال : أخذجته — بالهمزة — إذا ولدته ناقص المخلق ، وإن كان تمام الحمل ،
ومخرج اسم مفعول من ذى الهمز ، والنساء : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذ ،
هذا أصله

كَأَنَّ لِرَبِّهِمْ ظَنِّي عَلَى شَرَفٍ مُّقَدَّمٍ بِسَبَابِ الْكُتَانِ مَلْتَوُّمٌ
يريد « بسباب الكتان » فحذف اضطراراً ، لأن الوزن لا يستقيم له
إلا بعد الحذف ، وكذلك قول لبيد : —

• دَرَسَ الْمَنَّا بِمَتَالَعِ فَأَبَانَ •

يريد « المنازل » فحذف للضرورة أيضاً ، ورسول الله صلى الله عليه
وسلم غير متكلف ولا مضطر . فأما سائر العرب فالحذف في كلامهم كثير ؛
لحب الاستخفاف وتارة للضرورة ، وسيرد عليك في باب الرخص ، إن شاء
الله تعالى .

(٣٣) — باب البيان

قال أبو الحسن الرماني في البيان : هو إحضار المعنى للنفس بسرعة إدراك
وقيل ذلك لئلا يلتبس بالدلالة ، لأنها إحضار المعنى للنفس وإن كان باطلاً .
وقال : البيان : الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقلة ،
ولأنما قيل ذلك لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل ، ولا يستحق
اسم بيان .

قال صاحب الكتاب : وقد مرَّ بي في باب البلاغة قول غيلان بن خرشة
في صفة نهر أم عبد الله مادحاً وذاماً ، وهو من جيد البيان عندهم ، وكذلك
قول عمرو بن الأهتم في الزبرقان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحراً » وقال مثل
ذلك للعلاء بن الحارث^(١) وقد سأله : هل تروى من الشعر شيئاً ؟ فأنشد :
بِحَيِّ دَوَى الْأَضْغَانِ تَسْبِ عَقُوكُمْ تَحْيِيكَ الْحُسْنَى وَقَدْ يَرْقُ النُّعْلُ

(١) الذي في اللسان (مادة دحس) : « قال الأزهري : وأنشد أبو بكر
الأيادي لأبي العلاء الحضرمي أنشده للنبي صلى الله عليه وسلم »
(١٥ م - العمدة - ج ١)

فان دحسوا بالكره فاعف تكمراً وإن خلسوا عنك الحديث فلا تسئل (١)
 فان الذي يؤذيك منه سماعه وإن الذي قالوا ورايك لم يُقَل
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من الشعر لحكماً » وروى « لحكمة » .
 ومن البيان الموجز الذي لا يقرب به شيء من الكلام قول الله تعالى :
 (ولكم في القصص حياء) وقوله في الاعراب عن صفته : (قل هو الله
 أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) فبين تعالى أنه
 واحد لا ثاني معه ، وأنه صمد لا جوف له - وقيل : الصمد السيد الذي
 يصمد إليه في الأمور كلها ، ولا يعدل عنه ، وقيل : العالی المرتفع - وأنه
 غير والد ولا مولود ، وأنه لا شبه له ولا مثل - وقيل : إن الكفو هنا
 صاحبة تعالى الله - وإنما نزلت هذه السورة لما سألت اليهود رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقالوا له : صف لنا ربك وانسبه فقد وصف نفسه في
 التوراة ونسبها ، فأكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، وقال : لو
 سألتهم أن أصف لكم الشمس لم أقدر على ذلك ، فبينما هو كذلك إذ هبط
 عليه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد (قل هو الله أحد) السورة .
 ومن كلام رسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضى الله عنهم قوله
 صلى الله عليه وسلم : « المسلمون تكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ،
 وهم يد على من سواهم ، والمرء كثير بأخيه » فهذا كلام في نهاية البيان
 والإيجاز .

وقال أبو بكر رضى الله عنه في بعض مقاماته « وليت أموركم ولست
 بخيركم ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فان عصيت فلا طاعة لي عليكم »
 فقد بلغ هذه الالفاظ الموجزة غاية البيان .

(١) في اللسان « فان دحسوا بالشر » ، وكان في الأصل « وإن خفسوا عند
 الحديث » وكتب في هامشه « وفي نسخة : حبسوا عنك » والصواب ما أثبتناه
 كما في اللسان ، وقل بعد إنشاده : « وهذا حجة لمن جعل خنس واقماً اه أى :
 متعدياً ومعنى دحسوا أنفدوا »

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى بعض خطبه « أيها الناس إنه والله ما فىكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى أخذ الحق له ، ولا أضعف عندى من القوى حتى أخذ الحق منه » روى ذلك المبرد عن العتي ، وذكر الإخفش عن على بن سليمان هذه الخطبة فقال : الصحيح عندى أنها لأبي بكر ..

ومن كلام عمر رضى الله عنه « كفى بالمرء غياً أن تكون فيه خلة من ثلاث : أن يعيب شيئاً ثم يأتى مثله ، أو يدوله من أخيه ما يخفى عليه من نفسه ، أو يؤذى جليسه فيما لا يعنيه » .

وكتب عثمان بن عفان إلى على بن أبى طالب رحمة الله عليهما لما أحيط به « أما بعد فإنه قد جاوز الماء الزبي ، وبلغ الحزام الطيين ، وتجاوز الأمر بى قدره ، وطمع فى من لا يدفع عن نفسه

فإن كنتُ ما كُولاَ فكُنْ أنت أكلى

ولا فأدركنى ولما أمزق »

البيت الذى [قد] تضمنته الرسالة من شعر الممزق العبدى يقوله لعمر بن هند فى قصيدة مشهورة ، وبه سمي الممزق ، واسمه شأس بن نهار .

وخاطب عثمان علياً يعاتبه وهو مطرق فقال له : ما بالك لا تقول ؟ فقال على : إن قلت لم أقل إلا ما تكره ، وليس لك عندى إلا ما تحب ، قال المبرد : تأويل ذلك إن قلت اعتددت عليك بمثل ما اعتددت به على ، فلدغك عتابى ، وعقدى إلا أفعل وإن كنت عاتباً إلا ما تحب .

وهذا قليل من كثير يستدل به عليه ، ولو قصصت ما وقع من ألفاظ التابعين ، وما تقدمت به شعراء الجاهلية والإسلام ؛ لأفنت العمر دون ذلك ، وقد استفرغ أبو عثمان الجاحظ - وهو علامة وقته - الجهد وصنع كتاباً لا يُبلغُ جودة وفضلاً ، ثم ما ادعى إحاطة بهذا الفن لكثرة وأن كلام الناس لا يحيط به إلا الله عز وجل

(٣٤) — باب النظم

قال أبو عثمان الجاحظ : أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً واحداً ، وسبك سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان

وإذا كان الكلام على هذا الأسلوب الذي ذكره الجاحظ لذسماعه ، وخف محتمله ، وقرب فهمه ، وعذب النطق به ، وحلى في فم سامعه ، فإذا كان متافراً متبايناً عسر حفظه ، وثقل على اللسان النطق به ، وبجته المسموع فلم يستقر فيها منه شيء .

وأنشد ^(١) الجاحظ قال : أنشدني أبو العاصي قال : أنشدني خلف : —

وَبَعْضُ قَرِيضِ الْقَوْمِ أَبْنَاهُ عَلَيَّ يُكَيِّدُ لِسَانَ النَّاطِقِ الْمُتَحَفِّظِ
وأنشد عنه عن أبي اليبداء الرياحي : —

وَشِعْرٌ كَبُرَ الْكَبْشُ فَرَّقَ بَيْنَهُ لِسَانَ دَرِيٍّ فِي الْقَرِيضِ دَخِيلِ
واستحسن أن يكون البيت بأسره كأنه لفظة واحدة لحفته وسهولته ، واللفظة كأنها حرف واحد ، وأنشد قول الثقي : —

مَنْ كَانَ ذَا عَصِيٍّ يُدْرِكُ ظِلَامَتَهُ إِنَّ الدَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عُصْدُ
تَنْبُو يَدَاهُ إِذَا مَاقِلٌ نَاصِرُهُ وَيَأْنِفُ الضَّمِيمَ إِنْ أَثَرِي لَهُ عَدَدُ
والناس يحتفلو الرأي في مزاجاة الألفاظ : منهم من يجعل الكلمة وأختها ، وأكثر ما يقع ذلك في ألفاظ الكتاب ، وبه كان يقول البحري في أكثر أشعاره .. من ذلك قوله : —

تَطْلُبُ بِمَسْرَاهَا الْبِلَادُ إِذَا سَرَتْ فِينَعَمَ رِيَاهَا وَيَصْفُو نَسِيمُهَا
ففي القسم الآخر تناسب ظاهر .. وكذلك قوله : —

صَاقَ صَدْرِي بِمَا أَجِرُ نَ وَقَلْبِي بِمَا أُجِدُ
وقوله أيضاً في مدح المتوكل : —

لَقَدْ اصْطَفَى رَبُّ السَّمَاءِ لَهُ الْخَلَائِقَ وَالشَّيَمَ

ومنه من يقابل لفظتين بلفظتين ، ويقع في الكلام حينئذ تفرقة وقلة تكلف : فمن المناسب قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بعض كلامه « أين من سعى واجتهد ، وجمع وعدد ، وزخرف ونجد ، وبنى وشيد ، فأتبع كل لفظة ما يشاكلها ، وقرنها بما يشبهها . ومن الفرق المفصل قول امرئ القيس : —

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لَذَّةً وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالٍ

وَلَمْ أَسْبَأِ الزُّقَّ الرُّوِيَّ ، وَلَمْ أَقُلْ لِحَيْلَى كَرَى كُرَّةً بَعْدَ إِجْفَالٍ

وكان قدورد على سيف الدولة رجل بغدادى يعرف بالمنتخب ، لا يكاد يسلم منه أحد من القداما والمحدثين ، ولا يذكر شعر يحضرته إلا عابه ، وظهر على صاحبه بالحجة الواضحة ، فأنشد يوماً هذين البيتين ، فقال : قد خالف فيما وأفسد ، لو قال : —

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا ، وَلَمْ أَقُلْ لِحَيْلَى كَرَى كُرَّةً بَعْدَ إِجْفَالٍ

وَلَمْ أَسْبَأِ الزُّقَّ الرُّوِيَّ لِلذَّةِ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالٍ

لكان قد جمع بين الشيء وشكله : فقد ذكر الجواد والكر في بيت ، وذكر النساء والخمر في بيت ، فالتبس الأمر بين يدى سيف الدولة ، وسلبوا له ما قال ، فقال رجل عن حضر : ولا كرامة لهذا الرأي ، انه أصدق منك حيث يقول (إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنتك لا تظلم فيها ولا تضحي) فأتى بالجوع مع العرى ولم يأت به مع الظلم ، فسر سيف الدولة ، وأجازه بصلة حسنة .

قال صاحب الكتاب : قول امرئ القيس أصوب ، ومعناه أعز وأغرب

لأن اللذة التي ذكرها إنما هي الصيد، هكذا قال العلماء، ثم حكى عن شبابه وغشيانه النساء : فجمع في البيت معنيين، ولو نظمه على ما قال المعترض لنقص فائدة عظيمة، وفضيلة شريفة تدل على السلطان، وكذلك البيت الثاني : لو نظمه على ما قال لكان ذكر اللذة حشواً لا فائدة فيه، لأن الزق لا يسبأ إلا اللذة، فإن جعل الفتوة كما جعلناها فيما تقدم الصيد قلنا : في ذكر الزق الروى كفاية ولكن امرأ القيس وصف نفسه بالفتوة والشجاعة بعد أن وصفها بالملك والرفاهة.

وأما احتجاج الآخر بقول الله عز وجل فليس من هذا في شيء، لأنه أجرى الخطاب على مستعمل العادة، وفيه مع ذلك تناسب، لأن العادة أن يقال : جائع عريان، ولم يستعمل في هذا الموضع عطشان ولا ظمآن، وقوله تعالى « قظماً » و « قضحي » متناسب، لأن الضاحي هو الذي لا يستره شيء. غن الشمس، والظلمة من شأن من كانت هذه حاله.

وقال الجاحظ: في القرآن معان لا تسكاد تفرق من مثل : الصلوة والزكاة، والخوف والجوع، والجنة والنار، والرغبة والرغبة، والمهاجرين والأنصار، والجن والانس، والسمع والبصر.

ومن الشعراء من يضع كل لفظة موضعها لا يعمدوه، فيكون كلامه ظاهراً غير مشكل، وسهلاً غير متكلف، ومنهم من يقدم ويؤخر : إما لضرورة وزن، أو قافية وهو أعذر، وإما ليدل على أنه يعلم تصريف الكلام، ويقدر على تعقيده، وهذا هو العلي بعينه، وكذلك استعمال الغرائب والبشود التي يقل مثلها في الكلام، فقد عيب على من لا تعلق به التهمة نحو قول الفرزدق :
عَلَى حَالَةٍ لَوْ أَنَّ فِي الْبَحْرِ حَاتِماً عَلَى جُودِهِ مَا جَادَ بِالْمَاءِ حَاتِماً^(١)

(١) يروى هذا البيت هكذا : —

على حالة لو أن في القوم حاتماً على جودة ضنت به نفس حاتم

تخفض حائماً على البدل من الهاء التي في «جوده» حتى رأى قوم من العلماء أن الاقواء في هذا الموضع خير من سلامة الاعراب مع الكلفة . وكذلك قوله : —

فُلِقْ هَاماً لَمْ تَنْلُهُ أَكُفْنَا بِأَسِيفِنَا هَامَ الْمُلُوكِ الْقِيَامِ
أراد : فلق بأسيفنا هام الملوك القيام ، ثم نبه وقرر فقال هاماً لم تنله أكفنا ، يريد أى قوم لم نملكهم ونقهرهم ، وهذا عند الصدور المذكورين بالعلم تكلف وتعمل ، لاتعرفه العرب المطبوعون ، وكذلك : —

إِنَّ الْفَرْزُ دَقَّ صَخْرَةً عَادِيَةً طَالَتْ فَلَيْسَ تَنَالُهَا الْأَوْعَالُ
نصب الأوعال بطالت ، ويروى «عزت» . وأكثر شعر أبي الطيب من هذه العلامة ، وما لا بأس به قول الخنساء : —

فَنِعِمَّ أَلْقَى فِي غَدَاةِ الْمِيَاكِ إِذَا مَا الرِّمَاحُ نَحِيماً رَوَيْنَا .
قدمت «نحيماً» على «روينا» مبادرة للخبر بالرى من أى شيء هو ، وكذلك قول أبي السفاح بكير بن ممدان اليربوعي : —

نَهَيْتُهُ عَنْكَ فَلَمْ يَنْهَ بِالسَّيْفِ إِلَّا جِلْدَاتٍ وَجَاعُ
أراد نهته عنك بالسيف ، أو أراد فلم ينه إلا جلدات وجاع بالسيف ، وكلاهما فيه تقديم وتأخير .

ورأت من علماء بلدنا من لا يحكم للشاعر بالتقدم ، ولا يقضى له بالعلم ، إلا أن يكون في شعره التقديم والتأخير ، وأنا استقل ذلك من جهة ما قدمت ، وأكثر ما تجده في أشعار النحويين ، ومن الشعر ما تقارب حروفه أو تكرر فتقل على اللسان ، نحو قول ابن بشر : —

لَمْ يَضِرْهَا وَالْحَمْدُ لَهُ شَيْءٌ وَأَنْذَنْتَ نَحْوَ عَرْفٍ نَفْسٍ ذَهُولِ
فان القسم الآخر من هذا البيت ثقيل ؛ لقرب الحاء من العين ، وقرب الزاى من السين ،

وقال آخر : —

وَقَبْرٌ حَرْبٍ فِي مَكَانٍ قَرِيرٍ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ
فكررت الألفاظ ، وترددت الحروف ، حتى صار ألقى يختبره الناس ،
ولا يقدر أحد أن ينشده ثلاث مرات إلا عثر لسانه فيه وغلط .. وقال
كعب بن زهير : —

تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمْتُ كَأَنَّهُ مَنَهْلٌ بِالْإِخْرِ مَعْلُولٌ
لجمع بين الضاد والذال والطاء ، وهي مقاربة متشابهة .
ومن حسن النظم أن يكون الكلام غير متشجج ، والتشجج : جنس من
المعاظلة ترد في بابها إن شاء الله تعالى .

ومن الناس من يستحسن الشعر مبنياً بعضه على بعض ، وأنا أستحسن
أن يكون كل بيت قائماً بنفسه ، لا يحتاج إلى ما قبله ولا إلى ما بعده ، وما
سوى ذلك فهو عندي تقصير ، إلا في مواضع معروفة ، مثل الحكايات
وما شاكلها ، فإن بناء اللفظ على اللفظ أجود هنالك من جهة السرد ،
ولم أستحسن الأول على أن فيه بعداً ولا تنافراً ، إلا أنه إن كان كذلك فهو
الذي كرهت من التشجج .

(٣٥) — باب المخترع والبديع

المخترع من الشعر هو : ما لم يُسَبِّقْ إليه قائله ، ولا عمل أحد من الشعراء
قبله نظيره أو ما يقرب منه ، كقول امرئ القيس : —

مَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَأَمَ أَهْلُهَا مُمَوُّ حَبَابِ الْمَاءِ حَالاً عَلَى حَالٍ
فانه أول من طرق هذا المعنى وابتكره ، وسلم الشعراء إليه ، فلم ينزعه
أحد إياه ، وقوله : —

كَأَنَّ قُلُوبَ الطُّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَخْرِهَا الْعُتَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

وله اختراعات كثيرة يضيق عنها الموضع ، وهو أول الناس اختراعاً في الشعر ، وأكثرهم توليداً . ومن الاختراع قول طرفة : —

وَكَوْلَا ثَلَاثَ هُنَّ مِنْ لَدَةِ الْفَقَى ^(١) وَجَدَكَ لَمْ أَحْضِلْ مَقَى قَامَ عَوْدِي
فَعَيْنُهُنَّ سَبَقُ الْعَاذِلَاتِ ^(٢) بِشَرِبَةٍ كَمَيْتٍ مَقَى مَا تَمْلُ بِالمَاءِ تَزِيدِ
وَكَرَى إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُحْتَبَاً كَمِيدَ الْغَضَا ذِي الطَّخِيَةِ التَّوْرِدِ ^(٣)
وَقَصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَاللَّجْنِ مُعْجَبٌ بِبَهْكَنَةِ نَحْتِ الطَّرَافِ الْمُعَمِّدِ ^(٤)
وقوله يصف السفينة في جريها : —

يَشْقَى حَبَابَ الْمَاءِ حَزْرُومَهَا كَمَا قَسَمَ التُّرْبُ الْمَفَائِلُ بِأَيْدِ
وله أيضاً اختراعات أكثرها من هذه القصيدة . وقال نابغة بنى ذبيان : —
سَقَطَ النِّصِيفُ وَلَمْ تُرْذِ إِسْقَاطُهُ فَتَنَّاوَلَتْهُ وَأَتَقَنَّنَا بِأَيْدِ
وقوله أيضاً من الاختراعات : —

وَلَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ عَبْدَ الْآلَةِ صَرُورَةٍ مُتَعَبِدِ
لَرَنَا لِرَوْنِهَا وَحَسَنَ حَدِيثِهَا وَغَالَهُ رَشْدَاً وَإِنْ لَمْ يَرَشُدِ
وما زالت الشعراء تخترع إلى عصرنا هذا وتولد ، غير أن ذلك قليل في الوقت . . . والتوليد : أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه ، أو

(١) يروى * . . . هن من عيشة الفقى *

(٢) يروى * سبقي العاذلات . . . *

(٣) يروى * كميد الغضائنه التورود * والجنب - بلحاء المهمة ،
ووقع في الأصول بلجيم موحدة وهو تحريف - فرس أفنى الدراع ونصبه بكرى .
والسيد : الدب ، والغضا : شجر ، وذئابه أخبث الدئاب . ونبته : هيجته .
والتورود . القى يطلب ورود الماء

(٤) الدجن : إلياس النيم السماء وإن لم يكن مطر ، وأهو الندى والمطر
الخفيف . البهكنة : الجارية الخفيفة الروح . الطراف للمعد : الحياء ذى المعد .

يزيد فيه زيادة ، فلذلك يسمى التوليد ، وليس باختراع لما فيه من الاقتداء
بغيره ، ولا يقال له أيضاً « سرقة » إذا كان ليس آخذاً على وجهه ، مثل ذلك
قول امرئ القيس : —

تَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا ثُمَّ حَبَابِ الْمَاءِ حَالاً عَلَى حَالِ

فقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وقيل : وضاح اللين : —

فاسقط علينا كسقوط الندى لَيْسَ لَنَاوٍ وَلَا زَاجِرُ

فولد معنى مليحاً اقتدى فيه بمعنى امرئ القيس ، دون أن يشركه في شيء
من لفظه ، أو ينحو نحوه إلا في المحصول ، وهو لطف الوصول إلى
حاجته في خفية .. وأما الذي فيه زيادة فكقول جرير يصف الخيل : —

يَخْرُجْنَ مِنْ مُسْتَطِيرِ النَّقْعِ دَائِمَةً كَأَنَّ أَذَانَهَا أَطْرَافُ أَقْلَامِ

فقال عدى بن الرقاع يصف قرن الغزال : —

تُزْجِي أَغْنُ كَانَ لِبُرَّةٍ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

فولد بعد ذكر القلم إصابته مداد الدواة بما يقتضيه المعنى ؛ إذ كان القرن
أسود . وقال العمانى الراجز بين يدي الرشيد يصف الفرس : —

تَخَالُ أُذُنِي إِذَا تَشَوَّقَا قَادِمَةً أَوْ قَلْبًا مَحْرُفَا^(١)

فولد ذكر التحريف في القلم ، وهو زيادة صفة .. ومن التوليد قول أمية

ابن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جعدان : —

لِكُلِّ قَبِيلَةٍ ثَبَجٌ وَصَلْبٌ وَأَنْتَ الرَّأْسُ أَوَّلُ كُلِّ هَادٍ

فقال نصيب لمولاه عمر بن عبد العزيز : —

فَأَنْتَ رَأْسُ قُرَيْشٍ وَأَيْنَ سَيِّدِهَا وَالرَّأْسُ فِيهِ يَكُونُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ

(١) يروى التحوين هذا البيت * كأن أذنيه .. قادمة أوقلما محرفا *

ويستدلون به على أن من الناس من ينصب المبتدأ والمخبر جميعاً بعد كأن

فولد هذا الشرح وإن كان مجملا في قول أمية بن أبي الصلت . . ثم أتى على بن جبلة فقال يمدح حيد بن الحيد : —

فالناسُ جسمٌ وإمامُ الهدى رأسٌ، وأنتَ الدينُ في الراس
فأوقع ذكر العين على مشبه معين، ولم يفعل نصيب كذلك، لكن أتى بالسمع والبصر على جهة التعظيم، لأن من ولد عمر ولي عهد، ففي قول على ابن جبلة زيادة . . وجاء ابن الرومي فقال : —

عَيْنُ الْأَمِيرِ هِيَ الْوَزِيرُ — وَأَنْتَ نَظِيرُهَا الْبَصِيرُ
فرتب أيضاً ترتيباً فيه زيادة، فهذا مجرى القول في التوليد :
وأكثر المولدين اختراعاً وتوليداً - فيما يقول الخفاق - أبو تمام،
وابن الرومي .

والفرق بين الاختراع والابداع - وإن كان معناهما في العربية واحداً -
أن الاختراع : خلق المعاني التي لم يسبق إليها، والابتاع بما لم يكن منها قط،
والابداع : إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف، والذي لم تجر العادة بمثله ثم
لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وإن كثرت وتكرر، فصار الاختراع
للمعنى، والابداع للفظ، فإذا تم للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع
فقد استولى على الأمد، وحاز قصب السبق.

واشتقاق الاختراع من التلين يقال « بيت خرج » إذا كان لنا،
والخروج قول منه، فكان الشاعر سهل طريقة هذا المعنى ولينه حتى أبرزه .
وأما البديع فهو الجديد، وأصله في الحبال، وذلك أن يقتل الحبل جديداً
ليس من قوى جبل نقضت ثم قلت قتلا آخر . وأنشدوا للشماخ بن ضرار : -

أطار عقيقه عنه نسالا وأدمج دمج ذي شطر بديع
والبديع ضروب كثيرة وأنواع مختلفة، أنا أذكر منها ما وسعته القدرة
وساعدت فيه الفكرة إن شاء تعالى، على أن ابن المعتز - وهو أول من جمع

البديع ، وألف فيه كتاباً - لم يعد إلا خمسة أبواب : الاستعارة أولها ، ثم التجنيس ، ثم المطابقة ، ثم رد الإعجاز على الصدور ، ثم المذهب الكلامي ، وعد ما سوى هذه الخمسة أنواع محاسن ، وأباح أن يسميها من شاء ذلك بديعاً ، وخالفه من بعده في أشياء منها يقع التفتيه عليها والاختيار فيها حيناً وقعت من هذا الكتاب ، إن شاء الله تعالى

(٣٦) — باب المجاز

العرب كثيراً ما تستعمل المجاز ، وتعمده من مفاخر كلامها ، فانه دليل الفصاحة ، ورأس البلاغة ، وبه بانت لقتها عن سائر اللغات .
ومعنى المجاز طريق القول ومأخذه ، وهو مصدر « جرت مجازاً » كما تقول « قت مقاماً ، وقلت مقالا » حكى ذلك الحاتمي ، ومن كلام عبد الله بن مسلم ابن قتيبة في المجاز قال : لو كان المجاز كذباً لكان أكثر كلامنا باطلاً .
لانا نقول : نبت البقل ، وطالت الشجرة ، وأينعت الثمرة ، وأقام الجبل ، ورخص السعر ، ونقول : كان هذا الفعل منك في وقت كذا ، والفعل لم يكن وإنما يكون ، ونقول : كان الله ، وكان بمعنى حدث ، والله قبل كل شيء .
وقال في قول الله عز وجل : (فوجدنا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه)
لو قلنا لمنكر هذا كيف نقول في جدار رأيت على شفا انهار ؟ لم يجد بداً من أن يقول : بهم أن ينقض ، أو يكاد أو يقارب ، فان فعل قد جمل فاعلا ، ولا أحسبه يصل إلى هذا المعنى في شيء من أسنة العجم إلا بمثل هذه الألفاظ .

والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة ، وأحسن موقعاً في القلوب والاسماع ، وما عدا الحقائق من جميع الألفاظ ثم لم يكن محالاً محضاً فهو مجاز ، لاحتاله وجوه التأويل ، فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما من

محاسن الكلام داخله تحت المجاز ، إلا أنهم خصوا به - أعنى اسم المجاز - باباً بعينه ؛ وذلك أن يسمى الشيء باسم ما قاربه أو كان منه بسبب ، كما قال جرير بن عطية : -

إذا سقط السماء بأرض قوم (١) رعيناه وإن كانوا غضابا
أراد المطر لقربه من السماء ، ويجوز أن تريد بالسماء السحاب ؛ لأن كل ما أظلك فهو سماء ، وقال « سقط » يريد سقوط المطر الذى فيه ، وقال « رعيناه » والمطر لا يرعى ، ولكن أراد التبت الذى يكون عنه ، فهذا كله مجاز . وكذلك قول العتاني : -

يا ليلة لي بجوارين ساهرة حتى تكلم في الصبح العصافير
فجعل الليل ساهرة على المجاز ، وإنما يسر فيها ، وجعل للعصافير كلاماً ، ولا كلام لها على الحقيقة . ومثله قول الله عز وجل إخباراً عن سليمان صلى الله على سيدنا محمد وعليه : (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) وإنما الحيوان الناطق الانس والجن والملائكة ، فاما الطير فلا ، ولكنه مجاز ملبس واتساع ، وهذا أكثر من أن يحصره أحد ، ومثله في كتاب الله عز وجل كثير ، من ذلك قوله تعالى : (وأسأل القرية) ومثله (وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) يعنى حبه ، ومنه : (فتبارك الله أحسن الخالقين) وهو الخالق حقاً وغيره خالق مجازاً ، وقوله : (والله خير الماكرين) وإنما سمي ذلك مكرأ لكونه مجازاة عن مكر ، وكذلك قوله : (فبشرهم بعذاب أليم) والعذاب لا يشر به ، وإنما هو أنه مكان البشارة . ومن أناشيد هذا الباب قول الفرزدق : -

والشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبِهِ نَهَارٌ
وقال يعقوب بن السكيت : العرب تقول بأرض بني فلان شجر قد صاح إذا طال ، وأنشدوا للعجاج : -

• بالكرم إذ نادى من الكافور •

قال ابن قتيبة : لما تبين الشجر بطوله ودل على نفسه جعله كأنه صائح ؛ لأن الصائح يدل على نفسه بصوته . وأنشد غيره قول سويد بن كراع في نحو هذا : —

رَحَى غَبَرَ مَذْهُورٍ بَيْنَ وِراقِهِ لُماعٍ تَهَادَاهُ الدُّكادُكُ واحد
يقال : نبات واعد ، إذا أُقبل كأنه قد وعد بالتمام ، وكذلك إذا نور أيضاً
قيل : قد وعد . ومن المجاز عندهم قول الشاعر وغيره : فعلت ذاك والزمان
غر ، والزمان غلام ، وما أشبه ذلك ، وهو يريد نفسه ليس الزمان ، ولا أرى
ذلك مستقيماً ، بل الصواب عندي ونفس الاستعارة أن يبق الكلام على
ظاهرة مجاز الأنا نجد في هذا النوع ما لا ينساغ فيه هذا التأويل كقول بعضهم : —
سألتني عن أناس هلكوا شربَ الدهرُ عليهم وأكلُ
فليس معناه شربت وأكلت عليهم ؛ لأنه إنما يعنى بعد العهد لا السو وقلة
الوفاء . وقال أبو الطيب : —

أفنت مودتها الليالي بعدنا ومشى عليها الدهرُ وهو مقيدُ
فإنما أراد الدهر حقيقة . وقال الصنوبري : —

كانَ عَيْشِي بِيهِمْ أُنِيقاً فَوْتِي وزماني فيهم غلاماً فشاخا
فليس مراده كنت فيهم غلاماً فشخت ، ولكل موضع ما يليق به من
الكلام ويصح فيه من المعنى .
وأما كون التشبيه داخلاً تحت المجاز فلأن المتشابهين في أكثر الأشياء
إنما يتشابهان بالمقاربة على المسامحة والاصطلاح ، لا على الحقيقة ، وهذا
يبين في باب إن شاء الله تعالى .

وكذلك الكناية في مثل قوله عز وجل إخباراً عن عيسى ومريم عليهما
السلام : (كانا يأكلان الطعام) كناية عما يكون عنه من حاجة الإنسان ،
وقوله تعالى حكاية عن آدم وحواء صلى الله عليهما : (فلما تغشاهما) كناية

عن الجماع ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « العين وكاء الله » وقوله لحاد كان يحذو به « إياك والقوارير » كناية عن النساء لضعف عزائمن ، إلى أكثر من هذا .

(٣٧) — باب الاستعارة

الاستعارة أفضل المجاز ، وأول أبواب البديع ، وليس في حل الشعر أعجب منها ، وهى من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها ، والناس مختلفون فيها : منهم من يستعير للشيء ما ليس منه ولا إليه ، كقول لبيد : —

وَفَدَاةَ رِيحٍ قَدْ وَزَعْتُ وَفَرَّةً إِذْ أَصْبَحَتْ يَدِ الشَّامِلِ زَمَامُهَا ^(١)
 فاستعار الريح الشمال يداً ، وللغداة زماماً ، وجعل زمام الغداة ليد الشمال إذ كانت الغالبة عليها ، وليست اليد من الشمال ، ولا الزمام من الغداة . ومنهم من يخرجها مخرج التشبيه كما قال ذو الرمة : —

أَقَامَتْ بِرَحَى ذَوَى الْعُودِ وَالْتَوَى وَسَاقَ الثَّرْيَا فِي مُلَاةٍ الْفَجْرِ
 فاستعار للفجر ملادة ، وأخرج لفظه مخرج التشبيه . . وكان أبو عمرو ابن العلاء لا يرى أن لأحد مثل هذه العبارة ، ويقول : ألا ترى كيف صير له ملادة ، ولا ملادة له ، وإنما استعار له هذه اللفظة ، وبعض المتعقبين يرى ما كان من نوع بيت ذى الرمة ناقص الاستعارة ، إذ كان محمولاً على التشبيه ، ويفضل عليه ما كان من نوع بيت لبيد ، وهذا عندى خطأ لأنهم إنما يستحسنون

(١) وزعت : كفت ، ويروى « كشفت » يريد أنه وزع القر وكفه بالطعام الطعام وإيقاد النيران . وقوله « إذ أصبحت بيد الشمال زمامها » أى : إذ أصبحت الغداة الغالبة عليها ريح الشمال وهى أبرد الرياح ، قال التبريزى « وجعل للرياح يداً وللغداة زماماً » اه وقال الشيخ عبد القاهر : « ليس في بيت لبيد شيء أكثر من أن يحيل إلى نفسك أن الشمال في تصريف الغداة على حكم طبيعتها كالمدبر للمصرف لما في زمامه بيده ومقادته في كفه وذلك كله لا يتعدى التخيل والتوهم » اه

الاستعارة القرية ، وعلى ذلك مضى جلة العلماء ، وبه أتت النصوص عنهم ، وإذا استعير للشيء ما يقرب منه ويليق به كان أولى مما ليس منه في شيء ، ولو كان البعيد أحسن استعارة من القريب لما استهجنوا قول أبي نواس : —

بُحَّ صَوْتُ الْمَالِ مِمَّا مِثْلُكَ يَشْكُو وَيَصْبِحُ

فأى شيء أبعد استعارة من صوت المال ؟ فكيف حتى يح من الشكوى والصباح مع ما أن له صوتاً حين يوزن أو يوضع ؟ ولم يرد أبو نواس فيما أقدر ؛ لأن معناه لا يتركب على لفظه إلا بعيداً ، وكذلك قول بشار : —

وَجَدْتُ رِقَابَ الْوَصْلِ أَسْيَافُ هَجْرٍهَا وَقَدْتُ لِرَجُلٍ الْبَيْنَ نَعْلَيْنِ مِنْ خَدَي
فَمَا أَهْجَنَ « رَجُلُ الْبَيْنِ » وَأَقْنَحَ اسْتِعَارَتَهَا ! ! وَلَوْ كَانَتْ الْقَصَاحَةُ بِأَسْرَهَا
فِيهَا ، وَكَذَلِكَ « رِقَابُ الْوَصْلِ » وَلَا مِثْلَ قَوْلِ ابْنِ الْمُعْتَزِ وَهُوَ أَقْنَعُ النَّقَادِ :
* كُلُّ وَقْتٍ يَبُولُ زُبُّ السَّحَابِ *

فهذا أردى من كل ردى ، وأمقت من كل مقيت . قال القاضي الجرجاني :
الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصلي ، ونقلت العبارة فجعلت في مكان
غيرها ، وملا كما يقرب التشبيه ، ومناسبة المستعار للمستعار له ، وامتزاج
اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر
وقال قوم آخرون منهم أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع : خير الاستعارة
ما بعد ، وعلم في أول وهلة أنه مستعار ، فلم يدخله لبس ، وعاب على أبي الطيب
قوله : —

وَقَدْ مَدَّتِ الْخَيْلُ الْمَتَاقُ عِيُونَهَا إِلَى وَقْتِ تَبْدِيلِ الرِّكَابِ مِنَ النُّعْلِ

إذ كانت الخيل لها عيون في الحقيقة ، ورجح عليه قول أبي تمام : —

سَاسَ الْأُمُورَ سِيَاسَةُ ابْنِ تَجَارِبٍ رَمَقَتْهُ عَيْنُ الْمَلِكِ وَهُوَ جَنِينُ

إذ كان الملك لا عين له في الحقيقة .

وقال أبو الفتح عثمان بن جني : الاستعارة لا تكون إلا للبالغة ، وإلا

فهي حقيقة ، قاله في شرح بيت أبي الطيب : —

فَقِيَّ بَمَلَأِ الْأَفْعَالِ رَأْيَا وَحُكْمَةً وَبَادِرَةً أحيانَ يَرْضَى وَيَنْضَبُ
وكلام ابن جني أيضاً حسن في موضعه ؛ لأن الشيء إذا أعطى وصف نفسه
لم يسم استعارة ، فإذا أعطى وصف غيره سمي استعارة ، إلا أنه لا يجب
للشاعر أن يبعد الاستعارة جداً حتى ينافر ، ولأن يقربها كثيراً حتى يحقق ،
ولكن خير الأمور أوسطها .. قال كثير يمدح عمر بن عبد العزيز واستعار
حتى حقق : —

وَقَدْ لَيْسَتْ لِبَسَ الْمَلُوكِ ثِيَابُهَا وَأَبْدَتْ لَكَ الدُّنْيَا بِكَفٍّ وَمَعْصَمٍ
وترمي أحياناً بعين مريضة وَتَبْسِمُ عَنْ مِثْلِ الْجُنَانِ الْمُنْظَمِ
وحسبك أنه وصف العين التي استعار بالمرض ، وشبه الملبس بالجنان ، وهذا
إفراط غير جيد هنا .

قال أبو الحسن الرماني : الاستعارة استعمال العبارة على غير ما وضعت له
في أصل اللغة ، وذكر قول الحجاج « إني أرى رؤوساً قد أينعت وحان قطعها »
وقد يأتي القديما من الاستعارات بأشياء يجنبها المحدثون ويستحسنونها
ويعافون أمثالها ظرفاً ولطافة ، وإن لم تكن فاسدة ولا مستحيلة .. فمنها قول
امريء القيس : —

وَهَرٌّ تَصِيدُ قُلُوبَ الرِّجَالِ وَأَفَلَتْ مِنْهَا ابْنُ عَمْرِو حُجْرٍ
فكان لفظة « هر » واستعارة الصيد معها مضحكة هجينة ، ولو أن أباه
حجراً من قارات بيته ما أسف على إفلاته منها هذا الأسف ، وأين هذه
الاستعارة من استعارة زهير حين قال يمدح : —

لَيْتَ بَعَثَ بِصَطَادِ الرِّجَالِ إِذَا مَا كَذَّبَ الْإِيثُ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقًا
لا على أن امرأ القيس أتى بالخطأ على جهته ، ولكن للكلام قرائن تحسنه ،
وقرائن تقبحه : كذكر الصيد في هذين البيتين .

ولعل معترضاً يقول : العرب لا تعرف إلا الحقائق ، ولا تلتفت إلى كلام

السفلة ، فقد قدمت هذا في أول كلامي ، وعرفت أنه لا يلزم ، ولكن يرغب عنه في الواجب ، ألا ترى أن بعض الوزراء - وقيل : بل هو المأمون - غير المسلحة واستهجنها لما فيها فقال : قولوا المصلحة ، وليس ذلك لعله إلا موافقة كلام السفلة .

وقال الرماني : الاستعارة الحسنة ما أوجب بلاغة ، ببيان لا تنوب منابه الحقيقة : كقول امرئ القيس * قَيْدِ الْأَوَابِدِ ^(١) * واسترذل قول بعض المولدين :-

أسفري لي النقا بـ يا ضرة الشمس
بأن قال : أترأه ظن أن الضرة لا تكون إلا حسنة ؟ وإلا فأى وجه لاختياره هذه الاستعارة .

ومثل قول امرئ القيس المتقدم ذكره في القبح قول مسلم بن الوليد :-
وليلةً مُخلست للعين من سينة هتكت فيها الصبا عن يعضة الحجل
فاستمار للحجل - يعني الكلل - يعضة كما استعارها امرؤ القيس للخدر .
في قوله :-

* ويعضة خدر لا يرام خباؤها * ^(٢)

وكلاهما يعني المرأة ، فاتفق لمسلم سوء الاشتراك في اللفظ ؛ لأن يعضة الحجل من الطير تشاركتها ، وهي لعمرى حسنة المنظر كما عرفت . . وقال في موضع آخر :-

رُمْتُ السُّلُومَ وناجاني الضميرُ به فاستعطفني على يعضاتها الحجل
فا الذي أعجبه من هذه الاستعارة قبحها الله ؟!! ولو قال * الكلل *

(١) ذلك في قوله من المعلقة :-

وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

(٢) تمامه : * تمتعت من لها بها غير ممجل * .

لتخلص وأبدع فكان تبعاً لامرئ القيس في جودة هذه الاستعارة . . وقال حبيب على بصره بهذا النوع :-

• والله مفتاح باب المعقل الأشب •

فجعل الله تعالى اسمه مفتاحاً ، وأى طائل في هذه الاستعارة مع ما فيها من البشاعة والشناعة ؟!! وإن كنا نعلم أنما أراد أمر الله وقضاه .

واعترض بعض الناس على قول أبي تمام :-

للجود بابٌ في الأنام ولم تزل مذكنت مفتاحاً لذاك الباب

بمحضرة بعض أصحابنا ، وقال : أتى إلى ممدوحه فجعله مفتاحاً ، ففلا قال

كما قال ابن الرومي :-

قبل أنامله فلسن أناملا لَكِنَّنِ مَفَاتِحُ الْأَرْزَاقِ

فقال له الآخر : عجبت منك تعيب أن يجعل ممدوحه مفتاحاً وقد جعل ربه كذلك ، وأشد البيت المتقدم عجزه . . وقال في ممدوح ذكر أنه يعطيه مرة ويشفع له أخرى إلى من يعطيه :-

فَإِذَا مَا أَرَدْتَ كُنْتَ رِشَاءً وَإِذَا مَا أَرَدْتَ كُنْتَ قَلِيًّا

فجعله مرة جبلاً ومرة بئراً . . وقال الآخر هو أبو تمام :-

ضاحي المحيا للهجير وللقتنا تحت العجاج تخاله محراثنا

فلعنه الله على المحراث هنا ، ما أقبحه وأركه !! وأين هذا كله من قوله

الملبح البديع :-

أومارات بردى من نسج الصبا ورأت خضاب الله وهو خضاي

وإن كان إنما أخذه من قول الله عز وجل : (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ

مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً) قالوا : يريد الختان ، وقيل : الفطرة .

والاستعارة إنما هي من اتساعهم في الكلام اقتداراً ودالة ليس ضرورة ؛

لأن ألفاظ العرب أكثر من معانيهم ، وليس ذلك في لغة أحد من الأمم

غيرهم ، فانما استعاروا مجازاً واتساعاً . ألا ترى أن الشيء عندهم أسماء كثيرة وهم يستعيرون له مع ذلك ؟ على أنا نجد أيضاً اللفظة الواحدة يعبر بها عن معان كثيرة ، نحو « العين » التي تكون جارحة ، وتكون الماء ، وتكون الميزان ، وتكون المطر الدائم الغزير ، وتكون نفس الشيء وذاته ، وتكون الدينار ، وما أشبه ذلك كثير ، وليس هذا من ضيق اللفظ عليهم ، ولكنه من الرغبة في الاختصار ، والثقة بفهم بعضهم عن بعض . ألا ترى أن كل واحد من هذه التي ذكرنا له اسم غير العين أو أسماء كثيرة ؟ وما اختاره ابن الأعرابي وغيره قول أرطاة بن سبية

فقلتُ لها يأمُّ يضاء ^(١) إني هريقُ شبابي واستشن أديمي

فقاله هريقُ شبابي لما في الشباب من الروق والطلاوة التي هي كالماء ، ثم قال * استشن أديمي * لأن الشن هو القربة اليابسة فكان أديمه صار شناً لما هرق ماء شبابه ؛ فصحت له الاستعارة من كل وجه ولم تبعد . ومثل ذلك في الجودة ما اختاره ثعلب وفضله جماعة ممن قبله ، وهو قول طفيل الغنوي : —

فوضعتُ رجلي فوقَ ناجيةٍ يَفْتَتُ شَحْمَ سَنَامِها الرَّحْلُ
لجعل شحم سنامها قوتاً للرحل ، وهذه استعارة كما تراها كأنها الحقيقة لتسكنها وقربها ، وقد تناولها جماعة منهم كثوم بن عمرو العتابي : قال في قصيدة يعتذر فيها إلى الرشيد : —

ومن فوق أكوار المهارى ^(٢) لبانة أحلَّ لها أكل الذرى والغوارب
ثم أتى أبو تمام وعول على العتابي وزاد المعنى زيادة لطيفة بيته فقال : —
وقد أكلوا منها الغوارب بالسرى فصارت لها أشباحهم كالغوارب

(١) في نسخة « يأم عمران »

(٢) في نسخة « المطايا »

وكان ابن المعتز يفضل ذا الرمة كثيراً ، ويقدمه بحسن الاستعارة والتشبيه ،
لا سيما بقوله : —

فلما رأيت الليلَ والشمسُ حَيَّةَ حَيَاةِ الذِّى يَقْضَى حَشَاشَةُ نَازِغٍ
لأن قوله * والشمس حية * من بدیع الكلام والاستعارة ، وباقي البيت
من عجيب التشبيه . واختار الحاتمي في باب الاستعارة في وصف صحائب -
وأظنه لابن ميادة ، واسمه الرماح بن أبرد من بني مرة ، وميادة أمه : —
إذا ما هبطن القاعَ قد مات بقله بكنين به حتى يعيش هشيم
ورواه قوم لأبي كبير ، وابن ميادة أولى به وأشبه .

والاستعارة كثيرة في كتاب الله عز وجل وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم :
من ذلك قوله تعالى : (لما طغى الماء) وقوله : (فلما سكنت عن موسى
الغضب) وقوله : (سمعوا لها شيقاً وهي تفور تكاد تميز من الغيظ)
فالشيق والغيظ استعارتان ، وقوله تعالى : (يا أرض ابلعي ماءك) وكثير
من هذا الوتقى لطلال جداً . وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « الدنيا حلوة
خضرة » وقوله للحالب حلب ناقة : « دع داعي اللبن » يعنى بقية من اللبن في
الحلب ، وقوله : « تمسحوا بالأرض فانها بكم برة » . قال أبو عبيد : يريد
أنها منها خلقهم ، ومنها معادهم ، وهي بعد الموت : كَيْفَا تَهْمُ (١) وقوله : « رب
تقبل توبتي ، واغسل حوبتي » فغسل الحوبة استعارة مليحة .

ومن أناشيد هذا الباب - وهو فيما زعم ابن وكيع أول استعارة وقعت -
قول امرئ القيس يصف الليل : —

وكَيْلَ كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع المنوم ليتلى
فقلت له لما تمطى بحوزة (٢) وأردف أعجازاً وناة بكلكل

(١) الكفات - بكسر الكاف - الموضع يضم فيه الشيء بجميع

(٢) في إحدى روايات المعاقبة * فقات له لما تمطى بصلبه * وهي رواية

الخطيب والاعلم ، والذي رواه المؤلف رواية الاسمى . والمعنى لما تمدد بوسطه

فاستعار الليل سدولا يرخيها ، وهو الستور ، وصلباً يتمطى به ، وأعجازا يردفها ، وكلكتلا ينوء به ، وقال حسان بن ثابت يذكر قتلة عثمان رحمة الله عليه : —

صَحْوٌ أَبَاسْمَطُ عَنَوَانُ السُّجُودِ بِهِ يَقَطُّعُ اللَّيْلُ تَسِيحًا وَقَرَأْنَا
فَالَا سَتَاعَرَةَ قَوْلُهُ عَنَوَانُ السُّجُودِ بِهِ . وَقَدْ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى :
(سَبَّاهُمْ فِي وَجْهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) وَقَالَ جَمِيلُ الْعَذْرَى : —

أَكَلْنَا بَابَ حَيٍّ لَا تَلَامِيهِمْ وَلَا يِيَالُونَ أَنْ يَشْتَأَقَ مَنْ فَجَعُوا
عَلَقَتْنِي بِهِوً مِنْهُمْ ، فَقَدْ جَعَلْتُ مِنْ الْفِرَاقِ حِصَاةَ الْقَلْبِ تَبْصَدَعُ
الْبَدِيعُ « حِصَاةُ الْقَلْبِ » . وَمِنْ كَلَامِ الْمَوْلَدِينَ قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ : —
بَصَحْنِ خَدْلِمَ يَنْفُضُ مَأْوَهُ وَلَمْ تَخْضُهُ أَعْيُنُ النَّاسِ
الْبَدِيعُ كُلُّ الْبَدِيعِ عَجَزَ الْبَيْتِ .. وَقَالَ أَيْضًا : —

فَإِذَا بَدَأَ اقْتَادَتْ مُحَاسِنُهُ قَرَأَ إِلَيْهِ أَعْنَةَ الْحَدَقِ
الْبَدِيعُ « أَعْنَةُ الْحَدَقِ » وَقَوْلُهُ « اقْتَادَتْ » . وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ : —
ضَمَمْتَ جَنَاحِيهِمْ عَلَى الْقَلْبِ ضَمَّةً تَمُوتُ الْخَوَافِي تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ
أَرَادَ بِالْجَنَاحِينَ مِيمَةَ الْعَسْكَرِ وَمِيسِرَتَهُ ، وَبِالْقَلْبِ مَوْضِعَ الْمَلِكِ ، وَبِالْخَوَافِي
وَالْقَوَادِمِ السُّيُوفَ وَالرَّمَاحَ ، وَهَذَا تَصْنِيعُ بَدِيعٍ ، كُلُّهُ حَسَنُ الِاسْتِعَارَاتِ ..
وَقَالَ : —

صَدَمْتَهُمْ بِمَقْدِمِيكِ أَنْتَ غَرْتَهُ وَمَهْمَرِيَّتِهِ فِي وَجْهِهِ شَمَمٌ
وَهَذَا كَالْأَوَّلِ جُودَةٌ .. وَقَالَ السَّرِيُّ الْمَوْصِلِيُّ : —
يَشُقُّ جُيُوبَ الْوَرْدِ فِي شَجَرَاتِهِ نَسِيمٌ مَتَى يَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ يَرِدُ
فَالْبَدِيعُ قَوْلُهُ « مَتَى يَنْظُرُ »

(٣٨) — باب التمثيل

ومن ضروب الاستعارة التمثيل ، وهو الماثلة عند بعضهم ، وذلك أن
تمثل شيئاً بشيء فيه إشارة ، نحو قول امرئ القيس وهو أول من ابتكره ،
ولم يأت أملح منه :-

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لَتَقْدَحِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُّقْتَلٍ ^(١)
فقتل عيناها بسهمي الميسر - يعني المولى ، وله سبعة أنصاء ، والرقيب ، وله
ثلاثة أنصاء - فصار جميع أعشار قلبه للسهمين اللذين مثل بهما عيناها ، ومثل
قلبه بأعشار الجزور فتمت له جهات الاستعارة والتمثيل .. وقال حريث
ابن زيد الخيل :-

أَبَا نَا ^(٢) يَقْتُلَانَا مِنْ الْقَوْمِ عُصْبَةً كِرَامًا وَلَمْ نَأْكُلْ بِهِمْ حَشَفَ النَّخْلِ
فقتل خساس الناس بمحشف النخل ، ويجوز أن يريد أخذ الدية فيكون
حينئذ حذفاً أو إشارة .. وقال الأخطل لنايفة بنى جعدة :-

لَقَدْ جَا زَى أَبُو لَيْلَى بِقَحْمٍ وَمُنْتَكِيَتْ هَيْنَ التَّقْرِيبِ وَإِنْ
إِذَا هَبَطَ التَّخْبَارَ كِبَاءً لِفَيْهِ وَخَرُّ عَلَى الْجَحَافِلِ وَالْجُرَانِ
وإنما عبره بالكبر ، وإنما هو شاب حديث السن .. وقال بعض الرواة :
إنما تهاجيا في مسابقة فرسين ، وهو غلط عند الخنفاق . ومن التمثيل
أيضاً قوله :-

فَقَعْنُ أَخٌ لَمْ تَلْقَ فِي النَّاسِ مِثْلَنَا أَخَا حِينَ شَابَ الدَّهْرُ وَابْيَضَ حَاجِبُهُ
ومعنى التمثيل اختصار قولك مثل كذا وكنا كذا وكذا .. وقال

(١) ذرفت : دمعت ، إلالتقدحى : يروى فى مكانه «إلالتضربى» فى أعشار
قلب : أى فى قلب معشر ، أى : مكسر ، مقتل : مزال منقاد ، يقول مابكيت
إلالتجرحى قلبا قد فله المشق . (٢) فى الأصول «أفأنا»

أبو خراش في قصيدة رثى بها زهير بن عجرة ، وقد قتله جميل بن معمر يوم حنين مأسوراً : —

فَلَيْسَ كَهَيْدِ الدَّارِ يَأْمٌ مَا لَكَ وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرَّاقِبِ السَّلَاسِلُ
يقول : نحن من عهد الاسلام في مثل السلاسل ، وإلا فكنا نقتل قاتله ،
وهو من قول الله عز وجل في بني إسرائيل (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ
الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) يريد بذلك الفرائض الماسة لهم من أشياء رخص فيها
لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإلى نحو ذلك ذهب عمرو بن معدى كرب
حين خففه عمر رضى الله عنه بالدره ، فقال له : ألمحني أضرعتني لك ، يعنى
الدين ، وإن كان المثل قديماً إنما [هو] ألمحني أضرعتني للنوم . . ومن جيد التمثيل
قول ضباعة بنت قرط رثى زوجها هشام بن المغيرة المخزومي : —

إِنْ أَبَا عَثْمَانَ لَمْ أَنَسْهُ وَإِنْ صَمْتًا عَنْ بَكَاهِ لِحُوبٍ
تَفَاقَدُوا مِنْ مَعْشَرٍ مَا لَمْ أَيْ ذَنْبٍ صُوبُوا فِي الْقَلْبِ

ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم في التمثيل قوله : « الصوم في الشتاء الغنيمة
الباردة » وقوله : « ظهر المؤمن شَجَبُهُ ، وخزائنه بطنه ، وراحلته رجله ،
وذخيرته ربه » وقوله : « المؤمن في الدنيا ضيف ، وما في يديه عارية ،
والضيف مرتحل ، والعارية مؤداة ، ونعم الصبر القبر » ومن مליح أناشيد
التمثيل قول ابن مقبل : —

إِنِّي أَقِيدُ بِالْمَأْثُورِ رَاحِلَتِي وَلَا أَبَالِي وَإِنْ كُنَّا عَلَى سَفَرٍ
فقوله : أقيد بالمأثور : تمثيل بديع ، والمأثور هو السيف الذي فيه أثر ،
وهو الفرند ، وقوله : وَلَا أَبَالِي : حشو مليح ، أفاد مبالغة عجيبة ، وقوله
: وَإِنْ كُنَّا عَلَى سَفَرٍ : زيادة في المبالغة ، وهذا النوع يسمى إيقاعاً ، وبعضهم
يسميه التبليغ ، وهو يرد في مكانه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . . وما
اختاره عبد الكريم وقبضه قول ابن أبي زبيعة : —

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيَّ سُبَيْلًا هَمَّكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ ؟
 هي شامية إذا ما استقلت وسيل إذا استقل يمانى
 يعنى الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وكانت نهاية في الحسن
 والكمال، وسيل بن عبد الرحمن بن عوف، وكان غاية في القبح والدمامة .
 قتل بينهما وبين سميهما، ولم يرد إلا بعد ما بينهما وتفاوتة خاصة، لا أن
 سبيلا اليان قبيح ولا دميم، ولا أدري هل هذا الرأى موافق لرأى
 عبد الكريم أم لا ؟ وحسبك أن الشاعر لم ينكر إلا التقاءهما . وقال
 أبو الطيب وذكر نزاراً : —

فأقرحت المقاوذ ذفريها وصعّرَ خدها هذا العذار
 ووصف ربحاً فقال وهو مليح متمكن جداً : —
 يغادر كل ما فتى إليه ولته لثعلبه وجار
 وقال يخاطب سيف الدولة : —

بنو كعب وما أثرتَ فيهم يدٌ لم يُدْمِمْهَا إِلَّا السَّوَارُ
 بها من قطعها ألمٌ ونقصٌ وفيها من جلالها افتخار
 والتمثيل والاستعارة من التشبيه، إلا أنها بغير الله، وعلى غير أسلوبه .
 والمثل المضروب في الشعر نحو قول طرفة : —

سَتُبْدَى لَكَ الْآيَامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودِ
 راجع إلى ما ذكرته، لأن معناه ستبدي لك الأيام كما أبدت لغيرك ويأتيك
 بالأخبار من لم تزود كما جرت عادة الزمان . . وتسمية المثل دالة على ما قلته ؛
 لأن المثلَ والمثلَ الشيءَ والنظير، وقيل : إنما سمي مثلاً لأنه مائل لحاظه
 الإنسان أبداً، يتأسى به، ويعظ ويأمر ويذكر، والمائل : الشخص المنتصب
 من قولهم « طلل مائل » أى : شاخص، فإذا قيل رسم مائل فهو الدارس،
 والمائل من الإضداد . . وقال مجاهد في قول الله عز وجل (وقد خلقت من

قبلهم المثلات) : هي الأمثال . وقال قتادة : هي المقويات . وقال قوم : إنما معنى المثل المثال الذي يحذى عليه ، كأنه جعله مقياساً لغيره ، وهو راجع إلى ما قدمت . . . وقال بعضهم : في المثل ثلاث خلال : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وقد يكون المثل بمعنى الصفة من ذلك قول الله تعالى : (مثل الجنة التي وعد المتقون) أى : صفة الجنة ، وقوله : (وله المثل الأعلى في السموات والأرض) أى : الصفة العليا ، وهي قولنا لا إله إلا الله وقوله تعالى : (ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه) أى : صفتهم

(٣٩) — باب المثل السائر

المثل السائر في كلام العرب كثير نظماً ونثراً ، وأفضله أوجزه ، وأحكمه أصدقه ، وقولهم مثل شرود وشارد أى سائر لا يرد كالجلل الصعب الشارد الذي لا يكاد يعرض له ولا يرد . . . وزعم قوم أن الشرود مالم يكن له نظير كالشاذ والنادر ، فأما قول أبي تمام وكان إمام الصنعة ورئيسها : —

لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ

حين عيب عليه قوله في ابن المعتصم : —

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي تَمَحَّحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمٍ أَحْتَفَ فِي ذَكَاةِ لُبَّاسٍ

فانه يشهد للقول الأول ؛ لأن المثل بعمر ووحاتم مضروب قديماً ، وليس بمثل لانظير له كما زعم الآخر . . . وقد تأتي الأمثال الطوال محكمة إذا تولاهما الفصحاء من الناس ، فأما ما كان منها في القرآن فقد ضمن الإعجاز ، قال الله عز وجل : (كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت) وقال : (فتله كمثل الكلب : إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث) وقال : (كمثل الحمار يحمل أسفاراً) فهذه أمثال قصار . . . وقال :

(إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها) ومن الأمثال الطوال قوله تعالى : (ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط) الآية (وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون) الآية (ومريم ابنة عمران) الآية ، وقال : (قتله كمثل صفوان عليه تراب) الآية ، وقال (والذين كفروا بربهم أعلمهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً) الآية ، ثم قال : (أو كظلمات في بحر لجي) الآية . . ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الأمثال قوله : «كل الصيد في جوف الفرا» قاله لآبى سفيان بن حرب حين أسلم ، وقوله : «مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تميلها الريح مرة هكذا ومرة هكذا ، ومثل المناق مثل الارزّة المجذبة»^(١) على الأرض حتى يكون انجما فها مرة» وقوله حين ذكر الدنيا وزينتها فقال : «وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم» وقوله : «وإياكم وخضراء الدمن» قيل : وما خضراء الدمن؟ قال : «المرأة الحسناء في المنبت السوء» والناشيد في هذا الباب كثيرة : فمنها ما فيه مثل واحد ، ومنها ما فيه مثلان ، ومنها ما فيه ثلاثة أمثال ، ومنها ما فيه أربعة أمثال ، وهو قليل جداً ، وكل نوع من هذه الأنواع فيه احتياج واستغناء ، والمثل إنما وزن في الشعر ليكون أشد له ، وأخف للنطق به ، فمضى لم يزن كان الايتان به قريباً من تركه . . وقد حكى الخاتمي أشياء لا أدرى كيف وجهها ، وزعم أن حمادا الراوية سئل : بأي شيء فضل

(١) في المصرتين «الارزة المجرية» وفي التونسية «المجدبة» وكل هذا تصحيف ، وإنما هو «مثل الارزة المجدبة» كما أثبتناه ، قال ابن الأثير : «الارزة - بسكون الراء وفتحها - شجرة الارزن وهو خشب معروف ، وقيل هو الصنوبر ، وقال بعضهم : هي الآرزة - بوزن فاعلة - وأنكرها أبو عبيد» ثم قال في موضع آخر : «المجدبة : هي الثابتة للنتصبة ، يقال : جذت تمجنو ، وأجذت تمجنى» اهـ

النابغة ؟ فقال : إن النابغة إن تمنت بيت من شعره اكتفيت به ، مثل قوله : —

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلرَّءِ مَذْهَبٌ
بل لو تملت بنصف بيت من شعره اكتفيت به ، وهو قوله * وليس وراء الله للمذهب * بل لو تملت ربع بيت من شعره اكتفيت به ، وهو قوله * أى الرجال المذهب ؟ * (١) ولا أعرف كيف يجعل حماد هذا ربع بيت وفيه زيادة سبعين وهما أربعة أحرف ؟ إلا أن يريد التقريب ، فهذا هو من الاحتياج الذى ذكرته ، لأنه لا يتمثل به على أنه شعر إلا احتياج إلى ما قبله واستغنى ما قبله عنه ، ألا ترى [أنه] لو قال * ولست بمسبوق أخلاً تله * أنه يكون مثلاً كافياً ، ثم لا يتعلق قوله * على شعث * بشئ من المثل الثانى وإن بقى موزوناً ، فاذا رده على الصدر تعلق به وبقى المثل الثانى مكسوراً .. ومثله قول القطامي - واسمه عمير بن شليم التغلبي : —

وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ مَا يَشْنَعِي ، وَلَا أُمُّ الْمُخْطِئِ وَالْهَبَلِ
فقوله . ولأم المخطئ الهبل . مثل إلا أنه غير موزون حتى يتصل بقوله . ما يشتهى . وذلك من تمام المثل الأول الذى فى صدر البيت ، وهذا كله احتياج ومعالا احتياج فيه قول امرئ القيس : —

اللَّهُ أَنْجَحَ مَا طَلَبْتَ بِهِ وَالْأَبْرُ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ
ففى كل قسم من هذين مثل قائم بنفسه ، غير محتاج إلى صاحبه .. وكذلك قول الخطبة : —

(١) البيت بتمامه هو قوله : —

ولست بمسبوق أخاً لآلهه على شعث ، أى الرجال المذهب ؟

وستقف على هذا البيت مفرقا فى كلام المؤلف

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدِمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
وقال عبيد بن الأبرص الأسدي : —

الخير يَبْقَى وإن طال الزمان به والشرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادٍ
ومما فيه مثل واحد قول عنترة العبسي : —

نُبِذْتُ عَمْرًا غَيْرَ شَاكِرٍ نَعْمَى وَالْكَفْرُ نَجْبَةٌ لِلنَّفْسِ الْمُنْعَمِ
لجاء بالمثل غير محتاج إلى ما قبله . . وقال أبو ذؤيب : —

نَرَكُوا هَوًى وَأَعْنَقُوا لَهْوَامٍ فَخَرُّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ
فإن بدأت بالقسم الثاني كان مثلاً سائراً، وإن أسقطت جزءاً منه بقي المثل
سائراً غير موزون، إلا أن يكون في المرفوع من الأمثال مصمت يأتي في
البيت بأسره كقول الأول : —

وَلَئِنْ لَمْ تَرَى طَرْدًا لِلْجُرِّ كَالصَّاقِ بِهِ طَرَفَ الْهَوَانِ
وقول أبي نواس : —

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبُ تَكْشُفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ
ومما فيه ثلاثة أمثال قول زهير : —

وَفِي الْحِلْمِ إِذْعَانٌ ، وَفِي الْعَفْوِ دُرَّةٌ ، وَفِي الصَّدَقِ مَنْجَاةٌ مِنَ الشَّرِّ فَاصْذُقْ
فأني بكل مثل في ربع بيت ، ثم جعل الربع الآخر زيادة في شرح معنى
ما قبله . وكذلك قول النابغة الذبياني : —

الرَّفْقُ يُنْقِئُ ، وَالْأَنَافَةُ سَلَامَةٌ فَاسْتَأْنِ فِي رَفْقٍ تَلَاقٍ نَجَاحًا

لجاء بثلاثة أمثال إلا أنها مداخلة لم تسلم سلامة ما قبلها من كلام زهير .
وقال ابن عبد القدوس : —

كُلُّ آتٍ لَا يَدُ آتٍ ، وَذُو الْجَهْلِ لِي مُعَقٍّ ، وَالنِّعَمُ وَالْحَزَنُ فَضْلُ
فأني بثلاثة أمثال مداخلة الوزن أيضاً ، وكان قول ضابيء بن الحارث : —

وفي الشك تغريط ، وفي الحزم قوة ، ويخطئ في الخدس الفتى وَيُصِيبُ
أحسن تعديلا في القسمة : لأن شطره الأول مشتمل على مئتين ، وشطره
الثاني مشتمل على مثل قائم بنفسه . وقال عبدالله بن المعتز : —

والعيش هر ، والموت مر مستكره ، والمنى ضلال
والحرص ذل ، والبخل قد وآة النائل المطال

ففي البيت الأول ثلاثة أمثال في أحدها احتياج ، وفي البيت الثاني ثلاثة أمثال
لا احتياج فيها على حدو ما أتى به ضابئ ، ولم أر بيتا فيه أربعة أمثال كل
واحد منها قائم بنفسه إلا قليلا . أنشد الأصمعي : —

فألم فضل ، وطول العيش منقطع ، والرزق آت ، وروح الله متظر
وقال أبو الطيب وحكم عليه الوزن أيضا : —

والمرء يأمل ، والحياة شبة ، والشيب أقر ، وأنشيد أنزق
فأتى بمثلين في كل قسم . وصنعت أنا : —

كل إلى أجل ، والدهر ذو دُول ، والحرص مخبة ، والرزق مقسوم
وأقل من ذلك ما كان فيه خمسة أمثال ، ولا أعرف منه في حفظي إلا بيتا
واحدا للقرأز السناطوق بسط قصيدة مدحها الأمير تميم بن [المعز] معد ، وهو
قوله : —

خاطرُ مُنَدٍّ ، وأردنُ مُنَجِّدٍّ ، وأكرمُ مُسَدٍّ ، وأفندُ مُدٍّ ، واصفرُّ مُدَّ الأَكْبَرَا
وأما ما فيه ستة فأتى صنعت : —

خُذِ الْقَوَّ ، وَأَبِ الضَّيْمَ ، واجتنبِ الآذَى

وَأَغْضِي تَسَدَّ ، وَارْفُقْ تَقَلَّ ، وَاسْخُ تَحْمَدِ

ومن الأمثال أيضا كلمات سارت على وجه الدهر : كقولهم « تسمع
بالمعدي خير من أن تراه » يضرب مثلا للذي رأته دون السماع به وفي
كل ماجرى هذا المجرى . وكذلك قولهم : « على أهلها جنت براقش »

يضرب مثلاً للرجل يهلك قومه بسببه . وأما قولهم في تفسير ما يقع في الشعر
من جنس قول الخطبة : —

• شَدُّوا الصَّاعَ وَشَدُّوا فَوْقَهُ الْكَرْبَا •

هو مثل ؛ فأنما ذلك مجاز أرادوا التمثيل . وهذه الأشياء في الشعر إنما هي بند
تستحسن ، ونكت تستظرف ، مع القلة ، وفي الندرة ، فأما إذا كثرت فهي
دالة على الكلفة ، فلا يجب للشعر أن يكون مثلاً كله وحكمة كشعر صالح
ابن عبد القدوس ، فقد قدم به عن أصحابه وهو يقدمهم في الصناعة لا كثاره
من ذلك ، وما نصر عليه العلماء في كتبهم ، وكذلك لا يجب أن يكون استعارة
وبديعاً كشعر أبي تمام ؛ فقد رأيت ما صنع به ابن المعتز ، وكيف قال فيه
ابن قتيبة ، وما ألف عليه المتعقبون كالجرجاني وأبي القاسم بن بشر الأمدى
وغيرهما ، وإنما هرب الخذاق عن هذه الأشياء لما تدعو إليه من التكلف
لا سيما إن كان في الطبع أيسر شيء من الضعف والتخلف . وأشد ما تكلفه
الشاعر صعوبة التشبيه ، لما يحتاج إليه من شاهد العقل واقتضاء العيان .
ولا ينبغي للشعر أن يكون أيضاً خالياً مفسولاً من هذه الحلي فارغاً ككثير
من شعر أشجع وأشباهه من هؤلاء المطبوعين جملة ، مع أنه لا بد لكل شاعر
من طريقة تغلب عليه فينقاد إليها طبعه ، ويسهل عليه تناولها : كأبي نواس
في الخمر ، وأبي تمام في التصنيع ، والبحتري في الطيف ، وابن المعتز في التشبيه
وديك الجن في المراثي ، والصنوبري في ذكر النور والطير ، وأبي الطيب
في الأمثال وذم الزمان وأهله . وأما ابن الرومي فأولى الناس باسم شاعر :
لكثرة اختراعه ، وحسن اقتنائه ، وقد غلب عليه الهجاء حتى شهر به فصار
يقال : أهجى من ابن الرومي ، ومن أكثر من شيء عرف به ، وليس هجاء
ابن الرومي بأجود من مدحه ولا أكثر ، ولكن قليل الشر كثير .

(٤٠) — باب التشبيه

التشبيه : صفة الشيء بمقاربه وشاكله ، من جهة واحدة أو جهات كثيرة ،
لامن جميع جهاته ؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه ، ألا ترى أن قولهم
« خد كالورد » إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها ، لا ماسوى ذلك
من صفرة وسطه وخضرة كائمه ، وكذلك قولهم « فلان كالبحر » ، وكالليث
إنما يريدون كالبحر سباحة وعلباً ، كالليث شجاعة وقرماً ، وليس يريدون
ملوحة البحر وزعوقته ، ولا شتامة الليث وزهوته ؛ فوقع التشبيه إنما
هو أبداً على الاعراض لا على الجواهر ؛ لأن الجواهر في الأصل كلها
واحد : اختلفت أنواعها أو اتفقت ، فقد يشبهون الشيء بسميه ونظيره من
غير جنسه : كقولهم « عين كعين المهاة ، وجيد كجيد الريم » فاسم العين
واقع على هذه الجارحة من الانسان والمهاة ، واسم الجيد واقع على هذا
العضو من الانسان والريم ، والكاف للمقاربة ، وإنما يريدون أن هذه العين
لكثرة سوادها قاربت أن تكون سوداء كلها كعين المهاة ، وأن هذا الجيد
لاتصا به وطوله كجيد الريم ، ألا ترى أن الاصمعي سئل عن الحور فقال :
أن تكون العين سوداء كلها كميون الظباء والبقر ، ولا حور في الانسان ،
هذا أحد أقوال الاصمعي في الحور ، وبذلك على أن التشبيه إنما هو
بالمقاربة كما قلنا .

والتشبيه والاستعارة جميعاً يخرجان الاغض إلى الأوضح ، ويقربان
البعيد ، كما شرط الرماني في كتابه ، وهما عنده في باب الاختصار . قال :
واعلم أن التشبيه على ضربين : تشبيه حسن ، وتشبيه قبيح : فالتشبيه الحسن
هو الذي يخرج الاغض إلى الأوضح فيفيد بياناً ، والتشبيه القبيح ما كان
على خلاف ذلك ، قال : وشرح ذلك أن ماتقع عليه الحاسة أوضح في الجملة

بما لا تقع عليه الحاسة ، والمشاهد أوضح من الغائب ؛ فالأول في العقل أوضح من الثاني ، والثالث أوضح من الرابع ، وما يدركه الإنسان من نفسه أوضح مما يعرفه من غيره ، والقريب أوضح من البعيد في الجملة ، وما قد ألف أوضح مما لم يؤلف ، ثم عاب على بعض شعراء عصره : —

صُدْعُهُ صِدْعُ خَدِّهِ مِثْلُ مَا لَوَقَعَهُ إِذَا - مَا عَتَبَتْ - صُدْعُ الْوَعِيدِ
من قبل أنه شبه الأوضح بالأغمض ، وما تقع عليه الحاسة بما لا تقع عليه . وكذلك قوله : —

وَلَهُ غُرَّةٌ كَلَوْنٍ وَصَالٍ قَوْقَمًا طَرَّةٌ كَلَوْنٍ صُدُودٍ
وقال في موضع آخر : التشبيه على ضربين والأصل واحد : فأحدهما التقدير ، والآخر التحقيق : فالذي يأتي على التقدير التشبيه من وجه واحد دون وجه ، والذي يأتي على التحقيق التشبيه على الإطلاق ، وهو التشبيه بالنفس : مثل تشبيه الغراب بالغراب ، وحجر الذهب بحجر الذهب إذا كان مثله سواء ، وحمرة الشقائق بحمرة الشقائق .

قال صاحب الكتاب : أما ما شرط في التشبيه فهو الحق الذي لا يدفع ، إلا أنه قد حمل على الشاعر فيما أخذ عليه ؛ إذ كان قصد الشاعر أن يشبه ما يقوم في النفس دليله بأكثر مما هو عليه في الحقيقة ، كأنه أراد المبالغة ، ولعله يقول أو يقول المحتج له : معرفة النفس والمعقول أعظم من إدراك الحاسة ، لا سيما وقد جاء مثل هذا في القرآن وفي الشعر الفصيح : قال الله عز وجل : (طَلَعَا كَأنَّهُ رَءُوسَ الشَّيَاطِينِ) فقال قوم : إن شجرة الزقوم - وهي أيضا الْأَسْتَنْ (١) - لها صورة منكورة وثمره قبيحة يقال لها :

(١) قال المجد : الأستن والأستن - بفتح الهزة وسكون السين فيهما - أصول الشجر البالية أو شجر يقش في منابته فإذا نظر الناظر إليه شبهه بشخص من الناس ١٥

رموس الشياطين . وقال قوم : الشياطين الحيات في غير هذا المكان . والأجود
الأعرف أنه شبه بما لا يشك أنه منكر قبيح ؛ لما جعل الله عز وجل
في قلوب الانس من بشاعة صور الجن والشياطين ، وإن لم يروها عياناً ،
نحرفنا تعالى بما أعد للعقوبة ، وشبهه بما نخاف أن نراه . وقال امرؤ
القيس : —

أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرِقُ مُضَاجِي وَمَسْنُونَةٌ زُرُقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالٍ
فشبه فصال النبل بأنياب الأغوال لما في النفس منها . وعلى هذا التأويل
قال أبو تمام وفيه عكس : —

وَأَحْسَنُ مِنْ نَوْرِ يُفْتَحُهُ النَّدَا^(١) بَيَاضُ الطَّيَالِبِ
وقال أعرابي قديم : —

يزملون حديث الضغن بينهم والضغن أسود أوفى وجهه كلف
فوصفه بما يتصور ويقوم في النفس ، كأنه يقول : لو كان صورة لكان
هكذا . وقال بعض المولدين : —

وَتُدْبِرُ عَيْنًا فِي صَفِيحَةٍ فِضَّةٍ كَسَوَادِ يَأْسٍ فِي بَيَاضِ رَجَاءٍ
فاليأس على الحقيقة غير أسود ؛ لأنه لا يدرك بالعيان ، لكن صورته في
المعقول وتمثله كذلك مجازاً ، والرجاء أيضاً على هذا التقدير في البياض . وقد
يقول المحتج الأول : إن هذا داخل في باب الاستطراد ، كأن الشاعر لم يقصد
الاجازة عن الغرة والطرقة وشبههما لكن عن الوصال والصدود ، وعكس
التشبيه ثقة بأن ما أشبه شيئاً من جهة فقد أشبه الآخر من تلك الجهة . فأما
قول ابن المعتز يصف شرب حمار : —

وَأَقْبَلَ نَحْوَ الْمَاءِ يَسْتَلُّ صَفْوَهُ كَأَغْمَدَتْ أَيْدِي الصَّيَاقِلِ مُتَّصِلًا
فانه بديع ، يشبه فيه انسياب الماء في شذيقه إلى حلقه بمنصل يعمد ، وهذا

تشبيه مليح يدرك بالحس ، ويتمثل في المعقول ، وكرر هذا التشبيه فقال يذكر
إبل سفر :-

وأغمدن في الأعناق أسنائف لجرة مصفلة تفرى بين المفاوز
وزعم قدامة أن أفضل التشبيه ما وقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات
أكثر من انفردهما ، حتى يدى بهما إلى حال الاتحاد ، وأشد في ذلك وهو
عنده أفضل التشبيه كافة :-

له أيتلا ظلي ، وساقا نعامة وإرخاء مرجان ، وتقريب تغل
وهذا تشبيه أعضاء بأعضاء هي هي بعينها ، وأفعال بأفعال هي هي أيضاً
بعينها ، إلا أنها من حيوان مختلف كما قدمت ، والامر كما قال في قرب التشبيه ،
إلا أن فضل الشاعر فيه غير كبير حيثئذ ؛ لأنه كتشبيه نفس الشيء المشبه
الذي ذكره الرماني في تشبيه الحقيقة ، وإنما حسن التشبيه أن يقرب بين
البعيد حتى يصير بينهما مناسبة واشتراك كما قال الأشجى :-

كان أزيز الكبر لإرزام شخبها إذا امتاحها في محلب الحى مانع
فشبه ضرع العنز بالكبر ، وصوت الحلب بأزيره ، فقرب بين الأشياء
البعيدة بتشبيهه حتى تناسبت ، ولو كان الوجه ما قال قدامة لكان الصواب
أن يشبه الأشجى ضرع عنزة بضرع بقرة ، أو خلف ناقة ، لأنه إنما أراد
كبره وكثرة ما فيه من اللبن ، وكان يعدل عن ذكر الكبر وأزيره الذى دل
به على أعظم ما يكون من صفة كبر الضرع وكثرة لبنه .

وسيل التشبيه - إذ كانت فائدته إنما هي تقريب المشبه من فهم السامع ،
وإيضاحه له - أن تشبه الادون بالأعلى إذا أردت مدحه ، وتشبه الأعلى
بالادون إذا أردت ذمه ، فقول في المدح تراب كالمسك ، وحصى كالياقوت ،

وما أشبه ذلك ، فإذا أردت الظم قلت : مسك كالتسك^(١) أو التراب ،
وياقوت كالزجاج أو كالخصى ؛ لأن المراد في التشبيه ما قدمته من قريب
الصفة وإفهام السامع ، وإن كان ما شابه الشيء من جهة فقد شابه الآخر
منها إلا أن المتعارف وموضوع التشبيه ما ذكرت .

وأصل التشبيه مع دخول الكاف وأمثاله أو كأن وما شاكلها شيء بشيء
في بيت واحد ، إلى أن صنع امرؤ القيس في صفة عقاب : —

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعَنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي
نَشَبَ شَيْتَيْنِ بَشِيتَيْنِ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ ، وَأَتْبَعَهُ الشَّعْرَاءُ فِي ذَلِكَ : قَالَ
ليبد بن ربيعة : —

وَجَلَا السَّيُولُ عَنِ الطَّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجَدُّ مَتَوْنَهَا أَقْلَامُهَا
نَشَبَ الطَّلُولُ بِالزُّبُرِ وَالسَّيُولُ بِالْأَقْلَامِ ، بَلْ زَادَ نَشَبَهُ جَلَاءُ هَذِهِ عَنْ هَذِهِ
بِتَجْدِيدِ تِلْكَ لِتِلْكَ . وَحَكِيَ عَنْ بَشَارِ أَنَّهُ قَالَ : مَا قَرَأْتُ فِي الْقِرَارِ مِثْلَ
قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ • كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا • حَتَّى صَنَعْتُ : —

كَأَنَّ مُنَارَ النَّقْرِ فَوْقَ رُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ نَهَاوَى كَوَاكِبَهُ
فَإِنْ كَانَ مُرَادُهُ التَّرْتِيبَ فَصَدَقَ ، وَلَمْ يَقَعْ بَعْدَ بَيْتِ امْرِئِ الْقَيْسِ فِي
تَرْتِيبِهِ كَيْتَهُ ، وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ تَشْبِيهِهِ فِي بَيْتٍ فَقَدْ قَالَ الطَّرْمَاحُ فِي صِفَةِ
ثُورٍ وَحَشَى : —

يَتَدَوُّ وَتُضْمِرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ سَيْفٌ عَلَى شَرْفٍ يُسَلُّ وَيَعْدُ
وهذه نهاية في الجودة . وأما قول من قال في بيت الحارث بن حذرة : —

(١) السك : إلقاء النعام مافي بطنه ، أو الرمي بالسلاح رقيقا ، وقد أراد به
المؤلف نفس السلاح أو ما في بطن النعام وهو ظاهر

وَحَيِّتِ وَقَعَ سَيُوفُنَا بِرُوسِهِمْ وَقَعَ السَّحَابُ بِالطَّرَافِ الْمَشْرِجِ
 إن فيه تشبيهين من جهة الكثرة والحس أو السرعة والحس، فحتمل،
 إلا أن الشاعر لم يصرح إلا بالوقع خاصة، يريد بذلك الحس وحده في
 ظاهر الأمر، ولذلك خص الطرف لكونه من الآدم فصوت القطر عليه
 أشد منه على غيره من سائر البيوت. وقال بشار أيضاً : —

خَلَقْنَا سَمَاءً فَوْقَهُمْ بَنَجُومَهَا سَيُوفًا وَقَعًا يَقْبِضُ الطَّرْفَ أَقْبَا
 وقال فشب شيئين مختلفين بشيئين من جنس واحد : —

مِنْ كُلِّ مُشْتَرِكٍ فِي كَيْفٍ مُشْتَرِكٍ كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَالسَّيْفَ نَجْمَانِ
 وربما شبهوا شيئا بشيئين كقول القطامي : —

فَهِنْ كَالْجَلَلِ الْمَوْشِيِّ ظَاهِرُهَا أَوْ كَالْكِتَابِ الَّذِي قَدَمَسَهُ الْبَلَلُ
 وربما شبهوا بثلاثة أشياء كما قال البحرى : —

كَأَنَّمَا يَبْسِمُ عَنْ لَوْلُوٍ مُنْظَمٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَقْح
 فقول الشاعر « أو » زيادة تشبيه وإن لم يصح من جميع المشبه بها إلا
 شيء واحد من جهة الحكم في « أو ». ومن الناس من يرويه : —
 كَأَنَّمَا يَبْسِمُ عَنْ لَوْلُوٍ أَوْ فُضَّةٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَقْح
 وهي زعموا رواية أكثر أهل الأندلس والمغرب، فيكون حيثئذ الثغر
 مشبها بأربعة أشياء. وقد تقدم أبو تمام فقال : —

وَنَبَايَاكَ إِنَّمَا إِبْرِيضُ وَلَالُ تَوْمٍ وَرَقٌ وَرَمِيضُ
 فشبها بثلاثة أشياء حقيقة، لأن حكم الواو غير حكم الألف وقد أتى
 التشبيه بغير كاف ولا شيء من أخواتها، فجاء كأنه إيجاب وتحقيق. وكثر
 تشبيههم بشيئين حتى لم يصح عجباً، وقد جاءوا بتشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة
 أشياء في بيت واحد : بالكاف، وبغير كاف. فقال مرقش : —

النشرُ مسكٌ والوجهُ دنا نير وأطراف الآ كف غم

وقال ابن الرومي :-

كَأَنَّ تِلْكَ الدَّمْعَ قَطْءٌ نَدَى يَقْطُرُ مِنْ نَرْجِسٍ عَلَى وَرْدٍ

وقال أيضاً ويدخل في باب قول مرقيش :-

إِنْ أَقْبَلْتُ فَأَلْبَدُ لِمَلاحٍ ، وَإِنْ مَشَيْتُ فَأَلْفَنَسُ مادٍ ، وَإِنْ رَنْتُ فَأَلْرِيمُ

وقال ابن المعتز :-

بدرٌ وليلٌ وغصنٌ وجهٌ وشعرٌ وقد

خمرٌ ودرٌ ووردٌ ريقٌ وقَرٌّ وخَدٌّ

وقال صاحب الكتاب :-

كَأَنَّ ثَنَائِيهِ أَقْلَحٌ ، وَخَدُّهُ شَقِيقٌ ، وَعَيْنِيهِ بَقِيَّةُ نَرْجِسٍ

وقال أيضاً على جهة التفسير :-

بِكُؤُوسِ حَكِيمِينَ مِنْ شَفِّ قَلْبِي شَفَّةٌ لَمْ تَنْقُ وَتَقَرَّأُ وَرِيْقًا
يريد حاة الكأس والحباب والخمر . ثم أتوا بتشبيه أربعة بأربعة : بالكاف
أيضاً ، وبغير كاف ، فقال امرؤ القيس وهو أول من فتح هذا الباب :-

لَهُ أَيُّطَلَاظِي ، وَسَاقَا نَعَامَةٍ ، وَإِرْخَاءُ مِيرْحَانٍ ، وَتَقْرِيبُ تَنْفُلٍ
فجاء بتشبيه إضافة كما ترى حتى جعله تحقيقاً لولا مفهوم الخطاب . وقال
أبو الطيب :-

بَدَتْ قَمَرًا ، وَمَالَتْ خُوطَ بَلَنٍ ، وَفَاحَتْ حَنْبَرًا ، وَرَنْتَ غَزَّالًا

فجاء بالتشبيه على إسقاط الكاف . وقال أيضاً :-

تَرَنُّوْا إِلَى بَيْتِنِ الظُّلِيِّ مَجْهَشَةً وَتَمَسَّحُ الظُّلُّ فَوْقَ الْوَرْدِ بِالْمَسَمِ
فجاء في القسم الأول عيناها بعين الظلي ، وشبه في القسم الآخر ثلاثة
بثلاثة ، وقد تقدم أبو نواس فقال :-

يَمْكِي فَيُذْرِي الدَّرَّ مِنْ تَرْجِي وَيَلْطُمُ الْوَرْدَ بِضَابٍ
وهذا ملجج جداً . سئل ابن مناذر : من أشعر الناس ؟ فقال : الذي يقول :
يَا قمرًا أَبْصَرْتُ فِي مَائِثَمٍ يَنْدُبُ شَجَوًا بَيْنَ أَزَابٍ
يَمْكِي فَيُذْرِي الدَّرَّ مِنْ تَرْجِي وَيَلْطُمُ الْوَرْدَ بِضَابٍ
هذا أشعر الجن والانس . وقد جاء بالشعر على سجيته — أعنى أبانواس —
وشاهد ذلك ظاهر في لفظه ، وإلا فهو قادر أن يجعل مكان الدر الطل حتى
يتناسب الكلام ، لكنه لم يكن يؤثر التصنيع ولا يراه فضيلة لما فيه من الكلفة
ومن الناس من يرويه كذلك ، ومنهم من يرويه * فيذرى الدر من جفته *
ومما شبه فيه أربعة بأربعة مع الكاف قول ابن حاجب — وهو عبد العزيز
وزير القادر بالله أبي العباس النعمان — :

فَرَّ وَخَدَّ وَهَدَّ وَخَضَّ يَدٍ كَالطَّلْعِ وَالْوَرْدِ وَالرَّمانِ وَالْبَلَحِ
وقال صاحب الكتاب : —

بَرْقِعٌ وَوَجَعٌ وَقَدِيرٌ وَرَدْفٌ كَلِيلٌ وَبَذَرٌ وَغُصْنٌ وَحَقِيفٌ
ومما وقع فيه تشبيه خمسة بخمسة قول أبي الفرج الواواء ، وأتى به بغير
آلة تشبيه : —

فَأَسْبَلْتُ لَوْ لَوْثًا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتِ وَرْدًا وَعَصْفَتْ عَلَى الْعَنَابِ بِالْبَرْدِ
وقال أبو الفتح البستي شاعر مصر في وقتنا هذا يصف شمعة : —

قد شابهتني في لون وفي قصف وفي احتراق وفي دمع وفي سهر
فقوله * قد شابهتني * أظهر مقدرة من المحيى بالكاف ؛ لأنهم إنما استصعبوا
ذلك مع الكاف وأخواتها من جهة ضيق الكلام بها ، فهذا الذي أتى به
البستي أشد ضيقا ، ألا ترى أنه لو قال « كأنها أنا » لكان هو الصواب
ويكون قد أتى بكأن وضميرين بعدها فضلا عن الكاف . ومنهم من يأتي
بالتشبيه الواحد بغير كاف كقول امرئ القيس : —

تَحَوَّتْ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا تُحَوُّ حَبَابَ الْمَاءِ حَالًا عَلَى جَالِ
وقوله أيضاً : —

إِذَا مَا الثَّرِيَاءُ فِي السَّمَاءِ تَرَضَّتْ تَرَضَّ أَثْنَاءَ الْوِشَاحِ الْمَفْصَلِ
يريد كهمو حباب الماء ، وتعرض أثناء الوشاح . وأبدع من هذا عندهم
وأغرب قول المنخل اليشكري : —

دَافَعَتْهَا فَتَدَافَعَتْ مَشَى الْقَطَاةُ إِلَى الْقَدِيرِ
وإنما براعته عندهم لما لم يكن قبله فعل من لفظه . ومن مליح التشبيه
قول أبي كبير الهذلي : —

فَالطَّنُ شُغْفَةٌ ، وَالضَّرْبُ هَيْمَةٌ ضَرَبَ الْمَوْلُ تَعَتَ الدِّيمَةَ الْمَصْدَا
وَلَقِيسَى أَزَامِيسْلَ وَغَمْفَةً حِينَ الْجَنُوبِ تَسُوقُ الْمَاءَ وَالْبَرْدَا^(١)

فالأول من نوع ينقي امرئ القيس ، والثاني من نوع بيت المنخل ،
وأنا أستحسن هذين البيتين جداً . وقد يقع التشبيه بين الضدين والمختلفين :
كقولك « العسل في حلاوته كالصبر في مرارته ، أو كالخل في حموضته » .
قال أبو الحسن الرماني : وهذا الضرب من التشبيه لا يقال إلا بتقيد
وتفسير . ومن هذا النوع الذي ذكره الرماني قول ابن المهدي للمأمون يعتذر : —
لَئِنْ جَعَدْتُكَ مَعْرُوقًا مَنَنْتَ بِهِ إِنِّي لَنِي الْأَوْمَرِ أَحْطَى مِنْكَ فِي الْكَرَمِ
وكذلك قول أبي نواس : —

(١) نسب صاحب السان البيتين لعبد مناف بن ربيع الهذلي . والشغفة :
ضرب من الهدير ، وحكاية صوت الطين على التشبيه بالأول . والهيمة : ضرب
الشيء اليابس على مثله كالحديد ، وهي أيضاً حكاية لصوت الضرب . والمول : الذي
ينقي الماء ، وهو شجر يقطعه الراعي فيجمله على شجرتين يستظل تحته من المطر .
والمغند — بفتحين — ماعضد من الشجر ، أي : قطع . والقسي : جمع قوس .
والغمفة في الأصل — : كلام غيرين . والجنوب : الرمح المعروفة

أَصْبَحَ الْمُسْنُ مِنْكَ يَا أَحْسَنَ الْأَمَةِ يَحْكِي سَمَاجَةَ ابْنِ حَبِيشٍ
يريد أن هذا غاية كما أن ذاك غاية . قال الجرجاني : التشبيه والتخيل يقع
مرة بالصورة والصفة ، وأخرى بالحالة والطريقة ، اعتذر بذلك عن قول
أبي الطيب : —

بَلَيْتُ بِلَى الْأَطْلَالِ إِنَّ لَمْ أَتِفْ بِهَا وَفُوفَ شَجِيحِ ضَاعَ فِي التَّرْبِ خَاتَمُهُ
إنه إنما أراد وقوفاً خارجاً عن المتعارف .. وأنشد : —

رُبُّ لَيْلٍ أَمَدٌ مِنْ نَفْسِ الْعَالِ شِقْرِ طَوَّالٍ قَطَعَتْهُ بِاتِّحَابِ
فهذا والله هو النقد العجيب الذي غفل الناس عنه ، بل عموا وصموا .
والبيت لمحمد بن عبد الملك الزيات ، ويروى للماني الموسوس . ومثله قول
أبي تمام : —

وَمَسَافَةٌ كَمَسَافَةِ الْهَجْرِ أَرْتَقِي فِي صَدْرِ بَاقِي الْحُبِّ وَالْبُرْحَاءِ
وأنشد الرمانى لذى الرمة : —

كَأَنَّهُ كَوَّكَبٌ فِي إِثْرِ عَفْرِيتٍ مَسُومٌ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبٌ
ثم قال : قد اجتمع الثور والكوكب في السرعة إلا أن انقضاء
الكوكب أسرع ، واستدل بهذا على جودة التشبيه . وأنا أرى أن فيه دركاً
على الشاعر وإغفالاً من الشيخ المفسر ، وذلك أن الثور مطلوب ، والكوكب
طالب ، فشبّه به في السرعة واليباض ، ولو شبّهه بالعفريت وشبه الكلب
وراءه بالكوكب لكان أحسن وأوضح ، لكنه لم يتمكن له المعنى الذي
أراد من فوت الثور الذي شبه به راحته ؛ وأما ما أغفله الشيخ فإن الشاعر
إنما رغب في تشبيه الثور بالكوكب ، واحتمل عكس التشبيه بأن جعل
المطلوب طالباً ليأضه ؛ فإن الثور لمحق لا محالة ، وأما السرعة التي زعم فإن
العفريت لمحق وصفه به وشبهه سرعته لما كان مقصراً ولا متوسطاً بل فوق ذلك
ومن التشبيهات عظمى لم يُسَيِّقْ أصحابها إليها ، ولا تعدى أحد بعدهم عليها ،

واشتقاقها فيما ذكر من الريح العقيم ، وهي التي لا تفتح شجرة ولا تنثج ثمرة ، نحو قول عنترة العبسي يصف ذباب الروض : —

وَحَلَا الذُّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ يَبَارِحُ غَرْدًا كَفَيْلِ الشَّارِبِ الْمَرْمِ
هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْأَمْكِبِ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْنَمِ
وقوله أيضاً في صفة الغراب : —

خَرِقُ الْجَنَاحِ كَأَنَّ لَحْيِي رَأْسِي جَلَمَانِ (١) ، بِالْأَخْيَارِ هَشٌّ مُوَلِّعٌ
وقال الخطيب يصف لنام ناقته : —

زَى يَنْ لَحْيَيْهَا إِذَا مَا تَرَعَّتْ لَنَامًا كَبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ الْمَدِيدِ
وقال الشماخ يصف آثار ريش نعامة : —

كَأَنَّمَا مَنَنْتَنِي أَقْطَاعٌ مَا مَرَطَتْ مِنَ الْعَفَاءِ بِلَيْتِيهَا التَّائِيلُ (٢)
وقول عدى بن الرقاع يصف قرن ظبي : —

تَزُجِّي أَغْنَى كَأَنَّ لِمِرَّةٍ رَوْقَهُ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا (٣)
وقول الراعي يصف جعد الرأس : —

جَدَلَا أَسْكُ كَأَنَّ قَرَوَةَ رَأْسِهِ بَذَرَتْ فَأَنْبَتَ جَانِبَاهَا فَلَفَلَا

(١) جلمان مثني جلم ، وهو المقرض ، وقوله « بالأخيار » بالياء المثلثة ، وفي نسخة « بالأخبار » بالياء الموحدة .

(٢) المثني : المثني . والأقناع : جمع قمعة ، وهي بثرة تخرج في أصول الأشعار ، يريد أن يشبهها ، ويروى « كأنما مثني أقلام » والأقلام : جمع قلمي ، وهو يابس البقل ، وقوله « مرطت » معناه أسرع ، وروى في مكانه « مرحت » من المرح وهو الفشاط ، والتأليل : البثور التي تكون في الجسد . روى أن الرشيد سأل الأصمعي : هل تعرف تشبيها أبعد وأرق من تشبيه الشماخ لنعامة سقط ريشها وبقي أثره ؟ وأنشده هذا البيت ، فقال له الأصمعي : لا والله يا أمير المؤمنين .

(٣) تزجي : تسوق ، والروق : القرن من كل ذي حافر

وقول بشر بن أبي خازم يصف عروق الأرض وقد كشفها ثور:-

يثير ويبيد من عروق كائنها أعنة خراز تخط وتنشر
وقول الطرماع في صفة الظليم:-

بجتاب شملة بوجد لسراته قيدا، وأسلم ماسواه البرجد^(١)
وقول ذى الرمة في صفة الليل:-

وليل كجلباب العروس قطعت^(٢) باربعة والشخص في العين واحد
وقول مضر بن ربيعي في صفة رأس النعامة:-

سكاه عارية الاخداع رأسها مثل المدق وأنها كالمسرود^(٣)
وقال النابغة في صفة النور:-

ترأهن خلف القوم خزا عيونها جلوس الشيوخ في ثياب المراتب^(٤)
وهذا التشبيه عندهم عقيم، إلا أني أقول: إنه من قول طرقة يصف عقاباً:-

(١) يروى «بجتاب حلة برجد» والبرجد: كساء من صوف أحمر، وقيل:
كساء مخطط ضخم، وسرته ظهريه، وقد دأ: فرقا، ويروى «وأخاف ما سواه البرجد»
وبعد هذا البيت قوله:-

يبدو وتضمه البلاد كأنه * سيف على شرف يسلم ويفمد
وقد تقدم ذكره (ص ٢٦٠) أول الباب، وكان أبو عبيدة والأصمعي
يفضلان الطرماع بهذين البيتين ويزمان أنه أشعر الناس بهما

(٢) يروى * وليل كجلباب العروس ادرعته *
(٣) سكاه: مقطوعة الأذنين، المدق: حجر يلق به الطبيب، وقياسه كسر
الميم، ولكن المسموع ضمها وضم الدال. والمسرود: المثقب
(٤) خزرا: جمع أخضر، وهو الذي ينظر بمؤخر عينه، ثياب المراتب: بالنون
موحدة- ثياب إلى السواد أقرب، ويقال: كساء مرتباني، أي: أخذ من جلده
الأرب، شبه ألوان النور بها.

وَصَجَّرَاهُ دَفَتْ بِالْجَنَاحِ كَأَنَّهَا مَعَ الصَّبْحِ شَيْخٌ فِي بِجَادٍ مَقْنَعٌ^(١)
وينظر أيضاً إلى قول امرئ القيس قبله : —

كَانَ تَبِيرًا فِي عَرَائِينَ وَبَلَهَ كَيْبَرُ أَنْاسٍ فِي بِجَادٍ زَمَلٍ
وقال عبد الله بن الزبير الأسدي في تشبيه رأس القطاة : —

مُكَلَّبٌ لِلْإِصْغَاءِ رَأْسًا كَأَنَّهَا يَنْيَمُهُ جَوْزٌ أَغْبَرَتْهَا الْمَكَائِرُ

وفي الشعر من هذا صدر جيد ، وفي القرآن تشبيه كثير كقوله تعالى :
(والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) وقوله تعالى : (والذين
كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا)
وقوله : (وإذا غشيهم موج كالظلل) وقوله : (كأنهم جراد منشث) ومن
كلام النبي صلى الله عليه وسلم « الناس كأستار المشط وإنما يتفاضلون
بالعافية . وقال « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » وكثير
من هذا يطول تفصيله .

وقد أتت القدماء بتشبيهات رغب المولدون إلا القليل عن مثلها استبشاعاً
لها ، وإن كانت بدیعة في ذاتها . مثل قول امرئ القيس : —

وَتَمَطُّوْ بِرَخْصٍ غَيْرَ شَنْ كَأَنَّهُ أَصَارِيْعُ ظَلْبِي أَوْ مَسَاوِيْكُ إِسْجَلٍ^(٢)
فالبنانة لا محالة شبيهة بالأسروعة ، وهي دودة تكون في الرمل ، وتسمى
جماعتها بنات النقا ، وإياها غنى ذو الرمة بقوله : —

(١) دفت — بالفتح المهملة — دفت في طيراتها من الأرض والمعجمة حركته
وضربت به ، والبجاد : البكاه . مقنع : متغنى به ، وأراد عقبا ، لأن في عجزها
بياضاً وقال : لأنها شديدة الداربتين

(٢) تمطو : تناول . برخص : أراد به بنانا رخصا لبنانا . غير شتن : ليس بخشن .
أصاريع : دود منخر . ظلي : اسم رمة بعينها . إسجل : شجر تتخذ من عروقه
مساويك كالأراك

خَرَّاعِيبُ أَمْثَالُ كَانَ بَنَانَهَا بَنَاتُ النَّقَا تَخْفَى مِرَاراً وَظَهَرُ
فهي كاحسن البنان لينا ، وبياضاً ، وطولاً ، واستواء ، ودقة ، وجمرة
برأس ، كأنه ظفر قد أصابه الحناء ، وربما كان رأسها أسود ، إلا أن نفس
الحضري المولد إذا سمعت قول أبي نواس في صفة الكاس : —

تُعَاطِيكِهَا كَفُّ كَانَ بَنَانَهَا إِذَا اعْتَرَضَتْهَا اللَّيْنُ صَفٌّ مَدَارِي
أو قول علي بن العباس الرومي : —

سَقَى اللَّهَ قَصراً بِالرَّصَافَةِ شَاقِي بِأَعْلَاهُ قَصْرِي الدَّلَالِ رَصَافِي
أَشَارَ بِضُبَانٍ مِنَ الدَّرِّ قُمْتُ يَوَاقِيَتْ مُجَرَّأً فَسَدَّ بَاحُ عَنَافِي
أو قول عبدالله بن المعتز : —

أَشْرَنَ عَلَى خَوْفٍ بِأَغْصَانٍ فِضَّةٍ مُقَوِّمَةٍ أُنْمَارُهُنَّ عَقِيْقُ
كان ذلك أحب إليها من تشبيه البنان بالدود في بيت امرئ القيس ، وإن
كان تشبيهه أشد إصابة . وفي قول الطائي أبي تمام : —

بَسَطَتْ إِلَيْكَ بَنَانَهُ أُسْرُوعاً نَصِيفُ الْفِرَاقِ وَمُقَلَّةٌ يَنْبُوْعاً
وقرب هذا عنده وهو مدح من قول حسان في الهجو : —

وَأُمُّكَ سَوْدَاءُ نَوِيَّةٌ كَانَ أَنْامِلُهَا الْخُنْطَبُ (١)

إذ كانا جميعاً من خشاش الأرض . فأما قول امرئ القيس : أو مساويك
إسحل : حجار مجرى غيره من تشبيهاتهم ؛ لأنهم يصفونها بالنعيم والأقلام
وما أشبه ذلك ، والبنان قريب الشبه من أعراد المساويك : في القدر ، والاستواء
والاملاس ، إلا أن الأول على كراهته أشبه بها ، والأسحل : شجر المخيطا
وقد استبشع قوم قول الآخر يصف روضاً : —

كَأَنَّ شَقَائِقَ النُّمَّانِ فِيهِ رِيَابٌ قَدَرَوَيْنَ مِنَ الدَّمَاءِ
فهذا وإن كان تشبيها مصيئاً فإن فيه بشاعة ذكر الدماء ، ولو قال عن المصفر

(١) الخنطب : دابة مثل الخنفساء ، وقيل : هو ضرب من الخنافس طويل

مثلا أو ما شاكله لكان أوقع في النفس وأقرب إلى الانس . وكذلك صفتهم
أخرى في حياها بسلخ الشعاع وما جرى هذا المجرى من التشبيه فانه وإن كان
مصيباً لعين الشبه فانه غير طيب في النفس ولا مستقر على القلب ، ومن ذلك
قول أبي عون الكاتب :-

تلاعبها كف المزاج حبة لها وليجرى ذات بينهما الأنس
فتزبد من يبع عليها كأنها غريرة خدير قد تحببها المس
فلو أن في هذا كل بديع لكان مقبلاً بشعاً ، ومن ذا يطيب له أن يشرب شيئاً
يشبه بزبد المصروع وقد تحبب الشيطان من المس ؟ وكأني أرى بعض من
لا يحسن إلا الاعتراض بلا حجة قد نعى على هذا المذهب ، وقال : رد على
امريء القيس ، ولم أفعل ، ولكني بينت أن طريق العرب القدماء في كثير
من الشعر قد خولفت إلى ما هو أليق بالوقت وأشكل بأهله . وقد عاب
الأصمعي بين يدي الرشيد قول النابغة :-

نظرت إليك بحاجة لم تقضها نظر السقيم إلى وجوه العود
على أنه تشبيه لا يلحق ، ولا يشق غبار صاحبه ، ولم يجد فيه الملعن إلا
بذكر السقيم ، فانه رغب عن تشبيه المحبوبة به ، وفضل عليه قول عدى بن
الرقاع العاملي :-

وكانها وسط النساء أعارها عيني أحر من جاذر جاميم
وسنان أقصده الثعاس فرفقت في عيني سنة وليس بناثم
وأجرى الناس هذا المجرى قول صريع الغواني على أنه لم يقع لأحدمثله ،
وهو :-

فعلت بأيديها ثمار نحرها كأيدي الأسارى أثقلتها الجوامع^(١)

(١) الجوامع : الأكبال ، قال النابغة :-

وذلك أمر لم أكن لأقوله ولو جمعت في ساعدي الجوامع

فهذا تشبيه مصيب جداً ، إلا أنهم عابوه بما بينت ، وإنما أشار إلى قول
النابعة : —

[و] يَطْلُبُنَ بِالْيَدَانِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَيَجْبَانُ رُمْلَانَ الثَّدْيِ النَّوَاحِدِ

ومثله قول أبي مجعن الثقفي في وصف قينة : —

[و] تَرْفَعُ الصَّوْتَ أَحْيَانًا وَتَخْفِضُهُ كَمَا يَطْنُ ذُبَابُ الرُّوضَةِ الْفَرْدُ

فأى قينة تحب أن تشبه بالذباب ؟ وقد سرق بيت عنترة وقلبه فأفسده

(٤١) — باب الإشارة

والإشارة من غرائب الشعر وملحه ، وبلاغة عجيبة تدل على بعد المرمى
وفرط المقدرة ، وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز ، والحافق الماهر ، وهي في
كل نوع من الكلام لمحة دالة ، واختصار وتلويح يعرف مجملا ومعناه بعيد
من ظاهر لفظه : فمن ذلك قول زهير : —

فَأَنى لَوْ لَقَيْتَكَ وَاتَّجَمْنَا لَكَانَ لِكُلِّ مُتَكَرِّرٍ كِفَاهُ (١)

فقد أشار له بقبح ما كان يصنع لولقيه ، هذا عند قدامة أفضل بيت في
الإشارة .. وقول الآخر : —

جَعَلْتُ يَدَيَّ وَشَا حَا لَهُ وَبَغَرُ الْفَوَارِسِ لَا يَعْتَنِقُ

وهذا النوع من الشعر هو الوحي عندهم .. وأنشد الحاتمي عن علي بن
هارون ، عن أبيه ، عن حماد ، عن أبيه إسحاق بن إبراهيم الموصلي : —
جعلنا السيفَ بين الخدمنه وبين سوادِ ملته عذارا

(١) رواية البيت في الديوان هكذا

وإني لولقيتك فاجتمعنا لكان لكل مندية لقاء

والمندية : الداهية التي تندى صاحبها عرفا لشقتها ، ولقاء أى : شئ تلاقى به حتى
يصلح الله أمرها

فأشار إلى هيئة الضربة التي أصابه بها دون ذكرها إشارة لطيفة دلت على
كيفيةها ، وإنما وصف أنهم ضربوا عنقه ، وروى • بين الجيد • ومثله
قول الآخر : —

وَيَوْمَ يُبِيلُ النِّسَاءَ الدِّمَاءَ جَلَّتْ رِدَائِكَ فِيهِ خَمَارًا
يريد بالرداء الحسام كما قال متمم بن نويرة : —

لَقَدْ كَفَّنَ الْمَنَاهِلُ نَحْتَ رِدَائِهِ فَنِي غَيْرَ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعًا
وقوله إنه جعله خماراً أى قمعت به الفرسان وأشار بقوله • يبيل النساء
الدماء • إلى وضع الحوامل من شدة الفزع .

وبما جاء من الإشارة على معنى التشبيه قول الراجز يصف نبأ ممدوقاً
• جاءوا بمنقٍ مَلَّ رَأَيْتَ الذَّنْبَ قَطْ • فأنما أشار إلى تشبيه لونه ؛ لأن الماء
غلب عليه فصار كلون الذئب .

ومن أنواع الإشارة التفعيم والاياء : فأما التفعيم فكقول الله تعالى :
(القارعة ما القارعة) وقد قال كعب بن سعد الغنوي : —

أَخِي مَا أَخِي لَا فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ وَلَا وَرَعٌ عِنْدَ الْإِقَاءِ هَيُوبُ
وأما الاياء فكقول الله عز وجل : (فنشيمهم من اليم ماغشيمهم) فأوماً
إليه وترك التفسير معه .. وقال كثير : —

نَجَافِيَتٍ عَنِّي حِينَ لَا إِلَهَ حِيلَةٌ وَخَلَفْتُ مَا خَلَفَتْ بَيْنَ الْجَوَانِحِ

فقوله • وخلفت ما خلفت • إياء مليح .. ومثله قول ابن ذريح : —
أَقُولُ إِذَا نَشَى مِنَ الْوَجْدِ أَصَمَدَتْ بِهَا زَفْرَةٌ تَتَادَرِي حَيَّ مَا هِيَ
ومن أنواعها التعريض : كقول كعب بن زهير لرسول الله صلى الله
عليه وسلم : —

فِي رَهْبَةٍ مِنْ قُرْبَشٍ قَالَ قَاتِلُهُمْ يَبْغُونَ مَكَّةَ لَمَّا أَصْفَوْا زَوْلُوا
فعرض بمر بن الخطاب — وقيل : بأبي بكر رضى الله عنهما ؛ وقيل :

بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — تعريض مدح، ثم قال: —
يَمْشُونَ مَشَى الْجَمَالِ الزُّهْرِيَّ عَصِيمُهُمْ صَرَبٌ إِذَا عَرَدَ السُّودُ التَّنَائِيلُ
فقيل: إنه عرض في هذا البيت بالانصار، فغضبت الانصار، وقال
المهاجرون: لم تمدحنا إذ ذمتهم، حتى صرح بمدحهم في آيات يقول فيها: —
مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ
ومن ملحق التعريض قول أيمن بن خريم الاسدي لبشر بن مروان بمدحه
ويعرض بكاف كان بوجه أخيه عبد العزيز حين نقاه من مصر على يد نصيب
الشاعر مولاة: —

كَأَنَّ النَّاجَ نَاجَ بَنِي هِرْقَلٍ جَلَوَهُ لِأَعْظَمِ الْأَعْيَادِ عِيدًا
بُصَافِئُ خَدَّيْهِ بِشِيرٍ حِينَ يَمْشِي إِذَا الظُّلُمَاءُ بَاشَرَتْ اِخْلُودًا
فهذا من خفي التعريض؛ لأنه أوم السامع أنه إنما أراد المبالغة بذكر الظلماء
لا سيما وقد قال: حين يمشي * وإنما أراد الكلف، هكذا حكى الرواة.
ومن أفضل التعريض بما يحل عن جميع الكلام قول الله عز وجل: (ذُقْ
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) أي: الذي كان يقال له هذا أو يقوله، وهو أبو
جهل؛ لأنه قال: ما بين جليلها — يعني مكة — أعز مني ولا أكرم، وقيل:
بل ذلك على معنى الاستهزاء به.

ومن أنواعها التلويح كقول المجنون قيس بن معاذ العامري: —
أَتَدَّ كُنْتُ أَعْلُو حُبِّ لَيْلَى فَلَمْ يَزَلْ^(١) بِي النَقْصُ وَالْإِبْرَامُ حَقِّي عَلَانِيَا
فلوح بالصحة والكتان ثم بالسقم والاشتهار تلويحاً عجيباً، وإياه قصد
أبو الطيب بمد أن قلبه ظهر أبطن فقال: —
كَتَمْتُ حُبِّي حَقِّي مِنْكَ تَكْرَمَةً ثُمَّ اسْتَوَى فِيكَ إِسْرَارِي وَإِعْلَانِي

(١) يروي * لقد كنت أعلو الحب حيناً فلم يزل *
(١٨٢ - المدة - ج ١)

لأنه زَادَ حَتَّى قَاضَ عَنْ جَسَدِي فَصَارَ سَقَمِي بِهِ فِي جِسْمِي كَمَا فِي
إِلَّا أَنَّهُ أَخْفَاءُ وَعَقْدُهُ كَمَا تَرَى ، حَتَّى صَارَ أَحْجِيَّةً يَتَلَقَّاهَا النَّاسُ . وَمِنْ
أَجُودِ مَا وَقَعَ فِي هَذَا النَّوعِ قَوْلُ النَّابِغَةِ يَصِفُ طُولَ اللَّيْلِ : —

تَعَاَصَى حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ يَنْقُضُ وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بِأَيِّبٍ ^(١)
« الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ » يَرِيدُ بِهِ الصَّبْحَ ، أَقَامَهُ مَقَامَ الرَّاعِي الَّذِي يَغْدُو
فِيذْهَبُ بِالْأَبِلِ وَالْمَاشِيَةِ ؛ فَيَكُونُ حِينَئِذٍ تَلْوِيحُهُ هَذَا عَجَابًا فِي الْجُودَةِ . وَأَمَّا
مَنْ قَالَ : إِنَّ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ إِنَّمَا هُوَ الشَّاعِرُ الَّذِي شَكَاهُ السَّهْرُ وَطُولُ اللَّيْلِ ؛
فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ . وَزَعَمَ قَوْمٌ أَنَّ الْآيِبَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللَّيْلِ خَاصَّةً ، ذَكَرَهُ
عَبْدُ الْكَرِيمِ .

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْإِشَارَاتِ الْكِنَايَةِ وَالْتِمِيزِ ، كَمَا قَالَ ابْنُ مِقْبَلٍ — وَكَانَ جَافِيًا
فِي الدِّينِ : يَبْكِي أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ وَهُوَ مُسْلِمٌ ، فَقِيلَ لَهُ مَرَّةً فِي ذَلِكَ فَقَالَ : —

وَمَالِي لَا أَبْكِي الدِّيَارَ وَأَهْلَهَا وَقَدْ رَادَهَا رُوَادُكَ وَحَبَرَا
وَجَاءَ قَطَا الْأَحْبَابِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَوَقَعَ فِي أَعْطَانَا ثُمَّ طَدِيرَا
فَسَكَنِي عَمَّا أَحْدَثَهُ الْإِسْلَامُ وَمِثْلُ مَا تَرَى .

وَمِنْ أَنْوَاعِ الرَّمْزِ : كَقَوْلِ أَحَدِ الْقَدَمَاءِ يَصِفُ امْرَأَةً قَتَلَ زَوْجَهَا وَسَيِّتَ : —

عَقَلْتُ لَهَا مِنْ زَوْجِهَا عِدَّةَ الْحَصَى مَعَ الصَّبْحِ أَوْ مَعَ جُنْحٍ كُلُّ أَصِيلٍ
يَرِيدُ أَنِّي لَمْ أُعْطِهَا عَقْلًا وَلَا قُوْدًا بِزَوْجِهَا ، إِلَّا الْهَمَّ الَّذِي يَدْعُوهَا إِلَى عِدِّ
الْحَصَى ، وَأَصْلُهُ مِنْ قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ : —

ظَلَمْتُ رِدَائِي فَوْقَ رَأْسِي قَاعِدًا أَعْدُ الْحَصَى مَا تَنْقُضِي عِبْرَاتِي ^(٢)

(١) فِي رِوَايَةِ الدِّيَوَانِ * تَطَاوَلَ حَتَّى وَلَيْسَ الَّذِي يَهْدِي

النُّجُومَ . . . *

(٢) يَرِيدُ أَنَّهُ لَمَّا غَشِيَ دِيَارَ الْحَيِّ فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا وَضَعُ رِدَائَهُ فَوْقَ رَأْسِهِ وَجَلَسَ

مُفَكِّرًا يَعِدُّ الْحَصَى وَدُمُوعُهُ لَا تَرُقَا

ومن مליح الرمز قول أبي نواس يصف كئوساً عمزوجة فيها صور منقوشة :-

قَرَارِنَهَا كَسْرَى وَفِي جَبَبَاتِهَا مِمَّا تَدْرِيهَا بِالْقَيْسِ الْفَوَارِسُ
فَلَاخِرَ مَا زُرْتُ عَلَيْهِ جَبُّوْهَا وَلَمَّا مَادَارَتْ عَلَيْهِ التَّلَاسِ

يقول : إن حداخمر من صور هذه الفوارس التي في الكئوس إلى التراقي والنحور ، وزيد الماء فيها مزاجاً ، فاتهى الشراب إلى فوق رؤوسها ، ويجوز أن يكون انتهاء الجباب إلى ذلك الموضع لما مزجت فأزبدت ، والأول ألاح ، وفائدته معرفة حدا صرافاً من معرفة حدا مزوجة ، وهذا عندهم بما سبق إليه أبو نواس ، وأرى - والله أعلم - أنما تخلق على المعنى من قول امرئ القيس : -

فَلَمَّا اسْتَطَابُوا صَبَّ فِي الصَّحْنِ نِصْفُهُ وَوَأَفَى بِمَاءٍ غَيْرِ طَرَقٍ وَلَا كَبِيرٍ (١)
ويروى « ووافوا » وإياه أردت ، ويروى « استظلوا » من الظل مكان « استطابوا » جعل الماء والشراب قسمين لقوة الشراب ، فتسلق الحسن عليه ، وأخافه بما شغل به الكلام من ذكر الصورة المنقوشة في الكئوس ، إلا أنها سرقة ظريفة مليحة ، ولم يكن أبو نواس يرضى أن يتعلق بمن دون امرئ القيس وأصحابه .

وأصل الرمز الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم ، ثم استعمل حتى صار الإشارة . . وقال الفراء : الرمز بالشتين خاصة ، ومن الاشارات الأمثلة كقول أبي نواس يصف يوماً مطيراً : -

وَشَدَّ شُهُ حَرَّةً مُخَدَّرَةً لَيْسَ لَهَا فِي مِمَّا تَهَا نُورُ

(١) استطابوا : أخذوا أطيب الماء وأعذبه . الصحن : قدح كبير . ويروى * وشجت بماء * أى : مزجت ، وغير طرق : لم تطرقه الا بل لتبول فيه ، فهو يريد أنه نظيف حتى لا كدر فيه ، وبعد هذا البيت قوله : -

مَاءٌ سَحَابٌ زَلَّ عَنْ مَتْنِ صَخْرَةٍ إِلَى بَطْنِ أُخْرَى طِيبٌ مَاؤُهَا خَصِرٌ

قوله « حرة » يدل على ما أراد في باقي البيت ؛ إذ كان من شأن الحرة الخفر والحياء ، ولذلك جعلها مخدرة ، وأشار القيان والمملوكات التبذل والتبرج ، وأما زعم من زعم أن قوله « حرة » إنما يريد خلوصها كما تقول : هذا الخلق من حر المتاع ؛ خطأ ، لأن الشاعر قد قال : « ليس لها في سماءها نور » فأى خلوص هناك ؟ وكذلك قول خسان ويكون أيضاً تقيماً : —

أولادُ جَنَّةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَّةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ
يريد أنهم ملوك ذوو حاضرة ومُسْتَقَرٍّ عَزْ ، ليسوا أصحاب رحلة واتجاج .
ومن أخفى الاشارات وأبعدها اللفز ، وهو : أن يكون للكلام ظاهر عجب لا يمكن ، وباطن ممكن غير عجب ، كقول ذي الرمة يصف عين الانسان : —

وأصغر من قَبْرِ الْوَلِيدِ تَرَى بِهِ يَبُوتَا مَبْنَاةَ وَأُودِيَةَ تَقْرَا
فالبا في « به » للالصاق كما تقول « لمست يمدى » أى : ألصقتها به وجعلتها آلة اللمس ، والسامع يتوهمها بمعنى فى ، وذلك ممتنع لا يكون ، والأول حسن غير ممتنع . . ومثله قول أبى المقدام : —

وَعَلَامَ رَأَيْتَهُ صَارَ كَلْبًا ثُمَّ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ صَارَ غَزَا لَا
قوله « صار » إنما هو بمعنى عطف وما أشبهه من قول الله عز وجل : (نَخَذَ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْنَا مِنْ إِلَيْكَ) ومستقبله يصور ، وقد قيل يصير وهى لغة قليلة ، وليس صار التى هى من أخوات كان مستقبلها يصير فقط ومعناها استقر بعد تحول .

واشتقاق اللفز من ألفز اليربوع ولفز ، إذا حفر لنفسه مستقيماً ثم أخذ يمينه ويسرة ، يورى بذلك ويعمى على طالبه

ومن الاشارات اللحن ، وهو كلام يعرفه المخاطب بفحواه ، وإن كان على

غير وجهه ، قال الله تعالى : (ولتعرفنهم في لحن القول) وإلى هذا ذهب الحذاق في تفسير قول الشاعر : —

مَنْطِقُ صَائِبٍ وَتَلْعَنُ أَحْيَا نَاوْخِيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لِحْنًا
ويسميه الناس في وقتنا هذا المحاجة لدلالة الحجا عليه . . وذلك نحو قول الشاعر يحذر قومه : —

خَلُّوا عَلَى النَّاقَةِ الْحِمَاءَ أَرْحَلَكُمْ وَالْبَازِلُ الْأَصْبَحَ الْمَقُولَ فَاصْطَفَيْمُوا
إِنَّ الذَّنَابَ قَدْ اخْضَرَّتْ بَرَائِئُهَا وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ بَكْرٌ إِذَا شَبِعُوا
أراد « بالناقة الحمراء » الدهناء ، و « بالجمل الأصعب » الصمان ،
« وبالذئب » الأعداء ، يقول : قد اخضرت أقدامهم من المشي في الكلال
والخصب ، والناس كلهم إذا شبعوا طلبوا الغزو فصاروا عدوآ لكم كما أن
بكرين وائل عدوكم . . ومثل ذلك قول مهمل لما غدره عبده وقد كبرت
سنه وشق عليهما ما يكلفهما من الغارات وطلب الثارات ، فأراد قتله ، فقال :
أوصيكما أن ترويا عني بيت شعر ، قالا : وما هو ؟ قال : —

مَنْ مُبْلَغُ الْحَيِّينَ أَنْ مَهْلِلًا اللَّهُ دَرْكًا وَدَرِ أَيْسَكًا
فلما زعما أنه مات قيل لهما : هل أوصى بشيء ؟ قالا : نعم ، وأنشد البيت
المتقدم ، فقالت ابنته : عليكم بالعبدین فانما قال أبي : —

مَنْ مَبْلَغُ الْحَيِّينَ أَنْ مَهْلِلًا أَمْسَى قَتِيلًا بِالْفَلَاةِ مَجْدَلًا
لِلَّهِ دَرْكًا وَدَرِ أَيْسَكًا لَا يَبْرَحُ الْعَبْدَانِ حَتَّى يَقْتُلَا
فاستقرَّوا العبدین فأقرا أنهما قتلاه ، ورويت هذه الحكاية لمرقش .
وسبيل المحاجة أن تكون كالتعريض والكناية ، وكل لغز داخل في
الاحاجي ، وقد حاجى شيخنا أبو عبد الله بعض تلاميذه فقال له : —
أحاجيك عباد كزيب في الورى ولم توت إلا من حميم وصاحب

فأجابه التليذ بأن قال : —

سأكرم حتى ما تحس مدامي بما انهل منها من دموع سواك
فكان معكوس قول أبي عبد الله « عباد كزيب » سرك ذاتع ،
فقال الآخر « سأكرم » فأجابه على الظاهر إجابة حسنة ، ومعكوس سأكرم
« منك أنيت » فكانه قابل به قول الشيخ « ولم توت إلا من صديق
وصاحب » وهذا كله مليح .

ومنها التعمية ، وهذا مثل للطير وما شاكلة ، وكقول أبي نواس : —

• واسم عليه خبن للصفاء •

وما أشبهه ، وهو معنى مشهور .

ومن الاشارات مصحوبة ، وهي عند أكثرهم معية كأنها حشو واستعانة
على الكلام ، نحو قول أبي نواس : —

قال إبراهيم بالما لي كذا غرباً وشرقاً

ولم يأت بها أبو نواس حشواً ، ولكن شطارة وعبثاً بالكلام ، وإن
شئت قلت يانا وتقيفاً ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن
عمر بن العاص : « وكيف بك إذا بقيت في حالة من الناس : قد مرجت
عمودهم وأماتهم ، واختلفوا فكانوا هكذا ؟ وشبك بين أصابع يديه » ولا
أحد أفصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أبعد كلاماً منه من
الحشو والتكلف .

وقالوا : مبلغ الإشارة أبلغ من مبلغ الصوت ، فهذا باب تقدم الإشارة
فيه الصوت ، وقيل : حسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان
باللسان ، جاء بذلك الرماني فصاً ، وقاله الجاحظ من قبل ، وأخذ على بعض
الشعراء في قوله : —

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مدعور ولم تتكلم
فأبقت أن الطرف قد قال : مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتميم

إذ كان هذا كله مما لا تحمله إشارة خائف مذعور . ولما أقام معاوية الخطباء
لبيعة يزيد قام رجل من ذى الكلاع فقال : هذا أمير المؤمنين ، وأشار يده
إلى معاوية ، فان مات فهذا ، وأشار إلى يزيد ، فن أبى فهذا ، وأشار إلى السيف ،
ثم قال : -

مُأْوِيَّةُ الْخُلَيْفَةُ لَا تَمَارَى قَدْ يَهْلِكُ فَنَائِسُنَا يَزِيدُ
فَنَ غَلَبَ الشَّقَاءُ عَلَيْهِ جَهْلًا تَحْكُمُ فِي مَفَارِقِهِ الْحَدِيدُ
وقد جاء أبو نواس بإشارات أخر لم تجر العادة بمثلها : وذلك أن الأمين
ابن زبيدة قال له مرة : هل تصنع شعراً لا قافية له ؟ قال : نعم ، وصنع من
غوره ارتجالاً : -

ولقد قلت للليخة قولي من بعيد لمن يحبك (إشارة قبله)
فأشارت بمعصم ثم قالت من بعيد خلاف قولي : (إشارة لا لا)
فتنفست ساعة ثم إنى قلت للبغل عند ذلك : (إشارة امش)
فتعجب جميع من حضر المجلس من امتدائه وحسن تأنيته ، وأعطاه الأمين
حالة شريفة .

ومن الاشارات الحذف ، نحو قول نعيم بن أوس يخاطب امرأته : -
إِنْ شِئْتِ أَشْرَفْنَا جَمِيعًا فَدَعَا اللَّهُ كُلُّ جَهْدُهُ فَاسْمَعَا
بالخير خيراً وإن شراً فالأ ولا أريد الشر إلا أن تأا
كذا رواه أبو زيد الأنصاري ، وساعده من المتأخرين علي بن سليمان
الآخفش ، وقال : لأن الرجز يدل عليه ، إلا أن رواية النحويين « وإن
شراً فالأ » و « إلا أن تأا » قالوا : يريد وإن شراً فشر والا أن تشأى ..
وأنشدوا : -

ثم تَنَادَوْا بَعْدَ تِلْكَ الضُّوْضَا مِنْهُمْ بَهَاتٌ وَهَلْ وَيَا

نادى مناد منهم أَلَا تَا قَالُوا جميعاً كلمهم بَلَى قَا
وأشدّ القراء: —

« قلت لها قومي فقالت قاف »

يريد قد قفت .

ومن أنواعها التورية كقول عليّة بنت المهدي في طَلّ الخادم : —
أيا سرحة البستان طال تشوقي فهل لي إلى ظِلّ إليك سيل
متى يشتقي من ليس يرجى خروجه وليس لمن يهوى إليه دخول ؟
فورت بظل عن طل ، وقد كانت تجده فتعه الرشيد من دخول القصر ،
ونهاها عن ذكره ، فسمعها مرة تقرأ : (فان لم يصبها وابل) فانهى عنه أمير
المؤمنين ، أى (فَظَلَّ) فقال : ولا كل هذا . . وأما التورية في أشعار العرب
فإنما هي كناية : بشجرة ، أو شاة ، أو بيضة ، أو ناقة ، أو ماهرة ، أو ماشا كل
ذلك كقول المسيّب بن علس : —

دعى شَجَرَ الأرض داعيهم لينصره السدرُ والأناث
فكنى بالشجر عن الناس ، وهم يقولون في الكلام المشور : جاء فلان
بالشوك والشجر ، إذا جاء بجيش عظيم . . وكان عمر رضى الله عنه — أو غيره
من الخلفاء — قد حظر على الشعراء ذكر النساء ، فقال حميد بن ثور الهلالي : —

تجرّم أهلها لأن كنت مشعراً جنوناً بها ياطؤون هذا التجرم
ومالى من ذنب إليهم عليته سوى أتى قد قلت ياسرحة أسلى
بلى فأسلى ثم أسلى ثم أسلى ثلاث تحيات وإن لم تككلى
وقال أيضاً في مثل ذلك : —

أبى الله إلا أن سرحة مالك على كل أفتان العضاء تروق
فياطيب رَيّاها ويبرد ظلها إذا حان من شمس النهار شروق
فهل أنا إن علكت نفسى بسرحة من السرح مسدود على طريق ؟

سَمِي ظَلَمًا شَكْسَ الْخَالِيقَ خَائِفٌ عَلَيْهَا غَرَامُ الطَّائِفِينَ شَفِيقٌ
يُرِيدُ بِذَلِكَ بَعْلَهَا أَوْ ذَا مُحَرَّمَهَا
فَلَا الظَّلْمُ مِنْ بَرْدِ الضَّحَى نَسْتَعِيزُهُ وَلَا الْفَقْرُ مِنْهَا فِي الْمَشَى نَذُوقُ
وقال عنترة العبسي : —

بِإِشَاءَةِ مَا قَنَصَ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ حَرَمْتُ عَلَى وَلِيِّهَا لَمْ تَحْرُمِ
وإنما ذكر امرأة أبيه ، وكان يهواها ، وقيل : بل كانت جاريته فلذلك
حرمها على نفسه ، وكذلك قوله : —

• والاشاءة ممكنة لمن هو مرتضى •

والعرب تجعل المهابة شاة ؛ لأنها عندهم ضائفة الظباء ، ولذلك يسمونها
نعجة ، وعلى هذا المتعارف في الكناية جاء قول الله عز وجل في إخباره عن
خشم داود عليه السلام : (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً
واحدة) كناية بالنعجة عن المرأة ، وقال امرؤ القيس : —

وَيَبْضَعُ خَيْدِرٌ لَأَبْرَامُ خِيَابُهَا تَمْتَعْتُ مِنْ لَهْوِهَا غَيْرَ مَعْجَلٍ
كناية بالبيضة عن المرأة . . وروى ابن قتيبة أن رجلا كتب إلى عمر
بن الخطاب رضى الله عنه : —

أَلَا أَبْلُغُ أَبَا حَفْصٍ رَسُولًا فَدَى لَكَ مِنْ أَخِي ثِقَةً إِزَارِي
فَلَا تُنْصِنَا هَذَاكَ اللَّهُ ، إِنَّا شَغَلْنَا عَنْكَ زَمَنَ الْحَصَارِ
فَا قُلْصُ وَجَدْتَ مَعْقَلَاتٍ قَتَا سَلَمٌ بِمَخْتَلَفِ التَّجَارِ
يَعْتَلِينَ جَعْدٌ شَيْطَانِي وَبِشْ مَعْقَلِ الذُّودِ الظُّوَارِ (١)

وإنما كنى بالقلص - وهي النوق الشواب - عن النساء ، وعرض برجل

(١) شيطاني : الشيطان : الطويل ، وقيل : الجسيم ، والياء زائدة . وقيل :

الشيطان المطلق الهى الوجه الذى لا اقتباس له اه عن اللسان

يقال له « جمعة » كان يخالف إلى المغنيات من النساء ، فظم عمر ما أراد ،
وجلد جمعة ونفاه .

ومن الكناية اشتقاق الكنية ؛ لأنك تكنى عن الرجل بالأبوة ، فنقول :
أبو فلان ، باسم ابنه ، أو ما تعرف في مثله ، أو ما اختار لنفسه ؛ تعظيما
له وتفضيلا ، وتقول ذلك للصبي على جهة التفاؤل بأن يعيش ويكون له ولد .
قال المبرد وغيره : الكناية على ثلاثة أوجه هذا الذي ذكرته آنفا أحدها ،
والثاني : التسمية والتعظية التي تقدم شرحها ، والثالث : الرغبة عن اللفظ
الخسيس كقول الله عز وجل : (وقالوا للجلودم لم شهدتم علينا) فإنها فيما
ذكر كناية عن الفروج . ومثله في القرآن وفي كلام الفصحاء كثير

(٤٢) — باب التتبع

ومن أنواع الإشارة التتبع ، وقوم يسمونه التجاوز ، وهو : أن يريد
الشاعر ذكر الشيء فيتجاوزه ، ويذكر ما يتبعه في الصفة وينوب عنه في الدلالة
عليه ، وأول من أشار إلى ذلك امرؤ القيس بصف امرأة : —

وَيُضْحِي فَتَيْتُ الْمَسْكِ فَوْقَ فَرَاشِهَا نَوْمُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَقِ عَنْ تَفَضُّلٍ
فقوله « يضحى فتيت المسك فوق فراشها » ، وقوله « نَوْمُ الضُّحَى » تتبع
ثان ، وقوله « لَمْ تَنْتَقِ عَنْ تَفَضُّلٍ » تتبع ثالث ، وإنما أراد أن يصفها
بالترفة ، والنعمة : وقلة الامتهان في الخدمة ، وأنها شريفة مكفية المؤنة ، لجأها
بما يتبع الصفة ويدل عليها أفضل دلالة . . ونظيره قول الأختل يصف
نساء : —

لَا يَصْطَلِينَ دُخَانَ النَّارِ شَاتِيَةً إِلَّا يَمُودُ يَلْتَجُوجِرُ عَلَى فَحْمٍ
فذكر أنهم ذوات تملك وشرف حال . وأين من هذا قول النابغة في معناه
وقصده : —

لَيْسَتْ مِنَ السُّودِ أَعْيَابًا إِذَا انْصَرَفَتْ وَلَا تَبِيعُ بِجَنَبِي نَخْلَةَ الْبَرَمَا (١)
 كأنها إن لم تكن سوداء العقبين ياعة للبرم كانت في نهاية الحسن
 والشرف والدعة ، وقال النابغة وأراد أن يصف طول العنق وتمام الحلقة
 فيها فذكر القرط إذ كان مما يتبع وصف العنق ولم يسبقه إلى ذلك أحد
 من الشعراء :-

إِذَا ارْتَمَشْتَ خَافَ الْجَبَانُ رِعَانَهَا وَمَنْ يَتَعَلَّقُ حَيْثُ عُلِقَ يَفْرَقُ (٢)
 فجعل رعانها يخاف ويفرق ، وعذره يبعد مسقطه ، فتناول هذا المعنى عمر
 ابن أبي ربيعة فأوضحه بقوله :-

بَعِيدَةُ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلِ أَبُوعَا ، وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٍ
 وتبعه ذو الرمة فزاد المعنى وضوحاً بقوله :-

وَالْقُرْطُ فِي حُرْقٍ الذِّفْرَى مُعَلِّقُهُ تَبَا عَدَا الْحَبْلُ مِنْهُ فَهُوَ يَضْطَرِبُ (٣)
 وقال طفيل الغنوى يصف فرساً ، ويروى لغيره :-

هَرَيْتَ قَصِيرَ عَذِيرِ الْجَبَامِ أَسِيلٌ طَوِيلُ عِيدَارِ الرِّسَنِ

فلو ترك الهرت والاسالة لكان من هذا الباب ، لكنه الآن لم يقصد

(١) الأعقاب : جمع عقب ، إذا انصرفت : يريد أنها إن انصرفت عنك
 فنظرت إليها لم تجد عقبها أسود ، بل هي بيضاء ناعمة رخصة القدم ، والعرب
 تستدل بحسن قدم المرأة على حسن سائرها ، ويقولون : إذا حسن موقف المرأة
 حسن سائرها . ونخلة : بستان عبد الله بن معمر . والبرم : جمع برمة ، وهي قدر
 النحاس ، يريد أنها مصونة مخدرة لا تمنع بمخدمة .

(٢) ارتمشت : لبست الرعات ، وهو القرط

(٣) القرط : من حلى الأذن ، قيل : هام ، وقيل : خاص بما كان في شحمتهما
 فان كان في أعلاها فهو الشنف ، بفتح فسكون ، والذفري : عظم في أعلى العنق
 من الانسان ، وهما ذريان ، عن عيين النقرة وثمالها ، قاله في اللسان عن القتيبي

التبعية ، وإنما جاء به كالتوكيد لما قبله ، هذه رواية ابن قتيبة ، فأما رواية النحاس عن شيوخه عن الأصمعي فأنها : —

وأحوى قصير عذار اللجام وهو طويل عذار الرسن وهذا تبعية لا شك فيه . وأما قول الأخطل : —

أرسيلة مجرى الدمع ، أما وشاحها فجار ، وأما الحجل منها فما يجري فيه التبعية في ثلاثة مواضع . وهي صفة الحذب بالسهولة ، وصفة الخصر بالركة ، والساق بالغلظ . ومثله قول الأعشى : —

صِفْرُ الوشاح ، وملءُ الدرع خَرَبَةً إِذَا تَأْتَى يَكَاذُ الخَصْرِ يَنْخَزِلُ (١)
فقوله « صفر الوشاح » دال على رقة الخصر ، « وملءُ الدرع » دال على تمام الخلق من طول وسمن وامتلاء صدر وعجيزة ، وكل ما وقع من قولهم طويل النجاد وكثير الرماد وما يشاكلهما فهو من هذا الباب . وقالت ليلي الأخيلية : —

وُحَرِّقَ عنه القميصُ فخالُهُ وَسَطَ البيوتِ من الحياءِ سَقِيماً
أرادت أنه يجذب ويتعلق به للحاجات لجوده وسودده وكثرة الناس حوله ، وقيل : إنما ذلك لعظم مناكبه وهم يحمدون ذلك . . ومن عجيب ما وقع في هذا الباب من التجاوز قول أوس بن حجر : —

حتى يافت نخيلهم ويوتهم لَهَبٌ كَنَاصِيَةِ الحصانِ الأشقر
أراد الحرب التي هي المقصود بالصفة ، هكذا الرواية الصحيحة ، وبهذا

(١) صفر الوشاح : يريد أنها خيمة البطن دقيقة الخصر فوشاحها يعلق

عنها ويضطرب قلبك ، ملءُ الدرع : يريد أنها ضخمة ، خربة : يروى في مكانه « بهكنة » والبهكنة : الجارية الخفيفة الروح الطيبة الرائحة المليحة الحلوة . والخربة : الرخصة اللينة الحسنة الخلق . وتأى : ترفق من قواك : هو يتأى للأمر ، وقيل : تأى أى تهاى للقيام ، وأصله بتاهن لخذف إحداها . ينخزل : يتثنى ، وقيل : ينقطع

التفسير فسرہ جلة العلماء وهم الاكثر ، وقال آخرون : بل إنما أغراه
ياحراق النخل والبيوت ففعل ، ولا يكون على هذا الرأي الآخر من هذا
الباب .. ومن التجاوز قول رؤبة بن العجاج يصف حوافر الخيل : —

• سَوَّى مَسَاحِينَ تَقَطِّطُ الْحَقَقُ •

أراد أن يشبهها بالمساحي لجعلها أنفسها مساحي ، يريد العظم .. ومثله قول
ابن دريد : —

يدير إعليطين في ملومة إلى كُؤَحِينَ بِالْحَظِ اللَّأَى

أراد أن يشبه أذن الفرس بالإعيط - وهو وعاء ثمر المرخ - فجعل الأذن
نفسها إعيطاً ، كما فعل رؤبة في المساحي ، ومثله كثير .. وما يدخل في باب
التجاوز قول النابغة : —

تَقْدُ السُّلُوقُ الْمُضَاعَفَ نَسْجَهُ وَتُقَدُّ بِالْصَّفَاحِ نَارَ الْخُبَابِجِ (١)

وانما أراد السلوق مع ما فيه من الجسد وما تحت لابه زعموا من
السرّج والفرس ، فعدا عن الجميع ، وجاء بما يتبعه ، ويستغنى به عن
ذكره ، إذ (٢) كانت لا تقد السلوق إلا أن تقد ما فيه ، ولا تنتهي إلى الصفاح
على ما فسروا من أنه يريد الفارس بأداته إلا بعد أن تأتي على السرّج والفرس

(١) تقد : الضمير المستتر فيه عائد على السيوف التي ذكرها في قوله قبل

ذلك : —

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

والسلوق: نسبة إلى سلوق ، وهي مدينة بالروم ، وإليها تنسب أجود الدروع
وتؤخذ منها ، المضاعف نسجه: أراد التي نسج حلقتي حلقتي . الصفاح : ما يجمل
على القراع من الحديد. نار الخبابج: هو ما اقتدح من شرر النار في الهواء وقيل:
الخابج : ذباب له شعاع بالليل

(٢) في المصرتين « إذا » وهو تحريف

على أن من الناس من رد « يوقدن » على الخيل .. وإلى مثل هذا الإفراط ذهب الفر بن تولب في صفة السيف الذي شبه به نفسه فقال : —

تظل تحضر عنه إن ضربت به بعد الذراعين والساقين والهادي (١)
وروى الخنفاق « القينين والهادي » وهو واضح في المعنى ، ومن التتبع قول زهير : —

وَمُلْجِنًا مَا إِنْ يَنَالُ قَذَالَهُ وَلَا قَدَمَاهُ إِلَّا أُنَامِلُهُ (٢)
فأشار إلى طول عنقه وقوامه بذكر تطاول الملجم إشارة عجيبة ، وتبعه ابن مقبل فقال : —

تَعْلَيْتُ أَخْلِيهِ الْأَجَامَ فَبَدَنِي وَشَخْصِي يُسَامِي شَخْصَهُ وَهُوَ طَائِلُهُ
وإنما تناول زهير هذا المعنى من أبي دؤاد الأيادي ، ويروى لبيد بن ربيعة الأسدي حيث يقول : —

لَا يَكَادُ الطَّوِيلُ يَبْلُغُ مِنْهُ حَيْثُ يَثْنِي عَلَى الْقَصِصِ الْمَذَارِ
وأنا أقول : إن بيت الذياتي في الرعات مأخوذ من قول عبيد بن الأبرص
ماطوا الرعات بنهد لوزل به لانق دون تلاقى اللبة القرط
وقال ابن دريد وأتى يديع مليح : —

قَرِيبُ مَا يَبْنِ الْقَطَاةِ وَالْمَطَاةِ بَعِيدُ مَا يَبْنِ الْقَذَالِ وَالصَّلَاةِ

(١) القينان في رواية الخنفاق التي ذكرها المؤلف: مثنى قين ، وهو موضع القيد من القرس ومن كل ذي أربع يكون في اليدين والرجلين ، والهادي: العنق سميت بذلك لأنها تتقدم على البدن وتهديه

(٢) ملجمنا . يريد التي يلجم خيلهم ، وقوله « ما إن ينال قذاله » يريد أنه لا يكاد ينال قذال القرس لطوله ، وقوله « ولا قدماء » هو على تقدير ولا تتألف قدماء الأرض ، أي: أنه قد قام على أطراف أصابعه فلا ينال من قدميه الأرض إلا أنامله ، يرفع نفسه ليدرك قذال القرس فلا يلجمه

فدل بهذا على قصر الظهر وطول العنق .. وقال بعض الشعراء قلح
وظرف : —

فَمَا يَكُ فِي مِنْ عَيْبٍ فَاِنِ جَبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ
أشار إلى كثرة غشيان الضيوف حتى إن الكلب ما أنس حين أن ينبع
فضلا عما سوى ذلك ، وهزال فصيلة دال على أن الألبان مبذولة للضيغان ،
قل ما يبقى له منها .

وقد قال امرؤ القيس : —

* سِيَمَانُ الْكِلَابِ عِجَافُ الْفِصَالِ *

فسيجف الفصال لليلة التي قدمت ، وسمن الكلاب لكثرة ما ينحرون
ويذبحون : —

ومن أعجب التبييع قوله : —

أَمْرَحُ خِيَامَهُمْ أَمْ عُسْرُ أَمْرِ الْقَلْبِ فِي إِثْرِهِمْ مُنْهَضِرٌ ^(١)

يقول : أنزلوا نجعاً الذي من نباته المرخ أم الغور الذي من نباته العشر ؟
وإن الأعراب يعملون خيامهم من نبات الأرض التي يزلونها فإذا رحلوا
تركوه واستأنفوا غيره من شجر البلد الذي يزلون به ، هكذا شرح العلماء
هذا البيت المتقدم ، ولا أرى الأعراب تذكر ذلك كثيراً في أشعارها ، وإنما
يتعاورون ذكر الوتد ، اللهم إلا أن تكون الأعمدة وما شاكلها تنتخب
وتحمل وإنما المطرح ^(٢) ما جعل فوقها وسد به خصاصها فدفع الحر والبرد
فنعيم ، ولا أشك أن هذا هو الصحيح ، يدل عليه قول جرير يذكر منزلاً : —

(١) انظر (ص ١٥١) من هذا الجزء تجد تفسير هذا البيت في تعليلاتنا هناك

(٢) المطرح : للطروح الذي يتركه القوم عند رحيلهم ، وفي نسخة «المرخ»

وما أثبتناه أولى ؛ فإن المرخ إذ اتخذ لصد خصاص البيوت فغيره يتخذ لذلك
كالتم في كلام جرير ، وغيره

فَلَا عَهْدَ إِلَّا أَنْ تَذْكُرَ أَوْ تَرَى نُمَامًا حَوَالِي مَنْصَبِ الْخَلِيمِ بَالِيَا
فذكر النمام مطر حاً . وقال أبو دؤاد : —

هَمِدْتُ لَهَا مَنَزِلًا دَائِرًا وَالْأَعْلَى الْمَاءُ بِحَمَلِنَ آلا

فالآل الاول : أعمدة الأخية ، والآل الثاني : الشخص الذي يرتفع عند اشتداد الحر ، مكذافسروه ، منهم قدامة ، والذي قال الخنزاقي يعني أعمدة تحمل أعمدة مثلها ذكره أبو حنيفة ، وقوله « على الماء » يعني الماء العذ الذي هو المحضر يرجعون إليه بعد تبديهم وانقطاع ماء السماء . وقد أخبرك الشاعر على القول الاول أنهم يحملون أعمدة الأخية والبيوت . رمن أحسن ما وقع في هذا الباب من التتبع قول حسان بن ثابت : —

أولادُ جفنه حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
فقوله « حول قبر أبيهم » تتبع مليح ، أشار به إلى أنهم ملوك مقيمون لا يخافون فينتقلون من مكان إلى مكان . وأنهم في مستقر عز وأرض خصب لا تجذب ، أراد الشام ، وأن ذلك دأبهم من القدم ، فهم حول قبر أبيهم ، وهذا كما قال ابن مقيل : —

فَمَنْ الْمُقِيمُونَ لَمْ تَبْرَحْ ظَمَائُنَا لَا نَسْتَجِيرُ وَمَنْ يَحْمِلُ بَنَاهُ يَجْرُ
ومن هذا الباب أيضاً قول عنترة بن شداد العبسي : —

بَطْلٌ كَأَنْ ثِيَابَهُ فِي سَرَحَةٍ يُحْدِي نِصَالِ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوْعَمِ
أراد أنه ملك ، لأن نعال السبت لا يخذلها عندهم إلا كل شريف ، بذلك على ذلك قول عتية بن مرداس المعروف بابن فسوة يذكر آل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصيدة لام فيها عبد الله بن عباس وشكر الحسن بن علي عليهما السلام وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهما : —

إِلَى قَرِيٍّ لَا يَخْصِفُونَ نِصَالَهُمْ وَلَا يَلْبَسُونَ السَّبْتَ مَا لَمْ يَخْصُرْ

ومن التبيح قول الخطيئة : —

لَمَمْرُكَ مَا قُرَّادُ بَنَى كَلِيبَ إِذَا تُزِعَ الْقُرَّادُ بِمَسْتَطَاعٍ
وذلك أن الفعل لإذامنع الخطام نزعوا من قردانه شيئاً فلد ذلك ، وسكن
إليه ، ولأن لصاحبه حتى يلقى الخطام في رأسه ، فزعم الخطيئة أن هؤلاء
لا يجذعون عن عزيم وإثامهم فيقدر عليهم . . وأما قول ذى الأصبع العدواني
واسمه مُحَرَّمَانِ بن الحارث : —

يَا عَمْرُو ، إِلَّا تَدْنِ شَتَّى وَمَنْ تَصْنَعِي أَضْرِبُكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةَ اسْقُونِي
فيجوز أن يكون أراد أضربك على الرأس الذي تصيح منه الهامة اسقوني
على زعم الأعراب ، فيكون من هذا الباب ، ويجوز أن يكون مراده
أضربك فلا يؤخذ بتأرك وتكون حيث هنا مثلاً في قول زهير : —

• لَدَى حَيْثُ أَقَتَ رَحْلَهَا أَمْ قَسَمَ •

فيخرج عن هذا الباب . . وإلى نحو التأويل الأول قصد أبو الطيب بقوله : —
فَيَا بَنِي الطَّاعِنِينَ بِكُلِّ لَدْنٍ مَوَاضِعَ يَشْتَكِي الْبَطْلُ السَّمَالَ
أراد الصدر ، أو النحر . . وبيت البحترى في صفة الذئب ، وروى
لعمارة بن عقيل : —

فَاَوْجَرَتْهُ أُخْرَى فَأَظْلَمْتُ رِيْشَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ الْأَبُّ وَالرُّعْبُ وَالْحِفْدُ
خير من بيت أبي الطيب وأجمع للصفة ، وقوله أظلمت بمعنى صيرت
ويروى بالصاد

(٤٣) — باب التجنيس

التجنيس ضروب كثيرة : منها المائلة ، وهي : أن تكون اللفظة واحدة
باختلاف المعنى ، نحو قول زياد الأعجم ، وقيل : الصلتان العبدى يرى المغيرة
ابن المهلب : —

(١٩٢ - المملة - ج ١)

قَاتِعُ الْمَغِيرَةِ الْمَغِيرَةِ إِذْ بَدَتْ شِعْوَاهُ مُشْعَلَةُ كَنْجِ النَّاجِ
فالمغيرة الاولى : رجل ، والمغيرة الثانية : الفرس ، وهي ثنية الخيل التي
تغير .. وقال صاحب الكتاب : قال الله تعالى : (وأسلمت مع سليمان)
وقال تعالى : (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) وفي كلام النبي صلى الله عليه
وسلم « سلم سلمها الله ، وغفار غفر الله لها ، وعصية عصت الله ورسوله »
وإن كان من غير هذا الباب .. وأنشد^(١) سيويه : —

أَنِيعَتْ فَأَلَقَتْ بِلَدَةٍ فَوْقَ بِلَدَةٍ قَلِيلٍ بِهَا الْأَصَوَاتُ إِلَّا بُنَامَهَا
البلدة الاولى : صدر الناقة ، والثانية : المكان من الأرض .. ومثله
أنشد ثعلب : —

وئْنِيَّةٌ جَاوَزَتْهَا بِئْنِيَّةٌ حَرْفٍ بِحَارِضَهَا ثَقِيٌّ أَدَمٌ
فالثنية الاولى : عقبة ، والثانية : ناقة ، والثني الادهم : الظل ، استعار له
هذا الاسم .. ويروى « حبيب أدهم » ومثله أنشد أبو عمرو بن العلاء : —
• عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ عَلَى عَوْدٍ خَلَقَ • وقال الاول الشيخ ، والثاني :
الجل المسن ، والثالث : الطريق القويم قد ذلل بكثرة الوطء عليه .. ويجرى
هذا المجرى قول الأودى : —

وَأَقْطَعُ الْهَوَجْلَ مُسْتَأْنِسًا يَهْوَجِّلُ عَيْرَانَةً عَيْطُمُوسٌ^(٢)
أنشده قدامة على أنه طباق ، وسائر الناس يخالفونه في هذا المذهب ، وقد

(١) انظر كتاب سيويه (ج ١ ص ٣٧٠) ونسبه لقي الرمة ، والرواية يرفع
« بنام » على جعل « إلا » صفة بمعنى « غير » ظهر إعرابها على ما بعدها كما هو
معروف في كتب النحويين

(٢) الهوجل الاول : الأرض التي لا نبت فيها ، ومنه قول ابن مقبل : —
وجرداء خرقاء المسارح هو جل بها لاستدعاء الشمشانات مسبح
والهوجل الثاني : الناقة السريعة

جاء رد الاخفش على بن سليمان عليه في ذلك وإنكاره على رأى الخليل
والاصمعي في كتاب حلية المحاضرة للحاتمي .. وعلى القول الاول قال
أبو نواس في ابن الربيع :-

عَبَّاسُ عَبَّاسٍ إِذَا حَضَرَ الْوَعْيُ وَالْفَضْلُ فَضْلٌ وَالرَّبِيعُ رَبِيعٌ
وقال أبو تمام :-

لَيَا لَيْنَا بِالزَّقَيْنِ وَأَهْلُنَا سَقَى الْعَهْدِ مِنْكَ الْعَهْدُ وَالْعَهْدُ وَالْعَهْدُ
فالعهد الاول المسقى : هو الوقت ، والعهد الثاني هو الحفاظ من قولهم
« فلان ما له عهد » والعهد الثالث : الوصية من قولهم « عهد فلان إلى
فلان ، وعهدت إليه » أى : وصانى ووصيته ، والعهد الرابع : المطر ،
وجمعه عهاد ، وقيل : أراد مطراً بعد مطر بعد مطر ، وفسر ذلك بقوله :-
سَحَابٌ مَتَى يَسْحَبُ عَلَى النَّبْتِ ذَيْلُهُ فَلَا رَجُلٌ يَنْبُو عَلَيْهِ وَلَا جَعْدٌ
واستقل قوم هذا التجنيس ، وحق لهم .. ومن مליح هذا النوع قول
ابن الرومي :-

للسود في السود آثار تركن بها لمعا من البيض ثنى أعين البيض
فالسود الاول : الليالى ، والسود الآخر : شعرات الرأس واللحية ،
[و] البيض الاول : الشيات ، والبيض الآخر : النساء .. وزعم الحاتمي
أن أفضل تجنيس وقع لمحدث قول عبد الله بن طاهر :-
وإِنِّي لَتَنْفَرُ الْخَيْفَ لَكَالِي وَلَتَنْفَرُ يَجْرِي ظِلْمُهُ لَرَشُوفٍ (١)
فهذا وما شاكلة التجنيس المحقق ، والجرجاني يسميه المستوفى .. ويقرب
منه - وليس محضاً - قول ابن الرومي :-

له نائل ما زال طالب طالب ومرتاد مرتاد وخاطب خاطب

(١) التنفر الاول : نثر البلاد الذى يحافظ عليه من فارة العدو . وكالى :
حافظ وراع . والتنفر الثانى : فم المجهود ، والظلم - بفتح الظاء - ديقه

أدخل التريديد، والترديد : نوع من المجانسة يفرد له باب إن شاء الله تعالى .. والتجنيس المحقق : ما اتفقت فيه الحروف دون الوزن ، رجع إلى الاشتقاق أو لم يرجع ، نحو قول أحد بني عباس : —

وذلكم أن ذلَّ الجليل جلالكم وأن أنفكم لا يعرف الألفاً

فاتفقت الألف مع الألف في جميع حروفها ^(١) دون البناء ، ورجعا إلى أصل واحد ، هذا عند قدامة أفضل تجنيس وقع ، [و] مثله في الاشتقاق قول جرير — والجرجاني يسميه التجنيس المطلق ، قال : وهو أشهر أوصافه : — وما زال معقولا عقالاً عن الندى وما زال محبوباً عن الخير حابساً وقال جرير أيضاً ، وفيه المضارعة والمائلة والاشتقاق ، وأنشده ابن المعتز : —

تَهاصَّ حَتَّى فَاتَهُ المجد قَعَصٌ وأهياً بنو أعياء وَضَلَّ المضللُّ
وقال خلف بن خليفة الأقطع : —

فَإِنْ يَسْخَرُونَا عَنْ أَدَانِ فَاتَنَا شَقَلْنَا وَلِيداً عَنْ غَنَاءِ الْوَلَاءِ
يعنى الوليد بن يزيد بن عبد الملك .. وقال أبو تمام فأحكم المجانسة بالاشتقاق : —

بحوافر حُرٍّ وصلبٍ صلبٍ وأشاعرٍ شعرٍ وخلقٍ خلقٍ
لجنس ثلاث لفظات ^(٢) .. ومثله قول البحتري : —

صدق الغراب لقد رأيت شمسهم بالأمس تغرب عن جوانب غربٍ
ويقرب من هذا النوع قول ذى الرمة : وَأَسْتَرْجَعَتْ هَامَهَا الميمُ
الشَّامِيمُ * فالهيم والهام قريان في اللفظ بعيدان في الاشتقاق ، وربما جعلهما بعض الناس من أصل واحد ، وكذلك قوله : —

(١) في المصرتين « فاتفقت الألف في الألف في جميع حروفها » وفي هذا تحريفان لا يتحيان (٢) بل بأربع لفظات ، كما هو ظاهر

كَانَ الْبَرَى وَالْعَاجَ عِيجَتْ مَثُونَهَا عَلَى عُسْرِ نَهَى بِهِ السَّيْلَ أَبْطَحَ (١)
قال ابن المعتز « نهى به السيل » أى : بلغ به إليه فهو أنعم له وأكثر
لدونة ، وأنا أقول : معناه ترك به السيل نهيا ، وهو الغدير ، وذلك أتم لما
أراد ابن المعتز ، اللهم إلا أن يكون معناه جعل نهايته هناك فانه أتم وأجود ،
أى : لم يجد منصرفاً فأقام . . وقال البحرى : —

وَذَكَّرَ نِيكَ وَالذَّكْرَى عَنَاهُ مَشَاهِيهِ مِنْكَ بَيْنَهُ الشُّكُولُ
لَيْسِمُ الرُّؤُوسِ فِي رِيحٍ شَمَالٍ وَصَوْبُ الْمُزْنِ فِي رَاحٍ قَمُولُ
وقال أبو تمام : —

مَلَيْتُكَ الْأَحْسَابُ أَيْ حَيَاةَ وَحَيَا أَرْزَمَةَ وَحَيَّةَ وَادَ (٢)
ويقرب من هذا النوع نوع يسمونه المضارعة ، وهو على ضروب كثيرة :
منها أن تزيد الحروف وتنقص ، نحو قول أبى تمام — والجرجاني يسميه
التجنيس الناقص : —

• يَعْدُونَ مِنْ أَيْدِ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ • (٣)

وهما سواء لولا الميم الزائدة . . وكذلك قوله • قَوَاضٍ قَوَاضِبٍ • سواء
لولا الباء ، ومع ذلك فان الباء والميم أختان . . ومثله قول البحرى : —
فِيَالِكُ مِنْ حَزْمٍ وَعَزْمٍ طَوَاهَا جَدِيدَالِي تَحْتَ الصَّفَا وَالصَّفَائِحِ

(١) قال أبو حنيفة : « العسر من العضاة ، وهو من كبار الشجر وله صمغ
حلو ، وهو عريض الورق ، ينبت صعدا في السماء ، وله سكر يخرج من شعبة
ومواضع زهره يقال له سكر العشر ، وفي سكره شيء من مرارة ، ويخرج له نفاخ
كانها شقائق الجبال التي تهدر فيها ، وله نور مشرب مشرق حسن المنظر » اهـ
(٢) مليتك : متعتك ، حيا أرزمة : مطر شدة يريد أنه يكشف الشدة بمجوده
(٣) تمامه • تصول بأسياف قواض قواضب • وسيدكر للأولف بعض

هذا الشطر

ومنها أن تتقدم الحروف وتتاخر ، كقول الطائي : —
 يعض الصفائح ، لاسود الصفائف ، في مُثَوْنين جَلَاهُ الشُّكُّ والرَّيْبُ
 قوله « الصفائح لاسود الصفائف » هو الذي أردت . وقال البحتري :
 شواجر أرماع تقطع بينهم شواجر أرحامٍ مَكُومٌ قَطُوعُهَا
 ومثله قول أبي الطيب : —

مُنْمَةٌ مُنْعَمَةٌ رَدَّاحٌ يُكَلِّفُ لَفْظَهَا الطَّيْرَ الْوُقُوعَا
 وحكى ابن دريد أن أعرابياً شتم رجلاً فقال : لمج أمه ، فقدم إلى السلطان
 فقال : إنما قلت : ملج أمه ، فدرأ عنه . . قال أبو بكر : لمجها : أناها ،
 وملجها : رضعها

وأصل المضارعة أن تتقارب مخارج الحروف ، وفي كلام العرب منه كثير
 غير متكلف ، والمحدثون إنما تكلفوه : فمن المعجز قول الله عز وجل : (وَهُمْ
 يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ) . . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل سمعه وهو
 يشهد على سبيل الاختيار — وقيل : بل سأله عن نسبه فقال : —

إني امرؤٌ جَبْرِيٌّ حين تنسبني لامن ربيعة آبائي ولا مضر
 فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « ذلك والله الأمام الجدك ، وأضرع لجدك ،
 وأفل لجدك ، وأقل لعدك ، وأبعدك عن الله ورسوله » وقوله عليه الصلاة
 والسلام « نعوذ بالله من الأيمة والعيمة والغيمة والكزيم والقزم » الأيمة :
 الخلو من النساء ، والعيمة : شهوة اللين ، والغيمة : العطش ، والكزيم : قصر
 اللسان خلقة أو من يخل ، ويقال : الكزيم شدة الأكل ، والقزم : شهوة اللحم ،
 وهذا النوع يسميه الرماني المشاكلة ، وهي عنده ضروب : هذا أحدها ، وهي
 المشاكلة في اللفظ خاصة ، وأما المشاكلة في المعنى فتنبه عليها في أما كتبنا إن
 شاء الله تعالى . . وقال ابن هرمة : —

وَأَطَمْنُ لِقَرْنِ يَوْمِ الْوُغَى وَأَطَمْنُ فِي الزَّمَنِ الْمَاجِلِ

وقال أبو تمام : —

رُبَّ خَفْضٍ تَحْتَ الثَّرَى وَغَنَاءٍ مِنْ عَنَاءٍ وَنُضْرَةٍ مِنْ شُحُوبٍ
وَأَبْعَدُ مِنْ هَذَا قَلِيلًا قَوْلُ سَاعِدَةَ بْنِ جُوَيْيَةِ الْهَنْدَلِ : —

رَأَى شَخْصًا مَسْعُودِينَ بِشَرِّ بَكْفَةٍ حَدِيدٌ حَدِيثٌ بِالْوَقِيعَةِ مُعْتَدٌ^(١)

ومن المضارعة بالتصنيف ونقص الحروف قول بعضهم : —

ثَانٍ حَلَوًا فَلَيْسَ لَهُمْ مَقَرٌّ وَإِنْ رَحَلُوا فَلَيْسَ لَهُمْ مَقَرٌّ

وقال البحترى يمدح المعتز بالله : —

وَلَمْ يَكُنِ الْمَغْتَرِ بِاللهِ إِنْ سَرَى لِيَعْجَزَ وَالْمَعْتَزُ بِاللهِ طَالِبُهُ

لجاء بشصيف مستوف . . وقال : —

مَا يَسْتَقِي هَذَا الْغَزَالَ الْفَرِيرِ مِنْ قُتُونٍ مُسْتَجْلِبٍ مِنْ قُتُورٍ

وقال غيره — وأظنه قابوس بن وشمكير : —

إِنَّ الْمَكَارِمَ فِي الْمَكَارِمِ رَهَ وَالْغَنَائِمَ فِي الْمَغَارِمِ

وقال بعض العلماء : ربما أسفر السفر عن الظفر ، وتعذر في الوطن قضاء

الوطر . [و] قال آخر : خلف الوعد خلق الوعد . . وقال ابن المعتز : —

لَنْ نَزْهَتْ مَحْمَكٌ عَنْ كَلَامِي لَقَدْ نَزْهَتْ فِي خَدَّيْكَ طَرْفِي

لَهُ وَجْهٌ بِهِ يُصَيِّ وَيُضَيِّ وَمُبْتَسَمٌ بِهِ يُشْقِي وَيُشْقِي

وقال آخر أيضاً في مثل ذلك ، وفيه تغيير كثير بتضخيف : —

فَمِنْ دَاعٍ وَمِنْ رَاعٍ وَمِنْ مَطَرٍ وَمِنْ مَطَرٍ

وَكُلُّ خَاشِعٍ الطَّرْفِ لَدَيْهِ خَاضِعُ الْمُنْطَقِ

أعني بالتغيير ضاد « خاضع » ليست مناسبة لشين « خاشع » فيكون

(١) في الديوان (ص ٣٧ طبع أوربة) * رأى شخص مسعودين سعد ...

* وبعد هذا البيت قوله . —

فَجَالٌ وَخَالَ أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ بِهِ وَقَدْ خَلَّ سَهْمٌ صَوِيْبٌ مُرَوِّدٌ

تصحيحاً ، وإنما التصحيح فيما تناسب من الخط ، ومن هذا قوله « داع »
و« راع » لبعد ما بينهما في اللفظ والهجاء . . . ومن الاسقاط الذي لا يظهر إلا
في الخط قول شمس المعالي قابوس بن وشمكير : —

وَمَنْ يَسْرِ قَوْقُ الْأَرْضِ يَطْلُبُ غَايَةَ مِنْ الْمَجْدِ نَسْرِي فَوْقَ جَنْبَةِ النَّسْرِ
وَمَنْ يَخْتَلِفُ فِي الْمَالَيْنِ يَجَارُهُ فَانَا مِنَ الْعُلَيَّا نَجْرِي عَلَى نَجْرِ
فِيهِ الْوَصْلُ فِي « النَّسْرِ » جَانَسَتْ بِهِ « نَسْرِي » وَصَارَ لِقَاءُ التَّوْنِ كَرَّةَ
الْمَاءِ مِنْ جَعْمَةٍ كَالْتَّوْنِ فِي الْمَاءِ ، وَكَذَلِكَ صَلَةُ « نَجْر » جَانَسَتْ بِهِ « نَجْرِي »
فَإِذَا صُرْتُ إِلَى الْخَطِ زَالَتْ الْمَجَانَسَةُ ، وَقَدْ أَهْدَتْ الْمَوْلِدُونَ تَجَانِساً مُنْفَصِلاً
يُظْهِرُ أَيْضاً فِي الْخَطِ كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ : —

رَقْدُوكَ فِي يَوْمِ الْكَلَّابِ وَشَقُّوْا فِيهِ الْمَزَادَ بِجَحَلِي كَالْأَلْبِ^(١)
الكاف للتشبيه ، واللاب جمع لابة ، وهي الحرة ذات الحجارة السود . .
هذا أصح الروايتين ، وأما قوله بجحفل كَلَّابٍ أى كأن به كلباً فليس بشئ .
وإنما القول ما قدمناه وليس بتجانس صحيح على ما شرطه المتقدمون ، ولكنه
استظرف فأدخل في هذا الباب تملحاً . . وأكثر من يستعمله : الميكالي ،
وقابوس ، وأبو الفتح البستي ، وأصحابهم ، فن ذلك قوله : —

عَارِضَاهُ بِمَا جَنَى عَارِضَاهُ أَوْ دَعَا نِي أُمْتُ بِمَا أَوْدَعَا نِي
فقوله « أودعاني » إنما هي « أو » التي للعطف ، نسق بها « دعاني » وهو
أمر اثنين من « دع » على قوله « عارضا » الذي في أول البيت ، وقوله
« أودعاني » الذي في القافية فعل ماض من اثنين ، تقول في الواحد « أودع
يودع » من الوديعة . وقال أيضاً : —

(١) انظر (ص ٤٤) من هذا الجزء ؛ فقد سميت هذه الكلمة هناك
« كلاب » على أنها صفة مبالغة ، وهي الرواية الأخرى ، وفي الديوان « بجحفل غلاب »
وهي ترجع ما ذهبه

وإن أقرَّ على رِقِّ أنامله أقر بالرقِّ كُتَّابُ الأَنَامِ له
وربما صنعوا مثل هذا في القوافي فتأتى كالإيطاء وليس بإيطاء إلا في اللفظ
مجازاً، ولا بتجنيس إلا كذلك.. قال عمر بن علي المطوعي : —

أَمِيرُ كُلِّهِ كَرَمٌ سَعِيدَنَا بِأَخِذِ الْمَجْدِ مِنْهُ وَاقْتِبَاسُهُ
يُحَاكِي النَّيْلَ حِينَ يُسَامُ نَيْلًا وَيَحْكِي بِاسْلَافِي وَقْتِ بَاسِهِ

يناسب لجاه القافيتان كما ترى في اللفظ، وليس بينهما في الخط إلا مجاورة
الحروف، وهذا أسهل معنى لمن حاوله، وأقرب شيء من تناوله من أبواب
الفراغ وقلة الفائدة، وهو مما لا يشك في تكلفه، وقد أكثر منه هؤلاء الساقه
المتعقبون في ثزم وظلمهم حتى بردوا، بل تدرکوا، فأين هذا العمل من
قول القائل، وهو أبو فراس : —

سَكِرْتُ مِنْ لَحْظِهِ لَأَمِنْ مُدَامَتِهِ وَمَلَّ بِالنَّوْمِ عَنْ عَيْنِي تَمَائِلُهُ
وَمَا السَّلَافُ دَهْنَتِي بِلِ سَوَالِفِهِ وَلَا الشُّعْمُولُ زَهْنَتِي بِلِ شِمَائِلِهِ
أَلْوَى بَصِيرِي أَصْدَاغُ لَوَيْنَ لَهُ وَغَلَّ صَدْرِي مَاهَوْيَ غَلَائِلِهِ

فما كان من التجنيس هكذا فهو الجيد المستحسن، وما ظهرت فيه الكلفة
فلا فائدة فيه.. وقد يجيء التجنيس على غير قصد كقول أبي الحسن في مقطعاته
التي ترد فيما بعد : —

ما ترى الساقى كشمسٍ طلعت تحمل المريح في برج الحمل
فهذا التجنيس تم المعنى وظهر حسنه، إذ كان برج الحمل بيت المريح وموضع
شرف الشمس، فصار بعض الكلام مرتبطاً ببعضه، ومظهر الخفي محاسنه،
وحصل التجنيس فضلة على المعنى؛ لأنه لو قال في موضع الحمل : النطح^(١)
أو الكبش، لكان كلاماً مستقيماً فهذا التجنيس كما ترى من غير تكلف ولا

(١) النطح — ومثله الناطح — الشرطان، وما قرنا الحمل. وفي المصرية
«الطنح» بالميم، وهو تصغير، والكبش : الحمل إذا أنثى أو إذا خرجت رباعيته.

قصد ، ولكن الاكثر أن يكون التجنيس مقصوداً إليه مأخوفاً منه ما
ساحت فيه القريحة ، وأعان عليه الطبع ..

وقد يعد قوم من المضارعة ماناسب اللفظة في الخط فقط : كقوله تعالى :
(وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) وهي مضارعة بعيدة لا يجب أن يعد
مثلاً .. واختلف الناس في قول الأعرابي : —

ان تَسُدُّ الخوص فلم تَدُمِّمِ وعَايِرُ سَادِ بْنِ عَامِرٍ
فقال الجرجاني علي بن عبد العزيز القاضي : هو مجانسة ؛ لأن أحدهما رجل ، والآخر
قبيلة ، وقال غيره : بل معناها واحد ، وأنا على خلاف رأي الجرجاني لأن
الشاعر قال بني عامر وأضاف بني إليه ، ولو قال ساد عامر أي بني القبيلة لكان تجنيساً
غير مدفوع . قال الجرجاني : وأراه - يعني بيت الأعرابي - يخالف قول الآخر : —

قلنا به خير الضيعات كلها ضيعة قيس لاضحية أضحا
لأن كليهما قبيلتان ، فكأنه جمع بين رجلين متفقين الاسم ، انتهى كلامه
وهو يشهد بما قلته في بيت الأعرابي إذا حققه من له ميز وتدير . .
وقد ذكرنا تجنيساً مضافاً ، أنشده جماعة من المتعقبين منهم الجرجاني : —

أيا قمر التمام أعنت ظلاً على تطاول الليل التمام
فهذا عندهم وما جرى مجراه إذا اتصل كان تجنيساً ، وإذا انفصل لم يكن
تجنيساً ، وإنما كان يتمكن ما أراد لو أن الشاعر ذكر الليل وأضافه فقال « ليل
التمام » كما قال « قمر التمام » والرامي سمي هذا النوع مزاجاً ، ومثله عنده
قول الآخر : —

حتى مياه الوفير منها مواردى فلا تحمياني ورد ماء العناقد
ومن المزوجة عندهم قول الله تعالى : (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ)
وقوله : (مَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) وقوله :

(إنما نحن مستهزؤن الله يستهزى بهم) وكل هذه استعارات [و] مجاز ، لأن المراد المجازاة فواوج بين اللفظين

وكان الأصمعي يدفع قول العامة « هذا مجانس لهذا » إذا كان من شكله يقول : ليس بعربي خالص حكى ذلك ابن جنى . . فأما ابن المعتز فقال — وهو أول من نحا هذا النحو وجمعه — والمجانسة : أن تشبه اللفظة اللفظة في تأليف حروفها على السبيل الذي ألف الأصمعي كتاب الأجناس عليها ، قال : والجانس أصل لكل شيء : تنفرع منه أنواعه ، وتعود كلها إليه ، كالإنسان هو جنس وأنواعه عربي ورومي وزنجي ، وأشباه ذلك ، ولم تكن القدماء تعرف هذا اللقب — أعنى التجنيس — بذلك على ذلك ما حكى عن رؤبة بن العجاج وأبيه ، وذلك أنه قال له يوماً : أنا أشعر منك ، قال : وكيف تكون أشعر مني وأنا علمتك عطف الرجز ؟ قال : وما عطف الرجز ؟ قال * عاصم يا عاصم لو أعصم * قال : يا أبت ، أنا شاعر ابن شاعر ، وأنت شاعر ابن معجم ، فقلبه ، فأنت ترى كيف سماه عطفاً ، ولم يسمه تجانساً اللهم إلا أن يذهب بالعطف إلى معنى الالتفات فنعم . ومن أناشيد هذا الباب قول الشنفرى — واسمه عامر ^(١) بن عمرو الأزدي : —

وبتنا كأن البيت حجر فوقنا بريحانة ريحت عشاء وظلت

وقال على بن محمد بن نصر بن بسام : —

فاشربْ على الوردِ من وَرْدِيَّةٍ عتقت كأنَّها خدْ رِيمٍ رِيمَ قَامَتِنَا
وقال الفرزدق : —

ألم يأنه أنى تخالُّ ناقتي بنعمانَ أطراف الآراك النواعم
وحقيقة المجانسة عند الرماق المناسبة بمعنى الاصل ، نحو قول أ. تمام :

* في حذِّ الحدِّ بين الجدِّ واللعب * ^(٢)

(١) في نسخة خلاف طويل ذكرناه في شرحنا على ديوان شعره وأخباره

(٢) صدره * السيف أصدق إنباء من الكتب *

قال : لأن معناه جميعاً أبلغ ، وأما قولك قرب واقرب ، والطلوع والمطلع ، وما شاكل هذا ، فهو عنده من تصرف اللفظ ، ولا يعده تجنيساً . ومن تصرف المعنى عنده قولك عين الميزان ، وعين الانسان ، وعين الماء ، ونحو ذلك . . ومن التصرف في اللفظ والمعنى جميعاً قولك : الضرب والمضاربة والاستضراب ؛ وما أشبه ذلك ، كل هذه الأنواع عنده من باب التصرف . وما أكثر ما يستعمل هذا النوع بعض شعراء وقتنا المذكورين ويظن أنه قد أتى بشئ من غرائب التجنيس . . وأما قول دجيل في امرأته سلى : —
 أَحِبُّكَ حُبًّا لَوْ تَضَمَّنَتْهُ سَلَى ^(٢) تَحِيَّكَ ذَاكَ الشَّاهِقُ الرَّاسِ
 فقد جنس من غير ذكر جنس ؛ لأن قوله « سيمك » دال على مراده ومثله قول الآخر : —

ضيعني مثل اسمها العا م ودارى مسترمة

أنشده الرماني . . وقال الآخر ، وهو أبو تمام : —

إذ لا صدوق ولا كنود اسماهما كالمعنيين ولا النوار نوارا

المراد صدر البيت لا عجزه

وإذا دخل التجنيس نفى عد طباقا ، وكذلك الطباق يصير بالنفي تجنيسا ، وسأفرد لها بابا إن شاء الله تعالى فيما بعد باب الترديد .

(٤٤) — باب الترديد

وهو : أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى ، ثم يردّها بعينها متعلقة بمعنى آخر : في البيت نفسه ، أو في قسم منه ، وذلك نحو قول زهير : —
 مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَائِيهِ هَرَمًا يَلْقَى السَّاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا
 فعلق « يلق » بهرم ، ثم علقها بالساحة . . وكذلك قوله أيضاً : —

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَافَا يَنْلَنَّهُ وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ يَسْلَمُ

فردد «أسباب» على ما بينت . . . ولبعض الحجازيين : —

وَمَنْ لَامَنِي فِيمَ حَيْبٍ وَصَاحِبٍ قُرْدٌ يَنْقِطِرُ صَاحِبٌ وَتَجِيمُ
وقال مجنون بني عامر : —

قَعْبَاهَا لَتَقْرِي وَابْتَلَانِي بِحَبْهَاءٍ فَهَلَّا شَيْءٌ غَيْرَ لَيْلِي ابْتِلَانِيَا
وقال أبو تمام : —

خَفْتُ دُمُوعَكَ فِي إِثْرِ الْقَطِينِ لَدُنْ خَفْتُ مِنَ الْكَثِيبِ الْقَضْبَانُ وَالْكَثِيبُ
الترديد في «خفت» ولو جعلت الكثيب ترديداً لجاز . . . وقال ابن المعتز

لَوْ شِئْتُ لَا شِئْتُ خَلَيْتُ السُّلُوكَ وَكَانَ لَا كَانَ مِنْكُمْ فِي مُعَافَاتِي
وقال أيضاً في مثل ذلك : —

أَتَعَذِّلُنِي فِي يُوسُفَ وَهُوَ مَنْ قَرَى وَيُوسُفُ أَضْنَانِي وَيُوسُفُ يُوسُفُ
ولبعضهم - وأظنه الصنوبري - :

أَنْتَ عُذْرِي إِذَا رَأَوْكَ وَلَكِنْ كَيْفَ عُذْرِي إِذَا رَأَوْكَ تَخُونُ ؟

الترديد في قوله «إذا رأوك» . . . وقال أبو الطيب وأحسن ما شاء : —

أَمِيرُ أَمِيرٍ عَلَيْهِ النَّدَى جَوَادٌ بِحَيْلٍ بَأْنٍ لَا يَجُودَا

الترديد في أول البيت ، وهذا النوع في أشعار المحدثين أكثر منه في
أشعار القدماء جداً . . . والعلماء بالشعر مجمعون على تقديم أبي حية النخيري
وتسليم غصيلة هذا الباب إليه في قوله : —

أَلَا حَيٌّ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَغَانِيَا لَيْسَنَ الْبَلِيَّ مِمَّا لَيْسَنَ الْبَلِيَا
إذا ما تقاضى المرء يوماً وليلة تقاضاه شيء لا يملُّ التقاضيا

والترديد الذي انفرد فيه بالاحسان عندهم قوله * لبسني البلى عما لبسني
البلى * وكذلك قوله * إذا ما تقاضى المرء يوماً وليلة * ثم قال * تقاضاه

شيء لا يعمل التقاضيا * لأن الهاء كناية عن المرة ، وإن اختلف اللفظ . ويلحق بهذا قول أنى نواس :-

* لَوِ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتُهُ نَبْرَاهُ * ^(١) وقول الحسين بن الضحاك الخليع :-
لَقَدْ مَلَأَتْ عَيْنِي بَغْرٌ نَحَّاسِينَ مَلَأَنَ فُؤَادِي لَوْعَةً وَهُومًا
لقرب ما بين اللفظتين ، وكذلك قول الطائي :-

رَاحَ إِذَا مَا الرَّاحُ كَانَ مَطِيئًا كَأَنَّ مَطَايَا الشُّوقِ فِي الْأَحْشَاءِ
ردد مطيها ومطايا الشوق . وعلى هذا يحمل قول الجحاف بن حكيم ، وقيل العباس بن مرداس :-

فَعَرَضَ السَّيُوفُ بِكُلِّ ثَغْرِ وَجُوهًا لَا تَعْرِضُ لِلْطَّسَامِ ^(٢)
وحمل قوم قول امرئ القيس * قَتُوبًا لَبِست وَثُوبًا أَجْرَ ^(٣) * على أنه تكرار لا ترديد فيه ، وهذا هو الخطأ البين ، وأى ترديد يكون أحسن من هذا ؟ وقد أفاد الثاني غير إفادة الأول حسب ما شرطوا . ومثله قول بعض الأعراب في مدح هارون الرشيد :-

جَبْرِ الْكَلَامِ جَبْرِ الْعُطَاسِ جَبْرِ الزَّوَاءِ جَبْرِ النِّعَمِ
ومن أملح ما سمعته قول ابن العميد :-

فَإِنْ كَانَ مَسْخُوطًا قَلَّ شَعْرُ كَاتِبٍ وَإِنْ كَانَ مَرْضِيًّا قَلَّ شَعْرُ كَاتِبٍ
وهو داخل عندى فى باب الترديد ؛ إذ كان قوله عند السخط * شعر

(١) هذا عجز بيت له ، وقوله :-

دَعِ عَنْكَ لَوْمَى فَإِنَّ الْوَمَّ إِغْرَاءً وَدَاوْنِي بِأَلْفَى كَأَنَّ هِيَ الدَّاءُ
صفراء لا تنزل إلا كدادر ساحتها لومسها

(٢) الطمام - بزة غراب وسحاب وشداد ورمال - كثير القبار
وشديده ، ومراده بذلك أن يكنى عنهم بالتمتع والترفة

(٣) يروى صدر هذا البيت * فأقبلت زحفا على الركبتين * ويروى صدره * فلما دنوت تسديتها *

كاتب * إنما معناه التقييد به ، وبسط العذر له ؛ إذ ليس الشعر من صناعته كما حكى ابن النحاس أنهم يقولون « نحو كتابي » إذا لم يكن مجوداً ، وقوله عند الرضا * شعر كاتب * إنما معناه التعظيم له ، وبلوغ النهاية في الظرف والملاحاة ؛ لمعرفة الكتاب باختيار الألفاظ وطرق البلاغات ، فقد ضاداً وطابق في المعنى ، وإن كان اللفظ تجنبياً مردداً .

وسمع أبو الطيب باستحسان هذا النوع فجعله نصب عينه حتى مَقَّتَهُ وَزَهَّدَ فيه ، ولو لم يكن إلا بقوله : -

فَقَلَّقْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَّقَ الْحِشَا قَلَا قَلَّ عَيْشِي كُلُّهُنَّ قَلَا قَلَّ
فهذه الألفاظ كما قال ظهن قلاقل ، ونحو ذلك قوله : -

أَسَدٌ فَرَأَيْتُهَا الْأَسُودُ ، يَقُودُهَا أَسَدٌ ، تَكُونُ لَهُ الْأَسُودُ نَعَالِيَا
فما أدرى كيف تخلص من هذه الغابة المملوءة أسوداً ؟ ولا أقول إنه بيت شعر ، وأين يقع هذا من قول غيره : -

فَصَبَّحُ الْوَصَالِ وَلَيْلُ الشَّبَابِ وَصَبَّحُ الْمَشِيِّ وَلَيْلُ الصَّدُودِ

تم الجزء الأول من كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني

وبليه الجزء الثاني أوله (٤٥ - باب التصدير) أعان الله

تعالى على إكماله

أَبْنُ شَيْبَةَ يُقَرِّئَانِي

الْعُمَلَةُ

حققه ، وعلق حواشيه

مُحَمَّدُ مَجْنُونُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ الْحَمِيدِ

الْمُدَرِّسُ فِي كَلِمَةِ الْفَنَاءِ الْقَرْيَةِ
بِالْمَتَاعِ الْأَرْبَعَةِ

الْجُلَّةُ الْبَقَائِيَّةُ

مطبعة مجازي بالقاهرة

تليفون رقم ٤٨٠ ٥٥

العمدة : في محاسن الشعر وآدابه

تصنيف : أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني
المتوفى في سنة ٤٦٣ من الهجرة

الطبعة الأولى

سنة ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م

جميع حقوق الطبع محفوظة لشارحه

مطبعة دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٤٥) — باب التصدير

وهو : أن يرد أعجاز الكلام على صدورهِ ، فيدل بعضه على بعض ، ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك وتقتضيا الصنعة ، ويكسب البيت الذي يكون فيه أبهة ، ويكسوه رونقا ودياجة ، ويزيده مائة وطلاوة ، وقد قسم هذا الباب عبد الله بن المعتز على ثلاثة أقسام : أحدها : ما يوافق آخر كلمة من البيت آخر كلمة من النصف الأول ، نحو قول الشاعر : —

يُلَاقِي إِذَا مَا الْجَيْشُ كَانَ عَرَمَرَمًا فِي جَيْشٍ رَأَى لَا يُفْلُ عَرَمَرَمَ
الآخر : ما يوافق آخر كلمة من البيت أول كلمة منه ، نحو قوله : —

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَشْتَمُ عَرَضُهُ وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعٍ
والثالث : ما وافق آخر كلمة من البيت بعض ما فيه ، كقول الآخر : —

هَزِيرُ بَنِي سُلَيْمٍ أَقْصَدَتْهُ سِهَامُ الْمَوْتِ وَهِيَ لَهُ سِهَامُ
والتصدير قريب من الترديد ، والفرق بينهما أن التصدير مخصوص بالقوافي ترد على الصدور ، فلا تجد تصديراً إلا كذلك حيث وقع من كتب المؤلفين ، وإن لم يذكروا فيه فرقا ، والترديد يقع في أضعاف البيت ، إلا ما ناسب بيت ابن العميد المقدم . ومن أبيات التصدير قول زهير : —

كَذَلِكَ خِيَمُهُمْ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ إِذَا مَسَّتْهُمُ الْفُرْأَةُ رَحِيمُ
وقال أيضاً في ذلك : —

لَهُ فِي الْقَاهِرِينَ أَرْوَمُ صِدْقٍ وَكَانَ لِكُلِّ ذِي حَسَبٍ أَرْوَمُ

وقال أبو الأسود - واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي - :
وما كلُّ ذِي لُبٍّ بِمَوْتِكَ نُصْحَةٌ وما كلُّ مَوْتٍ نَصْحُهُ بَلْبِيبٌ
فهذا تصدير ، وإن كان ظاهره في اللفظ ترديداً لليلة التي ذكرتها . ومن
أناشيدهم في التصدير قول طفيل الغنوي : -

تَحَارَمَكَ أَمْنُهَا مِنْ الْقَوْمِ إِنْ تَنَى أَرَى جَفَنَةً قَدْ ضَاعَ فِيهَا الْمَحَارِمُ
وقال جرير وهم يستحسنونه جداً : -

سَقَى الرَّمْلَ جَوْنَ مُسْتَهْلٍ رِبَابُهُ وَمَا ذَاكَ إِلَّا حُبٌّ مِنْ حَلٍّ بِالرَّمْلِ
وقال عمرو بن أحر : -

تَغَمَّرْتُ مِنْهَا بِمَدٍّ مَا غَدَّ الصَّبَا وَلَمْ يَرَوْا مِنْ ذِي حَاجَةٍ مَنْ تَغَمَّرَا
« تغمرت » أي : شربت من الغمر ، وهو قدح صغير جداً ، ضربه
مثلاً ، أي : تطلعت منها بالشئ القليل وفلك لا يبلغ ما في نفسى منك
من المراد .

ومن التصديرونوع سباه عبد الكريم المضادة ، وأنفذ للفرزدق : -

أَصْدِيرُ هُمُومَكَ لِأَيْتَلِيكَ وَارِدُهَا فَكُلُّ وَارِدَةٍ يَوْمًا لَهَا صَدْرُ

وأنفذ في التصدير بيت طفيل المتقدم ، وبيت جرير ، وخمس بيت
الفرزدق بالمضادة دون أن يجعله تصديراً كما جعله أولاً طباقاً كما يقال في
الاضداد إذا وقعت في الشعر ، وقد رأيت في إحدى النسخ مع آيات المطابقة
ويقاربه من كلام المحدثين قول ابن الرومي : -

رَيْحَانُهُمْ ذَهَبٌ عَلَى دُرٍّ وَشَرَابُهُمْ دُرٌّ عَلَى ذَهَبٍ

والكتاب يسمى بهذا النوع التبديل ، حكاه أبو جعفر النحاس . ومن

أناشيد ابن المعتز قول منصور بن الفرج في ذكر الشيب : -

يَا يَابِضًا أَنْذَى دَمَوُحِي حَتَّى عَادَ مِنْهَا سَوَادُ صَفِي يَابِضَا

وأشدد لاني نواس ، وهو عندي بعيد من إحكام الصنعة التي يدخل بها في هذا الباب ، على أنه غاية في ذاته ؛ لأن أكثر العادة أن تعاد اللفظة بنفسها : —

دَوْتُ وَرَقْتُ مَذْقَةُ مِنْ مَائِهَا وَالْعَيْشُ بَيْنَ رَقِيقَتَيْنِ رَقِيقُ
وأشدد لمسلم بن الوليد : —

قَبَسْتُ مِنْ مِثْلِ الْأَفْخَرِ تَبَسَّتْ لَهُ مِرْنَةُ صَيْفِيَّةٌ قَبَسَا
وهذا البيت أيضاً ترديد ، وأشدد للطائي : —

ولم يحفظ مُضَاعَجَ المجدِ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ كَالْمَالِ الْمَضَاعِ
فالولدون أكثر عناية بهذه الأشياء ، وأشد طلباً لها من القدماء ، وهي في أشعارهم أوجد كما قدمت آنفاً

(٤٦) — باب المطابقة

[المطابقة في الكلام : أن يأتلف في معناه ما يضاد في لخواه ^(١)] المطابقة عند جميع الناس : جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت شعر ، لإقامة ومن اتبعه فأنهم يجعلون اجتماع المعنيين في لفظة واحدة مكررة طباقاً ، وقد تقدم الكلام في باب التجانس ، وسمى قدامة هذا النوع — الذي هو المطابقة عندنا — التكافؤ ، وليس بطباق عنده إلا ما قدمت ذكره ، ولم يسمه التكافؤ أحد غيره وغير النحاس من جميع من علمته .

قال الخليل بن أحمد : يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعت بينهما على حذر واحد وأصقتهما .

(١) هذه العبارة زائدة في المصريتين ، وقد كتب بحاشيتهم « سقطت هذه الجملة من بعض النسخ وكأنا من منيات المؤلف على حاشية نسخته فأدخلها بعض النماخ في جملة الكتاب وسيأتي مثل هذا في أبواب آخر » اهـ والصواب عدم إثباتها ، وذلك ظاهر كل الظهور لمن يلتفت إلى ما بعدها

وذكر الأصمعي المطابقة في الشعر فقال : أصلها وضع الرجل في موضع اليد في مشى ذوات الأربع ، وأنشد لنا بعة بنى جعدة : —

وَحَيْلِي يُطَاقِنَ بِالْأَرَعَيْنِ طَبَاقَ الْكِلَابِ يَطَّانُ الْهَرَأَسَا
ثم قال : أحسن بيت قيل لزهير في ذلك : —

لَيْتَ بَدْرَ يَصْطَلِدُ الرِّجَالَ إِذَا مَا لَيْتَ كَذَّبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقَا
حكى ذلك ابن دريد عن أبي حاتم عنه .. وأما علي بن سليمان الأخفش فاختر قول ابن الزبير الاسدي : —

رَمَى الْحِدْفَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدَارِ مُحَمَّدَنَ لَهُ مُمَرَّدَا
فَرَدَّ شَعُورَهُنَّ السُّودَ بِيضًا وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُودَا
وهذا من التبديل على مذاهب الكتاب ، واختار أيضاً قول طفيصل

الغنوي : —

يَسَامُ الرَّجُلُ لَمْ تَقْطَعْ أَبْجَلَهُ يُصَانُ وَهُوَ لِيَوْمِ الرُّوعِ مَبْذُولٌ (١)
حكاه الحاتمي عن أبي الفرج علي بن الحسن القرشي .. وقال الرماني :
المطابقة : مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان .

قال صاحب الكتاب : هذا أحسن قول سمعته في المطابقة من غيره ، وأجمعه لفائدة ، وهو مشتمل على أقوال الفريقين وقدامة جميعاً ، وأما قول الخليل « إذا جمعت بينهما على حذو واحد وألصقتهما » فهو مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان كما قال الرماني ، يشهد بذلك قول ليبيد : —

(١) في المصريتين « بشام الوجه » بالشين معجمة ، وهو تصحيف ، ويقال :

فرس سام الوجه ، إذا كان محمولا على كربة الجري ، وقال عنتره : —

والخليل ساهمة الوجوه كأنما سقيت فوارسها قيع الخنظل

والأبجل : جمع أبجل ، وهو عرق ، وهو من الفرس والبير بمنزلة الأكل

من الإنسان

تعاورن الحديث وطبقته كما طبقت بالنمل المثالا

ومنه « طبقت المفصل » أى : أصبته فلم أزد فى العضو شيئاً ولم أنقص منه .. وكذلك قول الأصمى « أصلها من وضع الرجل موضع اليد فى مشى ذوات الأربع » هو مساواة المقدار أيضاً ؛ لأن من ذوات الأربع ما تجاوز رجله موضع يده ، ومنها ما يطابق كما قال خلقه ، وربما كان طباقها من ثقل تحمله أو شكية تمنعها أو شئ تنقيه على أنفسها ، ولذلك شبه النابغة الجعدى مشى الخيل بوطء الكلاب المهراس ، وهو حطام الشوك ، فهى لاتضع أرجلها إلا حيث رفعت منه أيديها طلباً للسلامة .

وأما قول قدامة فى المطابق « هو ما اشترك فى لفظة واحدة بعينها » فانه أيضاً مساواة لفظ للفظ ، وهى - أعنى المساواة على رأى الخليل والأصمى - مساواة معنى لمعنى ، وقد يكون المراد أيضاً مطابقة اللفظ للمعنى ، أى : موافقته ألا ترى أنهم يقولون : « فلان يطابق فلاناً على كذا » إذا وافقه عليه وساعده فيه ، فيكون مذهب قدامة أن اللفظة وافقت معنى ، ثم وافقت بعينها معنى آخر ، ويصح هذا أيضاً فى قول الخليل فى الطباق « إنه جمعتك بين الشيئين على حذو واحد » فيكون الشيئان للبعينين ، والحذو الواحد : اللفظة .

ومن مליح ما رأيت فى المطابقة قول كثير بن عبد الرحمن يصف عيناً : -

وَعَنْ بَجَلَاءَ تَدْمَعُ فِي بَيَاضٍ إِذَا دَمَعَتْ وَتَنْظُرُ فِي سَوَادٍ

وقال أيضاً : -

وَوَافِقِهِ مَا قَارَبْتُ إِلَّا تَبَاعَدَتْ بَصَرُهُ وَلَا أَكْثَرْتُ إِلَّا أَقَلَّتْ

وقال ابن المعتز ، ويروى لابن المعتز : -

هَوَايَ هَوَايَ بِإِطْنٍ ظَاهِرٍ قَدِيمٍ حَدِيثٍ لَطِيفٍ جَلِيلٍ

ولبعض الأعراب : -

أَمْؤِرَةُ الرِّجَالِ عَلَى لَيْلَى وَلَمْ أَوْثِرْ عَلَى لَيْلَى النِّسَاءَ

وقال أعرابي : الدراهم ميايم تسم حمداً أو ذمّاً ، فمن حبسها كان لها ،
ومن أشفقها كانت له ، ونظم الشاعر هذا الكلام فقال : —

أَنْتَ لِلدَّالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ فَإِذَا أَمَقَّتَهُ فَاَلْمَالُ لَكَ

ومن الطبايق الحسن قول أعرابي : خرجنا حفاة حين اتعل كل شيء ظله ،
وما زادنا إلا التوكل ، ومامطايانا إلا الأرجل ، حتى لحقنا بالقوم .

وقال آخر لصاحبه : إن يسار النفس أفضل من يسار المال ، فإن لم ترزق
غنى فلا تحرم تقوى ، فرب شبعان من النعم غرثان من الكرم ؛ واعلم أن
المؤمن على خير ترحب به الأرض وتستبشر به السماء ، ولن يسله إليه في
بطنها وقد أحسن على ظهرها . . . ولريعة بن مقروم الضبي : —

قَدْ عَوَّا نَزَالَ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعِلَامٌ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ

ومن أفضل كلام البشر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه
« فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن ديناه لآخرته ، ومن الشبهة قبل
الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ؛ فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من
مستعجب ، وما بعد الدنيا دار ، إلا الجنة أو النار » فهذا هو المعجز الذي
لا تكلف فيه ولا مطمع في الاثيان بمثله . وقال الله عز من قائل : (وما
يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ،
وما يستوى الأحياء ولا الأموات) وعد ابن المعتز من المطابقة قول الله عز
وجل : (ولكم في القصاص حياة) لأن معناه « القتل أنقى للقتل » فصار
القتل سبب الحياة ، وهذا من أملح الطبايق وأخفاه .

ومما استغربه الجرجاني من الطبايق واستلطفه قول الطائي : —

مَهَا أَوْحَشِي إِلَّا أَنْ هَانَا أَوَانِسُ فَمَا ائْطَلُ إِلَّا أَنْ تَكُ ذَوَابِلُ

لمطابقته بهانا وتلك ، وإحدهما للحاضر والآخرى للغائب ، فكاتتا في
المعنى قيصرتين وبمثلة الضدين ، هذا قوله ، وليس عندي بمحقق ؛ إنما

إحدهما للقریب والأخرى للبعید المشار إليه ، ولكن الرجل أراد التخلص
قول في العبارة . ومثل هذا عندي في باب قول أبي الطيب يذكر خيل العدو
الزاحف للحرب : —

ضَرَبْنَ إلینَا بالسَّيَاطِ جِهَالَةً فلما تعارفنا ضربنَ بها عنا
قوله « ضربن إلینَا » بجىء إقدام ، وقوله « ضربن بها عنا » ذهب
فرار ، وهما ضدان . . ومن أنواع الطباق قول هبة بن خشرم : —
فَإِنْ تَقْتُلُونَا فِي الْحَدِيدِ فَاتَنَا قَتَلْنَا أَخَاكُمْ مُطْلَقًا لَمْ يُكْبَلْ
قوله « في الحديد » ضد قوله « مطلقاً لم يكبل » وإن لم يأت على
متعارف المضادة ، وكذلك قوله : —

فَإِنْ يَكُ أَنْتَى زَالٍ حَتَّى جَعَالُهُ فَمَا حَسْبِي فِي الصَّالِحِينَ بِأَجْدَعَا
كأنه قال : « وإن يك أنتى أجدع فما حسبي بأجدع » قال الجرجاني : وقد
يغلط من يقصر عليه ويسوء تمييزه بالمطابقين ما ليس منه ، كقول كعب بن
سعد الغنوي يرى أخاه : —

لَقَدْ كَانَ أَمَا حَلَهُ فَرُوحٌ عَلَيْنَا وَأَمَا جَهْلَهُ فَعَزِيبُ
لما رأى الحلم والجمل ووجد مروحاً وعزيباً جعلهما في هذه الجملة ، ولو
ألفقنا ذلك بها لوجب أن يلحق أكثر أصناف التقسيم ، ولا تسع الخرق
فيه حتى يستغرق أكثر الكلام

قال صاحب الكتاب : معنى قوله فيما أنكر أن البيت إنما حقه أن يكون
في باب المقابلة ؛ لمقابلة الشاعر فيه كلمتين بكلمتين تفرقان من مضادتهما ،
وليستا بضدين على الحقيقة ، ولو كانتا ضدتين لم يكن ما زاد على لفظتين
متضادتين أو مختلفتين إلا مقابلة ، فإن لم يكن بين الألفاظ مناسبة البتة إلا
الوزن سمي موازنة ، وسأذكره في باب المقابلة إن شاء الله ، هكذا جرت

العادة في هذه التسمية . وأما قولنا : إن الكلمتين غير متغاويتين ؛ فظاهر ؛ لأن الحلم ليس ضده في الحقيقة الجهل ، وإنما ضده السفه والطيش ، وضد الجهل العلم والمعرفة وما شا كلهما ، وكذلك المروح ليس ضده العزيب ، وإنما ضده المغدوبه أو المبكر به ، وما أشبههما ، ولما ثقل وزن المروح من هاتين اللفظتين وقل استعماله تسمحت فيهما ، وأما العزيب فهو البعيد والغائب ، ولا مضادة بينه وبين المروح إلا بعيدة ؛ كأنه يقول : إن هذا يأتي لوقته وذلك بعيد خفي لا يأتي ولا يعرف ، على أنا نجد أبا تمام إمام الصنعة قد قال : —
ولقد سَلَوْتُ لو أَنَّ دَارًا لم تَلْعَ وَحَلَمْتُ أو أَنَّ الهوى لم يَجْهَلَ

وقال زهير ، وزعوا أنه لأوس بن حجر : —

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخفا أصَبْتَ حَكِيمًا أو أَصَابَكَ جَاهِلٌ
لما وجده خلافاً له طابق بينهما كما يفعل بالصد ، وإن كان الخلاف مقصراً
عن رتبة الصد في المباحة ، والناس متفقون على أن جميع المخلوقات : مخالف ،
وموافق ، ومضاد ، فتي وقع الخلاف في باب المطابقة فأنما هو على معنى
المساحة وطرح الكلفة والمشقة ، وأنشد غير واحد من العلماء لحسين
ابن مطير : —

بِسُودٍ نَوَاصِيهَا وَحُمْرٍ أَكْفُهَا وَصُفْرِ تَرَاقِيهَا وَيَبِيضٍ خَدُودُهَا
ورواه ابن الاعراب في نسق أبيات : —

بصفر تراقها وحرر أكفها وسود نواصيا ويبيض خدودها
وهذه الرواية أدخل في الصنعة ، وقال الرماني وغيره : السواد والياض
ضدان ، وسائر الألوان يضاد كل واحد منها صاحبه ، إلا أن الياض هو
ضد السواد على الحقيقة ؛ إذ كان كل واحد منهما كلما قوى زاد بعداً من
صاحبه ، وما بينهما من الألوان كلما قوى زاد قرباً من السواد ، فإن ضعف
زاد قرباً من الياض ، وأيضاً فلأن الياض منصيع لا يصنيع ، والسواد

صانغ لا منصبغ ، وليس سائر الألوان كذلك ؛ لأنها كلها تصبغ وتصبغ ،
انقضى كلامهم ، وهو بين ظاهر لا يخفى على أحد ، وإنما أوردته إطلاالا
لزعم من زعم أن أفضل مطابقة وقعت قول عمرو بن كلثوم :-

بأنا نُورِدُ الرّايَاتِ يَبْغاً وَنُصْدِرُهُنَّ خُوراً قَدْ رَوَيْنَا

ومن أخف الطباق روحاً ، وأقله كلفة ، وأرسخه في السمع ، وأعلقه في
القلب ؛ قول السيد أبي الحسن في قصيدة :-

الْأَلَيْتَ أَيْاماً مَضَى لِي نَعِيمُهَا تَكَرَّرَ عَلَيْنَا بِالْوَصَالِ فَنَنعَمُ
وصفراء تحكي الشمس من عهد قبصر يَتَوَقُّ إِلَيْهَا كُلُّ مَنْ يَتَكْرَمُ
إذا مزجت في الكأس خِلْتِ لَأَلْئاً تَنَثَّرُ فِي حَاقَاتِهَا وَتَنْظُمُ
جمعنا بها الاشتات من كل لذة على أنه لم يقش في ذاك محرم
فطابق بين « تنثر وتنظم » وبين « جمعنا والاشتات » أسهل طباق وألطفه
من غير تعمل ولا استكراه ، وآتى في البيت الأول من قوله « مضى وتكر »
بأخفى مطابقة وأظرف صنعة على مذهب من اتبعه .

وما يغلط فيه الناس كثيراً في هذا الباب الجمال والقبح كقول بعض
المحدثين :-

وَجْهٌ غَايَةُ الْجَمَالِ وَلَكِنْ فَهَلْ غَايَةُ لِكُلِّ قَبِيحٍ

وليس ضده ، وإنما ضده الدمامة ، والقبح ضده الحسن . وقال الصولي
أبو بكر يصف قلماً :-

ناحل الجسم ليس يعرف مذكا ن نعيما وليس يعرف ضراً
وليس بينهما مضادة ، وإنما ضد النعيم البؤس ، فأما قول أبي الطيب :-

فَالسَّلَامُ تَكْثِيرُ مِنْ جَنَاحَيْ مَالِهِ بَنَوَالَهُ مَا تَجْبَرُ الْكَيْجَاءُ

فانه داخل في الطباق المحض ؛ لأن المراد بالهيجاء الحرب ، وهي اسم من
أسمائها ، فكأنه قال الحرب ، فأتى بضد السلم حقيقة

(٤٧) — باب ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة

من ذلك أن يقع في الكلام شيء مما يستعمل للضدين : كقولهم «جلل» بمعنى صغير ، و «جلل» بمعنى عظيم ؛ فإن باطنه مطابقة ، وإن كان ظاهره تجنيساً ، وكذلك «الجون» الأبيض ، و «الجون» الأسود ، وما أشبه ذلك وكذلك إن دخل النفي كما قدمت . قال البحرى : —

يَقْبِضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ الْهَوَى وَيَسْرَى إِلَى الشَّوْقِ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ
فهذا مجانس في ظاهره ، وهو في باطنه مطابق : لأن قوله « لا أعلم » كقوله أجهل ، ومثل ذلك قول الآخر : —

لِعَمْرٍ ثَلَاثَ طَالَ الْفَضِيلُ بْنُ رَيْسَمٍ مَعَ الظَّلِّ مَا لِنْ رَأْيُهُ بِطَوِيلٍ
كأنه قال : إن رأيه قصير ، وقد جاء في القرآن : (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) فأما قول الفرزدق : —

لِعَمْرٍ لَنْ قَلَّ الْحَصَى فِي عِيدِكُمْ بَنِي نَهْشَلٍ مَا لَوْكُمْ بِقَلِيلٍ
ظاهره تجنيس بالقلة ، وباطنه تطبيق بالكثرة ؛ إذ كان معنى « قل الحصى » في عيديكم « أنكم كثير ، ومعنى « ما لؤمكم بقليل » أنه كثير أيضاً ، تخالف الأول ، وقد قال جهم بن أد بن مالك - وهو طي - لولده في وصية : ولا تكونوا كالجراد أكل ما وجد وأكله ما وجده ، فهذا مجانس الظاهر مطابق الباطن ، وما أنشده ثعلب : —

أَبَى حُبِّي سُلَيْمَى أَنْ يَبِيدَا وَأَمْسَى حَبْلُهَا خَلْقًا جَدِيدَا

المجدد ههنا : المجدود ، وهو المقطوع ، مثل قيل وهزيل بمعنى مقتول ، كأنه قال مجدوداً ، أى : مقطوعاً ، فليس بمطابق ، وإن كان كذلك في الظاهر عند من لا يميز ، فأما المميز فيعلم أنه لا يكون خلقاً جديداً في حال ، وقال العتابي يعاتب المأمون وقد حجب عنه وكان به حياً : —

تَضْرِبُ النَّاسَ بِالْمُهَنْدَةِ الْيَبِيضِ عَلَى غَدَرِهِمْ وَتَنْفَسُ الْوَلَدَ

فأتى بالنذر والوفاء جميعاً ، وهما ضدان ، فطابق بينهما في الظاهر ، وباطن كلامه بجائز ؛ لأن قوله « وتفسى الوفاء » كقوله تغدير .. وقال جرير أيضاً : —

• أَتَصْحَوْ أَمْ فَوَادَكَ غَيْرُ صَاحٍ ^(١) •

فقوله « غير صاح » نقيض « أتصحو » لولا أنه استفهام لم تعلم حقيقة محصولة بعد ، إلا على مذهب من جعل « أم » بمعنى « بل » فكانه قال لنفسه بل فوادك غير صاح ، فنقض الصحو ، ودخل كلامه في المطابقة .. وقال قيس بن الخطيم ، ويروى لعدى : —

وَإِنِّي لَا غَنَى النَّاسِ عَنْ مُتَكَلِّفٍ يَرَى النَّاسَ ضَلَالًا وَلَيْسَ يَهْتَدِي
كأنه قال « وهو ضال » فجائز في الباطن ، وإن كان قد طابق في الظاهر .
ومن هذا الباب قولك فاعل ومفعول ، نحو « خالق ومخلوق » و « طالب ومطلوب » هما ضدان في المعنى ، وإن تجانسا في اللفظ ، وكذلك ما كان اسم الفاعل منه مفعول ^(٢) والمفعول مفعول نحو « مكرم ومكرم » و « معط ^(٣) ومعطى » وما جرى هذا المجرى أوزاد عليه في البناء ، وأما قولك « قضيت واقتضيت » فظاهره تجنيس وباطنه طباق ، إلا أنه طباق غير محض ، وكذلك قولك « أخذت وأعطيت » ؛ لأن الأخذ ضده الترك ، والاعطاء ضده المنع ،

(١) تمامه • عشية صبحك بالرواح • وقد تكرر في هذا الكتاب ذكر صدر هذا البيت (انظر الجزء الأول ص ١٩)

(٢) في المصرتين « اسم الفاعل منه مفعول » وهو واضح الخطأ

(٣) في المصرتين « معطى ومعطى » باثبات الياء في الكلمتين والأولى

اسم فاعل والثانية اسم مفعول ، والصواب حذف الياء من الأولى ما لم تقتزن بأل كالعطى أو تضاف كمعطى الدنانير أو تكون في موضع نصب نحو اللهم أعط معطيا حلما

فيذا عما يظنه من لا يحسن طباقا وليس كما ظن ، ولكنه كثر جداً في الكلام ، واستعمله الناس كما تقدم من قولنا في الحلم والجمل والجمل والقيح .
وبما ظاهره تجنيس وباطنه طباق الوعد والوعيد كما قال الشاعر (١)
وإني وإن أوعدته أو وعدته لخلف إيمادي ومنجز موعدى
وأول ما يعتد به في هذا الباب قول امرئ القيس : —

فان تدفوا الداء لانخفه وإن تبعوا الحرب لانقعد
ويروى * فان تكتموا الداء لانخفه * وقوله « لانخفه » أى : لنبد من
قوله تعالى : (أكاد أخفيها) فكان الشاعر قال : إن تدفوا الداء ندعه دفيناً
أو قال : إن تكتموا الداء نكتمه ، وكذلك قوله « لانقعد » كأنه قال :
إن تبعوا الحرب تبعها ، ومن كلام السيد أبي الحسن : —

وأعلم أن المجد شئٌ مخلدٌ وأن الفنى والمال غيرُ مخلد
والبيت من قصيدة شريفة أولها : —

صحا القلب عن سعدى وعن أم سعد ولم يشجني نوح الحمام المفرد

(٤٨) — باب المقابلة

[المقابلة : مواجهة اللفظ بما يستحقه في الحكم ، هذا حد ما توضح عندي (٢)]
المقابلة : بين التقسيم والطباق ، وهي تنصرف في أنواع كثيرة ، وأصلها ترتيب

(١) البيت لعامر بن الطويل ، وقد روى في ديوانه (ص ١٥٥ طبع أوربة)
هكذا

وإني إن أوعدته أو وعدته لاخلف إيمادي وأنجز موعدى

(٢) هذه العبارة زائدة في المصريتين ، وقد كتب علي حواشيها : « ليس
لهذه الجملة أثر في بعض نسخ الكتاب » اهـ وقد سبق التنبيه إلى مثل هذه
العبارة

الكلام على ما يجب : فيعطى أول الكلام ما يليق به أولاً ، وآخره ما يليق به آخراً ، ويأتى فى الموافق بما يوافقه ، وفى المخالف بما يخالفه .

وأكثر ما تنجىه المقابلة فى الاضداد ، فإذا جاوز الطباق ضدّين كان مقابلة مثال ذلك ما أنشدته قدامة لبعض الشعراء ، وهو : —

فِيكَهَجَبًا كَيْفَ اتَّفَقْنَا فَنَاصِحٌ وَفِيٍّ وَمَعْوَى عَلَى الْغَلِّ غَادِرٌ
فقابل بين النصيح والوفاء بالغل والغدر ، وهكذا يجب أن تكون المقابلة الصحيحة ، لكن قدامة لم ييال بالتقديم والتأخير فى هذا الباب ، وأنشد للطرماح : —

أَسْرَنَاهُمْ عَوَانَعْمَنَا عَلَيْهِمْ وَأَسْقَيْنَا دِمَاءَهُمُ التُّرَابَا
فما صبروا لبأس عند حربٍ ولا أدوا لحسن يدٍ ثَوَابَا
فقدم ذكر الانعام على المأسورين . وآخر ذكر القتل ؛ فى البيت الاول وأتى فى البيت الثانى بعكس الترتيب ، وذلك أنه قدم ذكر الصبر عند بأس الحرب وآخر ذكر الثواب على حسن اليد ، اللهم إلا أن يريد بقوله * فاصبروا لبأس عند حرب * القوم المأسورين إذ ^(١) لم يقاتلوا حتى يقتلوا دون الأسر وإعطاء اليد ، فإن المقابلة حيثئذ تصح وترتب على ما شرطنا ، وهذه عندهم تسمى مقابلة الاستحقاق ، ويقرب منها قول أبى الطيب
* وَفِعْلُهُ مَا تُرِيدُ الْكَفَّ وَالْقَدَمُ ^(٢) * لأن الكف من اليد بمنزلة القدم من الرجل ، فبينهما مناسبة وليست مضادة ، ولو طلبت المضادة لكان الرأس أو الناصية أولى ، كما قال تعالى : (فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ) ومن أناشيد المقابلة قول النابغة الجعدي : —

(١) فى المصريتين « إذ » وزاه تصحيفاً

(٢) صدره * رجلاه فى الركض رجل واليدان يد * يصف جواده بأنه
يرفع رجله معاهم ما كرجل واحدة ويديه معاهما كيد واحدة

فَقِيَ نَمَّ فِيهِ مَا بَسُرْتُ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوهُ الْأَعَادِيَا
 قَبَالَ يَسْرِيسُوهُ وَصَدِيقَهُ بِالْأَعَادِيَا ، وَهَذَا جَيِّدٌ ؛ وَلَوْ كَانَ كُلُّ مُقَابِلٍ
 عَلَى وَزْنِ مُقَابِلِهِ فِي هَذَا الْبَيْتِ وَالْبَيْتِ الَّذِي أَتَتْهُ قَدَامَةُ أَوَّلَا لَكَانَ
 أَجُودٌ . . . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدَى كَرِبَ الزَّيْدِيُّ : —

وَيَقِي بَعْدَ حِلْمِ الْقَوْمِ حُلِيَّ وَيَقِي قَبْلَ زَادِ الْقَوْمِ زَادِي
 قَالِ « يَتَقِي بَعْدَهُ » ثُمَّ قَالَ « يَتَقِي قَبْلَهُ » فَهَذَا كَمَا أَرَدْنَا . . . وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ : —
 وَأَنَا لِلْخُصِيِّ بِالْأَكْفِ رَمَاحُنَا إِذَا أَرَعَشْتَ أَيْدِيَكُمْ بِالْمَعَالِقِ
 سَأَلَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ أَبَا دَلَامَةَ فَقَالَ : أَيُّ بَيْتٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ أَشْعَرُ ؟
 قَالَ : بَيْتٌ يَلْعَبُ بِهِ الصَّنِيَّانُ ، قَالَ : وَمَا هُوَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : قَوْلُ الشَّاعِرِ : —
 مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالْدُنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا وَأَقْبَحَ الْكَفَرَ وَالْإِفْلَاسَ بِالرَّجُلِ
 وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ ، يَقُولُهُ لِسُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ : —
 فَن كَانَ لِلْأَنَامِ وَالذَّلِّ أَرْضُهُ فَأَرْضَكُمْ لِلْأَجْرِ وَالْعَزِّ مَعْقِلُ
 وَقَالَ فِي التَّفْزِيلِ : —

إِنْ تَتَّبِعِي عَنِّي فَسَقِيًّا وَرَعِيًّا أَوْ تَحْلِي فِينَا فَأَهْلًا وَسَهْلًا
 وَالْمَعْجَزُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : (وَمَنْ رَحِمْتَهُ جَعَلْ لَكَ اللَّيْلُ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارُ
 مُبْصَرًّا وَلَتَتَّبِعُنَا مِنْ فَضْلِهِ) قَبَالَ اللَّيْلُ بِالسَّكُونِ وَالنَّهَارُ بِاتِّبَاعِهِ الْفَضْلُ ،
 وَجَعَلَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ بِمَعْنَى الزَّمَانِ ، وَالْأَوَّلُ أَجَبٌ إِلَى ،
 وَقَالَ تَعَالَى : (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) وَمَنْ جَيِّدُ
 الْمُقَابَلَةِ قَوْلُ بَكْرِ بْنِ التَّلَاحِ الْخَنَفِيُّ : —

أَذْكُرِي وَأَوْقِدِي لِمَدَاوَةِ وَالْقِرَى نَارِينَ نَارَ وَغَى وَنَارَ زِنَادٍ
 وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : —

لِبَاسِي حِمَامٌ أَوْ لَذَارٌ مُصَفَّرٌ وَدِرْعُ حَدِيدٍ أَوْ قِمِصٌ مَعْلَقٌ
 إِلَّا أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْأَزَارُ رَدَاءً كَانَ أَجُودَ ، لَا سِيَّامَا وَالسَّيْفُ يُسَمَّى رَدَاءً ؛

ولكننا هكذا رويناه .. ومن خفي المقابلة والقسمة قول العباس بن الأحنف وأحسن ما شاء : —

اليومُ مثلُ الحولِ حتى أرى وَجْهَكَ ، والساعةُ كالشهرِ
وهذا مليح ؛ لأن الساعة من اليوم كالشهر من الحول جزء من اثني عشر ..
وقال محمد بن أحمد العلوي : —

لا تؤخرْ عني الجوابَ فيومي مثل دهر وساعتي مثل شهر
فلم يصنع شيئاً ، وكان يمكنه أن يجعل مكان دهر حولا فتكون قسمة
مستوية ، ولكننا هكذا رويناه .. ومن جيد ما وقع في المشور من المقابلة
قول بعض الكتاب « فان أهل الرأي والنصح لا يساوهم ذرو الأفر
والفس ، وليس من يجمع إلى الكفاية الأمانة كن أضاف إلى العجز الحيانة »
ومن كلام إبراهيم بن هلال الصابي « وأعد لمحسهم جنة وثوابا ، ولمسيهم
نارا وعقابا » . وقال أبو الفتح محمود بن حسين كشاجم : —

ترك الحسن والاحسان وقفا إذا برزت لنا وإذا تغيب
ومما عابه الجرجاني على ابن المعتز : —

يَبَاضٌ في جوانبه احمرارٌ كما احمرت من الخجل الخدود
لأن الخدود متوسطة وليست جوانب ، فهذا من سوء المقابلة ، وإن عده
الجرجاني غلطاً في التشبيه ، وإنما العلة في كونه غلطاً ما ذكرناه .. ومن المأخوذ
المعيب عندي قول السكيت يخاطب قضاة : —

رَأَيْتُكُمْ مِنْ مَالِكٍ وَاَدْعَائِهِ كَرَأَيْتُمِ الْاَوْلَادِ مِنْ عَدَمِ النِّسْلِ
فوقع تشبيهه على الادعاء والرئمان خاصة ، لا على صحة المقابلة في الشبهين ؛
لأن هؤلاء .. فيما زعم .. يدعون أبا والرأمة تدعى ولداً ، وهما ضدان ،
والصواب قول الآخر يهجو كاتباً ، أشده الجاحظ : —

جَارٌ فِي الْكِتَابَةِ يَدْعُوهَا كَدَعْوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيَادٍ

وقال أبو نواس :-

أرى الفضل للدين وللدين جامعاً كما السهم في الفوق والریش والنصل
فزاد في المقابلة قسماً ؛ لأنه قابل اثنين بثلاثة .. وكذلك قول أبي قيس
ابن الأسلت :-

الحزم والقوة خير من الإلادمان والفكة والحاع

تقابل الحزم بالإلادمان ، والقوة بالفكة - وهي الضعف - ويروي
« الفكة » وهي العى ، وزاد الحاع ، وهو الجبن والخفة .. ومما سقط فيه
عبد الكريم من جهة المقابلة وإن كان تمثيلاً وتشبيهاً قوله يمدح نزار بن
معد صاحب مصر :-

إلى ملك بين الملوك وبينه مسافة ما بين الكواكب والترب
لأنه لما أتى بالملوك أولاً وبضمير الممدوح - وهو الهاء التي في « بينه » -
بعد ذلك ، ثم أتى بالكواكب وهي جماعة تقابل الملوك والترب وهو
واحد يقابل الضمير باتحاده ؛ أوجب له بهذا الترتيب أن يكون هو الترّب ،
وتكون الملوك هم الكواكب ، ولم يرد إلا أن يحمله موضع الكواكب ،
ويجعلهم موضع الترّب ، ولكن حكم عليه ما حكم على ابن المعتز الذي إليه
انتهى التشبيه وسر صناعة الشعر .. ويدلّك على صحة ما طلبته به قول امرئ
القيس بن حجر :-

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرِهَا الثُّنَابُ وَالْخَشْفُ الْيَابِئُ
تابل الرطب أولاً بالثناب مقدماً وقابل اليابس ثانياً بالخشف تالياً ..
وكذلك قول الطرماح :-

يبدو وتضميره البلاد كأنه سيف على شرف يسيل ويفمد

ققابل يبدو يسيل وقابل تضمره البلاد يغمد على ترتيب ، وكذلك كان يجب لهؤلاء أن يصنعوا وإلا كانوا مخطئين أو مقصرين .

ومن المقابلة ما ليس مخالفاً ولا موافقاً كما شرطوا إلا في الوزن والازدواج فقط ، فيسمى حينئذ موازنة نحو قول النابغة :-

أخلاق مجد تجلت ما لها خطر في البأس والجود بين الحلم والخبر
وعلى هذا الشعر حشا النعمان بن المنذر فم النابغة درأ : وينضاف إلى هذا النوع قول أبي الطيب :-

نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك من خيال
فوازن قوله « في حياتك » بقوله « في منامك » وليس بضده ولا موافقه ، وكذلك صنع في الموازنة بين حبيب وخيال ، وإن اختلف حرف اللين فيهما ، فإن تقطيعه في العروض واحد ، فأما قول أبي تمام :-

فكنت لنا شيم أباً ، ولكلهم أخاً ، ولذي القوس والكبرة ابناً
فانه من أحكم المقابلة وأعدل القسمة .. وقد بينت في أول هذا الباب أن المقابلة بين التقسيم والطباق ، فكما توفر حظها منهما كانت أفضل .. ومن أملح ما روينا في الموازنة وتعديل الأقسام مما يجب أن نختم به هذا الباب قول ذي الرمة :-

أستحدث الركب عن أشياهم خبراً أمراجع القلب من أطرابه طرباً ؟
لأن قوله « أستحدث الركب » موازن لقوله « أمراجع القلب » وقوله « عن أشياهم خبراً » موازن لقوله « من أطرابه طرباً » وكذلك « الركب » موازن « للقلب » وعن موازن لمن و « أشياهم » موازن له « أطرابه » وخبراً موازن لطرب .. وقال السيد أبو الحسن في هذا النوع :-

لكفالك أمدى من غيوم سواجم وعزك أمدى من حسام مهتد

فكل لفظة من هذا القسم الأول موازنه لاختها من القسم الآخر موازنة عدل وتحقيق

(٤٩) — باب التقسيم

اختلف الناس في التقسيم : فبعضهم يرى أنه استقصاء الشاعر جميع أقسام ما ابتدأ به ، كقول بشار يصف مزينة : —

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه ويدرك من نجى الفرار مثالبه
فراح فريق في الأسارى، ومثله قتل ، ومثل لاذ بالبحر بهاربه
فالبيت الأول قسمان : إما موت ، وإما حياة تورث عاراً ومثلية ، والبيت الثاني ثلاثة أقسام : أسير ، وقتيل ، وهارب ، فاستقصى جميع الأقسام ، ولا يوجد في ذكر المزمعة زيادة على ما ذكر . . ومثل ذلك قول عمرو بن الأهتم إلا أنه أكثر إيجازاً : —

اشربيا ما شربتما فهدّيل من قتيل وهارب وأسير
لجمع الوجوه كلها في مصراع واحد . . ومن التقسيم الجيد قول نصيب : —
فقال فريق القوم : لا ، وفريقهم : نعم ، وفريق قال : ويحك ماندرى
فلم يبق جواب سائل إلا أتى به ؛ فاستوفى جميع الأقسام ، وزعم قوم أنه أفضل بيت وقع فيه تقسيم . . ومن أناشيد قدامة في هذا الباب قول الشماخ يصف حمار وحش : —

مق ماتق أر ساغه مطمئة على حجر يرفض أو يتدحرج
فلم يبق الشماخ قسماً ثالثاً إلا أن يقول : ينوص في الأرض ، وذلك لا يلزم ؛ من جهة أن الحافر عند الجرى وسرعة المشى يقذف الحجر إلى وراء ، إلا أنه لو أتى به لكان حسناً من أجل قوله « مطمئة » . ومن أشرف المنثور في هذا الباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وهل لك يا ابن آدم من

مالك إلا ما أكلت فأفريت ، أو لبست فألبيت ، أو تصدقت فأمضيت » فلم يبق عليه الصلاة والسلام قسماً رابعاً لو طلب يوجد . . وقال نافع بن خليفة « يابني ، اتقوا الله بطاعته ، واتقوا السلطان بحقه ، واتقوا الناس بالمعروف » فقال رجل منهم : ما بقي شيء من أمر الدين والدنيا إلا وقد أمرتنا به . وقال أعرابي « إذا كان الرأي عند من لا يقبل منه : والسلاح عند من لا يستعمله ، والمال عند من لا ينفقه ؛ ضاعت الأمور » وكان ثابت البناني يقول « الحمد لله وأستغفر الله » فسئل : لم خصهما ؟ فقال : لا تأتي بين نعمة وذنب فأحمد الله على النعمة وأستغفره من الذنوب . . ووقف أعرابي على حلقة الحسن البصري فقال : رحم الله من تصدق من فضل ، أو واسى من كفاف ، أو آثر من قوت ، فقال الحسن : ماترك البدوي منكم أحداً إلا وقد سأله . ثم نعود إلى الشعر ، قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي : —

وهبتها كشيء لم يكن ، أو كنازح به الدار ، أو من غيبته المقابر
فلم يبق مما يعبر به عن إنسان مفقود قسماً إلا أتى به في هذا البيت .
وقال آخروا حسبه أباً دهبيل الجحى أو طريحاً : —

لو قلت للسبل دع طريقك والمو ج عليه كالهضب يعتلج
لارتد ، أو ساخ ، أو لكان له في سائر الأرض عنك منرج
ولا يدع السبل طريقه إلا بأحد هذه الأشياء . . وقال أبو العتاهية : —

وَعَلَى من كلني بكم قيد وجامعة وغسل

فأني على جميع ما يتخذ للباسور أو المجنون ولم يبق قسماً . . هذا وأمثاله مما قدمت هو الجيد من التقسيم ؛ وأما ما كان في بيتين أو ثلاثة فغير عاجز عنه كثير من الناس . . وزعم الحاتمي أن أصح تقسيم وقع لشاعر قول الأسعر الجعفي يصف فرساً : —

أما إذا استقبلته فكأنه باز يكفكف أن يطير وقد رأى

أما إذا استدبرته فتسوته ساق قوص الوقع عارية النسا
أما إذا استعرضته متمطراً فتقول : هذا مثل سرحان الغضا
واختاره أيضاً قدامة ، وليس عندي بأفضل من قول امرئ القيس إلا
بشرف الصفات : —

إذا أقبلت قلت دُبابة من الخضر مغموسة في الغدر^(١)
وإن أدبرت قلت أُنْخِيَّة ملهمة ليس فيها أثر^(٢)
وإن أعرضت قلت سرعوفة لها ذنب خلفها مسيطر^(٣)
ولم يكن إلا تنسيق هذا الكلام بعضه على بعض ، وانقطاع ذلك بعضه
من بعض ، وقد صنعت على ضعف متنى وتأخر وقى : —

إذا أقبلت أقمت ، وإن أدبرت كبت وتعرض طولاً في العنان فتستوى
وكلفت حاجاي شبيهة طائر إذا انتشرت ظلت لها الأرض تنطوى
ومن التقسيم نوع هو هذا الأول إلا أن فيه زيادة تدريجاً وترتيباً فصعب
لذلك على متعاطيه وقل جداً . فأحسنه قول زهير بن أبي سلمى : —
يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا ضارب حتى إذا مضاربوا اعتنقا
فأتى بجميع ما استعمل في وقت الهياج ، وزاد بمدوحه رتبة ، وتقدم به
خطوة على أقرانه ، ولا أرى في التقسيم عدل هذا البيت ، ويلى في بابه
قول عنترة : —

(١) دبابة : هي في الأصل القرعة ، ومثلها الدبة بفتح الدال والباء مشددة
وكنى بذلك عن لينها وطرافتها وانطوائها ، وقوله « مغموسة في الغدر » يريد
به أنها ربي والغدر : جميع غدير ، وذلك ما يدل على ما ذهبنا إليه من التكنية بالدبابة
(٢) الأنخية : السمرة المستديرة الممتعة . ملهمة : متداخلة مدورة صلبة .
الآثر : أراد به المحدث

(٣) سرعوفة : هي الجراة . مسيطر : طويل ممتد .

إن يلحقوا أكرر، وإن يستلحموا أشدد، وإن يلقوا بضدك أنزل
ويروى « وإن يقفوا » وما ينضاف إليهما قول طريح بن إسماعيل الثقي :-
إن يسمعوا الخير يخفوه، وإن سمعوا شراً أذاعوا، وإن لم يسمعوا كذبوا
وقال الحصين بن الحمام :-

دفعناكم بالحلم حتى بطرتم وبالكف حتى كان رفع الأصابع
فلما رأينا جهلكم غير مُنتَهٍ وما قد مضى من حللكم غير راجع
مسئنا من الآباء شيئاً وكلنا إلى حسب في قومه غير واضح
فلما بلغنا الأمهات وجدتم بنى عمكم كانوا كرام المضاجع
كانه يقول : نحن أكرم منكم أمهات ، فهذا هو التدرج في الشعر .
وبعضهم في التفسير على خلاف ما قدمت : زعم أبو العيلاء أن خير تفسير
قيل قول ابن أبي ربيعة :-

تيم إلى نغم : فلا الشمل جامع ولا الحبل موصول ، ولا أنت مُقصر
ولا قرب نعم إن دنت منك نافع ، ولا نأيتها يسلى ، ولا أنت نصير
واختار قوم آخرون قول الحاركي :-

فلا كدى يفتى ، ولا لك رقة ، ولا عنك إقصار ، ولا فيك مقطع
وزعم الفرزدق أن أكل بيت قاله العرب - أوقال : أجمع بيت - قول
امرئ القيس :-

له أبطلاً ظي ، وساقا نعامه وإرخاء ميرحان ، وثريب تتل
وقال الأعشى يصف فرساً :-

سلس مقلده أسية لُحَّده ، مريع جنباه

وقال عمرو بن شأس :-

مُدْمَجٌ سابغُ الصلوع طويلُ الشَّخصِ عَبدُ الشَّوى مرءُ الأعالى

وقال أبو دؤاد الإيادي : —

بَيْدُ مَدَى الطَّرْفِ خَاظِي الْبُضِيعِ مَرُّ الْمَطَا سَمَرِي الْقَصَبِ (١)
هذا وما قبله يسمى جمع الأوصاف ، وسماه بعض الخنفاق من أهل
الصناعة التعقيب - العين قبل القاف - وأما التعقيب (٢) فكروه في
الكلام .. وكان محمد بن موسى المنجم يحب التقسيم في الشعر ، وكان معجباً
بقول العباس بن الأحنف : —

وَصَالِكُمْ صَرْمٌ ، وَحَبْكُمُ قَلَى وَعَطْفُكُمْ صَدٌ ، وَسَلِّمُكُمْ حَرْبٌ
ويقول : أحسن والله فيما قسم حين جعل كل شيء ضده ، والله إن هذا
التقسيم لأحسن من تقسيمات إقليدس ، حكى ذلك الصولي .. ومن مליح
التقسيم قول داود بن مسلم : —

فِي بَاعِهِ طَوْلٌ ، وَفِي وَجْهِهِ نَوْرٌ ، وَفِي الْعِرْنَيْنِ مِنْهُ شَمَمٌ
فوصف بعض أحواله وقسمها كما فعل الأولون .. ومن أنواع التقسيم
التقطيع ، أنشد الجرجاني للناطقة الذبياني : —

وَلِلَّهِ عَيْنًا مِنْ رَأْيِ أَهْلِ قَبَةِ أَضْرًا لِمَنْ عَادَى وَأَكْثَرَ نَافِئًا
وَأَعْظَمَ أَحْلَامًا وَأَكْبَرَ سِيدًا (٣) وَأَفْضَلَ مَشْقُوعًا إِلَيْهِ وَشَافِئًا
وسماه قوم - منهم عبد الكريم - التفصيل ، وأنشد في ذلك : —

(١) في طامة الأصول * * * * * خاظي البضيع * وصوابه ما أثبتناه ،
والخاظي - بالخاء والظاء المعجمتين - الكثير اللحم المكتنز ، والبضيع - بفتح الباء
ويعد الضادياء مثناة - هو اللحم ، وقد أنشد ابن بري لدختوس ابنة لقيط : -
يَعْدُو بِهِ خَاظِي الْبُضِيعِ كَأَنَّهُ سَمِيعٌ أَزُلْ

(٢) في طامة الأصول التعقيب - بتقديم العين المهمة على القاف المثناة كاللثي
قبله - وهو خطأ وتصحيح ، والتعقيب في الكلام مثل التثوير ، وقول :
قَبْ فَلَانْ كَلَامِهِ وَقَرَهُ - بتضعيف العين فيهما - وهما بمعنى واحد

(٣) في الديوان (ص ٧٤) * * * * * وأكثر سيدا * بالثاء المثناة

يضُّ مفارقنا ، تغلى مراحلتنا نأسو بأموالنا آثار أيدينا
وقال البحرى : —

قِفْ مَسْوَقًا ، أَوْ مُسَيِّدًا ، أَوْ حَزِينًا أَوْ مَعِينًا ، أَوْ عَازِرًا ^(١) أَوْ عَذُولًا
فقطّع وفصل كما تراه . وقال أبو الطيب : —
فيا سَمُوقَ ما أبقي ، ويالى من النوى ، ويادْمَعُ ما أجرى ، ويقلب ما أصبا
فصل كما فعل أصحابه ، وجاء به على تقطيع الوزن كل لفظتين ربع بيت ..
وقال أيضا : —

لِسَبِيٍّ مَا نَكَحُّوا ، وَالْقَتْلَ مَا وَلَدُوا ، وَالنَّهْبَ مَا جَمَعُوا ، وَالنَّارَ مَا زَرَعُوا
وإذا كان تقطيع الأجزاء مسجوعاً أو شديداً بالمسجوع فذلك هو الترصيع
عند قدامة ، وقد فضله وأطنب في وصفه إطناباً عظيماً .. وأنشد أبيات
أبي المثلث يرى صخر الغى : —

لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ مَالٌ عِنْدَ مِثْلِهِ لَكَانَ لِلدَّهْرِ صَخْرٌ مَالٌ قَيَانِ
أَبِي الْمُضَيِّمَةِ ، نَابٍ بِالْعَظِيمَةِ ، مَتَّ لَافِ الْكَرِيمَةِ ، لَا سَقْطُولًا وَإِنْ
خَامِيَ الْحَقِيقَةِ ، نَسَّالَ الْوَرِيقَةِ ، مَعَ تَمَاقِ الْوَسِيقَةِ ، جَلَدَ غَيْرُ تُنْيَانٍ ^(٢)
رَبَّاهُ مَرْقَبَةٍ ، مَنَاعَ مَقْلَبَةٍ رَكَّابَ سَلْهَبَةٍ ، قَطَاعَ أَفْرَاقٍ ^(٣)

(١) فى عامة الأصول «أوغادرا» من القدر - بالعين معجمة والذال مهملة -
وهذا تصحيف واضح ، وصوابه ما أثبتناه

(٢) الحقيقة : الارية ، وما وجب على الرجل أن يدافع عنه ، والوريقة : أصلها
الشجرة المورقة ، ولعله أراد القبيلة ، والوسيقة : الابل ، والثنيان - بضم التاء
وسكون النون - ومثله التنى - بكسر التاء - ما تكون منزلته بعد منزلة السيد

(٣) رباه : صيغة المبالغة من «ربأ» إذا أشرف وصعد ، والمرقبة : المنظرة
فى رأس الجبل ، أوهى الحصن ، والآخر أولى بالمراد من البيت يريد أنه مقدم
قومه فى لقاء العدو ، والمقلبة : مصدر غلبه يغلبه غلباً وغلبة ومغلباً ومقلبة ،
والسلبية - ومثله السلب - بلاهاى يقال للفرس الذكر إذا عظم وطال وطالت عظامه

مباط أودية ، حال ألوية ، شهاد أندية ، سرحان فيان
يعطيك مالا تكاد النفس تسيله من التلاد وهوب غير مَنان
وللقدماء من هذا النوع ، إلا أنهم لا يكثرُونَ منه كراهة التكلف ..

قال (١) أبو دؤاد يصف فرساً ، وقيل : بل رجل من الأنصار : —

فَالْتَيْنُ قَادِحَةٌ ، وَالرَّجُلُ ضَارِحَةٌ ، وَالْيَدُ سَائِحَةٌ ، وَالْقَوْنُ غَرِيْبٌ (٢)

وَالشَّدُّ مِنْهُرٌ ، وَالْمَاءُ مَنْحَدِرٌ ، وَالْقَصْبُ مَضْطَمِرٌ ، وَالْمَنْ مَلْحُوبٌ (٣)

وقال الكميّ بن زيد في ذلك : —

كَانَ لَطِيفَاتِ الصَّادِقَاتِ أَوْاسِقَاتِ مِنَ الذَّخَائِرِ

وإلى هذا ذهب أبو الطيب بقوله : —

النَّاعِمَاتِ الْقَاتِلَاتِ الْحَيَا تِ الْمُبْدِيَاتِ مِنَ الدَّلَالِ غَرَائِبَا

وقال توبة بن الحمين ، وفيه التقسيم والترصيع : —

لَطِيفَاتِ أَقْدَامٍ ، نَبِيلَاتِ أَسْوَاقٍ لَفِيفَاتِ أَفْعَادٍ ، دَقَقُ خُصُورُهَا

وقال مسلم بن الوليد صريع الغواني : —

(١) نسب الجوهري الشطر الرابع لامرئ القيس في مادة (ق ص ب) وقوله

عنه صاحب اللسان ثم نقل عن ابن بري أن الصواب أنه لا إبراهيم بن عمران الأنصاري
وذكر خمسة أبيات منها البيتان ، وهما مع هذه الأبيات مما أثبتته نشر ديوان امرئ

القيس المطبوع في ١٩٣٠ (ص ٣٥)

(٢) ضارحة — بالضاد المعجمة والماء المهملة — يريد أنها تفرح المحصى ،

أي : تنحبه وتبعده ، وقيل : معناها أنها واقعة إلى الأمام . ساجحة : تسير بلطف

وخفة كن يسبح في الماء ، أي : أنه لا يجهد راحته ولا يتعبه ، وغريب :

أسود ، وجمه غرائب

(٣) للشد : العدو والجرى . والقصب — بضم القاف وسكون الصاد المهملة —

المعى ، وقيل : هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء ، وقيل : المراد به هنا المحصر

وليس بعيداً عما قلنا

كأنه قمر ، أوضيغم هصر ، أوحية ذكر ، أوعارض هطل
وقال أيضاً : —

يورى بزندق ، أويسى بجدك ، أو يفرى بجدك ، كل غير محدود
ومن كلام أبي تمام ، وكان يجيد التصنيع : —
تجلى به رُشدي ، وأثرت به يدي ، وفاض به نمدى ، وأورى به زندي
وقال أيضاً وأحسن ما شاء : —

تدير معصم ، باقه متعم ، لله مرتقب ، في الله مرتقب
وقال أيضاً في غير هذا النمط : —

عن ثامر ضاف ، ونبت قراق ، واف ، ونور كالمراجل خاف
المراجل : ثياب .. وقال كشاجم : —

هلال في إضاءته ، حياء في سماحته ، شهاب في اتقاده

ومن جيد ما للمحدثين قول ديك الجن : —

حر الالهاب وسيمه ، برّ الالاب كرمه ، تحض النصاب صميا
فأكثر البيت ترصيع كيف ما أردته .. وكان المذهب الأول وهو المحمود
أن يؤتى بيت من هذا أو بعض بيت ، كما قال امرؤ القيس : —

وأوتاده ماذية ، وعياده ردينية ، فيها أسنة قمضب^(١)
وكما قال امرؤ القيس^(٢) : —

(١) الأوتاد : جمع وتد ، وهو ما تشد به الخيمة . الماذية : هي الدروع
البيضاء ، وقيل : السلاح كله . والعماد : الخشب التي ترفع عليها الخيام . والردينية :
الرماح المنسوبة إلى ردينة . وقمضب رجل كان يصنع الأسنة
(٢) لم أجده في شعر امرئ القيس هذا البيت ، ولا وجدته منسوبا إليه
فيما بين يدي من المراجع ، وهذا البيت مشهور لدى الرمة ، وهو في ديوانه
(ص ١٢) من قصيدته التي أولها : —

كحلاه في بَرَج ، صفراء في نَجَج ، كَأَنَّهَا فِصَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ^(١)
وأما ما هو شديد بالمسجوع فقول امرئ القيس :-
فَتَوَرُّ الْقِيَامِ قَطُوعُ الْكَلَا مَرَّ تَهْتَرُ عَنْ ذِي غُرُوبٍ أَشِيرُ^(٢)
وقوله * أَلَصُّ الضَّرُوسِ حَنِئُ الضَّلُوعِ^(٣) * فجاء فتور في وزن قطوع
وكذلك الضروس والضلوع ، وألص وحني ، ثم أدخل المولدون في هذا
الباب أشياء عدوها تقطيعاً وتقسيماً ، وذلك نحو قول أبي العميش الأعرابي :-
فاصدق وعفّ وجدوا نصف واحتمل واصفح ودار وكاف واحلم واشجع
والطف ولين وتأنّ وآرق وأتئد واحزم وجدّ وحام واحمل وادفع
وكقول ديك الجن :-

أُحِلُّ وامرء ، وضروانفع ، ولينٌ وآخشن ورش وآبرٍ وآتئدب للمعالى
وقول أبي الطيب :-

أَقْلُ أَنْلِ إِقْلِعْ أَحْلُ عَلْ سَلْ أَعْدْ زِدْ هَشْ بِشْ فَضْلْ أَدْنُ سُرْ صِلْ

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفرية سرب
والعبارة المذكورة في الأصل تفيد أنها من وضع النساخ ، فإن عادة مؤلف
الكتاب أن يقول في مثل هذا الموضوع: « وكقوله أيضاً » . لأن الشاهد السابق
لامرئ القيس ، فتنبه ، وسيستدل به المؤلف مرة أخرى في باب الاشتراك وينسبه
لنقى الرمة على الصواب

(١) البرج - بفتح الباء والراء جميعاً - تباعد ما بين الحاجبين ، والنمج -
بفتح الحين أيضاً - حسن اللون ، قال الجوهري: « نمج ينمج نمجا مثل طلب يطلب
طلبا وامرأة ناعجة حسنة اللون » اهـ وقيل النمج : الايضاض الخالص ، ويبعد
أن يراد هنا

(٤) فتور القيام : متراخية متكاسفة غير وثابة . قطوع الكلام : قليلته
تفتت : تبسم . ذى غروب : فم حسن الأسنان دقيق الماء . أشير : روى في مكانه خصر
(٣) تلمه * تبوع طلوع نقيط أشير *

سم زاد في هذا وتباغض حتى صنع : —

عش ابق اسمُ سُدَّ قَدْ جُدَّ مَرِ اَنَّهُ رِةٌ فِيْهٖ اَسْمِرُ نَلْ

غِظِ اَرْمُ صُبِرَ اَحْمُ اَغْزُ اَسْبِرُ رَغْ زَغْ دِلِ اِنَّ بِلْ

فهذه رقة العقب كما قال ابن وكيع ولا بد من شرحها . قوله «عش ابق» دعاه له بالعيش والبقاء ، واسم : من السمو ، وسد : من السيادة ، أى : دم هكذا ، وقد : من قود الخليل ، وجد : من الجود والسماح ، أو من الجود وهو المطر الغزير ، مرانه : من الأمر والنهى ، رِة : من الورى تثبت الهاء فيه ، أظنه في الخط دون اللفظ ، على أنه ليس موضع وقف ، ولا يجب أن يكتب بلاها . ثلثا يخالف العادة وتقع كلمة على حرف واحد ، والورى : داء في الجوف أى : اصنع ذلك بأعدائك وحسادك ، فه : من الوفاء ، واسر : من سرى الليل يصفه بالعزم والغارات ، ونل : من النيل والادراك ، أى : نل ماتحب وروى نل [أى] أعط ، من التوال ، ويقال : نلته إذا أعطيته ، وغظ : من غيظ الحسود ويروى « غظ » من الوعظ ، وارم : من رمى العدو بالمكاييد وغيرها ، وصب ، من صاب المطر والسهم ، واحم : من حمت المكان ، واغز : من الغزو ، واسب : من السبي ، ورع : من الروع ، وزع : من وزعت أى : كفت ود : من الدية ، ول : من الولاية للامور ، وقد يكون من المطر الولى ، وائن من ثنى أضداده إذا ردهم ، وبِل : من الوايل ، وهذه غاية المقت والبساطة وإن كان ولا بد فقوله أيضاً : —

دان بعيدٌ ، مُحِبٌ مبغضٌ ، بهج أغر ، حلو ممر ، لَبِئْ شَرِيسٌ

نَدِ اَبْنِ غَرِ وَاَفِ اُخَى تَهْمَ جَعَدَ غَرِى تَهْ نَدَبٌ رِضًا نَدَسُ

ند : من الندى ، وغر : من غرى به ، وتَه : من النهى ، وأصل هذا كله من قول امرئ القيس : —

أَفَادَ فَجَادَ وَشَادَ فَرَادَ وَكَادَ فَكَادَ وَعَادَ فَأَفْضَلَ

(٥٠) — باب التسميم

وقدامة يسميه التوشيح . . وقيل : إن الذى سماه تسيما على بن هارون المنجم ، وأما ابن وكيع فسماه الماطع ، وهو أنواع : منه ما يشبه المقابلة ، وهو الذى اختاره الحاتمي ، نحو قول جُنُوبَ أَخْتِ حَمْرٍ وذى الكلب : —

فأقسم يا غرُّو لو نبَّهَكَ إِذَا نَبَّها مِنْكَ دَاءٌ عَضَلَا
إِذَا نَبَّها لَيْثٌ عَرِيْسَةٌ مَفِيئًا مَفِيْدًا نَفُوسًا وَمَالًا (١)
وخرقٍ تَجَاوَزَتْ مَجْهُولُهُ بِوَجْنَاءَ حَرْفٍ تَشْكِي الْكَلَالَا (٢)
فكنت النهارَ به قَمْعُهُ وَكُنْتُ دُجْرِي الْقَيْلَ فِيهِ الْمَلَالَا

أردت قولها « مفيتاً نفوساً ومفيداً مالا » فقابلت مفيتاً بالنفوس ومفيداً بالمال . وكذلك قولها في البيت الأخير لما ذكرت النهار جعلته شمساً ولما ذكرت الليل جعلته هلالاً لمكان القافية ، ولو كانت رائية لجعلته قرأً .

وسر الصنعة في هذا الباب أن يكون معنى البيت مقتفياً قافيته ، وشاهداً بها دالاً عليها كالذى اختاره قدامة للرأى ، وهو قوله : —

وإن وزن الحصى فوزنت قومي وجدت حصي ضريبتهم رزينا
فهذا النوع الثانى هو أجود من الأول للطف موقعه ، والنوع الثالث شبيه

(١) العريسة — بكسر العين المهمة وتشديد الراء — الشجر الملتف وهو مأوى الأسد في خيشه ، ومنه قولهم * كبتنى العيبد في عريسة الأسد * ويقال « عريس » أيضاً بلا تاء .

(٢) خرق — بفتح فسكون — المكان الواسع تتفرق فيه الرياح ، أردت القلاة . والوجناء : الناقة . والحرف : المهزولة ، ولا يقال حمل حرف ، وإنما يقال ناقة حرف ، شبهوها إذا كانت ضامرة من الهزال بالحرف من حروف الهجاء ، وهو الألف ، تشكى : أصله تشكى ، غذف إحدى تائيه . والكلال : التعب والاعياء .

بالتصدير ، وهو دون صاحبيه ، إلا أن قدامة لم يجعل بينهما فرقا . وأنشد
للعباس بن مرداس : —

هُمْ سَوَّدُوا هَجَنًا وَكُلُّ قَبِيلَةٍ يُبَيِّنُ عَنْ أَحْسَابِهَا مَنْ يَسُودُهَا
وقال نصيب الأكبر مولى بنى مروان : —

وقد أيقنتُ أن سَتِينُ لَيْلَى وَتُحَجَّبُ عَنْكَ إِنْ نَفَعَ الْيَقِينُ
وإن تأملت قوافي ما هذه سبيله لم تجد له من لطف الموقع ما لقافية
الراعى ، وإنما اختير هذا النوع على ما ناسب المقابلة والتصدير لأن كل
واحد منهما مدلول عليه من جهة اللفظ : إما بالترتيب ، وإما باشتراك
المجانسة ، والقافية فى بيت الراعى دالة على نفسها بالمعنى وحده ، فصار
استخراجها أعجب وأغرب ، وتمكنها أشد وأؤكد ، وقد حكى أن ابن أبى
ريعة جلس إلى ابن عباس رضى الله عنه فابتدأ ينشده : —

* تَشْطُ غَدَاً دَارُ جِيرَانِنَا *

فقال ابن عباس : — * وَلَقَدْ أَرُ بَعْدَ غَدٍ أُنْمَدُ *

فقال له عمر : هكذا صنعت ، فأنت ترى كيف طبق المفصل ، وأصاب
شأكله الروى ، لما كان المعنى يقتضى زيادة البعد كلما طال العهد بأيام الموسم ،
واجتنب أشط لأنه لا يترن ولا يستعمل ، وعنا عن أن يقول « أبرح »
وما شاكله رغبة فى قرب المآخذ ، وسلوكا لطريق الفصاحة ، وإتيانا
بالمعارف المعتاد المتعاهد :

ويحكى عن عدى بن الرقاع أنه أنشد فى صفة الظية وولدها : —

* تَزْجِي أَعْنَ كَأَنَّ إِرَّةَ رَوْقٍ * (١)

(١) الروق — بفتح الراء وسكون الواو — القرن ، وإبرة : طرفه ، على

التشبيه

فغفل الممدوح عنه فسكت ، فقال الفرزدق لجرير : ما تراه يقول ؟ فقال :
يقول : —

• قَلَمَ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ يَدَا دَعَا •

وأقبل عليه الممدوح فأشدد كما قال جرير لم يقادر حرفاً .. وقالت الخنساء :
بيض الصفاح وسمر الرماح بالبيض ضرباً وبالسمر وخزا
وقالت أيضاً في نحو ذلك : —

ونلبس في الحرب نسج الحديد ونلبس في السلم خزا وقزا
وقال حريث بن حصن : —

فَإِنْ يَكُ طَمَنٌ بِالرَّدَيْنِ يَطْمَنُوا وَإِنْ يَكُ ضَرْبٌ بِالْمُهَنْدِ يَضْرِبُوا
وقال ابن الدمينه - واسمه عبد الله بن عبيد الله بن عبد الحنمى : —
وكوني على الواشين لداء شعبة كما أنا بالواشي ألد شغوب
وكوني إذا مالوا عليك صليبة كما أنا إن مالوا على صليب
فاليقان جميعاً مسهمان . وقال دعلج : —

وإذا عاندا ذو نخوة غضب الروح عليه فمرج
فعلى أيماننا يجرى الندى وعلى أسافنا تجرى المهبج
ليس يحمل أحد بعد معرفة البيت الأول من هذين البيتين قافية الآخر
منهما . ومن جيد التسميم قول بعضهم : —

ولو أتى أعطيت من دهرى المنى وما كل من يعطى المنى بمسد
لقلت لأيام مضين : ألا أرجى وقلت لأيام أتين : ألا ابتدى
وكذلك قول الآخر وهو مليح : —

حببي غداً لا شك فيه مودع فواقه ما أدرى به كيف أصنع
فيا يوم لا أدبرت هل لك محبس ويا غداً لا أقبلت هل لك مدفع
إذا لم أضيعة قطعت حسرة وواكبدا إن كنت ممن يشيع

أردت البيت الأخير . . وما أظن هذه التسمية إلا من تسميم البرود ، وهو أن ترى ترتيب الألوان فتعلم إذا أتى أحدها ما يكون بعده . وأما تسميته توشيحاً فمن تعطف أثناء الوشاح بعضها على بعض وجمع طرفيه ، ويمكن أن يكون من وشاح اللؤلؤ والحرز ، وله فواصل معروفة الأماكن ، فلعلهم شبهوا هذا به ، ولا شك أن الموشحات من ترسيل البديع وغيره إنما هي من هذا ، وبعض الناس يقول : إن التوشيع بالجيم ، فإن صح ذلك فأنما يجي ممن « وشجت العروق » إذا شئت كنت ، فكأن الشاعر شبك بعض الكلام ببعض . . فأما تسميته المُنطَّع فذلك لما فيه من سهولة الظاهر وقلة التكاف ، فأذا حُوِّل امتنع وبعده مرأه .

(٥١) — باب التفسير

وهو : أن يستوفى الشاعر شرح ما ابتدأ به بجملاً ، وقل ما يجيء هذا إلا في أكثر من بيت واحد ، نحو قول الفرزدق واختاره قدامة : —
لقد جئت قوماً لو آجأت إليهم طريد دم أو حاملاً ثقل مغرم
لأنفيت منهم معطياً ومطاعناً وراك شزراً بالوشيع المقوم
هذا جيد في معناه ، إلا أنه غريب مريب ؛ لأنه فسر الآخر أولاً والاول
آخر ، فجاء فيه بعض التقصير والاشكال ، على أن من العلماء من يرى أن رد
الأقرب على الأقرب والأبعد على الأبعد أصح في الكلام .
وأكثر ما في التفسير عندى السلامة من سوء التضمن لا أنه هو بعينه مالم
يكن في بيت واحد أو شبهه به كالذى أنشده سيويه : —

خَوَى عَلَى مُسْتَوِيَاتٍ خَمْسٍ كَرَكْرَكَةٍ وَهَمَزَاتٍ مُلْكِي^(١)

(١) يقال لثاقفة إذا بركت فتجافى بطنها في بروكها انهمرها : قد خوت —
يتشد يد الوأو — وقد كثر ذلك حتى صاروا يقولون للإبل إذا خست بطنها
واربعمت : قد خوت ، والسكر كربة — بكسر الكافين بينها راء مهملة ساكنة — وهي
ذود البعير والثاقفة ، وقيل : هو الصدر من كل ذى خف ، والهمزات : جمع قنفة ،
(٣م — الممثلة — ج ٢)

لأن هذا وإن كان كالبيت المصرع فهو يتان من مشطور الرجز . . ومن
التفسير الجيد قول (١) حاتم الطائي ، و يروى لعتيبة بن مرداس : -
مضى ما يهيج . يوماً إلى المال وأراني . يجمع جمع كغف غفير ملائ ولا صغير
يجمع فرساً مثل العنان وصارماً . حساماً إذا ما هز لم يرض بالهبر (٢)
وأستر خطيماً كأن كؤوبه . نوى القصب قد أرتى ذراعاً على العشر (٣)
فهذا هو التفسير الصحيح السالم من ضرورة التضمنين ؛ لأنه لم يعلق كلامه
بلوكاً فعل الفرزدق ، ولا بما يقتضى الجواب اقتضاء كلياً فهذا حسن
عندى . . ومثله قول عروة بن الورد : -

وإن امرأ يرجو تراني وإن ما . يصير له منه غداً كقليل
ومالى مال غير ذرع ومغفر . وأيض من ماء الحديد صقيل
وأثمر خطي القناة منقف . وأجر د عريان السراة طويل
هكذا أشدوه بالاقواء ، ويجوز أن يرفع على القطع والاضمار ، كأنه قال
هو صقيل أو قال ولي أبيض من ماء الحديد يعنى سيفه . . وقال ذو الرمة
فى التفسير : -

يفتح فكسر - وهى ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ كالركبتين ،
وقيل : هو كل ماولى الأرض من كل شئ أربع إذا بركة أو ربح ، وتعد الكركرة
إحدى الثغفات ، وهن خمس

(١) ذكر صاحب اللسان (مادة ق س ب) عن ابن ربي وقد أنشد البيت
الثالث ، قال : « هذا البيت يذكر أنه لحاتم الطائي ، ولم أجده فى شعره » اه
(٢) الهبر - ففتح الهاء وسكون الباء - اللحم ، يريد أن سيفه لا يقتنم
بالضرب فى اللحم حتى يصل الى العظم

(٣) القصب - ففتح فسكون - الثمر اليابس ، قال البيت : ومن قاله بالصاد
فقد أخطأ ، ونوى القصب : أصل النوى . والقصب : الصلب الشديد . وأراني
كأرمى

وليل كجلباب العروس ادرعه بأربعة والشخص في العين واحد
 أحمر علاقي ، وأبيض صارم وأعيس مهري ، وأروع ماجد
 فسر الأربعة ماهي ، ورفع على شرط ما قدمت من الاضمار ، كأنه
 قيل له : ما الأربعة التي شخصها في العين واحد ؟ فقال : كنا وكذا وكذا ...
 ومن التفسير ما يفسر الأكثر فيه بالآقل ، وهو من باب الإيجاز
 والاختصار ، وذلك ما أتت فيه الجملة بعد الشرح ، نحو قول أبي الطيب : —
 من مبلغ الأعراب أتى بعدما جالست دس طائيس والاسكندرا
 وملكت نحر عشارها فأضاقني من ينحر البدر الثضار لمن قرى
 وسمعت بطليموس دارس كتبه متملكاً متبدياً متحضرا
 ولقيت كل الفاضلين كأنما رد الإله نفوسهم والاعصرا
 نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرا
 فقوله : نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً وأتى فذلك إذ أتيت * تفسير
 مليح قليل النظير في أشعار الناس . وتعلقت به في بعض مدح السيد
 أبي الحسن فقلت : —

أتى بعد أهل العلى كجملة شيء شرح

وقد أتى به أبو الطيب في بيت واحد فقال : —

إذا عد الكرام فذلك عجل كما الأنواء حين تعد عام

فهذا الذي كنا نرغب فيه لكون المفسر والمفسر به في بيت واحد .
 ونظيره قوله أيضاً : —

مضى وينوء وانفردت بفضلهم وألف إذا ما جُمعت واحد فرد
 لجاء به أيضاً في بيت واحد . وكذلك قول امرئ القيس : —

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاي ولم أطلب قليل من المال

ومن قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي : —

فأرسلنا ريتنا فأوفى فقال : الأول خمس رتوع .

رابعة وقارها وجش وثالثة وهادية زموع
قصر ما هي ، وأنها لغلبة التأنيث على اسم الدواب .. وقال مالك بن
خريم ، وقيل : حزم : —

فان يك شاب الرأس منى فأتى أتيت على نفسى مناقب أربعة
فواحدة أن لا أيت بغرة إذا ما سوام الحى حولى تضوتا
وثانية أن لا تترع جارق إذا كان جار القوم فيهم مفرعا
وثالثة أن لا أصمت كلما إذا نزل الأضياف حرصا لنودعا

ورابعة أن لا أحجل قدرنا على لمها حين الشتاء لنشبعنا
« أحجل » أستر ، أجعلها في حجة لتخفى عن الجار رغبة أن تشبع ،
ولكن أبرزها .. وكتب أحمد بن يوسف - وفي رواية النحاس : عمرو بن
مسعدة - عن المأمون « أما بعد فقد أمر أمير المؤمنين من الاستكثار من
المصاييح في شهر رمضان ، فان في ذلك أنسا للسائلة ، وضياء للمجتهدين ، ونفيا
لمكامن الريب ، وتزيها لبيوت الله عز وجل عن وحشة الظلم » . ومن جيد
التفسير في بيت واحد قول أبي الطيب : —

فى كالسحاب الجون يُخشى ويرتجى يُرجى الحيامنه ومُخشى الصواعق
فانه قد أحكمه أشد إحكام ، وجاء به أحسن مجي ، حتى أربى على
البحرى إذ يقول : —

باروع من طى كان قيصه يُزر على الشيخين زيد وحاتم
سباحا وبأسا كالصواعق والجيا إذا اجتماعا في العارض المتراكم
وقد رد الكلام جميعا آخره على أوله .. وأصل هذا من المعجز قول الله
تعالى : (وهو الذي يرثكم البرقى خوفا وطعما) .. وقال أبو الطيب أيضا
في التفسير المستحسن : —

إن كوتوا أبو القوام جودوا وحيوا في الخط واللفظ والهجاء فرسانا

تفسر وقابل كل نوع بما يليق به من غير تقديم ولا تأخير كالذي وقع أولا في بيتي الفرزدق . . ومن التفسير قول كشاجم - واسمه محمود بن الحسين :-
 في فمها مسك ومشمولة صرف ومنظوم من الدر
 فالمسك للثكبة والخمر للزينة والؤلؤ للثغر
 وهذا من مليح ما وقع للمحدثين . . وقال لقمان لابنه : إياك والكسل
 والضجر ، فانك إذا كسلت لم تؤد حقا ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق

(٥٢) - باب الاستطراد

وهو : أن يرى الشاعر أنه في وصف شيء وهو إنما يريد غيره ، فإن قطع
 أو رجع إلى ما كان فيه فذلك استطراد ، وإن تمادى فذلك خروج ،
 وأكثر الناس يسمى الجميع استطرادا ، والصواب ما بينته . . وأوضح
 الاستطراد قول السمويل وهو أول من نطق به حيث يقول : -

ونحن أناس لا نرى القتل سبة إذا ما رآته عامر وسلول
 يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول
 واتبه الناس فقال الفرزدق وأجاد : -

كأن فجاج الأسد حول ابن مسمع إذا اجتمعوا ^(١) أفواه بكر بن وائل
 ثم أتى جرير فأربى وزاد بقوله : -

لما وضعت على الفرزدق ميسمي وضعا البعيت جدعت أنف الأخطل
 فهبجا واحدا واستطرد باثنين . . وقال مخارق بن شهاب المازني يصف
 معزى : -

تري ضيفها فيها بيت بغبطة وضيف ابن قيس جائع يتحوب
 فوفد ابن قيس هذا على النعمان بن المنذر فقال : كيف المخارق بن شهاب

فيكم ؟ فقال : سيد شريف خُصبك من رجل يمدح نفسه ويهجو ابن عمه ..
ومن جيد الاستطراد قول دعبيل بن علي الخزاعي ، ويروى لبشار بن برد
وهو أصح : —

خليلي من كلب أعيناً أعاكيا على دهره ، إن الكريم معين
ولا تبخل بخل ابن قزعة إنه سخافة أن يرجى نداء حزين
إذا جئت في الفرط أغلق بابه فلم تلقه إلا وأنت كين
ويروى : في حاجة سد بابه * وأنشد البحري أبو تمام لنفسه في صفة
فرس واستطرد يهجو عثمان بن إدريس الشامي : —

وسابح هطل التعداد هتان على الجراء أمين غير خوان
أظمى الفصوص وما تظمى قوائمه نخل عينيك في ظمآن ريان
فلو تراه مشيحاً والحصى زيم تحت السنايك من مثنى ووحدان
أيقنت إن لم تلبت أن حافره من صخر تدمر أو من وجه عثمان
فقاله : أتدري ما هذا من الشعر ؟ قال : لأدري ، قال : هذا الاستطراد
أو قال المستطرد

قال الحاتمي : وقد يقع من هذا الاستطراد ما يخرج به من ذم إلى مدح ،
كقول زهير : —

إن البخيل ملوم حيث كان ولـ كُنَّ الجواد على علاته هرم
فسمي الخروج استطراداً كما تراه اتساعاً ، وأنشد في الخروج بالاستطراد
من مدح إلى ذم قول بكر بن النطاح يمدح مالك بن طوق : —

عرضت عليها ما أرادت من المنى لترضى ، فقالت : قم فمثنى بكوكب
فقلت لها : هذا التعتتُ كاه كمن يتشهى لحم عتقاء مغرب
سلي كل أمر يستقيم طلابه ولا تسأل يادراً في كل مذهب
فأقسم لو أصبحت في عز مالك وقدرته أعني بما رمت مطلب

قئ شقيتُ أمواله بصفاته كما شقيت قيسٌ بأرماع تغلب
فهذا مليح : أوله خروج ، وآخره استطراد ، وملاحظه أن مالكاً من بني
تغلب ؛ فصار الاستطراد زيادة في مدحه ، وزعم قوم أنه يمدح مالك بن علي
الخزاعي . وما استطرد به أبو الطيب قوله في هجاء كافور : —

يموت به غيظاً على الدهر أهله كما مات غيظاً فأتاك وشيب
على أن هذا البيت قد يقع موقع غيره من أبيات هذا الباب ؛ إذ ليس
القصد فيه مدحاً ولا هجاء للرجلين المذكورين ، ولكن التشبيه والحكاية
لا غير .

وقيل : أصل الاستطراد أن يريك الفارس أنه فريك ، وكذلك الشاعر
يريد أنه في شيء ففرض لشيء لم يقصد إليه فذكره ولم يقصد قصده حقيقة
إلا إليه .

ومن الاستطراد نوع يسمى الإدماج ، وذلك نحو قول عبيد الله بن طاهر
لعبد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد : —

أبي الدهر من إسعافنا في نفوسنا وأسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له : نمالك فيهم أعمها ودع أمرنا إن المهم المقدم
وحكى أحمد بن يوسف الكاتب أنه دخل على المأمون وفي يده كتاب
من عمرو بن مسعدة يرد فيه النظر ، فقال : لملك فكرك في ترددي
النظر في هذا الكتاب ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : إني عجبت من
بلاغته واحتياله لمراده « كتبت كتابي إلى أمير المؤمنين أعزه الله ومن قبل
من قواده وأجناده في الطاعة والافتقاد على أحسن ما يكون عليه طاعة
جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم » ألا ترى يا أحمد إدماجه المسألة
في الاخبار ، وإعفاء سلطانه من الاكثار ، ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر ،
وهذا النوع أقل في الكلام من الاستطراد المتعارف وأغرب

(٥٣) - باب التفريع

وهو من الاستطراد كالترجيح من التقسيم ، وذلك أن يقصد الشاعر وصفاً ما ثم يفرع منه وصفاً آخر يزيد الموصوف توكيداً نحو قول الكعب : -

أحلاميكم لسقام الجهل شافيةٌ كما دماؤكم يشفى بها الكلبُ (١)
فوصف شيئاً ثم فرع شيئاً آخر لتشبيهه شفاء هذا بشفاء هذا . وقال ابن المعتز : -

كَلَامُهُ أَخْذَعُ من لحظة ووعده أ كذبٌ من طيفه .
فينا هو يصف خدع كلامه فرع منه خدع لحظة ، ويصف كذب وعده فرع كذب طيفه . وقال أيضا يصف ساقى كأس : -
فكأنَّ مُخْمَرَةً لونها من خده وكان طيبَ نسيما من نَشْرِهِ
حتى إذا صبَّ المزاج تبسمت عر نَفْرَها لحببته من نَفْرِهِ
ما زال ينجو من مواعد عينه قَمُهُ وأحسب ريقه من خمرهِ
البيتان الأولان من هذه الثلاثة تفريع ، والبيت الآخر ليس بتفريع جيد ، لأن الخمرة نازلة عن رتبة الريق عند العاشق ، وحق التفريع أن يكون الآخر من الموصوفين زائداً على الأول درجة : في الحسن إن قصد المدح ، وفي القبح إن قصد الذم ، وهو نوع خفي إلا على الحاذق البصير بالصنعة . ومثل بيت ابن المعتز قول البحرى : -

وإذا تألق في الندى كلامه الـ مصقولٌ خلَّتْ لسانه من غضبه

(١) قال صاحب اللسان وأنتد هذا البيت : « قال العجاني : إن الرجل الكلب يعض إنساناً فيأثون رجلاً شرفها فيقطر لهم من دم أصبعه فيسقون الكلب فيبرأ » اهـ

لأن حق العصب في باب المدح أن اللسان أمضى منه .. ومن التفریع
الجيد قول الصنوبري : —

ما أخطأت نواته ^(١) من صدغه شيئاً ولا ألفاته من قده
وكانما أنفأسه من شعره وكانما قرطاسه من جلده

فانظر إليه كيف يزيده رتبة في الجودة كلما فرع .. ووصف ابن شيرزاد
جارية كاتبة فقال : كأن خطها أشكال صورتها ، وكان يانها سحر مقلتها ،
وكان سكنها غنج لحظها ، وكان مدادها سواد شعرها ، وكان قرطاسها أديم
وجهها ، وكان قامتها بعض أناملها ، وكان مقطها قلب عاشقها ، وشتان
ما بين هذا الوصف وقول الآخر يهجو كاتباً أنشده الصولي في آيات : —

كان دواته ^(٢) من ريق فيه تلاق فتنشرها أبداً كريحه

وقال كشاجم : —

شيخ ^١ لنا من مشايخ الكوفة نسبه للعليل موصوفه
لو بدل الله قلبه غنا ما طمع الناس منه في صوفه

ومن لطيف التفریع قول أبي الطيب يصف ليلاً : —

أقلب فيه أجفاني كأنني أعد بها على الدهر الذنوباً

بينما هو يصف كثرة سهره وإدارة لحظه شبهها بكثرة ذنوب الدهر عنده ..

وقال فبرد : —

ولو نقصت كما قد زدت من شرف على الوري لرأوني مثل شانيكا

هذا التفریع الملعون .. وقال محمد بن وهب : —

طللان طال عليهما الأمد دثرا فلا علم ولا نضد

لبسا البلى فكانما وجدا بعد الآجة بعض ما أجد

(١) في طامة الأصول « نواته » وهو تحريف شنيع

(٢) في المصريتين « دواته » ولما اقتبعت من تحريف

ومن المستحسن قول الخوارزمي أبي بكر محمد بن العباس : —
 صححُ البديهة ليس يُنْسِكُ لفظُهُ فكأنما أفضاهُ من ماله
 وكأنما عزماته وسيوفهُ من حدّ من خلقن من إقباله
 متبسمٌ في الخطبِ تحسب أنه تحت العجاج مُلثَمٌ بفعاله
 وأخبت ما سمعته في هذا الباب قول ابن الرومي يهجو رجلاً : —

له سائس ماهرٌ يحولُ على مَتْنِهِ
 ويطنُ في دبره أَقَانِينِ من طعنه
 بأطول من قرنه وأغلظَ من ذهنه

ومن التفريع أيضاً قول أبي الطيب علي غير هذا النظام : —
 أسير إلى أقطاعه في ثيابه على طرّفه من داره بحسامه
 وما مطرّنتيه من البيض والقنا وروم العبدى (١) ماطلات غمامه
 فهذا تفريع تناوله من قول أبي تمام : —
 فقالوا : فإولئك وصف بعض نيّله فقلت لهم : من عنده كلُّ ما عندي
 وأصله من قول أبي نواس : —

• فكلُّ خيرٍ عندهم من عندي •

يصف كلب صيد

(٥٤) - باب الالتفات

وهو الاعتراض عند قوم ، وسماه آخرون الاستدراك ، حكاه قدامة ،
 وسيله أن يكون الشاعر أخذاً في معنى ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأول
 إلى الثاني فيأتي به ، ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل في شيء مما يشد الأول
 بكقول كثير : —

لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْإِطَالَ

(١) العبدى - بتشديد الدال مفتوحة - العبيد ، جمع عبد

فقوله • وأنت منهم • اعتراض كلام في كلام ، قال ذلك ابن المعتز ،
وجعله بابا على حدته بعد باب الالتفات ، وسائر الناس يجمع بينهما . قال
الناطقة الذبياني : —

ألا زعمت بنو عبس بأنّي - ألا كذبوا - كبير السن فاني
فقوله • ألا كذبوا • اعتراض ، ورواه آخرون للجعدى • ألا زعمت
بنو كعب • وهو أشبه بالجعدى ؛ لأنه أعلى سنامته ؛ فقوله • ألا كذبوا •
اعتراض ، وكذلك ما يجري مجراه ، وأشدوا في الالتفات لبعض العرب : —
فظلوا يوم - دع أخاك بمثله - على مشرع يرزى والمباصر •
فقوله • دع أخاك بمثله • التفات مليح .. وقال جرير يرثي امرأته
أم حذرة : —

نعم القرن - وكنت علق مَضِنَّة - وراى بنصف بليّة الأحجار
فقوله • وكنت علق مضنة • هو الالتفات .. وقال عوف بن محم لعبد الله
ابن طاهر : —

إنّ الثمانين - وبلغتها - قد أحوجت سمي إلى ترجمان
فقوله • وبلغتها • التفات ، وقد عده جماعة من الناس تسميا ، والالتفات
أشكل وأولى بمعناه ، ومنزلة الالتفات في وسط البيت كنزلة الاستطراد في
آخر البيت ، وإن كان ضده في التحصيل ؛ لأن الالتفات تأتى به عفواً
وانتهازاً ، ولم يكن لك في خلد فتقطع له كلامك ، ثم تصله بعد إن شئت ،
والاستطراد تقصده في نفسك ، وأنت تحيد عنه في لفظك حتى تصل به
كلامك عند انقطاع آخره ، أو تلقيه إلقاء وتعود إلى ما كنت فيه ، وقد جاء
الالتفات في آخر البيت نحو قول امرئ القيس : —

أبعد الحارث الملك بن عمرو له ملك العراق إلى عمان
بجأورة بنى شمعي بن جرهم هو أنا ما أتيج من الهوان

ويعنحها بتوشمعي بجرم مَنِيَزَهُمْ : حنانك ذا الحنان
قوله : ما أتبع من الهوان : وقوله : حنانك ذا الحنان : الالتفات
وحكى عن إسحاق الموصلي أنه قال : قال لي الأصمعي : أتعرف التفات
جرير ؟ قلت : وما هو ؟ فأشدني : —

أتنسى إذ تودعنا سليبي يعود بشامة ، سقي البشام
ثم قال : أما تراه مقبلا على شعره ، إذ التفغ إلى البشام فدعا له ، وأنشد
له عبد الله بن المعتز : —

مق كان انليام بذى طلوح سقيت الفيث أيتها الخيام
وأنشد له أيضا ابن المعتز : —

طرب الحمام بذى الأراك فهاجني لا زلت في غللي وأليك تاضر
لم يعد ابن المعتز إلا ما كان من هذا النوع ، وإلا فهو اعتراض كلام في
كلام ، وقد أحسن ابن المعتز في العبارة عن الالتفات بقوله « هو انصراف
المتكلم من الاخبار إلى المخاطبة ، ومن المخاطبة إلى الاخبار » وتلا قوله
تعالى : (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم برجز طية) وأنشد غيره
لأبي عطاء السندي يرفي يزيد بن عمرو بن هيرة : —

وإنك لا تبعد على متهد يلى كل ما تحت التراب بعيد
وهذا هو الاستدراك ، ومثله قول زهير : —

حتى الديار التي لم يلبها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم
وبكذلك قول جرير : —

غداً باجتماع الحى تقضى لبانة فأقسم لا تقضى لبانتنا غداً
وأنشد ابن المعتز في هذا النوع ، وهو لبشار : —

نبئت فاضح قومه يغتاني عند الأمير وهل على أمير

ومن مليح ما سمعته قول نصيب : —

وددتُ . ولم أخلق من الطير . أتى أعارُ جَنَاحِي طائر فأطير
فقوله * ولم أخلق من الطير * عجب ، ولما سمعتُ التي قيل فيها هذا البيت
تنفست تنفساً شديداً ، فصاح ابن أبي عتيق : أوه قد واثقه أجنه بأحسن من
شعره ، واثقه لو سمعك لنق وطار فجعله غراباً لسواده . وأنشد الصولي
للعباس بن الأحنف : —

قد كنت أبكي وأنت راضيةٌ حذار هذا الصدود والغيض
إن تم ذا الحجر يا ظلوم ، فلا تم ، فإني العيش من أرب
وقال : سمعت ثعلباً يقول : ما رأيت أحداً إلا وهو يستحسن هذا الشعر .
ومن المليح أيضاً قول الفحيف (١) بن سليمان العقيلي : —

أمنكم يا حنيف نعم لعمري لحا مخضوبةٌ ودمٌ سجال
يخاطب ابنه . . وقال عدى بن زيد العبادي وهو في حبس النعمان
يخاطب ابنه زيدا ويحرضه : —

فلو كُنتَ الأسيرَ ، ولا تكنه ، إذا عَظمتُ مَعَدُّ ما أقول

(٥٥) — باب الاستثناء

وابن المعتز يسميه يؤكد المدح بما يشبه الذم ، وذلك نحو قول النابغة
الذياني : —

ولأعيتب فيهم غير أن سيوفهم بين قُلُولٍ من قِراعِ الكتائب
فجعل قُلُولَ السيف عيباً ، وهو يؤكد في المدح . . وقال النابغة
الجمعي : —

وفي كَيْلَتِ أخلاقه غيرُ أنه جَوَادٌ فما يَبْقَى من اللالِ باقيا

(١) في طمة الأصول «الفحيف» والنوز ، وهو تحريف

فاستثنى جوده الذي يستأصل ماله ، بعد أن وصفه بالكمال . وبهذا الاستثناء تم وزاد كلالاً وتأن كدحسنة .. وكذلك قوله : —

فَقِيَ تَمَ فِيهِ مَا يَسُرُّ حَبِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوهُ الْأَعْيَادُ
فَكَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِيهِ مَا يَسُوهُ أَعَادِيهِ لَمْ يَطْلُقْ عَلَيْهِ أَنَّهُ يَسِرُ فَقَطْ ، وَذَلِكَ
زِيَادَةً فِي مَدْحِهِ ، وَلَيْسَ هَذَا الِاسْتِثْنَاءُ عَلَى مَارْتَبَةِ التَّحْوِيلِ قَطْلُهُ بِمَحْرُوفِ
الِاسْتِثْنَاءِ الْمَعْرُوقَةِ ، وَإِنَّمَا سُمِيَ اصْطِلَاحًا وَتَقْرِيبًا ، سَمَاءً هَؤُلَاءِ الْمُحَدَّثُونَ
نَحْوَ الْحَاتِمِيِّ وَأَصْحَابِهِ وَلَمْ يَسَمَّ حَقِيقَةً . . . وَمِنْ مَلِيحِ هَذَا النُّوعِ قَوْلُ
أَبِي هَفَانٍ [و] قَدْ تَقَدَّمَ بِهِ وَجُودُ غَايَةِ التَّجْوِيدِ : —

وَلَا عَيْبَ فِينَا غَيْرَ أَنْ سَمَّحْنَا أَضْرَ بِنَا ، وَالْبَاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
فَأَقْبَى الرَّدَى أَرْوَاحَنَا غَيْرَ ظَالِمٍ وَأَقْبَى التَّدَى أَمْوَالَنَا غَيْرَ عَائِبٍ
قَوْلُهُ إِنَّ السَّمَاحَ وَالْبَاسَ أَضْرَا بِهِمْ لَيْسَ بِعَيْبٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَلَكِنْ
تَوْكِيدٌ مَدْحٍ ، وَالْمَلِيحُ كُلُّ الْمَلِيحِ قَوْلُهُ « غَيْرَ ظَالِمٍ وَغَيْرَ عَائِبٍ » فَهَذَا
الثَّانِي أَعْجَبُ مِنَ الْأَوَّلِ وَالطُّفُّ مَوْقِعًا . . . وَقَالَ آخَرُ : —

وَلَا عَيْبَ فِينَا غَيْرَ عَرَقٍ لِمَعْشَرٍ كِرَامٍ ، وَأَنَا لَنَظْمٍ عَلَى الْفَعْلِ (١)

(١) قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ : « النَّمْلُ قُرُوحٌ فِي الْجَنْبِ وَغَيْرِهِ ، وَدَوَاؤُهُ أَنْ يَرْقَى
بِرَيْقِ ابْنِ الْمَجُوسِ مِنْ أُخْتِهِ ، قَوْلُ الْمَجُوسِ ذَلِكَ . . . ثُمَّ أُنْشِدَ هَذَا الْبَيْتَ . . .
أَيُّ : لَمْنَا بِمَجُوسٍ تَسْكَحُ الْأَخْوَاتِ . قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : وَأُنْشَدْنَا ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ
هَذَا الْبَيْتَ ، وَفَسَّرْنَا نَا كِرَامٍ وَلَا نَأَى بِيُوتِ النَّمْلِ فِي الْجَدْبِ لِنَحْفِرَ عَلَى مَا جَمَعَ لَنَا كُلَّهُ
. . . وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ : النَّمْلُ : يَنْوَرُ صَغِيرًا مَعُورًا يَسِيرُ ثُمَّ يَتَقَرَّحُ فَيَسْعَى وَيَتَسَعَّ ،
وَيُسَمَّى الْأَطْيَاءُ الْقَبَابِ وَقَوْلُ الْمَجُوسِ : ابْنُ وَلَدِ الرَّجُلِ إِذَا كَانَ مِنْ أُخْتِهِ ثُمَّ خَطَّ
عَلَى التَّمَةِ شَيْءًا صَاحِبًا . وَفِي الْحَدِيثِ : « لَا رَقِيَّةَ إِلَّا فِي ثَلَاثَ : التَّمَةِ وَالْحَقَةِ وَالنَّفْسِ »
أَيْ كَلَامِهِ بِمَحْرُوفِهِ . وَالتَّسْمِيرُ الْقِيَّ ذَكَرَهُ أَوَّلًا ثُمَّ قُلَّ بِهِ عَنِ الْجَوْهَرِيِّ هُوَ
الْمُطَابِقُ لِمَا ذَكَرَهُ لِلتَّوَلُّفِ هُنَا ، وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِقَوْلِ الشَّاعِرِ * غَيْرَ عَرَقٍ لِمَعْشَرٍ كِرَامٍ *
فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ غَيْرَ الْعَرَبِ لَيْسُوا مِنَ الْكِرَامِ فِي شَيْءٍ ، وَفِيهِ تَعْلِيلٌ أَنْ يُعْتَبَرَ

تقصّر من جهة قوله * غير عرق لمشر كرام * لأن سبيل هذا الباب أن يؤثر فيه بما يظن أنه عيب أو تقصير ، وإن كان على التحصيل غفراً وفضلاً كالفلول في سيوف النابذة الذبياني وإتلاف المال في شعر الجعدي وترك الخط على الغمل في شعر الآخر وأنهم لا يشفون صاحبها وهي داء واحدتها الغملة ، وأما ذكر الكرم فلا وجه له هنا . . ومن هنا الباب قول ابن الرومي : —

ليس له عيبٌ سوى أنه لا تقع العين على شبهه
فجعل انفراده في الدنيا بالحسن دون أن يكون له قرين يؤنس عيأ ،
فهو يزيد تأكيد حسنه . . وقال حاتم الطائي : —

وما تشكى جارتى غير أتي إذا غاب عنها بعلها أزورها
سيلفها خيري ويرجع أهلها إليها ولم تقصر على ستورها
لما كان في ترك الزيارة إشكال بين مراده . . ومن أصحاب التآليف
من يمد في هذا الباب ما ناسب قول الشاعر : —

فأصبحتُ مما كان بيني وبينها سوى ذكرها كالقابس الماء باليد
وقال الربيع بن ضيع الفزاري : —

فيتُ وما يفنى صنيعي ومنطقي وكلُّ امرئٍ إلا أحاديثه فاني
وليس من هذا الباب عندي ، وإنما هو من باب الاحتراس والاحتياط
فلو أدخلنا في هذا الباب كل ما وقع فيه استثناء لطال ، ولخرجنا فيه عن
قصده وغرضه ، ولكل نوع موضع

المؤلف ذكر الكرم مما لا وجه له في الكلام غير صديد معذراً ، وفي رواية ابن منظور
لبيت * غير تمل لمعشر * ورواية المؤلف أقرب

(٥٦) - باب التميم

وهو التمام أيضا ، وبمعنىهم يسمى ضرباً منه احتراساً واحتياطاً . . ومعنى التميم : أن يحاول الشاعر معنى فلا يدع شيئاً يتم به حسنه إلا أوردته وأتى به : إمامبالغة ، وإما احتياطاً واحتراساً من التقصير ، ويشدون بيت^(١) طرقة : -
فَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مَفْسُدهَا صَوَّبَ الرِّيعَ وَدَيْمَةً نَهَى
لأن قوله * غير مفسدها * تميم للبعى ، واحتراس للديار من الفساد بكثرة المطر . . ومثله قول جرير : -

فسقك حيث حلت - غير قفيدة - هزج الرواح وَدَيْمَةً لا تقاليع
فقوله * غير قفيدة * تميم لما أراد من دنوها وسبقياها غير راحلة ولا ميتة
إذ كانت العادة أن يدعى للغائب الميت بالسقى فاجترس من ذلك . . وقد عاب
جداً على ذى الرمة قوله : -

أَلَا يَا سَلَى يَازَادَ مَيَّ عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مِنْهُلًا بِجَرَعَاتِكَ الْقَطَرُ
فانه لم يجترس كما احترس طرقة ، فرد ذلك عليه بأن الشاعر قدم الدعاء
بالسلامة للدار في أول البيت ، وهذا هو الصواب . . وقال زهير : -

مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ بِهَرَمًا يَلْقَى النَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى مُخْلَقًا
قوله * على علاته * مبالغة وتتميم عجيب . . والأصل في هذا قول الله عز
وجل : (وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشْكِيْنَا وَيَتَنَبَّأُونَ بِالسَّاعَةِ) قوله (على

(١) من قصيدة له يهدد فيها للمسيب بن علس الشاعر وعمدح قتادة بن
مسلة الحنفي ، وقبله بأربعة أبيات : -

أبلغ قتادة غير سائله مني الثواب وما جل الشكر

والعكس : العوض والجزاء ، وقادة هذا من أجواد العرب وكان يقال له :
غيث الضربك . وكان قوم طرقة قد أسلمتهم سنة فلقوه فأحسن عطيتهم .

جبه) — هو التميم والمبالغة في قول من قال إن الهاء ضمير الطعام ، وإن كان كناية عن الله تعالى خرج المعنى عن هذا الباب ، وقال الله جل اسمه : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ كُرِهٍ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ) فتم بقوله — (وهو مؤمن) — . . ومن أناشيد قدامة والحامى وغيرها قول نافع بن خليفة الغنوى : —

رجال إذا لم يقبل الحق منهم ويعطوه عادوا بالسيوف القواضب
قال الحامى : فإن المعنى تم بقوله « ويعطوه » وإلا كان ناقصاً . . ويجرى مجراه عندى قول عنترة العبسى : —

أنتى على كما علمت فأنى سهل مخالفتى إذا لم أظلم

فقوله * إذا لم أظلم * تميم حسن . . وقال آخر : —

فلا تبعدن إلا من السوء إننى إليك وإن شطت بك الدار نازع
فاستثنائه « السوء » تميم واحتراس جيد . . وقال أبو الطيب بن الوشاء :
لئن كان باقى عيشنا مثل مامضى فلقوت إن لم ندخل النار أروح
وقال سراقه البارقى يهجو رعط جرير : —

صغار مقاريهم عظام جورهم يطلاء عن الداعى إذا لم يكن أكلاً^(١)
كانه قال إذا لم يكن المدعو إليه أكلاً . . وقال مريع بن وعوة الكلانى
وقد قتل رجلاً نهشياً : —

وقلت لأصحابى النجاء فأنما مع الصبح — إن لم تسبقوا — جمع نهشلى
ويجى على هذه الأناشيد قول ابن عحكان السعدى حين قدم للقتل : —
ولست وإن كانت إلى حبيبة يالك على الدنيا إذا ماتولت
فاستثنى * وإن كانت إلى حبيبة * استثناء مليحاً ، ونوى التقديم والتأخير ؛ فذلك

(١) المقارى : جمع مقرى — بكسر الميم وسكون القاف وبعد الراء ألف مقصورة — وهو إنا يعرى فيه الضيف ، ويقال للجنفة مقراة ، وقال ابن الأعرابى :
المقارى : القدور ، وجورهم : أراد أستاذهم ، وعظم الامت بما يتهاجى به العرب
(٤ - المصدة - ج - ٢)

جازله أن يأتي بالضمير مقدما على مظهره ، هكذا قال فيه أبو العباس المبرد ،
ومن التميم الحسن قول امرئ القيس : -

على هيكل يعطيك قبل سؤاله أفانين جرّي غير كرم ولا واني
قوله * قبل سؤاله * تميم حسن لقوله « أفانين جرى » . وقول أعشى
باهلة (١) : -

* وكل أمر سوى الفحشاء يأتمر * (٢) يقول : هو يدبر كل شيء سوى الفحشاء
فانه لا يدبرها

(٥٧) — باب المبالغة

وهي ضروب كثيرة . والناس فيها مختلفون : منهم من يؤثرها ، ويقول
بتفضيلها ، ويراها الناية القصوى في الجودة ، وذلك مشهور من مذهب نابغة
بني ذبيان ، وهو القائل : أشعر الناس من استجيد كذبه ، وضحك من رديته
هكذا أعرفه ، ورأيت بخط جماعة - منهم عبد الكريم والباغاني - من استجيد
جيده ومطابقه وضحك من رديته . وروى قوم من حديث النابغة ومطالته
حسان بن ثابت بالمبالغة ونسبته إياه إلى التقصير في قوله : -

لنا الجنات الفرّ يلمن بالضحى وأسافنا يقطرن من تجدة دما

ما هو مشهور عندهم مشهور في كتبهم . ومنهم من يعيها وينكرها ، ويراها
عييا وهجنة في الكلام ، قال بعض الخذاق بنقد الشعر : المبالغة ربما أحالت
المعنى ، ولبسته على السامع ؛ فليست لذلك من أحسن الكلام ولا أخفّه ؛
لأنها لا تقع موقع القبول كما يقع الاقتصاد وماقاربه ؛ لأنه ينبغي أن يكون

(١) يرثي أخاه لامة للتشر بن وهب الباهلي ، وكان بنو تقي قد قتلوه

(٢) صدره * لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه * ولا يصعب الأمر :

من أهم أغراض الشاعر والمتكلم أيضا الإيابة والإفصاح ، وتقريب المعنى على السامع ؛ فان العرب إنما فضلت باليان والفصاحة ، وحلا منطقها في الصدور وقبلته النفوس لأساليب حسنة ، وإشارات لطيفة تنكسه يانا وتصوره في القلوب تصويراً ، ولو كان الشعر هو المبالغة لكانت الحاضرة والمحدثون أشعر من القدماء ، وقد رأيناهم احتالوا للكلام حتى قربوه من فهم السامع بالاستعارات والمجازات التي استعملوها ، وبالتشكك في الشبهين ، كما قال ذو الرمة :-

فياظنية الوعاء بين جلاجل وبين النقا أنت أم أم سالم
فلو أنه قال : أنت أم سالم ه على نقي الشك بل لو قال « أنت أحسن من
الظنية » لما حل من القلوب محل التشكك . وكما قال جرير :-

فأنك لو رأيت عبيد تيم وتبأ قلت : أيهم العبيد
فلو قال « عبيدهم » أو « خير منهم » لما ظن به الصدق ، فاحتال في
تقريب المشابهة ؛ لأن في قربها لطاقة تقع في القلوب وتدعو إلى التصديق .
وكذلك قول أبي النجم يصف عرق الخيل :-

كأنه من عرق يسربله ككرسف النداف لولا بلله^(١)
فانه لو قال « إنه الكرسف » لم يكن في حسن هذا ؛ لانه يشهد بتقارب
الشبهين إلى أن أوقع في الشك . والمبالغة في صناعة الشعر كالاستراحة من
الشاعر إذا أعياه إيراد معنى حسن بالغ فيشغل الاسماع بما هو محال ، ويهول
مع ذلك على السامعين ، وإنما يقصدها من ليس بمتمكن من محاسن الكلام
أن تمكنه ولا يتعذر عليه وتنجذب كلما أرادها إليه ، انقضى كلامه ، وفيه
كفاية وبلاغ ، إلا أنه فيما يظهر من فحواه لم يرد إلا ما كان فيه بعد ، وليس

(١) الكرسف - بضم الكاف والسين بينهما راه مبهة ساكنة - القطن ،
وهو الكرسوف أيضا ، وواحدة كرسفة . والنداف التي يضرب القطن بالندف

كل مبالغة كذلك ، ألا ترى أن التسميم إذا طلبت حقيقته كان ضرباً من المبالغة وإن ظهر أنه من أنواع الحشوا المستحسن ، وقصراً ذكره . وكذلك ما ناسب قول ابن المعتز يصف خيلاً : —

صَبَيْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنَا وَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٌ وَأَرْجُلٌ
وهذا عند جميع الناس من باب الحشو ، وهو عندى مبالغة ، وكذلك الایغال ، وسيرد في باب إن شاء الله .

فن أحسن المبالغة وأغربها عند الخذاق التقصى ، وهو بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن من وصف الشيء : كقول عمرو بن الأيهم التغلبي : —

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا وَنُنْجِيهِ الْكَرَامَةَ حَيْثُ كَانَا
فتقصى بما يمكن أن يقدر عليه فتعاطاه ووصف به قومه .

ومن أغربها أيضاً ترادف الصفات ، وفي ذلك تهويل مع صحة لفظ لا تحيل معنى : كقول الله تعالى : (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَنْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) .

فأما الغلو فهو الذي ينكره من ينكر المبالغة من سائر أنواعها ، ويقع فيه الاختلاف لا ماسواه مما يفت ، ولو بطلت المبالغة كلها وعيبت لبطل التشبيه وعيبت الاستعارة ، إلى كثير من محاسن الكلام : فن آيات المبالغة قول امرئ القيس : —

كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصَوَّبَ الْقَنَامَ وَرِيحَ الْخُرَامِ وَنَشَرَ الْقَطَرُ^(٢)
يُغْلِبُ بِهِ بَرْدُ أُنْيَابِهَا إِذَا غَرَّدَ الطَّاوُورُ الْمُسْتَحَرَّ
فوصف فاما بهذه الصفة سحرراً عند تغير الأفواه بعد النوم فكيف

(٢) في طامة الأصول « نشر المطر » بالعين المهملة ، وهو تصحيف دما إليه ذكر النشر ، وإنما هو « نشر القطر » بقاف مثناة . والقطر — بضم فسكون وبضمتين — المود الذي يتجر به ، وقد قطر ثوبه بتضميف اللام وتقطرت الجارية .

تظنها في أول الليل ؟ ومثل ذلك قوله يصف ناراً وإن كان فيه إغراق : —
نظرتُ إليها والنجومُ كأنها مصابيحُ رهبانٍ تُشبُّ لقفال
يقول : نظرت إلى نار هذه المرأة تشب لقفال والنجوم كأنها مصابيح
رهبان ، وقد قال : —

تَنَوَّرَتْهَا مِنْ أَذْرَعَاتِ وَأَهْلُهَا يَيْتَرَبُ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَلِيٌّ
وبين المكاين بعد أيام ، وإما يرجع القفال من الغزو والغارات وجه
الصباح ، فاذا رآوها من مسافة أيام وجه الصباح وقد خمد سناها وكل موقدها
فكيف كانت أول الليل ؟ وشبه النجوم بمصابيح الرهبان ؛ لأنها في السحر
يضعف نورها كما يضعف نور المصابيح الموقدة ليلاً أجمع ، لاسيما مصابيح
الرهبان ؛ لأنهم يكلون من سهر الليل فرمما نعسوا ذلك الوقت ، وهذا مما
أورده شيخنا أبو عبد الله . وقال امرؤ القيس يصف فرساً : —

ها ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعُرُوسِ تَسُدُّ بِهِ فُوجَهَا مِنْ دُبُرٍ
أراد طوله ؛ لأن العروس تجر ذيلها إما من الحياء وإما من الخياء .
وزعم الجاحظ أن قول غيلان ذي الرمة : —

وَلَيْلٌ كَجِلْبَابِ الْعُرُوسِ أَذْرَعَتْهُ بِأَرْبَعَةٍ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ
أراد به سبوغه لالونه ، وأكثر الناس على خلاف قوله ، وأنا أرى أن
هذا كقول عوف بن عطية بن الخرج التيمي من تيم الرباب يصف خيلاً : —

وَجَلَّانَ دَحْخًا قِنَاعَ الْعُرُوسِ تَدْنِي عَلَى حَاجِبَيْهَا الْخُفَارَا
« دَحْخٌ » : جبل بعينه ، فأراد أن الخيل كسونه قناعاً من الغيار هذه
صفته . ومن معجز المبالغة قول الله عز وجل : (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ
وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) فجعل من يسر القول
كمن يجهر به ، والمستخفي بالليل كالسارب بالنهار ، وكل واحد منهما أشد
مبالغة في معناه وأتم صفة

(٥٨) — باب الايغال

وهو ضرب من المبالغة كما قدمت ، إلا أنه في القوافي خاصة لا يعدوها ،
والخاتمي وأصحابه يسمونه التبليغ ، وهو تفعليل من بلوغ الغاية ، وذلك
يشهد به ما قلته ، ويدل على ما رتبته . . وحكى الخاتمي عن عبد الله بن
جعفر عن محمد بن يزيد المبرد قال : حدثني التوزي قال : قلت للأصمعي :
من أشعر الناس ؟ قال : الذي يجعل المعنى الخسيس بلفظه كبيراً ، أو يأتي إلى
المعنى الكبير فيجعله خسياً ، أو ينقضي كلامه قبل القافية فاذا احتاج إليها
أفاد بها معنى ، قال : قلت : نحو من ؟ قال : نحو الأعشى إذ يقول : —

كناطح صخره يوما ليفلقها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

فقد تم المثل بقوله : وأوهى قرنه ، فلما احتاج إلى القافية قال « الوعل »
قال : قلت : وكيف صار الوعل مفضلاً على كل ما ينطح ؟ قال : لأنه
ينطح من قنة الجبل على قرنه فلا يضره ، قال : قلت : ثم نحو من ؟ قال :
ذي الرمة بقوله : —

فب العيس في أطلال مية وإسأل رُسوماً كأخلاق الرداء المسلسل

فتم كلامه ثم احتاج إلى القافية فقال « المسلسل » فزاد شيئاً ، وقوله : —
أظن الذي يجدى عليك سؤاها دعوا كتبدي الجانر المفصل
فتم كلامه ثم احتاج إلى القافية فقال « المفصل » فزاد شيئاً أيضاً . . وليس
بين الناس اختلاف أن امرأ العيس أول من ابتكر هذا المعنى بقوله يصف
الفرس : —

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه تقول هزير الريح مرت بأثاب

فبالغ في صفته وجعله على هذه الصفة بعد أن يجرى شأوين ويبتل عطفه

بالعرق، ثم زاد إيغالا في صفته بذكر الأثاب، وهو شجر للريح في أضعاف
أغصانه حفيف عظيم وشدة صوت، ومثل ذلك قوله : —

كَأَنَّ عِيُونََ الطَّيْرِ حَوَاكِيَّ خَبَائِثَنَا وَأَرْحَلُنَا الْجَزْعَ الَّذِي لَمْ يُنْقَبْ
فقوله « لم ينقب » إيغال في التشبيه، واتبعه زهير فقال : —

كَأَنَّ فَنَاتِ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مَتَرٍ نَزَلَنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحْطَمْ

فأوغل في التشبيه إيغالا بتشبيهه ما يتناثر من فئات الأرجوان بحب الفناء
الذي لم يحطم؛ لأنه أحر الظاهر أبيض الباطن، فإذا لم يحطم لم يظهر فيه
ياض اليتة، وكان خالص الحمرة، وتبعها الأعشى فقال يصف امرأة : —
غَرَاهُ فَرَعَاهُ مَصْقُولٌ حَوَارِضُهُا تَمْشِي الْهُوَيْنَا كَمَا تَمْشِي الْوَجِي الْوَحِلُ
فأوغل بقوله « الوحل » بعد أن قال « الوجي » وكذلك قوله « الوعل »
وكان الرشيد كثير العجب بقول صريع الغواني : —

إِذَا مَا عَلَتْ مِنَّا ذَوَابَّةٌ شَارِبٍ تَمْشَتْ بِهِ مَشَى الْمَقِيدِ فِي الْوَحْلِ

ويقول : قاتله الله ما كفاه أن جعله مقيداً حتى جعله في وحل، وأنا أقول
إنه بيت الأعشى بعينه.. ومن الايغال قول الطرماح العقيلي يصف فرساً
بسعة المنخر : —

لَا يَكُمُّ الرِّبَّ إِلَّا رِيثٌ يَخْرُجُهُ مِنْ مَنَخْرِ كَوِجَارِ الثَّلَبِ الْخَرْبِ
فكونه كوجار الثلب غاية في المبالغة فكيف إذا كان خرباً.. ومن
الايغال الحسن قول الخنساء : —

وَلَيْنَ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَظْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

فبالفت في الوصف أشد مبالغة، وأوغلت إيغالا شديداً بقولها « في رأسه
نار » بعد أن جعلته علماً، وهو الجبل العظيم.. وأنشد الجاحظ : —
الْوَيْ حَيَازِي بَيْنَ ضَبَابَةٍ كَمَا تَلَوَى الْحَيَةَ الْمُفْشَرَقَ

ف قوله « الحية المشرق » إيفال ؛ لأنه أشد تلويهاً ، وكذلك قول جرير : -
 بات الفرزدق عائراً وكأنه قَعْوَةٌ تغاوره السقاءُ معار
 وإذا كان معاراً كان أشد لاستعماله وأقل للتحفظ عليه . . وقال النجاشي
 يذكر عبد الرحمن بن حسان : -

لما أتاني ما يقول ودونه مسيرة شهرٍ للبطي المفرد
 فأوغل بقوله « المفرد » إيفالاً عجيباً ؛ لأنه أسير من المحمل . وقال جميل : -
 إني لأكتمُ حباً إذ بعضهم فيمن يحب كناشدٍ الأغفال
 « الناشد » : طالب الضالة ، وإذا كانت غفلاً ليس فيها سمة كان أشد
 للبحث عليها ، وأكثر للسؤال والذكر . . ومن أحسن إيفال المحدثين قول
 مروان بن أبي حفصة : -

هم القوم : إن قالوا أصابوا ، وإن دُعوا أجابوا ، وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
 ف قوله « وأجزلوا » قد أتى به في نهاية الحسن . . وكذلك قول بشار
 ابن برد : -

وغيران من دون النساء كأنه أسامة ذو الشبلين حين يجوع
 ف قوله « حين يجوع » إيفال حسن . . وقال ابن المعتز : -
 وداع دعا والليلُ بيني وبينه فكنتُ مكان الظن منه وأعجلاً
 ف قوله « وأعجل » زيادة وصف وإيفال ظاهر . . وقال أبو الطيب في
 رثاء أم سيف الدولة : -

مشى الأمراء حولها حفاة كأنَّ المروء من زِفِّ الرثال
 « قال زف » : أصفر الريش وألبنه ، ولاسيما ريش النعام ، ولم يررض بذلك
 حتى جعله زف الرثال ، شبه به المروء . وهو ما صفر من الحصى وحده . فهذا
 فوق كل مبالغة وإيفال

ومن هذا نوع يسمى الاستظهار، وهو قول ابن المعتز لابن طباطبا العلوي أو غيره: —

فَأْتَمَّ بَنُو بَنْتِهِ دُونَنَا وَنَحْنُ بَنُو عَمِّهِ الْمُسْتَمِّمِ
فقوله «المسلم» استظهار؛ لأن العلوية من بنى عم النبي عليه الصلاة والسلام أيضا أعنى أبا طالب ومات جاهليا، فكأن ابن المعتز أشار بحذقه إلى ميراث الخلافة، وليس بين الايغال والتميم كبير فرق؛ إلا أن هذا في القافية لا يبعدوها، وذلك في حشو البيت.

واشتقاق الايغال من الابعاد، يقال: أوغل في الأرض، إذا بعد، فيما حكاها ابن دريد، وقال: وكل داخل في شيء دخول مستعجل فقد أوغل فيه وقال الأصمعي في شرح قول ذي الرمة: —

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مَنْ إِذَا لَهِنَ بَنَّا أَوَاخِرَ الْمَيْسِ أَصَوَاتُ الْفَرَارِيجِ
الايغال: سرعة الدخول في الشيء، يقال: أوغل في الأمر، إذا دخل فيه بسرعة، فعلى القول الأول كأن الشاعر أبعده في المبالغة وذهب فيها كل الذهاب، وعلى القول الثاني كأنه أسرع الدخول في المبالغة بمبادرته هذه القافية، وكلما كثرت من الشواهد في باب فانما أريد بذلك تأنيص المتعلم وتجسيده على الأشياء الرائعة. ولأريه كيف تصرف الناس في ذلك الفن، وقلوب تلك المعاني والألفاظ

(٥٩) — باب الغلو

ومن أسمائه أيضا الاغراق، والافراط، ومن الناس من يرى أن فضيلة الشاعر إنما هي في معرفته بوجوه الاغراق والغلو، ولا يرى ذلك إلا محالا؛ لمخالفته الحقيقة، وخروجه عن الواجب والمتعارف. . . وقد قال الخذاق: خير الكلام الحقائق، فان لم تكن فما قاربها وناسبها، وأنشد المبرد قول الأعشى: —

فَلَوْ أَنَّ مَا بَقِيَ مِنْ مُعَلَّقٍ بَعْدَ نَوْمٍ مَاتَا وَدَّ عُوْدُهَا

فقال : هذا متجاوز ، وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه ، وأحسن منه ما أصاب الحقيقة فيه ، انقضى كلامه .

وأصح الكلام عندي ما قام عليه الدليل ، وثبت فيه الشاهد من كتاب الله تعالى ، ونحن نحمد قد قرن الغلو فيه بالخروج عن الحق فقال جل من قائل : (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق) والغلو عند قدماء : تجاوز في نعم ما للشيء أن يكون عليه ، وليس خارجاً عن طباعه ، كقول النمر بن تولب في صفة سيف شبه به نفسه : —

نظِّلْتُ تحفُّرُ عنه إنْ ضَرَبَتْ به بعد الذراعين والساقين والهادي
إذ ليس خارجاً عن طباع السيف أن يقطع الشيء العظيم ثم يفوس بعد ذلك في الأرض ، ولأن مخارج الغلو عنده على « تكاد » وعلى هذا تأول أصحاب التفسير قول الله تعالى : (وبلغت القلوب الحناجر) أى : كادت .. وقال الجرجاني في كتاب الوساطة : والافراط مذهب عام في المحدثين ، وموجود كثير في الأوائل ، والناس فيه مختلفون : من مستحسن قابل ، ومستقبح راد ، وله رسوم متى وقف الشاعر عندها ولم يتجاوز بالوصف حدها سلم ، ومتى تجاوزها اتسعت له الغاية ، وأدته الحال إلى الاحالة ، وإنما الاحالة نتيجة الافراط ، وشعبة من الاغراق .

وقال الحاتمي : وجدت العلماء بالشعر يعيرون على الشاعر أبيات الغلو والاغراق ، ويختلفون في استحسانها واستهجانها ، ويعجب بعض منهم بها ، وفلك على حسب ما يوافق طباعه واختياره ، ويرى أنها من إبداع الشاعر الذي يوجب الفضيلة له ، فيقولون : أحسن الشعر أ كذبه ، وأن الغلو إنما يراد به المبالغة والافراط ، وقالوا : إذا أتى الشاعر من الغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب الممدوم فأنما يريد به المثل وبلوغ الغاية في الثمت ، واحتجوا بقول النابغة : وقد سئل : من أشعر الناس — فقال : من

استجيد كذبه وأضحك رديته ، وقد طعن قوم على هذا المذهب بمنافاته الحقيقة ، وأنه لا يصح عند التأمل والفكرة ، انقضى كلامه .
ومن آيات الغلو للقدماء قول مهمل : —

فَلَوْلَا الرِّيحُ أُنْمِجَ مِنْ بِحْجَرٍ صَلِيلَ الْبَيْضِ تُقَرَّعُ بِاللَّذْكَورِ

وقد قيل : إنه أكذب بيت قالته العرب ، وبين حجر - وهي قصة اليمامة - وبين مكان الواقعة عشرة أيام ، وهذا أشد غلواً من [قول] امرئ القيس (١) في النار ؛ لأن حاسة البصر أقوى من حاسة السمع وأشد إدراكاً .. ومنها قول النابغة في صفة السيوف : —

قَدْ لَاسَلُوفٍ الْمَضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتُوْقَدَنَّ بِالصَّفَاحِ نَارَ الْحَبَابِ

وهو دون بيت امرئ القيس (١) في تتور صاحبة النار إفراطاً ، ودون بيت النابغة قول الفرزدق في صفة السيف أيضاً ، وقد أنشدته فيما مضى من هذا الباب ، واختار قوم على بيتي النابغة والفرزدق أي تمام : —
ويَهْتَزُّ مِثْلَ السِّيفِ لَوْلَمْ تَسْلُهُ يَدَانِ لَسَلْتَهُ طِبَاهُ مِنَ النِّعْمِ
ومن الغلو قول جرير : —

فَلَوْ وَضَعْتَ قَفَاحُ بْنُ عَمْرِو عَلَى خَبْثِ الْحَدِيدِ إِذَا لَذَابَا

لأنه شيء لا يذوب أبداً . وقد نعى على أبي نواس قوله : —

وَأَخَفَّتْ أَهْلَ الشَّرِكِ حَتَّى إِنَّهُ لَتَخَافُكَ التُّنْفُ الْيَ لَمْ يُخْلَقِ

إذ جعل ما لم يخلق يخافه .. وكذلك قوله : —

حَتَّى الَّذِي فِي الرَّحْمِ لَمْ يَكُ صُورَةً لِفَوْادِهِ مِنْ خَوْفِهِ خَفَقَانُ

(١) هو قوله الذي أنشده من قبل (ص ٥٣ من هذا الجزء) : —

تَوَدَّتْهَا مِنْ أُنْدَرَطٍ وَأَهْلِهَا يَثْرِبُ، أَدْنَى دَارِهَا نَظَرُ طَالٍ

وزعم بعض المتعقبين أن الذي كثر هذا الباب أبو تمام ، وتبعه الناس بعد ، وأين أبو تمام مما نحن فيه ؟ فإذا صرت إلى أبي الطيب صرت إلى أكثر الناس غلواً ، وأبعدم فيه همه ، حتى لو قدر ما أدخل منه بيتاً واحداً ، وحتى تبلغ به الحال إلى ما هو عنه غنى ، وله في غيره مندوحة كقوله : —

يترشّقن من فمي رشقاتٍ هُنَّ فيه أحلى من التّوحيدِ
وإن كان له في هذا تأويل ومخرج يجعله التوحيد غاية المثل في الخلاوة
بفيه . . وقوله : —

لو كان ذو القرنينِ أعملَ رأيهِ لما أتى الظلماتِ صرنَ شمساً
أو كان صادف رأسَ عازرَ سيفه في يوم معركةٍ لأعي عيسى
أو كان لجُ البحر مثلَ يمينهِ ما انشقَّ حتى جاز فيه موسى
فأدعاه إلى هذا وفي الكلام عوض منه بلا تعلق عليه ؟ فكيف إذا قال : —
كأنّي دَحَوْتُ الأرضَ من خيرتي بها كأنّي بَقِيَ الاسكندرُ السدَّ من عزمي
فشبه نفسه بالخالق ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، ثم انحط
إلى الاسكندر ، وربما أقصد أبو الطيب إغراقه هكذا ونقص منه بما يظنه
إصلاحاً له وزيادة فيه ، نحو قوله يصف شعره : —

إذا قلته لم يمتنع من وصولهِ جِدَارٌ مَمْلَى أَوْخِياءَ مطنّب
فأوجه الخباء المطنّب بعد الجدار المنيف ، يبتاهو في الثريا صار في الثرى
وإنما أراد الحاضرة والبادية ، وكذلك قوله : —

تصدُّ الرياحُ الهُوجُ عنها مخافةً ويفزعُ منها الطيرُ أن يلقطَ الحباً
فكم بين خوف الرياح الهوج وصدودها ، وبين فزع الطير أن تلقط الحب ،
ولا سيما وأفرعُ الطير بهائمهُ التي تلقط الحب لضعفها وعدمها السلاح ، وأقل
خيال أو تمثال يحمي مزدركات جمّة ، وقد رجح صاحب الوساطة هذا البيت
على قول أبي تمام : —

فقد بثَّ عبد الله خوف انتقامه على الليل حتى ما تدبَّ عقابه
فاعتبروا يا أولي الأبصار .

ومما يشاكل قول أبي الطيب في ألفاظه قول نصر الخباز أُرزى ^(١)
ذبتُ من الشوقِ فلوزجِ بي في مقلةِ النائم لم ينتبه
وكانَ لي فيما مضى خاتم فالآن لو شئتُ تمنطقتُ به
فبين الاغراق والاغراق بون بعيد واختلاف شديد . . وإذا لم يجد الشاعر
بدأ من الاغراق - لحبه ذلك ونزوع طبعه إليه - فليكن ذلك منه في الندرة ،
ويتنا في القصيدة إن أفرط ، ولا يحمله هجيرا كما يفعل أبو الطيب .
وأحسن الاغراق ما نطق فيه الشاعر أو المتكلم بكاد أو ما شاكلها ، نحو
كانَ ولو ولولا ، وما أشبه ذلك مما لم يناسب أبيات أبي الطيب المتقدم ذكرها
في البشاعة ، ألا ترى ما أعجب قول زهير : -

لو كان يقعدُ فوقَ الشمسِ من كرم قوم بأحسابهم أو مجدِّهم قعدوا
فبلغ ما أزداد من الافراط ، وبني كلامه على صحة . ومما استحسنة الرواة
ونص عليه العلماء قول امرئ القيس يصف سناناً : -

حملتُ ردينياً كأنَّ شَبَّتهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ

وإذا نظرت إلى قول أبي صخر : -

تَكَادِي دِي تَنْدَى إِذَا مَلَسَتْهَا وَيَنْبُتُ فِي أَطْرَافِهَا الْوَرَقُ النَّضْرُ

وقول أبي الطيب : -

وعجبتُ من أرضٍ سحاباً كُفِّمَ مِنْ فَوْقِهَا وَصُخُورُهَا لَا تُورِقُ

لم يخف عنك وجه الحكم فيها ، على أن في قول أبي الطيب بعض الملاحظة
والمخالفة لطبعه في حب الافراط وقلة المبالاة فيه ، إذ كان يمكن أن
يقول إن الصخور أورقت ، ولغة القرآن أفصح اللغات ، وأنت تسمع قول

(١) المشهور في هذه النسبة « الخنزري » أو « الخبز أدزى »

الله تعالى : (يكادُ البرقُ يخطفُ أبصارهم) وقوله : (إذا أخرجَ يده لم يكدْ يراها) وقوله : (يكادُ زيتُها يضيءُ ولو لم تمسه نارٌ)

واشتقاق الغلو [من] المغالة ، ومن غلوة السهم ، وهي مدى رميته ، يقال : غالت فلاناً مغالاةً وغلواً ، إذا اختبرتماً أيكاً بعد غلوة سهم ، ومنه قول النبي عليه الصلاة والسلام : « جرى المذكيات ^(١) غلواً » وقد جاء في حديث دا حَس « غلوا » و « غلاب » بالباء أيضاً ، وإذا قلت : غلا السعر غلواً ، فإنما تريد أنه ارتفع وزاد على ما كان ، وكذلك غلت القدر غلياً أو غلياناً ، إنما هو أن يجيش ماؤها ويرتفع ، والاغراق أيضاً أصله في الرمي ، وذلك أن تجذب السهم في الوتر عند النزاع حتى تستغرق جميعه بينك وبين حنية القوس ، وإنما تفعل ذلك لبعد الغرض الذي ترميه ، وهذه التسمية تدل على ما نحوت إليه وأشرت نحوه .

(٦٠) - باب التشكك

وهو من مُلح الشعر وطُرف الكلام ، وله في النفس حلاوة وحسن موقع ، بخلاف ما للغلو والاغراق . وفائدته الدلالة على قرب الشبهين حتى لا يفرق بينهما ولا يميز أحدهما من الآخر ، وذلك نحو قول زهير : -

وَمَا أَذْرِي وَسَوْفَ إِخَالَ أَذْرِي أَقَوْمُ آلِ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ

فإن تكن النسكهُ مُخْبِتَاتٍ فَتَقُو لِكُلِّ مُخَصَّنَةٍ هِدَاهِ

فقد أظهر أنه لم يعلم أنهم رجال أم نساء ، وهذا أملح من أن يقول : هم

(٢) المشهور في رواية هذا المثل : « جرى المذكيات غلاباً » كما أشار المؤلف إليه والمذكية من الخيل : التي قد آتى عليها بعد فروحها سنة أو ستان والغلاب : المغالبة . ومن رَوَاهُ كَالْمَوْلَف « غلواً » بالهمز في آخره فإنما هو جمع غلوة ، يعني أن جريها يكون غلوات ويكون شأوها بعيداً ، لا كالجلنج

نساء ، وأقرب إلى التصديق ، ولهذه العلة اختاروه كما تقدم القول في بيت
ذى الرمة : —

أَيَا ظَبِيَّةَ الوعاءِ بين جلاجل وبين النفا آنت أم أمٌ سالم^(١)
وبيت جرير * فانك لو رأيت عبيد تيم^(٢) *

وبيت أبي النجم في صفة عرق الخيل^(٣) .. وقال العرجي^(٤) : —

بِاللهِ يا ظَبِيَّاتِ افقاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَايَ مِنْكُنْ أُمٌ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ^(٥)
وإنما سلك طريق ذي الرمة .. وقال سلم بن عمرو الخاسر : —

تَبَدَّتْ قُلْتُ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا بِجِلْدٍ غَنَى الْقَوْنِ عَنْ أَثَرِ الْوَرَسِ
فَلَمَّا كَرَزْتُ الطَّرْفَ قُلْتُ لَصَاحِبِي عَلَى مَرِيَّةٍ : مَا هَاهُنَا مَطْلَعُ الشَّمْسِ
فأنت ترى كيف موقع هذا الشك من اليقين ؟ وكيف حلاوته في الصدر
وقوله ؟؟ فانه لو كان يقيناً ما بلغ هذا المبلغ ، وتناول هذا المعنى أبو زيد
الوضاح بن محمد الثقفي فقال يمدح المستعين بالله : —

وَقَالَتْ وَالْبَيْلُ قَدْ نَشَرَ الدُّجَى فَطَعَنِي بِهَا مَا يَنْ سَلَى وَقَرَدِ
أَرَى بَارِقًا يَبْدُو مِنَ الْجَوْسِقِ الَّذِي بِهِ حَلَّ مِيرَاثُ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
فَقُلْ هَذَا أَرَى الْحَى يُنْظَمُنْ نَحْتَهُ ظَفَارِيَةَ الْجَزَعِ الَّذِي لَمْ يُسَرِّدِ
أَضَاءَتْ بِهِ الْآفَاقُ حَتَّى كَانَتْهَا رَأَيْنَا بِنِصْفِ الْبَيْلِ نَوْرَ ضَحَى الْغَدِ

(١) انظر (ص ٥١) من هذا الجزء

(٢) اضطررب العلماء في نسبة هذا البيت : فزعم قوم أنه لحنون ليلي ، وكانهم
اغتروا بذكر ليلي فيه ، وقد بحث جميع ديوانه فلم أجده ، وقد نسب آخرون لذي
الرمة ، والمؤلف يشير إلى معذرة هؤلاء بأن معنى البيت على طريقته ، ونسبه العيني
كل مؤلف إلى العرجي ، ونسبه العباسي لأعرابي ولم يسمه ، ونسبه الباخريزي لبدوي
سماه كاهلا الثقفي ، ونسبه قوم للحسين بن عبد الله (وانظر حولنا الممتعة على
شرح الاثموني : ج ١ ص ٢١٣)

قلْتُ هو البدرُ الذي تعرفينه ، وإلا يكنْ فالنورُ من وجهِ أحمد
وأما قول أبي تمام حين قصد عبد الله بن طاهر إلى خراسان يذكر شك
رفقائه واستبعادهم الطريق : —

يَقُولُ فِي قَوْمٍ صَحْبِي وَقَدْ أَخَذْتُ مِنْهُ الشَّرِيَّ وَخُطَا الْمُهْرِيَّةِ الْقَوْدُ :
أَمَطَّلَعَ الشَّمْسُ تَبَغَّى أَنْ تَوُومَ بِنَا قُلْتُ : كَلَّا وَلَكِنْ مَطَّلَعَ الْجَوْدُ
فقد صرف المعنى فيه عن وجهه ، وخالف فيه قصده ، ونسب الفك إلى
غيره ، وهو بعيد من قول سلم ، وليس ذكرهما جميعاً مطلع الشمس قدوة ،
ولا عليه معول .. وقال ابن ميادة : —

وَأَشْفَقُ مِنْ وَشَكِّ الْفِرَاقِ وَإِنِّي — أَظُنُّ — لَمَحْمُولٌ عَلَيْهِ فِرَاقُهُ
فوالله ما أدرى : أيلبني الهوى إذا جدَّ جدُّ البين أم أنا غالبة ؟
فقوله في البيت الأول « أظن » مליح جداً ، وكذلك قوله في البيت الثاني
« ما أدرى أيلبني الهوى أم أنا غالبة » . وأخذ هذا المعنى ابن أبي مية وزاده
ملاحظة فقال : —

فَدَيْتُكَ لَمْ تَشْبِعْ وَلَمْ تَرَوْ مِنْ هَجْرِي أَيْسَحَسَنُ الْهَجْرَانُ أَكْثَرَ مِنْ شَهْرِ
أَرَانِي سَأَسْلُو عَنْكَ إِنْ دَامَ مَا أَرَى بِلَا ثَقَّةٍ لَكِنْ أَظُنُّ وَلَا أَدْرِي
وقد أحسن أبو الطيب في قوله : —

أَرِيكَ أَمْ مَاءُ الْغَمَامَةِ أَمْ خَمْرٌ ؟ بَنِي بَرُودٍ وَهَوَى كِبْدَى جَمْرٍ
لولا أنه كدر صفوه ومرر حلوه بما أضاف إليه من قوله : —
أَذَا النَّصْنُ أَمْ ذَا الدَّعْصُ أَمْ أَنْتِ فِتْنَةٌ وَهَذَا الَّذِي قَبْلَكَ الْبَرْقُ أَمْ قَتْرٌ ؟
وقه در أبي نواس إذ يقول : —

أَلَا لَا أَرَى مِثْلَ أَمْرِي الْيَوْمَ فِي رَسْمِهِ تَنْصُ بِهِ عَيْنِي وَيَلْفِظُهُ وَهَمِي

أَتَتْ صُورَ الْأَشْيَاءِ بَيِّنَةً وَبَيِّنَةً فَظَنِّي كَلَّا ظَنَرٍ وَعِلْمِي كَلَّا عِلْمٍ
ويروى « وجبلى كلاً جهل » وأول من نطق بهذا المعنى امرؤ القيس : —
لَمِنْ طَلَلٍ دَارِسُ آيَةٍ أَضْرَبَ بِسَالِفِ الْأَحْرُسِ (١)
تَنَكَّرَهُ الْعَيْنُ مِنْ جَانِبٍ وَيَعْرِفُهُ شَفَفُ الْأَنْفُسِ
وقال أعرابي في معنى آيات الوضاح بن محمد : —

أَقُولُ وَالنَّجْمُ قَدْ مَالَتْ مَيَانِيرُهُ إِلَى الْغُرُوبِ تَأْمَلْ فَظَرَّةَ حَارِ
الْحُمَةِ مِنْ سَنَاءِ بَرَقِ رَأْيِ بَصَرِي وَوَجْهٌ نَعْمَ بَدَأَ لِي أَمَّ سَنَاءِ نَارِ
بَلْ وَجْهٌ نَعْمَ بَدَأَ وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ فَلَاحَ مِنْ بَيْنِ حُجَابٍ وَأَسْتَارِ

(٦١) — باب الحشو وفضول الكلام

وسماه قوم الاتكاء ، وذلك أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ
لا يفيد معنى ، وإنما أدخله الشاعر لاقامة الوزن ، فإن كان ذاك في القافية
فهو استدعاء ، وقد يأتي في حشو البيت ما هو زيادة في حسنه وتقوية لمعناه :
كالذي تقدم من التسميم ، والالتفات ، والاستثناء ، وغير ذلك ، مما ذكرته
آنفاً : من ذلك قول عبد الله بن المعتز (٢) يصف خيلاً : —

صَيَّنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنَا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٌ وَأَرْجُلٌ (٣)
وقد مر ذكره في باب (٦٠) المبالغة ، فقوله « ظالمين » حشو أقام به الوزن ،
وبالغ في المعنى أشد مبالغة من جهته ، حتى علينا ضرورة أن إتيانه بهذه

(١) الطلل : ما شخض من آثار الديار ، دارس : عاف ، آية : جمع آية :
واللهاء ضمير الطلل ، وارتقاعه على أنه فاعل بدارس ، سالف : ماضى ، الأحرس ،
جمع حرس وهو الدهر

(٢) انظر (ص ٥٢) من هذا الجزء

اللفظة التي هي حشو في ظاهر الأمر أفضل من تركها ، وهذا شبيه بالتسيم ..
وقال الفرزدق : —

سَأَتِيكَ مِنِّيْ - إِنْ بَقِيْتُ - قَصَائِدُ يُقَصِّرُ عَنْ تَحْبِيرِهَا كُلُّ قَائِلٍ
فقوله « إِنْ بَقِيْتُ » حشو في ظاهر لفظه ، وقد أفاد به معنى زائداً ، وهو
شبيه بالالتفات من جهة ، وبالاختلاس من جهة أخرى ، فما كان هكذا فهو
الجميل ، وليس بحشو إلاً على المجاز ، أو بعد أن يُنْعَتَ بالجوودة والحسن ،
أو يضافا إليه ، وإنما يطلق اسم الحشو على ما قدمت ذكره مما لا فائدة فيه ..
وقد أتى العتابي بما فيه كفاية حيث يقول : —

إِنَّ حَشَوَ الْكَلَامِ مِنْ لَكْنَةِ الْمَرْءِ - وَإِيجَازُهُ مِنْ التَّقْوِيمِ
لجمل الحشو لكنة ، وليس كل ما يحشى به الكلام لزيادة فائدة لكنة ، وإنما
أراد ما لا حاجة إليه ولا منفعة ، كقول أبي صفوان الأسدي يذكر بازياً : —
تَرَى الطَّيْرَ وَالْوَحْشَ مِنْ خَوْفِهِ حَوَاجِرَ مِنْهُ إِذَا مَا غَنَدَى
فقوله « مِنْهُ » بعد قوله « مِنْ خَوْفِهِ » حشو لا فائدة فيه ، ولا معنى له ،
وكذلك قول أبي تمام يصف قصيدة : —

خَذَهَا ابْنَةُ الْفِكْرِ الْمَهْدَبِ فِي الدَّجَى وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ حَالِكُ الْجَلْبَابِ
فقوله « الدَّجَى » حشو ؛ لأن في القسم الثاني ما يدل عليه من زيادة
استعارتين مليحتين ، فإن لم يكن في القسم الأول حشو كان القسم الثاني بأثره
فضلة .. وقال أبو الطيب في نحو من ذلك : —

إِذَا اعْتَلَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ اعْتَلَّتِ الْأَرْضُ وَمَنْ فَوْقَهَا وَالْبَاسُ وَالْكَرَمُ الْخُصْ
فقوله « وَالْبَاسُ » حشو ؛ لأن قوله « وَمَنْ فَوْقَهَا » دال على الانس
والجن جميعاً ، والبأس والكرم جميعاً ، اللهم إلا أن يحمله على تأويلهم في
قول الله تعالى : (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرِمانٌ) فأعاد ذكرها وهما من الفاكة
لفضلها ، وقوله : (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ

وميكال) فان هذا سائق وليس بحشو حيثئذ . . ومن الحشو قول الكلجة اليربوعي : —

إذا المرء لم ينش الكريمة أو شكت حبال الهوينسا بالفتى أن تقطعا
فقوله « بالفتى » حشو ، وكان الواجب أن يقول « به » لأن ذكر المرء قد تقدم ، إلا أن يريد في قوله بالفتى الزاوية والأطنوزة^(١) فإنه يحتمل . وقال زيد الخيل يخاطب كعب بن زهير : —

يقول : أرى زيدا وقد كان معديما أراه لعمرى قد تمول واقتنى
فقوله « أراه لعمرى » حشو واستراحة يستغنى عنها بقوله « أرى زيدا » وما يكثر به حشو الكلام « أضحي ، وبات ، وظل ، وغدا ، وقد ، ويوما » وأشباهاها ، وكان أبو تمام كثيرا ما يأتي بها : ويكره للشاعر استعمال « ذا ، وذى ، والذى ، وهو ، وهذا ، وهذى » وكان أبو الطيب مولعا بها ، مكثرأ منها في شعره ، حتى حمله جبه فيها على استعمال الشاذ وركوب الضرورة في قوله : —
لو لم تكن من ذا الورى لاذنك هو عقيمت يمولد نسلها حواءه
وكذلك يكره للشاعر قوله في شعره « حقاً » إلا أن تقع له موقعها في قول الأخطل : —

فاقسم المجد حقاً لا يخالفهم حق يخالف بطن الراحة الشعر
فإن قوله ههنا « حقاً » زاد المعنى حسناً وتوكيداً ظاهراً . . ولقد أحسن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في قوله لابن المعتز : —

ولو قيلت في حادث الدهر فدية لقلنا على التحقيق نحن فداؤه

(١) الأطنوزة : من الطنز - بفتح الطاء وسكون النون ، وفي آخره زاي - وهو السخريه ، وباب فعله نصر ، والرجل طناز - بالفتح وتشديد النون - قال صاحب المختار : « وأظنه مولداً أو معرباً » اهـ

قوله « على التحقيق » حشو مبالغ فيه زيادة فائدة . . ومن الناس من يسمى هذا النوع من الكلام ارتفاداً ، وأشد بعض العلماء قول قيس بن الخطيم :-

قَفَى لَهَا اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا ۖ خَالِقُ أَنْ لَا يَكْنِيهَا سَدَفٌ

والإتكاء عنده والارتفاد هو قول الشاعر « صورها الخالق » لأن اسم الله تعالى قد تقدم ، ووجدت الخناق يعيون قول ابن الجدادية — وهي أمه ، واسمه قيس بن منقذ — :

إِنَّ الْفَوَاقِدَ أُمِّتِي هَائِماً كَلِيفاً قَدْ شَفَّهَ ذِكْرُ سَلَى الْيَوْمَ فَانْتَكَسَا
لحشوه « بقد » في موضعين من البيت ثم « بأمسى » و « باليوم » على تناقضهما ، وطاب الخاتمي دلي الأعشى قوله : —

فَرَمِيتَ غَفْلَةً قَلْبَهُ عَنْ شَاتِهِ فَأَصْبَتَ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطَحَالَهَا
لأن تكرير « القلب » عنده حشولا فائدة فيه ، وهذا تصف من الخاتمي ؛ لأن قلبه غير قلبها ، فانما كرر اللفظ دون المعنى ، ورأيت روايته في أكثر النسخ « حبة قلبه وطحاله » وهو غلط ، ومن هنا عابه فيما أظن ، ومن الناس من روى « فرميت غفلة عنه عن شاته » وهي رواية مشهورة صحيحة ، ونعوا على أبي العيال الهذلي قوله : —

ذَكَرْتُ أُخَى فَعَاوَدَنِي صَدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَصَبُ

لأن « الصداع » من أدواء الرأس خاصة ، فليس لذكر الرأس معه معنى ، وعلى جميل قوله : —

وَمَا ذَكَرْتُكَ النَّفْسُ يَا بُنَى مَرَّةً مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا كَادَتْ النَّفْسُ تُتَلَفُ
فتكرير « النفس » ليس له وجه هنا ، وللتكرير موضع يحس فيه ، وسيرد إن شاء الله في بابيه

ومن الحشونوع سباه قدامة التفصيل — بالفاء — وزعم قوم أنه بالعين

كانهم يجعلونه اعوجاجاً من قولهم : ناب أعصل ، وجعله آخرون بالعين وضاد معجمة ، كأنه عندهم من : تمضل الولد ، إذا عسر خروجه واعترض في الرحم ، وظاهر البيت الذي أنشده قدامة يدل على أنه التفصيل بالفاء — وهو قول دريد بن الصمة : —

وَبَلَغْ نَبْرًا - إِنْ عَرَضَتْ - ابْنُ عَامِرٍ وَأَيُّ أُخْرٍ فِي النَّائِبَاتِ وَطَالِبٍ
ويجربى هذا المجربى قول أبي الطيب بل هو أقبح منه : —

حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِي حَقِيقَةً سَقَاهَا الْحَيَاسِقِيُّ الرِّيَاضَ السَّحَابُ
لأن التفرقة بين النعت والمنعوت أسهل من التفرقة بين المضاف والمضاف إليه ، وهما بمنزلة اسم واحد ، فافذا شئت أن تجعل بيت ابن الخطيم « حين صورها الخالق » من هذا النوع جاز لك ، فيكون التقدير قضى لها الله الخالق حين صورها

٦٢) — باب الاستدعاء .

وهو أن لا يكون للقاية فائدة إلا كونها قافية فقط ، فنخلو حينئذ من المعنى كقول عدى القرشي ، أنشده قدامة : —

وَوُقِيتَ الْخُتُوفَ مِنْ وَارِثُوا إِلْ وَأَبْقَاكَ صَالِحًا رَبُّ هُودٍ
فانه لم يأت لهود النبي عليه السلام هنا معنى إلا كونه قافية ، وما أعجب السيد الجيزي في قوله : —

أَقْسَمُ بِالْفَجْرِ وَبِالْعَشْرِ وَالشَّعْ وَالْوَتْرَ وَرَبِّ لَقْمَانَ
فِي مَنْزِلٍ مَحْكَمٍ نَاطِقٍ بِنُورِ آيَاتٍ وَبِرَهْمَانِ
فَالْفَجْرِ بُجْرُ الصُّبْحِ وَالْعَشْرِ عَشْرُ النُّحْرِ وَالشَّعْ نَجْمَانِ
مُحَمَّدُ وَابْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالْوَتْرُ رَبُّ الْعِزَّةِ الْبَاقِي
بِأَنِّي سَمَوَاتٍ بَنَاهَا بِلَا تَقْدِيرِ إِنْسٍ وَلَا جَانِ

فانظر إلى قوله « رب لقمان » ما أكثر قلقه وأشد ركاكته !!! وأما قوله « الباني » فقد خرج فيه من حد اللين والبرد ، وتجاوز فيه الغاية في ثقل الروح ، والله حسبه . . ومن أناشيد قدامة قول علي بن محمد صاحب البصرة : —

وسافة الأذيال زعفر مفاضة تَكْنَفُهَا مَنِي نَجَادٍ مَنَظَّط
فلا أدري معنى هذا الشاعر في تخطيط النجاد ، وهذا أقل ما في تكلف القوافي الشاردة إذا ركبها غير فارسها ، وراضها غير سائسها

(٦٣) — باب التكرار

وللتكرار مواضع يحسن فيها ، ومواضع يقبح فيها ، فأكثر ما يقع التكرار في الالفاظ دون المعاني ، وهو في المعاني دون الالفاظ أقل ، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه ، ولا يجب للشاعر أن يكرر اسماً إلا على جهة التشويق والاستعذاب ، إذا كان في تغزل أو نسيب . . كقول امرئ القيس ، ولم يتخلص أحد تخلصه فيما ذكر عبد الكريم وغيره ، ولا سلم سلامته في هذا الباب : —

دِيارٌ لَسَلَى عَافِيَاتُ بِنَى الخلال ألحَّ عليها كلُّ أسحَمَ هطال
وَنَحْسِبُ سَلَى لَاتَزَالُ كَهْدَنَا يَوَادِي أَنْزَلَامِي أَوْ عَلَى رَأْسِ أَوْعَال
وَنَحْسِبُ سَلَى لَانزَالُ تَرَى طَلًّا مِنَ الْوَحْشِ أَوْ يَبْضًا بِمَيْثَاءِ مَحْلَالٍ
لِيَا لِي سَلَى إِذْ تَرَيْكَ مُنْضَدًّا^(١) وَجِيدًا كَجِيدِ الزَّيْمِ لَيْسَ بِمَعْطَالٍ
وكقول قيس بن ذريح : —

أَلَا لَيْتَ لُبْنَى لَمْ تَكُنْ لِي خُلَّةً وَلَمْ تَلْقَ لُبْنَى وَلَمْ أَذْرِ مَاهِيًا

(١) في إحدى روايات الديوان « إذ تريك منضبا » وأراد نفرا متسقاً مستويا

ولائمة لا تمك يا فيض في الندى
أرادت لثني الفيض عن عادة الندى
كان وفود الفيض يوم تحمّلوا
مواقع جود الفيض في كل بلدة
فكرير اسم الممدوح هنا تنويه به ، وإشارة بذكره ، وتفخيم له في القلوب
والإسماع ، . . وكذلك قول الخنساء : —

أو على سبيل التقرير والتوبيخ .. كقول بعضهم : -

كَمْ وَ كَمْ كَمْ كَمْ وَ كَمْ كَمْ كَمْ قَالَى : أَنْجِزْ حُرٌّ مَا وَعَدَ

عَظُمَتْ فَلَمَّا لَمْ نُكَلِّمْ مَهَابَةً تَوَاضَعَتْ وَهُوَ الْعَظُمُ عِظَامُ الْعَظْمِ

تَعَزَّيْتُ عَنْ ذَاكَ التَّعَظُّمِ فِيهِمْ وَأَوْصَاكَ عَظَمُ الْقَدْرِ أَنْ تَتَنَبَّلَا

ومن المعجز في هذا النوع قول الله تعالى في سورة الرحمن : (فبأي آلاء ربكما تكذبان) كلما عذمته أو ذكرته بنعمة كره هذا . وقد كرر أبو كبير الهنلي قوله : —

فَإِذَا وَفَّلَكَ لَيْسَ إِلَّا ذِكْرُهُ وَإِذَا مَضَى شَيْءٌ كَانَ لَمْ يَفْعَلْ

على بعض الروايات في سبعة مواضع من قصيدته التي أولها : —
 أَزْهَبُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَعْقِلٍ أَمْ لَا سَبِيلَ إِلَى الشَّبَابِ الْأَوَّلِ ٢٢
 كلما وصف فصلا وأمه كرر هذا البيت . أو على سبيل التعظيم للحكي عنه
 أنشد سيويه : —

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئًا نَقَصَ الْمَوْتُ ذَا الْفَنَى وَالْفَقِيرَا
 أو على جهة الوعيد والتهديد إن كان عتاب موجه ، كقول الأعشى ليزيد
 ابن مسهر الشيباني : —

أَبَا ثَابِتٍ لَا تَعْلَقَنَّ رِمَاحَنَا أَبَا ثَابِتٍ أَقْصِرْ وَعِرْضُكَ سَالِمٌ
 وَدَرْنَا وَقَوْمًا إِنْ هُمْ عَدَوْا لَنَا أَبَا ثَابِتٍ وَاقْصِدْ فَأَنْتَ طَاعِمٌ ١١
 أو على وجه التوجع إن كان رثاء وتأيينا ، نحو قول متمم بن نويرة : —
 وَقَالُوا : أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ لَقَبْرِ ثَوَى بَيْنِ الثَّوَى فَالِدَاكَ ٢٤
 فقلت لهم : إن الأسي يتبع الأسي دُعُونِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكٍ
 وأولى ما تكرر فيه الكلام باب الرثاء ، لمكان الفجعة ، وشدة القرحة
 التي يجدها المتفجع ، وهو كثير حيث التمس من الشعر وجد . أو على سبيل
 الاستغاثة وهي في باب المديح ، نحو قول العديل بن الفرج : —

بَنِي مَسْتَعِرٍ لَوْلَا الْإِلَهُ وَأَنْتُمْ بَنِي مَسْتَعِرٍ لَمْ يَنْكِرِ النَّاسُ مُنْكَرًا
 ويقع التكرار في الهجاء على سبيل الشهرة ، وشدة التوضيع بالمهجو ،
 كقول ذي الرمة يهجو المري : —

تَسْمَى أَمْرًا الْقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ إِذَا عَزَتْ وَتَأْتِي السَّبَالُ الْعَهْبُ وَالْأَنْفُ الْحُمْرُ
 وَلَكِنَّا أَصْلُ أَمْرِ الْقَيْسِ مَقْشَرٌ يَحِلُّ لَهُمْ لَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَالْعَصْرُ
 فَنَابُ أَمْرِ الْقَيْسِ الْعَبِيدُ أَرْضَهُمْ عَمْرٌ (١) الْمَسَاحِي لَا فَلَاةٌ وَلَا مَصْرُ

تَحْطَى^(١) إِلَى الْقَفْرِ امْرُؤُ الْقَيْسِ إِنَّهُ سَوَاءٌ عَلَى الضَّعِيفِ امْرُؤُ الْقَيْسِ وَالْقَفْرُ
تَحِبُّ امْرُؤُ الْقَيْسِ الْقَرَى أَنْ تَالَهُ وَتَأْبَى مَقَارِبَهَا إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ^(٢)
هَلِ النَّاسُ إِلَّا يَا امْرَأَ الْقَيْسِ غَادِرٌ وَوَافٍ وَمَا فِيكُمْ وَفَاءٌ وَلَا غَدِرٌ
وَكَذَلِكَ صَنَعَ جَرِيرٌ فِي قَصِيدَتِهِ الدَّمَاعَةَ الَّتِي هَجَا بِهَا رَاعِي الْإِبِلِ فَإِنَّهُ
كَرَّرَ «بَنِي نَمِيرٍ» فِي كَثِيرٍ مِنْ أَيْاتِهَا. وَيَقَعُ أَيْضًا عَلَى سَبِيلِ الْإِزْدِرَاءِ وَالتَّهْكُمِ
وَالْتَقْيِصِ، كَقَوْلِ حَمَادٍ عَجْرَدَ لَابْنَ نُوحٍ، وَكَانَ يَتَعَرَّبُ:—

يَا بَنَى نُوحٍ يَا أَخَا آلِ حَلِيسٍ وَيَا ابْنَ الْقَتَبِ^(٣)
وَمِنْ نَشَا وَالِدُهُ بَيْنَ الرِّبَا وَالْكُشْبِ
يَا عَرَبِيَّ يَا عَرَبِيَّ يَا عَرَبِيَّ

وَمِنْ الْمَعِيبِ فِي التَّكْرَارِ قَوْلُ ابْنِ الزُّيَّاتِ:—

أَتَعْرِفُ أَمْ تَقِيمُ عَلَى التَّصَابِي؟ فَقَدْ كَثُرَتْ مُنَاقَلَةُ الْعِتَابِ
إِذَا ذَكَرَ السُّلُوْهُ عَنِ التَّصَابِي نَفَرَتْ مِنْ اسْمِهِ نَفَرُ الصَّعَابِ
وَكَيْفَ يَلَامُ مِثْلَكَ فِي التَّصَابِي وَأَنْتَ قِي الْمَجَانَّةِ وَالشُّبَابِ ١١٢
سَأَعْرِفُ إِنْ عَرَفْتَ عَنِ التَّصَابِي إِذَا مَا لَاحَ شَيْبٌ بِالْقُرَابِ
أَلَمْ تَرَنِ عَدَلْتُ عَنْ التَّصَابِي فَأَعَرَنْتَنِي الْمَلَامَةَ بِالتَّصَابِي ١١٢
فَلَا الدُّنْيَا بِالتَّصَابِي، عَلَى التَّصَابِي لَعْنَةُ اللَّهِ مِنْ أَجْلِهِ، فَقَدْ بَرَدَ بِهِ الشَّعْرُ،
وَلَا سِيَّيَا وَقَدْ جَاءَ بِهِ كُلُّهُ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ مِنَ الْوِزْنِ لَمْ يَعُدْ بِهِ عَرُوضُ الْبَيْتِ،
وَأَنَّ هَذَا مِنْ تَكَرُّرِهِ عَلَى جِهَةِ التَّفْخِيمِ فِي قَوْلِهِ لِلْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ مِنْ
قَصِيدَةٍ:—

إِلَى الْأَمِيرِ الْحَسَنِ اسْتَجِدْتُهَا أَيْ مَزَارَ وَمَنَاحَ وَتَحَسَّلَ

(١) فِي طَائِفَةِ الْأَصُولِ «تَحْطَى إِلَى الْقَفْرِ» بِتَقْدِيمِ التَّنَادَةِ عَلَى الْمَوْحِدَةِ، وَكَذَا

فِي قَافِيَةِ الْبَيْتِ، وَهُوَ تَصْغِيفٌ، وَمَا أَثْبَتَاهُ عَنِ الدِّيْوَانِ

(٢) فِي نَسْخَةِ «إِذَا طَلَعَ النَّصْرُ»

(٣) هَذَا الْأَيْاتُ مِنَ الرِّجْزِ الْمَجْزُوءِ، وَقَدْ حُذِفَ مِنْ صَدْرِ أَوَّلِهَا سَبَبُ خَفِيفٍ

أَيَّ مَزَارٍ وَمَنَاحٍ وَمَحَلٍّ لِحَاقِفٍ وَمُسْتَرِيشٍ ذِي أَمَلٍ
وهذا كقول امرئ القيس : —
تَقَطُّعُ أَسْبَابِ الْبَلَاءِ وَالْهَوَىٰ عَشِيَّةٌ جَاوَزْنَا حِمَاةَ وَشَيْرَا
عَشِيَّةٌ جَاوَزْنَا حِمَاةَ وَشَيْرَا أَخُو الْجَهْدِ لَا يَلْوِي عَلَى مَنْ تَعَذَّرَا^(١)
ومن تكرير المعاني قول امرئ القيس ، وما رأيت أحداً نبه عليه : —
فِيَالِكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجُومَهُ يَكُلُّ مَغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ يَدْبِلُ
كَأَنَّ الثَّرْيَا عُلِقَتْ فِي مَصَامِيهَا بِأَمْرَاسٍ كَتَّانٍ إِلَى صَمِّ جَنْدَلٍ
فالبيت الأول يفنى عن الثاني ، والثاني يفنى عن الأول ، ومعناها واحد ؛
لأن النجوم تشتمل على الثريا ، كما أن يدبيل يشتمل على صم الجندل ، وقوله
« شدت بكل مغار الفتل » مثل قوله « علقته بأمراس كتان » ويقرب من
ذلك وليس به قول كثير : —

وإِنِّي وَهَيَّامِي بَعْرَةً بَعْدَمَا تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّيْتُ
لَكَأَنَّ نَجْمِي ظِلُّ النَّمَامَةِ كُلَّمَا تَبَوَّأَ مِنْهَا لِمَقِيلٍ اَضْمَحَلْتُ
كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سَحَابَةٌ مُتَحِيلٍ رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزْتَهُ اسْتَهْلَيْتُ
إلا أن كثيراً تصرف ، لجعل رجاء الأول ظل النمامة ليقيل تحتها من حرارة
الشمس فاضمحلت وتركته ضاحياً ، وجعل الممحل في البيت الثاني يرجو
سحابة ذات ماء فأمرت بعد ما جاوزته . . ومن مליح هذا الباب ما أنشدني
شيخنا أبو عبد الله محمد بن جعفر لابن المعتز وهو قوله : —

(١) يروى هذا البيت هكذا : —

يسير يضحج العود منه يمنه أخو الجهد لا يلوي على تعذرا
وحمة وشيزر : مدينتان من مدن الشام ، والعود : المسن من الابل ، يمنه :
يضغفه ، أخو الجهد : السائق للمجدو أراد به نفسه ، لا يلوي : لا يلتفت أولاً يبق ،
تعذرا : قدم عذرا

لَسَانِي لِسِيرِي كَتُومٌ كَتُومٌ وَدَمْعِي بِحَيِّي نَمُومٌ نَمُومٌ
 وَلِي مَالِكٌ شَفَنِي حُبُّهُ بَدِيعُ الْجَمَالِ وَسِيمٌ وَسِيمٌ
 لَهُ مُقَلَّتَا شَادِنِ أَحْوَرٍ وَلَقَطْ سَحُورَ رَخِيمٍ رَخِيمٍ
 قَدَمِي عَلَيْهِ سَجُومٌ سَجُومٌ وَجِسْنِي عَلَيْهِ سَقِيمٌ سَقِيمٌ

باب منه

ذكر ابن المعتز أن الجاحظ سمي هذا النوع المذهب الكلامي .. قال ابن المعتز : وهذا باب ماعلت أنى وجدت منه في القرآن شيئاً ، وهو ينسب إلى التكلف ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

قال صاحب الكتاب : غير أن ابن المعتز قد ختم بهذا الباب أبواب البديع الخمسة التي خصها بهذه التسمية ، وقدمها على غيرها ، وأنشد للفرزدق : —
 لكل امرئ نفسان : نفسٌ كريمة وأخرى يماصها الفتى ويُطعمها
 ونفسك من نفسك تشفع للندى إذا قل من أحرارهن شفيعها
 وأنشد لآخر ولاأظنه إلا لإبراهيم بن العباس : —

وَعَلَّمَتْنِي كَيْفَ الْهَوَى وَجِبَلَتْنِي وَعَلَّمَكُم صَبْرِي عَلَى ظَلَمِكُم ظَلَمِي
 فَأَعْلَمَ مَالِي عِنْدَكُمْ فِيمِيلُ بِي هَوَايَ إِلَى جِبَلِي وَأَعْرِضْ عَن عَلِي
 وعاب على أبي تمام قوله : —

فالمجد لا يرضى بأن ترضى بأن يَرْضَى الْمُؤْمَلُ مِنْكَ إِلَّا بِالرَّضَا
 وحكى أن إسحاق الموصلي سمع الطائي ينشد ويكثر من هذا الباب وأمثاله عند الحسن بن وهب ، فقال : يا هذا ، لقد شددت على نفسك ، وأنشد ابن المعتز لنفسه : —

أسرفت في الكتابان وذاك مني دهاني
 كتمت حبك حتى كتمته كتمانِي

فلم يكن لي بُدٌّ من ذكره بلساني

وهذه الملاحظة نفسها والظرف بعينه .

ومن هذا الباب نوع آخر هو أولى بهذه التسمية من كثير بما ذكره المؤلفون ، نحو قول إبراهيم بن المهدي يعتذر إلى المأمون من وثوبه على الخلافة :-

البر منك وطاه العذر عندك لي فيما فعلت فلم تعذل ولم تلم
وقام عليك بي فاحتجَّ عندك لي مقامَ شاهدٍ عدلٍ غير مُتهم
وكذلك قول أبي عبد الرحمن العطوي :-

فَوَحَّقَ الْبَيَانَ بِعُضُدِهِ الْبُرِّ هَانُ فِي مَاقِطِ أَلَدِّ انْخِصَامِ
مَا رَأَيْنَا سِوَى الْحَبِيَّةِ شَيْئاً جَمَعَ الْحَسْنَ كُلَّهُ فِي نِظَامِ
مِى تَجْرَى بِجَرَى الْأَصَابَةِ فِي الرَّأْيِ وَبِجَرَى الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَامِ
وقد نقلت هذا الباب نقلاً من كتاب عبد الله بن المعتز ، إلا ما لا خفاء
به عن أحدهم أهل التميز ، واضطررت إلى ذلك قلة الشواهد فيه ، إلا ما تناسب
قول أبي نواس :-

سَخُنْتُ مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودِ حَسْتَى صِرْتُ عِنْدَى كَأَنَّكَ النَّارُ
لَا يَعْجَبُ السَّامِعُونَ مِنْ صَفَتِي كَذَلِكَ التَّلْجُ بَارِدُهُ حَارُ
فهذا مذهب كلامي فلسفي .. وقوله أيضاً :-

فِيكَ خِلَافٌ لَخِلَافِ الَّذِي فِيهِ خِلَافٌ لَخِلَافِ الْجَمِيلِ
وأشبه ذلك مما في هذا غنى عنه ودال عليه

(٦٤) — باب نفى الشيء بإيجابه

وهذا الباب من المبالغة ، وليس بها مختصاً ، إلا أنه من محاسن الكلام ،
فإذا تأملته وجدت باطنه نفياً ، وظاهره إيجاباً .. قال امرؤ القيس :-

عَلَى لَاحِبٍ لَا يَهْتَدَى بِمَنَارِهِ إِذْ سَأَلَ الْعُودَ النَّبَاطِيَّ جَرَجَرًا^(١)
 فقوله « لا يهتدى بمناره » لم يرد أن له « مناراً لا يهتدى به » ، ولكن أراد
 أنه لا منار له فيهتدى بذلك المنار . . وكذلك قول زهير : —

بِأَرْضٍ خَلَاءَ لَا يُسَدُّ وَصِيدُهَا عَلَى وَمَعْرُوفِي بِهَا غَيْرُ مُنْكَرٍ^(٢)
 فأثبت لها في اللفظ وصيداً وإنما أراد ليس لها وصيد فيسد على ، ويتصل
 بهذا قول الزبير بن عبد المطلب يذكر عميلة بن السباق بن عبد الدار ، وكان
 نديماً له وصاحباً : —

صَبَحْتُ بِهِمْ طَلْقاً يَرِاحُ إِلَى التَّنْدِي إِذَا مَا انْتَشَى لَمْ تَحْتَضِرْهُ مَفَاقِرُهُ
 ضَمِيقاً يَحْتُ الْكَاسَ قَبْضُ بَنَانِهِ كَلِيلًا عَلَى وَجْهِ النَّدِيمِ أَظْفَارُهُ
 فظاهر كلامه أنه يخمش وجه النديم ، إلا أن أظفاره كلية ، وإنما أراد في
 الحقيقة أنه لا يظفر وجه النديم ولا يفعل شيئاً من ذلك ، وكذلك قوله « لم
 تحتضره مفارقة » أي : ليس له مفارقة فتحضره . . وقال أبو كبير الهذلي
 يصف مضباً : —

وَعَلَوْتُ مُرْتَقِبًا^(٣) عَلَى رَهْوِيَّةٍ حَصَاءَ لَيْسَ رَقِيبَهَا فِي مَثَلِ
 عَيْطَةِ مُعْنِقَةٍ يَكُونُ أَنْيَسَهَا وَرَقِ الْحَمَامِ جَمِيمَهَا لَمْ يُوَكِّلْ

(١) لاحب : هو الطريق الواضح . مناره : هو العلامة توضع على الطريق
 الهداية ، وفي الحديث : « إن الدين صوى ومنارا كمنار الطريق » ساقه شمه ، والسوف
 الشم . والعود : المسن من الابل . النبلى : الضخم . جرجر : رقا وضج ،
 وأخرج جرته

(٢) الوصيد في الأصل : فناء الدار والبيت ، ومنه قوله تعالى : (وكلهم
 باسط ذراعيه بالوصيد) والاصيد لغة فيه حكاهما القراء .

(٣) المرتقب : اسم للمكان من الارتقاب ، وهو الصعود في رأس جبل
 أو حصن ، وضبطه في اللسان على أنه اسم فاعل بكسر القاف ، وهو وجهه ، والمثمل :
 الملجأ . والجميم : التبت الذي طال بمض الطول ولم يتم

يريد أنه ليس بها جيم فيؤكل ، يدل على ذلك قوله في البيت الأول « حصاء »
وهي التي لا نبت فيها .. وقال أبو ذؤيب يصف فرساً : —

متفلقٌ أنساؤها عن قافه كالقرطِ صاوي غبْرُهُ لا يُرْضَعُ
فلم يرد أن هناك بقية لبن لا يرضع لكن أراد أنها لا لبن لها فيرضع ،
والشاهد على جميع ماقلته في شرح هذه الأشياء ما جاء في تفسير قول الله عز
وجل : (لا يسألون الناس إلحافاً) قالوا : ليس يقع منهم سؤال فيقع إلحافاً
أي : هم لا يسألون البتة .. والمعيب من هذا الباب قول كثير يرثى عزة
صاحبه : —

فَهَلَاوَقَاكَ الموتَ من أنْتِ زَيْنَةُ وَمَنْ هُوَ أسوأ منك دَلًا وَأَقْبَحُ
لأنه قد أوهم السامع أن لها دلا سيئاً ، ولكن غيره أسوأ منه وأقبح ،
فكيف إن كان القبح راجعاً عليها لا على دلهما ، وليس هذا في شيء من
قوله تعالى : (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً) لأن هذا
لا إشكال فيه

(٦٥) — باب الاطراد

ومن حسن الصنعة أن تطرد الاسماء من غير كلفة ، ولا حشو فارغ ؛ فانها
إذا اطردت دلت على قوة طبع الشاعر ، وقلة كلفته ومبالاته بالشعر .. وذلك
نحو قول الأعشى : —

أَقْيَسَ بَنَ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسٍ بِنِ خَالِدٍ وَأَنْتَ امْرُؤٌ تَرْجُو شَبَابَكَ وَائِلُ
فَأَنْ كَلِمَاءَ الْجَارِيِ اطْرَاداً وَقَلَّةَ كَلْفَةٍ ، وبين النسب حتى أخرج عن مواضع
اللبس والشبهة .. ولما سمع عبد الملك بن مروان قول دريد بن الصمة : —
قتلنا بعبد الله خيرَ لِدَاتِهِ ذُؤَابَ بنِ أسْمَاءَ بنِ زيد بن قارب

قال كالتعجب : لولا القافية لبلغه آدم ، ورواه قوم « أبأت بعد الله » .
وقال أبو تمام : —

عبد المليك بن صالح بن عيسى بن قسيم النبي في نسبه
فهذا سهل العنان خفيف على اللسان ، وإن كانت الياء في المليك ضرورة
وتكلفاً .. وقال الحارث بن دوس الأيادي : —

وَشَبَابٌ حَسَنٌ أَوْجُهُهُمْ مِنْ إِيلَادِ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدٍ
فاطردت ثلاثة أسماء لا كافة فيها .. وقال أبو تمام في قالب بيت الاعشى ،
وإن نقص عنه اسماً واحداً : —

بنصر بن منصور بن بسام انفرى لنا شطف الأيام عن عيشة رعد
فأما من أتى بأكثر من هذا ومن الأول فقد قال بعضهم : —

من يكن رَامَ حَاجَةً بَعُدَتْ عَنْهُ وَأَعْيَتْ عَلَيْهِ كُلَّ الْعِيَاءِ
فلها أحمر المرجى بن يحيى بن معاذ بن مسلم بن رجاء
لجاء كلامه نسفاً واحداً ، إلا أنه قد شغل البيت وفصل بين الكلام بقوله
و المرجى ، غير أن مجانسة رجاء هونت خطيئته وغفرت ذنبه .. وقال
الطائي : —

عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب بن سهم سهمكم لا يسهم
نحاطب بذلك بني عمرو بن غم التغلبيين ، وهم بنوعم مالك بن طوق ،
فاتنظم له ما أراد من الأسماء ، إلا أنه ظاهر التكلف ، وقال فائق بسة : —

مناسبٌ تحسب من ضوئها منازل القمر الطالع
كالهلو والحوت وأشرطه والبطن والنجم إلى البالع
نوح بن عمرو بن حوئي بن عم روي بن حوئي بن الفقي مانع
فأحكم التصنيع وقابل ستة بسة ، لأن الأشرط منزلة ، وإن جمعها ،
إلا أن الفقي هنا غضة مع برد لفظ وركاكة ، ما أحسن أبا هؤلاء كلهم يقال له

الفتى وإن كنا نعلم أنه لم يرد قتله السن ولكن الفتوة . . وجاء أبو الطيب بجاءك
بالتعسف في قوله لسيف الدولة : —

فأنت أبو الهيجا ابن حمدان يابنه تشابه مولود كريمة ووالده
و حمدان حمدون و حمدون حارث و حارث لقمان و لقمان راشد
ففي هذا المعنى من التقصير أنه جاء به في بيتين وأنه جعلهم أنياب الخلافة
بقوله : —

أولئك أنياب الخلافة كلها وسائر أملاك البلاد الزوائد
وهم سبعة بالمدوح ، والأنياب في المتعارف أربعة ، إلا أن تكون
الخلافة تسمح نيل أو كلب بحر ، فإن أنياب كل واحد منهما ثمانية ، اللهم إلا
أن يريد أن كل واحد منهم نائب الخلافة في زمانه خاصة ، فإنه يصح ، وفيه
من الزيادة على ما قبله أنه زاد واحداً في العدد ، فإنه جعل كل ابن هو أبوه
في الخلافة إلى أن بلغ راشداً ، ولم يقصد إلى ذلك أحد من أصحابه ، وإنما
مقت شعره هذا تكريره كل اسم مرتين في بيت واحد ، وهي أربعة أسماء

(٦٥) — باب التضمن والاجازة

وهذا باب يختلط على كثير من الشعراء من ليس له ثقب في العلم ،
ولاحظ بالصناعة ، كجاعة من وسم في بلدنا بالمعرفة ، وينسب إليها مكنوباً
عليه فيها ، كاذباً فيما ادعاه منها ، ولتعرفهم في لحن القول .

فأما التضمن فهو قصدك إلى البيت من الشعر أو القسم فتأتي به في آخر
شعر أو في وسطه كالمثل ، نحو قول محمود بن الحسين كشاجم الكاتب :-
يا غاضب الشيب والأيام تظهره هذا شباب لعمر الله مصنوع
أذكرتني قول ذي لب وتجربة في مثله لك تأديب وتقرع
إن الجديد إذا ما زيد في خلق بين الناس أن الثوب مرقوع

فهذا جيد في بابه ، وأجود منه أن لولم يكن بين البيت الأول والآخر واسطة لأن الشاعر قد دل بذلك على أنه متهم بالسرقة ، أو على أن هذا البيت غير مشهور ، وليس كذلك ، بل هو كالشمس اشتهاراً ، ولو أسقط البيت الأوسط لكان تضميناً عجيباً ؛ لأن ذكر الثوب قد أخرج الثاني من باب الأول إلا في المعنى ، وهذا عند الخذاق أفضل التضمن ، فانما احتذى كشاحم قول ابن المعتز في أبيات له :—

ولا ذنب لي إن ساء ظنك بعدما وفيت لكم ، ربّي بذلك عالم
وها أنا ذا مستعقب متصل كما قال عباس وأنقى راغم :
تحمل عظيم الذنب من تحبه وإن كنت مظلوماً فقل : أنا ظالم
وأبيات العباس بن الأحنف التي منها البيت المضمن هي قوله :—

وصبر أصاب الحب سوداة قلبه فأتحله والحب داء ملازم
قلت له إذ مات وجداً بحبه مقالة تُصنح جانبتها المآثم :
تحمل عظيم الذنب من تحبه وإن كنت مظلوماً فقل : أنا ظالم
فانك إن لم تحمل الذنب في الهوى يفارقك من تهوى وأنت راغم

غير أن شيخنا أبا عبد الله روى هذه الأبيات أيضاً لابن المعتز ، فهذا النوع من التضمن جيد ، وهو الذي أردنا من قبل ؛ وأجود منه أن يصرف الشاعر المضمن وجه البيت المضمن عن معنى قائله إلى معناه ، نحو قول بعض المحدثين ، ونسبه قوم إلى ابن الرومي :—

يا سائلي عن خالد عهدى به رطب العجان وكفه كالجلد
كالأقحوان غداة غب سباه جفت أعاليه وأسفله ندى
هكذا أعرفه ، وروى «عن جعفر» فصرف الشاعر قول النابغة في صفة الثغر (١) :—

(١) القدامة : ريشة في مقدم الجناح ، وهي أربع قوادم ، أسف لثاته بالانحد :

(٦ - المدة - ج - ٢)

نجلو بقادمتي حمامة أيكمة برّداً أصف لثاته بالاثمد
 كالأقحوان غداة غب سماءه جفت أعاليه وأسفله ندى
 إلى معناه الذي أراد . ومن هذا المعنى أيضاً قول ابن الرومي بلا عمالة : —
 وسائلة عن الحسن بن وهب وعما فيه من كرم وخير
 قلت : هو المذهب غير أني أراه كثير إرخاء الستور
 وأكثر ما يفتنيه فتاه حسين حين يخلو بالسريـر
 فلولاً الريح أسمع من بحجر صليل البيض تفرع بالذكور
 فاليـت الآخر لمهلل ، لجاء قرع البيض بالذكور هنا عجيباً ، وإن كانت
 اللفظتان في المعنى غير اللفظتين . ومن الشعراء من يضمن قسيماً نحو قول
 بعضهم ، أغلظ الصول : —

مُخِلِّقْتُ عَلَى باب الأمير كَأَنِّي قفانك من ذكرى حبيب ومنزل
 إذا جئت أشكو طول ضيق وفاقة يقولون : لا تهلك أسي وتحمل
 فهاضت دموع العين من سوء ردّهم على النحر حتى بلّ دمعى محلى
 لقد طال تردادى وقصدى إليكم فهل عند رسم دارس من مَعُولِي
 ومنهم من يقلب البيت فيضمنه معكوساً ، نحو قول العباس بن الوليد بن
 عبد الملك بن مروان لمسلّة بن عبد الملك : —

لقد أنكرتني إنكارَ خوفٍ يضم حشاك عن شتى وذلى
 كقول المرء عمرو في القوافي لقيس حين خالف كل عدل
 عذرك من خليك من مراد أريد حياته ويريد قتلى
 والبيت المضمن لعمرو بن معدى كرب الزيدى ، يقوله لابن أخته قيس

أى : ذرت بالاثمد ، وكانوا يفرزون اللثة بالآخرة ثم يمدون عليها الاثمد . والأقحوان :
 نبات له نوار أصفر وحواليه ورق أبيض ، شبه الاسنان بيباض ورقه

ابن زهير بن هيرة بن مكشوح المرادى ، وكان بينهما بعد شديد وعداوة عظيمة ، وحقيقته في شعر عمرو :-

أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد
وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه إذا رأى ابن ملجم تمثل بهذا البيت .
ومن التضمن ما يجمع فيه الشاعر قسمين من وزنين كقول على بن الجهم
يمرض بفضل الشاعرة جارية المتوكل وبنان المعنى وكانا يتعاشقان فإذا
غنى بنان :-

اسمى أو خبرينا يا ديار الظاعينا
غنت هي كالجأوبة له عما يقول :-

ألا حيث عنا يامدينا وهل بأس بقول مسلينا
فقال على منها عليهما في ذلك :-

كلما غنى بنان اسمى أو خبرينا
• أنشدت فضل الأحييت عنا يامدينا
عارضت معنى بمعنى والندامى غافلونا
أحسن إذ لم تجاؤ بهم ديار الظاعينا
لو أجابهم لصرنا آية للسائلينا
واستعاد الصوت مولاها وحث الشارينا
قلت للدولى وقد دأرت حياء الكاس فينا:
رب صوت حسن ينسب في الرأس قرونا

وأشدد ابن المعتز في باب التضمن للاخطل :-

ولقد مما فخرمى فلم يقل يوم الوغى لكن تضايق مقدمى
إشارة إلى قول عترة العبسى :-

إذ يتقون بى الأسته لم أحم عنها ولكن تضايق مقدمى

وهذا تضمن أنت ترى كيف هو ، وأنشد لآخر : —

عَوَّدَ كَمَا بَثُّ ضَيْقَالِهِ أَقْرَاصَهُ مَنَى يَاسِينَ

فبت^٤ والارض فراشي وقد عَنَّتْ « قفانك » مصاريني

ومن التضمن ما يحيل الشاعر فيه لإحالة ، ويشير به إشارة ، فيأتي به كأنه نظم الاخبار أو شبيه به ، وذلك نحو قول بعضهم في معنى قول ابن المعتز * كما قال عباس وأنتى راغم * إنه لم يرد الآيات المقدم ذكرها ، وإنما أراد قوله للرشد حين هجرته ماردة : —

لأبد للعاشق من وقفة تكون بين الوصل والصرم

حتى إذا المجر تمادى به راجع من يهوى على رغم

فهذا النوع أبعد التضمنات كلها ، وأقلها وجوداً ، وذلك نحو قول أبي تمام : —

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظي أرق وأخفى منك في ساعة الكرب

أراد البيت المضروب به المثل : —

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وقد صنعت أنا في معنى الهجاء : —

عرسه من غير ضير عرس زيد بن عمير

أبدأ تزني فان حاضت ت تقُد حبا لأير

ولها رجلان من نا ق كعب بن زهير

هكذا تبني المالى ليس إلا كل خير

« زيد بن عمير » هو الذى يقول في زوجته : —

تقود إذا حاضت ، وإن طهرت زنت فهي أبدأ يُزنى بها وتقود

و « كعب بن زهير » يقول في وصف ناقته : —

تهوى على يسرات وهى لاهية ذوابل وقعن الأرض تحليل

فكانت هذه المرأة في حالها لا تقع رجلاها بالأرض : إما لكثرة مباضاة
أو شدة مشى في فساد .
ومن أنواع التضمين تعليق القافية بأول البيت الذي بعدها ، وقد
تقدم ذكره .

وأما الالجازة فانها بناء الشاعر بيتاً أو قسيماً يزيد على ما قبله ، وربما أجاز
بيتاً أو قسيماً بأبيات كثيرة ، فأما ما أجز فيه قسم بقسم فقول بعضهم لأبي
الغناية : أجز

* برد الماء وطايا *

فقال : * حصد الماء شرايا *

وأما ما أجز فيه بيت بيت فقول حسان بن ثابت وقد أرق ذات ليلة
فقال : —

متاريك أذئاب الأمور إذا اعترت أخذنا الفروع واجتنبنا أصولها
وأجل ، فقالت ابنته : يا أبت ، ألا أجزعك ، فقال : أو عندك ذاك ؟
قالت : بلى ، قال : فافعل ، فقالت : —

مقاويل للمعروف خرّس عن الحنا كرام يماطون العشيرة سولها
قال : لحى الشيخ عند ذاك فقال : —

وقافية مثل السنان ردتها تناولت من جو السماء نزها
فقال ابنته : —

براهما الذى لا ينطق الشعر عنده ويعجز عن أمثاله أن يقولها
وذكر أن العباس بن الأحنف دخل على الذلفاء فقال : أجزى عنى
هذا البيت : —

أمدى له إجابته أترجة فبكى وأشفق من عياقة زاجر

فقال غير مفكرة : —

خافَ التلونَ إذ أنه لآنها لونان باطنها خلاف الظاهر
خلف لها بكل الايمان ، وكانت تمره ، لئن ظهر البيت إن دخلت منزلكم
أبدًا ، وأضافه إلى بيته ، . وأما ما أجزى فيه قسم بيت ونصف فقول الرشيد
للشعراء : أجزوا : —

• الملك لله وحده •

[٩] قال الجاز : — • والخليفة بعده •

وللمحب إذا ما حبيه بات عنده

واستجاز سيف الدولة أبا الطيب قول عباس بن الاحنف : —

أمنى تخافُ انتشارَ الحديث وحظي في ستره أوفرُ
فصنع القصيدة المشهورة : —

هواك هواي الذي أضمرُ وسرك سرى فأ أظهر

إلا أنه خرج فيها عن المقصد .

والاجازة في هذا الموضع مشتقة المعنى من الاجازة في السقي ، يقال :
أجاز فلان فلاناً ، إذا سقى له أو سقاه ، الشك منى ، وأما اللفظة فصحيحة
فصيحة .. وقال ابن السكيت : يقال للذي يرد على أهل الماء فيستقي : مستجيز ،
قال القطامي : —

وقالوا هُتِمَ قِيمُ الماء فاستجيز عبادة ، إن المستجيزَ على قُتِرِ (١)
ويجوز أن يكون من : أجزت عن فلان الكأس ، إذا تركته وسقيت غيره ،

(١) قال شارح ديوانه : استجيز : اطلب أن تسقى إبلك ، يقال : أجزنا ، أي

اسقنا ، وبخيزك نسقيك . والجواز : الذي تشربه من ماء قوم ثم تمر ، وعلى قتر :

أي على خوف ، ويقال : على خطر وحذر من ألا يسقى

لجازت عنه دون أن يشرها .. قال أبو نواس : —
 وقلتُ لساقينا أجزنا فلم أكن ليأبى أمير المؤمنين وأشربا
 فَجَوَزَ هَا غنى مُعْتَاراً ترى لها إلى الشرف الأعلى شعاعاً مُطنباً
 وقد تقدم ذكر الاجازة التي فيها عيوب القوافي وذكرت اشتقاقها .
 ومن هذا الباب نوع يسمى التخليط ، وهو أن يتساجل الشاعران فيصنع
 هذا قسيماً وهذا قسيماً لينظر أيهما ينقطع قبل صاحبه ، وفي الحكاية أن
 امرأ القيس ^(١) قال للتوهم اليشكرى : إن كنت شاعراً كما تقول فلفظ
 أنصاف ما أقول فأجزها ، قال : نعم ، قال امرؤ القيس : —

• أحر ترى بريقاً هباً وهنا •

فقال التوهم :- • كنار مجوس تستعراستعارا •

فقال امرؤ القيس :- • أرقى له ونام أبو شريح •

فقال التوهم :- • إذا ما قلت قد هذا استطارا •

ولا يزالان هكذا يصنع هذا قسيماً وهذا قسيماً إلى آخر الآيات .. وقد
 تقدم ^(١) إنشادها في باب أدب الشاعر من هذا الكتاب .. وربما ملط
 الآيات شعراء جماعة ، كما يحكى أن أبا نواس والعباس بن الأحنف والحسين
 ابن الضحاك الخليل ومسلم بن الوليد الصريع خرجوا في متزه لهم ومعهم
 يحيى بن المعلى فقام يصلى بهم فبنى الحمد وقرأ (قل هو الله أحد) فارتج
 عليه في نصفها ، فقال أبو نواس : أجزوا : —

أكثر يحيى غلطاً في قل هو الله أحد

فقال عباس : —

قام طويلاً ساهياً حتى إذا أعجب سجد

قال مسلم بن الوليد : —

يزخر في محرابه زحير حلي يولد

قال الخليل : —

كأنما لسانه شد يحبل من سد

وأشدني بعض أصحابنا هذه الآيات على طريق الاستملاح لها والاستطراف بها ، وقال : هذا الذي يعجز الناس عنه ، فقلت : فما بال عباس وأبي نواس لم يقولوا بعد البيت الأول : —

ولسي الحمد فما مرث له على خلد

ولا سيما وقد كان ذلك حقيقة ، وكذلك جرت الحكاية ، فقال : ولن البيت ؟ فقلت : لابن وقته .

واشتقاق التلميط من أحد شيئين : أولهما أن يكون من الملاطين ، وهما جانبنا السنام في مرد الكتفين ، قال جرير : —

ظفن حوالى خدر أسماء ، وانتحي بأسماء موارى الملاطين أرواح
فكان كل قسم ملاط ، أى : جانب من البيت ، وهما عند ابن السكيت المضدان . والآخر ، وهو الأجود ، أن يكون اشتقاقه من الملاط وهو الطين يدخل في البناء يملط به الحائط ملطاً ، أى : يدخل بين اللبن حتى يصير شيئاً واحداً . وأما المِلْطُ — وهو الذى لا يبالي ما صنع — والاملاط الذى لا شعر عليه في جسده ، فليس لاشتقاقه منهما وجه

(٦٦) — باب الاتساع

وذلك أن يقول الشاعر بيتاً يتسع فيه التأويل : فيأتى كل واحد بمعنى ،

وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ ، وقوته ، واتساع المعنى : من ذلك قول امرئ القيس : -

مِكْرَمَةٌ مِقْرَةٌ مُقْبِلٌ مُدِيرٌ مَعَا كَجُلُودٍ صَخْرَ حَطَّةِ السَّيْلِ مِنْ عَمَلٍ
فإنما أراد أنه يصلح للكر والفر ، ويحسن مقبلا ومدبرا ، ثم قال «معاً»
أى : جميع ذلك فيه . وشبهه في سرعته وشدة جريه بجلود صخر حطه السيل
من أعلى الجبل ؛ فاذا انحط من عال كان شديد السرعة ، فكيف إذا أعاته
قوة السيل من ورائه ؟ ؟ وذهب قوم - منهم عبد الكريم - إلى أن معنى
قوله «كجلود صخر حطه السيل من عل» إنما هو الصلابة ؛ لأن الصخر
عندهم كلما كان أظهر للشمس والريح كان أصلب . . وقال بعض من فسره
من المحدثين : إنما أراد الإفراط ، فزعم أنه يرى مقبلا ومدبرا في حال
واحدة عند الكر والفر لشدة سرعته ، واعترض على نفسه واحتج بما يوجد
حياناً فثله بالجلود المنحدر من قُتْمَةِ الجبل ، فانك ترى ظهره في النصبه على
الحال التي ترى فيها بطنه وهو مقبل إليك ، ولعل هذا ما مر قط بال
امرئ القيس ، ولا خطر في وهمه ، ولا وقع في خلده ، ولا روعه ، ومثله
قول أبي نواس : -

• أَلَا فَاسْقَى خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ •

فزعم من فسره أنه إنما قال «وقل لي هي الخمر» ليتذا السمع بذكرها كما
التذت العين برؤيتها ، والأنف بشمها ، واليد بلمسها ، والقم بذوقها ،
وأبو نواس ما أظنه ذهب هذا المنهج ، ولا سلك هذا الشعب ، ولا أراه
أراد إلا الخلاعة والعبث الذي بنى عليه القصيدة ، ودليل ذلك أنه قال في
تمام البيت : -

• وَلَا تَسْقَى نِيرًا إِذَا أَمَكْنَ الْجَهْرُ •

ويروى «قد أمكن الجهر» فذهب إلى المتجافرة ، وقلة المبالاة بالناس ،

والمداواة لهم في شرب الخمر بعينها التي لا اختلاف بين المسلمين فيها .
وقد ثبت أن المأمون ذم أخاه الأمين على المنابر وذكر في مزمعه أنه
صحب شاعراً من أمره ومن قصته أنه يجاهر بالمعاصي ، ويقول في قصيدة
أولها كذا وأنشد البيت : —

فَإِنَّا يَرَانَا أَقْبَهُ شَرَّ عَصَابِيهِ نَجْرٌ ^(١) بِأَذْيَالِ الْفُسُوقِ وَلَا نَجْرُ
ومثل ذلك قول المفضل الضبي بين يدي الرشيد والكسائي حاضر في معنى
قول الفرزدق : —

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنَّجُومُ الطَّوَالِعُ
وقد سأل الأمين والمأمون : ما معناه ؟ فقالا : معناه في قوله « قمرها »
تغليب المستعمل عندهم ؛ لأن القمر أكثر استعمالاً عند العرب من الشمس
وكذلك قولهم « العمران » لما كان عمر أطول أياماً وأكثر تأثيراً ، فقال
الرشيد : هكذا أخبرنا هذا الشيخ وأشار إلى الكسائي ، فقال المفضل : بل
مراده بالقمرين جدك إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما ، وبالنجوم الطوالع
أنت وآبائك الطيبون ، فأعجب الرشيد بذلك ووصله ، والفرزدق ما قصد
إلى شيء من ذلك [و] لا أراد ، ولا علم أن الرشيد بعده يكون أمير المؤمنين
ولما أراد أن كل مشهور فاضل فهو لنا عليكم ، ومنا لامنكم ، فنحن أشرف
بيتنا ، وأظهر فضلاً ، وأبعد صوتاً ، إلا أن التي جاء بها المفضل ملحمة
أفادت مالا .. ويتعلق بهذا قول أبي الطيب يذكر الروم : —

وَقَدْ بَرَدَتْ فَوْقَ الْقَتَانِ دِمَاؤُهُمْ وَنَحْنُ أَنْاسٌ نُنْبِغُ الْبَارِدَ السُّخْنَا ^(٢)

(١) يروي * نجر أذيل

(٢) القتان : موضع ببلاد الروم . يريد أن دمه الروم التي أسلمها سيف الدولة
بالقتان قد بردت ، وأراد بهذا الكناية عن تقادم عهده بغزوه ، ثم ذكر أن
حادثة إتباع البارد من السماء بالساختن

أراد أنا تتبع البارد من الدماء سخناً ، كأنه يتوعدهم بقتل آخر ، فيكون قد أخذ من قول سويد بن كراع - وهي أمه - يصف كلاباً وثوراً : -
فهزّ عليه الموتُ والموتُ دونه على رَوْقِهِ منه مُذَابٌ وَجَامِدٌ^(١)
قال الأصمعي : يعنى بالمذاب الحار ، وبالجامد البارد ، ويجوز أن يكون أبو الطيب أراد ونحن أناس تتبع البارد من الطعام سخناً ، وكذلك أيضاً عادتنا في الدماء ، فيكون قد فرع

وزعم قوم في قوله يشفع لبنى كلاب إلى سيف الدولة : -

وتملكُ أنفُسَ الثقلين طراً فكيف تحوزُ أنفُسَهَا كلابُ

أنه لم يرد القبيلة ، وإنما أراد أن يجعلهم كلاباً على باب التحقير لقدرمهم ، والتلطف لهم ، كما جعلهم في البيت الأول ذئاباً سراقاً ، ولا أعلن ذلك ، بل لا أحققه ؛ لأن في القصيدة : -

ولو غيرُ الأميرِ غزاً كِلاباً ثَنَاهُ عَنْ شُمُوسِهِمْ ضَبَابُ

ولاقى دونَ ثَأْيِهِمْ طِمَاحاً يُلاقى عِنْدَهَا الذُّبُ الغُرَابُ^(٢)

إلا أن يحملوا على الشاعر التناقض ، وينسبوه إلى قلة التحصيل ؛ فذلك إليهم ، على أن هذه القصيدة قليلة النظر في شعره : تناسباً ، وطبعاً ، وصنعة ، ومثلها الرائية في وزنها وذكر القصة بعينها

(١) روقه : قرنه

(٢) الثأى : جمع ثأية ، ذراى وراية ، وهي حجارة تجعل حول البيوت يأوى إليها الراعى ليلاً وفيها مبارك الابل ومراض الغنم - يقول : لو غزا كلاباً غير الأمير لثناه ضباب عن شُمُوسِهِمْ ، وكأنه يريد وصفهم بالقوة وشدة القود عن حياضهم ، ولوجد دون وصوله إلى بيوتهم حرباً عواناً يتفانى فيها جيشه حتى يجتمع على جثث صرعه الوحوش وهي المراد بالذئاب والطيور وهي المعبر عنها بالغراب فلما الوحوش فتأكل عظامهم وأما الطيور فتأكل لحومهم كما قال عنقرة : -
لى النفوس ، ولطير اللحوم ، وللسوحى المطام ، ولأخيلة السلب

(٦٧) — باب الاشتراك

وهو أنواع : منها ما يكون في اللفظ ، ومنها ما يكون في المعنى : فالذى يكون في اللفظ ثلاثة أشياء : فأحدها : أن يكون اللفظان راجعين إلى حد واحد ، ومأخوذين من حد واحد ، فذلك اشتراك محمود ، وهو التجنيس ، وقد تقدم القول فيه ؛ والنوع الثانى : أن يكون اللفظ يحتمل تأويلين أحدهما يلائم المعنى الذى أنت فيه والآخر لا يلائمه ولا دليل فيه على المراد . . . كقول الفرزدق : —

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا أَبْرَأُكُمْ حَىٰ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ
قوله « حى » يحتمل القبيلة ، ويحتمل الواحد الحى ، وهذا الاشتراك مذموم قبيح ، والمليح [الذى] يحفظ لكثير فى قوله يشبب : —
لعمري لقد حبت كل قصيرة إلى ، وما تدرى بذلك القصائر
عَنْتُ قصيراتٍ للمجال ولم أرد قصاراً غلطاً، شرُّ النساء ألبحائرُ
فأنت ترى فطنته لما أحس بالاشتراك كيف نفاه ، وأعرب عن معناه الذى نحا إليه .

ومن نوع قول الفرزدق قول كشاجم يذكر الميدان : —

عَمْرَتُهُ بِنْتِيَّةٌ صَبَاحٌ مُنْمَحٌ بِأَعْرَاضِهِمْ شِيْحَاحٌ
فنحن نعلم أنه أراد سمح شحاح بأعراضهم ، ولكن فيه من اللبس ما هو أولى من التأويل .

والنوع الثالث ليس من هذا فى شيء ، وهو سائر الألفاظ المبذلة للتكلم بها ، لا يسمى تناولها سرقة ، ولا تداولها اتباعاً ؛ لأنها مشتركة لا أحد من الناس أولى بها من الآخر ، فهى مباحة غير محظورة ، إلا أن تدخلها استعارة ، أو تضعبها قرينة تحدث فيها معنى ، أو تغيد فائدة ، فهناك يتميز

الناس ، ويسقط اسم الاشتراك الذى يقوم به العذر ، ولو غيرت اللفظة وأنى بما يقوم مقامها كقول ابن أحر : —

بِمَقْلَسٍ دَرَكِ الطَّرِيدَةَ ، مَتْنُهُ كَصَفَا الْخَلِيقَةَ بِالْفَضَاءِ الْمَلْبَدِ ^(١)
فَقَوْلُهُ « دَرَكِ الطَّرِيدَةَ » وَقَوْلُ الْأَسْوَدِ بْنِ يَعْفَرٍ : —

بِمَقْلَسٍ عَتَبِيٍّ جَهْرٍ شَدُّهُ قَيْدِ الْأَوَابِدِ وَالرَّهَانِ جَوَادِ ^(٢)
جَمِيعاً كَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ * بِمَنْجَرٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ *
وَكَذَلِكَ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ * أَجَلَ الظَّلِيمِ وَرَبَّةَ السُّرْحَانِ *
فَأَمَّا مَا نَاسَبَ قَوْلَ الْأَيْبَرِ الدِّيرْبُوعِيَّ يَرْتِي أَخَاهُ : —

وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَعْفِي الْإِلَهَ إِذَا اشْتَكَيْ مِنْ الْأَجْرَى فِيهِ ، وَإِنْ عَظُمَ الْأَجْرُ
وَقَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ فِي صِفَةِ الْحَمْرِ : —

رَأَى الْعَيْنُ تَسْتَعْفِيكَ مِنْ لَهَايَا وَتَحْمِيزٍ حَتَّى مَا تُهْلِلُ جُفُوعَهَا
فَهُوَ مِنَ الْمَشْتَرَكِ الَّذِي لَا يَعْدُ سُرَّةً .. وَقَدْ نَصَّ عَلَيْهِ الْقَاضِي الْمَرْجَانِيُّ
أَنَّهُ مِنَ الْمَقُولِ الْمَتَدَاوِلِ الْمُبْتَذَلِ .

وَأَمَّا الْإِشْتِرَاكُ فِي الْمَعَانِي فَنَوْعَانِ : أَحَدُهُمَا : أَنْ يَشْتَرِكَ الْمَعْنِيَانِ وَتَخْتَلِفُ
الْعِبَارَةُ عَنْهُمَا ، فَيَتْبَاعِدُ اللَّفْظَانِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْجَمِيدُ الْمُسْتَحْسَنُ ، نَحْوُ قَوْلِ
أَمْرِئِ الْقَيْسِ : —

كَيْبَرِ الْمَقَانَةِ الْبَيَاضِ بِصَفْرَةٍ غَدَاهاَ يَمِيرُ الْمَاءَ غَيْرَ مُحَلَّلِ ^(٣)

(١) قَالَ فِي الْإِسْلَامِ : « وَصَخْرَةٌ خَلَقَهَا بَيْنَهُ الْخَلْقُ : لَيْسَ فِيهَا وَصْمٌ وَلَا كَسْرٌ
وَأُنْشِدَ الْبَيْتَ » اهـ

(٢) فَرَسٌ عَتِدَ - بِكَسْرِ التَّاءِ الْمُنْتَهَا أَوْ فَتَحِهَا : شَدِيدُ تَامِ الْخَلْقِ سَرِيعُ الْوَثْبَةِ
مَعْدٌ لِلْجَرِيِّ لَيْسَ فِيهِ اضْطِرَابٌ وَلَا رَخَاوَةٌ

(٣) الْبَكْرُ : أَوَّلُ بَيْضِ النِّعَامَةِ . وَالْمَقَانَةُ : الْمُخَالَطَةُ ، يُقَالُ : مَا يُقَانِيَنِي خَاقُ
فُلَانٍ ، أَيْ : مَا يَمُكِّلُ خَلْقِي وَيَخَالِطُ نَفْسِي . وَالْبَيَاضُ : مَفْعُولٌ لِلْمَقَانَةِ وَنَائِبٌ التَّوَالِ

وقول غيلان ذى الرمة : —

تَجَلَّاهُ فِي بَرْجٍ صَفْرَاهُ فِي لَعَجٍ كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ ^(١)
فوصفا ^(٢) جميعاً لوناً بعينه : فشبّه الأول بلون بيضة النعام ، وشبه الثاني
بلون الفضة قد خالطها الذهب يسيراً ولذلك قال « قد مسها » ونحو قول
عبد بن الطيب يصف ثوراً وحشياً : —

مُجْتَابٌ نَصْعَرٌ جَدِيدٌ فَوْقَ قَبْبَتِهِ وَفِي الْقَوَائِمِ مِنْ خَالٍ سَرَائِيلُ ^(٣)
وقال الطرماح يصف ظليماً : —

مُجْتَابٌ كَمَلَّةٍ بَرْجِدٍ لِسْرَاتِهِ قَدَرًا فَأَسْلَمَ مَا سِوَاهُ الْبَرْجِدِ ^(٤)
فوصف الأول يياض الثور وسواد قوائمه وتخطيطها فشبّه ظهره كأن
عليه نصعراً جديداً ، وهو الثوب الأبيض ، وشبه ما في قوائمه من السواد
والتخطيط بسرّاويل من الخال ، وهو ضرب من الوشي . وقال الثاني : إنه مجتاب
شملة برجد ، يريد ما على الظليم من قرونه ، والبرجد : كساء أهود غمل ،
وجمل الشملة قدراً لسراته دون رجله وعنقه فدل على يياضهن ..
وقال عنتره : —

وهو المفعول الأول ضمير مستتر . والخير من الماء : الذي ينجم في الشاربة وإن
لم يكن عذبا . وغير محلل : لم يحلل عليه فيكدر
(١) رواية الديوان « كحلّاه في دعج » وقد سبقت للمؤلف كذلك في
(ص ٢٧) من هذا الجزء

(٢) في المطبوعتين « فوصفها » وليس بشيء
(٣) نصع - بكسر فسكون - ضرب من الثياب شديد البياض ، وعم بعضهم
بكل جلد أبيض أو ثوب أبيض . قاله في اللسان
(٤) انظر (ج ص ٢٦٧) من هذا الكتاب ، وقول المؤلف « وجعل
الشملة قدراً لسراته » يدل على أنه بالراء المهمة من المقدار ، وكنا فسرناه هناك
على أنه قد بدّلين ، وهذا الذي ذكرناه هناك رواية الأغانى ، وهي أولى

صَلِّ يَمُودُ بِذِي الْقَشْبَةِ يَبْضُهُ كَأَقْبِدِ ذِي الْقَرَوِ الطَّوِيلِ الْأَصْلُ (١)
 فشبهه بعمد طويل عليه فرو أصل ، أى : قصير الذبول ، وإنما خص الفرو
 لأنهم كانوا يلبسونه مقلوباً ، وجعله عبداً لياض ساقيه وعنقه وإشراهما
 الحمرة ، يعنى صفات الروم ، ولم تكن العيد في ذلك الوقت إلا ييضاً ، فهذا
 اشتراك في وصف الظهر والقوائم واختلاف في اللفظ والعبارة .

والنوع الثانى على ضربين : أحدهما : ما يوجد في الطباع من تشبيه الجاهل
 بالثور والحمار ، والحسن بالشمس والقمر ، والشجاع بالأسد وما شابهه ،
 والسخى بالغيث والبحر ، والعزيمة بالسيف والسيل ، ونحو ذلك ؛ لأن
 الناس كلهم الفصيح والاعمى والناطق والأبكم فيه سواء ؛ لانا نجد مراكبا
 في الخليفة أولاً .

والآخر ضرب كان مخترعاً ، ثم كثر حتى استوى فيه الناس ، وتواطأ عليه
 الشعراء آخراً عن أول ، نحو قولهم في صفة الخد « كالورد » وفي القدر
 « كالفضة » وفي العين « كمين المهابة من الوحش » وفي العنق « كعنق الطي » ،
 وكأبريق الفضة أو الذهب « فهذا النوع وما ناسبه قد كان مخترعاً ، ثم تساوى
 الناس فيه ، إلا أن يولد أحد منهم فيه زيادة . أو يخصه بقرينة ؛ فيستوجب
 بها الانفراد من بينهم ، ومثل ذلك تشبيه العزم بهبوب الريح ، والذكاء بشؤاظ
 النار ، وسيرد عليك من قوافى باب السرقات وما ناسبها كثير ، إن شاء الله تعالى

(٦٨) — باب التغاير

وهو أن يتضاد المذهبان في المعنى حتى يتقاوما ، ثم يصحاح جميعاً ، وذلك

(١) الصعل : الصغير الرأس اللطيف العنق . يمود : يأتى إلى يبيضه . كما تقول :
 عدت للمريض . وذو القشيرة : موضع ، والأصل : المقطوع الأذنين ، والظلمان كلها
 لا يذان لها ، قاله الخطيب ، وانظره مع كلام المؤلف

من افتنان الشعراء وتصرفهم وغوص أفكارهم : من ذلك قول بعض العرب المتقدمين يذكر قوماً بأنهم لا يأخذون إلا القود دون الدية : —
 لَا يَشْرُبُونَ دِمَاءَهُمْ بَأْ كُفِّهِمْ إِنَّ الدَّمَاءَ الشَّافِيَاتِ تُكَالُ
 . وقال آخر وقد أخذ بثأره إلا أنه فيما زعم قتل دون من قُتل له ، ويروى
 لامرأة حارثية : —

فيقتل خير بامرئ لم يكن له بواء ، ولكن لا تَكَايِلَ بالدم
 ويروى « في قتي لم يكن له وفاء » فالأول يقول : لا آخذ بالدم لبناً ، لكن
 آخذ دماً بقدره ، فكان ذلك مكايلة ، والثاني يزعم أن قتله قليل المثل
 والنظير ، فتي لم يقتل به إلا نظيره بُدِّ انتقامه ، وعسر إدراكه التَّارُ فقال :
 إن الدماء ليست بما يكايل به في الحقيقة ، وقيل : إنما يعني بذلك أن الاسلام
 لما جاء أزال المكايلة بالدم ، فكانوا لا يقتلون بالرئيس إلا رئيساً مثله . .
 ومن هذا الباب قول أبي تمام في التكرم يفضل على الكرم المطبوع : —

قَدْ بَلَوْنَا أَبَا سَعِيدٍ حَدِيثًا وَبَلَوْنَا أَبَا سَعِيدٍ قَدِيمًا
 وَوَرَدْنَاهُ سَائِحًا وَقَلْبِيًّا وَرَعَيْنَاهُ بَارِضًا وَجَبًا^(١)
 فعلنا أن ليس إلا بشيئ النـفس صار الكرم يُدْمَى كَرِيمًا
 وقال أبو الطيب في خلافة : —

لَوْ كَفَرَ الْعَالَمُونَ نِعْمَتَهُ لَمَّا عَدَّتْ نَفْسُهُ سَجَايَاهَا
 كَالشَّمْسِ لَا تَبْتَقِي عَمَّا صَنَعَتْ تَكْرِمَةً عِنْدَهُمْ وَلَا جَاهًا

هناك وإلى هذا المذهب نحا السيد أبو الحسن في قوله : —

جَبْرُ الْكَبِيرِ إِذَا يَهَاضَ جَنَاحُهُ لَجَأُ الْمَطْرِدِ مُسْتَقَاتُ الْمُطْلِقِ

(١) أراد بالسائح : النهر ، والقلبي : البئر . والبارض : أول ما يظهر من
 نبت الأرض ، وقيل : هو أول ما يعرف من النبات وتتناوله النعم ، وقال
 الأصمعي : أول ما يظهر من البهي بارض ، فاذا تحرك قليلاً فهو جيم

جَمَعَ الْفَضَائِلَ وَالْحَامِيَةَ وَالْمُلَا خَلَقَ لَعَمْرُ أَيْكَ غَيْرُ تَخَلَّقِي
وأصل معنى قول أبي الطيب من قول بشار : —

لَيْسَ يُطْلِكُ لِرَجَاءٍ وَلِفَخْوٍ فِ وَلَكِنْ يَلْدُ طَمَمَ الْعَطَاءِ
وقال البحرى فى نحو ذلك : —

لَا يَتَعَبُ النَّائِلُ الْمَبْدُولُ هِمَّتَهُ وَكَيْفَ يَتَعَبُ عَيْنُ النَّائِظِ النَّظْرَ؟

وكان أبو الطيب لقدرته واتساعه فى المعانى كثيراً ما يخالف الشعراء
ويفار مذهبهم ، ألا ترى إلى قول على بن العباس النوبختى - وهو فى رواية
الجرجاني لابن الرومى - يصف القلم ويفضله على السيف ، وكتب بذلك
إلى على بن مقلة فى قصيدة : —

إِنْ يَخْدُمُ الْقَلَمُ السِّيفَ الَّذِى خَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفُهُ الْأُمَمُ
كَذَا قَضَى أَقْبَى الْأَقْلَامِ مَنْ بَرِيَتْ أَنْ السُّيُوفَ لَهَا مُنْذُ أَرْهِفَتْ خَدَمُ
ظَلُوتُ - وَالْمَوْتُ لَا شَيْءَ يَمَادِلُهُ - مَا زَالَ يَنْبُعُ مَا يَجْرَى بِهِ الْقَلَمُ
وهذا كلام متقن البنية ، صحيح المعنى ، لا مطعن فيه ، فجاه أبو الطيب
مخالفة مذهب مذهباً آخر يشهد بصحته العيان ، ويصححه البرهان ، فقال : —
حَقٌّ رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي : الْمَجْدُ لِلْسِّيفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ
اَكْتُبْ بَذَا أَيْدَا قَبْلَ الْكِتَابِ بِهَا^(١) فَاِمَّا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ

ومن التناير قول الفرزدق يصف إبلة ويفخر : —

أَلَمْ تَسْمَعَا يَا بَنَى حَكِيمٍ حَيْنَيْنَهَا إِلَى السِّيفِ تَسْتَبْكِي إِذَا لَمْ تَعْرِ
فَجَعَلَهَا إِذَا لَمْ تَعْرِ حَنْتَ إِلَى السِّيفِ وَاسْتَبَكْتَ ؛ لِكثْرَةِ عَادَتِهَا ، وَهَذَا

(١) بذا : اسم الإشارة عائذ إلى السيف ، بها : الضمير عائذ إلى الاقلام .
ورواية الديواز * اكتب بنا أبدا بعد الكتاب به * وهى التى تنفق مع البيت
السابق (انظر الديوان : ج ٢ ص ٤١٣)

غلو مفرط ، وكان في مكان آخر يصفها بالجزع إذا رأت الضيف لعلها أنها
تحرله : —

تَرَى النَّيِّبَ مِنْ ضَيْقٍ إِذَا مَارَ أَيْنَهُ ضُورًا عَلَى جَرِّهَا مَا تَجِيزُهَا
فزعم أنها تخفى حسنها حتى إنها لا تتجتر خوفًا من النحر ، وهذا المعنى
مأخوذ من بيتين مدح بهما النبي صلى الله عليه وسلم ، وهما : —
وَأَيْبُكَ حَقًّا إِنَّ إِبْلَ مُحَمَّدٍ عَزَلُ نَوَاحٍ أَنْ تَهَبَّ شَمَالُ
وَإِذَا رَأَيْتَ لَدَى الْفَنَاءِ غَرِيبَةً فَذَمُّوهُنَّ عَلَى الْخُدُودِ سِجَالُ
يقول : إذا هبت الشمال - وهي من رياح الشتاء ، وعلامات المحل - أيقن
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينحرف للضيفان والجيران ، فهي نواحي
لذلك ، وقوله * وإذا رأيت لَدَى الْفَنَاءِ غَرِيبَةً * أي : يعرفن بذلك أنها ناقة
ضيف فتندري كل واحدة دمعا ، لا تدرى هل هي المنحورة ، وهذا من
مليح الشعر ولطيف المدح ، وقُلْ كل مديح لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن مليح التغاير قول أبي الشيص : —

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً حُبًّا لِدِكْرِكَ فَلْيَلْمْنِي الْقَوْمُ
وقول أبي الطيب في عكس هذا : —

أُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً ؟ إِنْ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ
وهذا عند الجرجاني هو النظر والملاحظة ، وهو يعمده في باب السرقات ،
قال : وأصله من قول أبي نواس : —

إِذَا عَادَيْتَنِي يَصْبُوحُ عَذْلٍ فَمَزُوجًا تَسْمِيَةً الْحَبِيبِ
ولأبي العلاء المعري مثله من غير التزام : —

لَمْ يَبْقَ غَيْرَ الْعَذْلِ مِنْ أَسْبَابِهِمْ فَأَحَبُّ مَنْ يَدْنُو إِلَى عَذُولُ
يفدو فلا مستخبر عن حالهم غَيْرِي وَلَا مُسْتَخْبِرُ مَسْئُولُ

(٦٩) — باب في التصرف ونقد الشعر

يجب للشاعر أن يكون متصرفاً في أنواع الشعر : من جد وهزل ، وحلو وجزل ، وأن لا يكون في النسيب أربع منه في الرثاء ، ولا في المدح ألفذ منه في الهجاء ، ولا في الافتخار أبلغ منه في الاعتذار ، ولا في واحد مما ذكرت أبعد منه صوتاً في سائرهما ؛ فانه متى كان كذلك حكم له بالتقدم ، وحاز قصب السبق ، كما حازها بشار بن برد ، وأبو نواس بعده .

حكى صاحب بن عباد في صدر رسالة صنعها على أبي الطيب ، قال : حدثني محمد بن يوسف الحمادي ، قال : حضرت بمجلس عبيد الله بن عبد الله ابن طاهر وقد حضره البحرى ، فقال : يا أبا عباد ، أمسلم أشعر أم أبو نواس ؟ فقال : بل أبو نواس ؛ لانه يتصرف في كل طريق ، ويرع في كل مذهب : إن شاء جد ، وإن شاء هزل ، ومسلم يلزم طريقاً واحداً لا يتعداه ، ويتحقق بمذهب لا يتخطاه ؛ فقال له عبيد الله : إن أحمد بن يحيى ثعلباً لا يوافقك على هذا ، فقال : أيها الأمير ، ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه من يحفظ الشعر ولا يقوله ، فانما يعرف الشعر من دفع إلى مضائقه ، فقال : وريت بك زنادى يا أبا عباد ، إن حكمتك في عميك أبي نواس ومسلم وافق حكم أبي نواس في عميه جرير والفرزدق : فانه سئل عنهما ففضل جريراً ، فقيل : إن أبا عبيدة لا يوافقك على هذا ، فقال : ليس هذا من علم أبي عبيدة ، فانما يعرفه من دفع إلى مضائق الشعر ، وقد خالف البحرى أبا نواس في الحكم بين جرير والفرزدق : فقدم الفرزدق ، قيل له : كيف تقدمه وجرير أشبه طبعاً بك منه ؟ فقال : إنما يزعم هذا من لا علم له بالشعر ، جرير لا يمدو في هجائه الفرزدق ذكر القين وجمثن وقتل الزير ، والفرزدق يرميه في كل قصيدة بآبئة ، حكى ذلك غير واحد من المؤلفين .

فاذا كان هذا فقد حكم له بالتصرف ، وبهذا أقول أنا ، وإياه أعتقد
فيهما ، وإذا لم يكن شعر الشاعر نطاً واحداً لم يله السامع ، حتى إن حبيبا
ادعى ذلك لنفسه في القصيدة الواحدة فقال : —

الجِدُّ والهزلُ في توشيع لختها
والنبْلُ والسُخْفُ ، والأشجان والطربُ

وقد قال إسماعيل بن القاسم أبو العاتية : —

لا يصلح النَّفْسَ إِذْ كَانَتْ مُصَرَّفَةً إِلَّا التَّصَرُّفُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
وأشدُّ الصَّاحِبِ لَأَبِي أَحْمَدٍ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ الْمُنْجَمِ فِي نَقْدِ الشَّعْرِ : —

رُبَّ شِعْرِ نَقَدْتُهُ مِثْلَ مَا يَنْقُدُ رَأْسُ الصَّيَّافِ الدِّينَارَا
ثُمَّ أَرْسَلْتُهُ فَكَانَتْ مَعَانِيهِ وَالْفَاظُهُ مَعَا أَبْكَارَا

لَوْ تَأَتَّى لِقَالَةِ الشَّعْرِ مَا اسْقَطَ مِنْهُ حَلُولَا بِهِ الْأَشْعَارَا

إِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ مَا يَسْتَعِيرُ النَّاسُ مِنْهُ وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَعَارَا

وقال الجاحظ : طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا
غريبه ، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فطلعت على أبي
عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار ، وتعلق بالأيام والأنساب ،
فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب : كالحسن بن وهب ، ومحمد بن
عبد الملك الزيات .

قال الصَّاحِبُ عَلَى أَثَرِ هَذِهِ الْحِكَايَةِ : فَفَقَّ أَبُو عَثْمَانَ ، فَلَقْدَ غَاصَ عَلَى سِرِّ
الشَّعْرِ ، وَاسْتَخْرَجَ أَرْقَ مِنَ السَّحَرِ .

وسأذكر بعد هذا الباب قطعة من أشعار الكتاب يظهر فيها مرماهم ،
ويستدل بها على مغزاهم ، ويعرف حسن اختيار الجاحظ فيما ذهب
إليه من تفضيلهم ، ويشهد لي بجودة الميز ، وفراط الثبوت والانصاف ،
إن شاء الله تعالى

(٧٠) — باب في أشعار الكتاب

والكتاب أرق الناس في الشعر طبعاً ، وأملحهم تصنيعاً ، وأحلامهم
الفاظاً ، وألطفهم معاني ، وأقدرهم على تصرف ، وأبعدهم من تكلف .
وقد قيل : الكتاب دهاقين الكلام ، وما نزيدك على قول إبراهيم بن
العباس الصولي بين يدي المتوكل حسين أحضر لمناظرته أحمد بن المدبر
فقال ارتجالاً : —

مَدَّ عَنِّي وَصَنَّقَ الْأَقْوَالَ وَأَطَاعَ الْوُشَاةَ وَالْمُدَّالَا

أَتَرَاهُ يَكُونُ شَهْرَ صُدُودٍ وَعَلَى وَجْهِهِ رَأَيْتُ الْهِلَالَ

فطرب له المتوكل واهتز ووصله ، وخلع عليه وحله ، وجدد له ولاية ..
وقيل له في التلطف والاستعطاف أكثر من هذا ، وأى مدح أبرع وأبعد
من قوله في الفضل بن سهل : —

لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدٌ تَقَاصَرَ عَنْهَا الْمَثَلُ

فَبَاطَنُهَا لِلنَّسْدِ وَظَاهَرُهَا لِلْقَبْلِ

* وَنَائِلُهَا لِلْعَفَى وَسَطَوْنَهَا لِلْأَجَلِ

أليس هذا الماء الزلال ، والسحر الحلال ؟ ؟ ولقد أجاد ابن الرومي في
تناوله هذا المعنى حين قال : —

مُقَبَّلُ ظَهْرِ الْكَفِّ ، وَهَابُ بَطْنِهَا لَهُ رَاحَةٌ فِيهَا الْخَطِيمُ وَرَمَزَمُ

ظَاهَرُهَا لِلنَّاسِ رُكْنٌ مُقَبَّلٌ وَبَاطِنُهَا صَيْتٌ مِنَ الْجُودِ عَيْلَمُ

إلا أن الأول أخف وزناً ، وأرشق لفظاً ومعنى ، وهذان البيتان - وإن
كانت فيهما زيادة - قائما بما زاء البيت الأوسط من آيات إبراهيم فقط ..
ومن تغزل إبراهيم قوله : —

أراك فلا أردُ الطرفَ كيلاً يكونَ حجابَ رؤيتك الجفونُ
ولو أتى نظرتُ بكل عين لما استقصتُ محاسنك العيونُ
فهذا وأليك البيانُ ، والخبر الذي كأنه العيان .. وما أجد كل حلوة
وحسن طلاوة ، إلا دون قوا [٤] : —

ابْتِدَاءً بِالتَّعْنِي وَاقْتِضَاءً بِالتَّظَنِّي
وَاشْتِغَاءً بِتَجَنِّيكَ لِأَعْدَاكَ مَعِي
بِأَبِي قَلِيلٍ لَكِي أَغْلَمَ لَمْ أَعْرِضْ مَعِي
قَدْ تَمَنَّى ذَلِكَ أَعْدَاؤِي فَقَدْ نَالُوا التَّعْنِي

وأما الهجاء فقد بلغ فيه أبعد الغايات بقوله في محمد بن عبد الملك الزيات : —
فَكُنْ كَيْفَ شِئْتَ وَقُلْ مَا تَشَاءُ وَأَرْعِدْ يَمِينًا وَأَبْرِقْ شِمَالًا
نَجَابَكَ لَوْمَكَ مَنَجَى الْقِدَابِ حَقَّتْ مَقَاذِيرُهُ أَنْ يَنَالَا
ومن شعر محمد بن عبد الملك الزيات قوله لأحمد بن أبي دؤاد ، وقد أمر
الوائق أن يقوم جميع الناس لابن الزيات ولم يجعل في ذلك رخصة لأحد ،
وكان ابن أبي دؤاد يشتغل بصلاة الضحى إذا أحس بقدمه أنفة من القيام
إليه في دار السلطان ، وامثالاً للأمر ، فصنع ابن الزيات : —

صَلَّى الضُّحَى لِمَا اسْتَفَادَ عِدَاؤِي وَأَرَاهُ يَنْسِكُ بَعْدَهَا وَيَصُومُ
لَا تَعْدِي مَنْ عِدَاوَةً مَشْتُومَةً تَرَكْتُكَ تَقْعُدُ تَارَةً وَتَقُومُ
ومن تنزله قوله ، وهو في غاية العذوبة : —

قَلَمَ بِقَلْبِي وَقَعْدَ لِمَا نَعَى عَنِّي الْجَلْدَ
يَا صَاحِبَ الْقَصْرِ الْوَدَى أَسْهَرَ عَيْنِي وَرَقْدَ
وَأَعْطَشِي إِلَى نَهْمٍ يُمِجُّ خَمْرًا مِنْ بَرْدِ
إِنْ قَسَمَ النَّاسُ فَحَسْبِي بِكَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ

وقال يرثي جاريته سلوانة ، وهي أم ولده عمر الأصغر : —
 يقول الخلان : لو زرت قبرها فقلت : وهل غير الفؤاد لها قبر
 على حين لم أحدث فأجهل قدرها ولم أبلغ السن التي معها الصبر
 وقال أيضاً وأحسن ما شاء : —
 حالي إذا غبت لم أذكر بواحدة وإن مرضت فطال السقم لم أعد
 ما أعجب الشيء ترجوه فتخرمه قد كنت أحسب أني قد ملأت يدي
 ومن شعره في هذا الباب مقطعات متفرقة تفتي عن الاكثار منه هنا .
 وأما الحسن بن زهب فمن قوله : —

لم نتم ملقى لطلول بكاهنا ولما جال فوقها من قدأها
 فالقذى كعلها إلى أن ترى وجه سليمي ، وكيف لي أن تراها ؟
 أسعدت مقلتي بادمانها الله مع وهجرانها الكرى مقلتاها
 فليس في كل حين دموع إنما تستمرها عيناها
 وقدم إليه كانون ومعه قينة كان يهواها فأمرت بإبعاد الكانون فصنع : —
 بأبي كرهت النار حتى أبعدت ففرت مامعناك في إبعادها
 هي ضرة لك بالقماع شعاعها وبحسن صورتها لدى إيقادها
 وأرى صنيعك بالقلوب صنيعاً بأراكتها وسياها وعراها
 شركتك في كل الجهات بحسنا وضيائها وصلاحتها وفسادها
 ومن مليح الشعر قوله يمدح محمد بن عبد الله بن طاهر غيباً مطر : —
 هطكتنا السماء هطلاً ذراكا جاوز المرزبان فيه السماكا
 قلت لأبرق إذ تألق فيه : يازناد السماء من أوراكا
 أحبياً أحبه بففاكا ؟ فسي ذلك أن يعود كذاكا
 أم تشبهت بالأمير أبي العباس في جوده ، فلست هناكا

وهذا هو الكلام الكتاني ، السهل ، المرسل ، المحس الطلاوة ، والظاهر
الحلاوة . . ومن قوله يرثى حياً الطائي ، وكان صديقاً له جداً : —

سقى بالموصل القبرَ الغريباً سحائبٌ يَنْتَحِبْنَ به نجيباً
إذا أَظْلَنَهُ أَطْلَقْنَ فيه شعيب المزن يُتْبِعُهَا شعيباً
وَأَطْلَمَتِ البروق له خسوداً وَشَقَّقَتِ الرُّعُودُ له جيوباً
فإنَّ تراب ذاك القبر يحوى حياً كان يدعى لي حياً
وهي قصيدة كاملة أتيت بهذا منها معرضاً .

ومن شعراء الكتاب سعيد بن حميد الكاتب ، وهو القاتل في طول الليل : —

يَالَيْلُ ، بَلْ يَا بَدُ أَنَاثُ عَنْكَ غَدُ
يَالَيْلُ ، لَو تَلَقَى الذِي أَلْقَى بِهَا أَوْ أَجَدُ
قَصَرَ مِنْ طَوْلِكَ أَوْ أَضْفَى مِنْكَ الْجِلْدُ

ورواه قوم . أنحل منك الجسد . والأول عندى أصوب ، وتلى كل حال
فنه أخذ أبو العلي ب قوله : —

ألم يرَ هذا الليلُ عَيْنَيْكَ رَوِي فتنظُرَ فيه رَقَّةً ونَحُولُ
وليس يلزم الكاتب أن يجارى الشاعر في إحكام صنعة الشعر ؛ لرغبة
الكتاب في حلاوة الألفاظ وطيرانها ، وقلة الكلفة ، والأتان بما يخفف على
النفس منها ؛ وأيضاً فإن أكثر أشعارهم إنما يأتي نظرفاً ، لا عن رغبة ولا
رهبة ، فهم مطلقون غفلون في شهواتهم ، مساحون في مذهبهم ؛ إذ كانوا إنما
يصنعون الشعر تخيراً واستظرافاً ، كما قال كشاجم الكاتب : —

وأتى شعرتُ فما قصمَدتُ الهجاء ولا المديحة
لكن رأيتُ الشعرَ لِلْأَدَابِ ترجمةً فصيحةً

وعلى هذا الخط يجرى الحكم في أشعار الخلفاء ، والأمراء ، والمترفين من

أهل الاقدار : لا يحاسبون فيها عاسبة الشاعر المبرز الذي الشعرُ صناعته ،
والمديح بضاعته . . وقد أعرب أبو الفتح بن العميد وأعرب في قوله : —

فإن كانَ مَرَضِيًّا قُلَّ : شعر كاتبٍ وإن كانَ مسخوطاً قُلَّ : شعر كاتب

ولو حاولت أن أذكر من علمت من شعراء الكتاب - سوى من ذكرت -
تبعد الأمد ، وطالت الشقة ، واحتجت إلى أن أقيم لهذا الفن ديواناً مفرداً ؛
لكنني عولت على ابن الزيات ، وابن وهب ؛ لا حالة الجاحظ في الفضل
عليهما ، وأنستهما باثنين ليسا بدونهما ، ولو لم آت بهذا الباب إلا بما بينته
عليه من ذكر أشعار السيد الرئيس أبي الحسن أبيده الله لكان ذلك فوق امر
الرضا والكفاية : فمن ذلك قوله : —

بَاكِرِ الرَّاحِ وَدَعْ عَنْكَ الْقَدَلَ وَاسْعَ فِي الصَّحْرِ مِنْ قَبْلِ الْعِلَلِ
وَاعْتَمِلْ لَذَّةَ يَوْمِ زَائِلٍ فَلَمُنَايَا ضَاكِحَاتٍ بِالْأَمَلِ
مَا تَرَعِدُ السَّاقِ كَشْمِيسٍ طَلَعَتْ تَحْمِلُ الْمَرْيَخَ فِي بُرْجِ الْحُلِّ
مَائِساً كَالْفَنَصِ فِي دِعْصٍ نَقَا فَاثْنِ الْمُقَلَّةِ زَيْنَتْ بِالْكَحْلِ
وقوله أيضا يتنزل : —

مَرَّ بِنَا يَهْتَرُ فِي مَشْيِهِ مِثْلَ اهْتَزَازِ الْفُصْنِ الرُّطْبِ
فَقُلْتُ تَرْتَعُ فِي حُسْنِهِ وَمَقْلَتَاهُ أَحْرَقَتْ قَلْبِي
قوله « أحرق » وهما مقتلان كقول بعضهم ، وأنشده أبو الجراح في
طبقات الشعراء : —

أشركت عيناه ظالة في دمي بأعظم ما جنت
فقال « ظالة » وقال « جنت » لأن الثنية جمع في الحقيقة ، والجماعة تخبر
عنها كاتخبر عن الواحد ؛ لمكان التأنيث ، والشاهد من قول القدماء قول أحدم :
لَيْنَ زُحْلُوقَةٍ زُلُّ بِهَا الْقَيْنَانِ تَنْهَلُ

قال « تنهل » وكان حقه أن يقول « تنهلان » لكن العلة ما قدمت .
ومن الموعظة الحسنة البالغة قوله : —

أَمِنْ الزَّمانِ زَمَانَةُ الْعَقْلِ فَخَشَّ الْإِلَهَ وَحُلَّ عَنْ الْجَهْلِ
وَأَعْلَمَ بِأَنَّكَ فِي الْحَسَابِ غَدَاً تُجْزَى بِمَا قَدَّمْتَ مِنْ فِعْلٍ

ومن تشكى أحوال الناس وقلة ثقتهم وانصافهم قوله : —

أَيُّارِبُ ، إِنْ النَّاسَ لَا يُنْصِفُونَنِي وَلَمْ يُحْسِنُوا قَرَضِي عَلَى حَسَنَاتِي
إِذَا مَارَأُونِي فِي رَحَاءٍ تَرَدَّدُوا إِلَيَّ ، وَأَعْدَائِي لَدَيَّ الْأَزْمَاتِ
وَمَهْمًا أَكُنْ فِي نِعْمَةٍ حَزَنُوا لَهَا ذُوو أَنْفُسٍ فِي شِدْقٍ جَدِيلَاتِ
فَقَاتِي مَا دَامَتْ صِلَاتِي لَدَيْهِمْ وَإِنْ عَنْهُمْ أَخْرَجْتُهَا فَعِدَاتِي
سَأَمْنَعُ قَلْبِي أَنْ يَخُنَّ إِلَيْهِمْ وَأَصْرَفَ عَنْهُمْ قَالِيَا لِحِطَاتِي
وَأَتَزِمُ نَفْسِي الصَّبْرَ دَائِبًا لِعَلِّي أَعَابِنُ مَا أَمَلْتُ قَبْلَ مَا نِي
أَلَّا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَغَافٍ وَصِيحَةٌ وَأَمِنْ ، ثَلَاثُ هُنَّ طَيِّبُ حَيَاتِي
قوله « ثلاث » يعني ثلاث خصال أو ثلاث أحوال ، كما قال طرقة : —
قُلُوبًا ثَلَاثٌ هُنَّ مِنْ لَذَّةِ الْفَتَى ^(١)

ثم فسرهن فقال : —

فَنَيْنَ سَبَقُ الْعَاذِلَاتِ بِشَرِّهِ ^(٢)

وَكُرَى إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُجَنَّبًا ^(٣)

(١) تمامه * وجدك لم أحفل متى قام عودي *

(٢) تمامه * كبت معنى ما تل بلقاء تزيد * وروى « سبق العاذلات »

(٣) مجنبا - بلجيم الموحدة - هكذا هو في رواية ضعيفة ، والرواية الموثوق

بصحتها « مجنبا » بلقاء المهمة ، وتمام البيت * كسيد الغضا نبهته المتورد *

وتقصير يوم الدجن (١)

والسبق والتقصير والكر لها مذكرة ، لكن أراد ما قدمت

ومن أحسن الأشعار قوله : —

خليلى ، إن لم تسمع داني فأقصرا
فليس يدأوى بالعتاب المتيم
تريد أن منى النشك في غير حينه
وغصني ريان ورائي أسحم
وقوله في قصيدة طويلة : —

غراه وأضحى ينوس بقرطها
جيد حكي جيد الغزال الأعني
صدت فأغرّت بالسجوم مدامعي
والعين تذرف بالدموع السبق
تشكو البعاد إذا بعدت تصبرا
وإن ارجعت إلى الزيارة تفرق
ولقد بيت أخو المودة لأمي
في حبا لوم الشفيق المشفق
حتى إذا طلعت فأبصر شخصا
أخزي جهالة لأمي المستحق
كم قد قطعت بوصلها من ليله
وبشرب صافية كلون الزئبق
يسى بها كالبدري ليلة نمة
سحار أحاظ رخي المنطق
أليت أترك ذا ونك وهذو
حتى يفارقي سواد الفرق

فله سلامة هذا الطبع واندفاعه ، وقرب هذا اللفظ واتساعه ، والله رقة

معانيه وإرهاقها ، وظهورها مع ذلك وانكشافها ، ولطف مواقعها من
القلوب ، وسرعة تأثيرها في النفوس ، وسيرد من شعره فيما بعد ما لاق
بالمواضع التي يذكر فيها ، إن شاء الله تعالى

(٧١) — باب في أغراض الشعر وصنوفه

وهو بسط لما بعده من الأبواب ، وقد فرط البسط له ، وفرغ من مقدمته

(١) البيت بتمامه هكذا : —

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب يهكت تحت الجباه الممد

في باب حد الشعر وتبينه ، وأنا ذا كر هنا مالا بد منه ..

تكلم قوم في الشعر عند أبي الصقر إسماعيل بن بلبل من حيث لا يعلمون .. فكتب إليه أبو العباس الناشئ : -

لَمَنْ أَهْـؤَ صُنْعُ الشَّعْرِ ، مَاذَا مِنْ صُنُوفِ الْجَهَالِ فِيهَا لَقِينَا
يُؤْثِرُونَ الْغَرِيبَ مِنْهُ عَلَى مَا كَانَ سَهْلًا لِلْسَّامِعِينَ مُبِينَا
وَيَرْوُونَ الْحَالَ شَيْئًا صَحِيحًا وَخَيْرَ الْمَقَالِ شَيْئًا ثَمِينَا
يَجْهَلُونَ الصَّوَابَ مِنْهُ ، وَلَا يَدْرُونَ لِلْجَهْلِ أَنَّهُمْ يَجْهَلُونَ
فَهُمْ عِنْدَ مَنْ سَوَانَا يَلَامُونَ ، وَفِي الْحَقِّ عِنْدَنَا يُعَذَّرُونَ
إِنَّمَا الشَّعْرُ مَا تَنَاسَبَ فِي النِّظْمِ ، وَإِنْ كَانَ فِي الصِّفَاتِ قُتِرْنَا
فَأَتَى بِغَضِّهِ يُشَاكِلُ بَعْضًا قَدْ أَقَامَتْ لَهُ الصَّدُورُ الْمُتَوْنَا
كُلُّهُ مَعْنَى أَتَاكَ مِنْهُ عَلَى مَا تَعْنَى لَوْ لَمْ يَكُنْ أَنْ يَكُونَا
فَتَنَاهَى عَنِ الْبَيَانِ إِلَى أَنْ كَادَ حَسَنًا يَبِينُ لِلنَّاظِرِينَا
فَكَانَ الْأَلْفَاظُ فِيهِ وَجُوهٌ وَالْمَعَانِي رُكُوبٌ فِيهِ عِيُونَا
فَاتَّأَتَا فِي الْمَرَامِ حَسَبَ الْأَمَانِي فَيَجْلِي بِحُسْنِهِ الْمُنْشِدِينَا
فَإِذَا مَا مَدَحْتَ بِالشَّعْرِ حُرًّا رَمَتْ فِيهِ مَذَاهِبَ الْمُسَيِّدِينَا
لَجَعَلْتَ النَّسِيبَ سَهْلًا قَرِيبًا وَجَعَلْتَ الْمَدِيحَ صِدْقًا مَبِينَا
وَتَكَبَّتَ مَا تَهَجَّنَ فِي السَّمْعِ ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ مَوْزُونَا
وَإِذَا مَا قَرَضْتَهُ بِهَجَاءٍ عَضَّتْ فِيهِ مَذَاهِبُ الْمُرْتَدِينَا
لَجَعَلْتَ التَّصْرِيحَ مِنْهُ دَوَاءً وَجَعَلْتَ التَّعْرِيضَ دَاءً دَفِينَا
وَإِذَا مَا بَكَيْتَ فِيهِ عَلَى الْغَايَةِ دِينَ يَوْمًا لِلْبَيْنِ وَالظَّاعِنِينَا
حَلَّتْ دُونَ الْأَسْمَى وَذَلَّتْ مَا كَانَتْ مِنَ الدَّمْعِ فِي الْعِيُونِ مَصُونَا
ثُمَّ إِنْ كُنْتَ عَاتَبْتَ فِي الْوَعْدِ وَعِيدًا وَبِالصَّعُوبَةِ لَنَا
فَرَكْتَ الَّذِي عَتَبْتَ عَلَيْهِ حَذِرًا آمَنًا ، عَزِيزًا مَبِينَا

وأصحُّ القريض مافاتٌ في النظم ، وإن كان واضحا مستينا
 وإذا قيل أطمع الناسَ طرًّا وإذا ريم أعجز المعجزينا
 قال أبو عبادة الوليد بن عبيد البختري : كنت في حداتي أروم الشعر ،
 وكنت أرجع فيه إلى طبع ، ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ، ووجوه
 لاختصائه ، حتى قصدت أبا تمام : فانقطعت فيه إليه ، واتكلت في تعريفه عليه ،
 فكان أول ما قال لي : يا أبا عبادة ، تخيّر الأوقات وأنت قليل المموم ، صِفْ
 من النموم ، واعلم أن العادة في الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شيء
 أو حفظه في وقت السر ، وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة
 وقسطها من النوم ، فإن أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقا ، والمعنى رشيقا
 وأكثر فيه من بيان الصبابة ، وتوَجُّع الكآبة ، وقلق الأشواق ، ولوعة
 الفراق ، وإذا أخذت في مدح سيد ذي أياذ فأشهر مناقبه ، وأظهر مناسبه ،
 وأبين معالنه وشرف مقامه ، وتَقَاضِ المعاني ، واحذر المجهول منها ، وإياك
 أن تشين شعرك بالألفاظ الزرئية ، وكن كأنك خياط يقطع الثياب على
 مقادير الأجسام ، وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ، ولا تعمل إلا وأنت
 فارغ القلب ، واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة إلى حسن نظمه ، فإن
 الشهوة نعم المعين ، وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين :
 فما استحسنته العلماء فأقصده ، وما تركوه فاجتنبه ، ترشد إن شاء الله تعالى .
 قال صاحب الكتاب : قد كنت أردت ذكر هذا الفصل فيما تقدم من
 باب عمل الشعر وشخذ القريحة له ، فلم أتم بحفظي فيه ، حتى صححته فأثبتته
 بمكانه من هذا الباب . .

ومن قول الناثي . في معنى شعره الأول : —

الشعر ما قومت زينغ صدوره وشدت بالتهذيب أسرمتونه

ورأيت بالأطناي^(١) شعب صدوعه وفتحت بالايجاز عور عيونه
 وجمعت بين قريبه وبعيده ووصلت بين مجمة ومعينه
 فاذا بكيت به الديار وأهلها أجريت للحزون ماء شؤونه
 وإذا مدحت به جواداً ماجداً وقيت^٢ بالشكر حق ديونه
 أصفية بتفيسه ورصينه وخصته بخطيره وثمينه
 فيكون جراً في اتساق صنوفه ويكون سهلاً في اتفاق فنونه
 فاذا أردت كناية عن رتبة باينت بين ظهوره وبطونه
 فجعلت سامعه يشوب شكوكه بيناه وظنونه يقينه
 وإذا عتبت على آخر في زلة أذبحت شدته له في لينه
 قرعته مستانساً بدماة مستيساً لوعونه وحزونه
 وإذا نبذت إلى التي علقته^٣ إن صارمك بغاتيات شؤونه
 تيمنها بلطفه ودقيقه وشفقتها بخيه وكينه
 وإذا اعتذرت إلى آخر من زلة واشكت بين محيلة ومينه
 وهذا حين أبدأ بالكلام على هذه الأغراض والصنوف واحداً فواحداً،
 إن شاء الله سبحانه وتعالى .

(٧٢) — باب النسيب

حق النسيب أن يكون حلو الألفاظ رسلها ، قريب المعاني سهلها ،
 غير كثر ولا غامض ، وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى ،
 لين الايثار ، رطب المكسر ، شفاف الجوهر ، يطرِب الحزين ،
 ويستخف الرصين .

روى أبو علي إسماعيل بن القاسم ، عن ابن حديد ، عن أبي حاتم ، عن

(١) يقال « رأب الشعب » و« رأب الصدع » في معنى أصلح الفاسد

الأصمعي ، عن أبي عمرو بن العلاء ، عن رواية كثير^(١) قال : كنت مع جرير - وهو يريد الشام - فطرب ، وقال : أنشدني لأخي بني مليح - يعني كثيراً - فأنشدته حتى انتهت إلى قوله : -

وَأَذْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا سَيِّتَنِي^(٢) يَقُولُ يُجِلُّ الْمُعَمَّ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ

• نَجَافَيْتَ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ^(٣) وَخَلَفْتِ مَا خَلَفْتِ^(٤) بَيْنَ الْجَوَانِحِ

فقال : لولا أنه لا يحسن بشيخ مثل النخير لنخرت حتى يسمع هشام على سريره ..

وقيل لأبي السائب المخزومي : أترى أحداً لا يشتهي النسيب ، فقال : أما من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا ، والنسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد .. وأما الغزل فهو إلف النساء ، والتخلق بما يوافقهن ، وليس مما ذكرته في شيء ؛ فن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ ، وقد نبه على ذلك قدامة وأوضحه في كتابه نقد الشعر .

وقال الحاتمي : من حكم النسيب الذي يفتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجاً بما بعده من مدح أو ذم ، متصلاً به ، غير منفصل منه ، فإن القصيدة مثلها مثل

(١) في جميع أصول هذا الكتاب « عن رواة عن كثير » وهو خطأ ، وما أثبتناه عن الأمل (ج ٢ ص ٢٢٨) وقد اعترضه البكري في التنبيه ، قال « هذا الشعر لمجنون بنى طائر لا لكثير ، ولا أعلم أحداً رواه له ، ولا وقع لي في ديوانه ، وبعد البيتين : -

فأحِبُّ لِيْلِي بِالْوَشِيكِ اقْطَاعَهُ وَلَا بِالْمُؤْدَى يَوْمَ رَدِّ الْمُنَافِحِ

(٢) في الأمل « إذا ما استيتتني » والذي في الأصل موافق لرواية البكري في التنبيه

(٣) في الأمل « حين لالي مذهب » وكذلك في التنبيه (ص ١١٨)

(٤) في التنبيه « وغادرت ما غادرت » والذي في الأصل موافق لما في الأمل

خلق الانسان في اتصال بعض أعضائه ببعض ، ففى انفصل واحد عن الآخر
وبايته فى صحة التركيب غادر بالجسم عاهة تَنَحُّونَ (١) محاسنه ، وثَقَقَى معالم
جماله ، ووجدت حُذَاق الشعراء وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون
من مثل هذه الحال احتراساً يحمهم من شوائب النقصان ، ويقف بهم على
مَحَجَّة الاحسان ، ومن مختار (٢) ما قيل فى النسيب قول المزار العدوى :-

وَهى هيفاه هضم كَشَحْها	فَخَمَّةٌ حَيْثُ يَشُدُّ الْمُؤْتَزَرُ
صَلَتُهُ انْطَدَّ طَوِيلُ جِيدِها	ضَخَمَةُ التَّدَى (٣) وَلَمَّا يَنْكَسِرُ
يُضْرَبُ السَّبْعُونَ فِى خَلْجِها	فَإِذَا مَا أَكْرَهَتُهُ يَنْكَسِرُ
لَا تَمْسُ الْأَرْضَ إِلَّا دُونِها	عَنْ بِلَاطِ الْأَرْضِ تَوْبُ مَنْعِرِ
قَطَا انْطَرُ وَلَا تُكْرِمِ	وَتَطِيلُ الذَّيْلُ مِنْهُ وَتَجْرُ
ثُمَّ تَنْهَدُ عَلَى أَنْعَامِها	مِثْلَ مَا مَالِ كَنْيَبٍ مَنَعِرِ
عَبَقُ الْعَنْبَرِ وَالْمَسْكِ بِها	فَهِى صَفْرَاءُ كَمَرْجُونِ الْعَمْرِ
أَمْلَحُ النَّاسِ إِذَا جَرَّدَتْها	غَيْرَ مَحْمَلِينَ عَلَيْها وَسُورُ

قال عبد الكريم : هذه أَمْلَح وأشرف ما وقع فيه الوصف ، وهى أشبه
بنساء الملوك .. وأنشد لغيره : —

قليلة لحم الناظرين يزينا	شبابٌ ومخفوضٌ من العيش باردٌ
أرادت لتتأش الرواق فلم أقم	إليه ، ولكن طأطأته الولا تُد
تناهى إلى لهر الحديث كأنها	أخو سقطة قد أسلبته العوائد

(١) تنحون محاسنه : أى تقصها

(٢) هذه الأبيات من قصيدة للمزار اختارها أبو العباس الفضل الضبي فى
« الفضليات » وفى رواية للفضليات أبيات بين بعض هذه الأبيات وبعض قلعل
للتؤلف لم يقصد إلى اختيار قطعة كاملة من القصيدة يقفو بعض أبياتها بعضا
(٣) رواية للفضليات «أحمد التدى»

وأشهر النسيب كثيرة ، وهذا الذى أنشدته أفضلها فى مذاهب المتقدمين ،
وللمحدثين طريق غير هذه كثيرة الأنواع أيضا : فما أختار من ذلك ما مناسب
قول أبى نواس : —

حلت سعاد وأهلها سرفا قوما عدى ومحلة قدفا
وكان سعدى إذ نودعنا وقد اشرب الدمع أن يكيفا
رشا نواصبين القيان به حتى عقدن بأذنه شفا

فان هذا فى غاية الجودة ونهاية الإحسان ، وما مناسب قول مسلم بن الوليد :
أحبب التى صدت وقلت لربها : دعيه ، الثريا منه أقرب من وصل
أمائت وأحييت منهجى فعلى عندها معلقة بين الموايد والمطل
وما نلت منها نائلا غير أنى بشجر الهجين ألا تلى سلقوا قبلى
بل ربما وكنت عفى بنظرة إليها تزيد القلب خبلا على خبل
ومن الجيد قول الوليد بن عبيد البحرى : —

رددن ما خفت منه انصود إلى مافى المآزر فاستنقلن أردافا
إذا نصبت شقوف الريط آونة قشن عن لؤلؤ البحرين أصدافا
والبحرى أرق الناس نسيا ، وأملحهم طريقة ، ألا تسمع قوله : —

إنى وإن جانبى بعض بطالى وتوم الواشون أنى مقصر
ليشوقنى سحر العيون المحتلى و يروقى ورد الحدود الأحمر
وشعره من هذا النبط ، لاسيما إن ذكر الطيف ؛ فانه الباب الذى شهر
به ، ولم يكن لأبى تمام حلاوة توجب له حسن التغزل ، وإنما يقع له من
ذلك التافه اليسير فى خلال القصائد ، مثل قوله : —

يت أرعى الحدود حتى إذا ما فاروقى بقيت أرعى النجوم
(٨ - الممددة - ج - ٢)

وقوله أول قصيدة : —

أرأمة ، كنت مالف كل ريم لو استمعت بالأنس القيم
أدار البؤس ، حسنك التصابي إلى فصرت جنتات النعيم
ومما صرم البرحاء أني شكوت فما شكوت إلى ريم

وأما أبو الطيب فمن مليح ما سمعت له قوله : —

كثيراً توقاني العواذيل في الهوى كما يتوقى ريش الخيل حازمه
قضى نغم الأولى من اللحظ مهجتي بثانية ، والمتلف الشيء غارمه
سقاك وحيانا بك الله إنما على العيس نور والحدور كأنه
قد جاء بأملح شيء وأوفاه من الظرافة والغرابة . . وقوله يذكر ربح
أحبابه : —

نزلنا عن الأكواد عشي كرامة لمن بان عنه أن نلّم به ركبنا
نذم السحاب الغر في فعلها به ونعرض عنها كلما طلعت عتبا
وقال في ذكر الديار أيضاً : —

ودسنا بأخفاف المطي ثوابها فلا زلت أستشفى بلمن المناسم
ديار اللواتي دارهن عزيزة سمر القنا يحفظن لا بالتمام
حسن التثني يقيس الوشي مثله إذا مسن في أحسامهن النواعيم
ويبين عن درر قلدن مثله كأن التراق وشجت بالنباسم
ورد جماعة من الكتاب على العتاي ، وهو محلب ، وفي يده رقعة ، وقد
أطال فيها النظر والتأمل ، قال : رأيتم الرقعة التي كانت في يدي ؟ قالوا :
نعم . قال : لقد سلك صاحبها وادياً ما سلكه غيره ، فقه دره ، وكان في
الرقعة قول أبي نواس : —

رسم الكري بين الجفون محيل عقي عليه بكاء عليك طويل

باناظراً ما أفلحت لحظاته حتى تشحط بينهن قتيل
[روى] الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال : أغزل بيت قاله العرب
قول عمر بن أبي ربيعة : —

فَضاحِكُنَّ وَقَدْ قَانَ لَهَا : حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مِنْ تَوَدُّ

• وكان الأصمعي يقول : أغزل بيت قاله العرب قول امرئ القيس : —
وَمَادَرَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبَ بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْيَارِ قَلْبٍ مُقْتَلٍ
وحكى عن الوليد بن يزيد بن عبد الملك أنه قال : لم تقل العرب بيتاً أغزل
من قول جميل بن معمر : —

لِكُلِّ حَدِيثٍ بَيْنَهُنَّ بَشَاشَةٌ وَكُلِّ قَتِيلٍ عِنْدَهُنَّ شَيْدٌ

وفضله بهذا البيت سكتة بنت الحسين بن علي رضوان الله عليهم ، وأتابته
به دون جماعة من حضر من الشعراء .. وقال بعضهم : الأحوص من أغزل
الناس بقوله : —

إِذَا قُلْتُ إِنِّي مُشْتَفٍ بِلِقَائِهَا وَحُمُّ التَّلَاقِ يَبْتَازَادُنِي سَقَمًا

وقال غيره : بل جميل بقوله : —

يَمُوتُ الْهَوَى مَتَى إِذَا مَالَقَتِهَا وَيَحْيَا إِذَا فَارَقَتِهَا فَيَعُودُ

وقال آخر : بل جرير بقوله : —

فَلْيَا التَّقِيَّ الْحَيَّانِ أَلْقَيْتِ الْعَصَى وَمَاتِ الْهَوَى لَمَّا أَصِيبَتْ مَقَالَةً

والأحوص عندهم أغزلهم في هذه الآيات الثلاثة ؛ لزيادته سقماً إذا التقى
بالمحبوب ..

وقال الخاقاني : أغزل ما قاله العرب قول أبي صخر : —

فَيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَسْأَلُوهَ الْإِلَهِمْ مَوْعِدِكَ الْخَشَرُ

وقال أبو عبيدة : ما حفظت شعراً أحدث ، إلا قول أبي نواس : —

كَأَنَّ ثِيَابَهُ أَطْلَعَتْهُنَّ مِنْ أَرْزَارِهِ قَمَرًا

يَزِيدُكَ وَجْهًا حَسَنًا إِذَا مَا زَدْتَهُ نَظْرًا

بَيْنَ تَحَالُطِ التَّفْسِيرِ مِنْ أَجْفَانِهَا الْخَوَرَا

وَحَدَرِ سَابِرِي لَوْ تَصَوَّبَ مَأْوُهُ قَطْرًا

وللشعراء أسماء تخفف على الستهم وتحلو في أفواههم ، فهم كثيرًا ما يأتون بها زورًا نحو : ليلي ، وهند ، وسلي دودعد . ولبي ، وغفران ، وأروى ، وريثا ، وفاطمة ، ومية ، وعلوة ، وعائشة ، والرباب ، وجمل ، وزينب ، ونعم ، وأشباهن . . ولذلك قال مالك بن زغبة الباهلي ، أنشدته الأصمعي :-

وَمَا كَانَ طَيْبِي حَبِيبًا غَيْرَ أَنَّهُ يُقَامُ بَسْلَى فَتَوَافَى صُدُورُهَا

وأما عزة وبثينة فقد حماما كثير وجمل ، حتى كأنما حُرِّما على الشعراء . . وربما أتى الشعراء بالأسماء الكثيرة في القصيدة إقامة للوزن وتحلية للنسيب ، كما قال جرير :-

أَجْدَرُ وَأَحْ الْقَوْمِ لَأَتَ رَوْحُوا نَمَّ كُلِّ مَنْ يَغِي بِجَمَلٍ مَبْرَحٍ

ثم قال بعد بيت واحد :-

إِذَا سَابَرْتُ أَسْمَاءُ يَوْمًا ظَلَمَاتًا فَأَسْمَاءُ مِنْ تِلْكَ الظَّمَانِ أَمْلَحُ (١)

ظللن حوالى خيدر أسماء فاتحى بأسماء مَوَّارُ المِلاطين أرواح

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ أَسْمَاءٍ وَقَدِيرٌ حَتَّ بِهِ وَمَا كَانَ يَلْقَى مِنْ تَمَافِيرِ أُبْرَحٍ

وأما قول السيد الحميري :-

وَلَقَدْ تَكُونُ بِهَا أَوَانِسُ كَالْهَمَى هِنْدٌ وَعَبْسِدَةُ وَالرَّبَابُ وَبُوزَعٌ

فانه ثقيل من أجل بوزع . . وأنكر هذه اللفظة عبد الملك بن مروان على جرير ، فاظنك بالسيد الحميري ؟ وكلما كانت اللفظة أحلى كان ذكرها

في الشعر أشهى ، اللهم إلا أن يكون الشاعر لم يزور الاسم ، وإنما قصد الحقيقة لإقامة الوزن ، فيثبذ لا ملامة عليه ، ما لم يجد في الكنية مندوحة .. وقال يزيد بن أم الحكم : —

أَمْسَى بِأَسْمَاءَ هَذَا الْقَلْبُ مَعْتُودَا إِذَا أَقُولُ صَحًّا يَعْتَادُهُ عَيْدَا
 * كَانَ أَحْوَرَّ مِنْ غَزَلَانِ ذِي بَقَرٍ أَهْدَى لِعَائِشَةَ الْعَيْنِينَ وَالْجَيْدَا
 على أن بعضهم رواه « أَهْدَى لَهَا شَبَّ الْعَيْنِينَ » وهو أجود لا محالة ، ومثل هذا كثير في أشعار القدماء ، ولست أرى مثله من عمل المحدثين صوابا ، ولا علمته وقع لأحد منهم ، إلا ما ناسب قول السيد المتقدم آنفاً ، وقول أبي تمام الطائي : —

وإن رَحَلَتْ في ظعنهم وَحْدُوجُهُم زِيَانِبُ مِنْ أَحِبَابِنَا وَعَوَاتِكْ
 ومن عيوب هذا الباب أن يكثر التغزل ويقل المديح ، كما يحكى عن شاعر أتى نصر بن سيار بأرجوزة فيها مائة بيت نسيبا وعشرة أبيات مديحا ، فقال له نصر : وأنت ما بقيت كلمة عذبة ولا معنى لطيفاً إلا وقد شغلته عن مديحي بنسيك ، فان أردت مديحي فاقصد في النسيب ، ففدا عليه فأنشده : —

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ لَأَمْ عَمَّرُو؟ دَعْ ذَا وَحَبْرٌ مَدْحَةٌ فِي نَصْرِ
 فقال نصر : لا هذا ولا ذاك ، ولكن بين الأمرين .. فأما مذهبه الأول في طول النسيب وقصر المديح فان نصيبا اتبعه فيه ، ولكن ذاك منه إنما كان على اقتراح في القصيدة التي مدح بها بنى جبريل ، وأما المذهب الثاني فاتحله أبو الطيب في قوله : —

وَاحِرٌ قَلْبَاهُ مِنْ قَلْبِهِ شَيْمٌ وَمِنْ بَجْسِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقِيمٌ
 ثم خرج إلى المدح في البيت الثاني .. ويعاب على الشاعر أن يفتخر أو يتعاطى [فوق] قدره كما أخذ على عباس قوله : —

فَان تَقْتُلُونِي لَا تَهْوُوا بِمَهْجَتِي مَصَالِيَتْ قَوْمِي مِنْ حَافَةِ أَوْ عَجَلِ

وعيب على الفرزدق وهو صميم بن تميم قوله : —
يا أخت ناجية بن سامة إني أخشى عليك نبي إن طلبوا دمي
اللهم إلا أن يكون النسيب الذي يصنع مجازا كالذي في بسط القصائد ،
فإن ذلك لا بأس به ، ولا مكروه فيه .. وسمع ابن أبي عتيق قول ابن أبي
ربيعه المخزومي : —

بينما يَنْتَعِنِّي أَبْصَرْتُ دُونَ قَيْدِ الْمِيلِ بَعْدُوبِي الْأَعْرَ
قالت الكبرى : أتعرفن الفتى قالت الوسطى : نعم ، هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها : قد عرفناه ، وهل يخفى القمر ؟
فقال له : أنت لم تنسب بهن ، وإنما نسبت بنفسك ، وإنما كان ينبغي لك
أن تقول : قالت لي فقلت لها ، فوضعت خدي فوطئت عليه ، وكذلك قال
له كثير لما سمع قوله :

قَالَتْ لَهَا أَخْتَا تَعَانِيهَا : لَا تُفْسِدِينَ الطَّوَافَ فِي عُمْرِ
قَوْمِي تَصْدِي لِي لِأَبْصَرِهِ ثُمَّ اغْمَزِيه يَا أخت في خَطَرِ
قالت لها : قد غمزته فأبى ثم اسبَطَرَتْ تَشْدُدُ في أثرى
أهكذا يقال للمرأة ؟ إنما توصف بأنها مطلوبة ممتنة .. قال بعضهم -
أظنه عبد الكريم — : العادة عند العرب أن الشاعر هو المتغزل المتماوت ،
وعادة العجم أن يجعلوا المرأة هي الطالبة والراغبة المخاطبة ، وهنا دليل كرم
التحيزة في العرب وغيرتها على الحرم .. وعاب كثير على نصيب قوله : —
أهمٌ بدعٍ ماحيت ، فإن أمت فيأليت شعري من يهيم بها بعدي
حتى إنه قال له : كأنك اغتممت لمن يفعل بها بعدك ، وهو لا يكتفى .
ومثل هذه الحكاية ماقاله بعض الكتاب وقد دخل على علي بن عبد الله بن
جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهو

محموس فقال : أين هذا الجعفرى الذى يتدبث فى شعره ؟ قال على : فقلت
أنه يريدنى لقولى : —

ولما بدا لى أنها : لا تحببى وأن هواها ليس عنى بمنجلى
تمنيت أن تهوى سوائى لعلها تذوق صبايات الهوى فترق لى
فما كان إلا عن قليل وأشغفت بحب غزال أدعج الطرف أكل
وعذبها حتى أذاب فؤادها وفوقها طعم الهوى والتذلل
فقلت لها : هذا هذا ، فأطرقت حياء ، وقالت : كل من عايب ابتلى
فقلت : أنا هو جعلت فداك ، وأنا الذى أقول فى الغيرة : —

ربما سرقى صدودك عنى وطلأيك وامتناعك منى
حذرا أن أكون مقتاح غيرى فاذا ما خلوت كنت النمى

ويعاب ما ناسب قول الآخر ، وهو جميل : —

فلو تركت عقلى معى ما طلبتها ولكن طلائها لما فات من عقلى

لأن الصواب قول عباس ، أو مسلم : —

أبكى وقد ذهب الفؤاد ، وإنما أبكى لفقدك لالفقد الذاهب
فأما طرد الخيال والمجازاة فى المحبة فهو مذهب مشهور ، وقد ركه جلة
الشعراء ، ورواه رواة : منهم طرفة ، وليد ، ثم جرير ، ثم جميل ، فقال طرفة ،
وهو أول من طرقة : —

قُلْ لَيْلَالِ الحَنْظَلِيَّةِ يَنْقَلِبُ إِلَيْهَا ، فإني وأصيلُ حَبْلٍ مَنْ وَصَلَ
وقال ليلى فى مثل ذلك : —

فأقطعُ لُبَانَةً من تعرضَ وصله ولشرُّ وأصيلُ خَلَّةٍ صَرَامُهَا

يقول : أقطع المزار من تعرض وصله للقطيعة — ويقال : تعرض الشيء ،
إذا فسد ، حكاة الخليل — فان شر من وصلك من قطعك بلا ذنب ، يريد
الذى تعرض وصله ، ومن الناس من رواه * ولخير وأصيل خلة صرامها *

يقول: إن خيرَ مَنْ وصل الخلة من قطعها باستحقاق، يعني نفسه ..
وقال جرير : —

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ، وَلَيْسَ ذَا وَقْتِ الزَّيَاةِ فَارْجِي بِسَلَامٍ
عَلَى أَنْ قَوْمًا زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ مُحَرَّمًا، فَلَذَلِكَ طَرَدَ الْخَيَالَ، كَأَنَّهُ تَحْرَجُ وَلَيْسَ
طَرْدَ عَتَبٍ .. وقال جميل : —

وَلَسْتُ وَإِنْ عَزَّتْ عَلَى بَقَائِلٍ لَهَا بَعْدَ صَرْمٍ : يَا بُنَيْنُ صِلِيْنِي
وجرى على سنن هؤلاء جماعة من المولدين، واعتقدوا هذا المذهب قولاً
وفعلًا، حتى تعداه بعضهم إلى القتل، مثل عبد السلام بن رغبان، ونصر
الخايز أَرَزُ (١) ومن شاكلهما من الشطار، إلا أن أصل هذا المذهب عند
قدامة فاسد، وعاب على نابعة بني تغلب - واسمه الحارث بن عدوان، أحد
بني زيد بن عمرو بن غنم بن تغلب - قوله : —

بَجَلْنَا لِبَنِيكَ لَوْ تَطْلُبِينَ وَكَيْفَ يَسِيبُ بِجِيلٍ بِجِيلًا

لأن الواجب عنده في التغزل أن يكون على خلاف هذا، وكل ما لا يليق
بالمحجوب فهو مكروه في باب النسيب .. قالت عزة لكثير يوماً - ويقال
بثينة - ما أردت بنا حين قلت : —

وَدِدْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ أَنْكِ بِكَرَّةٍ وَأَنْتِ هِجَانٌ مُصْعَبٌ ثُمَّ نَهَرَبُ
كَلَانَا بِهِ عَرَّةٌ فَمَنْ يَرَنَا يَقُلْ عَلَى حُسْنِهَا جَرَّاهُ تُعْدِي وَأَجْرَبُ
نَكُونُ لَدِي مَالٍ كَثِيرٍ مُغْلٍ فَلَاهُ يَرَعَانَا وَلَا نَحْنُ نَطْلُبُ
إِذَا مَا وَرَدْنَا مَتَلًا صَاحَ أَهْلُهُ عَلَيْنَا، فَلَا تَنَفَّكُ تَرْتَمِي وَنُضْرَبُ
لقد أردت بنا الشقاء، أما وجدت أمنية أوطأ من هذه ؟ فخرج من

عندها جلا.. وإنما اقتدى بالفرزدق حيث يقول ، وهذا من سوء الاتباع :-

أَلَا لَيْتُنَا كُنَّا بِعَبْرَيْنِ لَا نَرِدُّ عَلَى حَاضِرٍ إِلَّا نَشَلُّ وَنُذَفُّ
كَلَانَا بِهِ عَرَّةً يُخَافُ رِقَاقَهُ عَلَى النَّاسِ مَطْلَى الْأَشَاعِرِ أَخْفُّ
بَارِضٍ خِلَاهُ وَحَدَنَا وَثِيَابُنَا مِنَ الرِّطِّ وَالْدِيْبَاجِ دِرْعٌ وَمَلْحَفُ
وَلَا زَادَ إِلَّا فَضْلَتَانِ : سُلَاقَةٌ وَأَيْقُضُ مِنْ مَا الْقِمَامَةِ قَرَقَفُ
وَأَشْلَاهُ لَحْمٌ مِنْ حُبَارَى بَصِيدُهَا إِذَا نَحْنُ شَيْئًا صَاحِبٌ مَتَأَلَفُ
لَنَامَا تَمَنِّيْنَا مِنَ الْعَيْشِ مَادَعَا هَدِيلاً بِنِعْمَانِ حَمَائِمِ هُتَفُ

وإذا كان بعيداً فافهم هذه الأمية التي كلها للحيوان الناطق ؟ لولا أنه ردها إلى نفسه حقيقة ، وإلا فما أملح الجمل نشوان يصيد الحبلى بالباذى ، ومعاب هذا الباب كثيرة ، وفيما قدمت منها دليل على باقيها .

واشتقاق التشبيب يجوز أن يكون من ذكر الشبية ، وأصله الارتفاع ، كأن الشباب ارتفع عن حال الطفولية ، أو رفع صاحبه ، ويقال : شب الفرس ، إذا رفع يديه وقام على رجليه .

قال الجاحظ : يقال : شبت النار شوباً ، وشب العرس يديه فهو يشب شيئاً ، ويقال : مالك عضاض ولا شباب ، انقضى كلامه .

ويجوز أن يكون من الجلاء ، يقال : شب الخمار وجه الجارية ، إذا جلاه ووصف ما تحته من محاسنه ؛ فكان هذا الشاعر قد أبرز هذه الجارية في صفته أباهاً وجلاها للعيون ، ومنه الشب الذي يحتل به وجوه الدنانير ، ويستخرج غشها ، ومنها : شبت النار ، إذا رفعت سناها وزدتها ضياءً .
وأشدد الأصمعي لعكاشة بن أبي مسعدة : —

• يَذِقُ عَنْهَا كُلَّ مَشْبُوبٍ أَعْر •

وقال : المشبوب الذي إذا رأته فزعت لحسنه .. قال ابن دريد : شبت

في الشعر شيئاً مثل نسبت نسيأ ، والنسب أكثر ما يستعمل في الشعر .

(٧٣) - باب في المدح

وسبيل الشاعر - إذا مدح ملكاً - أن يسلك طريقة الإيضاح والإشادة بذكره للممدوح ، وأن يجعل معانيه جزلة ، وألفاظه نقية ، غير مبتذلة سوقية . ويجنب - مع ذلك - التقصير والتجاوز والتطويل ؛ فإن للملك سامة وضجراً ، ربما عاب من أجلها ما لا يعاب ، وحرّم من لا يريد حرمانه ، ورأيت عمل البحترى - إذا مدح الخليفة - كيف يقل الآيات ، ويبرز وجوه المعاني ، فإذا مدح الكتاب عمل طاقته ، وبلغ مراده .

وقد حكى عن عمارة أن جده جريراً قال : يا بُنَيَّ ، إذا مدحت فلاتطيلوا المادحة ؛ فإنه ينسى أولها ، ولا يحفظ آخرها ، وإذا هجوت فخالقوا . قال عبد الكريم : وهذا ضد قول عقيل بن علفة المرادى ، وحكى غيره قال : دخل الفرزدق على عبد الرحمن بن أم الحكم ، فقال له عبت الرحمن : أبا فراس ، دعني من شعرك الذي ليس يأتي آخره حتى ينسى أوله ، وقال : قل في بيتين يعلقان بالرواة ، وأنا أعطيك عطية لم يعطكها أحد قط قبلي ، ففدا عليه وهو يقول : -

وأنت ابنُ بَطْحَاوَى قَرِيْشٍ ، وإن تشأ

تَكُنْ من قَئِفِ سَيلِ ذِي خَدَرِ غَمَرِ

. وأنت ابنُ سَوَّارِ اليَدِينِ إلى العلي

نَكَفَتْ بِكَ الشَّمْسُ المُضِيئَةُ البَدْرِ

فقال : أحسنت ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

وإذا كان الممدوح ملكاً لم يبال الشاعر كيف قال فيه ، ولا كيف أطب ، وذلك محمود ، وسواء المذموم ، وإن كان سوقة فإياك والتجاوز به

خطته ؛ فانه متى تجاوز به خطته كان كمن نقصه منها ، وكذلك لا يجب أن يقصر عما يستحق ، ولا أن يعطيه صفة غيره ؛ فيصف الكاتب بالشجاعة والقاضي بالحية والمهابة ، وكثيرا ما يقع هذا لشعراء وقتنا ، وهو خطأ ، إلا أن تصحبه قرينة تدل على صواب الرأي فيه ، وكذلك لا يجب أن يمدح الملك ببعض ما يتجه في غيره من الرؤساء ، وإن كان فضيلة ، وذلك مثل قول البحتري يمدح المعتز بالله : —

لا العذلُ يَرَدُّعُهُ ولا التعنيفُ عن كرمِ يَصُدُّهُ

فانه مما أنكر عليه أبو العباس أحمد بن عبد الله ، وقال : من ذا يعنف الخليفة على الكرم أو يصدده ؟ هذا بالهجاء أولى منه بالمدح ، وعيب على الأخطل قوله في عبد الملك بن مروان : —

وقد جعلَ اللهُ الخِلافةَ منهمْ لا يبيضُ لأعاري الخِوان ولا يجذبُ
وقالوا : لو مدح بها حرسيا لعبد الملك لكان قد قصر به ، قلت أنا : وإن كان فلا بد من ذكر الضيافة والقرى ، كقول ابن قيس الرقيات لمصعب ابن الزبير :

يلبسُ الجيشُ بالجيوشِ ويسقى لبَنَ البُخْتِ في عِساسِ الخَلنجِ
لأن هذا - وإن لم يعد به بمدحة العرب في سقى اللبن - فقد زاده رتبة عرف بها أنه ملك . وأجود منه في معناه قول حسان في آل جفنة : —

يَسْقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ بَرَدَى يُصْقِقُ بِالرَّحِيقِ السَّلِيلِ

ويروى « مسكا » وعابوا على الأحوص قوله للبلك : —

وأراك تفعل ما تقول ، وبعضهم مدق الحديث يقول ما لا يفعل

فقالوا : إن الملوك لا تمدح بما يلزمها فعله كما تمدح العامة ، وإن يمدح بالاغراق والتفضيل بما لا يتسع خیرهم لبذله . . ومن هذا النوع قول كثير : —

رأيت ابن ليلى يعترى صلب ماله مسائلُ شتى من غنى ومصرم
مسائلُ إن توجد لديك تحجد بها يداك ، وإن تُظلمَ بها تظلمَ
لأن هذا إنما يقع لمن دون الخليفة والملك ، وإنما أخذه من قول زهير
في هرم بن سنان ، وليس بملك ، ولذلك حسن قوله : —
هو الجواد الذى يعطيك نائله عفواً ، ويظلم أحياناً فيظلمُ
يريد أنه يُسأل أحياناً ما ليس قبله فيحمله ، هذا ، وقد قال الصولى في
شرح قول (١) حبيب : —

لو يفاجى ركن المديح كثيرٌ بمعانيه خالهن نسياً (٢)
طالب فيه المديح والتذ حتى فاق وصف الديار والتشيبا
سألت عون بن محمد الكندى : لم خص كثيراً ؟ فقال : سمعته يقول أمدح
الناس زهير والأعشى ، ثم الأختل وكثير . وحكى غير الصولى أن مروان
ابن أبى حفصة كان يقدم كثيراً فى المدح على جرير والفرزدق ، وما قدم به
زهير قوله : —

لو كان يقعد فوق النجم من كرم قومٍ با ولهم أو مجدهم قعدوا
قومٌ ميثان أبوهم حين تذهبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
إنسٌ إذا أمنوا ، جنٌ إذا فرغوا ، مرأون بهاليلٌ إذا جهدوا
مُحسدون على ما كان من نعم لا ينزع الله عنهم ماله حسدوا
ويروى • غرُّ بهاليل فى أعناقهم حديد • وقدمه قدامة بن جعفر

- (١) البيتان فى الديوان « ص ٢٦ » بتقديم الثانى على الأول من قصيدة بمدح
بها أبا سعيد محمد بن يوسف التخرى .
(٢) رواية الديوان • لوفادى ذكر المديح كثيراً • وكان فى الأصول كلها
« بمعانيهن » وهو خطأ ، وبه ينكسر وزن البيت

الكاتب فقال في كتابه نقد الشعر : لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس ، لا من طريق ما هم مشركون فيه مع سائر الحيوانات على ما عليه أهل الآلاب من الاتفاق في ذلك ؛ إنما هي العقل والعفة والعدل والشجاعة ؛ كان القاصد للمدح بهذه الأربعة مصيباً ، وبماسواها مخطئاً . فقال زهير : —

أَخِي ثِقَرٌ لَا يَهْلِكُ الْخَرُّ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يَهْلِكُ الْمَالُ نَائِلُهُ

لأنه قد وصفه بالعفة لقلة إمعانه في اللذات وأنه لا ينفد فيها ماله ، وبالسخاء لاهلاكه ماله في النوال وانحرافه إلى ذلك عن اللذات ، وذلك هو العقل ، ثم قال : —

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
أَرَادَ أَنْ فَرَحَهُ بِمَا يُعْطَى أَكْثَرَ مِنْ فَرَحِهِ بِمَا يَأْخُذُ ، فَوَافَى فِي وَصْفِ
السُّخَاءِ مِنْهُ : بِأَنْ جَعَلَهُ يَهْشُ ، وَلَا يَلْحَقُهُ مَضْضٌ ، وَلَا تَتَكَرَّرُهُ لِفَعْلِهِ ..
ثم قال : —

فَمَنْ مِثْلُ حِصْنٍ فِي الْخُرُوبِ وَمِثْلُهُ لِإِنْكَارِ ضَمِيرٍ أَوْ لِيُخْفِضَ يُجَادِلُهُ
فَأَتَى فِي هَذَا الْبَيْتِ بِالْوَصْفِ مِنْ جِهَةِ الشَّجَاعَةِ وَالْعَقْلِ ، فَاسْتَوْفَى فِي ضُرُوبِ
الْمَدْحِ الْأَرْبَعَةَ الَّتِي هِيَ فَضَائِلُ الْإِنْسَانِ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَزَادَهَا مَا هُوَ وَإِنْ
كَانَ دَاخِلًا فِي الْأَرْبَعَةِ فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ لَا يَعْرِفُ وَجْهَ دَخُولِهِ فِيهَا
حَيْثُ قَالَ « أَخِي ثِقَرٌ » فَوَصَفَهُ بِالْوَفَاءِ ، وَالْوَفَاءُ دَاخِلٌ فِي هَذِهِ الْفَضَائِلِ الَّتِي
قَدَّمْنَا ، وَقَدْ تَفَنَّى الشُّعْرَاءُ فَيَعِدُونَ أَنْوَاعَ الْفَضَائِلِ الْأَرْبَعِ وَأَقْسَامَهَا وَكُلَّ
دَاخِلٍ فِي جَمْعِهَا مِثْلَ أَنْ يَذْكُرُوا ثِقَابَةَ الْمَعْرِفَةِ ، وَالْحَيَاءَ ، وَالْيَانَ ، وَالسِّيَاسَةَ
وَالصَّدْقَ بِالْحُجَّةِ ، وَالْعِلْمَ ، وَالْحِلْمَ عَنْ سَفَاهَةِ الْجَهْلَةِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرِي
هَذَا الْجَرَى . وَهِيَ مِنْ أَقْسَامِ الْعَقْلِ ؛ وَكَذَلِكَ هُمْ الْقَنَاعَةُ ، وَقِلَّةُ الشَّهْوَةِ ،
وِطْهَارَةُ الْإِزَارِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ ، وَهِيَ مِنْ أَقْسَامِ الْعِفَّةِ ؛ وَكَذَلِكَ هُمْ الْحَيَاةُ ،
وَالْإِخْلَاصُ ، وَالدَّفْعُ عَنِ الْجَارِ ، وَالتَّكَايَةُ فِي الْعُسْدِ . وَقَتْلُ الْأَقْرَانِ ،

والمهابة ، والسير في المهامه والقفار الموحشة ، وما شاكل هذا ، وهو من أقسام الشجاعة ؛ وكذا كرم الساحة ، والتغابن ، والانفلام ، والتبرع بالنائل ، والاجابة للسائل ، وقرى الاضياف ، وما جانس هذه الاشياء ، وهي من أقسام العدل .. وأما تركيب بعضها من بعض فيحدث منها ستة أقسام : يحدث من تركيب العقل مع الشجاعة الضبر على الملمات ونوازل الخطوب ، والوفاء بالايعاد ؛ وعن تركيب العقل مع السخاء البر ، وإنجاز الوعد ، وما أشبه ذلك ؛ وعن تركيب العقل مع العفة التزهد ، والرغبة عن المسألة ، والاقتصار على أدنى معيشة ، وما أشبه ذلك ؛ وعن تركيب الشجاعة مع السخاء الانلاف ، والاخلاف ، وما جانس ذلك ؛ وعن تركيب الشجاعة مع العفة إنكار الفواحش ، والغيرة على الحرم ؛ وعن تركيب السخاء مع العفة الاسعاف بالقوت ، والايتار على النفس ، وما شاكل ذلك .. قال : وكل واحدة من هذه الفضائل الاربع المتقدم ذكرها وسط بين طرفين مذمومين مدح أبو الغتاهية عمرو بن العلاء ^(١) فأعطاه سبعين ألفاً وخلق عليه حتى لم يستطع أن يقوم ، فغار الشعر املذلك فجمعهم ثم قال : عجبا لكم معشر الشعراء ما أشد حسد بعضكم لبعض ، إن أحدكم يأتينا ليمدحنا فينسب في قصيدته بصديقه بخمسين بيتا فإيبلغنا حتى تذهب لذادة مدحه وروث شعره ، وقد أتى أبو الغتاهية فنسب في أبيات يسيرة .. ثم قال : —

(١) كان عمرو بن العلاء مولى عمرو بن حريث صاحب المهدي بمدح ، ومدحه أبو الغتاهية فأمر له بسبعين ألف درهم ، فأنكر ذلك بعض الشعراء ؛ وقال : كيف فعل هذا أجهل الكوفي ؟ وأي شيء مقدار شعره ؟ !! فبلغه ذلك ، فأحضر الرجل ، وقال : إن الواحد منكم ليدور على الممحن فلا يصيبه ، ويتعاطاه فلا يحسنه ، حتى يهيب بخمسين بيتا ، ثم يمدحنا ببعضها ، وهذا كأن الممحن يجمع له ، مدحن قصر التشبيب ، ثم قال : .. وذكر الأبيات التي ألفها المؤلف ، هذه رواية الأتاني

إني أمنتُ من الزمانِ ورَيْبِهِ لما علقتُ من الأميرِ حبالاً
لو يستطيعُ الناسُ من إجلاله لحدّوا له حرّاً الظودِ نعالاً
إن المطايا تشكيكِ لأنها قطعتُ إليك سباسباً ورمالاً
فاذا وردنَ بنا وردنَ خفافاً وإذا صدرنَ بنا صدرنَ قتالاً

ومن مליح ما لآلئ العتاهية في المدح قوله : —

فما استفاد المال إلا أفاده سواء كان الملك في كفه خلم
إذا انقسم المهدي نادت يمينه : ألا من أمانا زائرا فله الحكم
وله أيضا في معنى بيتي الفرزدق اللذين صنعهما لعبد الرحمن بن أم الحكم
فما ينلُ بيتي في السالين أعزُّ بناء ولا أرفعُ
فبيتُ بناء له هاشم وبيتُ بناء له ثعلب
ولو حاول الدهر ما في يديه لصاد وعزيبته أجدعُ

ومن المديح المخصوص عليه قول زهير : —

وفيهم مقاماتُ حسان وجوهها وأنديةٌ يفتابها القولُ والفعلُ
وإن جنتهم ألفت حولَ بيوتهم بحالٍ قد يشقُ بأحلامها الجهلُ
على مكثيرهم حق من يعتر بهم وعند المقلين السباحة والنذلُ
سعى بخدم قومٍ ليكن يذكركم فلم يفعلوا ولم يلبسوا ولم يألوا
فما كان من خير أئوه فاعما تواركه آله أباهم قيل
وهل ينبت الخلق إلا وشيعه وتفر من إلا في منابتها النخلُ

وكذلك أيضا قوله : —

من يلقي يوما على جلالة هرقا يلقى السباحة منه والندي خلصا
ليث يصر يصطاد الرجال إذا ما كذب اليت عن أفرانه صدقا

يَطْمَنُّهُمْ مَا رَتَمُوا حَتَّى إِذَا طَمَنُوا ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا اعْتَمَنَّا
فَضَلَ الْجَوَادِ عَلَى الْإِذْلِيلِ الْبَطَاءُ فَلَا يُعْطَى بِذَلِكَ مَمْنُونًا وَلَا نَزَقًا
هَذَا وَلَيْسَ كَنْ يَمِينًا بِمُخْطَبَةٍ وَسَطَ النَّدَى إِذَا مَا نَاطِقٌ نَطَقَا
لَوْ نَالَ حَتَّى مِنَ الدُّنْيَا بِمَكْرُمَةٍ أَفْقَى السَّمَاءَ لَنَالَتْ كَفَّهُ الْأَقْفَا
وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَصْدُ الشَّاعِرِ فِي مَدْحِ الْكَاتِبِ وَالْوَزِيرِ مَا اخْتَارَهُ قَدَامَةً
وغيره ، وكذلك ما تناسب حسن الروية ، وسرعة الخاطر بالصواب ، وشدة
الحزم ، وقلة الغفلة ، وجودة النظر للخليفة ، والنيابة عنه في المعضلات بالرأى
أو بالذات ، كما قال أبو نواس : -

إِذَا نَابَهُ أَمْرٌ قَامَا كَفَيْتَهُ وَإِمَا عَلَيْهِ بَانَكْفَى تَشِيرُ

وبأنه محمود السيرة ، حسن السياسة ، لطيف الحس ، فإن أضاف إلى ذلك
البلاغة ، والخط ، والفن في العلم ، كان غاية .
وأفضل ما مدح به القائد : الجود ، والشجاعة ، وما تفرع منها : نحو التخرق
في الميقات ، والافراط في التبعة ، وسرعة البطش ، وما شاكل ذلك .
ويعمد القاضي بما تناسب العدل والانصاف ، وتقريب البعيد في الحق ،
وتباعد القريب ، والاختصاص للضعيف من القوى ، والمساواة بين الفقير والغني ،
وانبساط الوجه ، ولين الجانب ، وقلة المبالاة في إقامة الحدود واستخراج
الحقوق ، فإن زاد إلى ذلك ذكر الورع ، والتخرج ، وما شاكلها ، فقد
بلغ النهاية .

وصفات القاضي كلها لائحة بصاحب المظالم ، ومن كان دون هذه الثلاث
(١) الطبقات سوى طبقة الملك فلا أرى لمدحه وجها ، فإن دعت إلى ذلك

(١) هذا استعمال كوفي ، وقد قال عنه الزعفراني « بمنزل عن الصواب »
والصحيح عند البصريين أن يقال « ثلاث الطبقات » فيعرف الممدود ويضيف
إليه الممد

ضرورة مدح كل إنسان بالفضل في صناعته ، والمعركة بطريقته التي هو فيها ،
وأكثر ما يعول على الفضائل النفسية التي ذكرها قدامة ، فإن أضيف إليها
فضائل عرضية أو جسمية : كالجمال ، والآبة ، وبسطة الخلق ، وسعة الدنيا ،
وكثرة الشجر ، كان ذلك جيداً ، إلا أن قدامة قد أتي منه ، وأنكره جملة
وليس ذلك صواباً ، وإنما الواجب عليه أن يقول : إن المدح بالفضائل
النفسية أشرف وأصح ، فأما إنكار ما سواها ككرة واحدة فما أظن أحداً يساعده
فيه ، ولا يوافق عليه

وقد كره الخذاق أن تمدح الملوك بما ناسب قول موسى شهوات
وروى لغيره : —

لَيْسَ فِيمَا بَدَأَ إِنَّا مِنْكَ عَيْبٌ عَابَهُ النَّاسُ غَيْرَ أُنْكَ فَانِي
أَنْتَ نَعْمَ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا يَبْقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
وذكر عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج من الحمام ، وهو الخليفة ، يريد
الصلاة ، ونظر في المرأة فأعجبه جماله ، وكان حسن الوجه ، فقال : أنا الملك الشاب
ويروي « الفقي » فقلقته إحدى حظاياها فقال لها : كيف تربيتي ؟ فتمثلت
بالبيتين المتقدم ذكرهما ، فتأير بهما ورجع ، فحجم فما بات إلا ميتاً تلك الليلة .
وروي عن بعض الملوك أنه قال : ما لهؤلاء الشعراء قاتلهم الله ، ربما
ذكرونا شيئاً نحن أكثر ذكرآله منهم فينقصون به علينا أوقات لذتنا ؟ !
يعني بذلك الموت .. ومن أشنع ما في ذلك قول أبي تمام : —

فَلْيَبْلُغْ عَمْرَهُ فَلَوْ مَاتَ فِي طَوْسٍ مَقِيمًا لَمَاتَ فِيهَا غُرِيًّا
فما الذي دعاه إلى ذكر الموت هنا إلا النكد والناغصة .. أجمع الناس
على تقديم قول كعب بن زهير يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم : —
نَحْمَلُهُ النَّاقَةَ الْأَدَمَاءَ مَعْتَجِرًا بِالْبَرْدِ كَالْبَدْرِ جَلِيَّةَ الظُّلَمِ
وَفِي عِطَافَيْهِ أَوْ أُنْثَاءَ رَيْطَانِهِ مَا يَسْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَمِنْ كَرَمٍ
(٩ م - الممددة - ج ٢)

والجهال يروون البيت الأول لآبي دهب الجمحي ، ويناسبه قول المعاج :-

يَحْمِلُنْ كُلُّ سُودَدٍ وَفَخْرٍ يَحْمِلُنْ مَا نَدْرِي وَمَا لَا نَدْرِي

قال الأصمعي : وأصله قول الحارث بن حلزة : —

وفعلنا بهم^(١) كما علم الله وما إن للحائنين دِماء

قال : ولم يقل قط شاعراً كما يعلم أحسن من هذه الثلاثة المعاني^(٢) .

قال أبو العباس المبرد : من الشعراء من يحمل المدح ، فيكون ذلك وجهاً

حسباً ؛ لبلوغه الارادة مع خلوه من الاطالة ، وبعده من الاكثار ، ودخوله

في الاختصار .. وذلك نحو قول الخطيب^(٣) : —

تَزُورُ فَتَى يُعْطَى عَلَى الْحَمْدِ مَالُهُ وَمَنْ يُعْطَى أَثْمَانُ الْمَكَارِمِ يُحْمَدُ

تَزُورُ فَتَى يُعْطَى عَلَى الْحَمْدِ مَالُهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخْلَدٍ

يَرَى الْبُخْلَ لَا يَتَّقَى عَلَى الْمَرْءِ مَالُهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخْلَدٍ

ورواه غيره • أن المال غير مخلد •

كُوبٌ وَمُتَلَفٌ إِذَا مَسَّاهُ تَهْلَلُ وَاهْتَزَّ اهْتِزَّازُ الْمُهَنْدِ

مَقَى تَأْتِيهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ نَجْدٌ خَيْرٌ نَارٍ عِنْدَ هَاجِرٍ مُوقِدِ

(١) سقط لفظ « بهم » من المصريين ، وهو كآثرى ، وورد الشطر الثاني

فيها • وما إن للحائنين دماء • على أن الحائنين بلقاء المعجمة جمع خائن ؛ ودماء بالذال

معجمة أيضا ، والصواب أن الحائنين بلقاء مهمة جمع خائن وهو الهالك وفعله

حان يحين حيناً ، ودماء بكسر الهمزة واللام يوقد ويقادح ، والماضي وقادحناهم فعلاً بابغلا يحيط به

إلا علم الله تعالى ، ولا دماء للمتعرضين للهلاك ، أى : لم يطلب بأثرهم ودمائهم

(٢) سبق الاعتراض على هذا التعبير

(٣) هكذا وردت رواية الأبيات في أصول هذا الكتاب ، والبيت الثاني

منها لا وجود له في الديوان (ص ٢٤) ولا معنى لبقائه قط لأنه من زيادات النسخ

لا غير إذ هو عبارة عن تكرير صدر الأول وعجز الثالث

تصرف في آياته هذه في أصناف المديح، وآتى بجمايع الوصف وجلة المدح على سبيل الاختصار في البيت الأخير.. ومثله قول الشماخ : —

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْثَى يَسْمُو إِلَى الْعَلِيَاءِ ^(١) مَنْطَعِ الْقَرِينِ

إِذَا مَارَايَةٌ رُفِيتْ لِيَجْدِي نَلَقَاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ *

انتهى كلامه.. ومن أفضل ما مدح به الملوك وأكثره إصابة للغرض ما نسب قول ابن كثرمة للمنصور : —

لَهُ لِحَظَاتٌ عَنْ حِفَا فِي سَرِيرِهِ ^(٢) إِذَا كَرَّمَهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلٌ

فَأُمُّ الذِّى أُمِّتَتْ أَمْنَةً الرَّدَى وَأُمُّ الذِّى أُوْعِدَتْ بِالشُّكْلِ تَاكَلٌ ^(٣)

وقول أبي العتامة في مدح الهادي : —

يَضْطَرِبُ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ إِذَا سَحَرَكَ مُوسَى الْقَضِيبُ أَوْ فَكَّرَا

وكذلك قول الجرمي الكنتاني في عبد الله بن عبد الملك بن مروان ،

وقد وفد عليه بمصر ، وروى للفرزدق في علي بن الحسين بن علي بن أبي

طالب رضى الله عنهم ، وقيل : بل قالها فيه اللعين المنقرى ، وقيل : بل

الآيات لداود بن مسلم في قثم بن العباس بن عبد الله بن العباس : —

فِي كَفِّهِ خَيْرٌ رَّأَى رِيحَهُ عَيْقُ مِنْ كَفِّ أَرْوَعَ فِي حَرْوَيْهِ شَمَمٌ

يُنْفِى حَيَاءً وَيُغْفَى مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

اجتمع الشعراء ياب المعتصم فبعث إليهم : من كان منكم يحسن أن يقول

مثل قول منصور النيمري في أمير المؤمنين الرشيد : —

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ

(١) في الديوان (ص ٩٦) « إلى الخيرات »

(٢) في المصرتين « خفافي » وهو تصحيف

(٣) في المصرتين « فلما .. وأما » وهو تحريف شنيع

إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاقُلْهُ رَافِعُهُ وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ مُتَضَعٌ
مَنْ لَمْ يَكُنْ بِأَمِينٍ اللَّهُ مُعْتَصِمًا فَلَيْسَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَنْتَفِعُ
إِنْ أَخْلَفَ الْغَيْثُ لَمْ تَخْلَفْ أَنْامِلُهُ أَوْ ضَاقَ أَمْرُهُ ذَكَرْنَاهُ فَيَتَسَّعُ
فَلْيَدْخُلْ ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَهْبٍ : فِينَا مَنْ يَقُولُ خَيْرًا مِنْهُ ، وَأَنْشُدْ : —
ثَلَاثَةٌ تَشْرِقُ الدُّنْيَا بِهِمْ جَهَنَّمُ شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
تَحْكِي أَفْعَالَهُ فِي كُلِّ نَائِلَةٍ الْغَيْثُ وَاللَّيْثُ وَالصَّمْصَامَةُ الذِّكْرُ
فَأَمْرٌ بِادْخَالِهِ وَأَحْسَنُ صِلَتِهِ ، قَالُوا : لَمَّا حَضَرَتْ الْحَطِيطَةُ الْوَفَاةَ قَالَ (١) :
أَبْلَغُوا الْأَنْصَارَ أَنَّ أَخَاهُمْ أَمْدَحَ النَّاسِ حَيْثُ يَقُولُ : —
يَقُشُونَ حَتَّى مَاتَهُمْ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمَقْبِلِ
قَالَ ثَعْلَبٌ : بَلْ قَوْلُ الْأَعَشَى : —

فَقَى لَوْ يُبَارَى الشَّمْسُ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا أَوْ الْقَمَرُ السَّارَى لَا لَقَى الْمُقَالِدَا
أَمْدَحَ مِنْهُ . وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ : بَلْ بَيْتُ جَرِيرٍ : —
أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُلُونِ رَاحِ
أَسِيرَ مَا قِيلَ فِي الْمَدْحِ وَأَسْهَلَهُ . وَقَالَ غَيْرُهُ : بَلْ قَوْلُ الْأَخْطَلِ : —
فَنَسِ الْمَدَاوِقَ حَتَّى يَسْتَفَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا
وَقَالَ دَعْبَلٌ : بَلْ قَوْلُ أَبِي الطَّمْحَانِ الْقَبِيِّ : —
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوَجُوهُهُمْ دُجَى الْقَيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْوَيْفَدَ ثَابِتُهُ
قَالَ : وَقَدْ تَنَازَعَ فِي هَذَا الْبَيْتِ - يَعْنِي بَيْتَ أَبِي الطَّمْحَانِ - قَوْمٌ ، وَفِي
بَيْتِ حَسَّانَ فِي آلِ جَفْنَةَ ، وَبَيْتِ النَّابِغَةِ : —

فَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبُ
وَبَيْتُ أَبِي الطَّمْحَانِ أَشْعَرُهَا . قَالَ الْحَاتِمِيُّ : بَلْ بَيْتُ زُهَيْرٍ : —

رآه إذا ماجتته مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الِذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
وَحَكِي عَلَى بْنِ هَارُونَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ : أَجْمَعُ أَهْلَ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ بَيْتِي
أَبِي نَوَاسٍ أَجُودُ مَا لِلْمَوْلَدِينَ فِي الْمَدْحِ ، وَهَذَا قَوْلُهُ : —

أَنْتَ الَّذِي تَأْخُذُ الْإِيْدَى بِحُجْرَتِهِ إِذَا الزَّمَانُ عَلَى أُنْبَاءِهِ كَلَحَا
وَكَلَّتْ بِالْدهْرِ عَيْنًا غَيْرَ غَافِلَةٍ مِنْ جُودِكَ فَتَأْسُو كُلُّ مَاجِرٍ حَا
رَوَى الْحَاتِمِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى قَالَ : سَمِعْتُ
ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ يَقُولُ : أَمَدَحُ بَيْتَ قَالَهُ مَوْلِدُ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ : —
تَغَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظُلِّ جَنَاحِهِ قَعْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي
فَلَوْ تَسَالُ الْأَحْدَاثُ عَنِّي مَا ذَرَّتْ وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَ مَكَانِي
قَالَ صَاحِبُ الْكِتَابِ : نَحْنُ إِلَى الْإِنْصَافِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى الْمَكَابِرَةِ
وَالْخِلَافِ ، وَأَبُو نَوَاسٍ ذَهَبَ مَذْهَبًا لَطِيفًا يَخْرُجُ لَهُ فِيهِ الْعَذْرُ وَالْتَّوْبِيلُ ،
وَالْإِلَافَا فِي صِفَةِ الْخَمُولِ أَشَدَّ مِمَّا وَصَفَ لَا سِيَّمَا عَلَى رِوَايَةِ مَنْ رَوَى * فَلَوْ
تَسَالُ الْأَيَّامُ عَنِّي *

وَمَنْ جِدَ مَا سَمِعْتَهُ لِمُحَدِّثٍ — وَأَظَنَّهُ لَا بِنَ الرُّومِيِّ فِي عِيْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ
ابْنِ وَهْبٍ ، وَرَأَيْتُ مِنْ يَرْوِيهِ لِأَبِي الْحُسَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبِ : —

إِذَا أَبُو قَلَمٍ جَادَتْ لَنَا يَدُهُ لَمْ يَحْمَدِ الْأَجُودَانِ : الْبَحْرُ وَالْمَطَرُ
وَلَوْ أَضَاءَتْ لَنَا أَنْوَارُ مُغْرَتِهِ تَضَاءَلِ النَّيِّرَانِ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَإِنْ مَضَى رَأْيُهُ أَوْ جَدَّ عَزَمَتُهُ تَأَخَّرَ الْمَاضِيَانِ : السِّيفُ وَالْقَدَرُ
مَنْ لَمْ يَبْتَ حَلِيزَةً مِنْ خَوْفِ سَطْوَتِهِ لَمْ يَزَلْ مِنَ الْمَرْعُوجَانِ : الْخَوْفُ وَالْخَذَرُ
يُنَالُ بِالظَّنِّ مَا يَتَوَقَّعُ الْعِيَانُ بِهِ وَالشَّاهِدَانِ عَلَيْهِ الْعَيْنُ وَالْأَثَرُ
كَأَنَّهُ وَزَمَامُ الدَّهْرِ فِي يَدِهِ يَرَى عَوَاقِبَ مَا يَأْتِي وَمَا يَنْزُرُ
وَقَالَ خَلْفُ الْأَحْمَرِ : أَغْلَبَ الْمَدْحَ وَأَكْثَرَهُ مَلَقًا قَوْلُ زُهَيْرٍ : —

رَأَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الِذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

أخوتهم لا يهلك الخرم ماله
غدت عليه غداة فوجدته
فقدته طورا وطورا يلمنه
فأعرض منه عن كريم مرزا
وقال طفيل الغنوي :-

جزى الله عنا جعفرأ حين أزلقت بنا نعلنا في الواطئين فرأيت
أبوا أن يملؤنا ولو أن أمنا تلاقى الذي لا قوة منا ألمت
وقال الأصمعي : أخلب الشعر قول حمزة بن يعض :-

قول لي والعيون حاجة : أقم علينا يوما فلم أقم
أي الوجوه أتجعت ؟ قلت لها : لا أي وجه إلا إلى الحكم
متى يقل حاجبا سرادقه هذا ابن يعض بالباب يتسم
قد كنت أسلت فيك مقبلا فهاهنا إذ حل أعطى سلى
وسأل الرشيد المفضل الضبي : أي بيت قالته العرب أمدح ؟ فقال :-
أغرأ أبلغ تأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

هكذا روايته فيه ، قال شرحبيل بن معن بن زائدة : كنت أسير تحت
قبة يحيى بن خالد ، وقد حج مع الرشيد ، وعديله أبو يوسف القاضي ، إذ
أناه أعرابي من بني أسد كان يلقاه إذا حج فيمدحه ، فأنشده شعرا أنكر يحيى
منه بيتا فقال : يا أخا بني أسد ، ألم أنهك عن مثل هذا الشعر ؟ ألا قلت كما
قال الشاعر :-

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم
هم يمتعون الجار حتى كأنما
أسود لها في غيل خفان أشبل
يلجأهم بين السماكين مقل
بها ليل في الاسلام سادوا ولم يكن
كأولهم في الجاهلية أول

همُّ القومُ إن قالوا أصابوا، وإن دعوا أجابوا، وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
ولا يستطيع الفاعلون قتالهم وإن أحسنوا في الثابتات وأجلوا
فقال أبو يوسف : لمن هذا الشعر أصلحك الله فما سمعت أحسن منه ؟ فقال
يحيى : يقوله ابن أبي حفصة في أبي هذا الفتى ، وأوماً إلى ، فكان قوله أسر
إلى من جليل الفوائد ، ثم التفت إلى وقال : يا شرحبيل ، أنشدني أجود
ما قاله ابن أبي حفصة في أيك ، فأنشده : —

نِعْمَ المناخُ لراغبٍ ولراغبٍ من تهيبُ جَوَاحِرِ الأزمانِ
مَنْ بَنُ زائدةً الذي زِيدَتْ به شَرْفاً على شَرْفِ بنو شَيْبَانِ
إِنْ عُدَّ أَيُّمُ الأَقْصَاءِ فاقمًا يَوْمَهُ يَوْمَ نَدَى وَيَوْمَ طِعَانِ
يَكْسو الأَمِيرَةَ والمُنَابِرَ بِهَجَةٍ وَيَزِينُهَا بِجَهَارَةٍ وَيَسَانِ
تَمْضَى أَسِنَّتُهُ وَيُسْفَرُ وَجْهُهُ فِي المَرْبِ عِنْدَ تَغْيِيرِ الأَلْوَانِ
نَفْسِي عِنْدَكَ أبا الوليدِ إِذَا بَدَأَ رَهْجُ السَّنَابِكِ والرِّمَاحِ دَوَانِي
فقال يحيى : أنت لا تدري جيداً مدح به أبوك ، أجود من هذا قوله : —
تشابه يومه علينا فأشكلا فلا نحن ندري أيُّ يومه أفضَلُ
أَيُّومُ نَدَاهُ الفَمْرُ ، أم يَوْمُ بَأْسِهِ ؟ وما منهما إلَّا أغرُّ مُحِبُّ
وما أخذ على الكيت قوله يمدح النبي صلى الله عليه وسلم : —

فاعتَبِ القولَ من فَوَادِي والشَّعرَ إلى مَنْ إِلَيْهِ مَغْتَتِبُ
إِلَى السَّراجِ المُنِيرِ أَحْمَدَ لَا يَعْدِلُنِي رَغْبَةٌ وَلَا رَهَبُ
عَنهُ إِلَى غَيْرِهِ وَلَوْ رَفَعَ النَّاسُ إِلَى العِيونِ وَارْتَقَبُوا
وَقِيلَ : أَفَرَطَ ، بَلْ قَصَدْتُ وَلَوْ كَحَفْنِي القَاتِلُونَ أَوْ ثَلَبُوا
إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ تَضَمَّنَتِ السَّارِضُ وَلَوْ عَابَ قَوْلِي العِيبُ
لَجَّ بِفَضْلِكَ اللِّسَانُ وَلَوْ أَكْثَرَ فِكَ الضُّجَّاجِ والصَّخْبِ

قالوا : من هذا الذي يقول في مدح النبي صلى الله عليه وسلم أفرطت ، أو يعنفه ، أو يثلبه ، أو يعيبه ، حتى يكثُر الضجاج والصخب ؟ ! ! وهذا كله خطأ منه ، وجهل بمواقع المدح ، وقال من احتج له : لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما أراد علياً رضي الله عنه ، فوری عنه بذكر النبي صلى الله عليه وسلم خوفاً من بني أمية .

ومن الشعراء من ينقل المديح عن رجل إلى رجل ، وكان ذلك دأب البحتری ، وفعله أبو تمام في قصائد معدودة : منها : —

• قَدْكَ أَتَيْتُ أَرْبَيْتَ فِي الْغُلَّاءِ •

نقلها عن يحيى بن ثابت إلى محمد بن حسان ، فأما الذي قال : « هن بنياتي أنكحن من شئت » فهو معذور إن لم يُثَبِّ ، فأما إن أثبت فذلك منه قلة وفاء ، وفرط خيانة

(٧٤) — باب الافتخار

والافتخار هو المدح نفسه ، إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه ، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار ، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار : فمن أبيات الافتخار قول الفرزدق : —

إِنَّ الَّذِي تَمَكَّ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَانَهُ أَمْرٌ وَأَطْلُ

قال أحمد بن يحيى : أعجز بيت قالته العرب قول امرئ القيس : —
ما ينكرُ الناسُ منا حين تملكهم كانوا عبيداً وكُنَّا نحنُ أرباباً ؟
وقال دعلج بن علي : أغر الشعر قول كعب بن مالك : —

ويبريد يذير دجوههم جبريل تحت لوائنا ومحمد

(٢) لم أجد هذا البيت في ديوانه ولا عثرت عليه فيما نحلّه امرؤ القيس

وقال الحاتمي : قول الفرزدق : —

تَرَى النَّاسَ إِن شَرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَفُؤَا
قال : ويتلوه قول جرير : —

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو نَعْمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابَا

وقال آخرون : بل بيت الفرزدق : —

وَنَحْنُ إِذَا عَدَّتْ مَعْدُ قَدِيمَهَا مَكَانُ النَّوَاصِي مِنْ وُجُوهِ السَّوَابِقِ
وقال غيرهم : بل قوله لجرير : —

وَإِذَا فَطَرْتَ رَأَيْتَ فَوْقَكَ دَارِمًا وَالشَّمْسُ حَيْثُ تَقْطَعُ الْأَبْصَارَا
وقيل : بل قول ابن ميادة - واسمه الرماح بن أبرد : —

وَلَوْ أَنَّ قَيْسًا قَيْسَ عِيلَانَ أَقْسَمْتُ عَلَى الشَّمْسِ لَمْ يَطْلُعْ عَلَيْكَ حِجَابُهَا
وأخبر بيت صنعه محدث عندهم بشار : —

إِذَا مَا غَضَبْنَا غَضِبَةً مُضْرِيَةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمًا
إِذَا مَا أَعْرَنَّا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلِهِ ذَرَا مِزْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا
ويروى * هَتَكْنَا سَمَاءَ اللَّهِ أَوْ مَطَرَتْ دَمًا *

ومن جيد الافتخار قول بكر بن النطاح الحنفي : —

وَمَنْ يَفْتَقِرْ مِنَّا يَمْشِ بِحُكَاةٍ وَمَنْ يَفْتَقِرْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ يَسْأَلِ
وَنَحْنُ وَصِغْنَا دُونَ كُلِّ قَبِيلَةٍ بِيَأْسٍ شَدِيدٍ فِي الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ
وَإِنَّا لَنَلْهُوَ بِالْجُرُوبِ كَمَا كَلَّمْتُ فَتَاةً يَسْقُدُ أَوْ سَخَابَ قَرْفَلِ

يعني قول الله عز وجل : (قل' للْمُخَلَّمِينَ' مِنْ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بِأَسْ شَدِيدٍ) فدعوا في خلافة أبي بكر إلى قتال أهل الرد. من بني حنيفة ، وبسبب هذا الشعر وأشباهه طلبه الرشيد أشد طلب ، وقال : كيف يفتخر على مضر ومنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خير البشر ؟ فهذا

افتخار بالشجاعة خاصة .. وعن افتخر بالكثرة أوس ابن مفرأ قال : —

ما تطلع الشمسُ إلّا عند أولنا ولا تغيّبُ إلّا عند آخرنا
وقد أنكر قدامة أن يمدح الإنسان بآبائه دون أن يكون ممدوحاً بنفسه ؛
لأن كثيراً من الناس لا يكونون كأبائهم ، والذي ذهب إليه حسن ، وأنكر
الجرجاني على أبي الطيب قوله : —

ما بقومي شرفُ بل شرفُوا بي وبنفسى فخرتُ لا يجحدوى
ولئما أخذه من قول على بن جبلة حيث يقول : —

وما سوّدت عجلاً ما ترغبرهم ولكن بهم سادت على غيرهم عجل
قال : وهذا معنى سوء يقصر بالممدوح وينقض من حبه ويحقّر من شأن
سلفه ، وإنما طريقة المديح أن يجعل الممدوح يشرف بآبائه والآباء تزداد شرفاً
به ؛ فجعل لكل واحد منهم خطأ في الفخر وفي المديح نصيباً ، وإذا حصلت الحقائق
كان النصيبان مقسومين بل كان الكل خالصاً لكل فريق منهم ؛ لأن شرف
الوالد جزء من ميراثه ومتقل المولده كاتتقال ماله ، فان رعى وحرس ثبت
وازداد ، وإن أهمل وضيع هلك وباد . وكذلك شرف الوالد يعم القبيلة وللولد
منه القسم الأوفر والحظ الأكبر .. قال صاحب الكتاب : والذي يقع عليه
الاختيار عندي ما ناسب قول المتوكل الليثي : —

إنا وإن احسابنا كرمت لسنا على الاحساب تشكّل^(١)
نبنّى كما كانت أوائلنا تبني وفعل مثل ما فعلوا

وقول عامر بن الطفيل الجعفرى : —

فاني وإن كنت ابن سيد عامر وفارسها المشهور في كل موكب
فما سوّدتني عامر عن ورائته أبى الله أن أتموياً ثم ولا أب

ومن أخصر ما قال المولدون قول إبراهيم الموصلى يفخر بولائه من خزيمه
ابن حازم النهشلي :-

إذا مضى الحمراء كانت أرومتي وقام بمجدي حازم وابن حازم
عطيت بأفنى شاحاً وتناولت يدأي الثرياً قاعداً غير قائم
ومن قول السيد أبي الحسن يفخر بقومه بني شيان :-

يا آل شيان لا غارت نجومكم ولا خبت ناركم من بعد توقيد
أتم دعائهم هذا الملك مذكر كنت قبل الخيول لإبرام وتوكيد
المنعمون إذا ما أزمة أزمت والواهبون عتيقات المزاويد
سيفكم أفتت كسرى مرأية في يوم ذي قار إذ جاءوا الموعد
وهذا هو الفخر الحلال غير المدعى فيه ولا المتحل ، وماعابه الأصمعي
وغيره قول عامر بن معشر بن أسحم يصف أسيراً أسروه :-

فظل يخالس المنقات فينا يُقاد كأنه جمل رقيق
وذلك بأنه وصف أسيرهم بأنه جائع يخالس القليل الممدوق من اللبن ،
ولمّا ذلك من الجهد . . ومن أجود قصيدة افتخر فيها شاعر قصيدة السمّول
ابن عادياء اليهودي ^(١) فانها جمعت ضروب المادح وأنواع المفاخر ، وهي
مشهورة .

(٧٥) - باب الرثاء

وليس بين الرثاء والمدح فرق ؛ إلا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل على أن
المقصود به ميت مثل « كان » أو « عدنا به كيت وكيت » أو ما يشاكل هذا
ليعلم أنه ميت .

(١) التي أولها :-

إذا المرء لم يندس من القوم عرضه فكل رداء يرتديه جيل

وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع ، بين الحسرة ، مخلوطا بالتلف
والأسف والاستعظام ، إن كان الميت ملكا أو رئيسا كبيرا ، كما قال النابغة
في حصن بن حذيفة بن بدر : —

يَقُولُونَ حِصْنٌ ثُمَّ تَأْتِي قُوسُهُمْ وَكَيْفَ يَحِصِّنِي وَالْجِبَالُ جُنُوحُ
وَلَمْ تَلْفُظِ الْمَوْفِ الْقُبُورُ ، وَلَمْ تَزَلْ نَجُومُ السَّمَاءِ ، وَالْأَدِيمُ صَحِيحُ
فَمَا قَلِيلٌ ثُمَّ جَاءَ نَعِيُهُ فَظَلَّ نَدِيُّ الْحَى وَهُوَ يَنُوحُ
فهذا وما شاكله رثاء الملوك والرؤساء الجللة ، وإلى هذا المعنى ذهب
أبو العتاهية حين قال : —

مَاتَ الْخَلِيفَةُ أَيُّهَا النَّقْلَانِ

فرفع الناس رؤوسهم ، وفتحوا عيونهم ، وقالوا : نعاه إلى الجن والانس ،
ثم أدركه اللين والفترة فقال : —

فَكَأَنِّي أَفْطَرْتُ فِي رَمَضَانَ

يريد : إني بمجاهرتي بهذا القول كأنما جاهرت بالافطار في رمضان نهارا
وكل أحد ينكر ذلك على ، ويستعظمه من فعل ، وهذا معنى جيد غريب في
لفظ ردي غير معرب عما في النفس

ومن أفضل الرثاء قول حسين بن مطير يرثي معن بن زائدة ، ويروى لابن
أبي حفصة : —

فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ ، كُنْتَ أَوَّلَ حَفْرٍ مِنَ الْأَرْضِ خُطَّتِ لَهَا حِمَاةٌ مَضْجَعًا
ويا قبر معن ، كيف واديت جوده؟ وَقَدْ كَانَ مِنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مُتَرَعًا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضَيَّقَتْ حَتَّى تَصْدَعَا
ففى عيش فى معروفه بعد موته كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ بِمَرَاهِ مَرْتَعَا
وما قصر أبو تمام فى رثائه محمد بن حيد بالقصيدة التى يقول فيها : —

أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ عَطَلْتُ لَهُ فِجَاجُ سَبِيلِ الثَّرِ وَاتَّقِرِ الثَّرِ
فَتَى كَلِمَا فَاضَتْ عِيُونُ قَبِيلَةٍ دَمًا ضَحِيكَتْ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالْفَشَرُ
وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ مِنَ الضَّرْبِ وَاعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَّا السُّمُرُ
فَتَى مَاتَ بَيْنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ مَيِّتَةً تَقُومُ مَقَامَ النُّصْرِ إِذْ فَاتَهُ النُّصْرُ
وَقَدْ كَانَ قُوْتُ الْمَوْتِ سَهْلًا فَرْدُهُ إِلَيْهِ الْحِفَازُ الْمُرُّ وَالْخُلُقُ الْوَعْرُ
وَنَفْسٌ تَخَافُ الْعَاكَرَ حَتَّى كَأَنَّمَا هُوَ الْكَفَرُ يَوْمَ الرُّوعِ أَوْ دُونَهُ الْكُفْرُ
فَأُتْبِتَ فِي مُسْتَبَقِ الْمَوْتِ رِجْلُهُ وَقَالَ لَهَا مَنْ تَحْتَ أَحْمَصِكَ الْحَشْرُ
وَقَدْ أَجَادَ أَيْضًا فِي الْقَصِيدَةِ الَّتِي رَأَى بِهَا إِدْرِيسُ بْنُ بَدْرِ الشَّامِيُّ يَقُولُ

فيها : —

وَلَمْ أُنْسَ سَعَى الْجُودِ خَلْفَ سَرِيرِهِ بِأَكْفٍ بِالِ يَسْتَقِلُّ وَيَظْلَعُ
وَتَكْبِيرِهِ خَمًّا عَلَيْهِ مُعَالِنًا وَإِنْ كَانَ تَكْبِيرُ الْمُصْلَبِ أَرْبَعُ
وَمَا كُنْتُ مُدْرِي — يَعْلَمُ اللَّهُ — قَبْلَهَا بَأَنَّ النَّدَى فِي أَهْلِهِ يَتَشَبَّعُ
وَلَيْسَ فِي ابْتِدَاءَاتِ الْمَرَاثِي الْمَوْلُودَةِ مِثْلُ قَوْلِهِ : —

أَصِمْتُ بِكَ النَّاصِي وَإِنْ كَانَ أَصَمًّا وَأَصْبَحَ مَغْنَى الْجُودِ بِمَدِّكَ بَلَقَمًا
يَرَى بِهَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمِيدٍ ، وَجَعَلَ خَاتِمَتَهَا : —

فَإِنْ تَرَمَ عَنْ عَمْرِو تَدَانِي بِهِ الْمَدَى فَخَانَكَ حَتَّى لَمْ تَجِدْ عَنْهُ مَذْرَعًا
فَمَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ لَأَفَى ضَرْبِيَّةً فَتَطْعُمَهَا ثُمَّ أَنْذَنِي فَتَقَطَّعَهَا
وَأَبُو تَمَامٍ مِنَ الْمَعْدُودِينَ فِي إِجَادَةِ الرِّثَاءِ ، وَمِثْلُهُ عَبْدِ السَّلَامِ بْنُ رَغْبَانَ دِيكُ
الْجَنِّ ، هُوَ أَشْهَرُ فِي هَذَا مِنْ حَبِيبٍ ، وَلَهُ فِيهِ طَرِيقٌ انْفَرَدَ بِهَا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ
قَتَلَ جَارِيَتَهُ وَانْتَهَمَ بِهَا أَخَاهُ ، ثُمَّ قَالَ يَرِثُهَا : —

يَا مَهْجَةً جِثْمَ الْحَمَامِ عَلَيْهَا وَجَنَى لَهَا ثَمَرُ الرَّدَى يَدِيهَا
رَوَّيْتُ مِنْ دَمِهَا التُّرَابَ ، وَرَجَمًا رَوَّى الْهَوَى شَفَنِي مِنْ شَفَتَيْهَا

حكمت سبي في مجال خناقها ومدامي تجري على خديها
فوحق نعلها لما وطى الحصى شيء أعز علي من نعلها
ما كان قنانيها لأنى لم أكن أخشى إذا سقط الغبار عليها
لكن بخلت على الأنام بحسنها وأتقت من نظير العيون إليها
وقال أيضاً فيها على بعض الروايات : —

أشقت أن يرد الزمان بقدره أو أتلى بعد الوصال بهجره
فقتله ، وله على كرامة ول الحشا وله الفؤاد بأثمه
قمر أنا أستخرجه من دجنه ليلى وزفتى من خدره
عهدي به ميتاً كأحسن نائم والحزن ينحردعق في نحره
الذى أعرف « ينحردعق » وهو أصح استعارة

لو كان يدري الميت ماذا بعده بالحي منه بكى له في قبره
فخصص تكاد تفيض منها فته ويكاد يخرج قلبه من صدره
والرواية الأخرى أن المنهم بالجارية غلام كان يهواه قتله أيضاً ، فصنع
فيه هذه الآيات فصنعت فيه أخت الغلام : —

يا وىج ديك الجن بل تبأله ماذا تظمن صدره من خدره
قتل الذى يهوى وعمر بعده يارب لا تمدد له فى صدره
ويكون الرثاء جملاً كالمدح المجل فوقع موقفاً حسناً لطيفاً : كقول ابن
المعز فى المعتضد : —

قصوا ما قصوا من أمره ثم قدّموا إماماً إمام الخيرة بين يديه
وصلوا عليه خاشعين كأنهم صفوف قيام لسلام عليه
وقال فى عبيد الله بن سليمان بن وهب : —

قد استوى الناس ومات الكمال وصاح صرف الدهر : أين الرجال !

هذا أبو العباس في نعشه قوموا انظروا كيف تسير الجبال
ياناصر الملك بأرائه بعدك للبلد ليل طوال
وذكر غير واحد أن أرثى بيت قيل : —

أَرَادُوا لِيُخَفُّوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ قَطِيبُ تُرَابِ الْقَبْرِ دَلَّ عَلَى الْقَبْرِ
ومن عادة القدماء أن يضربوا الأمثال في المرائي بالملوك الأعزة ، والأمم
السالفة ، والوعول الممتنعة في قُلَلِ الجبال ، والأسود الخادرة في الغياض ،
وبحمر الوحش المتصرقة بين القفار ، والنسور ، والعقبان ، والحيات ؛ لبأسها
وطول أعمارها ، وذلك في أشعارهم كثير موجود لا يكاد يخلو منه شعر . .
قال أبو علي : فأما المحدثون فهم إلى غير هذه الطريقة أميل ، ومذهبهم في الرثاء
أمثل ، في وقتنا هذا وقبله ، وربما جروا على سنن من قبلهم اقتداء بهم وأخذوا
بستمهم كالذي صنع أبو أيوب في رثائه أبا البيداء الأعرابي وخلف بن جارة
الأحر ومرأثيه فيهما فائتان وقافية مشهورات : إحداهن قوله : —

لَا تَتِلَّ الْعَصَمُ فِي الْمَضَابِرِ وَلَا شَعْرَاهُ تَقْدُو فَرَسَيْنِ فِي لُجْفٍ
والثانية قوله : — * لو كان حيا وانلا من التلّف *

والثالثة قوله في أبي البيداء : —

هَلْ مَظِلٌّ يَوْمُهُ عَفْرٌ بِشَاهِقَةٍ تَرَحَّى بِأَخْبَارِهَا شَيْئًا وَطِبَاقًا
وكما صنع ابن المعتز يرثى أباه بالقصيدة اللامية المقيدة في الرمل : —

رُبَّ حَتْفَوَيْنِ أَتْنَا الْأُمْلَ وَحَيَاةُ الْمَرْءِ ظِلٌّ مُنْتَقِلٌ

وهي أيضاً معروقة ، ولولا اشتها هذه القصائد ، ووجودها ، وخيفة
التطويل بها ؛ لأثبتها في هذا الموضع .

وليس من عادة الشعراء أن يقدموا قبل الرثاء نسياً كما يصنعون ذلك في

المدح والمهجاء ، وقال ابن الكلبي — وكان علامة — لا أعلم مرثية أولها نسيب إلا قصيدة دريد بن الصمة :

أَرَثُ جَدِيدُ الْحَيْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبَدٍ بِعَافِيَةٍ وَأَخْلَفْتُ كُلَّ مَوْعِدٍ ؟
وعن علي بن سليمان ، عن أبي العباس الأحول ، أن القصيدة التي لأبي قحافة أعشى باهلة ، إنما هي لابنة المنتشر ، واسمها الدعجاء .. قال : وقال علي بن سليمان : حدثني أبي أن أولها : —

هَاجَ الْفَوَاحِشُ عَلَى عِرْقَانِهِ الدَّكْرُ وَذَكَرَ خَوْذَ عَلَى الْيَوْمِ مَا يَذُرُّ
قد كنت أذكرها والدار جامعة والدهر فيه هلاك الناس والشجر
هكذا أنشده النحاس والذي أعرف « وذكر ميت » وأعرف أيضاً
« والدهر فيه هلاك الناس والغير » كذلك أنشدني الموصلي في الأغاني ،
ثم عطف النحاس فقال : هذان البيتان لا يعرفان في أول هذه القصيدة ؛ وبما
يزيد الاسترابة بهما أن المتعارف عند أهل اللغة أنه ليس للعرب في الجاهلية
مرثية أولها تشيب إلا قصيدة دريد ، وأنا أقول : إنه الواجب في الجاهلية
والاسلام ، وإلى وقتنا هذا ، ومن بعده ؛ لأن الأخذ في الرثاء يجب أن
يكون مشغولاً عن التشيب بما هو فيه من الحسرة والاهتمام بالمصيبة ؛ وإنما
تغزل دريد بعد قتل أخيه بسنة ، وحين أخذ ثأره ، وأدرك طلبته . وربما
قال الشاعر في مقدمة الرثاء « تركت كذا » أو « كبرت عن كذا »
و « شغلت عن كذا » وهو في ذلك كله يتغزل ويصف أحوال النساء ،
وكان الكعبية ركاباً لهذه الطريقة في أكثر شعره ؛ فأما ابن مقبل فمن جفاء
أعرايته أنه رثى عثمان بن عفان رضي الله عنه بقصيدة حسنة أتى فيها على
ما في النفس ، ثم عطف وقال : —

فزع ذا ، ولكن علفت جبل عاشق لآحدى شعاب الحين والقتل أريب
ولم تُنْسِني قَتْلِي قَرِيضٍ ظُلمائناً تَحْمِلُنَ حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَقْرُبَ

يظنّ بغيره يملأ ذا الصبا إذا رام أركوب الغواية أركب
 من الحيف ميدان ترى نطفاتها بمهلكة أخراصنّ تدب
 والنسيب في أول القصيدة على مذهب دريد خير مما ختم به هذا الجلف ،
 على تقدمه في الصناعة ، إلا أن تكون الرواية « ظمائن » بالرفع .
 • وما عيب به الكميّ في الرثاء قوله في ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم : —
 وبورك قبر أنت فيه وبوركت به وله أهلٌ بذلك يتربّ
 لقد غيّبوا يرأ وحزماً وناثلاً عشية واره الضريح المنصب
 حكاها الجاحظ وغيره وأظن أن المراد بما عيب الثاني من هذين البيتين ،
 فأما الأول فجيد . . ومن العجب أن يقول عبدة بن الطيب في تأيين قيس
 ابن عاصم : —

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورَحْمَتُهُ ما شاء أن يَرَحِّمًا
 نحية من ألبسته منك نعمة إذا زارَ عن شحطِ بلادك سلماً
 فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكِنَّ بُنيان قوم تهدما
 ويقول الكميّ في تأيين رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول ، فهلا
 قال مثل قول فاطمة رضى الله عنها : —

أغير آفاني السماء وكورت قمس النهار وأظلم القصران
 فالأرض من بعد النبي كشيبة أسفا عليه كثيرة الرجفان
 فليبك شرقي البلاد وغربها وليبك مضر وكل باني
 وليبك الطود المعظم جوّه والبيت ذو الأستار والأركان
 يا خاتم الرُّسُل المبارك صنوه صلّى عليك منزل القرآن
 صلى الله عليه وسلم ، ورحم وكرم وعظم . . والنساء أشجى الناس قلوباً
 عند المصيبة وأشدّهم جزعاً على هالك ؛ لما ركب الله عز وجل في طبعهن من
 (م ١٠ - للعمدة - ج ٢)

الخور وضف العزعة .. وعلى شدة الجزع بيني الرثاء ، كما قال أبو تمام :
لَوْلَا التَّمَنُّعُ لَدَعَيْ هَضْبُ الْحَى وَصَفَا الْمُشَقَّرُ أَنَّهُ مَعَزُونُ
فانظر إلى قول جليلة بنت مرة ترقى زوجها كلياً ، حين قتل أخوها
جساس ، ما أشجى لفظها ، وأظهر الفجعة فيه !! وكيف يثير كوامن
الأشجان ، ويقدح شر النيران ، وذلك : —

يا ابنة الأقوام إن لُمتِ فلا تَعَجَّلِي بِاللَّوْمِ حَتَّى تَسْأَلِي
فاذا أنتِ تَبَيَّنَتْ أَلَى عِنْدَهَا اللَّوْمُ قُلُوبِي وَاعْتَدِلِي
إن تكن اختُ امرئٍ لِمِتْ عَلَى جَزَعٍ مِنْهَا عَلَيَّ فافْعَلِي
فعلُ جساسٍ عَلَى صَنَّتِي بِهِ قَاطِعُ ظَهْرِي وَمَدْنِي أَجْلِي
لو بَعَيْنِ فُديتْ عَيْنِي رِوَى أَخْتَهَا وَانْفَعَاتُ لَمْ أُحْزَلِي
تَحْمِلُ الْعَيْنُ قَذَى الْعَيْنِ كَمَا تَحْمِلُ الْإِمَامُ قَذَى مَا تَفْعَلِي
إِنِّي قَاتِلَةٌ مَقْتُولَةٌ فَلَمَّ اللَّهُ أَنْ يَرْتَحِلَ لِي
يا قَتِيلًا قَوْضَ الدَّهْرِ بِهِ سَقَفَ بَيْتِي جَمِيعًا مِنْ عَلِي
ورماني قَدَهُ مِنْ كَيْبِ رِبِيَّةِ الدُّعَى بِهِ الْمُسْتَأْصَلِي
هَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي اسْتَحَدَثْتُهُ وَصَرَى فِي هَدْمِ بَيْتِي الْأَوَّلِي
مَسَى قَدَهُ كُلِّيْبِرٍ بِأَطْلَى مِنْ وَرَائِي وَأَفْلَى مُسْتَقْبَلِي
لَيْسَ مِنْ بَيْبِي لِيَوْمَيْنِ كَمَنْ إِنَّمَا يَكِي لِيَوْمٍ يَنْجَلِي
دَرَكُ النَّائِرِ شَافِيهِ (١) وَفِي دَرَكِي تَارِي مُكَلِّ الْمَشْكِلِ
لَيْتَهُ كَانَ دَمِي فَاحْتَلَبُوا دَرَرًا مِنْهُ دَمِي مِنْ أَكْحَلِي
ومن أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثى طفلاً أو امرأة ؛ لضيق الكلام

(١) يروى * يشقى للمدرك بالشار .. * ويروى أيضا * درك النائر

عليه فيما ، وقلة الصفات ، ألا ترى ما صنعوا بأبي الطيب - وهو لخل مجود
إذا ذكر المحدثون - في قوله يذكر أم سيف الدولة : -

صَلَاةُ اللَّهِ خَالَقْنَا حَنُوطَ عَلَى الْوَجْهِ الْمَكْفِيِّ بِالْجَمَالِ

فقالوا : ماله ولهذا العجوز يصف جمالها ؟ وقال صاحب بن عباد :
استعارة حداد في عرس ، فإن كان أراد صاحب بالاستعارة الحنوط فقد
والله ظلم ونعسف ، وإن كان أراد استعارة الكفن بجمال العجوز فقد
اعترض في موضع اعتراض إلى مواضع كثيرة في هذه القصيدة ، على أن
فيها ما يحول كل زلة ، ويعتقى على كل إساءة ، قال صاحب بن عباد : ولقد
مررت على مريثة له في أم سيف الدولة تدل مع فساد الحس على سوء أدب
النفس ، وما ظنك بمن يخاطب ملكا في أمه بقوله : -

رِوَاقُ الْمَرْءِ فَوْقَكَ مُسَبَّطٌ وَمَلِكٌ عَلَى ابْنِكَ فِي كَمَالٍ

ولعل لفظة الاسبطرار في مرأى النساء من الخذلان الصفيق الرقيق ،
وأنا أقول : إن أشد ما هجن هذا اللفظة وجعلها مقام قصيدة هجاء أنه قرنها
بقومك فجاء عملا تاما لم يبق فيه الافضاء .

ومن صعب الرثاء أيضاً جمع تعزية وتهنئة في موضع ، قالوا : لما مات
معاوية اجتمع الناس يباب يزيد ، فلم يقدر أحد على الجمع بين التهنئة والتعزية ،
حتى أتى عبيد الله بن همام السلولى فدخل فقال : يا أمير المؤمنين ، أجرك
الله على الرزية ، وبارك لك في العطية ، وأعانك على الرعية ، فقد رزئت
عظيما ، وأعطيت جسيما ، فاشكر الله على ما أعطيت ، واصبر على ما رزئت ،
فقد فقدت خليفة الله ، وأعطيت خلافة الله ، فقارقت جليلا ، ووهبت
جزيلا ، إذ قضى معاوية نجه ، ووليت الرياسة ، وأعطيت السياسة ، فأورده
الله موارد السرور ، ووفقك لصالح الأمور .

فصبر يزيدُ فقد طارقت ذائقة وأشكركُ حياءً أدى بالملك أصفاء

لَارْزُهُ أَصْبَحَ فِي الْأَقْوَامِ نَمْلُهُ كَمَا رُزِيتَ وَلَا عَقِيَّ كَقُبَا كَا
 أَصْبَحْتَ وَالْيَ أَمْرَ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَأَنْتَ تَرَعَاهُمْ وَاللَّهُ يَرَعَا كَا
 وَفِي مَعَاوِيَةَ الْبَاقِي لَنَا خَلْفٌ إِذَا بَقِيَتْ وَلَا نَسْمَعُ بِمَنْعَا كَا
 ففتح للناس باب القول . . وعلى هذا السنين جرى الشعراء بعده : فقال
 أبو نواس يعزى الفضل بن الربيع عن الرشيد ، ويهنته بالأمين : —
 تَمَزَّ أبا العباسَ عَنْ خَيْرِ هَالِكٍ بِأَكْرَمِ حَيٍّ كَلَنَ أَوْ هُوَ كَائِنُ
 حَوَادِثُ أَيَّامٍ تَدُورُ صُرُوفُهَا لَهْنٌ مَسَاوِي مَرَّةً وَنَحَّاسِنُ
 وَفِي الْحَيِّ بِالْمَيِّتِ الَّذِي غَيَّبَ التَّرَى فَلَا الْمَلِكُ مَغْبُونٌ وَلَا الْمَوْتُ غَائِبُ
 ويروى * فلا أنت مغبون * واتبه أبو تمام بالقصيدة التي أولها : —

مَا لِدُوعِ قَرُومٍ كُلِّ مَرَامٍ

يقولها للوائق بعد موت المعتصم ، صرف الكلام فيها كيف شاء ، وأظن
 كما أراد ، واحتج فيها فأسهب ، وتقدم فيها على كل من سلك هذه الناحية من
 الشعراء ، وأراد ابن الزيات مجاراته فلم من نفسه التقصير فاقصر على
 قوله : —

فَدَقَلْتُ إِذْ غِيوكَ وَاصْطَفَقْتُ عَلَيْكَ أَيْدٍ بِالتَّرْبِ وَالطَّيْنِ
 أَهْبَ فَنَعَمَ الْمَعِينُ كُنْتُ عَلَى الدُّ نَيْسَا وَنَعَمَ الظَّيْرِ لِلدَّيْنِ
 لَنْ يَجْبِرَ اللَّهُ أُمَّةً نَقَدْتُ مِثْلَكَ إِلَّا بِمِثْلِ هَارُونِ
 ومن جيد ما رثى به النساء وأشجاء وأشدّه تأثيراً في القلب وإثارة للحزن
 قول محمد بن عبد الملك هذا في أم ولده : —

أَلَا مَنْ رَأَى الطُّفْلَ الْمَفَارِقَ أُمَّةً بُعِيدَ الْكَرَى عَيْنَاهُ تَبْتَدِرَانِ
 رَأَى كُلَّ أُمٍّ وَأَبْنَاهَا غَيْرَ أُمَّةٍ يَبْتَئِنَانِ تَحْتَ اللَّيْلِ يَنْتَحِيَانِ^(١)

وبات وحيداً في الفراش تحشّه
بلا بل قلب دائم الحفقدان
يقول فيها بعد أبيات : —

ألا إن سَجَلًا واحدًا قد أرققته من الدمع وسَجَلَيْنِ قد شَقِيَا فِي
فلا تَلَحَّيَايَ إن بكيت فأنما أداوى بهذا الدمع ما ترياى
وإن مكاناً في الثرى خُطَّ لحده لمن كان في قلبي بكل مكان
أحقُّ مكانٍ بالزيارة والهوى فهل أتما إن عَجْتُ مُنْتَظِرًا إِنْ
ومن أشجى الشعر رثاء قوله في هذه القصيدة : —

فهبني عَزَمْتُ الصَّبْرَ عَنْهَا لِأَنِّي جَلِيدٌ فَمَنْ بِالصَّبْرِ لِأَنْ تَمَانِي ٢٩
ضعيف القوى لا يعرف الأجر حِسْبَةً ولا ياتسَى بالناس في الحدَثَانِ
ألا من أمنيته المني فَأَعُدُّهُ لعمرة أيامي وصَرْفِ زَمَانِي
ألا من إذا ما جئتُ أَكْرَمَ مَجْلِسِي وَإِنْ غِبْتُ عَنْهُ حَاطِنِي وَرَعَانِي
فلم أرَ كالأقدار كيف تصينني ولا مِثْلَ هذا الدهر كيف رَمَانِي
فهذه الطريق هي الغاية التي يجرى حذاق الشعراء إليها ، ويعتمدون في
الرثاء عليها ، مالم تكن المريئة من نساء الملوك ، وبنات الأشراف ، وغير
ذوات محارم الشاعر ، فإنه يتجافى عن هذه الطريقة إلى أرفع منها ، نحو
قول أبي الطيب : —

وَلَوْ أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ قَدَدَنَا (١) لَفَضَّلْتِ النِّسَاءَ عَلَى الرِّجَالِ
وقوله في هذه القصيدة : —

مشى الأمراء حوليها حَفَاةً كَأَنَّ المَرَوَ مِنْ زِفِّ الرِّثَالِ
ونحو قوله لاخت سيف الدولة : —

يَا أُخْتَ خَيْرٍ أُخْرٍ ، يَا بِنْتَ خَيْرِ آبٍ كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النِّسَبِ

أَجَلُ قَدْرِكَ أَنْ تُدْعَى مُؤْتَةً وَمَنْ يَصْنَعُ قَدْ سَأَلَ لِقَرَبِ
ورثاء الأبطال أن يذكر مخلصهم ، وما كانت القرامنة تعطيه فيهم ، مع
بحر لخصهم ، وتجمع بهم ، كالذي صنع أبو تمام في ابني عبد الله بن طاهر

(٧٦) — باب الاقتضاء والاستنجاز

حسب الشاعر أن يكون مدحه شريفاً ، واقتضاه لطيفاً ، وهماؤه إن هجا
عفيفاً ، فإن الاقتضاء الحسن ربما كان سبب المتع والحرمان ، وداعية القطيعة
والهجران ، وقوم يدرجون العتاب في الاقتضاء ، والاقتضاء في العتاب ، وأنا
أرى غير هذا المذهب أصوب ، فالأقتضاء طلب حاجة ، وباب التلطيف فيه
أجود ، فإن بلغ الأمر العتاب فأنما هو طلب الإبقاء على المودة والمراعاة ،
وفيه توبيخ ومعاذة لا يجوز معها بعد الاقتضاء ، إلا أن الناس خلطوا هذين
البابين ، وساواهما بينهما : فن أحسن الاقتضاء — على ما تخيرته ، ونحوه إليه —
قول أمية بن أبي الصلت لعبد الله بن جدعان : —

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك ؟ إن شيمتك الحياء
وعلمك بالحقوق وأنت فرغ لك الحسب المهذب والسناء
تحليل لا يفسره صباح عن الخلق الجميل ولا مساء
فأرضك كل مكرمة بتها بنو تيم وأنت لها سما
إذا أتى عليك المرء يوماً كفاؤه من كرفه التنا
تبارى الريح مكرمة وجوداً إذا ما الكلب أحجره الشتاء
فأنت ترى هذا الاقتضاء كيف يلين الصخر ، ويستنزل القطر ، ويحفظ
المنم إلى السهل ؟؟ ومثله قول الآخر : —

لاشكرتك بعروفاً تممت به إن اهتمامك بالمعروف معروف
ولا ألومك إن لم يفضه قدر فالتى بالقدرة المحتوم معروف

وأما ما ناسب قول محمد بن يزيد الأموي لعيسى بن فرخان شاه إذ يقول
له مستبطاً : —

أبا موسى ، سقى أرضَكَ دان منسِلي القطرِ
وزادَ الله في قَدْرِكَ ما أخلت من قدرى
لقد كنت أرَجِّيكَ لما أخشى من الدهر
قد أصبحت من أوكدِ أسبابي إلى الفقر
أترضى لى بأن أَرْضى بتقصيرِكَ فى أمرى ؟
وقد أفيت ما أَفْتَيْتُ فى شكرِكَ من عمرى
مواعيد كما أخت سراب المِهمَةِ الفقيرِ
فمن يوم إلى يوم ومن شهر إلى شهر
فلم أحصلْ على قِمة ما قلعت من ظفرى
لعلَّ الله أن يصنع لى من حيث لا أدرى
فألقاك بلا شكر وتلقانى بلا عذر
ولا أرجوك فى الحالىـن لا العسر ولا اليسر

فهذا هو العتاب الممض ، والتوبيخ الذى دونه الجلد بالسوط ، بل
بالسيف ، وما صنعت فى العتاب على هذا الشكل بعد اليأس المستحكم
على ما شرطته : —

رَجَوْتُكَ للأمر المِهم وفى يدي بقايا أمي النفس فيها الأمانيا
فساوتنى الأيام حتى إذا انقضت أواخر ما عندي قطعت رجائيا
وكنتُ كأنى نازف البئر طالبا لأجامها أو يرجع الماء طافيا
فلا هو أبقى ما أصاب نفسه ولا هى أعطته الذى كان راجيا
ومن أطلع ما رأيته فى الاقتضاء والاستبطاء قول أبى العتاهية لعمر بن
العلاء ، وابن المعتز يسمى هذا النوع مزحاً يراد به الجِد ، وهو : —

أصابت علينا جودك العين يا عمر
سزقيك بالأشعار حتى تملها
فحن لها نبغي التمام والنشر
فان لم تفق منها رقيناك بالسور
وكنت أنا صنعت في استبطاء :-

أحسنّت في تأخيرها مئة^١ لو لم تؤخر^٢ لم تكن كاملة
وكيف لا يحسن تأخيرها بعد يقيني أنها حاصله ٢٢
وجنة^٣ الردوس يدق^٤ بها آجلة^٥ للمرء لا عاجلة
لكنها أضعف من همي أيام عمر^٦ دونها زائلة
والعتاب أوسع حداً من الاقتضاء ؛ لأنه يكون مثله بسبب الحاجات ، وقد
يكون بسبب غيرها كثيراً ، والاقتضاء لا يكون إلا في حاجة

(٧) - باب العتاب

العتاب - وإن كان حياة المودة ، وشاهد الوفاء - فانه باب من أبواب
الحذيفة ، يسرع إلى الهجاء ، وسبب وكيد من أسباب القطيعة والجفاء ، فإذا
قل كان داعية الألفة ، وقيد الصحبة ، وإذا كثر خشن جانبه ، وثقل صاحبه .
والعتاب طرائق كثيرة ، وللناس فيه ضروب مختلفة : فمنه ما يمازجه
الاستعطاف والاستتلاف ، ومنه ما يدخله الاحتجاج والاتصاف ، وقد
يعرض فيه المن والاجحاف ، مثل ما يشركه الاعتذار والاعتراف ، وأحسن
الناس طريقاً في عتاب الاشراف شيخ الصناعة وسيد الجماعة أبو عبادة
البحري الذي يقول :-

يربيني الشيء^١ تأتي به وا^٢ كبير قدرك^٣ أن أستريا
وأكره أن أتمادى على سبل اغترار فألقى شعوباً
أكذب ظني بأن قد سخطت وما كنت أعهد ظني كدوباً
ولو لم تكن ساخطاً لم أكن أذم^٤ الزمان وأشكو الخطوباً

ولا بد من لومة أُنحى عليك بها مخطئاً أو مصياً
 أَيْصْبَحُ وَرَدَىٰ فِي سَاحَتِكَ طَرَفَاوِمَةً عَائِي مَخْلَاجِدِيَا !!
 أَيْعُ الْأَحَبَّةُ يِعُ السَّوْلَمُ وَأَسَىٰ عَلَيْهِمْ حَبِيْبَا حَبِيْبَا
 فَنِي كُلَّ يَوْمٍ لَنَا مَوْقِفٌ يَشْقَىٰ فِيهِ الْوَدَاعُ الْجِيُوبَا
 وَمَا كَانَ سُخْطُكَ إِلَّا الْفِرَاقُ أَفَاضَ الدَّمُوعَ وَأَشْجَى الْقُلُوبَا
 وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ ذَنْبًا لَمَا تَخَالَجْنِي الشُّكُ فِي أَنْ أُتُوبَا
 سَاصْبِرُ حَتَّىٰ آتَانِي رِضَا كَ إِمَّا بَعِيدًا وَإِمَّا قَرِيْبَا
 أَرَأَيْتَ رَأْيَكَ حَتَّىٰ يَصِحَّ وَأَنْظِرْ عَظْفَكَ حَتَّىٰ يُوْبَا
 وَالَّذِي يَقُولُ أَيْضًا : -

وَأَصِيدَ إِنْ نَازَعْتُهُ اللَّحْظَ رَدَّهُ كَلِيْلًا وَإِنْ رَاجَعْتُهُ الْقَوْلَ حَمَمَهَا
 ثَنَاهُ الْعَدَىٰ عَنِّي فَأَصْبَحَ مَعْرَضًا وَأَوْهَمَهُ الْوَاشُونَ حَتَّىٰ تَوَهَّمَا
 وَقَدْ كَانَ سَهْلًا وَاضِحًا فَتَوَعَّرْتُ رُبَاهُ وَطَلَقًا ضَاحِكًا فَتَجَهَّمَا
 أَمْتَحِذْ عِنْدِي الْإِسَامَةَ حَسَنٌ وَمَتَقَمٌ مِنِّي أَمْرٌ كَانَ مِنْعَمَا ؟
 وَمَكْتَسِبٌ فِي الْمَلَامَةِ مَاجِدٌ يَرَى الْحَدَّ غَنَمًا وَالْمَلَامَةَ مَقْرَمًا
 يَخُوفُنِي مِنْ سُوءِ رَأْيِكَ مَعِشْرٌ وَلَا خَوْفَ إِلَّا أَنْ تَجُورَ وَتَقْلُبَا
 أَعِيْذُكَ أَنْ أَخْشَاكَ مِنْ غَيْرِ حَادِثٍ تَبَيَّنَ أَوْ جُرْمٌ إِلَيْكَ تَقْدَمَا
 أَلَسْتُ الْمَوَالِي فِيكَ غُرَّةَ تَهَانِدٍ هِيَ الْأَنْحَمُ اقْتَادَتْ بِمَعَ اللَّيْلِ أَنْجِمَا
 ثَنَاهُ كَأَنَّ الرُّوضِ فِيهِ مَنُورٌ ضَحَا وَكَأَنَّ الْوُثَىٰ فِيهِ مُنَمَّمَا
 وَلَوْ أَنَّنِي وَقَرَّتْ شَعْرِي وَقَارَهُ وَأَجَلَّتْ مَدْحِي فِيكَ أَنْ يَتَهَضَّأَا
 لَا كَبُرْتَ إِنْ أَوْمَىٰ إِلَيْكَ بِأَصْبَعٍ تَضَرَّعُ أَوْ أَدْنَىٰ لِمَعْذِرَةٍ فَا
 وَكَانَ الَّذِي يَأْتِي بِهِ الدَّهْرُ هَيْئًا عَلَىٰ وَلَوْ كَانَ الْجَنَامُ الْمُقْدَمَا

ولكنني أعليّ تحلى أن أرى مذلاً وأستحييك أن أتعظماً
فهذا عتاب كما قال : -

عتابٌ بأطراف التوافي كأنه طيمانٌ بأطراف القنا المتكسر
وقد نحت أنا هذا النحو في كلمة عاتبت بها القاضي جعفر بن عبد الله
الكوفي قلت فيها : -

وقد كنت لا آتي إليك مختلاً ، ولا أتى عليك تصنعاً
ولكن رأيت المدح فيك فريضة على إذا كان المديح تطوعاً
فقتت بما لم يخف عنك مكانه من القول حتى ضاق بما توسعاً
ولو غيرك الموسوم عني بريبة لأعطيت منها مدعى القول مادعي
فلا تتخالجت الظنون فانها ما بينم ، وأترك في الصنع موضعاً
فوالله ما طوأت بالأمم فيكم لساناً ، ولا عرضت للذم مسمماً
ولا ملت عنكم بالوداد ، ولا انطوت رجباً ، ولا ولي ثعالب ، مودعاً
بل ربما أكرمت نفسي فلم تمن ولم أرض بالظلمة الزهيد ، ولم أكن
فباينت لأن العداوة باينت وقاطعت لا أن الوفاء قطعاً
ألوذ بأكنافر الرجاء ، وأتقى شحات العدا ، إن لم أجد فيك طمعاً
ومن معاتبات أبي تمام قوله لابن عبد الملك الزيات : -

أئن رحمتي أوجدتني في قلبي ما لا لقد أهدتني منك مؤثلاً
وإن رمت أمراً مديراً الوجه لافى لأترك حظاً في فناءك مقبلاً
وإن كنت أخطو ساحة المحل إتي لأترك روضاً من جدالك وجدولاً
كذلك لا يلقي المسافر رحله إلى متقل حتى يخلف متقلاً
ولا صاحب التطواف يقر منهلاً وربما إذا لم يغفل ربما ومنهلاً

ومن ذا يداني أو ينائي ؟ وهل قى
 فمرني بأمر أخوذي فاني
 فسيان عندي صادفوا لي معلنًا
 أعاب به أو صادفوا لي مقتلاً
 ومن قصيدة أخرى لأبي تمام : —

تَقَعَّطَتِ الْأَسْبَابُ إِنْ لَمْ تَنْرُهَا
 قُوَى أَوْ يَصِلْهَا مِنْ بَيْنِكَ وَاصِلُ
 سَوَى مَطْلَبٍ يُنْفِى الرَّجَاءَ بِطَوْلِهِ
 وَتَخْلُقُ إِخْلَاقَ الْجَفَوْنَ الْوَسَائِلُ
 وَقَدْ تَأَنَّفُ الْعَيْنُ الدَّجَى وَهُوَ قَيْدُهَا
 وَبُرْحَى شِفَاهِ السَّمِّ وَالسَّمُّ قَاتِلُ
 وَلِي عِدَّةٌ تَمْضَى الْمَصُورَ وَإِنِهَا
 كَهَبِكَ مِنْ أَيَّامٍ مِصْرَ لَحَائِلُ
 سَيُونُ قَطَعْنَاهُنَّ عَشْرًا كَأَنَّمَا
 قَطَعْنَا لِقَرَبِ الْعَهْدِ مِنْهَا مَرَّاحِلُ
 وَإِنْ جَزِيلَاتُ الصَّنَائِعِ لَامْرِيءَ
 إِذَا مَا اللَّيَالَى نَاكَرَتْهُ مَعَاقِلُ
 وَإِنْ الْمَعَالَى يُسْتَرَمُّ بِنَاوِهَا
 سَرِيحًا ، كَمَا قَدْ تَسْتَرِمُ الْمَنَازِلُ
 وَلَوْ حَارَدَتْ شَوْلُ عَذْرَتُ لِقَاحِهَا
 وَلَكِنْ حُرْمَتُ الدَّرِّ وَالضَّرْعُ حَافِلُ
 مِنْحَتِكَمَا تَشْفَى الْجَوَى وَهُوَ لَا عِجْ
 وَتَبْتَ أَشْجَانُ الْفَنَى وَهُوَ ذَاهِلُ
 تَرُدُّ قَوَافِيهَا إِذَا هِيَ أُرْسِلَتْ
 هَوَامِلُ تَجِدُ الْقَوْمَ وَهَى هَوَامِلُ
 وَكَيْفَ إِذَا حَلَّتْهَا بِحُلِيِّهَا
 تَكُونُ وَهَذَا حُسْنُهَا وَهِيَ عَاطِلُ ١٩٩
 أَكَا بَرْنَا ، عَطَا عَلَيْنَا ، فَانَا
 بِنَا ظَمًا بَرَحَ وَأَنْتُمْ مَنَاهِلُ
 وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ لِأَبِي الصَّقَرِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَلْبَلٍ يَمَاتِبُهُ فِي قَصِيدَةٍ جَيِّدَةٍ

مختارة : —

عَقِيلَ النَّدى ، أَطْلُقْ مَدَائِحَ جَمَّةٍ
 خَوَامِي حَسْرَى قَدِ ابْتَأَنُ تَسْرُحًا
 وَكُنْتُ مَقَى تَنْشُدَ مَدِيحًا ظَلَمَهُ
 يَكُنْ لَكَ أَهْجَى كُلِّ مَا كَانَ أَمْدَحًا
 عَذْرَتِكَ لَوْ كَانَتْ مِمَّا تَقَشَّعَتْ
 سَعَائِبُهَا أَوْ كَانَ رَوْضُ تَصَوُّحًا

ولكنها سقياً حُرِمَتْ رَوِيَّهَا وعارضها ملق كلاكِ جنحها
وأخذلاً معروف حيت مريعها وقدعاد منها الحزن والسهل مَسْرَحاً
فيا لك بحرألم أجد فيه مَشْرَباً وإن كان غَيْرِي واجداً فيه مَسْبَحاً
مدبحي عصاموسي ، وذاك لآتي ضَرَبْتُ به بحر الندى فَتَضَحَضَحاً
فياليت شعري إن ضَرَبْتُ به الصفا أبحدث لي فيه جَدَاوِلَ سِيحاً
كتلك التي أبدت ثرى البحر يابسا وَشَقَّتْ عِيُوناً في الحجارة سُفْحاً
سامدح بعض الباخرين لَعَلَّهُ إذا أَطْرَدَ المقياسُ أن يَدَسِّمَحاً
فهذا هو الذي لا يبلغ جودة ، ولا يجارى سبقاً ، على أن البحترى قد

تقدم إلى بعض المثنى في قوله للفتح بن خاقان : —

غَمَامٌ خَطَانِي صَوْبُهُ وَهُوَ مُسْبِلٌ وَبَحْرٌ عَدَانِي فَيْضُهُ وَهُوَ مُعْغَمٌ
وَبَدْرٌ أَضَاءَ الْأَرْضَ شَرْقاً وَغَرْباً وَهُوَ ضَعُ رَحْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مَظْلَمٌ
وَمَا يَحِلُّ الْفَتْحُ بِنِ خَاقَانَ الْبَلَدِي وَلَكِنِهَا الْأَقْدَارُ تُعْطِلُ وَتَحْجَرُمُ
وأما أبو الطيب فكان في طبعه غلظة ، وفي عتابه شدة ، وكان كثير

التحامل ، ظاهر الكبر والآنفة ، وما ظنك بمن يقول لسيف الدولة : —

يَا عَدْلُ النَّاسِ إِلَّا فِي مَعَامِلِي فَيْكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ اتْلُصَمُ وَالْحَكَمُ
أَعْيَبُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةٌ أَنْ تَحْسِبَ الشُّخْمَ فَيَمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ
وما انتفاع أخى الدنيا بناظريه إِذَا اسْتَوَتْ هَيْدَةُ الْأَنْوَارِ وَالظُّلُمُ
أنا الذي نظر الأعلى إلى أدبي وَأَمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِرِ صَمِّ
أَنَامَ مِلْءَ جُؤُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ النَّاسُ جِرَاهَا وَيَخْتَصِمُ
وجاهل مدته في جهل ضحكى حَتَّى أَتَمَّهُ يَدُ قَرَأَةِ وَقَمُ
إذا رَأَيْتَ قُيُوبَ الْيَتَامَى بَارِزَةً فَلَا تَقْنُنْ أَنَّ الْيَتَامَى يَنْبَسِمُ

فهذا الكلام في ذاته في نهاية الجودة ، غير أنه من جهة الواجب والسياسة غاية في القبح والرداءة ، وإنما عرض يقوم كانوا ينتقصونه عند سيف الدولة ويعارضونه في أشعاره ، والاشارة كلها إلى سيف الدولة ، ثم قال بعد آيات :-

يَا مَنْ يَمُنُّ عَلَيْنَا أَنْ نَقَارِقَهُمْ وَجَدَانَا كُلَّ شَيْءٍ بِعَدَمِ
مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمَمٌ
إِنْ كَانَ سِرْكُمْ مَا قَلَّ حَاسِدُنَا فَمَا لَجَرَحَ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمٌ
وَبَيْنَنَا لَوْ رَحِمْتُمْ ذَلِكَ مَعْرِفَةٌ إِنَّ الْمَارِفَ فِي أَهْلِ النِّعَى ذِمَّةٌ
كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا فَيُعْجِزَكُمُ وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تُنَوِّنُ وَالْكَرَمُ ؟
مَا أَبَدَ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ مِنْ شَرَفٍ أَنَا الْزَّيَّا وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْمَرْمُ
لَيْتَ النَّهَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ يَزِيلُهُ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدِّمُّ
أَرَى النَّوَى يَتَنَضِيهِ كُلَّ مَرَّحَلَةٍ لَا تَسْتَقِلُّ بِهَا الْوَحْدَةُ الرَّسْمُ
لَنْ تَرْكُنَ ضَمِيرًا عَنْ مِيَامِنِنَا لِيَحْدِثَنَّ لِمَنْ وَدَّعَهُمْ نَدَمُ

وإنما قال أولا : ليحدثن لسيف الدولة الندم ، ثم بدله ، وليس هذا عتابا ، لكنه سباب ، وبسبب هذه القصيدة كاد يقتل عند انصرافه من مجلس إنشادها ، وهذا الفرور بعينه . . فأما عتاب الأكفاء ، وأهل المودات ، والمتعشقين من الظرفاء ، قَبَابَةٌ أخرى جارية على طرقاتها . . قال إبراهيم ابن العباس الصولي يعاتب محمد بن عبد الملك الزيات ، وقد تغير عليه لما وزر : -

وَكُنْتُ أَخِي بِإِخَاءِ الزُّمَانِ فَلَمَّا نَبَا صِرْتَ حَرَبًا عَوَانَا
وَكُنْتُ أَذْمُ إِلَيْكَ الزُّمَانَ فَأَصْبَحْتُ فِيكَ أَذْمُ الزُّمَانَا
وَكُنْتُ أَعْدُكَ لِنَائِبَاتِ فَمَا أَنَا أَطْلُبُ مِنْكَ الْإِمَانَا

وهذا عندي من أشد العتاب وأوجعه . . ومن أكرم العتاب قول السيد
أبي الحسن أدام الله سيادته وسعادته : —

وَإِنِّي لَا طَرِيَّ كُلِّ خِلٍّ صَحِيحَتُهُ وَأَنْتَ تَرَى شَتَّى بِغَيْرِ حَيَاءٍ
سَتَلِمَ يَوْمًا مَا أَسَاتُ لِمَصَاحِبِ تَكْرُمَ أَخْلَاقٍ وَحُسْنَ وَفَائِي
وَمِنْ مَلِيحٍ مَسَمَعْتُ قَوْلَ سَعِيدِ بْنِ حَمِيدٍ يَعَاتِبُ صَدِيقًا لَهُ : —

أَقْلِيلُ عَيْنَاكَ فَالْبَقَاءُ قَلِيلُ وَالذُّعْرُ يَعْدِلُ تَارَةً وَيَعْمِلُ
لَمْ أَبْكِ مِنْ زَمَنِ ذَمَّتْ ضُرُوفُهُ إِلَّا بِكَيْتٍ عَلَيْهِ حِينَ بَزُولِ
وَلِكُلِّ نَائِبَةٍ أَلَّتْ مُدَّةٌ وَلِكُلِّ حَالٍ أَقْبَلَتْ تَحْوِيلُ
فَالْمُنْتَمُونَ إِلَى الْإِخَاءِ عَصَابَةٌ إِنْ حَصَلُوا أَفْنَانُ التَّحْصِيلِ
وَلَمَّا أَحْدَثَتِ الْمُنِيَّةُ وَالرَّدَى يَوْمًا سَتَصْدَعُ بَيْنَنَا وَتَحْوِلُ
وَأَنْ سَبَقَتْ لَتَبْكِيَنَّ بِمَحْسَرَةٍ وَلِيَكْتَرَنَّ عَلَىٰ مِنْكَ عَوِيلُ
وَلَتَقْجَمَنَّ بِمَخْلَصِيكَ وَآمِنِي حَبْلُ الْوَفَاءِ يَحْبِلُهُ مَوْصُولُ
وَلَنْ سَبَقَتْ وَلَا سَبَقَتْ، لِيَمْضِينَ مَنْ لَا يُشَاكِهِ لَدَىٰ خَلِيلُ
وَلِيَذْهَبَنَّ بِهَا كُلُّ مَرُوءَةٍ وَلِيَقْقَدَنَّ جَاهِلُهَا الْمَاهِلُ
وَأَرَاكَ تَكْلَفُ بِالْعِتَابِ وَوَدُنَا صَافٍ، عَلَيْهِ مِنَ الْوَفَاءِ ذَكِيلُ
وَدُّ بَدَا لَدَوَى الْإِخَاءِ جَاهِلُهُ وَبَدَتْ عَلَيْهِ بَهْجَةُ وَقْبُولُ
وَلَمَّا أَيَّامَ الْحَيَاةِ قَصِيرَةٌ فَلَا مَ يَكْتُرُ عَتَبُنَا وَيَطُولُ
إِلَى هُنَا أَوْ مَا أَبُو الطَّيِّبِ يَقُولُهُ : —

ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذُ وَسَعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا فَمَفْتَرِقُ جَارَانِ دَارُهُمَا الْعَمْرُ
وَأَشَارَ إِلَيْهِ أَيْضًا يَقُولُهُ ، وَأَرَدَتْ الْبَيْتَ الْآخِرَ : —
زَوَّدُنَا بِحَسَنِ وَجْهِكَ مَاذَا مَ فَحُسْنُ الْوَجْهِ حَالُ تَحْوِيلُ

وصلينا أَصْلِكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْقَامَ فِيهَا قَلِيلٌ
والجميع من قول الأول :-

ولقد علمتَ فلا تكن متجنياً أن الصدود هو الفراق الأول
حَسْبُ الْأَحِبَّةِ أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَهُمْ رَيْبُ الْمُنُونِ فَمَا لَنَا نَسْتَعْجِلُ
إلا أن ابن حديد قد فنن وبين وشرح ما أجمل غيره بقوله « لئن سبقت
أنا » « ولئن سبقت أنت ، ولا سبقت أنت » فله بذلك فضل بين ، ورجحان
ظاهر .. وما أحسن إيجاز الذي قال :-

العمر أقصر مدَّةً من أن يُمَحَقَّ بِالْعَتَابِ

وقال أبو المحدثين بشار :-

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلقُ الذي لا تمانيه
فَعِشْ وَاحِداً أَوْ صَلِّ أَخَاكَ فَاهُ مُقَارِفِ ذَنْبٍ مَرَّةً وَجُحَانِيَّةُ
إذا أنت لم تَتَقَرَّبْ مِرَاراً عَلَى الْقَدَى ظَلِمْتَ ، وَأَيُّ النَّاسِ تَصِفُو مَشَارِبُهُ

(٧٨) - باب الوعيد والانذار

كان العقلاء من الشعراء وذوو الحزم يتوعدون بالهجاء ، ويحذرون من
سوء الأحذوة ، ولا يمتضون القول إلا للضرورة ، لا يحسن السكوت معها ..
قال ابن مقبل :-

بنى عامر مائامرون بشاعر تخير آيات الكتاب هجانيا
أَعْفُو كَمَا يَعْفُو الْكَرِيمُ فَاتِي أَرَى الشُّعْبَ فِيمَا بَيْنَنَا مَتَدَانِيَا
أَمْ أَغْمَضُ بَيْنَ الْجُلْدِ وَاللَّحْمِ غَمَضَةً بِمِجْدِ رُومِي يَقِطُّ النُّوَاحِيَا
فَأَمَّا سَرَاقَاتُ الْمَهْجَاءِ فَانْهَا كَلَامَ تَهَادَاهِ النَّكَمِ تَهَادِيَا
أَمْ أَحِيطُ خِطِّ الْفِيلِ هَاءَ رَأْسِهِ بِجُرْدٍ فَلَا يُبْقِي مِنَ الْعَظْمِ بَاقِيَا

وعندى الدهيم لو أحل عقابها فتصبح لم تقدم من الجن حاديا
شبه لسانه بمرد رومي لمضائه ، وشبه القصيدة التي لوشاء هجاءم بها الدهيم
وهي الداهية ، وأصل ذلك أن الدهيم ناقة عمرو بن زبأن الذهلي التي حملت
ردوس بنيه معلقة في عنقها ، فجاءت بها الحى ، فضرب بها المثل للداهية ..
وقال جرير لبني حنيفة ، وكان ميلهم مع الفرزدق عليه :-

أبى حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبها
أبى حنيفة إني إن أهجكم أدع العيامة لاتوارى أربنا
— احكموا — كفوا من حكمة اللجام .. وقال أيضا لثيم الرباب رهط
عمر بن لجأ :-

يَأْتِيَنِي بَيْتٌ عِنْدِي لَا أَبَا لَكُمْ لَا يَلْقَيْنَكُمْ فِي سَوْءَةٍ عُمُرُ
وكان على بن سليمان الأخفش في صباه يبعث بابن الرومي لما يعلم من
طيرته ، فيجعل من يقرع الباب عليه بكرة ويسمى له بأقبح الأسماء ، فيدفعه
ذلك من التصرف ، فقال يتوعده :-

قولوا لِنَحْوِيْنَا أَبِي حَسَنِ إِنَّ حَسَامِي مَقَى ضُرِبْتُ مَقَى
وإِنَّ قَبْلِي مَقَى هَمَمْتُ بِأَنْ أَرْمِيَ نَصَلْتُهَا بِحِمَرٍ غَفَقَى
لاتحببن الهجاء يحفل بالرفع ولاخفض خافض خفضا
ولا تَحْلُ عَوْدَتِي كِبَادَتِي سَأَسْطِ السَّمَّ مِنْ عَصَى الْحَضَا
أعرف في الأشقياء لي رجلاً لايتهى أو يصير لي غرضاً
يلج لي صَفْحَةَ السَّلامَةِ وَالسَّلَامِ وَيُخْفِي فِي قَلْبِهِ الْمَرَضَا
يضحي مَظِيلاً عَلَى أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَنْتُ مِنْهُ رَضَا
وليس يُجِدِّي عَلَيْهِ مَوْعِظَتِي إِنْ قَدَّرَ اللَّهُ حِينَهُ فَقَضَى
كَأَنِّي بِالشَّقِ مُتَذَرّاً إِذَا الْقَوَايِ أَدْقَنَهُ مَضَضَا

يَنْشُدُ فِي الْعَهْدِ يَوْمَ ذَلِكَ وَالْأَمْدُ خُفَارٌ إِذَا لَهُ قَبْضَا
لَا يَأْمَنُ السَّفِيهَ بِأَدْرِقٍ فَاتِي عَارِضٌ لِمَنْ عَرِضَا
عِنْدِي لَهُ السُّوْطُ إِنْ تَلَوَّمْ فِي الْإَسِيرِ وَعِنْدِي الْجَاهُ إِنْ رَكِضَا
أَسْمَعْتُ أَنْبَاءَ صِيَّتِي أَبَا حَسَنِ وَالنَّصْحَ لَأَشْكُ نَصْحَ مَنْ تَحَضَّرَا
وَهَوَّ مُصَافِيٍّ مِنَ السَّهَادِ فَلَا يَجْهَلُ فَيْشْرِي فِرَاشَهُ قَضَا
أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَا غَفْرَتَ لَهُ إِنْ وَاحِدٌ مِنْ عُرُوقِهِ تَبَضَّرَا
وَكَذَلِكَ قَدْ فَعَلَ ، وَقَدْ مَزَقَهُ بِالْهَجَاءِ كُلِّ مَزَقٍ ، وَجَعَلَهُ مَثَلَةً بَيْنَ أَصْحَابِهِ ،
عَلَى أَنْ الْأَخْفَشَ كَانَ يَتَجَلَدُ عَلَيْهِ ، وَيُظْهِرُ قِلَّةَ الْمَبَالَاةِ بِهِ ، وَهِيَاةٍ ، وَقَدْ
وَسَمَهُ سَمَةَ الدَّهْرِ ، وَسَامَهُ سُومَ الْحُسْفِ وَالْقَهْرِ . وَمَا قُلْتُهُ فِي هَذَا الْبَابِ :

يَا مُوجِبِي شَتَاءٍ عَلَى أَنَّهُ لَوْ فَرَّكَ الْبَرْغُوثَ مَا أَوْجَمَا

كُلُّهُ لَهْ مِنْ نَفْسِهِ آفَةٌ وَأَافَةُ النَّحْلَةِ أَنْ تَلْسَعَا

وَقُلْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ خَاطَبْتُ بِهَا بَعْضَ بَنِي مُنَادٍ :-

مَنْ يَصْحَبِ النَّاسَ مَطْوِيًّا عَلَى دَخَلٍ لَا يَصْحَبُوهُ فَخَلُّوا كُلُّ تَذَخِيلٍ
لَا تَسْتَعْلِمُوا عَلَى ضَعْفِي بِقُوَّتِكُمْ إِنَّ الْبِمَوْضِعَ قَدْ تَعَدُّو عَلَى الْفِيلِ
وَجَانِبُوا الْمَزْحَ إِنَّ الْجِدَّ يَنْبَغِي وَرُبُّ مُوجِعَةٍ فِي لُثْرِ تَقْيِيلِ

وَمِنْهَا بَعْدَ آيَاتٍ لَا تَلِيقُ بِالْمَوْضِعِ خَوْفُ الْحُشْوِ :-

يَا قَوْمَ لَا يَلْقَيْنِي مِنْكُمْ أَحَدٌ فِي الْمَهْلَكَاتِ فَاتِي غَيْرَ مَقْلُودٍ
لَا تَدْخُلُوا بِالرَّضَا مِنْكُمْ عَلَى غَرَرٍ فَتُخْرِجُوا الْإِيثَ غَضْبَانًا مِنَ الْفِيلِ
إِلَّا تَكُنْ حَمَلَتْ خَيْرًا ضَامِرَكُمْ أَكُنْ تَابِطٌ شَرًّا نَاكِحُ الْفِيلِ

(٧٩) - باب الهجاء

يُرْوَى عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ أَنَّهُ قَالَ : خَيْرُ الْهَجَاءِ مَا تَنْشُدُهُ الْعِزَاءُ فِي
خَدْرِهَا فَلَا يَقْبَحُ بِمَثَلِهَا نَحْوُ قَوْلِ أُوسٍ :-

(١١٢ - الصلوة - ج ٢)

إِذَا نَاقَةُ شَدَّتْ بِرَحْلِ وَغَرِقِ إِلَى حَيْكُمُ بَيْدِي فَضِلْ ضَلَالُمَا
 واختار أبو العباس قول جرير :-
 لَوْ أَنِّي قَلْبَ جَمَعْتُ أَحْسَابَهَا يَوْمَ التَّفَاخُرِ لَمْ تَرَنْ مِثْقَالَ
 ومثل قوله :-

فَقَضَ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُنْمِرٍ فَلَا كُنْيَا بَلَفَتْ وَلَا كِلَابَا
 وبين الاختيارين تناسب في عفة المذهب ، غير أن بيت جرير الثاني أشد
 هجاء لما فيه من التفضيل ، فقد حكى محمد بن سلام الجمحي عن يونس بن
 حبيب أنه قال : أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل ، وهو الاقتداء عندهم . قال
 النبي صلى الله عليه وسلم : من قال في الإسلام هجاء مقنعا فلسانه هدر ،
 ولما أطلق عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخطيئة من حبسه إياه بسبب
 هجائه الزبرقان بن بدر قال له : إياك والهجاء المقنع ، قال : وما المقنع
 يا أمير المؤمنين ؟ قال : المقنع أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف ،
 وتبني شعرا على مدح لقوم وذم لمن تعاديههم ، فقال : أنت والله يا أمير
 المؤمنين أعلم مني بمذاهب الشعر ، ولكن جاني هؤلاء فدحتهم وحرمتي
 هؤلاء فذكرت حرمانهم ، ولم أنل من أعراضهم شيئا ، وصرفت مدحي
 إلى من أراده ، ورغبت به عن كرهه وزهد فيه ، يريد بذلك قصيدته
 المهموزة التي يقول فيها :-

وَأَنَيْتُ الْعَشَاءَ إِلَى سَهْلٍ أَوْ الشَّعْرَى فَطَالَ بِي الْإِنَاءُ

وهي أخبت ما صنع . وفيها أو من أجلها قاله خلف الأحمر : أشد الهجاء
 أعفه وأصدقه ، وقال مرة أخرى : ما عف لفظه وصدق معناه ، ومن كلام
 صاحب الوساطة : فأما الهجو فأبلغه ما خرج مخرج التهزل والتهافت ،
 وما اعترض بين التصريح والتعريض ، وما قربت معانيه ، وسهل حفظه ،
 وأسرع علوقه بالقلب ، ولصوقه بالنفس ، فأما القنف والالحاش فسياب

محض ، وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن ، وما يدل على صحة ما قاله صاحب
الوساطة وحسن ما ذهب إليه إعجاب الخذاق من العلماء وفرسان الكلام
بقول زهير في تشككه وتهزله وتجاهله فيما يعلم : —

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء .
فإن تكن النساء مُحَبَّبَاتٍ فحق لكل محضنة هداة .

وإن هذا عندهم من أشد الهجاء وأمضه . ولما قدم النابغة بعد وقعة
حسى سأل بني ذبيان : ما قلتم لعامر بن الطفيل وما قال لكم ؟ فأنشدوه ، فقال :
ألحشتم على الرجل وهو شريف لا يقال له مثل ذلك ، ولكني سأقول .
ثم قال : —

فإن يك عامر قد قل جهلاً فإن مَطِيئَةَ الجبل ^(١) السبابُ
فكنن كأيك أو كأي بَرَاه تُصادفك الحكومة والصواب ^(٢)
فلا يذهب بليك طائشات ^(٣) من الخيلاء ليس لمن باب
فانك سوف تحلم أو تنامي ^(٤) إذا ما شبت أو شاب الغراب
فإن تكن الفوارس يوم حنني أصابوا من لقائك ما أصابوا
فإن كان من سبب بعيد ^(٥) ولكن أدركوك وهم غضاب

فلما بلغ عامراً ما قال النابغة شق عليه ، وقال : ما هجاني أحد حتى

(١) في إحدى روايات الديوان * فإن مطئة الجبل ...

(٢) في الديوان * توافقك الحكومة

(٣) في الديوان * فلا تذهب بليك طاميات * والطاميات : المرتفعات ،
والخيلاء : التكبر والاختيال ، وقوله « ليس لمن باب » معناه لا يتكشفن عنه ولا
منرج له منه

(٤) في الأصول .. سوف تحكم .. والتصويب عن الديوان

(٥) في الديوان * فما إن كان من سبب بعيد *

هيجاني التابعة ، جعلني القوم رئيساً وجعلني التابعة سفيهاً جاهلاً وتهكم بي .
وروي أن شاعراً مدح الحسين بن علي رضي الله عنهما فأحسن عطيته ،
فموتب علي ذلك فقال : أترون [أني] خفت أن يقول [ني] لست ابن فاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابن علي بن أبي طالب ؟ ولكن
خفت أن يقول : لست كرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولست كعلي
فيصدق ويحمل عنه ، ويبقى مختلداً في الكتب ، وعفوفاً على السنة الرواة
فقال الشاعر : أنت والله يا ابن رسول الله أعلم بالمدح والذم مني ، وقد وقع
الحسن بن زيد بن الحسين بن علي في بعض ما قال جده : قال فيه ابن عاصم
المدني ، واسمه محمد بن حمزة الأسلي : —

له حقٌ وليس عليه حقٌ ومهما قال فالحسن الجليل

وقد كان الرسول يرى حقوقاً عليه لأهلها وهو الرسول

وجميع الشعراء يرون قصر الهجاء أجود ، وترك الفجش فيه أصوب ،
إلا جريراً فإنه قال لبنيه : إذا مدحتم فلا تطيلوا المادحة ، وإذا هجوتهم فلا تقوا
وقال أيضاً : إذا هجوت فأضحك . وسلك طريقته في الهجاء سواء على بن العباس
ابن الرومي ، فإنه كان يطيل ويفجش ، وأنا أرى أن التعريض أهجى من
التصريح ؛ لاتساع الظن في التعريض ، وشدة تعلق النفس به ، والبحث عن
معرفة ، وطلب حقيقته ، فإذا كان الهجاء تصريحاً أحاطت به النفس علماً ،
وقبلته يقيناً في أول وهلة ، فكان كل يوم في نقصان لنسيان أو ملل يعرض ،
هذا هو المذهب الصحيح ، على أن يكون المهجو ذا قدر في نفسه وحسبه ؛
فأما إن كان لا يوقفه التلويع ، ولا يؤله إلا التصريح ؛ فذلك ، ولهذا العلة
اختلف هجاء أبي نواس ، وكذلك هجاء أبي الطيب فيه اختلاف ؛
لاختلاف مراتب المهجورين : فن التفضيل في الهجاء قول ربيعة بن
عبد الرحمن الرقي : —

لَشَتَانِ مَا يَنْ يَزِيدِينَ فِي النَّدَى يَزِيدُ سَلِيمٌ وَالْأَعْرُ ابْنُ حَانِمٍ
فَهَمْ الْفَقِي الْأَزْدِيُّ إِتْلَافُ مَالِهِ وَهُمْ الْفَقِي الْقَيْسِيُّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ
فَلَا بِحَسَبِ التَّمَتُّامِ أَتَى هَجَوْتَهُ وَامْكَنَى فَصَلَتْ أَهْلَ الْمَكَارِمِ
وَمِنَ الْاسْتَحْقَارِ وَالِاسْتَخْفَافِ قَوْلُ زِيَادِ الْأَعْجَمِ :-

قَتْمٌ صَاغِرًا بِاشْيَخٍ جَرَمٍ فَإِنَّمَا يُقَالُ لِشَيْخٍ الصَّدَقِ : قَتْمٌ غَيْرُ صَاغِرٍ
فَنِ أَتَمُّ ؟ إِنَّا نَسِينَا مِنْ أَتَمِّ وَرِيحَكُمْ مِنْ أَى رِيحِ الْأَعَاصِرِ ۱۱۲
أَتَمُّ أَوَّلَى جِئْتُمْ مَعَ النَّمْلِ وَالِدَبَا فَطَارَ وَهَذَا شَيْخُكُمْ غَيْرُ طَائِرٍ
قَضَى اللَّهُ خَلْقَ النَّاسِ ثُمَّ خُلِقْتُمْ بَقِيَّةَ خَلْقِ اللَّهِ آخِرَ آخِرٍ
فَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَّا بَيْنَ كَانَ قَبْلَكُمْ وَلَمْ تَدْرِكُوا إِلَّا مَسْدُقَ الْحَوَافِرِ
وَأَخَذَ الطَّرِمَاحُ مِنْهُ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :-

وَمَا خُلِقْتَ تَيْمٌ وَعَبْدٌ مَنَاتِهَا وَصَبَّةٌ إِلَّا بَعْدَ خَلْقِ الْقِبَائِلِ
وَمِنَ الْإِحْتِقَارِ أَيْضًا قَوْلُ جَرِيرِ فِي التَّيْمِ :-
وَيُقَضَى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيْبُ تَيْمٌ وَلَا يُسْتَأْذَنُونَ وَهُمْ شُهُودُ
فَأَنْكَ لَوْ رَأَيْتَ عَيْدَ تَيْمٍ وَتَيْمًا قُلْتَ : أَيُّهُمْ الْعَيْدُ ؟
وَمِنَ مَلِيحِ التَّهْكُمِ وَالِاسْتَخْفَافِ قَوْلُ أَبِي مَعَانٍ :-

سُلَيْمَانُ مَيِّمُونُ النَّفِيقَةِ حَازِمٌ وَلَكِنَّهُ وَقَفَ عَلَيْهِ الْمَزَائِمُ
أَلَا عَوْدُهُ مِنْ تَوَالِي فَتُوْحِهِ عَسَاهُ تَرُدُّ الْعَيْنَ عَنْهُ التَّمَائِمُ
وَفِيهِ يَقُولُ ابْنُ الرُّومِيِّ :-

قَرْنُ سُلَيْمَانَ قَدْ أَحْزَرَ بِهِ شَوْقٌ إِلَى وَجْهِهِ سَيَتَلَفُهُ
كَمْ يَمِيدُ الْقَرْنَ بِاللِّقَاءِ ؟ وَكَمْ يَكْذِبُ فِي وَعْدِهِ وَيَخَافُهُ

لَا يَمُوتُ الْقِرْنُ وَجْهَهُ وَيَرَى قَتْلَهُ مِنْ فَرْسَخٍ فَيَعْرِفُهُ
أخذ معنى البيت الأخير من قول الخارجي وقد قال له المنصور: أي
أصحابي كان أشد إقداماً في مبارزتك؟ فقال: ما أعرف وجوههم، ولكن
أعرف أقتالهم، فقل لهم يدبروا لأعرف

وأجود ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركب من
بعضها مع بعض، فأما ما كان في الخلقة الجسمية من المعاييب فالهجاء به دون
ما تقدم، وقدامة لا يراه هجوا البتة، وكذلك ما جاء من قبل الآباء
والأمهات من النقص والفساد لا يراه عيباً، ولا يعد الهجو به صواباً،
والناس - إلا من لا يعد قلة - على خلاف رأيه، وكذلك يوجد في الطباع
[وقد جاء] ما أكد ذلك من أحكام الشريعة

وقد جمع السيد أبو الحسن أنواع الفضائل وسلبيها بعض من رأى ذلك
فيه صواباً، فقال: -

وَحِيلَ لَاسَبِيلَ لَصُرْمِ حَبْلِهِ تَعَرَّضَ لِي بِحَتْفٍ فَرَطَ جَهْلِهِ
رَدَى الْبُظْنَ لَا يَأْوِي لِخَلْقِهِ وَلَا يَأْوِي إِلَيْهِ لِسُوءِ فَعْلِهِ
يُصَدِّقُ هَاجِسًا يَفْرَى وَيُفْرَى بِتَكْذِيبِ الْعَيَانِ لَضَعْفِ عَقْلِهِ
وَيُشْنَأُ كُلُّ ذِي دِينٍ وَعِلْمٍ وَأَصْلُ ثَابِتٍ لِفَسَادِ أَصْلِهِ

وكان السيد أبو الحسن في هذا الباب الذي سلكه من الهجاء كما قال ولي
إحسانه: -

إِذَا لَمْ تَجِدْ بَدَأَ مِنَ الْقَوْلِ فَاتَّصِفْ بِحَدِّ لِسَانٍ كَالْحَسَامِ الْمُهَنْدِ
فَقَدْ يَدْفَعُ الْإِنْسَانُ عَنْ نَفْسِهِ الْآذِيَ بِمَقْوَلِهِ إِنْ لَمْ يَدَافِعْهُ بِالْيَدِ
وَيَقَالُ: إِنْ أَهْجَى بَيْتَ قَالِهِ شَاعِرٌ قَوْلُ الْإِخْطَلِ فِي بَنِي يَرْبُوعٍ رَهْطِ

جرير: -

قوم إذا استبح الأضيافَ كَتَبَهُمْ قالوا لأُمهم : بولى على النار
لأنه قد جمع فيه ضروباً من الهجاء : فنسبهم إلى البخل بوقود النار ثلثاً
يهتدى بها الضيفان ، ثم البخل بإيقادها إلى السائرين والسابلة ، ورامهم
بالبخل بالخطب ، وأخبر عن قتلها وأن بولة تطفئها ، وجعلها بولة عجوز ، وهى
أقل من بولة الشابة ، ووصفهم بامتهان أمهم وابتذالها فى مثل هذا الحال ،
يدل بذلك على العقوق والاستخفاف ، وعلى أن لا غادم لهم ، وأخبر فى
أضعاف ذلك ييخلهم بالماء ، وقال محمد بن الحسين بن عبد الله الأنصارى :
إنه رامهم فى هذا البيت بالمجوسية ؛ لأن المجوس لا ترى إطفاء النار بالماء ،
ولا أدرى أنا كيف هذا والبول ماء غير أنه ماء نجس قدر ؟ وقيل لبنى كليب :
ما أشد ما هجيت به ؟ قالوا : قول البيث : —

أَنْتَ كَلْبِيَّاءُ إِذَا سِمَ خَطَّةٌ أَقْرَ كَأَقْرَارِ الْحَلِيلَةِ لِلْبَلِّ
وَكَلَّ كَلْبِيَّ صَحِيفَةً وَجْهَهُ أَذْلَ لَأَقْدَامِ الرِّجَالِ مِنَ النُّعْلِ

وكان النابغة الجعدي يقول : إني وأوسا لنبتدر باباً من الهجاء ، فن سبق
منا إليه غلب صاحبه ، فلما قال أوس بن مفرأ : —

لعمرك ما تنبئ سرابيلُ عامرٍ من اللومِ ما دامت عليها جلودُها
قال النابغة : هذا والله البيت الذى كنا نبتدره . والذى أراه أنا على كل
حال أن أشد الهجاء ما أصاب الغرض ، ووقع على النكتة ، وهو الذى قال
خلف الأحمر بعينه

(٨٠) — باب الاعتذار

وينبغى للشاعر أن لا يقول شيئاً يحتاج أن يعتذر منه ، فان اضطره
المقدار إلى ذلك ، وأوقعه فيه القضاء ؛ فليذهب مذهباً لطيفاً ، وليقصد
مقصداً عجيباً ، وليعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر إليه ، وكيف يمسح

أعطائه ، ويستوجب رضاه ، فإن إتيان المعتذر من باب الاحتجاج وإقامة الدليل خطأ ، لاسيما مع الملوك وذوى السلطان ، وحقه أن يُلطف برهانه مدججا في التضرع والدخول تحت عفو الملك ، وإعادة النظر في الكشف عن كذب الناقل ، ولا يعترف بما لم يجته خوف تكذيب سلطانه أو رئيسه ، ويحيل الكذب على الناقل والحاسد ، فأما مع الاخوان فتلك طريقة أخرى وقد أحسن محمد بن علي الأصمباني حيث يقول : —

العذرُ يلحقه التحريف والكذب وليس في غير ما يرضيك لي أرب
وقد أسأتُ فبالثُغْمَى التي سلفتُ إلا مَنَنْتُ بغيرِ ماله سَبَبُ
وقال إبراهيم بن المهدي للأمون في آيات يعتذر إليه : —

اللهُ بِسَلْمٍ مَا أَقُولُ ظَاهِرًا جهد الألية من مُقَرَّرٍ خَاضِعٍ
مأن عصيتك والغواة تمدني أسبابها إلا بِذِيَّةٍ طَائِعٍ
وقد سلك أبو علي البصير مذهب الحجة وإقامة الدليل بعد إنكار الجناية ، فقال : —

لم أجِرْ ذنبًا فإن زَعَمْتَ بِأَنْ جَنَيْتُ ذنبًا فقيرٌ معتمدٍ
قد تطرفُ الكفُّ عَيْنَ صاحبها ولا يرى قطعها من الرشدِ
ونحوت أنا هنا التحرققت : —

لَا يَبْقِدُ اللهُ أَبَا جَعْفَرٍ دعاةً بَتُّ على نارها
وإن تَأَذَيْتُ فإربما تَأَذَتْ العَيْنُ بِأَشْفَارِهَا
وأجل ما وقع في الاعتذار من مشهورات العرب قصائد النابغة الثلاث :
إحداهن : —

• يادار مية بالعلياء فالسند (١) •

يقول فيها : —

فلا لعمري القدي مسحتُ كعبتهُ وما هريقَ على الانصاب من جسد
والمؤمن المائذات الطير تمسحها ركباً مكة بين الغيل والسند
ماقلت من سيئه مما أنيت به إذا فلا رفعت سوطي إلى يدي
إذا فعاقبني ربي مُعاقبةً قرئت بها عين من يأتيك بالحسد (١)
إلا مقالة أقوام شقيت بها (٢) كانت مقاتلهم قرعاً على الكبد
نُبئتُ أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زار من الأسد
والثانية : —

• أرمحاً جديداً من سعاد تجنب (٣) •

يقول فيها معتذراً من مدح آل جفنة ومحتجاً باحسانهم إليه : —
حلفتُ فلم أتركه لنفسك ريةً وليس وراء الله للره مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانةً لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ولكنني كنت امرأ لي جانب من الأرض فيه مُستَراد ومهرب
ملوك وإخوان إذا مالقيتهم أحكم في أموالهم وأقرب
كفمك في قوم أراك اسطنعتهم فلم ترهم في شكرهم لك أذنبوا
فلا تتركني بالوعيد كأتى إلى الناس مطلي به القار أجرب

(١) في الديوان « بالفتد » وهو يفتحتين : الكذب

(٢) في الديوان شقيت بهم قرعاً على كبدى

(٣) لم أقف على هذا المطلع في نسخ الديوان التي بين يدي ولا في غيرها من
المراجع ، وكل ما وقعت على قوله أن بعض الرواة يذكرون هذه الأيات من كلمة أولها : —

أتاني — أبيت اللعن — أنك لمتني وذلك التي أهتم منها وأنصب

فبت كان المائذات فرشن لي هراساً به يمل فراشي وقشب

وذلك أن الله أعطاك سورة ترى كل ملكٍ دونها يتذبذب
فانك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طلعت لم يبد منها كوكب
والثالثة : —

• عفا ذو حسي من فرتنا فالقوارح ^(١) •

يقول فيها بعد قسم قدمه على عاقبته : —

لَكَلَّهْتُ ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرْكَنِي كَذِي الْعُرِّ يُكْوِي غَيْرُهُ وَهُوَ رَاقِعٌ
فَانْكَتَ لَذَوِ الصُّغْنِ غَيٌّ مُكَدَّبٌ وَلَا حِلْفِي عَلَى الْبَرَاءَةِ نَافِعٌ
وَلَا أَنَا مَأْمُونٌ بِقَوْلِ أَقُولُهُ وَأَنْتَ بِأَمْرِ لَاحِقَالَةِ وَاقِعٌ
فَأَيْتُكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مَدْرَكِي وَإِنْ خَلْتُ أَنْ الْمَتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ
وَقَدْ تَعْلَقَ بِهَذَا الْمَعْنَى جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ : قَالَ سَلْمُ الْخَاسِرِ يَتَمَتَّرُ إِلَى
الْمَهْدِيِّ : —

إِنِّي أَعُوذُ بِخَيْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَأَنْتَ ذَاكَ بِمَا نَأْتِي وَنَجْتَنِبُ
وَأَنْتَ كَالدَّهْرِ مَبْثُوثًا حَبَائِلُهُ وَالِدَّهْرُ لَا مَلْجَأَ مِنْهُ وَلَا هَرَبُ
وَلَوْ مَلَكَتْ عَيْنُ الرِّيحِ أَصْرِي فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مَا فَاتَكَ الطَّلَبُ
فَلَيْسَ إِلَّا أَنْتَ تَرَى مِنْكَ عَارِفَةً فِيهَا مِنَ الْخَوْفِ مَنَاجَاةٌ وَمُنْقَلَبُ

وَقَالَ عِيْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ : —

وَإِنِّي وَإِنْ حَدَّثْتُ نَفْسِي بِأَنْفِي أَقُولُكَ إِنَّ الرِّأْيَ مِثْلُ لَمَازِبُ
لَأَنْتَ لِي مِثْلُ الْمَكَانِ الْحَيْطِ بِي مِنَ الْأَرْضِ أَنِي اسْتَنْهَضْتُ الْمَذَاهِبُ
وَالِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ أَشَارَ أَبُو الطَّيِّبِ بِقَوْلِهِ : —

وَلَكِنَّكَ الدُّنْيَا إِلَى حَيِّيةٍ فَا عَنْكَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابُ

إلا أنه حرّف الكلم عن مواضعه .. واختار العلماء لهذا الشأن قول
علي بن جبلة : —

. وما لِمَرَرْتُ وَحَاوَلْتُكَ عَنْكَ مَرَّيْ وَلَوْ رَفَعْتَهُ فِي السَّمَاءِ الْمَطَالِغُ
بِلى هَارِبٌ لَا يَهْتَدِي لِمَكَانِهِ ظَلَامٌ وَلَا ضَوْءٌ مِنَ الصَّبْحِ سَاعِلٌ
لأنه قد أجاد مع معارضته النابغة ، وزاد عليه ذكر الصبح ، وأظنه
اقتدى بقول الأصمعي في بيت النابغة : ليس الليل أولى بهذا المثل من
النهار ، وفي هذا الاعتراض كلام يأتي في موضعه من هذا الكتاب ، إن
شاء الله تعالى .

وأفضل من هذا كله قول الله تعالى : (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ
اسْتَغْلَبْتُمْ أَنْ تَتَفَكَّهُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَاتَّقُوا اللَّهَ تَتَّقُونَ إِلَّا
بِإِطْلَاقِي) .

ووجد الفضل بن يحيى على أبي الهول الحميري قد دخل إليه فأشده : —

كسائي وعيدُ الفضل ثوباً من الليلى وإيماده الموتُ الذى ماله رُدُّ
وما لى إلى الفضل بن يحيى بن خالد من الجرم ما يخشى على مثله الحقْد
فَجَدُّ بِالْإِضَالَا أَبْتَقَى مِنْكَ غَيْرَهُ وَرَأَيْكَ فَمَا كُنْتَ عَوْدَتِي بَعْدُ

فقال له الفضل على مذهب الكتاب في تحرير الخطاب : لا أحتمل والله
قولك : « ورأيك فيما كنت عودتي » فقال أبو الهول : لا تنظر أعزك الله
إلى قصر باعنى ، وقلة تمييزي ، وافعل بي ما أنت أهله ، فأمر له بمال جسيم ،
ورضى عنه ، وقربه .

وفي اشتقاق الاعتذار ثلاثة أقوال : أحدها : أن يكون من المحو ،
كأنك محوت آثار الموجدة ، من قولهم : اعتذرت المنازل ، إذا درست ،

وأنشدوا قول ابن أحرر : —

أَوْ كُنْتَ تَعْرِفُ أَكْبَرَ قَدْ جَعَلَتْ

أَطْلَالُ إِيَّاكَ بِالْوَدَّاءِ تَعْتَذِرُ ^(١)

والثاني : أن يكون من الانقطاع ، كأنك قطعت الرجل عما أمسك في قلبه من الموجدة ، ويقولون : اعتذرت المياه ، إذا انقطعت ... وأنشدوا ؟
للبيد : —

شُهُورُ الصَّيْفِ وَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ نَاطِقُ الشَّيْطَانِ مِنَ السَّمَاءِ

والقول الثالث : أن يكون من الحجر والمنع .. قال أبو جعفر : يقال عذرت الدابة ، أى : جعلت لها عذاراً يحجزها من الشراء ، فعنى اعتذر الرجل احتجز ، وعذرتة : جعلت له بقبول ذلك منه حاجزاً بينه وبين العقوبة والعتب عليه ، ومنه : تعذر الأمر ، احتجز أن يقضى ، ومنه : جارية عذراء

(٨١) — باب سيرورة الشعر ، والحظوة في المدح

كان الأعشى أسير الناس شعراً ، وأعظمهم فيه حظاً ، حتى كاد ينسى الناس أصحابه المذكورين معه ؛ ومثله زهير ، والناطقة ، وأمرؤ القيس ؛ وكان جرير نابتة الشعر مظفراً ، قال الأخطل للفرزدق : أنا واقه أشعر من جرير ، غير أنه رزق من سيرورة الشعر ما لم أرزقه ، وقد قلت بيتاً لأحسب أن أحداً قال أجهى منه ، وهو : —

(١) قبل هذا البيت قوله : —

بأن الشباب وأفنى ضغفه العمر لله درك أى العيش تنتظر
هل أنت طالب شيء لست مدركة ؟ أم هل قلبك عن آله وطر ؟

قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ الْأَضْيَافَ كَلْبُهُمْ قَالُوا لِأَمِهِمْ : بُولَى عَلَى النَّارِ
وقال هو : —

وَالْتَقَلْبِي إِذَا تَنَحَّنَحَ لِقَرِي حَكَّ أَسْنَهُ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَالَا
فلم يبق سقاء ولا أمة حتى روته .. قال الأصمعي : فحكا له بسيرة
الشعر ، قال الحسين بن الضحاك الخليج : أنشدت أبا نواس قولي : —
وشاطري اللسان مختلق السكرية شاب المجرن بالنسك
إلى أن بلغت إلى قولي : —

كَأَنَّمَا نَصَبَ كَأْسَهُ قَرْمٌ يَكْرَحُ فِي بَعْضِ أَتْجَمِ الْفَلَكَ
ففر نفرة منكرة ، فقلت : مالك فقد أفزعني ؟ فقال : هذا معنى
مليح وأنا أحق به ، وسرى لمن يروى ، ثم أنشدني بعد أيام : —

إِذَا عَبَّ فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خَلْتُهُ يَقْبَلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوَكْبَا
فقلت : هذه مصالحة يا أبا علي ، فقال : أتظن أنه يروى لك معنى مليح
وأنا في الحياة ؟ وأنت ترى سيرة بيت أبي نواس كيف نسي معها
بيت الخليج ، على أن له فضل السبق ، وفيه زيادة ذكر القمر ، وقد أربى
ابن الرومي عليهما جميعاً بقوله : —

أَبْصَرْتُهُ وَالْكَأْسُ بَيْنَ قَمَرٍ مِنْهُ وَيَنْ أُنَامِلِي خَسَنَ
وكانها وكان شاربها قَمَرٌ يَقْبَلُ عَارِضَ الشَّمْسِ

ولكن بيت أبي نواس املاً للقم والسمع ، وأعظم هية في النفس
والصدر ، ولذلك كان أسير ؛ وفي زماننا هذا قوم يريدون ليطفئوا نور الله
بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . وليس في العرب قبيلة إلا وقد
نبيل منها ، وهجيت ، وعيرت ؛ فخط الشعر بعضاً منهم بموافقة الحقيقة ،
ومضى صفحاً عن الآخرين لما لم يوافق الحقيقة ، ولا صادف موضع

الرمية ، فمن الذين لم يحك فيهم هجاء إلا قليلا على كثرة ما قيل فيهم تميم بن مرة ، وبكر بن وائل ، وأسد بن خزاعة ، وفطرأهم من قبائل اليمن ؛ ومن الذين شقوا بالهجاء ، ومزقوا كل ممزق ، على تقدمهم في الشجاعة والفضل أحياء من قيس : نحو غني وباهلة ابني أعصر بن سعد بن قيس عيلان ، واسم غني عمرة ، وكانوا موالى عامر بن صعصعة : يحملون عنهم الديات والنوائب ونحو محارب بن خصفة بن قيس عيلان ، وجسر بن محارب^(١) حالفوا بني عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة على لوم الحلف ، ومن ولد طابخة ابن إلياس بن مضر : تيم وعكل ابنا عبد مناة بن أد ، صادف الشعر سباء كان وقع عليهم في الجاهلية ، فاستهانت العرب بهم ، وانطبع الهجاء فيهم ، وعدى بن عبد مناة : كانوا قطيناً لحاجب بن زرارة ، وأراد أن يستملكهم ملك رق بسجل من قبل المنذر ، والحبطات ، وهم ولد الحارث بن عمرو بن تميم ، وسعى الحارث الحبط لعظم بطنه ، شبهوه بالجل الحبط ، وهو الذي انتفخ بطنه ما رعى الخلا ؛ فأما سلول فقد قال فيهم أبو زياد الكلابي : كرام من كرام من صعصعة ، لم يحالفوا ، ولم يدخلوا في صفار ، وإنما كلمة عامر ابن الطفيل التي حدثت هي التي شأمتهم ، يريد قوله « أغدة كفدة البعير وموت في بيت سلولة » قلت : أما عامر فقد قال هذه الكلمة حين دعا عليه

النبي صلى الله عليه وسلم ، فما يصنع يقول السموءل بن عدياء : —

ونحن أناس لا نرى القتل سبّةً إذا ما رآته عامرٌ وسلول

والسموئل في زمان امرئ القيس ، وبين امرئ القيس ومبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وأربع وخمسون سنة .

قال الجاحظ : لم يمدح قبيلة قط في الجاهلية من قريش كما مدحت مخزوم

(١) في الأصول « حسي بن مخالف » وجسر بن محارب : بن خصفة بن

قال : وكان عبد العزيز بن مروان أحظى في الشعر من كثير من خلفائهم ، قال : ولم يكن من أصحابنا وخلفائنا أحظى في الشعر من الرشيد ، وقد كان يزيد بن يزيد وعمه معن بن زائدة من أحظاه الشعر ، ولا أعلم في الأرض نعمة بعد ولاية الله تعالى أعظم من أن يكون الرجل مدوحاً ، قلت أنا : أما هذه النعمة فقد أحلها الله مضاعفة عند السيد أبي الحسن ، وقرنها منه بالاستحقاق ، فقررت مقرها ، ونزلت منزلها المختار لها ، وأحيى الله لبي شيطان حمداً لم يشبهه ذم ، وجوداً لم يحقه قدم ، بما زاد على يزيد ، ولم يدع لمعن معنى في الجود . . وقاله غيره : كان عمر ^(١) بن العلاء مدحاً ، وفيه يقول بشار ابن برد : —

قل للخليفة إن جنته نصيحاً ولا خير في المنهم
إذا أيقظتك حروبُ العدا فبه لها عُمرًا ثم نم
فتى لا يبيتُ على دمنة ولا يشرب الماء إلا بدم
دعاني إلى عمرٍ جوده وقول العشيرة بجرٍ خضم
ولولا الذي زعموا لم أكن لأمدح ربحانة قبل شم
وله يقول أبو العتاهية : —

إن المطايا تشتكك لأنها قطعت إليك سباسباً ورمالاً
وقد مرت الآيات فيما مضى من هذا الكتاب (٢) . . قال أبو عبيدة :
لم يمدح أحد قط بنى كليب غير الخطيب بقوله : —

لعمرك ما المجاور في كليب يَمَقِّصُ الجوار ولا مُضَاع

(١) سبق ذكره (ص ١٢٦) من هذا الجزء ، وهو هناك « عمرو »
بفتح العين ، وكذلك هو في أخبار أبي العتاهية من الأغاني ومهذبه (ج ٨ ص ٤٨)
ولكن شعر بشار الذي هنا يعين أنه عمر
(٢) في (ص ١٢٦) من هذا الجزء

هم صنعوا الجارهم وليست يد الحرقاء مثل يد الصنّاع
ويحرم سر جارهم عليهم ويأكل جارهم أنف القصاص
كانت قيس تفخر على تميم ؛ لأن شعراءهم تضرب المثل بقبائل قيس
ورجالها ، فأقامت تميم دهرأ لا ترفع رموسها حتى قال لبيد : —

أبني كليب كيف تنفى جعفر^١ وبنو ضيفته حاضرو الأجاب
قتلوا ابن عروة ثم لظلوا دونه حتى يحاكمهم إلى جوا^٢
يرعون منخرق اللديد كأنهم في المزأسة حاجب وشهاب
مظاهري خلق الحديد عليهم كبنى زرارة أو بنى عتاب
قوم لهم عرفت معد^٣ فضلها والفضل يعرفه ذوو الألباب
وقال زيان بن منصور الفزاري :

فجاءوا يجمع^٤ محزول^٥ كما^٦هم بنو دارم إذ كان في الناس دارم
فكلمت تميم واقترخت ؛ لمكان هذين الشاعرين العظيمي القدر في
قيس ، فدل هذا على أن قيساً أحظى بالمدح من تميم .

والأوابد من الشعر الأبيات السائرة كالأمثال ، وأكثر ما تستعمل
الأوابد في الهجاء ، يقال : رماها بأبدة ؛ فتكون الأبدة هنا الداهية ، قال
الجاحظ : الأوابد الدواهي ، ومنه أوابد الشعر ، حكاه عن أبي زيد ،
وحكى : الأوابد الأبل التي تتوحش فلا يقدر عليها إلا بالعقر ، والأوابد
الطير التي تقيم صيفاً وشتاء ، والأوابد الوحش ؛ فإذا حملت أبيات الشعر على
ما قال الجاحظ كانت المعاني السائرة كالابل الشاردة المتوحشة ، وإن شئت
المقيمة على من قلت فيه لا تفارقه كاقامة الطير التي ليست بقواطع ، وإن
شئت قلت إنها في بعدها من الشعراء وامتاعها عليهم كالوحش في تقاربها
من الناس .

وأما المجدودون في التكسب بالشعر والخطوة عند الملوك ففهم : سلم الخاسر مات عن مائة ألف دينار ، ولم يترك وارثا ، وأبو العتاهية صنع : —

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذل الحرص أعتاق الرجال

وكان صديقه جدا ، فقال سلم : ويلي من ابن الفاعلة ، جمع القناطير من الذهب ونسبني إلى ماترون من الحرص ، ولم يرد ذلك أبو العتاهية ، لكن دعاه يسجبه كما يفعل الصديق مع صديقه ، ومروان بن أبي حفصة : أعطى مائة ألف دينار غير مرات ، وكان لا يقابل إلا بالكثير ، وهو لعمري من خوى البيوتات ، والمعرقين في التكسب بالشعر ، وكان أبو نواس محظوظا لا يدري ما وصل إليه ، لكنه كان متلافا سمحا ، وكان يتساجل في الاتفاق هو وعباس بن الأحنف وصريع الغواني ، وكان البحترى مليا قد فاض كسبه من الشعر ، وكان يركب في موكب من عبيده ، وأما أبو تمام فما وفي حقه مع كثرة ما صار إليه من الأموال ؛ لأنه تذل ، وجاب الأرض ، وكذلك أبو الطيب

(٨٢) — باب ما أشكل من المدح والهجاء

أنشدنا أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوي ، عن أبي علي الحسين بن إبراهيم الأمدى ، لرجل من بني عبد شمس بن سعد بن تميم : —

تَضَيَّفَنِي وَهَذَا قُلْتُ : أَسَاقِي إِلَى الزَادِ؟ شَلَّتْ مِنْ يَدَيَّ الْأَصَابِعُ
وَلَمْ تَلُقْ لِلسَّعْدِيِّ ضِيْفًا بِقَفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا وَهُوَ عُرْيَانٌ جَائِعٌ

لم يرد أنه يسبق ضيفه إلى الزاد فيكون قد هجا نفسه ، ولكنه وصف ذبا لقيه ليلا ، فقال : أتسبقني أنت إلى الآكل ؟ أي : تأكلني ، شئت إذ ذأ أصابعي إن لم أرمك فأقتلك فأكل من لحمك ١١ ثم قال على جهة المثل : لم تلق للسعدى - يعني نفسه - ضيفا بقفرة لا مستحب فيها - يعني الذئب - إلا وهو (١٢٢ - العمدة ج ٢)

جائع ، يقول : فهو لا يبق على لآني بغيته ، ومن أناشيدهم —

أبوك الذي نُبِذْتُ بِحَيْسُ خيله غداة الندي حتى يَمِيفُ لها البقل

قالوا : إذا أخذ مطر الصيف الأرض أنبتت بقلا في أصول بقل قد يبس
فذلك الأخضر هو النسر ، وهو الغمير ، فتأكله الابل ، فيأخذها السهام ،
ولا سهام في الخيل فصابه بالجلجل بالخيول ، وقال الأصمعي : هذا القوق
خطأ ، بل مدحه بمفرقة الخيل ؛ لأن النسر مؤذ لكل من يأكله وإن لم
يكن ثم سهام .

وقال سليمان بن قتة في رثاء الحسين بن علي رضي الله عنهما واذكر آل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويروى للفرزدق : —

أُولَئِكَ قَوْمٌ لَمْ يَشِيمُوا سِيُوفَهُمْ وَلَمْ تَكْثُرِ الْقَتْلُ بِهَا حِينَ مُسِلَتْ

أراد لم يغمدوا سيوفهم إلا بعد أن كثرت بها القتل ، كما تقول : كما
أضربك ولم تمن علي إلا بعد أن جنيت علي ؛ وقال آخرون : أراد لم يسلوا
سيوفهم إلا وقد كثرت بها القتل ، كما تقول : لم ألقك ولم أحسن إليك
إلا وقد أحسنت إليك ، والقولان جميعا صحيحان ؛ لأنه من الأضداد ،
وينشدون قول الآخر : —

هَجَمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْمُمُ كَلْبَهُ دَعِ الْكَلْبَ يَنْبَحْ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَابِجٌ

ويروى : —

دُفِئَتْ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْتَنِقُ كَلْبَهُ أَلَا كُلُّ كَلْبٍ - لَا أَبْلَاكَ - نَابِجٌ

قالوا : فالمدح أن يكون إنما يكتمه لئلا يعقر الضيوف ، والذم أن
يكون ذلك لئلا ينبح فيدل عليه الضيف ، وأنا أعرف هذا البيت في هجاء
محض للراعي هجاء به الخطيئة ، وهو : —

أَلَا قَبِجَ اللَّهُ الْخَطِيئَةَ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ مَنْ وَافَى مِنَ النَّاسِ سَالِحٌ

ويروى * على كل ضيف ضافة فهو صالح *
 هجمنّا عليه وهو يكتمُ قلبهُ دع الكلبَ ينبحُ إنما الكلبُ نابع
 يَكِيتَ على مَذْقِ خَيْبِثٍ قَرَيْتَهُ أَلَا كُلَّ عَبْسِيٍّ عَلَى الزَّادِ نَائِحُ
 وأنشدنا أبو عبد الله :-

* تَجَنَّبُكَ الْجِيُوشُ أَبَا خَيْبٍ وَجَادَ عَلَى مَنَازِلِكَ السَّحَابُ
 ويروى * أبا ريب * قال : إن دعاه فأنما أراد أن يعافى من الجيوش ،
 وأن يجوده السحاب فتخصب أرضه ، وإن دعاه عليه قال : لا بق لك خير تطمع
 فيه الجيوش ، فهي تتجنب ديارك لعلهم بقلة الخير عندك ، ويدعو على
 محله بأن تدرسها الأمطار ، وقال غيره : معناه جاد على محلتك السحاب
 فأخصبت ولا ماشية لك ، فذلك أشد لعمك وعمك ، ويكون المعنى حيثئذ
 كقول الآخر :-

وخيِّفَاءُ أَلْقَى النِّيثُ فِيهَا ذِرَاعَهُ فُسِّرَتْ وَسَاءَتْ كُلُّ مَاشٍ وَمَصْرَمٍ
 أى : فسرت كل ماشية ، وساءت كل فقير ، وأنشد [أبو عبد الله]
 أيضا :-

إِنِّي عَلَى كُلِّ إِسَارٍ وَمَعْسَرَةٍ أَدْعُو حَيْثُمَا كَانَتْ ابْنَةُ الْجَبَلِ
 وروى المبرد * أدعو خنيفا * يريد أنه يجيب بسرعة كالصدى ، وهو
 ابنة الجبل : وقيل : ابنة الجبل الصخرة المنحدرة من أعلاه ، وزاد أبو زيد
 في روايته بيتاً ، وهو :-

إِنْ تَدْعُهُ مَوْهِنًا يَتَجَلَّى بِجِبَابَتِهِ عَارِي الْأَشَاجِعِ يَسْتَمِعُ غَيْرَ مُسْتَمِيلٍ
 فهذا مدح لا محالة ، ومنهم من حمله على قول الآخر :-

كَأَنِّي إِذْ دَعَوْتُ بَنِي حَنِيفٍ دَعَوْتُ بِدَعْوَتِي لَهْمُ الْجِبَالِ
 ورواه قوم * بنى سليم * فمن مدح جعله كالأول في سرعة الإجابة ، ومن
 فم نسبهم إلى الثقل عن إجابته مثل الجبال ، ومن الدعاء الذى يدخل في هذا

الباب قول الآخر : —

تَفَرَّقْتُ غَنَى يَوْمًا قَلْتُ لَهَا : يَارَبَّ سَلِّطْ عَلَيْهَا الذَّنْبَ وَالضُّعْفَ
 قيل : إنهما إذا اجتمعا لم يؤذيا ، وشغل كل واحد منهما الآخر ، وإذا
 تفرقا آذيا ، وقيل : إن معناه في الدعاء عليها قتل الذنوب الأحياء عينا ، وأكل
 الضمير الأموات ، فلم يبق منها بقية ، ومن لطيف ما وقع في هذا الباب قول
 النابغة الذبياني : —

يَصُدُّ الشَّامِرَ الثَّنِيانُ عَنِّي صُدُودَ الْبَكْرِ عَنْ قَرْمٍ هَجَانٍ
 لم يرد أنه يغلب الثنيان ولا يغلب الفحل ، لكن أراد التصغير بالذي
 هاجاه ، فجعله ثانيا ، وقال الآخر : —

وَمَنْ يَفْخَرُ بِمَثَلِ أَبِي وَجَدِي يَجِيءُ قَبْلَ السَّوَابِقِ وَهُوَ ثَانِي
 أراد وهو ثان من عنانه ؛ لأنه يسبق متمهلا . . وقال ابن مقبل : —
 إِذَا الرِّفَاقُ أَنَا خَوَّاحٌ مَنَزِلُهُ حَلُّوا بِذِي فَجَرَاتِ زَنْدُهُ وَارِي
 قال ابن السكيت « بذى فجرات » أى : يتفجر بالسخاء والعطاء ، ويدل
 على ما قال ابن السكيت أن لصيق هذا البيت : —

جَمُّ الْمَخَارِجِ ، أَخْلَاقُ الْكَرِيمِ لَهُ ، صَلَّتِ الْجَبِينِ ، كَرِيمِ انْقَالِ مِثْوَارِ
 وما يمدح به ويذم قولهم « هو يرضى البلد » فن مدح أراد بها أصل
 الطائر ، ومن ذم أراد أنها لا أصل لها ، قالت أخت عمرو بن عبدود في علي
 ابن أبي طالب رضي الله عنه لما قتل أخاها : —

لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرٍو غَيْرَ قَاتِلِهِ لَقَدْ بَكَيْتُ عَلَيْهِ آخِرَ الْأَبْدِ
 لَكِنَّ قَاتِلَهُ مِنْ لَا يُعَابُ بِهِ وَكَأَنَّ يُدْعَى قَدِيمًا يَرْضَى لِلْبَلَدِ
 فهذا مدح كما تراه . . وقال الراعي الغميري يهجو عدى بن الرقاع العاملي : —
 وَكَتَبْتُ مِنْ أَحَدٍ يَهْجُو هَجَوْتُكُمْ يَا ابْنَ الرِّقَاعِ ، وَلَكِنْ لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ

تَأْتِي قُضَاعَةُ أَنْ تَرَضَى لَكُمْ نَسَبًا وَأَبْنَا نَزَارَ ؛ فَأَتَيْتُمْ بَيْضَةَ الْبَكْدِ
وَأَنشَدَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : —

وَأَتَى لَفْلَامٌ لِأَشْعَثَ بَائِسٍ عَرَانَا ، وَمَقْرُورٍ يَرَى مَالَهُ الدَّهْرُ
وَجَارٍ قَرِيبِ الدَّارِ ، أَوْ ذَى جَنَائِيَةِ غَرِيبٍ بَعِيدِ الدَّارِ لَيْسَ لَهُ وَفَرُ
يُظَنُّهُ السَّامِعُ هَجَا نَفْسِهِ بَظَلَمَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرَ ، وَإِنَّمَا مَدَحَهَا بِأَنَّهُ يَظَلُمُ
الثَّنَاءَةَ فَيُنَحِّرُ فَصِيلَهَا مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ وَلَا دَاءٍ ؛ إِلَّا لاضْيَاقَةِ هَذَا الْأَشْعَثِ ، وَالْجَارِ ،
وَأَشْبَاهِهِمَا

(٨٣) — باب في أصول النسب ويوتات العرب

أَوَّلُ النَّسَبِ بَعْدَ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ
مَنْ كَانَ قَبْلَهُ قَدْ هَلَكَ ، وَإِنَّمَا بَقِيَ مِنْ وَلَدِهِ سَامٌ ، وَحَامٌ ، وَيَافَثُ ؛ فَوَلَدَ يَافَثُ
الصَّقَالِبَةَ وَبَرْجَانَ وَالْأَشْتَانَ ، وَكَانَتْ مَنَازِلُهُمْ أَرْضَ الرُّومِ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَكُونَ
الرُّومَ ، وَمِنْ وَلَدِهِ التُّرُكُ ، وَالْخَزَرُ ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ؛ وَوَلَدَ حَامُ كُوشَ
وَكَنْعَانَ وَقُوطَ : فَأَمَّا قُوطُ فَزَلَّ أَرْضَ الْهِنْدِ وَالسِّنْدِ فَأَهْلَاهَا مِنْ وَلَدِهِ ، وَأَمَّا
كُوشُ وَكَنْعَانُ فَأَجْنَسَا السُّودَانَ ، وَالنُّوبَةَ ، وَالزَّبَجَ ، وَالزَّعَارَةَ ، وَالْحَبِشَةَ ،
وَالْقَبْطَ ، وَبَرَبِرَ مِنْ أَوْلَادِهِمَا ؛ وَوَلَدَ سَامُ إِرَمَ ، وَإِرْعَشَشَ ، فَعَادَ بْنَ عَوْصَ بْنَ
إِرَمَ ، وَطَسَمَ وَجَدِيسَ ابْنَا لَأَوْذَ بْنَ إِرَمَ ، وَمِنْهُمْ الْعَمَالِيقُ ، وَمِنْهُمْ فَرَاعَتُهُمْ صَرُ ،
وَالْجَبَابِرَةُ ، وَمِنْهُمْ مَلُوكُ فَارَسَ ، وَأَجْنَسَا الْفَرَسَ كُلَّهَا وَلَدَهُ ، وَثُمُودَ بْنَ عَابِرَ بْنَ
سَامَ ، وَمَاشَ ابْنَ إِرَمَ نَزَلَ يَابِلَ ، وَ[مِنْ] وَلَدِهِ نَمْرُودَ الَّذِي فَرَّقَ اللَّهُ الْأَلْسِنَةَ فِي زَمَانِهِ
وَهُوَ الَّذِي بَنَى الصَّرْحَ يَابِلَ ، وَيُقَالُ : إِنَّ النَّبْطَ مِنْ وَلَدِ مَاشَ ؛ وَيُقَالُ أَيْضًا إِنَّهُمْ
مِنْ وَلَدِ شَارُوحَ بْنِ قَالِغَ بْنِ إِرْعَشَشَ ، وَالْأَنْبِيَاءُ كُلُّهَا عَرَبِيَّهَا وَعَجَمِيَّهَا ، وَالْعَرَبُ
كُلُّهَا يَمَنِيَّهَا وَنَزَارِيَّهَا مِنْ وَلَدِ سَامَ بْنِ نُوحَ ، حَكَى جَمِيعَ ذَلِكَ ابْنُ قَتِيْبَةَ ، وَمِنْ
وَلَدِ إِرْعَشَشَ قَحْطَانُ بْنُ عَابِرَ بْنِ شَاخِ بْنِ إِرْعَشَشَ ، وَكَانَ مَسْكَنُ قَحْطَانِ

العين ، فكل يمان من ولده ، فهم من العرب العاربة . ويقطن بن عابر ، وهو أبو جرم ، وكانت مساكن جرم العين ، ثم نزلوا مكة فسكنوا بها ، وتزوج إسماعيل صلى الله عليه وسلم امرأة منهم ، فهم أحوال العرب المستعربة .

قال الزبير بن بكار : العرب ست طبقات : شعب ، وقيلة ، وعامرة ، وبطن ، وفخذ ، وفصيلة : ففضر شعب ، وريعة شعب ، ومذحج شعب ، وحمر شعب ، وأشباههم ، وإنما سميت الشعوب لأن القبائل تقسمت منها ، وسميت القبائل لأن العائر تقابلت عليها : أسد قبيلة ، ودردان بن أسد عامرة ، والشعب يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطون تجمع الأخاذ ، والأخاذ تجمع الفصائل : كنانة قبيلة ، وقريش عامرة ، وقصى بطن ، وهاشم فخذ ، والعباس فصيلة .

وزعم أبو أسامة - فيما رأيت بخطه - وقد عاصرتة ، وكان علامة باللغة - أن تأليف هذه الطبقات على تأليف خلق الإنسان الأرفع فالأرفع : فالشعب أعظمها ، مشتق من شعب الرأس ، ثم القبيلة من قبلته ، ثم العمارة ، قال : والعمارة الصدر ، ثم البطن ، ثم الفخذ ، ثم الفصيلة ، قال : وهي الساق ، أو قال : الفصل ، الشك مني أنا ، قال : والحي أعظم من الجميع لاشتغال هذا الاسم على جملة الإنسان .

وأما أبو عبيدة فجعل بعد الفخذ العشيرة ، قال : وهم رطط الرجل دنيا ^(١) ثم الفصيلة ، قال : دون ذلك بمنزلة الفصل من الجسد ، وهم أهل بيت الرجل ، فأما البيوتات فكل يدعى لنفسه سابقة ، ويمتد^٢ بفصيلة ، غير أن الصحيح ما اتفق عليه العلماء ، وتداوله الرواة .

قال ابن الكلبي : كان أبي يقول : العدد من عيم في بني سعد ، والبيت في بني

(١) في الأصول «ديننا» بتقديم الياء على النون ، والصواب العكس كما أثبتناه

دارم ، والفرسان في بني يربوع ، والبيت من قيس في غطفان ، ثم في بني فزارة
والعدد في بني عامر ، والفرسان في بني سليم ، والعدد من ربيعة ، [في بكر]
والبيت والفرسان في شيبان

قال ابن سلام الجعفي : كان يقال : إذا كنت من تميم فقاخر بجنظلة ،
وكاثر بسعد ، وحارب بعمر ، وإذا كنت من قيس فقاخر بغطفان ، وكاثر
بهوازن ، وحارب بسليم ، وإذا كنت من بكر فقاخر بشيبان ، وكاثر
بشيبان ، وحارب بشيبان .

قال أبو عبيدة : ليس في العرب أربعة إخوة أنجب ولا أعد ولا أكثر
فرساناً من بني ثعلبة بن عكابة ، وكان يقال له : الأغر والحسن ، وبنوه
شيبان ، وفهّل ، وقيس ، وتيم الله . قال : ففارس غطفان الربيع بن زياد
العبيسي ، وفاتكها الحارث بن ظالم ، وحاكها هرم بن قطبة ، وجوادها هرم
ابن سنان المري ، وشاعرها النابغة الذبياني ، وفارس بني تميم عتيب ^(١) بن
الحارث بن شهاب أحد بني يربوع ، وفارس عمرو بن تميم طريف بن تميم
العنبري ، وفارس دارم عمرو بن عمرو بن عدس ، وفارس سعد فديكي
ابن أعبد المنقري ^(٢) ، وفارس الرباب زيد الفوارس بن حصن الضبي ،
وفارس قيس عامر بن الطفيل ، وفارس ربيعة بسقلم بن قيس .

قال أبو عبيدة : بيوت العرب ثلاثة : بيت قيس في الجاهلية بنو فزارة
ومركزه بنو بدر ، وبيت ربيعة بنو شيبان ، ومركزه ذو الجدين ، وبيت
تميم بنو عبد الله بن دارم ، ومركزه بنو زارة .

وقال أبو عمرو بن العلاء : بيت بني سعد اليوم إلى الزبرقان بن بدر من

(١) هكذا في النسخ والمخطوط « عتيبة » وشاهده قول الشاعر : -

إن يقتلوك فقد ثلثت عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب

(٢) هو جد عمرو بن الأهم لأمه ؛ قال أم عمرو ميا بنت فديكي بن أعبد

بنى بهلة بن عوف بن كعب بن سعد ، وبيت بنى ضبة بنو ضرار بن عمرو ^(١) الرديم ، وبيت بنى عدى بن عبد مائة آل شهاب من بنى ملكان ، وبيت التيم آل النعمان بن جساس .
قال : وليس في العرب جساس غيره ..

قال الجمحي : فارس التيم في بنى زيد عمرو بن معدى كرب ، وشاعرها امرؤ القيس ، وبيتها في كندة الأشعث بن قيس ، لا يختلف في هذا ، وإنما اختلف في نزار .. قال : وأما الشرف ما كان قبل النبي صلى الله عليه وسلم إلى عهد النبي واتصل في الاسلام .

قال أبو إياس البصري : كان بيت قيس في آل عمرو بن ظرب العدواني ، ثم في غنى في آل عمرو بن يربوع ، ثم تحول إلى بنى بدر ، فجاء الاسلام وهو فيهم ،

وقال الأخفش على بن سليمان : فرعا قريش هاشم وعبد شمس ، وفرعا غطفان بدر بن عمرو بن لوزان وسيار بن عمرو بن جابر ، وفرعا حنظلة رياح وثعلبة ابنا يربوع ، وفرعا ربيعة بن عامر بن صعصعة جعفر وبكر ابنا كلاب ، وفرعا قضاعة عذرة والحارث بن سعد

(٨٤) - باب مما يتعلق بالانساب

قال أبو عبيدة : قريش البطاح قبائل : كعب بن لؤى بن عبد مناف ، وبنو عبد الدار وعبد العزى ابنا قصي ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو غزوم ابن يقظة ، وبنو تيم بن مرة ، وبنو جح وسهم ابنا هصيص بن كعب ، وبعض بنى عامر بن لؤى

وقريش الظواهر : بنو محازب والحارث ابنا فهر ، وبنو الأدرم بن غالب

(٣) قال المجد في القادوس : « والرديم كأمير : لقب فارس منهم » اهـ

ابن فهر ، وعامة بني عامر بن لؤى ، وغيره .

كان يقال : مازن غسان أرباب الملوك ، وحير أرباب العرب ، وكندة كندة الملك ، ومذحج مذحج الطعان ، وعمدان أحلاس الخيل ، والأزد أسد البأس ، والذهلان : أحدهما ذهل بن شيان بن ثعلبة ويشكر ، والآخر ضبيعة وذهل بن ثعلبة ، واللهمتان : إحداهما عجل وتيم اللات ، والأخرى قيس بن ثعلبة وعنزة ، وكلهم من بكر بن وائل إلا عنزة بن أسد بن ربيعة الأحابيش : حلفاء قريش . قال ابن قتيبة : هم بنو المصطلق ، والحياة ابن سعد بن عمرو بنو الهون بن خزيمة : اجتمعوا بذهب حبشى - وهو جبل بأسفل مكة - فتحالفوا بالله إننا ليد على غيرنا ما سجا ليل وأوضح نهار وما أرسى حبشى مكانه . وقال حماد الراوية : إنما سموا بذلك لاجتماعهم ، والتحابش هو التجمع في كلام العرب .

المطيون : عبدمناف ، وزهرة ، وأسد بن عبدالمزى ، وتيم ، والحارث ابن فهر ، وعبد قصى .

الأحلاف : مخزوم ، وعدى ، وسهم ، وجمع ، وعبد الدار ، سمو أولئك المطيين لخلق صنعة لهم أم حكيم فغمسوا أيديهم فيه ، وسموا الآخرون أحلافا لجزور نحره ، فدافوا دمه في جفنة فسوه بأيديهم ولعقوامته وسموا الأحلاف ولعة الدم .

والأراقم : جشم ، ومالك ، وعمرو بن ثعلبة ، ومعاوية ، والحارث ، بنو بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب بن وائل . قال أبو علي : ليس في العرب نصراني غيره .

البراجم : خمسة بطون من بني حنظلة : قيس ، وغالب ، وعمرو ، وكلفة ، والظليم ، وهو مرة ، تبرجوا على إخوانهم يربوع وريعة ومالك ، وكلهم أبوهم حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرة

التمليات : ثعلبة بن سعد بن ضبة ، وثعلبة بن سعد بن ذبيان ، وثعلبة بن

عدى بن فزارة ، وأضاف إليهم قوم ثعلبة بن يربوع .
والرياب : هم ضبة بن أد بن طابخة ، وتيم ، وعدى ، وعوف - وهو عكل -
وثور ، وكل هؤلاء بنو عبد مناة بن أد بن طابخة ^(١) .

•
الاجارب : خمس قبائل من بني سعد : وهم ربيعة ، ومالك ، والحارث -
وهو الأعرج - وعبد العزى ، وبنو حمار .
•
والحرام : بنو كعب بن سعد بن زيد مناة .

الضباب : هم أربعة بطون من بني كلاب : ضب ، وضبيب ، وحسل ،
وحسيل ، بنو معاوية بن كلاب ، كذا زعم ابن قتيبة وغيره . . وقال أبو زيد
الكلابي ، وهو أعلم بقومه : هم بنو عمرو بن معاوية بن كلاب ، وإنما
سموا ضباباً لأنه سمي فيهم ضبا وحسلا وحسيلا ، فقال له الرجل وسمعه يهتف
بهم : والله ما بنوك هؤلاء إلا الضباب ، فسموا الضباب إلى اليوم ؛ قال :
ومن ولد عمرو بن معاوية بن كلاب : ضب ، وحسل ، وحسيل ، وحسن ،
وحسين ، وخالد ، وعبد الله ، وقاسط ، والأعراف ، وتولب م وشقيق ،
وخزيم ، والوليد ، وزهير ، فهؤلاء أربعة عشر لم تدرج منهم قبيلة ، وهم
الضباب جميعاً .

الأكابر : شيان ، وعامر ، وجليعة ، والحارث بن ثعلبة بن عكابة بن صعب
ابن علي بن بكر بن وائل

بنو أم البنين : عامر ، والطفيل ، وربيعة ، وعبيدة ، ومعاوية ، بنو مالك
ابن جعفر بن كلاب ، هكذا عند أكثر الناس ، قالوا : وإنما اضطرت ^(٢) القافية

(١) قال المرتضى : « والرياب أحياء ضبة ، وهم تيم وعدى وعكل ، وقيل
تيم وعدى وعوف وثور وأشيب ، وضبة معهم . سمو بذلك لتفرقهم ؛ لأن الربة
الفرقة ، ولذلك إذا نسبت إلى الرياب قلت ربي ، فترده إلى واحده » اهـ
(٢) ف قوله أم البنين بن المنذر :

نحن بنى أم البنين الأربعة ونحن خير عامر بن صعصعة

ليدا فجعلهم أربعة وهم خمسة.. وقال أبو زيد الكلاني، وهو أعلم بقومه: إن بني أم البنين أربعة، كما قال ليد: ابتكرت عامراً ملاعب الألسنة وثنت بالطفيل، ثم تزوج عليها مالك سلامة السلمية، فغارت أم البنين وأسقطت له ثلاثة ذكورا وجاءت السلية بثلاثة، وهم: سلى، وعبيدة، وعتبة، فأدار مالك الحيلة على أم البنين وأخيا زهير بن خدّاش بن زهير، حتى أخذ عليها حكماً بأن لا تسقط ولداً وكانت حاملاً، فولدت معاوية معوذ الحكماء^(١)، ثم ثنت بريعة أبي ليد، وزعم بعض شيوخه الذين أخذ عنهم أنه سمي معوذ الحكماء^(٢) من أجل أنه تولى حكماً عن زهير بن عمرو على أخيه، وروى آيات معاوية التي من أجلها سمي معوذ الحكماء^(٣) لزيد الخيل، غير أنه لم ينشد البيت، وزعم أنه ناقض بها طفيل الغنوي.. قال: وأم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الضحيا.

الكلمة: بنو زياد العبيسون، وهم: أنس الحفاظ، ويقال له أيضاً: أنس الفوارس، وعمارة الوهاب، وربيح الكامل، وقيس الجواد، هكذار وينا، عن النحاس.. قال المبرد وغيره: ربيع الحفاظ، وعمارة الوهاب، وأنس الفوارس، أمهم فاطمة بنت الخرشب الأنمارية.

الحس: هم قریش، وكنانة، ومن دان بدينهم من بني عامر بن صعصعة

وانظر هذا الكتاب (ج ١ ص ٣٧)

(١) معوذ الحكماء بالفتح المعجمة كما في اللسان عن ابن بري، والتي في القاموس وشرحه «معوذ الحكماء» بالفتح المهملة، ومنهم من يلقبه «معوذ العلماء» جمع حليم - باللام - ومنهم من يلقبه «معوذ الحكماء» والتي في القاموس أولى، قال: «ومعوذ الحكماء لقب معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب لقوله: -

أعود مثلها الحكماء بعدى إذا ما الحق في الأشياخ نيا

ونابا: عرا. ويروى في مكانه «بابا» أي: ظهر، ويروى في مكان الشطر الثاني * إذا ما. مغل الخدّان نابا» اه مع زيادات من الشرح وفيه بعض تصرف

قال أبو عمرو بن العلاء : المحس من بني عامر : كلاب ، وكعب ، وعامر ، بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وأمه محمد بنت التيم الأدرم بن غالب بن فهر بن مالك ، وكانوا في الجاهلية يتحمسون في أديانهم ، أي : يتشددون لا يستظلون أيام منى ولا يدخلون البيوت من أبوابها ، وقيل : سموا حساً لشدة بأسهم ، ويعدون في المحس خزاعة .

العنابس : حرب ، وأبو حرب ، وسفيان ، وأبو سفيان ، وعمرو ، وأبو عمرو ، وبنو أمية بن عبد شمس .

والأعياص : العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص ، وبنوه أيضاً أم القباثل : هند بنت تميم بن مر ، ولدت لعمرو بن قاسط تيم الله ، وأوس الله ، وعائد الله ؛ وولدت لوائل بن قاسط بكرا ، وتغلب ، وعزرا ، وقيل : هو عز بن وائل ؛ وولدت لعبد القيس بن قصي اللبوك بن عبد القيس ، وبعضهم يقول : اللبوء - بالهمز وبضم الباء - وفيه اختلاف بين العلماء .

الجمرات : جمرات العرب ضبة ، وعيس ، والحارث بن كعب ؛ سموا بذلك لأن أهمهم الحنشاء بنت برة - فيما يقال - رأت في المنام كأن ثلاث جمرات خرجت منها ، قال أبو عبيدة : فطفت من الجمرات اثنتان الحارث ابن كعب حالفت في غطفان ، وضبة حالفت الرباب وسعدا ، وبقيت عيس لم تطلقاً لأنها لم تحالف ، وأما الجاحظ فجعلها عيسا وضبة ونميراً ، وأشار إلى أن في تميم جمرا أيضاً ، وصرح بذلك المفضل ، فقال : هم بنو يربوع ، وزعم الفرزدق أنهم بنو العدوية ، نسبوا إلى أهمهم ، وهم زيد ، وصدى ، وجشيش بنو مالك بن حنظلة ، وزعم آخرون أنهم بنو مالك بن خزيمه بن تميم بن جل بن عبد مناة بن أد ، غير أنهم جعلوا مكان جشيش يربوعا ، ومن الجمرات التي لم تطلقاً عند بعضهم نمير بن عامر بن صعصعة ؛ لأنهم لم يحالفوا أحداً من العرب ، قال الجاحظ : إنما قيل لكل واحد منها جمرة ؛ لأنهم تجمعوا حتى قروا على عدوهم واشتدوا ، قال : ويجوز أن يكون اشتقاقه من تجمير المرأة

شعرها ، إذا ضغرتة قيل : قد جمرته ، وقال غيره : ومنه خف بجمر إذا كان مجتمعاً شديداً .

طيبة بنت عيشم بن سعد ولدت لمالك بن حنظلة عوفاً ، وأباً سود ، وريعة ، وآخر لم يعرفه ابن الكلبي ، فعرف أولادها بها .

والموالى ثلاثة : مولى اليمين المخالف ، ومولى الدار المجاور ، ومولى النسب ابن العم والقرابة . قال الشاعر : —

نبئت حياً على نعمانٍ أفردهم مولى اليمين ومولى الدار والنسب

(٨٥) — باب ذكر الوقائع والأيام

قد أثبت في هذا الباب ما تأدى إلى من أيام العرب ووقائعهم ، مستخرجة من النقائض وغيرها ، ولم أشرط استقصاءها ، ولا ترتيبها ؛ إذ كان في أقل مما جئت به غنى ومقنع ، ولأن أبا عبيدة ونظراءه قد فرغوا مما ذكرت ، فإنما هذه القطعة تذكرة للعالم ، وذريعة للتعلم ، وزينة لهذا الكتاب ، ووفاء لشروطه ، وزيادة لحسنه ؛ إذ كان الشاعر كثيراً ما يؤتى عليه في هذا الباب ، وأنا أذكر ما علمته من ذلك في أقرب ما أقدر عليه من الاختصار إن شاء الله تعالى ، بعد أن أقدم في صدره أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقائعه مع المشركين ؛ لأنه أولى بالتقديم ، وأحق بالتعظيم ، ولما أرجوه من بركة اسمه ، وافتتاح القصص بذكره .

غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة « ودان » على رأس الحول من الهجرة ، ثم غزا عيرا لقريش بعد شهر وثلاثة أيام ، ثم غزا في طلب كرز ابن حفص حتى بلغ بدرأ بعد عشرين يوماً ووجهت القبلة إلى الكعبة ، ثم غزا « بدرأ » فكان يوم بدر لسته عشر يوماً خلت من شهر رمضان من سنة اثنتين ، وكان المشركون يومئذ تسعمائة وخمسين رجلاً ، والمسلمون ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً ، فقتل من المشركين خمسون رجلاً ، وأسرا أربعة

وأربعون ، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً .
يوم أحد : كان في شوال من سنة ثلاث ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعمائة ، وقريش في ثلاثة آلاف ، وفي هذه الغزوة استشهد حمزة رضي الله عنه .

يوم الخندق : كان في سنة أربع .
يوم بني المصطلق وبني الحيان : في شعبان سنة خمس .
ويوم خيبر : في سنة ست

وكان يوم « مؤتة » في سنة ثمان ، واستشهد فيه زيد بن حارثة أمير الجيش ، وجعفر بن أبي طالب أمير الجيش أيضاً بعده ، وعبد الله بن رواحة أمير الجيش بعدهما ، وقام بأمر الناس خالد بن الوليد ، وكانوا في ثلاثة آلاف وكان فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان ، وبعده بخمس عشرة ليلة سار إلى « حنين » في شوال ، ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع هوازن في شوال للنصف منه ، فانهزم المسلمون ، وكان الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : علي بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل ابن العباس بن عبد المطلب ، وأبوسفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وابنه وأيمن بن عبد الله ، وهو ابن أم أيمن ، واستشهد ذلك اليوم ، وريعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وأسامة بن زيد بن حارثة ، وفي رواية أخرى أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، والعباس ، وابنه ، وأبوسفيان بن الحارث ، وريعة بن الحارث ، وأيمن ، وأسامة ، ثم رجع الناس من وقتهم ، وانهزم المشركون ، وكانت الكرة عليهم لله ولرسوله .

ثم سار بعد حنين إلى « الطائف » فحاصرها شهراً ولم يفتحها ، وغزا بلاد الروم فدرج من [سنة] تسع فبلغ تبوك وبني بها مسجداً ، هو بها إلى اليوم ، وفتح الله عليه في سفره ذاك « دومة الجندل » على يد خالد بن الوليد ، وكل هذا مختصر من كتاب ابن قتيبة ، وإياه قللت فيما رأيت من هذه

الطريقة ، والله المستعان ، وعليه توكلت

وهذه أيام العرب : يوم « إراب » ^(١) لبني ثعلبة بن بكر ، رئيسهم الهذيل بن حسان ، على بني رياح بن يربوع ، وكان الهذيل سبي نساء بني رياح ، والتقى بهم على إراب ، وقد سبقه بنو رياح إليه لينعمهم الماء ، حتى يرد السبي ، فأقسم الهذيل لئن رددتم إلينا ماء فارغاً لأأتينكم فيه برأس إنسان تعرفونه فاشترؤا منه بعض السبي ، وأطلق البعض ..

يوم « نعف فشاة » لبسطام بن قيس رئيس بني شيان ، على بني يربوع ، قتل فيه بجيراً ، وأسر أباه أبا مليل ، ثم من عليه من وقته ، وترك له ميلاً ولده ، وكان أسيراً عنده بعد أن كساه وحمله

يوم « نجران » للأقرع بن حابس في قومه بني تميم ، على اليم ، هزمهم وكانوا أخلاطاً ، وفيهم الأشعث بن قيس ، وأخوه ، وفيهم ابن باكور الكلاعي الذي اعتق في زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أربعة آلاف أهل بيت في الجاهلية أسروا ..

يوم « الصمد » ^(٢) وهو يوم « طلع » ويوم « بلقا » ويوم « اود » ويوم « ذى طلوح » كلها يوم واحد ، لبني يربوع على بني شيان ورئيسهم الحوفزان ، ورئيس الهبازم أبجر بن بجير ^(٣) العجلي يوم طخفة ^(٤) وهو أيضاً يوم « ذات كهف » ويوم « خزاز » في قول بعضهم

(١) إراب - بكسر الهمزة وآخره باه موحد - قال ياقوت : بخط اليزيدي في شرحه « إراب ماء لبني رياح بن يربوع بالحزن » اهـ

(٢) الصمد - بفتح فسكون - أصله الصلب من الأرض

(٣) القى في ياقوت « أبجر بن جابر العجلي »

(٤) طخفة - بكسر الطاء ويروى بفتحها مع سكون الخاء - موضع بعد

التباج وبعد إمرة في طريق البصرة إلى مكة ، وقال الأصبغى : جبل أحر طويل حذاه بئر ومنهل

لبنى يربوع والبراجم على المنذر بن ماء ^(١) السماء ، أسروا فيه أخاه حسان ، وابنه قابوس ، وجزت ناصية قابوس ، وكان ذلك بسبب إزالة الرداقة عن عوف بن عتاب الرياحي .

يوم « المروت » ^(٢) : وهو يوم « إرم الكلبة » تقارب من النجاج ، لبني حفظة وبني عمرو بن تميم ، على بني قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة ، وكان الذكر فيه لبني يربوع ، وإنما أغارت قشير على بني العنبر فاستنقذ بنو يربوع أموال بني العنبر وسبيهم من بني عامر

يوم « مليحة » ^(٣) : لبني شيان على بني يربوع ، ورئيسهم ^(٤) بسطام ابن قيس ، وقتل ذلك اليوم عصمة بن النجار ، فلما رآه بسطام قال : ما قتل هذا إلا لشكل رجلا أمه ، فقتل به يوم العطالي قاتله الهبش بن المقعاس يوم « اللوى » : لفزارة على هوازن ، وفيه قتل عبد الله بن الصمة ، وأئمن أخوه دريد

يوم « الصليفاء » ^(٥) : لهوازن على فزارة وعبس وأشجع ، وفيه قتل دريد بأخيه ذؤاب بن أسماه

(١) في ياقوت « على قابوس بن المنذر بن ماء السماء »

(٢) المروت - بفتح الميم وتشديد الراء مضمومة وبعد الواو تاء مثناة - اسم نهر ، وقيل : واد بالعالية كانت به الوقعة

(٣) مليحة - على زنة المنذر - اسم جبل في غربي سلمى أحد جبال طيء ، وبه آثار كثيرة قوملح ، وقيل : مليحة موضع في بلاد تميم

(٤) هو رئيس بني شيان

(٥) كذا هو في الأصول ، وليس صحيحا ، وإنما الصحيح « الصليفاء » بالعين المهملة بعد اللام . قال أبو محمد الأسود : أغار دريد بن الصمة على أشجع بالصليفاء وهي بين حاجر والنقرة ، اءمن ياقوت ، والصليفاء : يوم غير هذا

يوم « الهبابة ^(١) » : وهو « يوم الجفر » لعيس على ذيان ، وفيه قتل حذيفة بن بدر وأخوه حَمَل سِيدَانِي فزارة ، وكان يقال لحذيفة « رب معدة » . يوم « عراعر ^(٢) » : لعيس على ثَلَب وذيان ، وفيه قتل مسعود بن مصاد الكلبي ، وكان شريفاً .

• يوم « الفروق ^(٣) » : بين عيس وبنى سعد بن زيد مناة ، قاتلوهم فنمعت عيس أنفسهم وحريمها وخابت غارة بنى سعد ، وقيل لعيس بن زهير - ويقال عنتره - : كم كنتم يوم الفروق ؟ قال : ما تفارس كالذهب ، لم نكثر ففشل ولم نقل فنذل .

يوم « شعب جبلة ^(٤) » : قال أبو عبيدة : كانت عظام أيام العرب ثلاثة : يوم كلاب ربيعة ، ويوم شعب جبلة ، ويوم ذى قار ، وكان يوم الشعب لبني عامر بن صعصعة وعيس حلفائهم على الحليفين أسد وذيان ، ورئيسهم حصن بن حذيفة ، يطلب عبساً بدم أبيه ، وتطلب عيس بن بغيض بدم أبيهم ، ومُعهم معاوية بن الجون الكندي في جمع من كندة ، وعلى بنى حنظلة بن مالك والرباب رئيسهم لقيط بن زرارة يطلب بدم معبد أخيه ، ويثرى بن عدى ومعهم حسان بن الجون أخو معاوية - وقيل : بل عمرو بن الجون -

(١) الهبابة : هي أرض يبلاد غطفان كانت فيها الموقعة . وجفر الهبابة : مستنقع في هذه الأرض

(٢) عراعر - بضم العين المهمة الأولى وكسر الثانية - ماء لكلب بناحية الشام

(٣) الفروق - بفتح الفاء - عقبة دون حجر إلى نجد بين حجر ومهب الشمال

(٤) قال ياقوت : « جبلة - بالتحريك - اسم لعدة مواضع : منها جبلة

- ويقال : شعب جبلة - الموضع الذي كانت فيه الموقعة المشهورة بين بنى عامر وتميم

وعيس وذيان وفزارة . وجبلة هذه هضبة حمراء بنجد بين الشريف - مصفرا -

والشرف . والشريف : ماء لبني نعيم . والشرف : ماء لبني كلاب

(١٣م - العملة - ج ٢)

وحسان بن مرة الكلي أخو النعمان بن المنذر لأمه .

وقال غير أبي عبيدة : كان مع أسد وذيان معاوية بن شرحبيل بن الحارث ابن عمرو بن آكل المرار ، ومع بني حنظلة والرباب حسان بن عمرو بن الجون في جموع من كندة وغيرهم ، فأقبلوا إليهم بوضائع كانت تكون مع الملوك بالحيرة وغيرها ، وهم الرابطة ، وجاءت بنو تميم فيهم لقيط وحاجب ، وعمرو بن عمرو ، ولم يتخلف منهم إلا بنو سعد بن عهم أن صعصة هو ابن سعد ، ولم يتخلف من بني عامر إلا هلال بن عامر وعامر بن ربيعة بن عامر ، وشهدت غنى وباهلة وناس من بني سعد بن بكر وقبائل بجيلة إلا قشيراً ، وشهدت بنو عيس بن رفاعة بن بهثة بن سليم عليهم مرداس بن أبي عامر أبو العباس ابن مرداس صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد معهم نفر من عكل ، فاتمى جميع أهل الشعب يومئذ ثلاثين ألفاً ، وجاء الآخرون في عدد لا يعلمه إلا الله عز وجل ، ولم يجتمع قط في الجاهلية جمع مثله ، فانهزمت تميم وذيان وأسد وكندة ومن لف لفهم . وقتل لقيط بن زرارة : طعنه شريح ابن الأخوص ، فحمل مرتباً فـت بعد يوم أو يومين ، وأسر حسان بن الجون ، أسره طفيل بن مالك ، وأسر معاوية بن الحارث بن الجون ، أسره عوف بن الأخوص ، وجز ناصيته وأطلقه على الثواب ، ولقيه قيس ابن زهير فقتله ، وأسر حاجب بن زرارة ، أسره ذو الرقية مالك بن سلبة ابن قشير ، وأسر عمرو بن عمرو بن علس ، أسره قيس بن المنتفق ، فجز ناصيته وأطلقه على الثواب ، وكان يوم جيلة قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة ، وقبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبع عشرة سنة ، وفي يوم الشعب ولد عامر بن الطفيل ، هكذا روى محمد بن حبيب عن أبي عبيدة ، وروى عنه غيره خلاف ذلك

يوم «أقرن» : لبني عيس على بني تميم ، وبخاصة بني مالك بن مالك بن حنظلة ، وفي هذا اليوم قتل عمرو بن عمرو بن علس ، وابنه شريح ،

وأخوه ربيعي ، وكان عمرو بن عمرو خرج مراغماً للنعمان بن المنذر ، فسيى سياً من عبس ، وغنم مالا ، وابنتى بجارية من السبي ، فأدركته عبس فكان من أمره ما كان

يوم « زبالة » ^(١) : لبنى بكر بن وائل ، وبخاصة بنى شيان وبنى تميم الله ، رئيسهم بسطام ، على بنى تميم ورئيسهم الأقرع بن حابس ، أسر فيه الأقرع وأخوه فراس ، واستنقذهما بسطام بعد أن حكم عليه عمران بن مرة بمائة ناقة

يوم « جدود » ^(٢) : لبنى سعد بن زيد مناة على بنى شيان ، وكانت بنو شيان أغارت مع الحوفزان على سعد ، فأدركهم قيس بن عاصم المتقرى فقتلهم واستنقذ ما كان في أيديهم ، وفاته الحوفزان لصلابة فرسه ، فلما يش من أسره حفزه بالرمح في خزانة وركة فانتفضت عليه بعد حول فمات منها ، وسألت في هذا اليوم بنو يربوع الجيش على تمر أخذه منهم وفضل ثياب ، فغيرتهم بذلك منقر

يوم « الكلاب الأول » لسلبه بن الحارث بن عمرو المقصور ، ومعه بنو تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة والصنائع ، على أخيه شرحبيل ابن الحارث بن عمرو ومعه بكر بن وائل بن حنظلة بن مالك وبنو أسد

(١) زبالة - بضم الزاي - قال ياقوت : « منزل معروف بطريق مكة من الكوفة ، وهى قرية طامرة بها أسواق بين واقصة والعتبية ، وقال أبو عبيد السكونى : زبالة بعد اتاع من الكوفة ، وقبل الشقوق فيها حصن وجامع لبنى فاضرة من بنى أسد . ويوم زبالة من أيام العرب ، قالوا : سميت زبالة بزبلها الماء أى بضبطها له ، وقال ابن الكلابي : سميت زبالة باسم زبالة بنت مسعر امرأة من العمالة نزلتها » اهـ

(٢) جدود - بفتح الجيم - اسم موضع فى أرض بنى تميم قريب من حزن بن يربوع على سمت البهامة . . . وكانت فيه وقعتان مشهورتان عظيمتان من أعرف أيام العرب اهـ من ياقوت

وطوائف من بنى عمرو بن تميم والرباب ، ولم يكونوا ذلك الوقت يدعون رباباً ، وإنما تربيوا بعد ذلك ، حكاه أبو عبيدة ، فقتل شرحبيل : قتله أبو حنش عاصم بن النعمان الجشمي ، ويقال : بل قتله ذو النثية حبيب بن عتبة الجشمي ، وكانت له سن زائدة ، وهو أخو أبي حنش لأمه ، وهي سلى بنت عدى بن ربيعة أخى مهلب ، هكذا أثبتوا في هذا الموضع أن عديا آخر مهلب ، ويسمى الكلاب الأول أيضاً

يوم « الشعبة »^(١) [وهو] يوم « الكلاب الثاني » لبني تميم وبني سعد والرباب رئيسهم قيس بن عاصم ، على قبائل مذحج في نحو اثني عشر ألفاً رئيسهم زيد بن المأمور ، وهو مذحج وهمدان وكندة ، وفي هذا اليوم أسر عبد يغوث بن وقاص الحارثي وهُتيم فم سمي بن سنان ، بعد أن أسر رئيس كندة : هتمه قيس بن عاصم بقوسه ، وانتزع عبد يغوث من يدي الأهم بعد أن شرط المأسور لموصله إليه مائة ناقة من الإبل ، انتزعتها التيم فقتلوه برئيسهم النعمان بن جساس ، وكان قد قتل ذلك اليوم ، وسُمي الكلاب الثاني أيضاً

يوم « حر الدواب » قال أبو عبيدة : لم يشهد من تيم إلا الرباب وسعد خاصة ، وكان الفنا من الرباب لتيم ، ومن سعد لمقاعس يوم « ذى ييض » أغار الحوفزان على بني يربوع فسيبوا نسوة منهم ، فأصرختهم بنو مالك بن حنظلة ، واستنقذوا النسوة ، وأسروا الحوفزان : أسره حنظلة بن بشر بن عمرو ، وزعم قوم أن هذا اليوم يوم « الصمد » يوم « عاقل » : لبني حنظلة على هوازن ، وفيه أسر الصمة بن الحارث ابن جشم ، وهزم جيشه ، وكان الذي أسره الجعد بن الشماخ أحد بني عدى

(١) شعبية - يضم ففتح - واد أعلاه من أرض كلاب ، ويصب في سد قناة ، وهو واد

ابن مالك بن حنظلة ، ثم أطلقه بعد سنة ، وجز ناصيته على أن يثيبه ، فأثابه على الثواب فضرب الصمة عنقه ، ثم غزا بني حنظلة ثانية فأسره الحارث ابن نبيه المجاشعي ، وأسر رجل من بني أسد - وكان زبيلا عند ابن أخته له في بني يربوع - ابنا للصمة ، فاقتدى الصمة نفسه ، ومضى مع ابن نبيه في فداء ابنه إلى الأسدى التازل في بني يربوع ، فطعنه أبو مرحب بالسيف فقتله لشيء كان بينهما عند حرب بن أمية ، فبنو مجاشع تعير بذلك

يوم « عَيْنَيْنِ (٢) » : لبني نهشل على عبد القيس ، منعوا فيه بني منقر وقد خرجوا ممتارين من البحرين ، فرضت لهم عبد القيس ، واستغاثوا ببني نهشل فحومهم واستغفروهم

يوم « قَلْبِي (٣) » : منعت بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان بنى عبس الماء وغلبتهم عليه بعد إصلاح فزارة ومرة ، حتى أخذوا دية عبد العزى يوم جدار ومالك بن سبيع

يوم « بُزْأَخَة » : لبني ضبة على محرق النسانی وأخيه فارس مودود ، أغاروا على بني ضبة بيزاخة في طوائف من العرب من إباد وتغلب وغيرهما ، فأدركتهم بنوضه ، فأسر زيد الفوارس محرقا ، وأسر أخاه حنش بن الدلف ثم قتلاهما بعد أن هزم من كان معهما ، وقتل معهما عدة

يوم « لُاضِم » : لبني عائذة بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة على الحارث

(١) عَيْنَيْنِ ، هذا هو صوابه على صورة مثنى العين ، ووقع في الأصول خطأ «عين» قال أبو عبيدة : عَيْنَانِ بهجر ، وكان بها بنى منقر وعبد القيس وقمة ، وفيها يقول الفرزدق : —

ونحن كففتنا الحرب يوم ضربة ونحن منعنا يوم عَيْنَيْنِ منقرا

(٣) قَلْبِي - بفتح القاف واللام جميعا فيما ذكر سيويه وذكر غيره أن اللام

ساكنة - وفيه وفي هذا اليوم يقول معقل بن عوف التميمي : —

تظل دماؤهم ، والفضل فينا ، على قَلْبِي ونحكم ما ريد

ابن مزيقيا الملك الغساني ، وهو عمرو بن عامر ، وفيهم كان ملك غسان بالشام في آل جفنة ... علة بن عمرو بن عامر قتل بني عائذة قتلا ذريعا ، وفي ذلك اليوم قتل الريم ، وحل رجل من بني عائذة بن قيس يدعى عامر بن ضامر فقال : والله لأطعن طعنة كمنخر الثور النعر ، ثم قصد ابن مزيقيا فطعنه فقتله وانهزم أصحابه مزعجة فاحشة ، وزعم قوم أن هذا اليوم هو يوم « بزاحة » وقال آخرون : بل كانت الواقعة مع عبد الحارث من ولد مزيقيا ، وزعم غيرهم أيضا أنها مع مزيقيا نفسه لا مع ولده ، والله أعلم

يوم « نقال الحسن »^(١) : الحسن شجر ، سمي بذلك لحسنه ، وقيل : هو جبل ، وهذا اليوم لبني ثعبانة بن سعد بن ضبة على بكر بن وائل ، وفيه قتل بسطام بن قيس : قتله عاصم بن خليفة أخو بني صباح ، وكان رجلا أعسر فأصاب صدغه الأيسر حتى نجم السنان من الصدغ الأيمن

يوم « أعيار » : وهو أيضا يوم « النقيعة » لبني ضبة على بني عبس ، وفيه قبل عمارة الوهاب : قتله شرحاف بن المثلم بآب عم له يدعى مفضالا كان عمارة قد قتله وانطوى خبره ، ثم سمع شرحاف ذكره على شراب ، وكان حينئذ غلاما ، فحين شب أخذ بئرا ابن عمه يوم النقيعة ، واستنقذت بنو ضبة إبلها من عبس ، وقد كانوا أدركوهم في المراعى

يوم « رحرحان الأول » : غزا يثربي بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن عامر بن صعصعة ، وعلى بني عامر قريظ بن عبيد بن أبي بكر ، وقتل يثربي

يوم « رحرحان الثاني » : لبني عامر بن صعصعة ، ورئيسهم الأحوص ، على بني دارم ، وفي ذلك اليوم أسر معبد بن زرارة : أسره عامر بن مالك وأخوه طفيل وشاركهما في أسره رجل من غنى يقال له : أبو عميرة عصمة

ابن وهب وكان أحاط طفيل من الرضاة ، وفي أسرهم مات معبد ، شدوا عليه القيد وبعثوا به إلى الطائف خوفا من بني تميم أن يستغذوه ، كان هذا كله بسبب قتل الحارث بن ظالم المري من مرة بن سعد بن ذيان خالد بن جعفر غدرا عند الأسود بن المنذر - وقيل : عند النعمان - والتجائه إلى زرارة بن عدس ، فلما انقضت وقعة رحرحان جمع لقيط بن زرارة لبني عامر وألب عليهم ، وكان بين يوم رحرحان وغزوة جيلة سنة واحدة

يوم «ضرية» : اختلفت سعد والرباب على بني حنظلة ، وكان بنو عمرو ابن تميم حالفوا بكر بن وائل ، فضاعت حنظلة بسعد والرباب ، فساروا إلى عمرو بن تميم فردوهم وحالفوهم ، ثم جمعوا لسعد والرباب ورئيسهم يومئذ ناجية بن عقال ، ورئيس سعد والرباب قيس بن عاصم ، فقال ابن خفاف لسعد والرباب : من لعيال عمرو وحنظلة إن قتلتم مقاتلتهم ؟ قالوا : نحن ، قال : فمن لعيالكم إن قتلوا مقاتلتكم ؟ قالوا : هم ، قال : فدعوهم لعيالهم وليدعوكم لعيالكم ، وتكلم الأهم بمثل ذلك ورجال من أشراف سعد ، وساروا إلى عمرو وحنظلة إلى النصار من حمى ضرية ، فأجابهم ناجية ابن عقال والقعقاع بن معبد بن زرارة وسانن بن علقمة بن زرارة إلى الصلح ، وأبى ذلك مالك بن نورية .

يوم «النصار» : وذلك أن عامر بن صعصعة ومن معهم من هوازن اتجمعوا بلاد سعد والرباب ، وهم يمتون إليهم رحم ؛ لأنهم يزعمون أن صعصعة أبا عامر هو ولد سعد بن زيد مناة بن تميم ، وقال آخرون : إنما غضبوا على سعد لما أنهب المغزى بككاظ فلقح بني أمه ولد معاوية بن بكر وهوازن ، وكان سعد قد فارقه بعد أن ولدت له صعصعة وتزوجها معاوية بن بكر فضمن سعد والرباب الأهم ، واسمه سنان بن سمى بن سنان وقيل : سمى بن سنان ، وضمن هوازن مرة بن هيرة ، فسرقت خيل لذي

الرقية ثم اعترفت بعد ذلك بيسير عند الخفيف بن المتجفف ، اعترفها بعض
القشيريين ، فضربه القشيري على ساعده ، وضربه الخفيف قتله ، فأرادت
هوازن القود من الرباب ، فطلبهم بذلك ضامن سعد ، فأبت الرباب إلا
الدية ، ففارقهم سعد ، وصافرت هوازن ، فاستمدت بنو ضبة أسداً وطيثاً
والتقوا بالنسار ، فبأت أسد لسعد والرباب لهوازن ، فانهزمت هوازن
وسعد ، وكان حامى أدبار بنى عامر يومئذ قدامة بن عبد الله القشيري ، فرماه
ربيعة بن أبي وكان أرمى الناس ، فقتله ، فلبارأت ذلك بنو عامر منه وسائر
هوازن سألوا أن يؤخذ منهم شطور أموالهم وسلاحهم ، وقبل ذلك منهم ،
وهذا يوم « المشاطرة » ويوم « النسار » وهو من مذكورات أيام العرب
في الجاهلية ، وبنو ضبة تزعم أن هذا اليوم قبل يوم جيلة ، وأبو عبيدة
لا يشك أنه بعده .

يوم « الصرائم » (١) وهو أيضاً يوم « الجرف » لبني رياح بن ربوع
على بنى عبس ، وفي هذا اليوم أسر الحكم بن مروان بن زنباع العبسي ،
أسره أسيد بن حياة السليطي ، وأسر بنو حمير بن رياح زنباعاً وفروقا بنى
مروان وزنباع ، واستنقذوا جميع ما أصابته عبس لربيعة بن مالك بن حنظلة
وأسروا ذلك اليوم في قتل بنى عبس

يوم « الغيظ » (٢) : لبني ربوع على بنى شيان ، وكان الشيبانيون قد غزوهم

(١) قال ياقوت : الصرائم : موضع كانت فيه وقعة بين تميم وعبس ، قال
شميت بن زنباع : —

وسائل بنا عبسا إذا ما لقيتها على أى حى بالصرائم دلت
قتلنا بها صبرا شريحا وجائرا وقد نهات منا الرماح وعلت

(٢) قال ياقوت : غيظ القردوس : في ديار بنى ربوع ، وفيه يوم لبني
ربوع دون مجاشع ، وفيه يقول جرير : —
ولا شهدت يوم الغيظ مجاشع ولا قتلان الخيل من قاتلي نصر

متساندين على ثلاثة ألوية: الحوفزان بن شريك، والأسود أخوه، وبسطام بن قيس، وفي هذا اليوم أسر الأسود بن الحوفزان وزيد بن الأسود بن شريك، وحمل بسطام آخر القوم حتى حسبوه قتل وأسر، ورثاه بعضهم بمراث عدة، وزعم سعد عن أبي عبيدة أن يوم الغيظ هو يوم «الأياد» ويوم «العظالي» سمي بذلك لأن بسطام بن قيس وهانم ابن قيصة ومقرون بن عمرو والحوفزان بن شريك تعاطلوا على الرئاسة. وقال مرة أخرى: لم يشهد الحوفزان يوم العظالي، قال: وهو أيضا يوم «الافاق» ويوم «أعشاش» ويوم «مليحة»

يوم «ذى نجب» (١) لبني يربوع على بني عامر، وفيه قتل حسان بن معاوية بن آكل المرار الملك، قتله حشيش بن نمران من بني رياح بن يربوع. وقيل: بل هو عمرو بن معاوية - أغنى المقتول - وأما حسان فأسر، أسره دريد بن المنذر، وكانت بنو عامر أتت به تغزو بني حنظلة بن مالك بعد يوم جيلة بعلم، فتحنى لهم بنو مالك بن عمرو بن عمرو بن عدس، وتركوا في صدورهم بني يربوع، فهزمت بنو عامر هزيمة عظيمة، وأسر يومئذ يزيد بن الصق، وقتلت بنو نهشل خليف بن عبيد الله الفيدي، وأسر زيد بن ثعلبة الحصان، وهو عامر بن كعب بن أبي بكر بن كلاب، وقتل خالد بن ربيعي النهشلي عمرو بن الأحوص، وكان رئيس بني عامر يومئذ. يوم «خزازی» (٢): ويقال: «خزاز» واختلف فيه: فقال قوم:

(١) قال ياقوت: نجب - بفتح أوله وثانيه - موضع. كانت فيه وقعة لبني تميم على بني عامر بن صعصعة... وفيه يقول سحيم بن وثيل الراسبي: —
ونحن ضربنا هامة ابن خويلد يزيد، وخرجنا عبيدة بالدم
بنى نجب إذ نحن دون حرينا على كل جيش الأجدادى مرجم

(٢) قال ياقوت: ويوم خزاز كان بمقب السلان. وخزاز وكير ومتالع: أجيال ثلاثة بطخفة ما بين البصرة إلى مكة: فتتالع عن يمين الطريق للذهاب إلى مكة

كان رئيس زار فيه كليب بن ربيعة .. وقال آخرون : رئيسهم زرار بن عدس ، وقال آخرون : بل ربيعة بن الاحوص ، وقد أنكر أبو عمرو بن العلاء جميع ذلك والذي ثبت عنده أنه قال : هو يوم لزار على ملك من ملوك اليمن قديم لا يعرف من هو منهم ، وأما ربيعة فيقول : لاشك أنه يوم « خزاز » لكليب بن ربيعة على مذحج وغيرهم من اليمن ، وكان بعقب يوم السبلاء فجمع كليب جموع ربيعة ، فاقتلوا ، فانهزمت مذحج والذين معهم من اليمن يوم « ملزق (١) » وهو أيضا يوم « السوبان » كان لبني تميم على عيس وعامر بعد أن قاتلت تميم جميع من أتى بلادها من القبائل ، وهم أياد ، وبلحارث بن كعب ، وكلب ، وطية ، وبكر ، وتغلب ، وأسد ، كانوا يأتونهم حيا حيا فقتلهم تميم وتغيبهم عن البلد ، وآخر من أتاهاهم بنو عيس وبنو عامر ..

يوم « الوند » : وهي بالدهناء ، أغارت بنو هلال على نعم بن نهمشل ، فأزلتهم بنو نهمشل بالوند ، وهي بالدهناء ، فأأفلت من بني هلال إلا رجلا واحدا يقال له : فراس طواف ، وقيل أواب

يوم « فيف (٢) الريح » ورأيت بخط البصري « فيفا » مقصورا في

وكبير عن شماله ، وخزاز بنحر الطريق ، إلا أنها لا يمر الناس عليها ثلاثها

(١) ملزق — الأكثرون على كسر الميم وفتح الراء وآخره قاف ، وفيه يقول أوس بن مفرء : —

ولحن بملزق يوما أبرنا فوارس عامر لما لقونا

(٢) فيف الريح — بفتح الفاء وسكون الياء — بأطال نجد . قال ياقوت : وهو يوم من أيامهم ، فقتلت فيه عين عامر بن الطفيل ، فقاها مسهر الحارثي بالرمح وفيه يقول عامر : —

لعمرى ، وما عمرى على جهين ، لقد شان حر الوجه طمئة ممهر

مواضع من كتاب نوادر أبي زياد الكلبي... وأنبئد أبو زياد لعامر بن الطفيل : —

وبالفيفا من اليمن استنارت قبائل كان التَّهم فغاروا
- الفيفا - جبل طويل من جبال خشم يقال له : فيفا الريح ، وكان الصبر
فيه والشرف لبني عامر ، وقد اجتمعت كلها إلى عامر بن الطفيل على قبائل
مذحج ، وقد غزتهم مذحج في عدد عظيم من بني الحارث بن كلب وجعفي
وزيد وقبائل سعد العشيرة ومراد وصدى ونهد ، ورئيسهم الحصين بن يزيد
الحارثي ، واستغاثوا بخشم ، فجاءت شهران وناهر وأكلب عليهم أنس بن
مدرك ، وأسرع القتل في الفريقين ، فافترقوا ولم تغن طائفة منهم طائفة ،
وفي هذا اليوم أصيبت عين عامر ، وزعم عبد الكريم وغيره أن يوم فيفا
الريح هو يوم « طلح »

يوم « ذي » (١) بهدي : لبني يربوع على تغلب ، أسروا فيه الهذيل ..
قال جرير للأخطل يعيره بذلك :

هل تعرفون بذى بهدي فوارسنا يوم الهذيل بأيدى القوم مقسّر
يوم « البشر » (٢) لبني كلاب على الأراقم ، ورئيس قيس يومئذ

(١) قال ياقوت : بهدي بوزن سكري ، ويقال ذو بهدي : قرية ذات نخل
بالجميمة ، وقيل : هما موضعان متقاربان ، ويوم ذي بهدي من أيامهم . قال ظالم بن
البراء الفقيمي : —

ونحن غداة يوم ذوات بهدي لدى الوتدات إذ غشت نيم
ضربنا الخيل بالأبطال حتى تولت وهي شاملها الكلوم
بضرب يلقي الضبعا منه طروفته ويأججه الأروم

(٢) البشر — بكسر فسكون — اسم جبل يمتد إلى القرآت من أرض الشام
وكانت بنو تغلب قد قتلت عمير بن الحباب السلمي ، فاتفق أن قدم الأخطل على عبد
الملك بن مروان والجحاف بن حكيم جالس عنده ، فقال الأخطل : —

الجحافُ بن حكيم الكلابي وكان سبب ذلك تغيير الاخطل إياه

يوم « الرغام » لبني ثعلب بن يربوع ، ورئيسهم عتية بن الحارث بن شهاب ، أغار فيه على بني كلاب فأطرد إبلهم ، وقتل يومئذ أخوه حنظلة ، قتل الحوثة ، وأسر الحوثة ذلك اليوم ، فدفع إلى عتية قتلته صبراً بأخيه ، وانهزم الكلابيون بعد أن أسرع فيهم القتل والأسر .

يوم المراميت (١) للضباب ، وهم معاوية بن كلاب ، على إخوته بني جعفر . ابن كلاب ، وكان هذا اليوم في زمن عبد الملك بن مروان ، وكذلك يوم البشر . يوم « الوقيظ » كان في فتنة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وهو للهازم ، رئيسهم أبحر بن بجير ، على بني مالك بن حنظلة ، فأما بنو عمرو بن ميم فأندرهم ناشب بن بشامة العنبري ، فدخلوا الدهناء فنجوا ، وفي هذا اليوم أسر ضرار بن القعقاع بن معبد ، أسره الفرز الشيباني ورجل من تيم اللات ، فجرت تيم اللات ناصيته ، وخلته تحت الليل مضارة لأفرز . ويسمى أيضاً هذا اليوم يوم « الحنو »

يوم « جزع طلال » : لفزارة ورئيسهم عينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، على التيم وعدى وعكل وثور أطحل بنى عبد مناة ، وأخذ يومئذ شريك بن مالك بن حذيفة من التيم وعكل أربعين امرأة ثم أطلقهن ، وأخذ خارجة بن حصن نفر من التيم فأطلقهم بغير فداء ، ثم أغارت فزارة بعد ذلك عليهم ، ورئيسهم عينة ، فقتلوا التيم قتلاً ذريعاً ، وأخذوا منهم مائة امرأة

الاسائل الجحاف هل هو ناثر يقتل أمييت من سليم وطامر

نفرج الجحاف مغضبا يجر مطرفه ، فكانت الموقعة بسبب ذلك . انظر ياقوت

(١) قال ياقوت : هراميت آبار مجتمعة بناحية الدهناء ، كان بها يوم بين

الضباب وجعفر ، زعموا أن لتمان بن عاد احتقرها . وقال أبو أحمد : وكان القتال بسبب بشر أراد أحد أن يحتقرها

فقسمن عيته في بني بدر ، وجعلن مع أزواجهن الأسارى يقتلن الخرى هونا لهم ، ثم أطلق الجميع بعد ذلك بغير فداء ، وأغارت عليهم بعد ذلك بنو غنيط بن مرة ، رئيسهم زيد بن شيبان بن أبي حارثة ، فقتلوا التيم وعدياً وسبوا سيأ كثيراً لم يردوا منه شيئاً ، ففنى هذا كله عليهم جرير

• يوم «أواره» الأول : لتغلب والنمر بن قاسط مع المنذر بن ماء السماء ، على بكر بن وائل مع سلة بن الحارث ، واسم سلة معدى كرب ، وهو أيضاً الغلفاء ، بعد قتل أخيه شرحبيل ، والذي قتل سلة الغلفاء بن عمرو بن كلثوم ، عرفه فحمل عليه حتى قنعه السيف ، وكان سبب هزيمة بكر بن وائل ، وحلف المنذر يومئذ ليقتلن بكراً على رأس أواره حتى يلحق الدم بالحضيض ، فشفع لهم مالك بن كعب العجلي ، وقال للمنذر : أنا أخرجك من عيينك ، فصب الماء على الدم فلحق الأرض ، وبر يمين المنذر ، فكف عن القتل ، وكان مالك هذا رضيع المنذر

يوم «أواره» الأخير : كان لعمر بن هند على بني دارم ، وذلك أن نابنا له كان مسترضعاً عند زرارة بن عدس اسمه أسعد ، وكان قد تبناه فعبث بنباة لأحد بني دارم يقال له سويد فخرق ضرعها فشد عليه فقتله وأتى الخبر زرارة ، وهو عند عمرو ، وكان كالوزير له ، فالحق بقومه وأدركه الموت على عقب ذلك ، ففزا عمرو بني دارم ، وحلف ليقتلن منهم مائة ، فقتل منهم تسعة وتسعين ، وأتم المائة برجل من البراجم ، وفي حكاية أخرى أنه أحرقهم ، وبذلك تشهد مقصورة بن دريد وشعر الطرماح ، وزعم أبو عبيدة أن من زعم أنه أحرقهم فقد أخطأ ، وذكر [له] شعر الطرماح فقال : لا علم له بهذا ، واستشهد بقول جرير : —

أَيْنَ الَّذِينَ بِسَيْفِ عَمْرِو قُتِلُوا أَمْ أَيْنَ أَسْعَدُ فَيْكُمُ الْمُسْتَرَضِعُ

يوم «زود» الأول : لشيبان مع الحوفزان ، على بني عيس ، وأنخن

ذلك اليوم عمارة الوهاب جراحا ، غير أنه سلم فلم يمت منها
يوم « زرود » الآخر : أغار حزيمة بن طارق التغلبي على بني يربوع ،
فاستاق النعم ، فأدركوه ، فأسره أسيد بن حناة السليطي وأنيف بن جبلة
الضبي ، وكان ثقيلا في بني يربوع ، وردوا الغنيمة من أيدي التغليين
يوم « تليلث » غزت سليم مع العباس بن مرداس مرادا ، فجمع لهم
عمرو بن معدى كرب ، فالتقوا بتليلث ، فحضر الفريقان ولم تظهر طائفة
منهم بالآخرى ، وفي ذلك اليوم صنع العباس قصيدة السنية ، وهي إحدى
المصنفات

يوم « ذى علق » : كان بين بني عامر وبني أسد ، وفي هذا اليوم قتل
ريعة أبو ليد

يوم « العذيب » : كان لبني سعد بن زيد مائة وعزة ، على مذبح
وحير ، وكان رأس اليمن الأصهب الجمعي بعث إليه النعمان ينكر عليه بلوغ
سعد وعزة العذيب ، فحشد لهم ولقيهم ، فقتلوه ، قتله الأحمر بن جندل ،
وانهزمت الهيامية هزيمة شديدة ، وأخذ منهم مال كثير وسي

يوم « الصفقة » : وهو أيضاً يوم « المشقر » كان على بني تميم بسبب
غير كسرى التي كان يجيرها هودة بن علي السحيمي ، فلما سارت ييلاد بني
حظلة أقطعوا برأى صمصمة بن ناجية جد الفرزدق ، فكتب كسرى إلى
المكبر عامله على حجر فاغتا لهم ، وأراهم أنه يعرضهم للعطاء ويصطنعهم ،
فكان أحدهم يدخل من باب المشقر فيزح سلاحه ويخرج من الباب
الآخر فيقتل ، إلى أن فطنوا ، وأصفق الباب على من حصل منهم ؛ فلذلك
سميت الصفقة ، وشفع هودة في مائة من أسارهم فتركوا له فكساهم
وأطلقهم يوم الفصح وكان نصرانيا

يوم « ذى قار » : كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو

لبنى بكر بن وائل وقادمة بنى شيان وبعدهم بنو عجل ، على الأعاجم جنود كسرى ومن معهم من العرب رئيسهم إياس بن قيصة الطائي ، وكان مكان النعمان بن المنذر بعد قتل كسرى إياه ، وتحت يديه طي . وإياد وبهراء وقضاعة والعباد وتغلب والنمر بن قاسط ، قد رأس عليهم النعمان بن زرعة . أعنى النمر وتغلب . وكان سبب يوم « ذى قار » طلب كسرى تركه النعمان بن المنذر وكان النعمان قد تركها وترك ابنه له وبنتا عند هانيء بن قيصة بن هانيء بن مسعود الشيباني ، ففتح رسول كسرى من الوصول إلى ما طلب ، وكتب كسرى إلى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ، وكان عاملا له على اللف ، بأن يعين إياسا ، فأنفذ إلى قومه ليلا ، وحرضهم على القتال ، وتواطأت العرب على المعجم ، فطارت إياد عن المعجم حين تشاجرت الرماح كأنهم منهزمون ، وقتل الهامرز بن خلا بزر عامل كسرى ، وأسر النعمان بن زرعة التغلبي ، وبسبب ما صنع قيس بن مسعود استدرجه كسرى حتى أتاه فقتله ،

يوم « الفجار » الأول : كان بين كنانة بن خزيمه وبين عجز هوازن ، بسوق عكاظ أول يوم من ذى القعدة وبذلك سمي فجارا ؛ لأنهم فجر وافي الشهر الحرام ، وكان سبب ذلك أن بدر بن معسر الكناني كان يستطيل على من ورد عكاظ فيمد رجله ويقول : أنا أعز العرب ، فمن كان أعز منها فليضربها بالسيف ، فضربها الأحمر بن هوازن من بنى نصر بن معاوية ، وكان بين القبيلتين تشاجر دون أن يقع بينهما دماء ، وليس هذا الفجار عند ابن قتيبة ، وقد ذكره أبو عبيدة

يوم « الفجار » الثاني : كان بسبب فتیان من غزية قريش وكنانة رأوا امرأة وضيفة من بنى عامر بن صعصعة بسوق عكاظ ، فسألوها أن تسفر لهم ، فأبت ، فحل أحدهم ذيلها إلى ظهر درعها بشوكة ، فلما قامت انكشفت ، فقالوا : منعنا رؤية وجهك وأرىنا ذكرك !! فصاحت : يا ل عامر

فهاجوا ، وجرت بين الفريقين دماء يسيرة ، حلها الحارث بن أمية ، وليس هذا الفجار أيضا عند ابن قتيبة ، وقد ذكره أبو عبيدة

يوم « الفجار » الثالث : كان بسبب دين كان لأحد بني نصر على أحد [بنى] كنانة ، فأقى النصرى بقر دققال : من يبيعنى مثل هذا بمالى على فلان ؟ فر أحد بنى كنانة فقتل القرد . فصاح الفريقان ، ثم سكنوا ، وكان هذا بسبب الامر العظيم من قتل البراض الكنانى عروة الرحال بن عينة بن جعفر بن كلاب ، واتبعت هوازن قريشاً ، وكانوا قد أدركوهم بنخلة ، حتى دخلوا الحرم ، وجنهم الليل ، ثم التقوا بعد حول فكانت الوقعة أيضا عليهم ، وهو يوم « شطحة » ثم التقوا أيضا بعد حول فكانت الكرة على هوازن وفى ذلك اليوم سموا بنى أمية العنابس لما فعل حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان من تقيدهم أنفسهم حتى يَظْفَرُوا أو يُقَتِّلُوا ، هذه رواية أبى عبيدة ، وأما ابن قتيبة فجعل ما جرى بين النصرى والكنانى هو الفجار الاول ، وقال فى آخره : ولم يكن بينهم قتال ، إنما كان ذلك القتال فى الفجار الثانى ، وجعل سبب الفجار الثانى أن عينة بن حصن بن حذيفة أتى سوق عكاظ فرأى الناس يتبايعون ، فقال : أرى هؤلاء مجتمعين بلا عهد ولا عقد ، ولئن بقيت إلى قابل ليعلمن ، فزاهم من قابل ، وأغار عليهم ، قال : فهذا الفجار الثانى ، والحرب فيه بين كنانة وقيس ، والدائرة على قيس عيلان

يوم « الجفار » : للأحاليق فى ضبة وإخوتها الرباب وأسد وطية ، على بنى تميم . واستحر القتل يومئذ فى بنى عمرو بن تميم فقتلوا قتلاً ذريعاً يوم « الصريف » : كانت هذه الوقعة فى أيام الرشيد ، وهى لبني ضبة على بنى حنظلة ، وفى ذلك يقول شاعرهم ، وأظنه من ولد جرير : —

صَبَرَتْ كُؤَيْبٌ إِطْمَانٍ وَمَا لَكُ . يَوْمَ الصَّرِيفِ وَفَرَّتْ الْأَحَالُ

و « الأحمال » : بطون في بني حنظلة .

وقد أوفيت بما عقدت به في صدر هذا الكتاب من إثبات ما انتهى إلى من أيام العرب ، مجتهداً في اختصارها ، بريثاً بما وقع فيها من الاختلاف ، وإنما عهدة ذلك على الرواة ، وسأذكر من مفاخر بني شيان لمأ أختم بها هذا الباب كما بدا أنه ؛ لأنني لو قصصيت ذلك لأفريت العمر دون قصي الجزء الذي لا يتجزأ منه قلة ، لكنني ذهبت فيهم وفي سيدهم أبي الحسن مذهب أبي الطيب في إخوانهم بني تغلب وفي سيدهم علي بن حمدان حيث يقول :-
ليت المدائح تستوفي مدائحهم فالكليب وأهل الأعصر الأول
خذ مأراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة الشمس ما ينك من زحل
قال أبو عبيدة : قدم على النعمان بن المنذر وفود ربيعة ومضر بن نزار ، وكان فيمن قدم عليه من وفود ربيعة بسطام بن قيس والحوفزان بن شريك البكريان ، وفيمن قدم عليه من وفد مضر من قيس عيلان عامر بن مالك وعامر بن الظفيل ، ومن تميم قيس بن عاصم والأقرع بن حابس ، فلما انتهوا إلى النعمان أكرمهم وجابهم ، وكان يتخذ للوفود عند انصرافهم مجلساً : يطعمون فيه معه ، ويشربون ، وكان إذا وضع الشراب سقى النعمان فمن يدي به على أثره فهو أفضل الوفد ، فلما شرب النعمان قامت القينة تنظر إلى النعمان من الذي يأمرها أن تسقيه وتفضله من الوفد ، فنظر في وجهها ساعة ثم أطرق ثم رفع رأسه وهو يقول :-

اسقي وفودك بما أنت ساقيتي فابدي بكأس ابن فزى الجدين بسطام
أغر ينمي من شيان ذو أظف حامى النمار وعن أعراضها رامى
قد كان قيس بن مسعود ووالده تبدأ الملوك بهم أيام أبامى
فأرضوا بما فعل النعمان في مضر وفى ربيعة من تعظيم أقوام
هم الجماجم والأذئاب غيرهم فأرضوا بذلك أو يؤموا بارغام

فقال عامر بن الطفيل : -

كان التبايعُ في دهرٍ لم سلفُ وابن المزار وأملكُ على الشام
حتى انتهى الملك من لحمٍ إلى ملك بادي السنان لمن لم يرمِه رامي
أنحى علينا بأظفار قَطَوْنَنَا طَوَّقَ الحمام باتعاسٍ وإرغام
إن يمكن الله من دهرٍ نساء به تركك وحذلك تدعورَهْضَ بسطام
فانظرُ إلى الصيد لم يحموك من مضر هل في ربيعة إن لم تدعنا حامى ؟؟
فأجابه بسطام بن قيس فقال : -

لعمري لئن ضجَّتْ تميمٌ وعامرُ لقد كنتُ يوماً في حلقهم شجى
أرونى كسعودٍ وقيسٍ وخالدٍ وعمرو وعبد الله ذى الباع والندى
وكانوا على أفتاء بكر بن وائل ربيعا إذا ماسال سائلهم جدى
فصرت على آثارهم غير تارك وصيتهم حتى اتهمتُ إلى مدى
قال : واقتخر رجلا نياح معاوية بن أبي سفيان : أحدهما من بنى
شيبان ، والآخر من بنى عامر بن صعصعة ، فقال العامري : أنا أعد عليك
عشرة من بنى عامر ، فعد على عشرة من بنى شيبان ، فقال الشيباني : هات
إذا شئت ، فقال (١) العامري : خذ عامر بن مالك ملاعب الأسة ، والطفيل
ابن مالك قائد هوازن وفارس قرزل ، ومعاوية بن مالك معود الحسكا ،
وربيعة بن مالك فارس ذى علق ، وعامر بن الطفيل ، وعلقمة بن علاثة ،
وعتبة بن سنان ، ويزيد بن الصق ، وأربد بن قيس ، وهو أربد الختوف
فقال الشيباني : خذ قيس بن مسعود رهبة بكر بن وائل ، وبسطام بن قيس
سيد قتيان ربيعة ، والحوفران بن شريك فارس بكر بن وائل ، وهاني بن
قيصة أمين النعمان بن المنذر ، وقيصة بن مسعود وافد المنذر ، ومفروق
ابن عمرو حاضن الأيتام ، وسنان بن مفروق ضامن الدمن ، والأصم عمرو

(١) لم يذكر العامري عشرة فيما ذكر المؤلف ، وإنما تسعة

ابن قيس صاحب رءوس بنى تميم ، وعمرات بن مرة الذى أسر يزيد بن
 الصعق مرتين ، وعمر بن النعمان ، قتلحيا ، فخرج حاجب معاوية
 فصادفهما على تلك الحال ، فدخل على معاوية فأخبره بالقضية ، فدعا بهما
 فلما دخلا عليه نسبهما فانسابا له ، فقال معاوية : عامر أخضر هوأزن ، وشيآن
 أنفجر بكر بن وائل ، وقد كفأ كما الله المؤنة ، هذان رجلان من غير قومكما
 عندى يحكمآن بينكما : عدى بن حاتم ، وشريك بن الأعور الحارثى ، احكما
 بينهما ، ثم قال معاوية للشيبانى : من يعبى لعامر بن مالك ؟ قال أصم بن أبى
 ربيعة الذى قتل من تميم مائة رجل على دم ، فقال معاوية للرجلين : ماتقولآن ؟
 قالآ : رجح الأصم على عامر بن مالك ، قال معاوية : فن يعبى لعامر بن
 الطفيل ؟ قال الشيبانى : الحوفزان بن شريك ، قال الحكمآن : رجح
 الحوفزان ، قال : فن يعبى لعلقمة بن علاثة ؟ قال الشيبانى : بسطام بن
 قيس ، فقالآ : رجح بسطام ، قال معاوية : فن يعبى لعتبة بن سنان ؟ قال
 الشيبانى : مفروق بن عمرو ، فقالآ : رجح مفروق ، قال معاوية : فن يعبى
 للطفيل بن مالك ؟ فقال الشيبانى : عمران بن مرة ، فقالآ : رجح عمران
 ابن مرة ، فقال معاوية : فن يعبى لمعاوية بن مالك ؟ قال الشيبانى : عوف
 ابن النعمان ، فقالآ : رجح عوف بن النعمان ، قال معاوية : فن يعبى لعوف
 ابن الأحوص ؟ قال الشيبانى : قيصة بن مسعود ، فقالآ : رجح قيصة ، قال :
 فن يعبى لربيعة بن مالك ؟ قال : هانى بن قيصة ، فقالآ : رجح هانى بن قيصة
 قال معاوية : فن يعبى ليزيد بن الصعق ؟ قال : سنان بن مفروق ، فقالآ :
 رجح سنان بن مفروق ، قال : فن يعبى لأريد بن قيس ؟ قال : الأسود بن
 شريك ، فقال معاوية للشيبانى : فأين نسيت قيس بن مسعود ؟ قال :
 أصلحك الله ، قيس ليس من هذه الطائفة فاتهم قيس مجدا طويلا ، فقال
 العامرى فى ذلك : —

أعدُّ إذا عددتُ أبا براهِ
وكانَ الجعفرىُّ أبو عليٍّ
ووالده الذي حَدَّثَتْ عنه
وكانَ مَعُودُ الحِكمِ المِباريِّ
وقد أورتُ زنادُ أبي لبيدٍ
وعلقمة بن أحوص كانَ كهفًا
وُعُتْبَةُ والآخرُ يزيدُ، إني
وعَوًّا ثم أربدُ ذا المعالي
أولئك من كلابٍ في ذُرَّامَا
فكانَ علا على الأقوامِ فضلًا
إذا ما هاجتِ الهِجاءُ علا
طفيلٌ خيرنا يفعًا وطفلا .
رياحَ الصيفِ أعلى القومِ فعلا
ريعةٌ يومَ ذى عُلَيٍّ فأبلى .
كلائيًا رحيبَ الباعِ سَهْلًا
رأيتُهما لكلِّ الفخرِ أهلا
كفى بهما عليكِ ندًا وبَدَلًا
وَحَيَّرَ قروما حَسَبًا وَثَبَلًا

فقال الشيباني مجيأ له : —

أعدُّ إذا عددتُ أبا خفافٍ
وهاتما الذي حَدَّثَتْ عنه
ومفروقًا وذا النجداتِ عَوًّا
وأسود كانَ خيرَ بنى شريكٍ
أولئك من عكابة خيرِ بكرٍ
وأفضل من ينضُّ إلى المعالي
وأكثر قومهم بالشرِّ طَوًّا
وعمران بن مرة والأصمَّا
وكانَ قيصَةُ الأَثَفِ الأشجَلُ
وبسْطامًا ووالده النِصَّامُ
ولم يكُ قرنهُ كَبْشًا أجما
وأكرم من يليكُ أبا وأما
إذا ما حَصَلُوا عالاَّ وعمَّا
وأبعد قومهم في الخيرِ هما
فقال معاوية للحكمين : ما تقولان ؟ قال : شيان أكرم الحين ، فقال
معاوية : وذاك قولى ، فأكرمهما وجابهما ، وفضل الشيباني على العامري .

قال : وكان من حديث ذى الجدين أن الملك النعمان قال : لأعطين أفضل
العرب مائة من الإبل ، فلما أصبح الناس اجتمعوا لذلك ، فلم يكن قيس بن
مسعود فيهم ، وأراده قومه على أن ينطلق ، فقال : لئن كان يريد بها غيرى
لا أشهد ذلك ، وإن كان يريدني بها لأعطينها ، فلما رأى النعمان اجتماع

الناس قال لهم : ليس صاحبها شاهداً ، فلما كان من الغداة قال له قومه :
انطلق ، فانطلق ، فدفعها إليه الملك ، فقال حاجب بن زرارة : أبيت اللعن ،
ما هو أحق بها مني ، فقال قيس بن مسعود : أنا فره عن أكرمنا قعدة ،
وأحسننا أدب ناقة ، وأكرمنا لقيم قوم ، فبعث معها النعمان من ينظر ذلك ،
فلما انتهوا إلى بادية حاجب بن زرارة مرؤوا على رجل من قومه ، فقال
حاجب : هذا ألام قومي ، وهو فلان بن فلان ، والرجل عند حوضه ومورد
إبله ، فأقبلوا إليه ، فقالوا : يا عبد الله ، دعنا نستقي ؛ فانا قد هلكنا دهشاً
وأهلكنا ظهورنا . فتجهم وأبى عليهم ، فلما أعيام قالوا للحاجب : اسفر ، فسفر فقال :
أنا حاجب بن زرارة ، فدعنا فلنشرب ، قال : أنت ، فلا مرحباً بك ولا
أهلاً ، فأتوا بيته ، فقالوا الامر أنه : هل من منزل يأمة الله ؟ قالت : والله ما رب
المنزل شاهد ، وما عندنا من منزل ، وراودوها على ذلك فأبت ، ثم أتوا
رجلاً من بكر بن وائل على ما يورد ، قال قيس : هذا والله ألام قومي ،
فلما وقفوا عليه قالوا له مثل ما قالوا للآخر فأبى عليهم ، وهم أن يضربهم ،
فقال له قيس بن مسعود : ويلك أنا قيس بن مسعود ، فقال له : مرحباً
وأهلاً ، أورد ، ثم أتوا بيته ، فوجدوا فيه امرأته وقدرها يقط ، فلما رأت
الركب من بعيد أنزلت القدر وبردت ، فلما انتهوا إليها قالوا : هل عندك
يأمة الله من منزل ؟ قالت : نعم ، انزلوا في الرخب والسعة ، فلما نزلوا طعموا
وارتحلوا ، فأخذوا ناقتيهما ، فأناخوها على قريتين للتمل ؛ فأما ناقة قيس بن
مسعود فتضورت وتقلبت ثم لم تنز ، وأما ناقة حاجب فكثت وثبتت ،
حتى إذا قالوا قد احلأنت طفقت هاربة ، فأتوا الملك فأخبروه بذلك ، فقال
له : قد كنت يا قيس ذا جد ، فأنت اليوم ذو جدين فسمى بذلك ذا الجدين ،
وقيل : إنما سمي بذلك لأميرين أسرها مرتين ، وقيل : بل سبق سبقين ،
هكذا جاءت الرواية ، والذي أعرف أنا أن ذا الجدين إنما هو عبد الله بن عمرو

ابن الحارث بن همام سمي بذلك لأنه اشترى كعب بن مامة من أيدي قوم من عنزة أسروه فكتم نفسه وعرفه عبداً [وأظهر] أنه لم يشتريه عن معرفة فوهبه كلاً إلى في طريقه من إبل أبيه بعبدانها ، وكانت سوداً وحمراً وصهباً ، وبلغ به إلى أبيه فأجاز له ذلك ، وأخطأ قبته بها فيها ، فلما أتى الحيرة قال بعض من رآه لصاحبه : إنه لذو جد ، قال الآخر : بل هو ذو جدين ، فسمى بذلك .

(٨٦) — باب في معرفة ملوك العرب

وأنا أذكر في هذا الباب من ملوك النواحي من أخذه حفظي ، وبلغته روايتي ، على شريطة الاختصار والتلخيص ، بحسب الطاقة والاجتهاد ، إن شاء الله تعالى

ملوك اليمن : قال ابن قتيبة وغيره : أول من ^{مُحيي} بتحية الملوك « أبيت اللعن » و « انعم صباحاً » يعرب بن قحطان ، فولد له يشجب ، وولد ليشجب سبأ ، وقيل : إنه أول من سبى السبي من ولد قحطان ، واسمه عبد شمس ، وقيل : عامر ، وأول الملوك المتوجين من ولده حمير بن سبأ مَلَكَ حتى مات هرما ، ولم يزل الملك في ولد حمير لا يعدو ملكهم اليمن ، حتى مضت قرون ، وصار الملك إلى الحارث الرائش ، وبينه وبين حمير خمسة عشر أباً ، فخرج من اليمن ، وغزا وجلب الأموال ، فراش الناس ، وبذلك سمي الرائش ، وفي عصره مات لقمان صاحب النسر ، وهو لقمان الذي بعثه عاد ليستسقى لها بمكة ، وكان ملك الرائش مائة وخمسة وعشرين سنة ، وذكر نينا صلى الله عليه وسلم ، وأنشد ابن قتيبة : —

وأحدُ اسمه يالَيْتَ أني أَعْمُرُ بَعْدَ مبعثه بعام

ثم أبرهة ذو المنار بن الرائش ، وكان ملكه مائة وثلاثاً وثمانين سنة ،

ثم أفريقس بن أبرهة ، وهو الذي بنى أفريقية ، وبه سميت ، وكان ملكه مائة وستين سنة ، ثم العبد بن أبرهة ، وهو ذو الاذعار ، سمي بذلك لقوم سپاه منكرى الوجوه تزعم العرب أنهم النسناس ، وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ، ثم هدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن الراثش ، وهو أبو بلقيس ، ملك سنة واحدة ، ثم بلقيس إلى أن أسلمت على يدى سليمان صلى الله عليه وسلم ، ثم ناشر بن عمرو بن يعفر بن شرحبيل ، وكان ملكه خمسا وثمانين سنة ، ثم شمر بن أفريقس ، وهو الذي أخرب مدينة سمرقند ، وبه سميت سمرقند ، ومعنى كند أخربها ، وهو الذي يسمى شمريرعش ؛ لارتعاش كان به ، وكان ملكه مائة وسبعا وثلاثين سنة ، ثم ابنه الأقرن بن شمريرعش ، وكان ملكه ثلاثا وخمسين سنة ، ثم تبع الأكبر بن الأقرن وكان ملكه مائة وثلاثا وستين سنة ، ثم ابنه كليكرب ، ولم يغز حتى مات ، وكان ملكه خمسا وثلاثين سنة ، ثم تبع بن كليكرب وهو أبو كرب تبع الأوسط ، وكان يغزو بالنجوم ويعمل أعماله كلها بأحكامها ، ويقال : إنه آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو القائل فيه : —

شهدتُ على أحمدٍ أنه رسولٌ من الله باري التسم

فلو مدَّ عمرى إلى عمره لكنتُ وزيراً له وابن عم

ثم حسان بن تبع الأوسط ، وهو الذي غزا جديسا وقتل اليمامة التي سميت بها أجو اليمامة ، ثم عمرو بن تبع أخو حسان ، وكان ملكه ثلاثا وستين سنة ، ثم عبد كلال بن مثوب ، وكان على دين عيسى يستر إيمانه ، وكان ملكه أربعا وسبعين سنة ، ثم تبع بن حسان وهو الأصغر ، وكان الحارث بن عمرو بن حجر جد امرئ القيس ابن أخيه ، وتبع هو الذي عقد الحلف بين ربيعة واليمن ، وهو الذي أدخل في اليمن دين اليهود ثمانية وسبعين سنة ، ثم أخوه لأمه مرثد بن عبد كلال ، وقيل : مزيد ، وكان ملكه

إحدى وأربعين سنة، ثم ابنه ربيعة بن مرثد، ملك سبعا وثلاثين سنة، ثم أبرهة ابن الصباح، ملك ثلاثا وسبعين سنة، وكان يكرم معداً ويعلم أن الملك كائن في بني النضر بن كنانة، ثم حسان بن عمرو بن تبع بن كليكرب، ملك سبعا وثلاثين سنة، ومدحه خالد بن جعفر بن كلاب لما شفعه في أسارى من قومه، ثم ذو الشنار، واسمه نجيجة ينوف، ولم يكن من أهل بيت المملكة لكنه من أبناء المقاول، قتله ذو نواس، وكان غلاماً من أبناء الملوك حسن الوجه له ذؤابتان، أراد ذو الشنار على نفسه فوجاه بخنجر كان قد أعد له فقتله، ورضيته حير لنفسها لما أراحها من ذى الشنار، وذو نواس صاحب الأخذود الذى ذكره الله عز وجل، وكان يهوديا فخذ الأخذود لقوم من أهل نجران تنصروا على يد قَيْلٍ من آل جفنة، وعلى أيام ذى نواس دخلت الحبشة اليمن، واقتحم البحر منهزما ففرق، وكان ملكة ثمانيا وستين سنة، وقام بعده ذو جدن فهزمت الحبشة، فاقتحم البحر فهلك، وملك اليمن أبرهة الأشرم، وهو الذى زحف إلى مكة بالقيط فهلك جيشه، وابتلى بالأكلة، فحمل إلى اليمن فهلك بها، وملك بعده ابنه يكسوم فسادت سيرته باليمن، فاستجاش سيف بن ذى يزن كسرى، فجيئش له جيشاً عظيماً، وقد مات يكسوم، وولى بعده مسروق أخوه، وهو أيضاً أخو سيف لأمه، فقتلته الحبشة، وسيت نساؤهم، فقام سيف ملكاً من قبل كسرى حتى غدره خدامه من الحبشة، ولم يجتمع ملك اليمن لأحد بعده، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكشفت به الظلمة، واهتدت بهديه الأمة، واستقر الملك في نصابه، بعد الخلفاء الأربعة من أصحابه، بمن وجبت طاعته، وصحت بيعته، وأنا واقف عند الشبهة، قائل في هذا بما قالت به الجماعة، فقد تنازع اسم أمير المؤمنين من لا يصلح له، ولا يسلم إليه، فلذلك أعرضت عن ذكر من لم أذكره، ولولا ذلك لذكرت كل

واحد وزمانه ، ومنتهى عمره ، إلى وقتنا هذا ، وما توفيقى إلا بالله
ملوك الشام : كانت بالشام سليخ ^(١) وهم من غسان ، ويقال : من قضاة
وأول ملوكهم النعمان بن عمرو بن مالك ، ثم من بعده ابنه مالك ثم من بعد
مالك ابنه عمرو ؛ إلى خروج مزيقيا ، وهو عمرو بن عامر من اليمن في قومه من
الأزد ، وسمى مزيقيا لأنه كان يمزق كل يوم حلة لا يعود إلى لباسها ثم يهبها ،
ويسمى عامر ماء السماء ؛ لأنه كان يحى ، في المحل فينوب عن الغيث بالرغد
والعطاء [وهو] ابن حارثة ^(٢) النظريف ، بن امرئ القيس البطريق ، بن
ثعلبة البهلول ، بن مازن قاتل الجوع ، من الأزد بن الأزد ، ومعه رجل يقال
له جذع بن سنان ، قتلوا بلاد عك ، فقتل جذع ملك بلاد عك ، فافترقت
الأزد والملك فهم حينئذ ثعلبة بن عمرو بن عامر ، فانصرف عامله لخارب جرم
فأجلاهم عن مكة ، واستولوا عليها زماناً ثم أحدثوا الأحداث ، وجاء قصي
ابن كلاب فجمع معداً - وبذلك سمي مجعاً - واستعان ملك الروم فأعانه ،
وسارب الأزد فغلبهم ، واستولى على مكة دونهم ، فلما رأت الأزد ضيق
العيش بمكة ارتحلت وانخرعت خزاعة لولاية البيت - وبذلك سميت -
فصار بعض الأزد إلى السواد فلكوا عليهم مالك بن فهم أبا جذيمة
الأبرش ، وصار قوم إلى يثرب ، وهم الأوس والخزرج ، وصار قوم
إلى عمان ، وصار قوم إلى الشام ، وفيهم جذع بن سنان ، فأتاه عامل
الملك في خرّج وجب عليه فدفع إليه سيفه رهناً فقال الرومي : أدخله في
كذا من أم الآخر ، فغضب جذع وقتنه فقتله ، فقيل : خذ من جذع
ما أعطاك ، وسارت مثلاً ، وولوا الشام ، فكان أولهم الحارث بن
عمرو مخرّقي ، سمي بذلك لأنه أول من حرق العرب في ديارها ، وهو
الحارث الأكبر ، ويكنى أبا شعر ، ثم ابنه الحارث بن أبي شعر

(١) في بعض الأصول « سليخ » بلحاء المهمة

(٢) في بعض الأصول « جارية »

النسائي ، وهو الحارث الأعرج ، وأمه مارية ذات القُرْطَيْن ، وهي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية الكندي ، وأختها هند الهنود امرأة حجر آكل المرار الكندي ، وإلى الحارث الأعرج زَحَفَ المنذر الأكبر فانهزم جيشه ، وقتل ، ثم الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر ، وهو ولد الحارث الأعرج عمرو بن الحارث ، وكان يقال له : أبو شمر الأصغر ، وله يقول نابغة بني ذبيان : —

عَلَى لِعَمْرٍو نِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ لَوْلَاهِ لَيْسَتْ بِذَاتِ عِقَارٍ
والنعمان بن الحارث هو أخو الحارث الأصغر ، وله يقول النابغة : —

هَذَا غَلَامٌ حَسَنٌ وَجْهُهُ مُسْتَقْبِلُ الْخَيْرِ سَرِيعُ الْفِطَامِ

والنعمان هذا ثلاثة بنين : عمرو ، وحجر ، والنعمان ، ومن ولد الأعرج أيضاً المنذر ، والأيهم أبو جبلة ، وجبلة آخر ملوك غسان ، كان طوله اثني عشر شبراً ، وهو الذي تنصرف في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ملوك الحيرة : أولهم مالك بن فهم بن عمرو بن دوس بن الأزد ، ملك العرب بالعراق عشرين سنة ، ثم ابنه جذيمة بن مالك ، وهو الأبرش ، وهو الوضاح ، كان ملكه ستين سنة ، ثم عمرو بن عدى بن نصر ابن ربيعة اللخمي ، ويقال : إن نصرأ هو الساطرون صاحب الحضرة ، وهو جرمقاني من أهل الموصل ، وقيل : بل هو من أشلاق قنص بن معد بن عدنان ، وعمرو هذا هو ابن أخت جذيمة الأبرش وفيه قيل : «شب عمرو عن الطوق» ثم امرؤ القيس بن عمرو بن عدى ، ويقال : بل الحارث بن عمرو ، وإنه الذي يدعى محرقات ، ثم النعمان بن امرئ القيس وهو النعمان الأكبر الذي بنى الخوزنق ، ثم المنذر بن امرئ القيس ، وهو المنذر الأكبر ابن ماء السماء أخو النعمان الأكبر ، ثم المنذر بن المنذر ، وهو الأصغر ،

ثم أخوه عمرو بن المنذر ، وهو عمرو بن هند ، ويسمى محرقاً ؛ لأنه حرق
 بنى عيم ، وقيل : بل حرق نخل اليمامة ، ثم النعمان بن المنذر صاحب التابعة
 الذيباني ، وهو آخر ملوك الحنم ، ثم ولي بعده إياس بن قبيصة الطائي ، ثم
 ابنه أشهر ، واضطرب ملك فارس وضعفوا ، وكانت ملوك الحيرة من تحت
 أيديهم ، وأتى الله عز وجل بالاسلام فعرز أهله بالنبي صلى الله عليه وسلم

(٨٧) — باب من النسبة

قال ابن دريد : الابل الأرحية منسوبة إلى أرحب بن همدان .
 أسدٌ خَفِيَّةٌ (١) وأسد خَفَّان (٢) وهما أجتان من العذيب على ليلة .
 الرماح اليزنية : منسوبة إلى ذي يزن الملك ، ويقال اليزانية . قال ذو الرمة :
 أرين الذي استودع عن سوداء قلبه هوى مثل شكِّ اليزني النواجم (٣)
 هكذا جاءت الرواية في هذا البيت .

الدروع تنسب إلى فرعون .. قال راشد بن كثير : -

بكل فرعونية لوئها مثل بهيص البغشة الغادية
 وتنسب إلى داود ، وسليمان ، وتبع ، ومحرق ، يريدون بذلك القدم
 وجودة الصنعة ..

(١) خفية - بفتح أوله وكسر ثانيه وياء مشددة مثناة - أجمة في سواد
 الكوفة بينها وبين الرجة بضعة عشر ميلاً ، ينسب إليها الأسود فيقال : أسد
 خفية ، وانظر ياقوت

(٢) خفان - بفتح أوله وتشديد ثانية وآخره نون - موضع قرب الكوفة
 يملكه الحاج أحياناً وهو مأسدة ، قيل : هو فوق القادسية ، وانظر ياقوت

(٣) وقع في الأصول * أين القى الأزانى النوجم * وهو
 تصحيف ، والتصويب عن الديوان

الكنائن الزُّعْرِيَّة : منسوبة إلى زغر (١) وهو موضع بالشام تعمل فيه كنان حر مذهبة . . قال أبو دؤاد يصف فرساً : -

ككنانة الزُّعْرَى زِيَّهَا من الذهبِ الدلاص
السَّمَرَى : الرمح الشديد ، يقال : اسمهر الأمر ، إذا اشتد .
الاتحمية : برود منسوبة إلى أحمم (٢) بالين .

القَمَضِيَّةُ : ضرب من الأسته ، تنسب إلى قَضَب ، رجل قضيرى كان يعملها ، وكذلك الشَّرْعِيَّةُ أيضا . . قال الأعشى : -

وَلَدَنْ من الخطيِّ فيها أَسْتة ذخائر بما سَنَّ أَبْرَى وَشَرَّ عَبْ (٣)
والشرعية أيضا من الثياب الحارية في قول امرئ القيس : -

فلما دخلناها أضفنا ظهورنا إلى كل حارٍ جديد مشطب (٤)
قال الأصمعي : احتبوا بجنايل سيوفهم . . قال أبو عبيدة : مانسبت إلى الحيرة سيوف قط ، وإنما يريد الرجال كما قال الآخر : -
مشدودة برحال الحيرة الجدد (٥)

قال ابن الكلبي : أول من اتخذ الرجال علاف ، وهو زيان بن جرم ؛
فلذلك قيل للرجال «علافية» وأول من عمل الحديد من العرب الهالك بن مراد

(١) زغر - بضم ففتح - قرية بمشارف الشام

(٢) وقال المرتضى : « قال شيخنا : والياء في الاتحمي ليست للنسب على الأصح » اهـ

(٣) في الديوان (ص ١٣٨) « فيه أسته »

(٤) في الديوان (ص ٢٠) « فلما دخلناه » ومعنى « أضفنا » أسندنا .
والمشطب : المخطط ، على ما فسر أبو عبيدة

(٥) هذا مجز بيت لثناينة الديباني ، وصدره * والأدم قد خيئت فتلا
مراقفها . والأدم : البيض من النوق . وخیئت : فلتا . فلتا : بانت عن آبائها
مراقفها . والرجال : جمع رجل ، وهو شبه السرج . الجدد : جمع جديد

ابن أسد بن خزيمه ، فلذلك قيل لبني أسد القيون ، وقيل لكل حداد : هالكي
قال أبو عبيدة : أجود السهام التي صنعتها العرب في الجاهلية سهام بلام ،
وسهام يثرب ، وهما بلدان قريان من حجر النمامة ، وأنشد الأعشى : -

• سهام يثرب أم سهام بلام • (١)

• سلوق : قرية باليمن ، وإليها تنسب الكلاب والدروع .

سيف مشرفي : منسوب إلى مشرف ، وهي قرية باليمن كانت السيوف
تعمل بها ، وليس قول من قال إنها منسوبة إلى مشارف الشام أو مشارف
الريف بشيء عند العلماء ، وإن قاله بعضهم .

والسيوف السريجية : منسوبة إلى سريج (٢) رجل من بني أسد . قال محمد
ابن حبيب : هو أحد بني معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمه ، وكانوا قيوفا
الدروع الحطمية : منسوبة إلى حطمة بن محارب بن عمرو بن وداعة بن
بكير بن عبد القيس بن أفضى . . وقال ابن الكلبي : هي منسوبة إلى حطم ،
وهو أحمد بن عمرو بن مرثد من بني قيس بن ثعلبة ، وقال الأصمعي :
لا أعلم ما تنسب إليه .

الخط : جزيرة بالبحرين تنسب إليها الرماح ، قال الأصمعي : ليست تنسب
الرماح لكن سفن الرماح ترفأ إلى هذا الموضع فقول للرماح خطية .

والمسك الداربي : منسوب إلى دارين ، يعني عطاراً بالبحرين ، زعم
ذلك أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي ، والأكثر المشهور عند العلماء أن
دارين وغزة موضعان بالشام . .

عصفور ، وداعر ، وشاعر ، وذا الكلبتين ، فحول إبل النعمان بن المنذر :
عصافير النعمان أولاد عصفور الفحل ، وهو أكرم فحل للعرب فيما يزعمون .

(١) لم يذكر ياقوت بلاما ، والذي فيه وفي القاموس وشرحه : « ويلمان

موضع باليمن أو بالهند أو بالسند منه السيوف اليلمانية الجيدة » اهـ

(٢) في الأصول « الشريجية . . . شريج » وهو تحريف

والقسي العصفورية : منسوبة إلى رجل يسمى عصفوراً حكاه الجاحظ ..
وأنشد لابن بشير : —

عطف السيات بواقع في بذلها تعزى إذا نسبت إلى عصفور
يعنى قسي البندق ، دعا بها على حمام جاره .
ويقال للقسي أيضاً « الماسخية » منسوبة إلى رجل من الأزد ، واسمه
ماسخة ، هو أول من عملها .

والابل المسجدية والعبدية والعمانية إبل ضربت فيها الوحوش .. والابل الشذقية
والجديلية عن غيره منسوبة إلى شذقم وجديل ، وهما لخلان مشهوران .
الحمار الأخضرية : منسوبة إلى حمار يسمى أخدر ، وقيل : هو فرس كان
لبعض الملوك ، أظنه أزدشير بن بابك ، توحش فضرب في عانة فنسبت أولاده
إليه ، وهو أفره الحمر ، هكذا تزعم العرب ، والعادة أن يكون ما نتاج منه
بنغالا ، فأما الكدداً فحمار معروف من الوحشية تتج .. قال الفرزدق : —
حمار لهم من بنات الكدداً يدهمج بالوطب والمزود
والبنغال يزعمون أن قارون أول من أتجها ، فهي تنسب إليه ، وقيل : بل
أتجها قبله أفريدون

(٨٨) — باب العتاق من الخيل ومذكوراتها

وأول ما أذكر منها خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومراكبه ، جرياً
على العادة في التبرك باسمه : فنها : « السكب » وهو فرسه يوم أحد ، حكاه
ابن قتيبة ، ومنها « المرتجز » وكان له فرس يقال له « للزاز » وفرس يقال له
« الضرب » وفرس يقال له « اللجيف » وفرس يقال له « الورد » وزاد
غير ابن قتيبة فرساً يقال له « سحة » وكانت بقلته يقال لها « دلدل » وكان
حماره يقال له « ينفور » وكانت ركائبه « القصوى » و « الجدعاء »
و « العضباء »

وهذه خيل العرب : قال ابن قتيبة عن أبي عبيدة : الغراب والوجيه
 ولاحق ومذهب ومكتوم كانت كلها لغني . . وقال أحمد بن سعد الكاتب : كان
 أعوج أولاً لكنة ، ثم أخذته سليم ، ثم صار لبني عامر ، ثم لبني هلال ،
 قال ابن حبيب : ركب رطباً فاعوجت قوائمه ، وكان من أجود خيل العرب ،
 وأمه سبل كانت لغني ، وأم سبل البشامة ، كانت للجمدة ، ولهم أيضاً الفياض
 قال ابن سعد : والوجيه ولاحق لبني سعد ، قيل : وحلاب لبني تغلب ،
 والصريح لبني نهشل ، وزعم غيره أنه كان لآل المنذر ، وجلوى لبني تغلب
 ابن يربوع ، وذو العقال لبني رياح بن يربوع ، وهو أبو داحس ، وكان داحس
 والغبراء لبني زهير ، وهي خالة داحس ، وأخته من أبيه ذى العقال ، [و]
 قرزل والخطام والحفناء لحذيفة بن بدر ، وهي أخت داحس من أبيه وأمه ،
 [و] قرزل آخر للطفيل بن مالك ، [و] حذقة لخالد بن جعفر بن كلاب ،
 وحذقة أيضاً لصخر بن عمرو والشريد ، [و] الشقراء لزهير بن جذيمة العبسي ،
 والزعفران لبسطام بن قيس ، والوديقة ونصاب وذو الحمار لمالك بن نيرة
 والشقراء أخرى لأسيد بن حنادة السليطي ، والشيظ لآنيف بن جبلة الضبي ،
 والوجيف لعامر بن الطفيل ، والكلب والمزنوق والورد له أيضاً ، والخنثى
 فرس لعمر بن عمرو بن عدس ، [و] الهداج فرس الريب بن شريق السعدي ،
 وجزة فرس يزيد بن سنان المرى فارس غطفان ، والنعامة للحارث بن عباد ،
 وابن النعامة لعنترة ، والنحام فرس السليك بن السلكة السعدي ، والعصافرس
 جذيمة بن مالك الأزدي ، والمراوة لعبد القيس بن أفضى ، واليحموم فرس
 النعمان بن المنذر ، وكامل فرس زيد الخيل ، والربد فرس الحوفزان ، وأبو
 الزعفران فرس بسطام ، والجمالة فرس الكلجة اليربوعي ، انتهى كلام أحمد
 ابن سعد .

وعن ابن دريد : القطيب فرس كان للعرب ، وكذلك البطين والملاعب ،
 والعبادة فرس حري بن ضمرة النهشلي ، والمدعاس فرس النواس بن عامر

المجاشعي ، وصبياء فرس النمر بن تولب ، وحافل فرس مشهور ذكره حرب ابن ضرار في قوله : —

كيت عبانة السراة نمي بها إلى نسب الخيل الصريح وحافل .
والسجدي لبني أسد ، والشموس فرس زيد بن حذاق العبدى ، والضيف لبني تغلب ، وهرادة الغراب فرس الريان بن حويص العنبري ، يقال : إنها جابت سابقة طول أربع عشرة سنة فتصدق بها على الغراب يتكسبون عليها في السباق والغارات ، والحرون فرس تنسب إليه الخيل وكان لمسلم بن عمرو بن أسيد الباهلي ، والزليف فرس مشهور ، وهو من نسل الحرون ، ومناهب فرس تنسب إليه الخيل أيضا . قال الشمر دل : —

لأخيل ثلاثة سميتا مناهبا والصيف والحرونا
والعلمان فرس أبي مليك عبد الله بن الحارث اليربوعي . . ومن أقدم الخيل زاد الراكب ، وهبه سليمان عليه السلام لقوم من الأزد كانوا أصهاره ، وكان إسماعيل عليه السلام أول من ذل الخيل وركبها ، وكانت قبل من سائر الوحوش

(٨٩) — باب من المعاني المحدثه

قال أبو الفتح عثمان بن جني : المولدون يستشهدهم في المعاني كما يستشهد بالقديما في الألفاظ ، والذي ذكره أبو الفتح صحيح بين ؛ لأن المعاني إنما اتسعت لاتساع الناس في الدنيا ، وانتشار العرب بالاسلام في أقطار الأرض ، ففصروا الأمصار ، وحضروا الخواضر ، وتأثقوا في المطاعم والملابس ، وعرفوا بالعيان عاقبة ما دلتهم عليه بداهة العقول من فضل التشبيه وغيره ، وإنما خصصت التشبيه لأنه أصعب أنواع الشعر ، وأبعدها متاعلى ، وكل يصف الشيء بمقدار ما في نفسه من ضعف أو

قوة ، وعجز أو قدرة ، وصفة الانسان ما رأى يكون لا شك أصوب من صفته ما لم ير ، وتشبيهه ما عاين بما عاين أفضل من تشبيهه ما أبصر بما لم يبصر ، ومن هنا يحكى عن ابن الرومى أن لائماً لأمه فقال : لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وأنت أشعر منه ؟ قال : أنشدنى شيئاً من قوله الذى استعجزتنى فى مثله . فأنشده فى صفة الهلال : —

فانظر إليه كزورقٍ من فضةٍ قد أثقلتُهُ حَوْلَةُ من عَبَسَ عَسِرِ
قال : زدنى ، فأنشده : —

كَأَنَّ أَذْرَ يُوتِنَا وَالشَّمْسُ فِيهِ كَالِه
مَدَاهِنَ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا بَقَايَا غَالِيَه

فصاح : واغوثاه ، يا الله ، لا يكلفُ الله نفساً إلا وسعها ، ذلك إنما يصف ماعون بيته ؛ لأنه ابن الخلفاء ، وأنا أى شئ أصف ؟ ولكن انظروا إذا وصفت ما أعرف أين يقع الناس كلهم منى ؟ هل قال أحد قط أملح من قولى فى قوس النعام : —

وقد كَثُرَتْ أَيْدِي السَّحَابِ مَطَارِفَا

على الأَرْضِ دُكْنًا وَهِيَ خُضْرٌ عَلَى الأَرْضِ

يَطْرُزُهَا قَوْسُ النِّعَامِ بِأَصْفَرٍ عَلَى أَحْمَرٍ فِي أَخْضَرٍ وَسَطِ مُيَيْتَضٍ
كَأَذْيَالِ خَوْدٍ أَقْبَلَتْ فِي غَلَاتِلٍ مَصْبُغَةٍ وَالبعض أَقْصَرُ مِنْ بعضٍ
وقولى فى قصيدة فى صفة الرقاقة : —

مَا أُنْسَ لَا أُنْسَ خَبَازاً مَرَرْتُ بِهِ يَدْحُو الرِّقَاقَةَ وَشَكَ اللَّحْمَ بِالْبَصْرِ
مَا بَيْنَ رَوِيَّتَيْهَا فِي كَفِّهِ كَرَّةٌ وَبَيْنَ رَوِيَّتَيْهَا زَهْرَاءُ كَالْقَمَرِ
إِلَّا بِمَقْدَارِ مَا تُتَدَاخِ دَائِرَةُ فِي صَفْحَةِ الْمَاءِ يرمى فِيهِ بِالْحَجَرِ
وهذا كلام إن صح عن ابن الرومى فلا أظن ذلك أمراً لزمه فيه الدرك ؛
لأن جميع ما أراه ابن المعتز أبوه وجده فى ديارهم - كما ذكر أن ذلك علة

للإجادة وعذر - فقد رآه ابن الرومي هنالك أيضاً ، اللهم إلا أن يريد أن ابن المعتز ملك قد شغل نفسه بالتشبيه فهو ينظر ما عون يئته وأثاثه فيشبه به ما أراد ، وأنا مشغول بالتصرف في الشعر طالباً به الرزق : أمدح هذا مرة ، وأهجو هذا كرة ، وأعاب هذا تارة ، وأستعطف هذا طوراً ، ولا يمكن أن يقع أيضاً عندى تحت هذا ، وفي شعره أيضاً من مليح التشبيه ما دونه النهايات التي لا تبلغ ، وإن لم يكن التشبيه غالباً عليه كابن المعتز

ولم أدل بهذا البسط كله على أن العرب خلعت من المعاني جملة ، ولا أنها أفسدتها لكن ذلك على أنها قليلة في أشعارها ، تكاد تنحصر لو حاول ذلك محاول ، وهي كثيرة في أشعار هؤلاء ، وإن كان الأولون قد نهجوا الطريق ، ونصبوا الأعلام للتأخرين ، وإن قال قائل : ما بالك معشر المتأخرين كلما تبادى بكم الزمان قلت في أيديكم المعاني وضاق بكم المضطرب ؟ قلنا : أما المعاني فقلت ، غير أن العلوم والآلات ضعفت ، وليس يدفع أحد أن الزمان كل يوم في نقص ، وأن الدنيا على آخرها ، ولم يبق من العلم إلا رمقه معلقاً بالقدرة ، ما يمسكه إلا الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه

وإذا تأملت هذا تبين لك ما في أشعار الصدر الأول الاسلاميين من الزيادات على معاني القدماء والمخضرمين ، ثم ما في أشعار طبقة جرير والفرزدق وأصحابهما من التوليدات والابداعات العجيبة التي لا يقع مثلاً للقدماء ، إلا في النذرة القليلة والفلة المفردة ، ثم آتى بشار بن برد وأصحابه فزادوا معاني ما مرت قط بخاطر جاهلي ولا مخضرم ولا إسلامي ، والمعاني أبداً تتردد وتولد ، والكلام يفتح بعضه بعضاً ، وكان ابن الرومي ضئيلاً بالمعاني ، حريصاً عليها ، يأخذ المعنى الواحد ويولده ، فلا يزال يقلبه ظهراً لبطن ، ويصرفه في كل وجه ، وإلى كل ناحية ، حتى يئمه ويعلم أنه لا مطمع

فيه لأحد ، ثم نجد من بعده [من] لا ينتهي في الشعر ، بل لا يشره ، قد أخذ المعنى بعينه فولد فيه زيادة ، ووجه له وجهه حسنة ، لا يشك البصير بالصناعة أن ابن الرومي مع شره لم يتركها عن قدرة ، ولكن الانسان مبنى على التقصان .

وسأورد عليك من معاني المتقدمين ، وأظهرها بأمثالها من أقوال المولدين لأعدوها ليتبين البرهان ، هذا ، على أنني فنت إلى المحدثين أنفسهم في أماكن من هذا الكتاب ، وكشفت لهم عوارهم ، ونعت لهم أشعارهم ، ليس هذا جهلا بالحق ، ولا ميلا إلى ثنيات الطرق ، لكن غصنا من الجاهل المتعاطي ، والمتحامل الجافي ، الذي إذا أعطى حقه تعاطى فوقه ، وادعى على الناس الحسد ، وقال : أنا ولا أحد ، وإلى كم أعيش لكم ، وأى علم بين جنبي لو وجدت له مستودعا ؟ فإذا عورض في شره بسؤال عن معنى هاسد أو متهم ، أو طولب بحجة في لحنه أو شاذ ، أو نوظر في كلمة من ألفاظ العرب مصحفة أو نادرة ، قل : هكذا أعرف ، وكأنا أعطى جوامع الكلام ، حاش لله ! وأستغفر الله ، بل هو العلي الأكبر ، والموت الأصغر ، وبأى إمام يرضى ، أو إلى أى كتاب يرجع ، وعنده أن الناس أجمعين بضعة منه ، بل فضلة عنه ، فهو كما قال حماد بن محمد في يونس بن فروة :-

أما ابنُ فروةَ يُونسُ فكأنه من كبره أيرُ الحمار القائم
ما الناس عندك غير نفسك وحدها والناس عندك ما خلاك بهائم

وأين من ذكر من بشار بن برد حين قيل له : بم فقت أهل عمرك ، وسبقت أبناء عصرك : في حسن معاني الشعر ، وتهذيب ألفاظه ؟ قال : لأنني لم أقبل كل ما تورده عليّ قريحتي ، وينا جني به طبعي ، ويعنه فكري ، ونظرت إلى مغارس القطن ، ومعادن الحقائق ، ولطائف التشبيهات ، فسرت إليها بفكر جيد ، وغريزة قوية ، فأحكمت سرها ، واتقيت حرها ، وكشفت عن حقائقها ، واحترزت عن متكلفها ، ولا والله ما ملك قيادي الأعجاب بشيء .

عما آتى به... وكم في بلدنا هذا من الحُفَّاثِ قد صاروا نعاين ، ومن البغاث قد صاروا شواهين ، إن البغاث في أرضنا يستنسر ، ولولا أن يعرفوا بعد اليوم بتخليد ذكركم في هذا الكتاب ، ويدخلوا في حملة من يعد خطله ، ويحصي زلله ؛ لذكرت من لحن كل واحد منهم وتصحيفه وفساد معانيه وركاكة لفظه مايدلك على مرتبته من هذه الصناعة التي ادعوها باطلاً ، وانتسبوا إليها اتحالا ، وقد بلغني أن بعض من لا يتورع عن كذب ، ولا يستحي من فضيحة زعم أني أخذت عنه مسائل من هذا الكتاب لوسئل عنها الآن ما عليها ، والامتحان يقطع الدعوى.. كما قال بعض الشعراء :-

من تحلى بغير ما هو فيه فضح الامتحان ما يدعيه

وكنت غنيا عن تهجين هذا الكتاب بالإشارة إلى من أشرت إليه أنفاً من ذكره ، وعزوفاً بهمتي عن الانحطاط إلى مساواته ، ولكن رأيت السكوت عنه مجزأً وتقصيراً.. كما قال أبو تمام :-

ترك اللئيم ولم يمزق عرضه نقص على الرجل الكريم وعار
وكأقال أبو الطيب ، وقد استحق المعنى عليه :-

إذا أنتِ الاسامة من وضع ولم ألم المسىء فن ألوم
ثم أعود إلى الشطير فأطرح عن المحدث المولد ما كان من جنس تشبيه النعامة للطرماح ، وصفة الثور الوحشي له أيضاً ، وصفة مغارز ريش النعامة إذا أمرط للشياخ ، ومثل بيت العنكبوت فيما يمتد من لغام الناقة تحت لحياها في شعر الحظيئة ؛ وتشبيه الذباب بالأنجذم ، ولحي الغراب بالجلم لعنترة ، وأشياء هذا مما انفردت به الأعراب والبادية كماداتها : كأنفرادها بصفات النيران ، والفلوات الموحشة ، وورود مياها الآجنة ، وتعسف طرقاتها المجهولة ، إلى غير ذلك مما لا يعرف عياناً ؛ إذ كان المحدث غير مأخوذ به ، ولا محمول عليه ، ألا ترى إلى أبي نواس - وهو مقدم في المحدثين - لما وصف الأسد وليس من معارفه

ولعله ما شاهده قط إلا مرة في العمر إن كان شاهده ؛ دخل عليه الهم فجعل عينيه بارزة وشبههما بعيون الخنوق ، وقام عنده أن هذا أشنع وأشبه بشتامة وجه الأسد ، وذهب عنه من صفة أبي زيد وغيره لغوور عينيه عما هو أعلم به من أخذ عليه ، وأكثر ظني - والله أعلم - أن أبا نواس إنما رجع بالصفة إلى الرجل المشبه بالأسد ، وجعل ازورار عينيه وبروز جفنيه من علامات الغيظ والحنق على أقرانه في الحرب ، وكذلك لما تعاطى الأعرابي أبو نُجَيْلَةَ (١) ما لا يعرف قال :

• ولم تنق من القول الفستقا •

فجعله بقلا (٢) على ما في نفسه من لماع البقل ، على أن المحدثين قد شاركوا القدماء في كل ما ذكرته أيضا ، إلا أن أولئك أولى به ، وأحق بالتقدمة فيه ، كما خالطوهم في صفات النجوم ومواقعها ، والسحب وما فيها من البروق والرعود ، والغيث وما ينبت عنه ، وبكاء الحمام ، وكثير ما لا يتسع له هذا الباب ، ولكنني أفرد له كتابا قائما بنفسه أذكر فيه ما انفرد به المحدثون ، وما شاركهم فيه المتقدمون ، وآتى هاهنا من هذين النوعين بما يسد خلة المفتقر إلى سماعه من المبتدئين . . قال النابغة يذكر طول ليله :-

كليني لهم^١ يا أميمة ناصب وليل أفاقيه بطل الكواكب

تطاول حتى قلت ليس بمنقض وليس الذي يرعى النجوم بأي

وقال أبو الطيب في وزنه ورويه :-

أعيدوا صباحي فهو عند الكواكب وردوا رقادى فهو لحظ الحباب

فان نهاري ليلة^٢ مدلهمة^٣ على مقلة من قدكم في غياهب

(١) في أكثر الأصول «أبو جيلة» وهو تصحيف ، وقبل هذا البيت قوله •

جارية لم تأكل المرققا •

(٢) ويجعله بعضهم « ولم تنق من القول » جمع قل ، بالنون

فانت ترى ما فيه من الزيادة وحسن المقصد ، على أن يتي التابغة عندهم
في غاية الجودة .. وقال يزيد بن الطثرية حين خلق أخوه ثور مجته :-

فأصبح رأسي كالصحيرة أشرفت عليها عقاب ثم طارت عقابها .
وهذا البيت من أفضل الأوصاف وأحسنها يائاً عند قدامة وغيره ، وقال
بعض المتأخرين ، وأحسبه الزبدي ، في غلام خلقت وفرتة :-

خلقوا رأسه ليكسوه قبحاً غيرة منهم عليه وشحاً
كان صُبْحاً عليه ليل بهم فَمَحَوْا ليله وأبقوه صُبْحاً
وقال رؤبة بن العجاج :-

أمتت شواتي كالصفاء صفصفا فصار رأسي جبهة إلى القفا
فقال ابن الرومي وأحسن ما شاء :-

يجذب من فقرته طرة إلى مدى يقصر عن نيله
فوجه يأخذ من رأسه أخذنهار الصيف من ليله
ولو تتبع هذا لاطلت في غير موضع الاطالة .. فأما ما انفرد به
المحدثون فمثل قول بشار :-

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والاذن نقش قبل العين أحياناً
قالوا : بمن لا ترى تهذي ؟ فقلت لهم
وكرره فقال :-

قالت عقيل بن كعب إذ تعلقها قلبي وأمسى به من حبها أثر :
أى ولم تر هاتهي ؟ فقلت لهم : إن الفواد يرى ما لا يرى البصر
وقوله أيضاً :-

وكيف تناسى من كان حديثه بأذني - وإن غيت - قرط معلق
واختراعاته كثيرة ، واشتهره بذلك يغني عن الانشاد له .. وكقول أبي
نواس ، وقد ذكر المبرد أنه لم يسبق إليه ، وهو :-

أيها الرانحان باللوم لوما لا أذوق المنام إلا شميما
 نالني بالملام فيها إمام لا أرى لي خلافة مستقيما
 فاصرفاها إلى سواي فاني لست إلا على الحديث نديما
 كبر حظي منها إذا هي دارت أن أراها أو أن أشم النسيما
 فكأنني وما أزين منها قعدي يزني التحكيما
 كل عن حمله السلاح إلى الحر ب فأوصي المطبق أن لا يقيما
 « القعدة » : فرقة من الخوارج ترى الخروج وأمر به ، وتقعده
 عنه . . وقوله أيضا : -

بنينا على كسرى سماء مدامه مكلة حافظها بنجوم
 فلورد في كسرى بن ساسان روحه إذا لاصطفاني دون كل نديم
 وهذا المعنى أيضاً لم يتناوله أحد قبله . . وكذلك قوله : -
 قد قلت للعباس معتذراً من ضعف شكره ومعترفاً :
 أنت " امرؤ جلتني نعماً أو هت قوى شكرى فقد ضعتفاً
 فإليك مني اليوم تقدمة " تلقاك بالتصريح منكشفاً
 لا تسدين إلى عارفة حتى أقوم بشكر ما سلفا
 وقال أيضاً في صفة النساء الخنارات ، ويروى لابن المعتز : -

وتحت زناير تددن عقودها زناير أعكان معاقدها السرر
 فهذا تشبيه ما علمت أنه سبق إليه . . وقال أيضاً : -
 لست أدري أطل كليل أم لا كيف يدرى بذلك من يتقلى ؟
 لو تفرغت لاستطالة ليلي ولرعني النجم كنت مخللا
 ومعاني أبي نواس واختراعاته كثيرة . . وأكثر المولدين معاني
 وتوليدا - فيما ذكره العلماء - أبو تمام ، غير أن القاسم بن مهرويه قد
 زعم أن جميع ما لا يبي تمام من المعاني ثلاثة : أحدها قوله : -

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويبت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب تعرف العود
والثاني قوله : -

بني مالك ، قد نبهت حامل الثرى قبيوركم مستشرفات المعالم
غوامض قيد الكف من متناول وفيها محلاً لا يرتقى بالسلام
والثالث قوله : -

يأبى على التصريد إلا نائلاً إن لم يكن محضاً قراحاً بمنق
نزراً كما استكرهت عائر نفحة من فارق المسك التي لم تفتق
وأنا أقول : إن أكثر الشعراء اختراعاً ابن الرومي ، وسيأتي برهان ذلك
في الكتاب الذي شرطت تأليفه إن شاء الله سبحانه .. ولا بد هاهنا من نبذ
يسيرة أشغل بها الموضوع : منها قوله : -

عيني لعينك حين تنظر مقتل لكن لحظك سهم حنف مرسل
ومن العجائب أن معنى واحداً هو منك سهم وهو مني مقتل
وقوله في عتاب : -

توددت حتى لم أدع متودداً وأفنيت أقلامي عتاباً مرودداً
كأنني أستدعي بك ابن حنية إذ النزع أدناه من الصدر أبعدا
وقوله في آيات يتنزل فيها ، وإن كان قد كرر المعنى : -

نظرت فاقصدت الفؤاد بلحظها ثم انتنت عنه فظل بهم
فالموت إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام وزعن اليم
وقوله ولم أسمع أحسن منه في معناه : -

وما يعتريها آفة بشرية من النوم إلا أنها تبختر
وغير عجيب طيب أنفاس روضة منورة باتت زاح ومطر
كذلك أنفاس الرياض بسحرة طيب ، وأنفاس الورى تنغير

(٩٠) - باب في أغاليط الشعراء والرواة

• ولا بد أن يؤتى على الشاعر المفلق ، والعالم المتقن ؛ لما نبى عليه الانسان من النقص والتقصير ، وخير ما في ذلك أن يرجع المرء إلى الحق إذا سمعه ، ولا يتمادى على الباطل لجأحة وأنفة من الخطأ ؛ فان تهاديه زيادة في الخطأ الذي أنف منه

• أخبرنا أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوي ، عن أبي علي الأمدى ، عن علي ابن سليمان الأخفش ، عن محمد بن يزيد المبرد ، قال : تلاحي مسلم بن الوليد وأبو نواس ، فقال [مسلم] : ما أعلم بيتاً لك يخلو عن سقط ، فقال أبو نواس : اذكر شيئاً من ذلك ، فقال : بل أنشد أنت أى بيت شئت ، فأنشد أبو نواس : —

ذكر الصبوحَ بسحرة فارتاحا وأمله ديك الصباح صياحا
فقال مسلم : قف عند هذا ، لم أمله ديك الصباح ، وهو يشره بالصبوح ، وهو الذى يرتاح إليه ؟ فقال أبو نواس : فأنشدنى أنت ، فأنشده : —

عاصي الشكَّابَ فراحَ غيرَ مُتَنَدٍّ وأقامَ بينَ عزيمةٍ ونَجْدٍ
فقال أبو نواس : ناقضت ، ذكرت أنه راح ، والرواح لا يكون إلا بالاتقال من مكان إلى مكان ، ثم قلت « وأقام » فجعلته متقلاً مقيماً في حال ، وهذا متناقض .. قال أبو العباس : وكلا البيتين صحيح ، ولكن من طلب عيأ وجرده ومن طلب له مخرجا لم يفته .

قال الأصمى : وأخطأ زهير في قوله « كأحر عاد ^(١) » ، ولا أدرى لم

(١) هذه قطعة من بيت زهير يقع في معلقته ، وهو بتمامه : —

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحر عاد ، ثم توضع فتقطع
وحصل اعتراض الأصمى أن قوله « كأحر عاد » فيه نسبة قدار عافر ناقة

خطأه وقد سمع قول الله عز وجل * (وأنه أهلك عاداً الأولى) * فهل قال هذا إلا وثم عاد أخرى ، وهي هلكت بالغل من ولد قحطان . قال قيس بن سعد بن عباد : —

• سراويل عادي نمتة نمود •

وكان يقال لنمود « عاد الصغرى » وخطأ الشماخ [في قوله] في وصف ناقته
• رَحَى حَيْرُومَهَا كَرَحَى الطَّحِينِ^(١) •

ظنه يصفها بالكبر ، وهو عيب لاحالة ، وإنما وصفها بالصلابة لاغير .
وأخذ ابن بشر الأمدى على البحترى قوله : —

هَجَرْتَنَا يَقْطَلُ وَكَادَتْ عَلَيَّ مَدُّ هَبِيهَا فِي الصُّدُودِ يَهْجُرُ وَسَنَى
قال : هذا غلط ؛ لأن خيالها يتمثل له في كل أحوالها يقطى كانت أو وسنى
أو ميتة ، والجيد قوله : —

أَرَدْتُ دُونَكَ يَقْطَلَانَا وَيَأْذُنُ لِي عَلَيْكَ سَكْرُ الْكُرَى إِنْ جِئْتُ وَسَنَانَا
وأنا أقول : إن مراده أنها لشدة هجرها له ونحوها عليه لاتراه في المنام
إلا مهجوراً ، ولاتراه جملة ، فالمعنى حينئذ صحيح لافساد فيه ، ولا غلط ،
ولعل الرواية « وكادت » وهذا موجود في كلام الناس اليوم ، ومثله يقولون

نمود إلى عاد ، وهو مالا يصادقه عليه العارفون بالتاريخ ، وقد أجيب عن هذا
الاعتراض بما ذكره المؤلف من أن عاداً يسمى به جماعتان ، وأنه يقال لنمود « عاد
الأخرى » بدليل الآية ، وأنصار الأصمعي لا يقرون هذا الجواب ويزعمون أن
« الأولى » في قوله تعالى (عاداً الأولى) معناه السابقة التي كانت قبل نمود وليس
يدل على أن هناك عادين . وحصل هذا أن الوصف أتى به للإيضاح لا للاحتراز

(٢) صدره • فنعلم المرتجى ركعت إليه • والمرتجى : الذي يرجى لنوائب

الدهر . وركعت إليه : بركت عنده . ورحى حيزومها : كركبتها ، شبهها بالرحى
في الصلابة ، لا في العظم ؛ لأنه مما يعاب في الأبل ، وسيذكر لك المؤلف ذلك

« فلان لا يرى لى مناماً صالحاً » وليس بين بيتي البحرى تناسب من جهة المعنى جملة واحدة ؛ لأنه أولاً يحكى عنها ، وثانياً يحكى عن نفسه ، بل إن في اللفظ اشتراكاً ظاهراً .

وفي كتاب عبد الكريم من المأخوذ على أبي تمام قوله : —

• مها الوحش إلا أنذاها أوانس^١ قنا الخط إلا أن تلك ذوايل

قال : فيه غلط من أجل أنه نفي عن النساء لين القنا ، وإنما قيل للرماح « ذوايل » لأنها وتثنى ، فنفي ذلك أبو تمام عن قدود النساء التي من أكل أوصافها اللين والشنى والانعطاف ، قلت أنا : أما أبو تمام فقله الصواب ؛ لأنهم يقولون « رمح ذابل » إذا كان شديد الكعوب صلباً ، وهو الذى تعرف العرب ، ومنه قولهم « ذبكت شفاته » إذا يبستا من الكرب أو العطش أو نحوهما ، فأما كلام المعترض فغير معروف إلا عند المولدين ؛ فانهم يقولون « نواره ذابله » وليسوا بقدوة ؛ على أن كلامهم راجع إلى ما قلناه ، إنما ذلك لقلة المائة وابتداء اليبس ، وإنما نقل عبد الكريم كلام ابن بشر الأمدى .

قال الأصمى : قرأت على أبي محرز خلف بن حيان الأحمر شعر جرير فلما

بلغت إلى قوله : —

وليل ظههم الحبارى محبب إلى هواه غالب لى باطله^٢
رزقنا به الصيد الغزير ولم نكن كمن نبله محرومة^٣ وجائلة^٤
فيا لك يوماً خيرة قبل شره ققيب^٥ واشيه^٦ وأقصر عاذله^٧

قال خلف : ويحه ، ما ينفعه خير يؤول إلى شره ؟ فقلت : هكذا قرأته على أبي عمرو بن العلاء ، قال : صدقت ، وكذا قال جرير ، وكان قليل التقيج لأنفاظه ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع ، قلت : فكيف يجب أن يكون ؟ قال : الأجود أن يكون « خيره دون شره » فاروه كذلك ، وقد كانت الرواة

قديمًا تصلح أشعار الأوائل ، فقلت : والله لأأرويه إلا كذا . قلت أنا : أما هذا الإصلاح فليح الظاهر ، غير أنه خلاف الظاهر ، وذلك أن الشاعر أراد أنه كان ليله في وصال ، ثم فارق حبيبه نهاراً ، وذلك هو الشر الذي ذكر ، والرواية جعله لم يفارق فغير عليه المعنى ، إلا أن تكون الرواية * ويوم كإبهام الجباري * فحينئذ .. على أن « دون » تحتل ما قصد ، وتحتل معنى قبل ، فهي لفظة مشتركة ، وتكون أيضاً بمعنى بعد ؛ لأنها من الاضداد ، ولكن في غير هذا الموضع .

وخطأ الأصمعي بشامة بن الغدير في قوله يصف راحلته : —
وَصَدَّرَ لَهَا مِيعَ كَالْحَلِيفِ تَخَالُ بِأَنْ عَلَيْهِ شِلَالَا
لأن من صفة التجائب قلة الوير .

وخطأ أيضاً كعب بن زهير في قوله يصف راحلته : —

* فَمِمْ مُقِيدُهَا ضَخْمٌ مُقْلَدُهَا *

لأن التجائب دقيقات المذايح .

ونبه أبو الفضل بن العميد على البحرى في بيت كسره . وهو قوله : —
وَلَمَّاذَا تَتَّبَعَ النَّفْسُ شَيْئًا جَعَلَ اللَّهُ الْفَرْدَوْسَ مِنْهُ جَزَاءً
قال ننشده : —

* جعل الله الخلد منه جزاء *

ليستقيم ، حكى ذلك صاحب بن عباد .. وأنشده أيضاً : —
أَبَا غَالِبٍ بِالْجُودِ تَذَكَّرَ وَاجِبِي إِذَا مَأْغَى الْبَاخِلِينَ نَسِيهِ
وزعم أنه لحن ، ولست أرى به بأساً ، هذا الشاعر أسكن الياء لما يقتضيه بناء القافية ، فإذا أسكن الياء وما قبلها مكسور لم تكن الهاء إلا مكسورة إتباعاً لما قبلها ، لاسيما وهي طرف ، وقد فعلوا مثل هذا في وسط الكلمة .. وقال رؤبة : —

• كَانْ أَيْدِينْ بِالْفَاعِ الْقَرْفِ •

ولم يقل أَيْدِينْ بالضم استقالا ، وأيضاً فكأنه — أعنى البحرى — نوى الوقوف ، ثم جر القافية كمادتهم في تحريك الساكن أبدأ إلى الجر .
وأشدد صاحب بن عباد قال : أنشدنى على بن المنجم ، قال : أنشدنى
أهـ الفوت لآيه : —

وأحقّ الأيام بالانس أن يؤثّر فيه يوم المهرجان الكبير
وأنا أقول : إن أبا الفوت جاء من قبله الخذلان في هذه الرواية ، فويل
للآباء من أبناء السوء ، ودع المثل القديم ، ولا أظن البحرى
قال إلا : —

وأحقّ الأيام بالانس أن تؤثّر يوم المهرجان الكبير
وأخذ الأحمر على المفضل روايته في قول امرئ القيس : —

• نمس بأعراف الجياد أكفئنا •

وما هو إلا « نمش » أى : نمش ، والمشوش المنديل . . وكذلك قول
المفضل : —

وإذا ألم خيالها طرقت عيني فاه مشجونها ^(١) سجنم

وإنما هو « طرفت » بالفاء . . . وأخذ عليه الأصمى في قول أوس : —

• تصمت بالماء تولباً جدعا ^(٢) •

وإنما هو « جدعا » بدال مكسورة غير معجمة ، ولا مر ما قال ذو الرمة
لموسى بن عمرو : اكتب شعري ، فالكتاب أعجب إلى من الحفظ ؛ لأن الأعرابي
ينسى الكلمة قد تعب في طلبها ليلة ، فيضع في موضعها كلمة في وزنها ، ثم
يفتشدها الناس ، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاماً بكلام .

(١) أحسبه • . . . فاه شؤونها . . . •

(٢) صدره • وذات هدم عارنوا شرها • وقد عاب قوم على أوس هذا

البيت لأنه سمي الصبي « تولبا » وإنما هو ولد الحمار

قال الأخطل : أخطأ الفرزدق حيث قال : —

أبني غدانة إني حرّرتُكم فوهبتكم لِعَطِيَّةَ بن جعال
لولا عطية لاجتدعت أنوفكم من بين الأمم أوجه وسبال
كيف يكون وهب له وهو هجوم هذا الهجاء ؟ فأنبرى لهقي من بني تميم فقال :
وأنت الذي قلت في سويد بن منجوف : —

فاجلِغْ سوء خرق السوس بطنه لما حملته وائلٌ بمطيق
أردت هجاء فزعمت أن وائلا تعصب به الحاجات ، وقدر سويد لا يبلغ
ذلك عندهم ، فأعطيته الكثير ، ومنعته القليل ، وأردت أن تهجو حاتم بن النعمان
الباهلي ، وأن تصغر شأنه ، وتضع من قدره ؛ فقلت : —

وَسَوَدَ حَاتِمًا أَنْ لَيْسَ فِيهَا إِذَا مَا أَوْقَدَ النَّهْرَانِ نَارُ
فأعطيته السؤدد من قيس الجزيرة ، ومنعته ما لا يضر منعه ؛ وأردت
أن تمدح سماكا الأسدي فقلت : —

نعم المَجِيرُ سَمَّاكَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ بِالطَّفِّ إِذْ قَتَلْتَ جِيرَانَهَا مُضَرُّ
قد كنت أحسبه قينا فأنبؤهُ قَالَان طَيْر عَنْ أَتَوَابِهِ الشَّرُّ
فأنصرف الأخطل خجلا . قال الحسن لعل بن زيد : أرايت قول
الشاعر : —

لولا جريرٌ هلكت بجيلة نعم الفتي وبشت القبيلة
مدحه أم هجاء ؟ قال : مدحه وهجا قومه ، فقال الحسن : ما مدح من
هَجِي قَوْمُهُ . وقال من اعتذر للتابعة في قوله : —

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المتأى عنك واسع
إنما قدم الليل في كلامه لأنه أهول ، ولأنه أول ، ولأن أكثر أعمالهم
إنما كانت فيه ؛ لشدة حر بلدكم ، فصار ذلك عندهم متعارفاً . وكذلك
اعترفوا لزهير [في قوله] يصف الضفادع : —

يخرجن من شربات ماؤها طحل^١ على الجنود يخفن القمر والغرقا
فقال : ولم يرد أنها تخاف الفرق على الحقيقة ، ولكنها عادة من هرب
من الحيوان من الماء ، فكأنه مبالغة في التشبيه ، كما قال الله عز وجل :
(وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) وقال : (وبلغت القلوب الحناجر)
والقول فيها محمول على « كاد » هكذا ذكر الحزاق من المفسرين ، مع أنا
نجد الأماكن البعيدة القمر من البحار لا تقربها دابة ، خوفاً على نفسها من
المهلكة ، فكأنه أراد المبالغة في كثرة ماء هذه الشربات ، وإنما اقتدى فيه
بقول أوس بن حجر : —

فاكرن جونا للعلاجيم فوقه^٢ مجالس غرقى لا يحلا^٣ ناهله
وعند القاضى الجرجاني من غلط أبي نواس في الوزن قوله : —
رأيت كل من كان أحقاً معتمها^٤ في ذا الزمان صار المقدم الوجها^٥
يارب نذل وضع نوته تنوهمها^٦ هجوتها^٧ لكيا أزيد تشويها^٨
ولم يقل لحو نواس - فيما علمت - إلا « رب وضع نذل » وهذا أفرط
في التعصب والحية على أبي نواس وغيره لمن لا يجرى في حلبتهم ولا يُشَقَّ
غبارهم

(٩١) - باب ذكر منازل القمر

ولما رأيت العرب - وهم أعلم الناس بهذه المنازل وأنوائها ؛ لأنها سقف
يوتهم ، وسبب معاشهم واتجاعهم - غلطوا فيها فقال أحدهم : من الأنجم
المرل^٩ والراحه^{١٠} . وقال امرؤ القيس

« إذا ما الثريا في السماء تعرضت »^(١١)

فأنى بتعرض الجوزاء ، ورأيت كل من عُنى بالنجوم من المحدثين

(١) عجزه * تعرض أثناء الوشاح المفصل * وهو بيت من معانيه

وأستوفى جميع المنازل مخطئاً ، لا شك في خلافه ؛ لأنه إنما يصف نجوم ليلة سهرها ، والنجوم كلها لا تظهر في ليلة واحدة ، ولذلك قلت أنا احتياطاً في الليل من نسيب قصيدة مدحت بها السيد أبا الحسن أدام الله عزه : —

قد طالَ حتى خلتُهُ من كل ناحيةٍ وسطُ

وتكررت فيه المنازلُ منه لا مَنى الغلطُ

وجب أن أذكر هذه المنازل وأنواعها ، واختلاف الناس فيها ، وعولت في ذلك على ما ذكره أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، مجتهداً فيما استطعت من البيان والاختصار ، إن شاء الله تعالى

السنة أربعة أجزاء ، لكل جزء منها سبعة أنواء ، لكل نوء ثلاثة عشر يوماً ، إلا نوء الجبهة فانه أربعة عشر يوماً ، زيد فيه يوم لتكمل السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً ، وهو المقدار الذي تقطع الشمس فيه بروج الفلك الاتي عشر ، لكل برج منزلتان وثلث منزلة ، وكلما نزلت الشمس منزلة من هذه المنازل سترته ؛ لأنها تستر ثلاثين درجة : خمسة عشر من خلفها ، ومثلها من أمامها ، فإذا انتقلت عنها ظهرت . . هكذا قال الزجاجي ، وإذا اتفق أن تطلع منزلة من هذه المنازل بالغداة ويفرب رقيه فذلك النوء لا يتفق لكل منزلة إلا مرة واحدة في السنة ، وهو مأخوذ من « ناء ، ينوء » إذا نهض مشاقلاً ، والعرب تجعل النوء للغارب ؛ لأنه ينهض للغروب مشاقلاً ، وعلى ذلك أكثر أشعارها ، وتفسير بعض العلماء في قوله تعالى : (ما إن مفاتيحه لتنوء بالعصبة أوى القوة) أى : تميل بهم إلى الأرض ، وهذا التفسير أوجه من قول من جعل الكلمة من المقلوب ، قال : وبعضهم يجعله للطالع ، وهذا هو مذهب النجميين ؛ لأن الطالع له التأثير والقوة ، والغارب ساقط لا قوة له ولا تأثير . قال المبرد : النوء على الحقيقة للطالع من الكواكب ، لا الغارب ، وهذه المنازل كلها يطلع بها الفلك من المشرق ، ويفرب في المغرب ، كل يوم وليلة ، وتلك دورة من دوراته

الربع الأول من السنة ، وابتدأؤه من سبعة عشر يوما من آذار ، وبعضهم يجعله في عشرين يوما منه ، فيستوى حيثئذ الليل والنهار منه ، ويطلع مع الغذاء فرع الدلو الأسفل ، وهو المؤخر ، ويسقط العواء ، وإليها ينسب النوء ، وهي تمد وتقصّر ، وصفتها خمسة كواكب كأنها ألف مغطوة الذنب إلى اليسار ، وبذلك سميت ، وتقول العرب : عويتُ الشيء ، إذا غطفته ، وقال آخرون : بل هي كأنها خمسة أكلب تعوى خلف الأسد ، قال ابن دريد : هي دبر الأسد ، والعواء في كلامهم الدبر

النوء الثاني السماك ، وهما سماكان : أحدهما : السماك الأعزل ، نجم وقاد شبهه بالأعزل من الرجال ، وهو الذي لا سلاح معه ، وهو منزل القمر ، والآخر : كوكب تقدمه آخر ، شبهه بالرح ، وهما ساقا الأسد ، وسمى سماكا لعلوه ، ولا يقال لغيره إذا علا سماك ، هكذا قال سيبويه عما حكى الزجاجي عن أبي إسحاق الزجاج ، غير أنه قال في الأعزل : وقيل إنما سمى أعزل لأن القمر لا ينزل به ، وأنا أقول : القول الآخر خلاف ما عليه جميع الناس ، ورؤية العين تدركه على غير ما يزعم الزاعم

النوء الثالث الغفر ، وهو ثلاثة كواكب غير زهر ، وبذلك سميت ، من قولك : غفرت الشيء ، إذا غطيته ، ومنه سميت الغفارة التي تلبس ، وقيل : إنما سمى غفراً من الغفرة ، وهي الشعر الذي في طرف ذنب الأسد ، وقال أبو عبيدة : الغفر كل شعر صغير دون الكثير ، وكذلك هو في الريش ، وقال قوم : هو من النكس في المرض ، يقال : أغفر المريض ، إذا نكس كأن النكس غطاء العافية

النوء الرابع الزبانان : كوكبان مفترقان ، وهما قرنا العقرب ، وقيل : يداها ، وسميا زبائين لبعد كل واحد منهما عن صاحبه ، من قولهم : زبنت كذا ، إذا دفعته لتبعدة عن نفسك ، ومنه اشتقاق الزبانية ؛ لأنهم يدفعون أهل النار إليها

النوء الخامس الاكليل : ثلاثة كواكب على رأس العقرب ، وبذلك سميت إكليلاً

النوء السادس القلب : كوكب أحمر وقاد : جعلوه للعقرب قلباً ، على معنى التشبيه

النوء السابع الشولة : كوكبان أحدهما أخفى من الآخر ، وهما ذنبا العقرب ، وذنبا العقرب شائل أبداً ، فشبّه به ، هذا قول بعضهم ، وبعضهم يجعل الشولة الابرة التي في ذنبا العقرب ، وهم أهل الحجاز ، وهو أصح على منذهب من زعم أنهما كوكبان فقط

الربع الثاني : الصيف ، أول أنوائه « النعائم » وهي ثمانية كواكب نيرة : أربعة منها في المجرة تسمى الواردة ، وأربعة خارجة منها تسمى الصادرة ، وشبهت بالحشبات التي تكون على البئر يعلق بها البكرة والدلاء

الثاني من الصيف « البلدة » وهي فرجة لطيفة لا شيء فيها ، لكن بجوارها كواكب تسمى القلادة ، وإنما قيل لتلك الفرجة البلدة تشبيهاً بالفرجة التي بين الحاجبين ، إذا لم يكونان مقرونين ، يقال منه : رجل أبلد ، ويقال : بل شبهت بالبلدة ، وهي باطن الراحة كلها ، وقيل : باطن ما بين السبابة والابهام

الثالث منه سعد الناجح : وهما نجمتان صغيران : أحدهما مرتفع في الشمال معه كوكب آخر يقال هو شاته التي تذبج ، والآخر هابط في الجنوب

الرابع منه سعد بُلْعَ : وهما كوكبان صغيران مستويان في المجرة ، شبها بضم مفتوح ، يريد أن يبتلع شيئاً ، وقيل : إنما قيل بلع كأنه بلع شاته ، وبلع غير مصروف ؛ لأنه معدول من بالع ، مثل زفر وقم ، وسعد مضاف إليه

الخامس منه سعد السعود : وهما كوكبان أحدهما أنور من الآخر ، سمي بذلك لأن وقت طلوعه ابتداء كمال الزرع وما يعيش به الحيوان من النبات

السادس منه سعد الأخية : وهما كوكبان عن شمال الجباء ، والأخية أربعة كواكب : واحد منها في وسطها يسمى الجباء ؛ لأنها على صورة الجباء ، وزعم ابن قتيبة أنه سمي بذلك لطلوعه وقت انتشار الحيات والهوام ، وخروج ما كان مختبئاً

السابع فرع الدلو الأعلى وهو المقدم ، وبعضهم يسميه العروة العليا تشبيهاً بعروة الدلو ، وهما كوكبان مفترقان نيران ، وقيل له « دلو » لأنه تأتي فيه الأمطار العظيمة ، ويقال : بل سميا بذلك لأنهما مثل صليب الدلو الذي يفرغ منه الماء

الرابع الثالث : الخريف ، أول أنوائه « فرع الدلو الأسفل » وصورته كوكبان مضيئان بينهما بعد صالح يتبعان العروة العليا ثم الحوت : وهو كوكب أزهر نير في وسط السمكة ثم الشيطان : وهما كوكبان مفترقان مع الشمال ، منهما كوكب دونه في القدر ، وسميا شرطين لأن سقوطهما علامة ابتداء المطر واتصاله ، وكل من جعل لنفسه علامة فقد شرطها ، ومنه سمي الشرط ؛ لأن لهم علامة عرفوا بها .

ثم البطين : وهو ثلاثة كواكب طمس خفيات ، وهو بطن الحمل إلا أنه قد صغر

ثم الثريا : وهو النجم ، وصورتها ستة كواكب متقاربة حتى كادت تلاصق ، وأكثر الناس يجعلها سبعة ، وقد جاء الشعر بالقولين جميعاً ، سميت بهذا لأن مطر هائعه تكون الثروة وكثرة العدد والغنى ، وهي تصغير ثروى ، ولم ينطق بها إلا مصغرة

ثم الدبران : كوكب وقاد على أثر نجوم تسمى القلاص ، وقيل له « دبران » لأنه دبر الثريا ، أي : جاء خلفها ، ويقال له أيضاً « الراعى » و « التالى »

و « التابع » و « الحادى » على التشبيه
ثم الحقعة : سميت بهذا تشبيها بالدائرة التى تكون عند عقب الفارس فى
جنب الفرس ، وصورتها ثلاثة أنجم صغار متقاربة كأثار رموس أصابع
ثلاث فى ثرى إذا جمعت الوسطى والسبابة والابهام ، وهى رأس الجوزاء
الرابع : الشتاء ، وهو آخر أرباع السنة ، وأول أنواته « المنعة » سميت
بذلك لأنها كوكبان مقترنان كل واحد منهما منعطف على صاحبه ،
من قولك : هنعه ، إذا عطف بعضه على بعض ، واقتراهما فى المجرة بين
الجوزاء والذراع المقبوضة

ثم الذراعان : وهى ذراع الأسد المبسوطة والمقبوضة : كوكبان ييران
بينهما كواكب صغار تسمى الاظفار

ثم النثرة : وهى لطفة لطيفة بين كوكبين ، وهى عندهم ما بين فم الأسد
وأفقه ، ومن الانسان فرجة ما بين الشاربين حيال وترة الأنف ، وقيل : إنما
سميت نثرة لأنها كقطعة سحب ثرت

ثم الطرف : عينا الأسد ، وهما كوكبان صغيران بينهما نحو قامة فى
مرأى العين

ثم الجبهة : أربعة كواكب معوجة ، فى اليمين منها بريق ، وهى جبهة
الأسد عندهم

ثم الزبرة : نجمان يرى أحدهما أكبر من الآخر ، ويقال لهما « الخرتان »
كأنهما نفذا إلى جوف الأسد ، والعيان يبطل ذلك ، كما قال الزجاجى
ثم الصرقة : كوكب وقاد عنده كواكب طمس ، سمي بذلك لانصراف
البرد لسقوطه

فهذه عدة المنازل وصفاتها ، وإنما أضيفت إلى القمر دون الشمس ،
وحظهما فيه واحد ؛ لظهورها معه ، وتسمى نجوم الاخذ ، كأن الارض
تأخذ عنها بركات المطر ، وقيل : لاخذ الشمس والقمر سمتهما فى سيرها

(٩٢) - باب في معرفة الأماكن والبلدان

• قال أبو عبيدة : الحجاز هو ما بين الجحفة وجبلى طيء ، وإنما سمي حجازاً لأنه حجز ما بين نجد والقور ، وحكى ابن قتيبة عن الرياشي عن الأصمعي : **« إذا خلقت حَجْراً مُصْمداً فقد أنجدت ، فلا تزال منجداً حتى تنحدر من ثنایا ذات عِرْقٍ ، فاذا فعلت فقد أنهمت إلى البحر ، فاذا عرضت لك الحِرَارُ وأنت منجد فتلك الحجاز ، وإذا تَصَوَّبْتَ من ثنایا العرج واستقبلك المِرخ والأراك فقد أنهمت ، وسمي حجازاً لأنه حجز ما بين نجد وتهامة ، فأما محمد بن عبد الله الأسدي فقال : حد الحجاز الأول بطن نخلة وظهر جدة والحد الثاني مما يلي الشام شغبي ^(١) وبدا ، والحد الثالث مما يلي تهامة بدر والسقيا ورهاط وعكاظ ، والحد الرابع ساية [و] ودان ، ثم تنحدر إلى الحد الأول بطن نخل**

وأما الجزيرة فإنها ما بين دجلة والفرات والموصل ، والسوادان : سواد البصرة والأهواز ودست ميسان وفارس ، وسواد الكوفة كسكر إلى الزاب وحلوان إلى القادسية

وجزيرة العرب قال أبو عبيدة : هي في الطول ما بين حفير أبي موسى إلى أقصى اليمن ، وفي العرض ما بين يبرين إلى السماوة . . وقال الأصمعي : هي ما بين نجران والعذيب ، حكاه ابن قتيبة عن الرياشي ، قال : وحكى عنه أبو عبيدة أنها في الطول من أقصى عدن إلى ريف العراق ، وفي العرض من جدة وما والاها من طراز البحر إلى طراز الشام

(١) في الأصول « شعب » بالعين المهملة ، وصوابه ما أثبتناه ، وفيه وفي « بدا » يقول كثير : —

وأنت التي حبت شغبي إلى بدا إلى ، وأوطاني بلاد سولها

وقيل : سمى العراق تشبيها بعراق المزايدة ، وهو موضع الخرز المستطيل في أسفلها ، وقال بعضهم : هو جمع عرق لاشتباك عروق النخل والشجر في تلك الأرض ، وقيل : إن اسمه كان بالفارسية « إيران شهر » أى : أسفل الأرض ، فعربت

وأما الشام والعين فن العين البيني واليد الشؤمى ، وهى الشمال ؛ لأن النوى يستقبل الشمس تكون العين عن يمينه والشام عن شماله ، ويقال « شام » بالهمز والتخفيف ، ومنهم من جعل الشام جمع شامة ، وهى النكتة تكون فى الجسم سوداء أو نحو ذلك ، وكذلك فى الأرض .. قال ذو الرمة :-
ولأن لم تكن غير شام بفقرة تجربها الأذيال صيفية كدُر

(٩٣) — باب من الزجر والعيافة

وعنهما يكون الفأل والطيرة ، وبين الطيرة والفأل فرقان عند أهل النظر والمعرفة والحقائق ؛ وذلك أن الفأل تقوية للعزيمة ، وتحضيض على البغية ، وإطاع فى النية ؛ والطيرة تكسر النية ، وتصعد عن الوجهة ، وتثنى العزيمة ، وفى ذلك ما يعطل الاحالة على المقادير ، وقد تعامل النبي صلى الله عليه وسلم ونهى عن الطيرة فى قوله : « لا عدوى ، ولا طيرة » ، ولا هامة ، ولا صفّر ، وقد تقدم ذكرها ، وقيل فى الهامة : إنها هذه المعروفة . والطيرة من أحد شيئين : مشتقة إما من الطيران ، كأن الذى يرى ما يكره أو يسمع يطير : كما قال بعضهم : —

عوى الذئب فاستأنست للذئب إذ عوى

وَصَوْتُ إِنْسَانٍ فَكَيْدَتْ أَطِيرُ

وإما من الطير ، وهو الأصل والمختار من الوجين ، هكذا ذكر الزجاجي وكانت العرب تزجر الطير والوحش ، فن قال بالقول الاول احتج بأن

الوحش يُطَيِّرُهَا ، وزجرت مع الطير ، ومن قال بالقول الثاني قال : إنما كان الأصل في الطير ، ثم صار في الوحش ، وقد يجوز أن يغلب أحد الشيئين على الآخر فيذكر دونه ويرادان جميعا . أنشد الجاحظ : —

ما يعيفُ اليومَ في الطير الدوحَ من غرابِ البينِ أو تيسِ برَحٍ
قال : لجمل التيس من الطير ؛ إذ قدم ذكر الطير وجعله من الطير في معنى التطير ، والعرب تطير بأشياء كثيرة : منها العطاس^(١) ، وسبب تطيرهم منه دابة يقال له العاطوس يكرهونها ، والغراب أعظم ما يتطيرون به ، والقول فيه أكثر من أن يطلب عليه شاهد ، ويسمونه حاتمًا ؛ لأنه يحتم عندهم بالفراق ، ويسمونه الأعور على جهة التطير بذلك ، إذ كان أصح الطير بصراً ، ويقال : سمي أعور لقولهم « عورت الرجل عن حاجته » إذا رددته عنها . وقد اعتذر أبو الشيص للغراب وتطير بالابل — وإن كان غيره سبقه إلى المعنى — فقال : —

الناسُ يلحونَ غرا بَ البينِ لما جهلوا
وما على ظهر غرا بَ البينِ تُطَوَّى الرحلُ
ولا إذا صاحَ غرا بٌ في الديار احتملوا
ما فرقَ الأحباب بعد الله إلا الإبل
وما غرابُ البينِ إلا ناقةٌ أو جملُ

(١) وفيه يقول امرؤ القيس : —

وقد أغتدى قبل المطاس بهيكل شديد ، منيع الجيب ، نعم المنطق
أراد أنه يتنبه للصيد قبل أن يتنبه أحد لثلا يسمع عطاسا فيتشام به بـ وكانوا
إذا عطس من يحبونه قالوا له : « همرا وشبابا » وإذا عطس من يبغضونه قالوا له :
« وريا وقحبا » والوردى — بفتح فسكون — داء يصيب الكبد فيمدها ؛ وكان
الرجل منهم إذا عطس قال : « بكلاي » وكان تشاؤمهم بالمطسة الشديدة أشد

مكذرا رويته ، وبعضهم يجعل الشعر * ما قرب الاحباب * وبعده
 * والناس يلحون ... * بواو مكان الحمزة يعطف بها .. وقال آخر فليح
 وظرف : —

زعموا بأن مطيهم عون النوى والمؤذات مِرْقَة الاحباب
 لو أنها حتى لما أبغضتها ولهاهم سبب من الأسباب .
 ويتطيرون بالضرر ، ومن أسماؤه الاخيل ، والاحطب ، ويقال :
 الاخيل الشقراق ، ويقال : بل طائر يشبهه ، والولق أيضا الصرد ، قال (١)
 زبان بن منظور الفزارى فى حديث له كان مع نائبة بنى دزيان - وقد تطير
 من جرادة سقطت عليه فرجع من الغزو ومضى زبان فظفر وغنم : —

تعلم أنه لا طير إلا على متطير وهي الثبور
 على شئ يوافق بعض شئ أحياناً وباطله كثير
 يقولها فى آيات لا أقف على (١) جملتها . وقال شاعر قديم لزبان أيضاً : —
 لا يمنعك من بغا . الخير تعقاد التمام
 لا والتشاؤم بالمطا . ولا التيامن بالمقاسم
 ولقد عدوت وكنت لا أعدو على واق وحاتم
 وإذا الاشائم كالآيا من والايمان كالاشائم
 قد خط ذلك فى الزبور ر الاوليات القدام

(١) روى المؤلف هذا القصة معكوسة ، ولم يصب فى ضبط أعلامها . والصواب
 فيها أن النائبة الديباني كان يسير مع زياد بن سيار يردان الغزو ، فرأى زياد جرادة ،
 فقال : حرب ذات ألوان ، ثم رجع ، ومضى النائبة فى سبيله ، فلما رجع فأنما قال : —

يلاحظ طيرة أبدا زياد لتخبره وما فيها خير
 أقم كأن لقمان بن عاد أشار له بحكته مشير

وبعد هذين البيتين البيتان اللذان رويهما المؤلف (وانظر ديوان النائبة : ص ٦٥)

ويتشامون بالثور الأعضب ، وهو المكسور القرن .. وقال الكمي
ينفي الطير ويدفعها عن نفسه :-

• ولا أنا يمن يزجرُ الطيرَ كَمُثْهُ أصاحَ غرابٍ أم ترمضُ مَلْبُ
ولا السانحاتُ البارحاتُ عَشِيَّةً أمرٌ صحيحُ القرنِ أم مرأعُضب
• والبيت الأول من هذين يشبه بيت الأَعشى الذي أنشده الجاحظ ..
ومن أمثال العرب « فلان كبارح الأروى » وفيه قولان : أحدهما أن
الأروى يتشام بها ، فإذا كانت بارحاً فقد عظم الأمر ، والآخر أنها إنما
تكون في قرون الجبال ، ولا تكاد تكون سانحة ولا بارحة

وفي السانح والبارح اختلاف : قال عمرو بن العلاء : سأل يونس رؤبة
عن السانح والبارح ، فقال : السانح ما ولاك ميامنه ، والبارح ما ولاك
مياسره ، قال ابن دريد : السانح يقيم به أهل نجد ويتشامون بالبارح ،
ويخالفهم أهل العالية فيتشامون بالسانح ويتمنون بالبارح .. قال الشاعر
الهذلي يذكر امرأته :-

زجرت لها طير السنيح فان يكن هواك الذي تهوى يصبك اجتنبها
قال : والسانح الذي يلقاك وميامنه عن ميامنك ، والبارح الذي يلقاك
وشمائله عن شماتلك ، والجابه والناطح اللذان يستقبلانك ، والقعيد الذي
يأتيك من ورائك .

قال صاحب الكتاب : الكارم الذي ينزل عليك من الجبل ، حكاه
التمالي ، قال أبو جعفر النحاس : السنيح عند أهل الحجاز ما أتى عن اليمن
إلى اليسار ، والبارح عندهم ما أتى من اليسار إلى اليمن ، وهم يتشامون
بالسانح ، ويتمنون بالبارح ، وأهل نجد بالضد من ذلك ، والسانح عندهم
هو البارح عند أهل الحجاز .

وقال المبرد : السانح ما أراك مياسره فأمكن الصائد ، والبارح ما أراك

ميامنه فلم يمكن الصائد إلا أن ينحرف له .

وقد يطيرون من البازي والغراب وأشياء كثيرة من جهة التسمية ،
ويقيم بها آخرون .

ومن ملاح مارأيت في الزجر والعيافة ، قال الصولي : كان لأبي نواس
إخوان لا يفارقهم ، فاجتمعوا يوماً في موضع أخفوه عنه ، ووجهوا إليه
برسول معه ظهر قرطاس لم يكتبوا فيه شيئاً ، وحزموه بزئ وختموه بقار ،
وتقدموا إلى رسولهم أن يرى بالكتاب من وراء الباب ، فرماه به ، فلما
رآه استعلم خبرهم فلم أنه من فعلهم وتعرف موضعهم وأتاهم فأنشدهم : —

زجرتُ كتابكم لما أتاني كزجر سوانح الطير الجوارى
فظرت إليه مغزوماً بزئ على ظهر ومختموماً بقار
فقلتُ : الزئ ملية وملة وقلت : القار من دن العقار
وقلت : الظهر أهيف ذو جمال تركب صدغه فوق المذار
لجئت إليكم طرباً وشوقاً فما أخطأت داركم بدارى
فكيف تروتني وترون زجري ألسن من الفلاسفة الكبار ١١٩

(٩٤) — باب ذكر المعاظلة والتثييج

العظال في القوافي التضمين ، حكاة الخليل بن أحمد ، وزعم قدامة أن
المعاظلة سوء الاستعارة ، وهو عندهم مشتق من التداخل والتراكب ،
ومنه « تماظلت الجراد والكلاب » وأنشد قدامة بيت أوس بن حجر : —

وذا ت هدم عار نواشرها تصمت بالماء تولبا جدعا

لأنه قد أساء الاستعارة عنده ؛ لجعله الطفل تولباً ، وهو ولد الحمار .

وأما التثييج فهو طول الكلام واضطرابه ، ولا يقال كلام مشيج حتى
يكون هكذا ، ويقال : رجل مشيج الخلق ، إذا كان طويلاً في اضطراب ،

والتثييج عند الصولى فى الخط ألا يكون يثينا وكذلك هو فى الكلام .. وزعم قوم أن المعاطلة تداخل الحروف وتراكبها ، كما عيب على كعب بن زهير قوله : —

تجلوعوارض ذى ظلمٍ إذا تبسمت كأنه مُنهلٌ بالراح مغلولٌ
• وعاب ابن العميد حبيا لقوله : —

كریم متى أمدحه أمدحه والورى معى ، ومتى مالته لته وحدى
بالتكرير فى « أمدحه أمدحه » مع الجمع بين الحاء والهاء فى كلمة ، وهما معا من حروف الخلق ، وقال : هو خارج عن حد الاعتدال ، نافر كل التفار ، حكى ذلك عنه الصاحب بن عباد .. وزعم آخرون أنها تركيب الشيء فى غير موضعه كقول الكميث بن زيد : —

وقد رأينا بها حورا منعمةً ييضاً تكمل فيها الدل والشنبُ
وهذا البيت مما عابه عليه نصيب . ومثله عندى قول أبى الطيب : —
يحمل المسك عن غائرها الريحُ ويقتَرُ عن شنب (١) برود

(٩٥) — باب الوحشى المتكلف ، والريك المستضعف

الوحشى من الكلام : مانفر عنه السمع ، والمتكلف : ما بعد عن الطبع ، والريك : ما ضعفت بنيته ، وقلت فائدته ، واشتقاقه من الركة ، وهى المظر الضعيف ، وقيل : من الرك ، وهو الماء القليل على وجه الأرض . . وأنشد النحاس : —

تهادى كموم الرِّك يقطعهُ الحيا بأطح سهل حين تمشى تأودا
وقلان ريك ، أى : ضعيف العقل ، ويقال للوحشى أيضاً : حوشى ، كأنه

(١) فى الأصول « عن شنب » وهو تصحيف ، والشنيب : الثغر الذى فيه الشنب ، وهو حدة الأسنان ، وقيل : الرقة والعنوة . والبرود — بفتح الباء — البارد

منسوب إلى الحوش ، وهي بقايا إيل وبار بأرض قد غلبت عليها الجن فعمرتها ونفت عنها الانس ، لا يطؤها إنسى إلا خبلوه . . قال رؤبة :-

جرأت رجالاً من بلاد الحوش

وإذا كانت اللفظة خشنة مستغربة : لا يعلمها العالم المبرز ، والأعرابي القح ؛ فتلك وحشية ، وكذلك إن وقعت غير موقفاً ، وأتى بها مع ما ينافرها ، ولا يلائم شكلها . . وكان أبو تمام يأتي بالوحشى الخشن كثيراً ويتكلف . . وكذلك أبو الطيب كان يأتي بالمستغرب ليدل على معرفته ، نحو قوله :-

كل أخاه كرام بنى الدنيا ولكنه كريم كرام

وهذا مع غرابته وتكلفه غير محمول على ضرورة يكون فيها عنبر ؛ لأن قوله « كل إخوانه » يقوم مقامه بلا بفاضة . . ومن التكلف قول إبراهيم بن سيار للفضل بن الربيع ، ويروى أيضاً لإبراهيم بن شباية :-

هني ظلمت وما ظلمت بلى ظله
ت أقر كي يرداد طو لك طولا
إن كان جرمي قد أحاط بجرمتي فأحط بجرمي عفوكم المأمولا

فتبارك الله كأنهما لم يخرجوا من ينبوع واحد . . قال إبراهيم بن المهدي لعبد الله بن صاعد كاتبه : إياك وتبعب الوحشى من الكلام طمعا في نيل البلاغة ؛ فإن ذلك هو العلى الأكبر ، عليك بما سهل مع تجنبك ألفاظ السفلى . . وقال أبو تمام يمدح الحسن بن وهب بالبلاغة :-

لم يتبع شنع اللغات ، ولا مشى
رسف المقيد في طريق المنطق
ينشق في ظلم المعاني إن دجت
منه تبشير الكلام المفلق
وقال علي بن بسام :-

ولا خير في اللفظ الكريه استأع
ولا في قبح اللحن والقصد أزين
قال علي بن عيسى الرمانى : أسباب الأشكال ثلاثة : التغير عن الأغلب
كالقديم والتأخير وما أشبهه ، وسلوك الطريق الأبعد ، وإيقاع المشترك ، وكل

ذلك اجتمع في بيت الفرزدق :-

وما مثلهُ في الناس إلا مملكاُ أبو أمهٍ حتى أبو يقر به
 . فالتغير عن الاغلب سوء الترتيب ؛ لأن التقدير « وما مثله في الناس حتى
 يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبو » يريد بالملك هشام بن عبد الملك ، والممدوح
 هو طراهم بن هشام خال هشام بن عبد الملك ؛ وأما سلوك الطريق الأبعد
 فقوله « أبو أمه أبو » وكان يحزنه أن يقول « خاله » وأما المشترك فقوله « حتى
 يقاربه » لأنها لفظة تشترك فيها القبيلة والحى من سائر الحيوان [المتصف] بالحياة ،
 قال : وإذا تفقدت أبيات المعاني رأيتها لا تخرج عن هذه الأسباب الثلاثة
 وحكى الصولي قال : أنشدني بعض الكتاب عن أحمد بن يحيى ثعلب قول
 البحترى للحسن بن وهب :-

وإذا دجت أقلامه ثم اتحت برقت مصايح الدجى في كُتبه
 . فاللفظُ يقربُ فهمه من بعده . ثم ويعد ثيله في قربه
 حكمٌ يحائبها خلال بنانه هطالةٌ وقلبيها في قلبه
 كالروض مؤثلاً بحمرة توره وياض زهرته وخضرة عُشبه
 وكأنها والسمع معقودٌ بها وجه الحبيب بدا لعين محبه
 واستعاده أبو العباس حتى فهمها ، ثم قال : لو سمع الأوائل هذا الشعر
 لما فضلوا عليه شعراً

(٩٦) - باب الاحالة والتغير

وهذه ملح أتيت بها تدل من عرفها على رداها وتدعو إلى كراهتها
 واجتنابها ، وقد وقعت في أشعار الجلة من المتقدمين ، والتس لهم فيها العذر
 لأنهم أرباب اللغة وأصحاب اللسان ، وليس المولد الحضري منهم في شيء .
 فن الاحالة قول ابن مقبل : —

أما الاداةُ فقينا ضميرُ صنعِ جودِ حواجزِ بالأبادِ واللجمِ
ونسجِ داودِ من يضرُ مضاعفةٍ من عهدِ عادٍ وبعدِ الحى من إرمِ
فكيف يكون نسجِ داودِ من عهدِ عادٍ؟ اللهم إلا أن يريدَ فينا ضميرُ صنعِ من
عهدِ عادٍ فذلك له على سبيلِ المبالغةِ ، مع أن الاحالة لم تقارقه ، وكم بين
قيسِ عيلانٍ وبين عادٍ فضلا عن بنى العجلانِ !! وقال عبد الرحمن
ابن حسان : —

وإن مالَ الضجيعِ بها فديعُ من الكُتبانِ مُلتبِدُ مِهْلُ
قالوا : وكيف يكون ملتبداً مهلاً ؟ هذا مستحيل متناقض ، والذي عندى
فيه أنه صواب ؛ لأنه إنما أراد بالتباده صلابة ملبس العجزة ، وأنها غير
مسترخية ، وجعله مهلاً لارتعاده واضطرابه من العظم . كما قال ابن مقبل : —
يمشِين هَيْلَ النِّقَاسِ لَتُجَوِّبُهُ يَنْهَالُ طَوْرًا وَيَنْهَاءُ الثَّرَى حِينَا
فقد جمعه مرة ينهال ، ومرة ينهاء الثرى والثنى الذى فيه . . وقال جميل
فى التغير : —

لاحسنا حُسْنٌ ، ولا كدلالها دل ، ولا كوقارها توقيرُ
لخفف كاف التشبيه فصار المعنى كأنه ليس حسنها حسناً ، وقد يغيرون اللفظ
كما قال النابغة : —

وَنَسَجَ سُلَيْمٌ كُلَّ قَضَاءٍ ذَائِلٍ (١)

وهذا أسهل من قول الآخر : —

(١) فى الأصل « ذابل » بالباء موحدة ، وفى الديوان « ذائل » بالهمزة ،
وصدر هذا قوله * وكل صموت ثلثة تبعية * والصموت : الدرع الثقيلة التى
إذا صبت لم يسمع لها صوت . والثلثة — ومثلها النثرة — الواسعة من الدروع .
والقضاء : الدرع المحصورة المحشنة للمنى من جدتها لم تسحق بعد . والذائل :
الطوية القليل ، ويقال : درع ذائل وذائلة

مَنْ نَسَجَ دَاوُدَ آتَى سُلْكَانَ
وهذا كثير يخرج منه في هذا الموضع ما ذكرت

(٩٧) - باب الرخص في الشعر

• وأذكر هنا ما يجوز للشاعر استعماله إذا اضطر إليه ، على أنه لاخير في
الضرورة ، على أن بعضها أسهل من بعض ، ومنها ما يسمع عن العرب ولا
يعمل به ؛ لأنهم أتوا به على جبلتهم ، والمولد المحدث قد عرف أنه عيب ،
ودخوله في العيب يلزمه إياه : فمن ذلك قصر الممدود على مذاهب أهل
البصرة والكوفة جميعا ، وله - على ما أجاز الكوفيون - وصل ألف القطع ،
وهو قبيح . قال ما تم على . -

أبوه أبي ، والأمهات امهاتنا فأنعم فذاك اليوم أهلى ومعشرى
قال بعضهم : إنما الرواية «والأم من أمهاتنا» وله تخفيف المشدد في القافية
وأما في حشو البيت فكروه جداً ، وحذف التوين لالتقاء الساكنين ، وربما
حذفوا النون الساكنة . كما قال : -

فلست بآتيه . ولا أستطيعه . ولاك إسقى إن كان مأوك ذا فضل^(١)
وأن يحذف للألف واللام أو الاضافة ما يحذف للتوين مثل
قول خفاف : -

كنواح ريش حمامة نجدية . ومسحت بالثنتين عصف الائم^(٢)
وأن يحذف حرفا من الكلمة كقول العجاج : -

(١) البيت للنجاشي (انظر كتاب سيبويه : ج ١ ص ٩)
(٢) أراد «كنواحي ريش» - الخ - حذف الياء مع الاضافة ضرورة تشبيها بحال
الافراد والتتوين وحال الوقف ، يصف شفق امرأة فشبهما بنواحي ريش الحمامة في
رقتهما ولطافتهما وحوتهما ، وأراد أن لثاتها تضرب إلى السمرة فكانتاهما مسحت بالائم

* قَواطِنُ مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحَيِّ * (١)

وحرفين كقول علقمة بن عبدة : —

* مُقَدِّمٌ بِسَبَابِ السَّكْتَانِ مَلْثُومٌ * (٢)

يريد بسباب السكتان ، وأن يحذف من المكنى في الوصل ما يحذف منه في الوقف .. كقول الشاعر : —

* سَأَجْعَلُ عَيْنِيهِ لِنَفْسِهِ مَقْنَعًا * (٣)

وأقبح منه أن يحذف من المكنى المنفصل كقول الآخر : —

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلُهُ قَالَ قَائِلٌ لِمَنْ جَدَلٌ رِخْوُ اللَّاطِ نَجِيبٌ ؟

وأقبح من ذلك أن يحذف الألف من ضمير المؤنث .. أنشد قطرب : —

أَمَا تَقُولُ بِهِ شَاةٌ فَيَا كُلِّهَا أَوْ [أَنْ] تَيْعُهُ فِي بَعْضِ الْأَرَاكِيبِ

أراد « تيعها » لحذف الألف ، قال : ولا يجوز استعمال هذا للمحدث

لشدوذه وقبحه ، ويجوز له حذف الياء والواو من المضمرة المذكر لكثرة

واطراده ، وللشاعر أن يحذف اسم « ليت » إذا كان مضمراً .. أنشد المفضل

لعدي بن زيد : —

فَلَيْتَ دَفَعْتَ الْهَمَّ عَنِّي سَاعَةً فَبَقْنَا عَلَى مَا خِيلْتَ نَاعِمِي بِالْ

يريد « ليتك » وله حذف الفاء من « أقمته » من التقوى وما تصرف منها ..

أنشد المفضل لخداش بن زهير : —

(١) أراد « الحمام » فغيرها إلى ما ترى ، وفي ذلك وجوه أحسنها أن يكون

قد حذف اليم الثانية للضرورة ثم قلب الألف ياء بعد كسر اليم الأولى

(٢) صدره * كأن يرقهم ظلي على شرف *

(٣) هذا عجز بيت لما لك بن خريم الهمداني ، وصدره * فإن يك غناؤ

ميمنا قاتني * أراد « لنفسه » - حذف الياء ضرورة . وصف ضيفافهو يقول :

سأقدم إليه ما عندى غنا كان أو ميمنا وأحكمه فيه ليختار أفضل ما ترى عيناه فيقنع بذلك

تَوَهُّ أَيْهَا الْفَتَيَانُ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ غَلَبَ الْجُدُودَا
وَأَنْشَدَ أَبُو زَيْدُ الْأَنْصَارِيُّ : —

إِنَّ الْمَنِيَّةَ بِالْفَتَيَانِ ذَاهِبَةٌ وَإِنْ تَقَوْهَا بِأَرْمَاحٍ وَأَدْرَاعٍ
وحذف الفاء من جواب الجزاء كما قال : —

يَا أَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ يَا أَقْرَعَ إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ^(١)
قال سيويه : تقديره^(١) إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ .. ومثله أيضاً

مَنْ يَفْعَلُ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا وَالشَّرَّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَانِ
يريد « فإله يشكرها » وهذا أيّن من الأول ، وحذف النون من ثنية
« الذي » وجمعه .. قال الأخطل : —

أَبْنَى كُلِّبَيْبٍ إِنْ عَمِيَ الْإِذَا قَتَلَ الْمُلُوكَ وَفَسَّكَ الْأَغْلَالَ
وَأَنْشَدَ سَيُوه : —

وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفُلْجٍ دِمَاؤُهُمْ مُمُّ الْقَوْمِ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ
أَرَادَ « الَّذِينَ » وعلى هذا قال أبو الطيب : —

أَلَسْتَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِي مِنْ رَمَاحِهِمْ نَدَامُ ، وَمِنْ قَتْلَامُ مُهْجَةُ الْبِخْلِ
ويحوز أن يكون جعل « الذي » للجماعة والواحد كما جعل « من » وقد
حكى ذلك الزجاجي .. قال ابن قتيبة في قول الله عز وجل : (كَتَلِ الَّذِي
اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ
لَا يَبْصِرُونَ) إِنَّ « الذي » هنا بمعنى الذين والله أعلم ، وحذف الياء من

(١) في الأصول * إِنَّكَ إِنْ تُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ * وهو غير رواية
سيويه وغيره من النحويين ، ولذلك أثبتنا روايتهم ، وفيما نقله المؤلف عن سيويه
خطأ غير وجه الكلام وجعل المعنى أنشدا ، وبعبارة سيويه (ج ١ ص ٤٣٦) هكذا
« أَرَادَ إِنَّكَ تُصْرَعُ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ » ومعنى هذا أن جواب الشرط محذوف ، وجهه
« تُصْرَعُ » مع نائب الفاعل في محل رفع خبر إن

« الذي » فبهم من يسكن الذال بعد الحذف ، ومنهم من يدعها مكسورة على لفظها ، أشد البصريون والكوفيون جميعاً : —

فَطَلْتُ فِي شَرِّ مِنَ اللَّهِ كَيْدًا كَمَنْ تَرَبَّى زَيْتَةً فَاصْطِيدَا .
ويروى : كاللذ تربي زية فاصطيدا . فجمع بين اللغتين ^(١) . ونظير هذا حذف الياء من « التي » وإسكان التاء ، وأنشدوا : —

قُلْ لَيْتَ تَكَلَّمْتُكَ : إِنْ نَفْسِي - أَرَاهَا لَا تُؤَوِّدُ بِالتَّعْمِيرِ
وحذف الياء والتاء من « اللواتي » . أنشد الزجاجي : —

جَمَعْتُهُمَا مِنْ أَيْتَقِي غِزَارٍ مِنَ الْقَوَا شَرَفْنَ بِالْمَرَارِ
وحذف الموصول وترك الصلة : كما قال يزيد بن مفرغ : —

عَدَسٌ مَا لِيَبَادِعَكَ إِمَارَةً تَحْوَتْ وَهَذَا تَحْمَلَيْنَ طَلِيقُ
أراد « وهذا الذي تحملين » . فحذف ^(٢) .. وحذف اسم « إن »
و« لكن » كما قال : —

وَالْكَنَّ مَنْ لَا يَلْقَى أَمْرًا يَنْوِبُهُ بِعَدَّتِهِ يَنْزِلُ بِهِ وَهُوَ أَعَزُّ
فحذف الهاء من « لكنه » لأنه قد جازى بمن ، ولو أعمل فيها « لكن »

(١) كلا ، بل هما لغة واحدة ؛ فإن ذال الكلمتين في الشطر الأول والثاني على الرواية الثانية — وهي المشهورة المعروفة في أكثر كتب النحو والأدب — ساكنة ، يعلم ذلك من له أدنى مسكة بعلم

(٢) هذا فأويل الكوفيين ، والبصريون يمنعون مجيء « هذا » وغيره من أسنله الاشارة مع حرف التنبيه أسماء موصولة ، وعندهم أن « هذا » مبتدأ ، وخبره « مطلق » في آخر البيت ، ووجه « تحملين » في محل نصب على الحال ، أي : وهذا طليق حال كونه محمولا عليك

لم يحز أن (١) يجزى بها . ومثله قول الآخر (٢)
 « إن من يدخل الكنيسة يوماً يلق فيها جاذراً وطباء
 « أزداد « بانه » . ويبدلون من الحروف السالبة حروف المد واللين
 وأنشدوا : —

• لها أشارير من لحم ثمره من الثالي ووخر من أرائها
 أراد « من الثالب » « ومن أرائها » ويلينون الهجزة ، وذلك كثير
 جدا جائز في المنشور والفصح ، وله حذف ألف الاستفهام ، كما قال
 الأخطل : —

كذبك عني أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرتاب خيالاً
 وهذا ردي في المنشور جداً . ونقصان الجموع عن أوزانها لضرورة
 القافية كما قال رؤبة

« حتى إذا بليت حلاقيم الخلق »

يريد « الخلق » وترك صرف ما ينصرف ؛ لأنه يحذف منه التثنية وهو
 يستحقه ، وهو غير جائز عند البصريين ، إلا أنه قد جاء في الشعر . قال
 عباس بن مرداس مخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم : —

وما كان جيمع ولا حابس يفوقان مرداس في تجمع

وعلى هذا المذهب قال أبو نواس : —

(١) أي : لأن أسماء الشرط لها الصدارة في الكلام فلا يعمل ما قبلها فيها ،
 ومن الذي تستحقه أن يتأخر عنها ما يعمل فيها نحو قوله تعالى : (أيما تدعو فله
 الأسماء الحسن) وهنا لا يمكن ذلك لأن « لكن » حرف ، وهو لا يعمل متأخراً
 فلهذا تقدم « لكن » وقدر اسمه ضمير شأن ، ووجه الشرط والجواب في محل
 دفع خبر « لكن » فافهم ذلك

(٢) ينسب للأخطل

عَبَّاسُ عَبَّاسٍ إِذَا احْتَدَمَ الْوُغَا وَالْفَضْلُ فَضْلُ وَالرَّيْعُ رَيْعُ
ويروى : إذا حضر الوغاء والفراء يرى ترك الصرف لعله واحدة ،
وهي التعريف ، والبصريون يخالفونه في ذلك ويأبونه . . ومن أقبح الخلف
حذف حركة الإعراب للضرورة ، وأنشدوا لامرئ القيس : —

فَالْيَوْمِ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِنَّمَا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ
ومثله للفرزدق : —

رُحْتُ فِي رَجْلَيْكَ مَا فِيهِمَا وَقَدْ بَدَأَتْكَ مِنَ الْمَثَرِ
وزعم قوم أن الرواية الصحيحة في قول امرئ القيس : اليوم أسقى .
وبذلك كان المبرد يقول ، وقال آخرون : بل خاطب نفسه كما يخاطب غيره ،
فقال : فالיום فاشرب ، وفي بيت الفرزدق : وقد بدا ذاك من المثر . كناية
عن الهن ، وهذا مما يسمع ويحكي ، ولا يقاس عليه البتة
هذا صدر جيد مما علمته يجوز للشاعر من الحذف والتقصان . . والذئ
يجوز له من الزيادات أنا ذاكر منه أيضاً ما وسعته قدرتي ، إن شاء الله
تعالى : فمن ذلك صرف ما لا ينصرف ، وإجراء المعتل مجرى الصحيح :
فيرب في حال الرفع والخفض ، تقول : هذا القاضي ومررت بالقاضي
وزيد يقضى ويفزؤ ، ولا يجوز في المثنون من الكلام ، وعلى هذا قول
قيس بن زهير : —

أَلَمْ يَأْتِكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنِي بِمَا لَاقَتْ لَبُونُ بْنُ زِيَادٍ
كأنه يقول في الرفع يَأْتِيكَ بضم الياء فلما جزمها أسكنها . . ومنهم من يبدل
من الياء همزة ، وهو القليل ، فيقول : القاضي . ، والغازي . ، وأنشد
يادارَ سلمى بد كاديك البرق سقياً وإن هيجت شوق المشتق
همز الياء وليس أصلها الهمزة . . وله إظهار التضعيف كقوله : —
يشكو الوَجَى من أَظْلَلٍ وَأَظْلَلٍ

وانما هو « الأطل » وهو باطن خف البعر . . وتثقل المخفف في وصل الكلام على نية من يقف على الثقل ، وأنشدوا : —

بِبَازِلٍ وَجَنَاءٍ أَوْ عَيْبِلٍ كَأَنَّ مَهَوَّاهَا عَلَى الْكُلْكُلِ

موقع كفى راهب يُصَلِّي

« ثقل » العيبل « وهي السريعة ، « والكلكل » في صلة الشعر ، وهما مخففتان ، وله إدخال النون الخفيفة أو الثقيلة في الواجب ، وإنما تدخل فيما ليس بواجب ، نحو الأمر والنهي والاستفهام . . قال القطامي : —

وَهُمُ الرِّجَالُ وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْهُمْ يَحْزَنُ فِي رَحْبٍ وَفِي مُضَيِّقٍ

وأنشدوا لآخر ، وهو جذيمة الأبرش : —

رَبِّمَا أَوْفَيْتُ فِي عِلْمٍ تَرْفَعُنْ ثَوْبِي شِمَالَاتٍ

وله إدخال الفاء في جواب الواجب ، والنصب بها على إضمار « أن » . قال طرفة : —

لَنَا هَضْبَةٌ لَا يَزِلُّ الذَّلُّ وَسَطُهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا الْمُسْتَجِيرُ فَيُغْصَمَا

فنصب بالفاء على الجواب . . وقال آخر : —

سَأَتْرُكُ مَنَزْلِي لِبْنِي تَمِيمٍ وَالْحَقُّ بِالْحِجَازِ فَاسْتَرِيحَا

وقطع ألف الوصل لأنه زيادة حركة ، والجزم بحرف وحرفين ، وأكثر من ذلك ، وقد مضى فيما تقدم من هذا الكتاب . . وزيادة حرف في المجموع نحو قول الشاعر : —

نَنِي يَدَاها الحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ نَقَى الدَّرَاهِمَ تَنَقَّادُ الصَّيَارِفِ
فزيادة في « الدراهم » وياه في « الصيارف » إن لم تكن الرواية تختلف على أن الدراهم لا يضطر فيها إلى زيادة الياء إذ كان الوزن يقوم دونها . وإن قيل في بعض اللغات « درهام » وله على مذاهب الكوفيين خاصة مد المقصور ، وقد ألزم ابن ولاد البصريين مده على مذهب سيويه في امتناع

الحركة ، ويجوز له التقديم والتأخير ، كما قال العجير السلولي : —
وما ذاك إن كان ابن عبي ولا أخى ولكن متى ما أملك الضر أنفع
بالرفع ، أراد ولكن أنفع متى ما أملك الضر ، ولا أدري ما الفرق بين
هذا وبين * إن يصرع أخوك تصرع * حيث فرقوا بينهما ^(١) غير أنا
نسلم لهم كما سلم من هو أتعب منا حسا وأذى خاطراً . . وقال عمرو بن قيس : —
لما رأت سائيد ما استعبرت لله در اليوم من لأمها
ومنه أشياء من القرآن وقعت فيه بلاغة وإحكاماً لاتصرفا وضرورة ،
وإذا وقع مثلها في الشعر لم ينسب إلى قائله بحز ولا تقصير ، كما يظن من
لا علم له ولا تفتيش عنده : من ذلك أن يذكر شيئين ثم يخبر عن أحدهما
دون صاحبه اتساعاً ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وإذا رأوا حجارة أو هوماً
انفضوا إليها ﴾ . أو يجعل الفعل لأحدهما ويشرك الآخر معه ، أو يذكر
شيئاً فيقرن به ما يقاربه ويناسبه ولم يذكره ، كقوله تعالى في أول سورة
الرحمن : (فبأى آلاء ربكنا تكذبان) وقد ذكر الانسان قبل هذه الآية
دون الجنان وذكر الجنان بعدها . . وقال المثقب العبدى : —

فما أدري إذا يمت أرضاً أريد الخير أيهما يلينى
الخير الذى أنا أتبعه أم الشر الذى هو يتبعنى
فقال « أيهما » قبل أن يذكر الشر ؛ لأن كلامه يقتضى ذلك . . وأن يحذف
جواب القسم وغيره ، نحو قوله عز وجل : (ق والقرآن المجيد ، بل عجبوا
أن جاءهم منذر منهم) وقوله : (والنازعات غرقاً) إلى قوله : (يوم
ترجفت الراجعة) فلم يأت بجواب لدلالة الكلام عليه ، وقال عز وجل :
(ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم) أراد « لتذبحكم »

(١) قد عرفت مما قلناه لك عن سيوية أن مخرجهما في العربية واحد ، فلا

أبو نجوه ، ومن هذا قول امرئ القيس : —

ولو أنها نفس تموت جميعاً ولكنها نفس تساقط أنفساً
وقد تقدم ذكره . . ومن ذلك إضمار ما لم يذكر كقوله جل اسمه : (حتى
توارت بالحجاب) يعني الشمس ، وقوله : (فأثرن به نقعاً) ولم يجر للوادي
بذكر . . وقال حاتم طي : —

أماوي ، ما يعني الثراء عن الفقى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر ؟
يعني النفس ، وأنشد ابن قتيبة عن الفراء : —

إذا نهي السفيه جرى إليه وخالف ، والسفيه إلى خلاف
يعني « جرى إلى السفه » وحذف « لا » من الكلام وأنت تريد ما ،
كقوله تعالى (كجهر بعضهم لبعض أن تحبط أعمالكم) وزيادة « لا » في
الكلام ، كقوله سبحانه (وما يشعر كم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) فزاد
« لا » لأنهم لا يؤمنون ، هذا قول ابن قتيبة ، وقال جل اسمه : (ما منعك
أن لاتسجد) أي : ما منعك أن تسجد ، قال : وإنما زاد « لا » في الكلام
لأباء أو جحد ، وقال : (لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقنطرون على شيء
من فضل الله) أي : ليعلم . . وقال أبو النجم : —

فا ألوم النجم أن لاتسهر

يريد « أن تسهر » وحذف المنادى كقوله تعالى : (ألا يا اسجدوا لله)
كأنه قال « ألا يا هؤلاء اسجدوا لله » وقال ذو الرمة في مثل ذلك :
ألا يا سلى يا دارمى على البلى ولا زال منهلًا يجر عائلتك القطر

وأن مخاطب الواحد مخاطب الاثنين والجماعة ، أو يخبر عنه ، كقوله تعالى :
(إن الذين يتنادونك من وراء الحجرات) وإنما كان رجلاً واحداً ، وقوله
(ألقيا في جهنم) وإنما مخاطب مالكا غزون النار ، وقيل : بل أراد ألقى ألقى

قضى ^(١) الفعل ، وقوله : (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) مخاطب الاثنين بمخاطب الواحد ، وقوله : (فقد صفت قلوبكما) وقوله : (وألقى الألواح) وهما لوحان فيما زعم المفسرون ، حكاه ابن قتيبة ، وأن يصف الجماعة بصفة الواحد كقوله : (وإن كنتم جنبا) .

ومن غرائب هذا الباب أن يأتي المفعول بلفظ الفاعل كقوله تعالى : (لا عاصم اليوم من أمر الله) أى : لا معصوم ، وكذلك قوله : (من ماء دافق) أى : مدفوق ، وقوله : (فى عيشة راضية) أى : مرضى بها ، وقوله : (وجعلنا آية النهار مبصرة) أى : مبصرة فيها ، وأن يأتي الفاعل بلفظ المفعول به ، كقوله تعالى : (انه كان وعده مأثيا) أى : آتيا . . وقد جاء الخصوص فى معنى العموم فى قوله تعالى : (يا أيها النبي ! إننا طلقتم النساء) وجاء العموم بمعنى الخصوص فى قوله : (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) ومن الحل على المعنى قوله تعالى : (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم) كأنه قيل : من زينه ؟ قليل : شركائهم . . والحل على المعنى فى الشعر كثير ، ومن أنواعه التذكير والتأنيث ، ولا يجوز أن تؤنث مذكراً على الحقيقة من الحيوان ، ولأن تذكر مؤنثاً . . قال ابن أبى ربيعة المخزومي : —

فكان بجنى دون من كنت أتقى ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
فأنت الشخوص على المعنى . . وكل جمع مكسر جائز تأنيثه وإن كان
واحده مذكراً حقيقياً ، وما أنث من المذكر حملاً على اللفظ قول الشاعر ،
أنشده الكسائي : —

(١) وقيل : الالف هى نون التوكيد الخفيفة ، طاملها فى الوصل معا ملتها
فى الوقف ، ولنا فى هذا الموضوع بحث طويل ووجه كثيرة من الاستدلال فى
شرحنا على المملقات

أبوك خليفة ولده أخرى وأنت خليفة ذاك الكمال
ومثل هذا في الشعر كثير موجود

(٩٨) - باب السرقات ، وما شاكلها

وهذا باب متسع جدا ، لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعى السلامة منه ،
موفيه أشياء غامضة إلا عن البصير الحاذق بالصناعة ، وآخر فاضحة لا تخفى على
الجاهل المغفل ، وقد أتى الحاتمي في حلية المحاضرة بألقاب محدثة تدبرتها ليس
لها معصول إذا حققت : كالاصطراف ، والاجتلاب ، والاتحال ، والاهتدام
والاغارة ، والمرافدة ، والاستلحاق ، وكلها قريب من قريب ، قد استعمل
بعضها في مكان بعض ، غير أنني ذاكرها على ما خيلت فيما بعد

وقال الجرجاني - وهو أصح منها - وأكثر تحقيقاً من كثير ممن نظر في
هذا الشأن - : ولست تعد من جهالة الكلام ، ولا من نقاد الشعر ، حتى تميز
بين أصنافه وأقسامه ، وتحيط علماً برتبته ومنازله ، فتفصل بين السرق والغصب
وبين الاغارة والاختلاس ، وتعرف الالمام من الملاحظة ، وتفرق بين
المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه والمبتذل الذي ليس واحد أحق به
من الآخر ، وبين المختص الذي حازه المبتدئ فلكه واجتباؤه السابق فاقطعه
قال عبد الكريم : قالوا : السرق في الشعر ما نقل معناه دون لفظه ، وأبعد
في أخذه ، على أن من الناس من بعد ذهنه إلا عن مثل بيت امرئ القيس
وطرفة (١) حين لم يختلفا إلا في القافية فقال أحدهما « وتحمل » وقال الآخر

(١) هما بيتان متشابهان وقما في معلقتي امرئ القيس وطرفة بن العبد :

أما بيت امرئ القيس فقوله : —

وقوفاً بها صبحي على مطيهم يقولون : لانهك أسي وتحمل

وأما بيت طرفة فقوله : —

وقوفاً بها صبحي على مطيهم يقولون : لانهك أسي وتحمل

فأنت ترى أن البيتين لم يختلفا إلا في القافية كما حكى المؤلف

«وتجملد» ومنهم من يحتاج إلى دليل من اللفظ مع المعنى ، ويكون الغامض عندهم بمنزلة الظاهر ، وهم قليل . . والسرقة أيضا إنما هو في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر لافي المعاني المشتركة التي هي جارية في عاداتهم ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده أن يقال إنه أخذه من غيره . . قال : واتكأ الشاعر على السرقة بلادة وعجز ، وتركه كل معنى سبق إليه جمل ، ولكن المختار له عندي أوسط الحالات .

وقال بعض الخذاق من المتأخرين : من أخذ معنى بلفظه كما هو كان سارقا فان غير بعض اللفظ كان سالحا ، فان غير بعض المعنى ليخفيه أو قلبه عن وجهه كان ذلك دليل حذقه . .

وأما ابن وكيع فقد قدم في صدر كتابه على أبي الطيب مقدمة لا يصح لأحد معها شعر إلا الصدر الأول إن سلم فذلك لهم ، وسماه كتاب «المنصف» مثل ماسى اللديغ سليما وما أبعد الانصاف منه .

والاصطراف : أن يعجب الشاعر ببيت من الشعر فيصرفه إلى نفسه ، فان صرفه إليه على جهة المثل فهو اختلاب واستلحاق ، وإن ادعاه جملة فهو اتحال ، ولا يقال «متحل» إلا لمن ادعى شعراً لغيره وهو يقول الشعر وأما إن كان لا يقول الشعر فهو مدح غير متحل ، وإن كان الشعر لشاعر أخذ منه غلبة فذلك الأغارة والقبص ، وبينهما فرق أذكره في موضعه إن شاء الله تعالى ، فان أخذه هبة فذلك المرافضة ، ويقال : الاستفراد ، فان كانت السرقة فيما دون البيت فذلك هو الاهتدام ، ويسمى أيضا النسخ ، فان تساوى المعنيان دون اللفظ وخفي الأخذ فذلك النظر والملاحظة ، وكذلك إن تضادا ودل أحدهما على الآخر ، ومنهم من يجعل هذا هو الإلزام ، فان حول المعنى من نسيب إلى مدح فذلك الاختلاس ، ويسمى أيضا نقل المعنى ، فان أخذ بنية الكلام فقط فذلك الموازنة ، فان جعل مكان كل لفظة ضدها فذلك هو

العكس، فإن صَحَّ أن الشاعر لم يسمع بقول الآخر — وكانا في عصر واحد — فذلك الموارد، وإن ألف البيت من أبيات قد ركب بعضها من بعض فذلك هو الالتقاط والتلفيق، وبهضم يسميه الاجتذاب والتركيب. ومن هذا الباب كشف المعنى والمحدود من الشعر، وسوء الاتباع، وتقصير الآخذين المأخوذ منه، وسأورد عليك بمارويته أو تأدي إلى فهمه لكل واحد من هذه الألقاب مثالا يعرفه العالم، ويقتدى به المتعلم إن شاء الله تعالى.

وأما الاضطراب فيقع من الشعر على نوعين: أحدهما: الاجتلاب، وهو الاستلحاق أيضا كما قدمت، والآخر: الاتعاج. فأما الاجتلاب فنحو قول النابغة الذبياني: —

وصبياء لا تخفى ألقى وهو دونها تصفق في راووقها حين تقطب
تمزنتها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دثوا فتصوبوا
فاستلحق البيت الأخير فقال: —

وإجانة ريا السرور كأنها إذا غمست فيها الزجاجة كوكب
تمزنتها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دثوا فتصوبوا
وربما اجتلب الشاعر البيتين على الشريطة التي قدمت فلا يكون في ذلك بأس، كما قال عمرو ذو الطوق: —

صدت الكأس عنأم عمرو وكان الكأس من مجراه المينا
وما شر الثلاثة أم عمرو صاحبك الذي لا تصبحنا
فاستلحقهما عمرو بن كلثوم فهما في قصيدته، وكان عمرو بن العلاء وغيره لا يرون ذلك عيباً، وقد يصنع المحدثون مثل هذا. قال زياد بن أبيه: —

أشم إذا ما جئت لعدي طالبا حباك بما تجوى عليه أنامله
ولم يكن في كفه غير فسي بكاد بها فليتيق الله مائه

ويروي هذا لاخت يزيد بن العثريه ، واستلحق البيت الاخير أبو تمام فهو
في شعره ، وأما قول جرير الفرزدق وكان يرميه باتحال شعر أخيه الاخل
ابن غالب : —

ستعلم من يكون أبوه قيناً ومن كانت قصائده اجتلاباً
فانما وضع الاجتلاب موضع السرق والاتحال لضرورة القافية ، هكذا
ذكر العلماء من هؤلاء المحدثين ، وأما الجحى فقال : من السرقات ما يأتي على سبيل
المثل ليس اجتلاباً ، مثل قول أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي : —

تلك المكارم لا قببان من تبنٍ شيباً بماه فصاذاً بعد أبو الـ
ثم قاله بعينه النابغة الجعدي لما أتى موضعه ، فبنو عامر ترويه للجعدي ؛
والرواة مجمعون أنه لا في الصلت ، فقد ذهب الجحى في الاجتلاب مذهب
جرير أنه اتحال ، ولم أر محدثاً غيره يقول هذا القول ، والاتحال عندهم
قول جرير : —

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشكاً بعينك لا يزال مميناً
غيضن من عبرتين وقلن لي : ماذا لقيت من الهوى ولقيناً ؟
فان الرواة مجمعون على أن اليتين للمعلوط السعدي اتحلها جرير ،
واتحل أيضاً قول طفيل الغنوي : —

ولما التقى الحليان ألتيت المعى ومات الهوى لما أصيبت مقاتله
ولذلك قال الفرزدق : —

إن تذكروا كرمي بلوم أيكم وأوابدي تننحلوا الأشعاراً
وكانا يتقارضان الهجاء ، ويعكس كل واحد منهما المعنى على صاحبه ،
وليس ذلك عيباً في المناقضات ، ولما قال الفرزدق في بني ربيع : —
تمنت ربيع أن يحى صغارها بخير وقد أعى ربيعاً كبارها
أخذته البيت بعينه في بني كليب رطم جرير فقال الفرزدق : —

إِذَا مَا قُلْتُ قَافِيَةً شُرُودًا تَنَحَّلَهَا ابْنُ حَمْرَاءَ الْجَبَانِ

يعنى البيت ؛ وكان ابن سرية ، وأما قول البحرى : —

رَمَتْهُ غَوَاةُ الشَّعْرِ مِنْ بَيْنِ مَفْجَمٍ وَمُنْتَحِلٍ مَا لَمْ يَقُلْهُ وَمَدْعَى

فيشهد لك بما قدمت ذكره ؛ لأنه قسمهم ثلاثة أقسام : مفجم قد عجز عن الكلام فضلا عن التحلى بالشعر غير أنه يتبع الشعراء ؛ والآخر منتحل لأجود من شعره ، الثالث مدع جملة لا يحسن شيئا .

والإغارة : أن يصنع الشاعر بيتا ويخترع معنى مليحا فيتناولهم هو أعظم منه ذكرا وأبعد صوتا ، فيروى له دون قائله ، كما فعل الفرزدق بحميل وقد سمعه ينشد : —

قَرَى النَّاسَ مَا سِرَّ نَابِيسِرُونَ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَنُفَرَا

فقال : متى كان الملك في بني عبدة ؟ إنما هو في مضر وأنا شاعرهما ، فغلب الفرزدق على البيت ، ولم يتركه جميل ولا أسقطه من شعره . . . وقد زعم بعض الرواة أنه قال له : تجافى عنه ، فتجافى جميل عنه ، والاول أصح فما كان هكذا فهو إغارة ، وقوم يرون أن الإغارة أخذ اللفظ بأسره والمعنى بأسره ، والسرقة أخذ بعض اللفظ أو بعض المعنى ، كان ذلك لمعاصر أو قديم وأما الغصب فقتل صنيعه بالشمر دل اليربوعى ، وقد أنشد في محفل : —

فَمَا يَنْ مَن لَمْ يَطِ سَمًا وَطَاعَةً وَبَيْنَ تَيْمٍ غَيْدٍ حَزُّ الْخَلَاقِمِ

فقال الفرزدق : والله لتدع عنه أو لتدع عن عرسك ، فقال : خذه لا بارك الله لك فيه ، وقال ذوالرمة بحضرة : لقد قلت آياتا ، إن لها لعروضا وإن لها لمرادا ، ومعنى بعيدا ، قال : وما قلت ؟ فقال : قلت : —

أَحْبَبَ أَعَادَتْ بِي تَيْمٌ نِسَاءَهَا وَجَرَّدَتْ تَجْرِيدَ الْيَمَانِي مِنَ التَّمِيدِ

وَمَدَّتْ يَصْبَعِي الرِّبَابُ وَمَاكَ : وعمرؤ ومالك^(١) من ورثتي بنو سمد
ومن آل يربوع زهاء كأنه دجى الليل محمود النكاية والرقد
فقال له الفرزدق : إياك وإياها لا تعودن إليهما ، وأنا أحق بهما منك ، قال
والله لأعرد فيها ولا أنشدها أبداً إلا لك .

وسمعت بعض المشايخ يقول : الاضطراب في شعر الأموات كالاغوة
على شعر الأحياء ، إنما هو أن يرى الشاعر نفسه أولى بذلك الكلام
من قائله ،

وأما المرافدة فإن يمين الشاعر صاحبه بالآيات يهبها له ، كما قال جرير
لدى الرمة : أنشدني ما قلت لهشام المرئي^(٢) ، فأنشده قصيدته : -

نَبَتْ عَيْنَاكَ عَنْ طَلَلٍ بِمُحْزَوَى مَحْتَهُ الرِّيحُ وَامْتَنَحَ الْقَطَارَا
فقال : ألا أعينك ؟ قال : بلى بأبي وأمي ، قال : قل له -

يَعُدُّ النَّاسِبُونَ إِلَى تَمِيمٍ يَبُوتُ الْمَجْدَ أَرْبَعَةً كِبَارًا
يَعُدُّونَ الرِّبَابَ وَآلَ سَعْدٍ وَعِمْرًا ثُمَّ حَنْظَلَةَ الْخِيَارَا
ويهلك بينها المرئي لغوا . كما ألغيت في الدية الحوارا

فطية الفرزدق فاستنشدته ، فلما بلغ هذه قال : جيد ، أعده ، فأعاد ، فقال :
كلا والله ، لقد علكهن من هو أشد لحين منك ، هذا شعر ابن المراجعة .

(١) في الديوان « وشالت » وبعد الآيات الثلاثة التي رواها المؤلف
قوله : -

تمت ابن راعي الابل شتمى ، ودونه معاقل صعبات طوال على العبد

معاقل لو أن للتميرى رامها رأى نفسه فيها أذل من الفرد

(٢) في الأصول « المرى » وهو خطأ ، وصوابه « المرئي » كما أثبتناه ،
وهشام أحد بني امرئ القيس بن سعد مناة ، هذا ، ورواية الديوان (ص ٣٣)
في البيت الثاني • يعدون الرباب لهم وعمرًا • وسعدا ثم . . . ورواية البيت
الثالث في غير هذا الكتاب • ويسقط بينها المرئي . . . •

واسترفد هشام المرتضى جريراً على ذى الرمة فقال في آيات : —
 يَمَاشِي عَدِيًّا لَوْهَا مَا تَجَنُّهُ من الناس ما ماشت عدياً ظلها
 قُلْ لِعَدِيٍّ تَسْتَعِينُ بِنِسَابِهَا على فقد أعني عدياً رجالها
 أَذْأَلِ الرِّمَّةَ قَدْ قُلِدْتَ قَوْمُكَ رِمَّةً بطيئاً بأيدي العاقدين انحلالها
 • ويروي • بأيدي المطلقين • فقال ذو الرمة لما سمعها : يا ويلتا ، هذا والله شعر
 حنظلي ، وغلب هشام على ذى الرمة بعد أن كان ذو الرمة مستعلياً عليه ، وقد استرفد
 نابغة بنى ذيان زهيراً فأمر ابنه كعباً فرفده
 والشاعر يستوهب البيت والبيتين والثلاثة وأكثر من ذلك إذا كانت
 شبهة بطريقته ، ولا يعد ذلك عيباً ، لأنه يقدر على عمل مثلها ، ولا يجوز
 ذلك إلا للعاقلي المبرز :

والاهتمام نحو قول النجاشي : —

وكننت كذبي رجلين رجل صحيحة ورجل رمت فيها يد الحدثان
 " فأخذ كثير القسم الأول واهتمم باقي البيت فجاء بالمعنى في غير اللفظ ، فقال :
 ورجل رمى فيها الزمان فثقلت

وأما النظر والملاحظة فمثل قول مهمل : —

أَنْبَضُوا مَجْجَسَ الْقَسَى وَابْرَةً ناكما تواعد الفحول الفحولاً

نظر إليه زهير بقوله : —

يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطْعَنُوا ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

وأبو ذؤيب بقوله : —

ضُرُوبٌ لَهَا مَاتَ الرِّجَالُ بِسِيفِهِ إِذَا حَنَّ نَبِيحٌ بَيْنَهُمْ وَشَرِيحٌ

والإلام : ضرب من النظر ، وهو مثل قول أبي الشيص : —

• أجد الملامة في هواك لذينة •

وقول أبي الطيب : —

• أحبه وأحب فيه ملامة •

البيت ، وقد تقدم ^(١) ذكرهما في التناير .

وأما الاختلاس فهو قول أبي نواس : -

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فِي الْقُلُوبِ مِثْلَهُ فَكَاغَهُ لَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَكَانٌ
اختلسه من قول كثير : -

أَرِيدُ لَأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَاغَتْهَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ
وقول عبد الله بن مصعب : -

كَأَنَّكَ كُنْتَ عَتَكَا عَلَيْهِمُ تَخَيَّرُ فِي الْأَبْوَةِ مَا تَشَاءُ

ويروى : كَأَنَّكَ جِثَّ عَتَكَا عَلَيْهِمُ . اختلسه من قول أبي نواس : -

خُلِّيتَ وَالْحَسَنُ تَأْخُذُهُ تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَضِبُ

فَاكْتَسَتْ مِنْهُ طَرَائِفُهُ ثُمَّ زَادَتْ فَضْلَ مَا تَهَبُ

أردت البيت الأول ، ومن هذا النوع قول امرئ القيس : -

إِذَا مَا رَكَبْنَا قَالَ وَلَدَانُ حِينَا تَمَّالُوا إِلَى أَنْ يَأْتِيَ السَّيِّدُ تَحْطَبُ

نقله ابن مقبل إلى القدح فقال : -

إِذَا امْتَحَنَتْهُ مِنْ مَعَرٍ عِصَابَةٌ عِدَارِيَّةٌ ^(٢) قَبْلَ الْإِفَاضَةِ يَقْدَحُ

نقله ابن المعتز إلى البازي فقال : -

قَدْ وَتَّقَ الْقَوْمُ لَهُ بِمَا طَلَبَ فَهُوَ إِذَا عَرَى لَصِيدٍ وَاضْطَرَبَ

• عَرَوْا سَكَ كَيْنَهُمْ مِنَ الْقَرَبِ •

نقلته أنا إلى قوس البندق فقلت : -

طَيْرٌ أَبَابِيلُ جَاءَتْهَا فَهَاجَتْ إِلَّا وَأَقْوَسْنَا الطَّيْرُ الْإِبَابِيلُ

تَرْمِيهِمْ بِجَهْمَى طَيْرٍ مُسَوِّمَةٍ كَأَنَّ مَعْدِنَهَا لَرْمَى سَجِيلُ

(١) انظر (ص ٩٨) من هذا الجزء ، وفيها تمام بيتي أبي الشيمس وللتنتي

(٢) في نسخة « غداوية »

تعدُّوْا عَلَى ثِقَةٍ مِّنَا بِأَطْيَبِهَا فَالنَّارُ تَقْدَحُ وَالطَّنَجِيرُ مَفْسُورٌ
والموازنة مثل قول كثير : —

تَقُولُ مَرَضْنَا فَمَا عُدَّتْنَا وَكَيْفَ يَمُودُ مَرِيضٌ مَرِيضًا
وازن في القسم الآخر قول نابغة بنى تغلب : —

بَحَلْنَا لِبُخْلِكَ قَدْ تَعْلَمِينَ وَكَيْفَ يَسِيبُ بِحِيلٍ بِحِيلًا
والعكس قول ابن أبي قيس ، ويروى لأبي حفص البصري : —

ذَهَبَ الزَّمَانُ بِرَهْطِ حَسَّانِ الْأَوَّلَى كَانَتْ مَنَاقِبُهُمْ حَدِيثَ الْغَابِرِ
وَبَقِيَتْ فِي خَلْفٍ يَحُلُّ ضِيُوقُهُمْ مِنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ اللَّثِيمِ الْفَادِرِ
سُودَ الْوَجْهِ لَثِيمَةً أَحْسَابُهُمْ فَطُسِ الْأَنْوَفُ مِنَ الطَّرَازِ الْآخِرِ
وقد عاب ابن وكيع هذا النوع بقلة تمييز منه أو غفلة عظيمة .

وأما الموارد فقد ادعاها قوم في بيت امرئ القيس (١) وطرفة ،
ولا أظن هذا مما يصح ؛ لأن طرفة في زمان عمرو بن هند شابٌ حول
العشرين ، وكان امرؤ القيس في زمان المنذر الأكبر كهلاً واسمه
وشعره أشهر من الشمس ؛ فكيف يكون هذا موارد ؟ إلا أنهم ذكروا
أن طرفة لم يثبت له البيت ، حتى استحلف أنه لم يسمعه قط لحلف ، وإذا
صح هذا كان موارد ، وإن لم يكونا في عصر ، وسئل أبو عمرو بن العلاء :
أرأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ لم يلق واحد منهما
صاحبه ولم يسمع شعره ؟ قال : تلك عقول رجال توافت على ألسنتها ،
وسئل أبو الطيب عن مثل ذلك فقال : الشعر جادة ، وربما وقع الحافر على
موضع الحافر .

وأما الالتقاط والتلفيق فمثل قول يزيد بن الطثرية : —

(١) ذكرناها أول الباب فانظر (ص ٢٦٥) من هذا الجزء

إذا مارأتى مُقْبِلًا غَضَّ طرفه كَأَنَّ شَعاعَ الشَّمْسِ دَوَّقِي يَقابِلُه
فَأَوَّلُه من قول جميل : —

إذا ما رأوتى طالِعاً من ثنية يقولون : من هذا ؟ وقد عرفوني
ووسطه من قول جرير : —

فَقَضَّ الطرفَ إِنَّكَ من نَمَيْرٍ فلا كِباً بَلَغْتَ ولا كَلاباً
وعجزه من قول عنترة الطائي^(١)

إذا أبصرتني أعرضت عني كان الشَّمْسَ من حولي تدورُ
فأما كشف المعنى فتحو قول امرئ القيس : —

نَمَشْتُ بأَعْرَافِ الجِيادِ أَكفنا إذا نَحْنُ قُنا عن شِواءِ مصبِ
وقال عبدة بن الطبيب بعده : —

نَمَّةٌ قَمنا إلى جِردٍ مُسَوِّمةٍ أعرافهن لا يَدِينا مَنادِيلُ
فكشفت المعنى وأبرزه .

وأما المجدود من الشعر فتحو قول عنترة العبسي : —

• وكما عَلِمْتَ شَمائِلِي وَتَكَرَّمِي •^(٢)

رزق سجداً واشتاراً على قول امرئ القيس : —

وشَمائِلِي ماقد عَلِمْتَ ، وما نَبَحْتُ كِلابُكَ طَارِقامِيْلِي

ومنه أخذ عنترة ، والخزرج معروف له فضله ، متروك له من درجته ،
غير أن المتبع إذا تناول معنى فأجاده : بأن يختصره إن كان طويلاً ، أو
ييسره إن كان كراً ، أو يبينه إن كان غامضاً ، أو يختار له حسن الكلام إن
كان سفسفاً ، أو رشيق الوزن إن كان جافاً ؛ فهو أولى به من مبتدعه ،

(١) هو عنترة بن عكبة الطائي ، وهي أمه ، وأبوه الأخرس بن ثعلبة : فارس

شاعر ، ذكره الأمدى في المؤلفات والمختلف

(٢) صدره • وإذا صحوت فما أقصر عن نلى •

وكذلك إن قلبه أو صرفه عن وجهه إلى وجه آخر ، فأما إن ساوى المبتدع
فله فضيلة حسن الاقتداء لا غيرها ، فان قصر كان ذلك دليلا على سوء طبعه ،
وسقوط همة ، وضعف قدرته ، فما أجاد فيه المبتدع على المبتدع قول الشياخ :-

إِذَا بَلَّغْتَنِي وَحَلَّتْ رَحْلِي عَرَابَةٌ فَاشْرَقَ بِدَمِ الْوَتِينِ
• فقال أبو نواس :-

أَقُولُ لِنَاقِي إِذْ بَلَّغْتَنِي لَقَدْ أَصْبَحْتَ مِنِّي بِالْيَمِينِ
فَلَمْ أَجْعَلْكَ لِقْرَبَانٍ فَحَلَا وَلَا قُلْتُ « أَشْرَقَ بِدَمِ الْوَتِينِ »
وكرره فقال :-

وَإِذَا أَلْمَحَيْتُ بِنَا بَلَّغْتَنِي مُحَمَّدًا فَظَهَرَهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامُ
قُرْبَانًا مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ الْخَمْعَى فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامُ
وبما يتساوى فيه السارق والمسروق منه قول امرئ القيس * فلو أنها
نفس^(١) البيت ، وقول عبدة بن الطيب * فما كان قيس^(٢) البيت .
وسوء الاتباع أن يعمل الشاعر معنى ردياً ولفظاً ردياً مستهجناً ثم يأتي من
بعده فيتبعه فيه على رداءه ، نحو قول أبي تمام :-

بَاشَرْتُ أَسْبَابَ الْغَفَى بِمَدَائِحِ ضَرَبْتُ بِأَبْوَابِ الْمُلُوكِ طُبُولًا
فقال أبو الطيب :-

إِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيِّئًا لِدَوْلَةٍ فَفِي النَّاسِ بُوقَاتُ كَمَا وَطُبُولُ

(١) هذه قطعة من بيت سبق ذكره مرارا ، وهو بتمامه :-

فلو أنها نفس تموت جميعا ولكنها نفس تساقط أنفاسا

(٢) هذه قطعة من بيت ، وهو بتمامه :-

فما كان قيس هلسكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهديما

وسبق ذكره مرارا

فسرق هذه اللفظة لثلاث قوته ، وما قصر فيه الأخذ عن المأخوذ منه

قول أبي دهل الجحى فى معنى بيت الشماخ : —

يَانَاقُ سِيرِي وَأَشْرُقْ بَدَمِ إِذَا جِئْتَ الْغَيْرَةَ

سَيُثْبِتُنِي أُخْرَى سِرْوَا كِ ، وَتَلَكَ لِي مِنْهُ بِسِيرِهِ

فأنت ترى أين بلغت حمته ؟؟ وما يعد سرقاً وليس بسرقة اشتراك اللفظ .

المعارف كقول عنترة : —

وَحَيْلٌ قَدْ دَلَفَتْ لَهَا بِحَيْلٍ عَلَيْهَا الْأَسَدُ تَهْتَصِرُ اهْتِصَارَا

وقول عمرو بن معدى كرب : —

وَحَيْلٌ قَدْ دَلَفَتْ لَهَا بِحَيْلٍ نَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيمٌ

وقول الحنساء ترقى أخاها صخرأ : —

وَحَيْلٌ قَدْ دَلَفَتْ لَهَا بِحَيْلٍ قَدَارَتْ بَيْنَ كَبْشَيْهَا رَحَاهَا

ومثله : —

وَحَيْلٌ قَدْ دَلَفَتْ لَهَا بِحَيْلٍ تَرَى فُرْسَانَهَا مِثْلَ الْأَسَدِ

وأمثال هذا كثير ، وكانوا يقضون فى السرقات أن الشاعر ين إذا ركباً

معنى كان أولاهما به أقدامهما موتاً ، وأعلاهما سناً ، فان جمعهما عصر واحد

كان ملحقا بأولاهما بالأحسان ، وإن كانا فى مرتبة واحدة روى لهما جميعاً ،

وإنما هذا فيما سوى المختص الذى حازه قائله ، واقتطعه صاحبه ، ألا ترى

أن الأعشى سبق إلى قوله : —

وَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَائِمٌ غَزْوَةً تَشْدُلُ أَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا^(١)

مَوْرَثَةً تَجْدُنَا ، وَفِي الْأَصْلِ رِفْعَةً لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نَسَائِكَا^(٢)

(١) روى أبو عبيدة * ... جاشم رحلة *

(٢) فى الديوان (ص ١٢) * مورة ملا فى المجد ... * وروى

أبو عبيدة * ... وفى الذكر رفعة * ولو ضاع

فأخذه النابغة فقال : —

شُعْبًا لَعْلَافِيَاتٍ بَيْنَ فُرُوجِهِمْ وَالْخُصَنَاتُ عَوَازِبُ الْأَطْهَارِ^(١)
وبيت النابغة خير من بيت الأعشى باختصاره ، وبما فيه من المناسبة بذكر
الشعب بين الفروج وذكره النساء بعد ذلك ، وأخذه الناس من بعده ، فلم
ينقله على معناه ، ولا شاركه فيه ، بل جعل مقتدياً تابعاً ، وإن كان مقدماً
عليه في حياته ، وسابقاً له بماته . وقال أوس بن حجر : —

كَأَنَّ هَرَا جَنِيًّا عِنْدَ غَرَضَتِهَا وَالتَّفْ دِيكَ بُرْجِلِهَا وَخَزِيرِ
فلم يقربه أحد ، وكذلك سائر المعاني المفردة والتشبيهات العميقة تجري
هذا المجرى

وأجل السرقات نظم النثر وحل الشعر ، وهذه لمحة منه . قال نادر
الإسكندر : حركنا الملك بسكوته ، فتناوله أبو العتاهية فقال : —

قَدْ لَعِمَ بِي حَكِيمَتِي لِي غُصَصَ الْوُتِ وَحَرَّ كَتَنِي لَهَا وَسَكَنَتَا
وقال أرسطاطاليس يندبه : قد كان هذا الشخص واعظاً بليغاً ، وما وعظ
بكلامه عظة قط أبلغ من موعظته بسكوته . وقال أبو العتاهية في ذلك : —
وكانت في حياتك لي عِظَاتٌ فَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا
وقال عيسى عليه السلام : تعملون السيئات وترجون أن تجازوا عليها
بمثل ما يجازي به أهل الحسنات ، أجل لا يجنى الشوك من العنب . . فقال
ابن عبد القدوس : —

(١) شعب : جمع شعبة ، وهي فرج بين أعواد الرجل ومن السرج ما بين
قربوسه ومؤخرته . والعلافيات : رجال منسوبة إلى حي من اليمن سمى علاف .
والخصنات : يعني نساءهم . عوازب : بعيدات . الأطهار : جمع طاهر . يريد أنهم
دأبوا على صهوات الخيل فوق السروج أوفوق رجال الابل ، فلا يشتغلون عن الغزو
بنساءهم

إِذَا وَتَرْتِ امْرَأً فَاحْذَرِي عَدَاوَتَهُ مِنْ زِدْعِ الشُّوكِ لَا يَخْصِدُ بِهِ عِنَبًا
وأخذ الكتاب قولهم « قدمت قبلك » من قول الأقرع بن حابس ،
ويروى لحاتم : —

إِذَا مَا آتَى يَوْمٌ يُفَرِّقُ بَيْنَنَا يَمُوتُ فَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تَتَأَخَّرُ
وقولهم « وآتم نعمته عليك » من قول عدى بن الرقاع العاملي : —
صَلَّى الْإِلَٰهَ عَلَى أَمْرِي وَدَعَتْهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا
فما جرى هذا المجرى لم يكن على سارقه جناح عند الحذاق ، وفي أقل
ما جئت به منه كفاية .

(٩٩) — باب الوصف .

الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف ، ولا سبيل إلى حصره
واستقصائه ، وهو مناسب للتشبيه ، مشتمل عليه ، وليس به ؛ لأنه كثيرة
ما يأتي في أضعافه ، والفرق بين الوصف والتشبيه أن هذا إخبار عن حقيقة
الشيء ، وأن ذلك مجاز وتمثيل .

وأحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع ، كما قال
الناطقة الجعدى يصف ذنباً افترس جؤذراً : —

فَبَاتَ يَذْكُرُهُ بَغِيرٌ حَدِيدَةٍ أَخْوَقَصَ بِمَسَى وَيَصْبِيحُ مَفْطَرًا
إِذَا مَا رَأَى مِنْهُ كَرَاعًا تَحَرَّكَ أَصَابَ مَكَانَ الْقَلْبِ مِنْهُ وَفَرَفَرَا
فأنت ترى كيف قام هذا الوصف بنفسه ، ومثل الموصوف في قلب
سامعه . قال قدامة : الوصف إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال
والهيئات ، ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من
ضروب المعاني كان أحسنهم وصفاً من أتى في شعره أكثر المعاني التي
الموصوف بها مركب فيها ، ثم بآظهرها فيه ، وأولاهها به ، حتى يحكيه ويمثله

للحسن بنته . وقال بعض المتأخرين : أبلغ الوصف ما قلب السمع بصراً .
وأصل الوصف الكشف والاعظهار ، يقال : قد وصف الثوب الجسم ،
إذا نَمَّ عليه ولم يستره ، ومنه قول ابن الرومي : —

إِذَا وَصَفْتَ مَا فَوْقَ بَحْرِي وَشَاحِيهَا غَلَّيْلَهَا رَدَّتْ شَهَادَتُهَا الْأَزْرُ

• إلا أن من الشعراء والبلغاء من إذا وصف شيئاً بالغ في وصفه ، وطلب
الغاية القصوى التي لا يمدوها شيء : إن مدحا قدحاً ، وإن ذمما قدحاً .

والناس يتفاضلون في الأوصاف ، كما يتفاضلون في سائر الأصناف : فمنهم
من يجيد وصف شيء ولا يجيد وصف آخر ، ومنهم من يجيد الأوصاف كلها
وإن غلبت عليه الإلحاح في بعضها : كأمري القيس قديماً ، وأبي نواس في
عصره ، والبحرئ وابن الرومي في وقتها ، وابن المعتز ، وكشاجم ؛ فان هؤلاء
كانوا متصرفين مجيدين الأوصاف ، وليس بالمحدث من الحاجة إلى أوصاف
الابل ونعوتها ، والغفار ومياها ، وحر الوحش ، والبقر ، والظلمات ،
والوعول ؛ ما بالاعراب وأهل البادية ؛ لرغبة الناس في الوقت عن تلك
الصفات ، وعليهم أن الشاعر إنما يتكلفها تكلفاً ليحرق على سنن الشعراء قديماً ،
وقد صنع ابن المعتز أبو نواس قبله ومن شاكلهما في تلك الطرائق ما هو مشهور
في أشعارهم : كرائية الحسن في الخصب ، وجيمية ابن المعتز المردفة
في الضرب الثاني من الكامل .

والأولى بنا في هذا الوقت صفات الخمر والقيان وما شاكلهما ، وما كان
مناسباً لهما كالكتوس والقناني والآباريق ، وتفاح التحيات ، وباقات الزهر
إلى ما لا يمد منه صفات الحدود ، والقُدود ، والنهود ، والوجوه ، والشعور ، والريق ،
والثغور ، والآرداف ، والخصور ، ثم صفات الرياض والبرك والقصور ،
وما شاكل المولدين ؛ فان ارتفعت البضاعة نضجت الجيوش وما يتصل بها
من ذكر الخيل ، والسيوف ، والرماح ، والدروع ، والقيسي ، والنبل ، إلى

نحو ذلك من ذكر الطبول، والبند، والمنحرفات، والمنجنيقات، وليس يتسع بنا هذا الموضع لاستقصاء ما في النفس من هذه الأوصاف، فحينئذ أدل على مظانها دلالة مجملة، وأذكر مما قل شكله وعز نظيره شواهد وأمثلة. يعرف بها المتعلم كيف العمل فيها ومن حيث المسلك إليها، إن شاء الله تعالى. أما نعمات الخيل فامرؤ القيس، وأبو دؤاد، وطفيل الغنوى، والناهية. الجعدى، وأمانعات الأبل فطرفة في معلقته من أفضلهم، وأوس بن حجر، وكعب بن زهير، والشباخ، وأكثر القدماء يحميد وصفها؛ لأنها مراكبهم، ألا ترى رؤيته لما غلط في وصف الفرس كيف قال: أذنتي من ذنب البعير، وكان عبيد بن حصين الراعي الفيرى أوصف الناس للابل، ولذلك سمي راعيا، وأما الحر الوحشية والقسي فأوصف الناس لها الشباخ؛ شهد له بذلك الحطيئة والفرزدق، وهذان يحميدان صفات الخيل والقسي أيضا والنبل وأما الخزفان أوصاف الأعشى والاختل وأبي نواس وابن المعتز، ولأبي نواس أيضا وابن المعتز الصيد والطرود، فما شئت من هذه الأوصاف فالتسبا حيث ذكرت، ومن الأوصاف القليلة المثل قول رؤبة يصف الفيل:-

أجرّدُ الخصرِ طويل النابين مشرب اللحي صغير الفقمين^(١)
* عليه أذنان كفضل الثوبين *

وقال آخر يصفه، أنشده عبد الكريم:-

من يركب الفيل فهذا الفيلُ إن الذي يحمله محمولُ
على تماويل لها تهويل كالطود إلا أنه يحول
* وأذن كأنها منديل *

(١) في نسخة:-

أيض كالحصن طويل النابين مشرف اللحي صغير العينين
ولم أجد هذا البيت في ديوان أراجيزه

هكذا أنشده ، وبين البيتين الآخرين آيات كثيرة أسقطتها ، وقد أنشدها
غلام ثعلب عنه عن ابن الأعرابي . . وقال عبد الكريم فجمع مافرقاه وزاد
عليهما :-

وأضخمَ هندی النجار تعدُّه * ملوك بني ساسان إن رابها أمرُ
من الورق لا من ضربه الورق ترتى * أضاح ولا من ضربه الخمس والعشر
يجي كطلود جائل فوق أربع مضبرة لمت كما لمت الصخر
له نخدان كالكتيين لبدا * صدرٌ كما أوفى من الهضبة الصدر
ووجه به أنف كراووق خرة ينال به ماتدرك الانمل العشر
وأذن كصيف البرد يسمعه النداء * خفيا وطرف ينقض الغيب موزور
ونابان شقا لا يريك سواهما قناتين سمراوين طعنهما نشر
له لون ما بين الصباح وليله * إذا نطق العصفور أو غلس الصقر
وصنعت أنا في زرافة أنت في الهدية من مصر إلى مولانا خلد الله ملكه من
قصيدة طويلة :-

وأنتك من كسب الملوك زرافة * شتى الصفات لكونها أثناء
جمعت محاسن ما حكت فتناسبت في خلقها وتناقت الأعضاء
تحتشها بين الخوافق مشية باد عليها الكبر والنخيلة
وممد جيداً في الهواء يزينا فكأنه تحت اللواء لواء
حطت مآخرها وأشرف صدرها حتى كأن وقوفها إقما
وكان قهر الطيب مارجمت به وجه الثرى لو لمت الأجزاء
وتخمرت دون الملابس حلة عيت لصنعة مثلها صنعاء
لوناً كلون الزبل إلا أنه حتى وجزع بعضه الجلاء
أو كالسحاب المكفهر خيطة فيه البروق ، وميضها إيماء
أو مثل ما صدنت صفائح جوشن وجرى على حافاتهن جلاء

نعم التجافيف التي ادرعت به من جلدها لو كان فيه وقاء
وصنعت أنا أيضاً : —

ومجنونة أبداً لم تكن مدللة الظهر للراكب
قد اتصل الجيد من ظهرها بمثل السنام بلا غاريب
ملمعة مثل الملمعة بحناء وشي يد الكاعب
كان الجوارى كففنها لخالع من كل جانب

وقال كشاجم يصف اصطلاهاً : —

ومستدير كجرم البدر مسطوح عن كل رابعة الاشكال مصفوح
مُصَلَّبٌ يُدَارُّ عَلَى قَطْبٍ يُلَيِّنُهُ تَمَثَّلَ طَرْفٌ بِشَكْمٍ الْخَدِيقُ مَشْبُوحٌ
مثل البنان وقد أوفت صفائحهُ عَلَى الْأَقَالِيمِ فِي أَقْطَارِهَا الْفَيْحُ
كأَنَّمَا السَّبْعَةُ الْأَفْلَاكُ مُحَدِّقَةٌ بِالنَّارِ وَالْأَرْضَيْنِ وَالرَّيْحُ
تَنِيكٌ عَنِ طَالِعِ الْأَبْرَاجِ هَيْئَتُهُ بِالشَّمْسِ طَوْرًا وَطَوْرًا بِالْمَصَابِيحِ
وإن مضت ساعة أو بعض ثانية عَرَفْتَ ذَلِكَ بَعْلَمٍ مِنْهُ مَشْرُوحٌ
وإن تعرض في وقت يقدِّره لَكَ التَّشَكُّكُ جَلَاءُهُ بِتَصْحِيحِ
مميز في قياسات النجوم لنا بَيْنَ الْمَشَائِمِ مِنْهَا وَالْمَنَاجِيحِ
له على الظهر عينا حكمة بهما يَحْوِي الضياءَ وَيَجْنِيهِ مِنَ اللُّوحِ
وفي الدوائر من أشكاله حكم تَلْقَحُ الْفَهْمُ مِنْهَا أَيْ تَلْقِيحُ
لايستقل لما فيها بِمَعْرِفَةِ إِلَّا الْحَصِيفَ اللَّطِيفَ الْحَسَّ وَالرُّوحَ
حتى ترى النيب عنه وهو منقلب أبواب عن سواء جد مفتوح
نتيجة الدهر والتفكير صورته ذُو الْعُقُولِ الصَّحِيحَاتِ الْمَرَاجِيحِ

وقال أيضاً يصف تحت حساب الهندسة : —

وقلم مداده تراب في صحف سطورها حساب
يكثر فيه المحو والاضراب من غير أن يسود الكتاب

حتى يبين الحق والصواب وليس إعجام ولا إعراب
فيه ولا شك ولا ارتياب

وقال يستهدى بركارا : —

جُدُّ لي بركارك الذي صنعت فيه يدا قَيْنَة أعاجيا
مَلَام الشَّفَرَتَيْنِ مُعْتَدِلٌ مَا شِينَ مِنْ جَانِبٍ وَلَا عِيَا
شَخْصَانِ فِي شَكْلِ وَاحِدٍ قَدْرَا وَرَكِبَا فِي الْعُقُولِ تَرْكِيا
أَشْبَهَ شَيْئَيْنِ فِي اشْتِبَاهِهِمَا بِصَاحِبٍ لَا يَمْلُ مَصْحُوبَا
أَوْثَقَ مَسَامَرَةٍ وَغُيِّبَ عَنْ نَوَاطِرِ النَّاظِدِينَ نَغِيْبَا
فَعَيْنٌ مِنْ يَحْتَلِيهِ تَحْسِبُهُ فِي قَالِبِ الْإِعْتِدَالِ مَصْبُوبَا
وَضَمَّ شَطْرِيهِ عَحْكَ لَهَا ضَمَّ مَحَبٍّ إِلَيْهِ مَحْبُوبَا
يَزِدَادُ حِرْصًا عَلَيْهِ مَبْصَرُهُ مَازَادَهُ بِالْبَنَانِ تَقْلِيْسَا
قَوْلُهُ كُلُّ مَا تَأَمَّلُهُ طُوبَى لِمَنْ كَانَ ذَالَهُ طُوبَى
ذُو مَقَلَةٍ بِصِرْثِهِ مَذْهَبُهُ لَمْ يَأَلْهُ زِينَةُ وَتَذْهِيبَا
يَنْظُرُ مِنْهُ إِلَى الصَّوَابِ بِهِ فَلَا يَزَالُ الصَّوَابُ مَطْلُوبَا
لَوْلَاهُ مَا صَحَّ شَكْلُ دَائِرَةِ وَلَا وَجَدْنَا الْحِسَابَ مَحْسُوبَا
الْحَقُّ فِيهِ فَانْ عَدَلْتُ إِلَى سِوَاهُ كَانَ الْحِسَابُ تَقْرِيْبَا
لَوْ عَيْنُ إِقْلِيدِسَ بِهِ بَصُرْتُ خَرَّ لَهُ بِالسُّجُودِ مَكْبُوبَا
فَاقْبِثْهُ وَاجْتَنِبْهُ لِي بِمَسْطَرَةٍ تَاقَ الْهَوَى بِالْثَنَاءِ مَجْنُوبَا
لَا زَلَّتْ تَجْدِي وَتَجْتَدِي حَكْمَا مُسْتَوْهَبَا لِلصَّدِيقِ مُوَهَّوبَا

وقال في صفة البنكام : —

روح من الماء في جسم من الصَّقَرِ مَوْتَلَفٌ بِطَلِيفِ الْحَسِّ وَالنَّظَرِ
مُسْتَعْبِرٌ لَمْ يَغِبْ عَنْ إِلْفِهِ سَكَنٌ وَلَمْ يَبْتَ قَطُّ مِنْ طَعْنٍ عَلَى حَنْدَرِ
لَهُ عَلَى الظَّهْرِ أَجْفَانُ مَحْجَرَةٍ وَمَقَلَةٌ دَمْعُهَا يَجْرِي عَلَى قَدَرِ
تَنْشَأُ لَهُ حَرَكَاتٌ فِي أَسَافِلِهِ كَأَنَّهَا حَرَكَاتُ الْمَاءِ فِي الشَّجَرِ

وفى أعاليه حسابان يفصله للناظرين بلا ذهن ولا فكر
إذا بكى دار فى أحشائه فلك خافى المسير وإن لم ييك لم يدرك
مترجم عن مواقيت نخبرنا عنها فيوجد فيها صادق الخبر
تفضى به الخس فى وقت الوجوب ، وإن

غطى على الشمس ستر الغيم والمطر
وإن سهرت لأسباب تورقنى عرفت مقدار ما ألقى من السهر
محرر كل ميقات تخيره ذوو التخيير الأسفار والحضر
ومخرج لك بالاجراء أطفها من النهار وقوس الليل والسحر
نتيجة العلم والأفكار صوره يا حبذا بدع الأفكار فى الصور

وقال يصف زرمانج أبوس : —

نعم المعين على الآداب والحكم صحائف حلك الألوان كالظلم
لا تستمد مداداً غير صبغتها فسر ذى اللب منها غير مكتم
خفت وجفت فلم تدنس لحاملها ثوبا ولم يخش منها نبوة القلم
وأمكن المحو فيها الكف فاتسعت لما تضمن من ثر ومنظم
حليتها بلجين وانتخب لها وقاية من ذكى العود لا الأدم
فالكى يعبق منها حين تودعه عرقاً تدم منها أطيب النسم
لو كن ألواح موسى حين يغضبه هارون لم يلقها خوفا من التدم

وله من قصيدة ذكر فيها طاووسات له : —

رُزِقَتْهُ رَوْضَةً يَرُوقُ ، ولم يسمع بروض يمشى على قدم
جَلَّ الدُّنْيَا كَانَ سَنَدَسَةً زُرْتُ عَلَيْهِ مَوْشِيَةَ الْعِلْمِ
مُتَوَجِّها خَلْقَةً جَاءَ بِهَا ذُو الْفِطْرِ الْمَجْزَاتِ وَالْحَكْمِ
كَأَنَّهُ يَزْدَجِرُ مِنْ تَعْصِبَا يَبْنَى فَيَعْلَى مَأْثِرِ الْعَجْمِ
يُطْبِقُ أَجْفَانَهُ وَيَحْصِرُ عَنْ فَصَيْنِ يَسْتَصْبِحَانِ فِي الظُّلْمِ

أدل بالحسن فاستدال له ذبلا من الكبير غير محتشم
ثم منى مشية العروس فن مستظرف معجب ومبتسم
فهذا طرف مما شرطته كاف ، يرى به المتعلم نهج هذه الطريقة ، إن
شاء الله تعالى .

(١٠٠) - باب الشطور وبقية الزحاف

القول في الشطور على أحد وجهين : إما أن يراد بالشطر نصف البيت ،
وإما أن يراد به القصد ، وذلك أنهم إذا ذكروا الشطور فرما أنشدوا آياتا
كاملة ، وليست أقسمة ، فيكون هذا من قوله تعالى : (قول وجهك شطر
المسجد الحرام) وكذلك القسم أيضا : يجوز أن يكون نصف البيت ،
وجوز أن يكون بمعنى الحظ من الوزن ؛ لأن الحظ يقال له قسم وقسم ..
قال جرير : -

أَبَارَكَةُ أَكَلَتْ الْخَزِيرَ مُجَاشِعٌ وَقَدْ خَسَّ إِلَّا فِي الْخَزِيرِ قَسِيمَهَا

• يريد حظها . - وقالت ابنة ^(١) المنذر بن ماء السماء : -

بَعَيْنِ أَبَاغٍ قَاسَمْنَا الْمَنَائِمَا فَكَانَ قَسِيمُهَا خَيْرَ الْقَسِيمِ

وهذا حين أبدا بذكر الشطور على مذهب الجوهري لقلة حشوه
الطويل : مثنى قديم ، مسدس محدث ، أجزاءه « فعولن مفاعيلن » ثمانى
مرات ^(٢) وزحافه : القبض ، التلم ، الترم ، الكف ، الحذف . ومسدسه
أن يحذف منه مفاعيلن الآخرة من كل قسم
المديد : مثنى محدث ، مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « فاعلاتن
فاعلن » ثمانى مرات ^(٣) وعلى ذلك أتى محدثه ويبت مربعة السالم : -

(١) الذى فى ياقوت أن هذا البيت لابنة فروة بن مسعود توثى أباه ، وكان
قد قتل بعين أباغ - بضم الهمزة ، وفى آخره غين معجمة - وبعد هذا البيت : -
وقالوا سيدا منكم قتلنا كذلك الرمح يكطف بالكريم
(٢) صوابه « أربع مرات »

بُؤْسَ الْحَرْبِ الَّتِي تَعَادَرَتْ قُوْمِي سُدَا

قال : وهذا شعر قديم ، إلا أن الخليل لم يذكره . زحافه : الحُبْن ، الكف ، الشكل ، القصر ، الحذف ، الصلم

البسيط : مثنى قديم ، مسدس قديم ، مربع محدث ، أجزاءه « مستفعِلن فاعِلن » ثمانى مرات ^(١) ومسدسه « مستفعِلن فاعِلن مستفعِلن » مكررة ، قال : وله مسدس آخر يسميه الخليل السريع ، وقد نقص منه « فاعِلن » الأولى والثالثة ، وبينه المربع المحدث : —

دَارٌ عَفَاَهَا الْقِدَمُ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهْمِ

زحافه : الحُبْن ، الطي ، الحبل ، القطع ، الإذالة ، التخليع . ومعنى التخليع : قطع « مستفعِلن » في العروض والضرب جميعاً

الوافر : مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « مفاعِلتن » ست مرات ، ولم يحجى عن العرب في مسدسه بيت صحيح ، زحافه : المصب ، القطع ، النقص ، العقل ، العصب ، القصم ، العقص ، الجم

الكامل : مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « متفاعِلن » ست مرات ، زحافه : الاضمار ، الوقص ، الخزل ، القطع ، الحذف ، الترفيل ، الإذالة الهزج : مسدس محدث ، مربع قديم ، أجزاءه « مفاعِلتن » أربع ^(٢) مرات ، بينه المسدس المحدث : —

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَعْمَانُ إِذْ بَاتُوا وَإِذَا صَاحَتْ يَشْطُ الْبَيْنُ فِرْبَانُ

زحافه : الخزم ، الكف ، القبض ، الحزب ، الشتر ، الحذف الرجز : مسدس ، مربع ، مثلث ، مثنى ، كله قديم ، موحده محدث ، أجزاءه « مستفعِلن » ست مرات ، زحافه : الحُبْن ، الطي ، الحبل ، القطع ، الفرق ، الوقف ؛ ومعنى قوله الفرق : أن يفرق الوجد المجموع في حشو مسدسه فيعود مستفعِلن مستفعِلن — بتقديم النون — فيكون وزنه مفعولات . . قال :

(١) «سوايه» أربع مرات « (٢) «سوايه» ثمانى مرات »

وهو الذى يسميه الخليل المنسرح ، ولم يحىء ضربه إلا مطوياً ، وفى صدر مربعه ، قال : وهو الذى يسميه الخليل المقتضب ، وفى ضرب مثناه ومثله . إلا أنه ساكن اللام ؛ لأن آخر البيت لا يكون إلا متحركاً ، وذلك هو الوقف

الرملى : سدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « فاعلاتن » ست مرات ، زحافه : الحبن ، الكف ، الشكل ، الحذف ، القصر ، الإسباع الخفيف : سدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن » مكرر ، ومربعه « فاعلاتن مستفعلن » قال : وقد ركب منه مربع آخر ، وهو الذى يسميه الخليل مجتأ ، وقد نقص منه « فاعلاتن » الأولى والرابعة ، زحافه : الحبن ، الكف ، الشكل ، الحذف ، القطع ، التشيعث ، الإسباع ، الطى ،

المضارع : مربع قديم لا غير ، أجزاءه « مفاعن فاعلاتن » مكرر ، ولم يحىء عن العرب فيه بيت صحيح ، زحافه : القبض ، الكف ، الحذف ، الشتر ، الحبن

المتقارب : مثنى قديم ، سدس مربع محدث ، أجزاءه « فعولن » ثمانى مرات ، زحافه : القبض ، الثلم ، الثرم ، القصر ، الحذف ، البتر ، ويبت مربعه المحدث : —

وَقَفْنَا هُنَيْئَةً بِأَطْلَالٍ مِيَّةٍ

المتدارك : مثنى قديم ، سدس محدث ، أجزاءه « فاعلن » ثمانى مرات ، ويبت السالم من مثنى : —

لَمْ يَدْعَ مَنْ مَقَى لِقْدَى قَدْ غَبَرَ فَضَلَ عِلْمٍ سِوَى أَخْذِهِ بِالْأَثَرِ
وشعر عمرو الجنى مجنون ، زحافه : الحبن ، القطع ، الاذالة ، الترفيل . .
وهذا شرح الألقاب عن أبى زهرة النحوى وغيره : كل ما حذف ثانيه

الساكن فهو مخبون ، وكل ما حذف رابعه الساكن منه فهو مطوى ، وما حذف خامسه الساكن فهو مقبوض ، وما حذف سابعه الساكن فهو مكفوف وما حذف ثانيه ورابعه الساكنان فهو مخبول ، وما حذف ثانيه وسابعه الساكنان فهو مشكول ، وما حذف ثانيه المتحرك فهو موقوص ، وما حذف خامسه المتحرك فهو معقول ، وما حذف سابعه المتحرك فهو مكشوف عند الخليل ، ولم يعتد به الجوهري ، وما حذف رابعه الساكن وأسكن ثانيه المتحرك فهو مخزول ، وما أسكن ثانيه المتحرك فهو مضمر ، وما أسكن خامسه المتحرك فهو معصوب ، وما أسكن سابعه المتحرك فهو موقوف ، وما حذف ساكن سيبه وأسكن متحركه فهو مقصور ، وإن كان هذا العمل في وتد فهو مقطوع ، وكل سبب زيد عليه حرف ساكن ليس من الجزء الذي هو فيه فهو مسبغ ، وإن كان ذلك في وتد فهو مذيل ؛ فان زيد على الوند حرفان فهو مرفل ، وكل ما حذف منه وتد مجموع فهو أخذ ، فان حذف وتد مفروق فهو أصل ، وإذا حذف من الجزء سبب وأسكن المتحرك الذي يليه فهو مقطوف ، وكل وتد مجموع كان في مبتدأ البيت لحذف أول الوند فهو مخروم ، وإن كان ذلك في «فعولن» فهو أثل ، فان كان فيه مع الحزم قبض فهو أثرم ، وإن كان الحزم في «مفاعلتن» فهو أعصب ، وإن كان مع ذلك عصب فهو أقصم ، وإن كان فيه مع الحزم قبض فهو أعفص ، وإن كان فيه مع الحزم عقل فهو أجم ، وإذا خربت «مفاعيلن» فهو آخرم وإذا كفتته مع ذلك فهو أخرب ، وإذا خرمته وقبضته فهو أشتر ، وما ذهب منه جزآن من العروض والضرب فهو مجزو ، وما يذهب منه شطره فهو مشطور ، وما ذهب ثلثاه فهو منهوك ، وما سلم من الزحاف - وهو يجوز فيه - فهو سالم ، وما سلم من الحزم فهو موفور ، وما استوفى دائرته فهو تام ، وما استوفى أجزاء دائرته وكان في بعض الأجزاء نقص فهو واف ، وكل جزء كان في ضرب أو عروض فكان بمنزلة الحشو فهو

صحيح، وإن خالف الحشو فهو معتل : ومخالفة الحشو أن يدخل فيه من النقص والزيادة ما لا يدخل الحشو، أو يمتنع من النقص الذي يدخل الحشو، والمعتل على أربعة أوجه : ابتداء، وفضل، وغاية، واعتناء، وقد شرحتها فيما تقدم

١٠١ — باب بيوتات الشعر والمرفين فيه

منها في الجاهلية بيت أبي سلمى : كان شاعراً واسمه ربيعة، وابنه زهير كان شاعراً، وله خؤولة في الشعر : غاله بشامة بن (١) الغدير، وكان كعب وبجير ابنا زهير شاعرين، وجماعة من أبنائهما .

ومن المخضرمين حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام، هو وأبوه وجدته وأبو جده شعراء، وابنه عبد الرحمن شاعر، وسعيد بن عبد الرحمن شاعر، ذكر ذلك المبرد وبعدهذين بيت النعمان بن بشير، وبنوه أبان، وبشير، وشبيب، وابنته حميدة، ومن بني بني عبد الخالق بن عبد الواحد، وعبد القدوس بن عبد الواحد بن النعمان، وأم النعمان عمرة بنت رواحة شاعرة، وغاله عبد الله ابن رواحة أحد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم

ومن المرفين في الشعر عن عبد الكريم نهشل بن حري بن ضمرة بن جابر بن قطن، ستة ليس يتوالى في بني عجم مثلهم شعراً وشرفاً وفعالا وعن ابن قتيبة القاسم بن أمية بن أبي الصلت، وهو القائل :-
قوم إذا نزل الغريبُ بدارهم تركوهُ رب صواهل وقيان
وربيعة بن أمية عن غير ابن قتيبة .

ومن بيوتات الشعر في الاسلام بيت جرير : كان هو وأبوه عطية وجدته الخطفي شعراء، وكان بنوه وبنو بني شعراء . قال أبو زياد الكلابي : رأيت باليمامة نوحا وبلالا بنى جرير وهما يتسيران ولهما جمال وهيئة وقدر عظيم وأشعر من باليمامة يومئذ حجناء بن نوح بن جرير، وكان عقيل بن بلال

(١) في الأصول «أسامة بن الغدير» وهو تصحيف من وجنين، وصوابهما أثبتنا

شاعراً ، وعمارة ابنه شاعراً ، أدرك الطائي حياً ولقيه المبرد .

ومن المعرقين عقبة بن ربيعة بن العجاج .

ومن البيوتات بيت أبي حفصة : كان مروان شاعراً ، وجاعة يته شعراء .
يضررون بالسنتهم أنوفهم ، حكاة الجاحظ ، وكان يحيى جد مروان شاعراً

يهاجي اللعين المنقري ، وجريراً ، وأكثر أهل بيته شعراء رجالاً ونساء .
و[يت] [أبي عينة بيت شعر : منهم مجدوبنوه أبو عينة وعبدالله وداود
وعباد بن داود لقبه المخرق لقوله : -

أنا المخرق أعراض اللثام كما كان الممزق أعراض اللثام أبي
وبيت الرقاشين منهم عبد الصمد بن الفضل وابناه الفضل والعباس ،
وأكثرهم شعراء

وبيت اللاحقين : كان حمدان شاعراً ، وابنه ، وأبوه أبان شاعراً ، وجده
عبد الحميد شاعراً ، ولاحق أبو عبد الحميد شاعراً ، وإليه نسبوا ، وهو مولد
الرقاشين ، وأكثر أهل هذا البيت شعراء

وبيت أمية الكاتب ذكرهم دعبل ، وهم أمية وإخوته : علي ، ومحمد ، والعباس
وسعيد ، ومن أولاد هؤلاء أبو العباس بن أمية وأخواه علي وعبد الله ، وابن
عمهم محمد بن علي بن أبي أمية

وبيت رزين بيت شعر ، منهم عبد الله شاعر ، وابنه أبو الشيص شاعر ،
واسمه محمد ، ومنهم علي شاعر ، وابناه دعبل وعلي شاعران

وبيت حميد بن عبد الحميد : كان حميد شاعراً ، وبنيه أهرم وأبو عبد الله وأبو
نضر وأبو نهل شعراء ، ذكرهم دعبل .

والفرق بين المعرق وبين ذي البيت أن المعرق من تكرر الأمر فيه وفي
آيته وفي جده فصاعداً ، ولا يكون معرقاً حتى يكون الثالث فما فوقه ، وعلي
هذا فمر قول أبي الطيب :-

العارض الهمتي ابن العارض الهمتي ابن العارض الهمتي
قالوا : إنما أراد أنه معرق ، وزاد واحداً على الشرط المتعارف ، وإنما
أخذهُ أبو الطيب من قول محمد بن عبد الملك الزيات ، —

ما كان يندونا ويؤمن سربنا ويحيرنا من شر كل خيفة

إلا مقام خيفة خيفة خيفة خيفة خيفة

يعني الواثق بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور ، فصدق وحسن
في معناه ، ونقص المتن بواحد بعد سرقة .

وفذ البيت من عم الأمر جميع أهل بيته أو أكثرهم ، فهذا فرق بينها .
ومن الأخوة ومن لم يعرق : ليد وأخوه لأمه أربد ، والشامخ وأخوه
جزم ، ويزيد وهو مزرد - وبنو ابن مقبل وهم عشرة أخوة ، تميم ، وفضالة
وحيان ، ورفاعة ، ووبرة ، والمضاء ، وأعقد ، وعبد الله ، وخفاف ، وأبو
الشمال ، وأم تميم ابنة أمية بن أبي الصلت ، وفي أولاد إخوته المذكورين
نفا شعر ، ووقيس بن عمرو والنجاشي وأخوه خديج ، وعمرو بن أحمر وأخوه
سنان وسيار ، وغيلان ذو الرمة وإخوته : أوفى ، ومسعود ، وهشام ، وحر قاس
شعراء خمستهم ، ومسلم بن الوليد وأخوه سليمان الكفيف ، وأشجع
السلي وأخوه أحمد .

وأما الشاعر ابن الشاعر فقط فيقال له « الثنيان » حكاه عبد الكريم
عن غيره ، وهو كثير لو أخذنا في ذكرهم لطالت مساقاة الباب

(١٠٢) — باب حكم البسملة قبل الشعر

قال أبو جعفر النحاس : اختلف العلماء في كتب « بسم الله الرحمن الرحيم »
أمام الشعر : ففكره ذلك سعيد بن المسيب والزهرى ، وأجازة النخعي ، وكذا
يروى عن ابن عباس ، قال : أكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » أمام الشعر
وغيره ؛ قال أبو جعفر : ورأيت علي بن سليمان يميل إلى هذا ، وقال :

يفنى أن يكتب أمام الشعر « بسم الله الرحمن الرحيم » ؛ لأنه يحىء بعده « قال فلان » وما أشبه ذلك .. قلت أنا : إنما هذا في الشعر إذا دون ، فأما قصيدة رفضها الشاعر إلى مدحوه فلا يكتب قبلها اسم قائلها لكن بعدها ، وإذا كان الأمر هكذا فلا سبيل إلى كتاب البسملة ؛ لأن العذر حينئذ ساقط

١٠٣) - باب أحكام القوافي في الخط

إذا صارت الواو الأصلية والياء الأصلية وصلا للقافية سقطت في الخط كما تسقط واو الوصل وياؤه ، مثل واو « يغزو » للواحدو (يغزوا) للجماعة إذا كانت القافية على الزاى ، ألا ترى أنهم أسقطوها في اللفظ فضلا عن الخط .. قال الراجز :-

• كريمة قدرم إذا قدر •

يريد « إذا قدروا » قال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن السمين وقد سأله عن هذا : لا يجوز حذف هذه الواو إلا في أشد ضرورة ، للعرب لا للولدين ؛ لأنها علامة جمع وإضمار ، لحذفها يلتبس بالواحد ، قال : وهذا مذهب سيويه والبصريين ، ومثل واو « يغزو » ويا « يقضى » للغائب « وتقضى » للثبوت الغائبة والمذكر المخاطب . وكذلك ياء « القاضى والغازى » إذا كانا معرفين بالالف واللام ، هذا هو الوجه ، فإن كتب باثبات الواو والياء فعلى باب المسامحة ، والاجود أن تكون الواو والياء خارجاً في الغرض وكذلك ياء الضمير نحو « غلامى » إذا كانت القافية الميم فالوجه سقوط الياء ، فإن كتبت مسامحة ففي الغرض كما قدمت ، وقد أسقطها بعضهم في اللفظ . . أنشدنى أبو عبد الله للأعشى :-

ومن شأني كاسيف وجهه إذا ما انتسبت له أنكرن

قال : يريد « أنكرنى » لحذف الياء ، فأما ما يكون منوناً نحو « قاض ، وغاز » أو مجزوماً نحو « لم يقض ، ولم يغز » فلا يجوز أن يثبت فيها الياء

والواو على المساحة ؛ لأنها سقطا بالتونين والعامل . . ومن العرب من يقول « هذا الغاز ، ومررت بالقاض » بغير ياء ، وهذا تقوية لمذهب من حذفها في الخط إذا كانت وصلا للقافية ، وإن كان في قوافي قصيدة ما يكتب بالياء وما يكتب بالالف كتبها جميعا بالالف لتستوى القوافي ، وتشبه صورتها في الخط .

(١٠٤) — باب النسبة إلى الروى

إذا قلت قصيدة فنسبتها إلى ما [كان] على حرفين قلت هذه قصيدة يائية وحائية ، وكذلك أخواتها ، وإن شئت جعلت الهمزة واواً فقلت : يايوة ، وكان أبو جعفر الرقاشي ينسب إلى ما كان على حرفين يقول : هذا ييوى^١ يتوى^٢ وكذلك أخواتهما ، إلا « ما » « ولا » فإنه يقول : مووى^٣ ولوورى^٤ على فعلى ، وتقول على هذا القول : قصيدة مووية ولووية قال ثعلب : ما كان على ثلاثة لأحرف الأوسط يا فليس فيه إلا وجه واحد ، تقول : سينت سيناً ، وعينت عيناً ، إذا كتبت سيناً وعيناً ، فيقول على هذا : قصيدة مسينة ومعينة وسينية وعينية ، وكذلك قصيدة ميمية ، ولا تقول : مؤومة فإنه خطأ ، وتقول في الواو وهي على ثلاثة أحرف الأوسط ألف بالياء لا غير ؛ لكثرة الواوات ، فتقول : وويت واواً حسنة ، وبعضهم يجعل الواو الأولى همزة لاجتماع الواوين فيقول : أويت واواً حسنة ، فالقصيدة على هذا واوية ومؤواة وموواة ، وقال بعضهم في « ما » و« لا » من بين أخواتها : مويت ما حسنة ، ولويت لا حسنة ، بالمد ؛ لمكان الفتحة من ما ولا

(١٠٥) — باب الانشاد وما نسب به

ليس بين العرب اختلاف — إذا أرادوا الترخيم ومد الصوت في الغناء والحداء — في إتباع القافية المطلقة ، مثلها من حروف المد واللين في حال

الرفع والنصب والحذف ، كانت مما ينون أو مما لا ينون ، فإذا لم يقصدوا ذلك اختلفوا : فمنهم من يصنع كما يصنع في حال الغناء والترنم ، ليفصل بين الشعر والكلام المنشور ، وهم أهل الحجاز ، ومنهم من ينون ما ينون وما لا ينون : إذا وصل الانشاد أنى بنون خفيفة مكان الوصل فجعل ذلك فصلاً بين كل بيتين فينشد قول النابغة : —

يَا ذَا رَمِيَّةٍ بِالْمَكِيَّاءِ فَيَا السَّنْدِ

منوناً إلى آخر القصيدة ، لا يزال بما فيه ألف ولام ، ولا مضاف ، ولا بفعل ماضٍ ، ولا مستقبل ، وهم ناس كثير من بني تميم . ومنهم من يجري القوافي مجراها ولو لم تكن قوافي : فيقف على المرفوع والمكسور موقوفين ويعوض المنصوب ألفاً على كل حال ، وهم ناس كثير من قيس وأسد ، فينشدون : —

لَا يَبْعِدُ اللَّهُ جِيرَانَنَا لَنَا ظَنُّونَا لَمْ أَدْرِ بَعْدَ غَدَاةِ الْبَيْنِ مَا صَنَعَ
يُرِيدُ « مَا صَنَعُوا » . وَكَذَلِكَ يَنْشُدُونَ

فَقَاضَتْ دُمُوعَ الْعَيْنِ مِنْ صَبَابَةٍ عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَ دُمْعَى مَحَلٍّ
فَإِذَا وَصَلُوا جَعَلُوهُ كَالْكَلَامِ وَتَرَكُوا الْمُدَّةَ لَعَلَّهُمْ أَنَّهَا فِي أَصْلِ الْبِنَاءِ . .
قَالَ سَيُويُه : سَمِعْتَاهُمْ يَنْشُدُونَ . —

أَقْلَى الْأَوَمِ عَاذِلَ وَالْعِتَابِ

إذا كان منوناً أثبتوا تنوينه ووصلوه كما يفعلون بالكلام المنشور .
ومن العرب من في لغته أن يقف على إشباع الحركة : فتجر الضمة واواً ، والكسرة ياء ، والفتحة ألفاً ، فينشد هذا كله موصولاً من غير قصد غناء ولا ترنم .

ومنهم من في لغته أن لا يعوض شيئاً من النصب فهو ينشد هذا كله موقوفاً من غير اعتقاد تقييد ، وإذا كان الشعر مقيداً كان تنوينه بازاء إطلاقه ، فهو غير جائز ؛ لأن الشعر المقيد يكسر بتنوينه كما يكسر بإطلاقه ، ما خلا الأوزان

التي قدمنا القول فيها أنها من بين ضروب الشعر يجوز إطلاتها وتقيدها .
ويجوز عن رؤية أنه أنشد قصيدته القافية المقيدة منونة فرد ذلك الزجاجي .
وأذكره ، وذكر أنه وم من السامع ، وأن الوجه فيه أن من العرب من
يزيد بعد كل قافية «إن» الخفيفة المكسورة إعلماً بانقضاء البيت ، فينشد : —
• وقَاتِمِ الأعماقِ غلوى المَخْرُوقِ إِنَّ مُشْتَبِهَ الأَعْلَامِ لِمُتَاعِ الحَقِّقِ إِنَّ
• يَكُلُّ وفد الريح من حيث أنْخَرَقَ إِنَّ •

وإذا كان ما قبل حرف الروى ساكناً — وكانت لغة منشده الوقوف على
المضموم والمكسور — ينقل الحركة كما أنشد أعرابي من بني سنبس قول
ذي الرمة : —

• وَلَا زَالَ مِنْهَلًا بِجَرَائِكِ القَطْرِ •

— بضم الطاء وإسكان الراء لما وقف . — حكى ذلك عبد الكريم ، وعلى
• هذا قال الآخر : —

• أَنَا ابنِ مَآوِيَةِ إِذَا جَدَّ النُّفَرُ •

أراد « النفر » بالخيول . . وأنشد أبو العباس ثعلب : —

أَرِنِي حِجْلًا عَلَى سَاقِيَا فِهْشٍ القَوَادِ لَذَاكَ الحِجْلِ
فَقُلْتُ وَلَمْ أَخْفِ مِنْ صَاحِبِي : ' أَلَا بِأَبِي أَصْلُ ' تِلْكَ الرَّجُلِ
وقال : نقل لاضطرار القافية .

ومما يدخل في شفاعه هذا الباب : الغناء ، والحداء ، والتغدير ، قال الشاعر
تَمَنَّيَ بالشعرِ إِمَّا كُنْتَ قَائِلُهُ إِنَّ الغناءَ لهذا الشعرِ مِضْمَارُ
ويقولون : فلان يتغنى بفلان أو بفلانة ، إذا صنع فيه شعراً . . قال
ذو الرمة : —

أَحِبُّ المَكَانَ القَفْرَ من أَجْلِ أَتَى بِهِ أَتَغْنَى بِاسْمِهَا غَيْرَ مُعْجِمِ
وكذلك يقولون : حدا به ، إذا عمل فيه شعراً . . قال المرار الأسدي :

ولو آتى حدوتُ به أرفأنتُ نعماته وأبصر ما يقولُ

وغناء العرب قديماً على ثلاثة أوجه : النصب ، والسناد ، والمزج . فاما النصب فنمنا الركبان والفتيان ، قال إسحق بن إبراهيم الموصلي : وهو الذي يقال له المرائي ، وهو الغناء الجنائي ، اشتقه رجل من كلب يقال له جناب ابن عبد الله بن هبل ، فنسب إليه ، ومنه كان أصل الحداء كله ، وكله يخرج من أصل الطويل في العروض .

وأما السناد فالثغيل ذو الترجيع ، الكثير الثغات والنبرات ، وهو على ست طرائق : الثغيل الأول ، وخفيفه ، والثغيل الثاني ، وخفيفه ، والرمل ، وخفيفه

وأما المزج فالخفيف الذي يرقص عليه ، ويمشي بالدف والمزمار فيطرب ، ويستغف الحليم ، قال إسحق : هذا كان غناء العرب حتى جاء الله بالاسلام ، وفتحت العراق ، وجلب الغناء الرقيق من فارس والروم ، فغنوا الغناء المجرأ المؤلف بالفارسية والرومية ، وغنوا جميعاً بالعيدان والطناير والمعازف والمزامير .

قال الجاحظ : العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة ، والمعجم تمطط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن فتضع موزوناً على غير موزون .

ويقال : إن أول من أخذ في ترجيعه الحداء مضر بن نزار ، فانه سقط عن جبل فانكسرت يده فحملوه وهو يقول : وايداه ، وايداه ، وكان أحسن خلق الله جرماً وصوتاً ، فأصغت الابل إليه وجدت في السير ، فجعلت العرب مثالا لقوله هايدا هايدا يحدون به الابل ، حكى ذلك عبد الكريم في كتابه وزعم ناس من مضر أن أول من حدا رجل منهم ، كان في إبله أيام الربيع ، فأمر غلاماً له يعض أمر ، فاستبطأه ، فضربه بالعصا ، فجعل ينشد

في الابل ويقول : يايداه ، يايداه ، فقال له : الزم الزم ، واستفتح الناس الحدا من ذلك الوقت .

وذكر ابن قتيبة أنهم قالوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، وحكى الزبير ابن بكار في حديث يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم من بني غفار سمع حادهم بطريق مكة ليلا قال إليهم : إن أبأكم مضر خرج الى بعض رعائه فوجدها قد تفرقت ، فأخذ عصا فضرب بها كف غلامه ، فعدا الغلام في الوادي وهو يصيح : وايداه ، وايداه ، فسمعت الابل ذلك فعطفت فقال مضر : لو اشتق مثل هذا لانتفعت به الابل واجتمعت ، فاشتق الحدا . وأما التغير فهو تهليل أو تردد صوت ، بقرامة أو غيرها ، حكى ذلك ابن دريد ، وحكى أبو إسحق الزجاجي قال : سألت بعض الرؤساء : لم سمي التغير تغيرا ؟ قلت : لأنه وضع على أنه يرغب في الغابر - أي : الباقي ، أي : يرغب في نعيم الجنة وفيما يعمل للآخرة - وقال غيره : إنما قيل له تغير لأنه جعل ما يخرج من الفم بمنزلة الغبار ، فعرض الجوابان على أحمد بن يحيى ، فاستجاد جوابي ، يقال للبراسل في الغناء : المتالي ، حكاه غلام ثعلب

(١٠٦) - باب الجوائز والصلوات

قال أبو جعفر النحاس : أصل الجائزة أن يعطى الرجل ما يجيزه ليذهب إلى وجهه ، وكان الرجل إذا ورد ماء قال لقيمه : أجزني - أي : أعطني ماء حتى أذهب لوجهي وأجوز عنك - فكثرت حتى جعلت الجائزة عطية . . قال الرازي : -

يَقِيمُ الْمَاءَ فَذَنَكَ نَفْسِي أَحْسَنَ جَوَازِي وَأَقْلَ حَبْسِي

قال ابن قتيبة : أصل الجائزة والجوائز أن عبد عوف بن أصرم من بني هلال بن عامر بن صعصعة ولي فارس لعبد الله بن عامر ، فر به الأخنف ابن قيس في جيشه غازيا إلى خراسان ، فوقف لهم على قطرة الكر فجعل

ينسب الرجل فيعطيه على قدر حسبه ، فكان يعطيهم مائة مائة ، فلما كثروا عليه قال : أجزؤم ، فأجزوا ، فهو أول من سن الجوائز .. قال الشاعر :-

فَدَى لِلْكَرَمِ بْنِ هَلَالٍ عَلَى عِلَّائِهِمْ عَمِي وَغَالِي
فَمِنْ سَنَةِ الْجَوَائِزِ فِي مَعْدَةٍ فَصَارَتْ سُنَّةَ أُخْرَى اللَّيَالِي

والبدرة : عشرة آلاف درهم ، سميت بذلك لوفورها ، قال بعضهم : ومنه سمي القمر ليلة أربع عشرة « بدرأ » لتمامه وامتلائه من النور ، ويقال : لمبادرته الشمس ، وقيل : بل البدره جليلة السخلة إذا قطعت والجنوع من المعز يملأ مالا ، فسمي المال « بدره » باسم الوعاء مجازاً .

والصلة : ما أخذه الرجل من السلطان أول ما يتصل به ، ثم كثر ذلك حتى قيل لربة الملك « صلة » وهذه أبيات كنت صنعتها للسيد أبي الحسن أدام الله عزه ختمت بها الكتاب لما جاء موضعها :-

وَجَرَى لِسَانِي فِيهِ أَوْ قَلْبِي	إِنَّ الَّذِي صَاغَتْ يَدِي وَفِي
وَاخْتَرْتَهُ مِنْ جَوْهَرِ الْكَلَمِ	مِمَّا عَنَيْتُ لِسَبْكَ خَالِصِهِ
ذَكَرًا تَجَدَّدَهُ عَلَى الْقَدَمِ	لَمْ أَهْدِهِ إِلَّا لِتَكْسُوهُ
لَكِنَّهُنَّ مَصَائِدُ الْكَرَمِ	لَسْنَا نَزِيدُكَ فَضْلَ مَعْرِفَةِ
وَنَسَخْتُ عَنْهُ آيَةَ الْعَدَمِ	فَاقْبَلْ هَدِيَّةً مِنْ أَشَدِّ بِهِ
تَأْتِي بِمِثْلِكَ فَاتَّقَ الْهَمَمِ	لَا تَحْسَبِ الدُّنْيَا أَبَا حَسَنِ

الحمد لله الذى بنعمته تكمل الصالحات ، وصلى الله على سيدنا محمد
أشرف الكائنات ، وعلى آله وصحبه نجوم الهداية وأعلام الدرايات ،
وسلم تسليما كثيرا

وبعد ، فقد نجز كتاب « العمدة ، فى محاسن الشعر وآدابه » لآبى على
الحسن بن رشيق الأزدي : المولود فى سنة ٣٩٠ من الهجرة (١٠٠٠ م)
المتوفى فى ذى القعدة من سنة ٤٥٦ من الهجرة (١٠٦٤ م) بعد أن صقله
التحقيق ، وجلاء حسن الوضع ، وزانه رَوِّق الطَّبْع ، وبعد أن قضيت
نصف حَوْل فى المراجعة ومعاودة النظر ، وقضيت من بعد ذلك ثلاثة أشهر
فى الاشراف على طبعه ، لا يحملنى على تجشم هذه الأحوال إلا الرغبة
الصادقة فى خدمة العربية ، والحرص على أن تكون كتبها صحيحة المعنى جميلة
الرؤاى .

وإنى أنضرع إلى الله تعالى أن يثيبنى على هذا بمقدار إخلاصى فيه لوجهه
فهو حسبي ونعم الوكيل

وقبل أن أختم هذه الكلمة لايسعنى إلا أن أثنى على الرجل الفاضل
« محمد أفندى عبيد اللطيف حجازى » صاحب « مطبعة حجازى »
وعلى قدوة العمال فى الصدق والأمانة « محمد أفندى حسنين » رئيس عمال
المطبعة ، فاهما قد دَنَلَا لى العمل تذليلا بما أَدَيَاه لى من الخدمات الصادقة ،
وبما احتملاه من عَنَاءٍ فى سبيل إخراج هذا الكتاب صحيحا خاليا من التحريف
حَسَبَمَا اقتضاه الوُسْعُ ؛ والله المسئول أن يتولى عنى جزاءهما ؛ إنه لا يضيع
أجر المحسنين .

فهرست

موضوعات الجزء الثاني من كتاب « العمدة في محاسن الشعر وآدابه »
 لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني المتوفى في سنة ٤٦٣ من الهجرة

ص	رقم الباب	الموضوع	ص	رقم الباب	الموضوع
—	—	ومنه نوع يسمى التقطيع أو التفصيل	٤٥	٣	باب التصدير : تعريفه
٢٥	—	الترصيع : تقسيم أجزائه مسجوعة	—	—	الفرق بينه وبين التردد
٥٠	٣٠	باب التسميم	—	٤	المضادة : نوع منه
—	—	اختلاف العلماء	٤٦	٥	باب المطابقة
—	—	في تسميته ، أنواعه	—	—	مأخذها ، وتعريفات العلماء لها
—	٣٣	اشتقاق أسماءه	—	١١	بعض ما يخطئ الناس في اعتباره من المتضادين
٥١	—	باب التفسير	٤٧	١٢	باب ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة
—	—	معناه ، الجيد منه السالم من التضمنين	٤٨	١٤	باب المقابلة :
٥٢	٣٧	باب الاستطراد	—	—	تعريفها ، ومترادفها من التقسيم والطباق
—	—	معناه ، الفرق بينه وبين الخزوج	—	١٥	الفرق بين الطباق والمقابلة
—	٣٩	منه نوع يسمى الادماج	—	١٩	الموازاة : نوع من المقابلة
٥٣	٤٠	باب التعرير	—	٢٠	باب التسميم
—	—	معناه ، هو فرع عن الاستطراد	—	—	آراء العلماء فيه
٥٤	٤٢	باب الالتفات	—	٢٤	جمع الأوصاف ، ويسمى التعقيب
—	—	معناه ، واختلاف العلماء في تسميته			

ص	رقم الباب	الموضوع	ص	رقم الباب	الموضوع
		في القافية فهو الاستدعاء	٤٥	٥٥	باب الاستثناء ، وهو
٦٩	٦٢	باب الاستدعاء	٤٧	—	توكيد للمدح بما يشبه القم
—	—	معناه ، وأمثلة	—	—	ليس منه الاحتراس
٧٠	٦٣	باب التكرار	—	—	والاحتياط
—	—	له مواضع يحسن فيها ،	٤٨	٥٦	باب التسميم
—	—	ومواضع يقيح فيها	—	—	معناه
٧٥	—	باب منه أسماء الجاحظ	٥٠	٥٧	باب المبالغة
—	—	المذهب الكلامي	—	—	ضروبها ، واختلاف
٧٦	٦٤	باب نفى الشيء بإيجابه	—	—	العلماء في قبولها
—	—	هو من محاسن الكلام ،	٥٢	—	منها ضرب فيه ترادف
—	—	وهو من المبالغة	—	—	الصفات
٧٨	٦٥	باب الأمراء	—	—	الغلو هو المنكر لا المبالغة
٨٠	٦٦	باب التضمن والاجازة	٥٤	٥٨	باب الإيغال
—	—	معنى التضمن ، وأمثلة	—	—	معناه ، الفرق بينه وبين
٨١	—	أجود أنواع التضمن	—	—	المبالغة
٨٢	—	من الشعراء من يضمن	٥٧	—	اشتقاقه
—	—	البيت معكوساً	—	—	باب الغلو
٨٥	—	الاجازة ، ومعناها ،	—	—	أسماءه ، اختلاف
—	—	وأمثلها	—	—	العلماء في قبوله
٨٦	—	اشتقاق الاجازة	٦١	—	أفضل أنواع الغلو
٨٧	—	من الاجازة نوع	—	—	ما اشتمل على مدح ونحوه
—	—	يسمى التمليط	٦٢	—	اشتقاقه
٨٨	—	اشتقاق التمليط	—	—	باب التشكك
٨٨	٦٦	باب الاتساع	—	—	موقعه ، فائدته
—	—	معناه ، أمثلة	٦٥	٦١	باب الحشو وفضول الكلام
٩٢	٦٧	باب الاشتراك	—	—	هو الاتكاء ، وإن كان

ص	رقم الباب	الموضوع	ص	رقم الباب
وما يقال لكل طبقة		أنواعه ، المحمود من	—	—
باب الاختصار	١٣٦ ٧٤	الاشتراك في اللفظ هو	—	—
باب الرثاء	١٣٩ ٧٥	التجنيس	—	—
الفرق بينه وبين المدح	—	الاشتراك في المعاني	٩٣	—
أصعب الرثاء الجميع	١٤٧	نوعان : أولهما تباعد	—	—
بين تعزية وتهنئة	—	اللفظين بعد اشتراك المعنى	—	—
أفضل ما رثي به النبأ	١٤٨	النوع الثاني على ضربين	٩٥	—
باب الاقتضام والاستنجاز	١٥٠ ٧٦	باب التباير	٦٨	—
خط الناس بينهما ،	—	معناه	—	—
وهما مختلفان	—	منه نوع يسمى النظر	—	—
باب المقاب	١٥٢ ٧٧	والملاحظة ، وهو من	—	—
للمقاب طرق ، والناس	—	السرقا	—	—
فيه ضروب	—	باب في التصرف وقصد الشعر	٩٩ ٦٩	—
باب الوعيد والانذار	١٥٩ ٧٨	باب في أشعار الكتاب	١٠١ ٧٠	—
التوعد بالمهجا	—	باب في أغراض الشعر	١٠٧ ٧١	—
باب المهجاء	١٦١ ٧٩	وصنوفه	—	—
أشد المهجاء الاقتداء ،	١٦٢	وصية أبي تمام للبحر	١٠٩	—
وهو المهجاء بالتفضيل	—	لعمل الشعر	—	—
تقصير المهجاء أفضل	١٦٤	باب التسيب	١١٠ ٧٢	—
من إطالته	—	يجب أن تكون معانيه	—	—
من المهجاء الاستحقار	١٦٥	قزية وألفاظه رسالة	—	—
والتهكم والاستخفاف	—	اشتقاق التشبيب	١٢١	—
أفضل المهجاء سلب	١٦٦	باب في المديح	١٢٢ ٧٣	—
الفضائل النفسية	—	أنواع الفضائل التي	١٢٥	—
باب الاعتذار	١٦٧ ٨٠	يمدح بها	—	—
أجل اعتذارات العرب	١٦٨	طبقات الممدوحين	١٢٨	—

ص رقم الباب	الموضوع	ص رقم الباب	الموضوع
	الحرام ، الضباب ،	١٧١ -	اشتقاق الاعتذار ،
	الأكابر ، بنو أم البنين		والاختلاف فيه
١٨٧ -	الكلمة ، المحس	١٧٢ ٨١ -	باب سيورة الشعر ،
١٨٨ -	العنابس ، الأعياض ،		والخطوة في المدح
	أم القبائل ، الجرات	م -	الاعشى أسير الناس
١٨٩ -	طوية ، الموالي		شعر آ في القدماء
٨٥ -	باب ذكر الوقائع والأيام	١٧٣ -	أبو نواس أسير
-	غزوات الرسول صلى		المحدثين شعرا
	الله عليه وسلم	١٧٥ -	عبد الملك بن مروان
١٩١ -	أيام العرب		لأحظى بنى أمية مديحا
٢١٤ ٨٦ -	باب في معرفة ملوك العرب	١٧٦ -	أوايد الشعر ، وأفضل
-	ملوك اليمن		ما تستعمل فيه
٢١٧ -	ملوك الشام	١٧٧ -	المجدودون في
٢١٨ -	ملوك الحيرة		التكسب بالشعر
٢١٩ ٨٧ -	باب من النسبة	٨٢ -	باب ما أشكل من المدح
-	الأبل الأرحية ، إلى		والهجاء
	من تنسب الدروع	١٨١ ٨٣ -	باب في أصول النسب
٢٢٠ -	الكتائن الزغرية ،		ويوتات العرب
	السمهرى ، الأتمحية ،	١٨٤ ٨٤ -	باب عما يتعلق بالأنساب
	القعضية ، الشرعية	-	قريش البطائح قريش
	الرجال العلافية		الظواهر
٢٢١ -	السهام ، السلوقية	١٨٥ -	إحلاس الخيل ،
	المشرقية ، السرجية ،		الذهلات ،
	الدروع الحطمية ، الخطبة		الاحايش ، المطيون
	المسك الدارى ، الأبل ،		الاجلاف ، الأرقام ،
	الحمر الاخضرية		البراجم ، الثعلبات
٢٢٢ ٨٨ -	باب الفتاق من الخيل	١٨٣ -	الرباب ، الاجارب ،

ص	رقم الباب	الموضوع	ص	رقم الباب	الموضوع
		والملاحظة			ومذكورتها
٢٧٣	—	السكن، الموارد،	٢٢٣	—	خيل رسول الله ﷺ
	—	اللائق والتلقيق	٢٢٣	—	خيل العرب
٢٧٤	—	كشف المعنى	٢٢٤	٨٩	باب من المعاني المحدث
٢٧٥	—	سوء الاتباع	٢٢٥	—	اعتذار ابن الرومي
٢٧٦	—	قضاء العلماء في		—	لتأخره عن ابن المعتز
	—	السركات الشعرية	٢٢٨	—	ما تفرد به القدماء
٢٧٧	—	أجل السركات نظم		—	من الأوصاف
	—	النثر وحل الشعر	٢٢٩	—	أمثلة ومقابلات بين
٢٧٨	٩٩	باب الوصف		—	المتقدمين والمحدثين
٢٧٩	—	مراتب الناس في الوصف	٢٣٣	٩٠	باب في أفعال بط الشعراء والرواة
—	—	موصوفات المتقدمين	٢٣٩	٩١	باب ذكر منازل القمر
	—	والمحدثين	٢٤٥	٩٢	باب في معرفة الأماكن والبلدان
٢٨٠	—	الموصوفات التي أشهر	٢٤٦	٩٣	باب من الرجز والعيافة
	—	مشاهير الشعراء بها	٢٥٠	٩٤	باب المعاطلة والتشبيح
٢٨٥	١٠٠	باب الشطو وبقية الزخاف	—	—	اشتقاقهما، وأمثلهما
٢٨٩	١٠١	باب بيوتات الشعر	٢٥١	٩٥	باب الوحش المتكلف،
	—	والمزق في		—	والركيك للمتضعف
٢٩١	١٠٢	باب حكم البسملة قبل الشعر		—	اشتقاق الوحش والركيك
٢٩٢	١٠٣	باب أحكام القوافي في الخط	٢٥٣	٩٦	باب الالحاق والتخير
٢٩٣	١٠٤	باب النسبة إلى الروي	٢٥٥	٩٧	باب الرخص في الشعر
٢٩٣	١٠٥	باب الانشاد وما ناسبه	٢٦٥	٩٨	باب السركات وما ناسبها
٢٩٧	١٠٦	باب الجوائز والصلوات	—	—	أنواع السرقة: السرقة
—	—	اشتقاق المجازة، وأول	٢٦٦	—	السلخ، الاضطراب
	—	من سننها		—	الاختلاب، الاستلحاق، الاعتقال
٢٩٨	—	البدره وأصلها	٢٦٩	—	الآغارة، السرقة أيضا
	—	الصلة وأصلها	٢٧١	—	الاستيابة، النظر



Universitäts- und
Landesbibliothek Bonn



0419418